٣٨ م

سلسلة شروحات ومؤلفات العقيدة (٩)

هذا العلم بدء خيري

شرح كتاب السنة من سنن الإمام أبي داود

شرح الشيخ العلامة

عبد المحسن العباد حفظه الله

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

رقم الإيداع: / ٢٠١٧ م

الرقم الدولي (ردمك):

دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر

الدوحة - قطر - طريق سلوى - بجوار إشارة الغانم الجديد

ص.ب ٢٩٩٩٩ - هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ - فاكس ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨

albukharibooks@gmail.com

سلسلة شروحات ومؤلفات العقيدة (٢)
هذا العمل بدعم خيري

شرح كتاب السنة من سنن الإمام أبي داود

شرح الشيخ العلامة

عبد المحسن العباد حفظه الله

دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إنَّ الحمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَديِ هَديُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد:

فَإِنَّ الشَّرِيعَة الغرَّاء قائمة عَلَى الأصلين الجليلين؛ كتاب الله وسُنَّة رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي التَّمسُّك بهما السَّعَادة الحقيقيَّة في الدُّنيا والآخرة.

وقد حَفِظَهما اللهُ عَزَّوَجَلَّ من الانتحال والتحريف؛ فتكفَّل سبحانه بحفظ الذكر الحكيم؛ فقال جل في عُلاه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقيَّض للسنة رجالًا أفذاذًا عظماء ذَبُّوا عنها افتراء المفترين، ونَفوا عنها تزييف المُحرِّفين.

ومن أهم كتب السُّنة: الكتب السِّتة، وهي: «الصحيحان»، و«سنن أبي داود»، و«سنن النَّسائيِّ»، و«جامع التِّرمذيِّ»، و«سنن ابن ماجة»، و«مسندُ أحمد»، و«موطأ مالك»، و«سنن الدَّارمي»، ولكلٍّ منها مَزِيَّةٌ.

وقَدْ حَرَص عُلَماءُ كلِّ زمانٍ عَلَى تَقْريب كُتُب السُّنَّة من طُلَّابها، وتبيين ما انطوت عليه من دررٍ ولآلِئَ، فَشمَّروا عَنْ سَاعِدِ الجدِّ بالشروح والتعليقات.

ومن كُتُب السُّنَّة المَشْهورة والَّذي له منزلةٌ عظيمةٌ بعد «الصَّحيحين»:

كتاب «سنن أبي داود»، ولِمَا لهَذَا السِّفْر العظيم من أهمِّيَّة بالغةٍ، ولما لكتاب السُّنَّةِ منه من منزلةٍ عاليةٍ؛ فقد وقع اختيارنا على شرح كتاب السُّنَّة من «سنن أبي داود»؛ لما اشتملت عليه الأَحَاديث الَّتي جَمَعها الإمام أبو داود في كتاب السُّنَّة من «سننه» من فَوَائدَ وفرائدَ، وأُمُورٍ مهمَّاتٍ تحتاجها الأُمَّة لتجسِّد ما في الشَّريعة الغرَّاء من هدي مَسطُور إلى فِعلٍ مَنظُور.

هذا، وَقَد قام قسمُ التحقيق والبحث العلمي بـ«دار الإمام البخاري» بتحقيق هذا الكتاب القيم النافع تحقيقًا علميًّا وفق الخطوات العلمية المنهجية التالية:

١- تفريغ الأشرطة تفريغًا جَيِّدًا.

٢- إعادة صياغة بعض العبارات، والتَّدخُّل للرَّبط بين الجُمل والفقرات.

٣- وضع علامات التَّرقيم المناسبة، وتَشْكيل ما أُشْكِل فيه.

٤- إثبات الآيات القرآنيَّة بالرَّسم العثمانيِّ، وعَزْوها إلى مَوَاضعها الأصلية.

٥- شرح الغريب من كُتُب الشُّرُوح المُعْتمدة، وكُتُب اللُّغة.

٦- تَخْريج الأَحَاديث بمنهج موحَّد، بالاعتماد عَلَى كُتُب الحديث ذات التَّرقيمات المعتمدة؛ كـ«ترقيم مُحمَّد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

٧- اكتفينا بتَخْريج الحديث إِنْ كَانَ في «الصِّحيحين»، أو أحدهما، ثمَّ

أَوْرَدنا حُكْمَ الشيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه غالبًا.

٨- بالنِّسبة لأَحَاديث (كتاب السُّنَّة) من «سنن أبي داود» خرَّجناها من كتاب «سنن أبي داود»، بحيث ذكرنا رقم الحديث فيه، وقمنا بذكر حكم الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه في الحاشية.

٩- تخريج الآثار من كُتُب التَّفاسير، وكُتُب السُّنَّة.

١٠- عزو النُّقولات إلى مصادرها من كُتُب أَهْل العلم.

١١- أَثْبَتْنا الأحاديثَ الَّتي أَوْرَدَها الشَّيخ أثناء التَّعليق بالمعنى من كتب السُّنَّة بألفاظها، وذلك في الحاشية؛ لتَتَّضح الفائدةُ من ذِكْرِهَا.

١٢- أَوْرَدنا بعض التَّعليقات لعلماء السنة الَّتي رأيناها لازمةً لإيضاح المعنى.

١٣- قُمْنا بعَمَل مُقدِّمة للتَّحقيق بَيَّنَّا فيها المنهج المتَّبع في تحقيق هَذَا الشرح المُبارك.

١٤- تَرْجَمنا للإمام أبي داود السجستاني صاحب السنن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأوردنا ترجمة الشيخ العباد حفظه الله.

والله من وَرَاء القَصْد، وهو المُوفِّق والهادي إلى سواء السَّبيل.

وصلَّى الله عَلَى نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعَلَى آله وصحبه أجمعين.

ترجمة فضيلة الشيخ العلامة
عبد المحسن العبَّاد حَفِظَهُ اللَّهُ

قال الشيخ عن نفسه في مقدمة المجلد الأول من «مجموع كتبه ورسائله»:

١ - أنا عبد المحسن بن حَمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد بن عثمان آل بدر، وأسرةُ آل بدر من آل جلاس، من عنزة إحدىٰ القبائل العدنانية. وأمِّي ابنة عمِّ أبي: سليمان بن عبد الله بن حمد بن عثمان آل بدر، والجد الثاني عبد الله لقبه «عَبَّاد»، وقد اشتُهر بالنسبة إليه بعضُ أولاده.

٢ - وُلدتُ عقِبَ صلاة العشاء من ليلة الأحد الموافق الثالث من شهر رمضان، عام (١٣٥٣هـ)، في مدينة الزلفي، وهي تقع شمال مدينة الرياض.

٣ - تعلَّمتُ القراءة والكتابةَ في الكتَّاب عند أساتذة كِرام؛ هم: عبد الله بن أحمد المنيع، ثم زيد بن محمد المنيفي، ثم عبد الله بن عبد الرحمن الغيث الذي أتممتُ عنده قراءة القرآن، ثم فالح الرومي، وعندما أُسِّستْ أول مدرسة ابتدائية في الزلفي عام (١٣٦٨هـ) التحقتُ بها في السنة الثالثة الابتدائية، وفي أثناء الدراسة الابتدائية درستُ علىٰ الشيخ حمدان بن أحمد الباتل في «الرحبية» في الفرائض، و«الآجرومية» في النحو.

٤ - بعد أن أتممتُ الدراسةَ الابتدائية عام (١٣٧١هـ) التحقتُ في العام الذي يليه بمعهد الرياض العلمي، ثم بكلية الشريعة بالرياض، وأثناء السنة

النهائية في الكلية عُيِّنتُ مدرِّسًا في معهد بُريدة العلمي في (١٣/ ٥/ ١٣٧٩هـ)، وفي نهاية العام الدراسي عُدتُ إلىٰ الرياض لأداء الامتحان النهائي في الكلية، فأكرمني الله بأن كنتُ الأولَ بين زملائي البالغ عددهم ثمانين خرِّيجًا يُمثِّلون الفوج الرابع من خرِّيجي كليَّة الشريعة، كما كنتُ الأول أيضًا في سنوات النقل الثلاث في الكلية، وفي الحصول علىٰ الشهادة الثانوية من معهد الرياض العلمي، وفي عام (١٣٨٠هـ) عملتُ مدرِّسًا في معهد الرياض العلمي.

وفي الدراسة في معهد الرياض وكلية الشريعة درستُ علىٰ مشايخ فضلاء، أبرزهم: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز(١)، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد الرحمن الأفريقي، والشيخ عبد الله بن صالح الخليفي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

---

(١) وكان الشيخ العباد حَفِظَهُ ٱللَّهُ له صحبة طويلة مع الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ استمرَّت خمسة عشر عامًا، يقول الشيخ العباد حَفِظَهُ ٱللَّهُ: كنت آتي إليه – يعني: الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ – قبل الذهاب إلىٰ الجامعة وأجلس معه قليلًا، وكان معه الشيخ إبراهيم الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان يقرأ عليه المعاملات من بعد صلاة الفجر إلىٰ بعد ارتفاع الشَّمس.

وفي يوم من الأيام قال لي: رأيتُ البارحةَ رؤيا؛ وهو أنَّني رأيتُ كأنَّ هناك بَكْرَةً – ناقة – جميلة، وأنا أقودها وأنت تسوقها. وقال: أوَّلتُها بالجامعة الإسلامية. وقد تحقق ذلك بحمد الله؛ فكنتُ معه في النيابة مدَّة سنتين، ثم قمتُ بالعملِ بعدهُ رئيسًا بالنيابة أربعةَ أعوام.

٥ - وعندما أُنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أكرمني الله فكنتُ بيْن الذين وقع عليهم اختيار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للعمل فيها مدرِّسًا، وكانت أوَّل كليَّة أُنشئت فيها كليَّة الشريعة التي بدأت الدراسة فيها يوم الأحد الموافق ٢/ ٦/ ١٣٨١هـ، وكان من فضل الله عليَّ أن كنتُ أوَّلَ من ألقىٰ درسًا في ذلك اليوم. ومن ذلك التاريخ وحتىٰ الآن (صيف عام ١٤٢٧هـ) وأنا أعملُ مدرِّسًا فيها، وقد أمضيتُ في التدريس بالجامعة الإسلامية ستة وأربعين عامًا.

٦ - وفي (٣٠/ ٧/ ١٣٩٣هـ) عُيِّنتُ نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية، اختارني الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا المنصب، وكنت أحدَ ثلاثة رشَّحهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئيس الجامعة في ذلك الوقت، وقد يكون هذا الاختيار لكوني أعمل في الجامعة الإسلامية، وبقيتُ في هذا المنصب إلىٰ (٢٦/ ١٠/ ١٣٩٩هـ)؛ حيث أُعفيتُ منه بعد إلحاح منِّي، وفي السنتين الأوليين من هذه السنوات الست كنت المسؤول الثاني فيها، وبعد انتقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلىٰ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء كنت المسؤول الأول[1].

---

(١) ولقد أُضيف لمكتبة الجامعة الإسلامية في عهد رئاسته الكثير من المخطوطات، بلغت الخمسة آلاف مخطوطة؛ حيث كان يُنتدب الشيخ العلامة حماد الأنصاري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -

وخلال هذه الأعوام الستَّة لم أتخلَّ عن إلقاء درسين أسبوعيًّا في السنة الرابعة من كليَّة الشريعة، وبفضل الله عَزَّوَجَلَّ، ثمَّ بالجهود المبذولة من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنِّي؛ تحقَّق في هذه الفترة إنشاء قسم للدراسات العليا في الجامعة لمنح درجتَي الماجستير والدكتوراه، وإنشاء كليَّة القرآن الكريم وكليَّة الحديث الشريف وكليَّة اللغة العربية، وأُنشئت مطابع الجامعة(١).

=

لجلبها من مختلف مكتبات العالم.

يقول الشيخ حماد: «تراث السلف الذي صور للجامعة الإسلامية أغلبه في عهد الشيخ عبد المحسن العباد عندما كان رئيسًا للجامعة الإسلامية».

ويقول أيضًا: «جلبت للجامعة الإسلامية أثناء رحلاتي على حسابها خمسة آلاف مخطوطة، وأغلب الرحلات التي من أجل جلب المخطوطات وتصويرها كانت في وقت رئاسة الشيخ عبد المحسن العباد للجامعة».

(١) قال العلامة حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشيخ عبد المحسن العباد ينبغي أن يكتب عنه التاريخ، كان يعمل أعمالًا في الجامعة تمنيت لو أني كتبتها أو سجلتها، وقد كان يداوم في الجامعة على فترتين صباحًا، ومساءً بعد العصر، ومرة جئته بعد العصر بمكتبه وهو رئيس الجامعة، فجلست معه ثم قلت: يا شيخ أين القهوة؟ فقال: الآن العصر ولا يوجد من يعملها؟! ومرة عزمت أن أسبقه في الحضور إلى الجامعة، فركبت سيارة وذهبت، فلما وصلت إلى الجامعة فإذا الشيخ عبد المحسن يفتح باب الجامعة قبل كل أحد».

وقال الشيخ حماد أيضًا: «والشيخ عبد المحسن في الجد في العمل حدث ولا حرج».

٧ - بدأت بالتدريس في المسجد النبوي في شهر المحرم من عام (١٤٠٦هـ)، وقبل ذلك درَّست فيه في مواسم الحج لتوعية الحجاج، وقد أكملت حتىٰ صيف عام (١٤٢٧هـ) شرح «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«سنن أبي داود» و«سنن النسائي» وثلاثة أرباع «جامع الترمذي»، والتدريس بين المغرب والعشاء في ستِّ ليالٍ في الأسبوع، وتتوقَّف الدراسة في العُطل الدراسية؛ لكون أكثر الطلبة من الدارسين في الجامعة الإسلامية.

٨ - أول رحلة لي خارج مدينة الزلفي كانت إلىٰ مكة المكرمة لحج بيت الله الحرام في عام (١٣٧٠هـ)، تليها في أواخر العام الذي يليه الرحلة إلىٰ الرياض لطلب العلم في معهد الرياض العلمي[(١)].

٩ - لديَّ دفاتري المدرسية في مختلف المراحل الدراسية، بدءًا من السنة الثالثة الابتدائية.

١٠ - أول كتاب لديَّ في مكتبتي الخاصة نسخة من كتاب «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر العسقلاني، اقتنيته قبل دخول المدرسة الابتدائية، وعليه خطي بتاريخ (٦/ ١/ ١٣٦٨هـ).

تلاميذ الشيخ حَفِظَهُ اللهُ:

دَرَسَ علىٰ الشيخ الكثير من العلماء وطلبة العلم ومنهم:

(١) وسافر الشيخ أيضًا إلىٰ المغرب.

الشيخ العلامة إحسان إلهي ظهير.

الدكتور علي ناصر فقيهي.

والشيخ يوسف بن عبد الرحمن البرقاوي.

والدكتور صالح السحيمي.

والدكتور وصي الله عباس.

والدكتور عبد الرحمن الفريوائي.

والشيخ الحافظ ثناء الله المدني.

والدكتور باسم الجوابرة.

والدكتور ناصر الشيخ.

والدكتور صالح الرفاعي.

والدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي.

والدكتور عبد الرحمن الرشيدان.

والدكتور إبرهيم الرحيلي.

والدكتور مسعد الحسيني.

وابنه الدكتور عبد الرزاق.

وعدد كبير من خريجي الجامعة الإسلامية وطلاب الحرم النبوي الشريف.

مؤلفاته:

للشيخ مؤلفات عديدة منها:

١ – عشرون حديثًا من صحيح الإمام البخاري.

٢ – عشرون حديثًا من صحيح الإمام مسلم.

٣ – من أخلاق الرسول الكريم.

٤ – عقيدة أهل السنَّة والجماعة في الصحابة الكرام.

٥ – فضلُ أهل البيت وعلوُّ مكانتِهم عند أهل السُّنَّة والجماعة.

٦ – عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر[1].

٧ – الرد على الرفاعي والبوطي.

---

(١) وممَّا قاله الإمام عبد العزيز عن هذا الكتاب «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» قبل تمامه، وذلك بعد محاضرة ألقاها الشيخ العباد حول (المهدي المنتظر):

«الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهُدَاه إلى يوم الدين. أما بعد: فإنا نشكر محاضرنا الأستاذ الفاضل الشيخ: عبد المحسن بن حمد العبَّاد، على هذه المحاضرة القيمة الواسعة، فلقد أجاد فيها وأفاد، واستوفى المقام حقًّا فيما يتعلَّق بالمهدي المنتظر مهدي الحق، ولا مزيد على ما بسطه من الكلام؛ فقد بسط واعتنى، وذكر الأحاديث، وذكر كلام أهل العلم في هذا الباب، وقد وفِّق للصواب وهُدي إلى الحقِّ، فجزاه الله عن محاضرته خيرًا، وجزاه الله عن جهوده خيرًا، وضاعف له المثوبة، وأعانه على التكميل والإتمام لرسالته في هذا الموضوع، وسوف نقوم بطبعها بعد انتهائه منها؛ لعظم فائدتها، ومسيس الحاجة إليها».

٨- الانتصار للصحابةِ الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي.

٩- الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نموذج من الرعيل الأول.

١٠- الشيخ عمر بن عبد الرحمن فلاته، وكيف عرفته.

١١- الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة.

١٢- فَضلُ المدينة وآدابُ سُكنَاها وزيارتِها.

١٣- قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

١٤- من أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[١].

١٥- رفقًا أهل السنَّة بأهل السنَّة.

١٦- فضل آل البيت .

١٧- اجتناء الثمر في مصطلح أهل الأثر .

١٨- عالمٌ جهبذ وملكٌ فذ .

١٩- قبسٌ من هدي الإسلام .

٢٠- دراسة حديث «**نضَّر الله امرًأ سمع مقالتي**»، روايةً ودرايةً .

ومن الكتب التي شرحها في دروسه بالحرم النبوي الشريف:

١- مُختصر ألفية السيوطي.

---

(١) وقد اقتصر فيه على أقوال المنصفين دون المتعسِّفين المنحرفين، فلما أطلع على رسائل المدعو (حسن المالكي) ألَّف «الانتصار» ردًّا عليه، فدحض أباطيله بالحجة والبرهان، فجزاه الله عن صحابة رسول الله خير الجزاء.

٢ – القيروانية.

٣– صحيح البخاري.

٤– صحيح مسلم.

٥– سنن أبي داود.

٦– سنن الترمذي.

٧– سنن النسائي.

٨– سنن ابن ماجه.

٩– اللؤلؤ والمرجان «كتاب الصيام».

١٠– الأربعين النووية.

١١– آداب المشي إلى الصلاة.

ومن محاضرات الشيخ المسجلة:

١ – معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بين أهل الإنصاف وأهل الإجحاف.

٢– الإيمان بالغيب.

٣– أربع وصايا للشباب.

٤– أثر علم الحديث.

٥– تقييد النعم بالشكر.

٦– محبة الرسول ﷺ.

٧– توقير العلماء والاستفادة من كتبهم.

٨- أثر العبادات في حياة المسلمين.

٩- الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشيءٌ من سيرته ودعوته.

١٠- الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نموذج من الرعيل الأول.

١١- الشيخ عمر بن عبد الرحمن فلاته وكيف عرفته.

١٢- خطر البدع.

وغيرها.

حبه للعلماء السلفيين أهل الحديث:

إنَّ الشيخ من محبي أهل الحديث والسلفيين، وكانت تربطه علاقة قوية بعلمائهم من شتى الديار، كما كانت تربطه علاقة متينة بالشيخ العلامة حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ العلامة عمر فلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و بالشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله ثناء عطر عليه، ومن ذلك:

قوله: «لا أعلم له نظيرًا في هذا العصر في العناية بالحديث وسعة الإطلاع فيه، وأنا لا أستغني - وأرى أنه لا يستغني غيري - عن كتبه والإفادة منها».

من أخلاقه والثناء عليه:

الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ مثالٌ في العلم والعمل والاستقامة في دينه، متواضع حليم، ذو أناة وتؤدة.

ومن الأمور التي تدلُّ على رفعة أخلاق الشيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ ورحمته للخلق:

أنه رغم ترؤسه للجامعة الإسلامية إلا أنه لم يكن يستغل هذا المنصب الرفيع ليشقَّ علىٰ العاملين معه، بل كان يتعمَّد عدم إقلاق راحتهم.

قال العلامة حماد الأنصاري: «ذهبت إلىٰ الجامعة عصرًا عندما كان الشيخ عبد المحسن العباد رئيسها، ولم يكن في الجامعة إلا أنا وهو، فقلت له: لماذا لا تأتي بمن يفتح لك الجامعة قبل أن تحضر؟ فقال: لا أستخدم أحدًا في هذا الوقت؛ لأنه وقت راحة. وكان ذلك وقت العصر».

وممَّا جاء في ورعه حَفِظَهُ اللهُ: أنه لم يكن يرضىٰ أن يوقف سيارة الجامعة علىٰ الطريق من أجل شراء حاجة للبيت. ولما انتهت رئاسة الشيخ للجامعة الإسلامية كان واقفًا أسفل ينتظر، فمرَّ عليه السائق بسيارة الجامعة كالعادة ليوصله للمنزل، فأبىٰ الركوب، وقال: ما دريت أنا قد انتهت مدة رئاستي؟! وقد أرسلت لابني يأتي ليأخذني.

قال العلامة المحدث الشيخ حماد الأنصاري:

«إن الشيخ عبد المحسن العباد ما رأت عيني مثله في الورع»[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) **مصادر الترجمة:**

- مقدمة المجلد الأول من مجموع كتب ورسائل الشيخ حَفِظَهُ اللهُ.
- ترجمة الشيخ في موقع طريق الإسلام.
- ترجمة الشيخ في موقع صيد الفوائد.

ترجمة الإمام أبي داود
رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه:

سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيىٰ بن عمران[١]، أبو داود الأزدي – نسبة إلىٰ الأزد قبيلة في اليمن –[٢] السِّجِسْتاني[٣]، وينسب إليها: السَّجْزِي – علىٰ غير قياس –[٤]، الإمام الحافظ الفقيه.

مولده وطلبه للعلم:

ولد أبو داود سنة اثنتين ومائتين، وارتحل رحلة كبيرة، ونزل البصرة وسكن بها[٥].

وهو أحد أئمَّة الحديث الرَّحالين إلىٰ الآفاق في طلبه، جمع وصنَّف وخرج وألَّف، وسمع الكثير من مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٦٤).

(٢) الرسالة المستطرفة (ص١١).

(٣) نسبة إلىٰ سجستان، وهو إقليم يقع الآن تقريبًا في الجنوب والجنوب الغربي لأفغانستان، ويمتد إلىٰ بعض مناطق إيران الشرقية إلىٰ الجنوب منها.

(٤) الرسالة المستطرفة (ص١١).

(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٥)، البداية والنهاية (١١/ ٦٤)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٢٢).

والعراق وخراسان وغير ذلك[١]، وقدم بغداد غير مرَّة[٢]، وسمع من مسلم بن إبراهيم، وسليمان بن حرب، وخلق لا يحصون.

وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، لازم مجلسه مدَّةً، وسأله عن دقاق المسائل في الفروع والأصول [٣]، وكتب عنه أحمد بن حنبل حديثًا واحدًا؛ وهو حديث أبي العشراء الدارمي عن أبيه: أن رسول الله ﷺ سُئل عن العتيرة فحسَّنَها[٤].

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٧٥)، البداية والنهاية (١١/ ٦٤).

(٢) قال الخطيب: كان أبو داود قد سكن البصرة، وقدم بغداد غير مرَّة، وروى كتابه المصنف في السنن بها، ونقله عنه أهلها. [تاريخ بغداد (١٠/ ٧٥)].

(٣) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٥، ٢١٦)، طبقات الفقهاء للشيرازي (ص ١٧١).

(٤) تاريخ دمشق (٢٢/ ١٩٢)، صفة الصفوة (٤/ ٧٠)، والحديث رواه الطبراني في الكبير (٧/ ١٨٦، رقم ٦٧٢٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٨): «فيه عبد الرحمن بن قيس الضبي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات».

والعتيرة: ذبيح كانوا في الجاهلية يذبحونها في شهر رجب، قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٤/ ٣٦٨): «ورد الأمر بالعتيرة في أحاديث كثيرة، وصحَّح ابن المنذر منها حديثًا، وساق البيهقي منها جملة، والجمع بين هذا وبين حديث أبي هريرة - حديث: «لا فرع ولا عتيرة»، وهو متفق عليه -؛ أن المراد الوجوب؛ أي: لا فرع واجب، ولا عتيرة واجبة. قاله الشافعيُّ، ونصَّ في رواية حرملة: أنهما إن تيسرا كل شهر كان حسنًا». وانظر: أداء ما وجب =

روىٰ الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ١٩٢) بإسناده، عن ابن أبي داود قال: قال أبي: فذكرته لأحمد بن حنبل فاستحسنه وقال: هذا حديث غريب. وقال لي: اقعد. ودخل، فأخرج محبرةً وقلمًا وورقةً، وقال: أمْلِه عليَّ. فكتبه عني، ثم شهدته يومًا آخر وجاءه أبو جعفر بن أبي سمينة فقال له أحمد بن حنبل: يا أبا جعفر! عند أبي داود حديث غريب، اكتبه عنه. فسألني فأمليته عليه.

قال ابن داسة: كان لأبي داود كُمٌّ[(١)] واسع، وكم ضيِّقٌ، فقيل له في ذلك؟ فقال: الواسع للكتب، والآخر لا يُحتاج إليه[(٢)].

قال أبو عبد الله الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، سمع بمصر والحجاز، والشام والعراقَيْن[(٣)]، وخراسان، وقد كتب بخراسان قبل خروجه إلىٰ العراق، في بلده وهراة، وكتب ببغلان عن قتيبة، وبالرَّيِّ عن إبراهيم بن موسىٰ... وكان قد كتب قديمًا بنيسابور، ثم رحل بابنه أبي بكر إلىٰ خراسان[(٤)].

من بيان وضع الوضاعين في رجب، لابن دحية، بتخريج الألباني (ص٣٨).

(١) أي: جَيْب.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/ ٢٠٠)، السير (١٣/ ٢١٧)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٢٨).

(٣) هما الكوفة والبصرة.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٢).

وروى أبو عبيد الآجري، عن أبي داود، قال: دخلت الكوفة سنة إحدى وعشرين، وما رأيت بدمشق مثل أبي النضر الفراديسي، وكان كثير البكاء، كتبت عنه سنة اثنتين وعشرين[١].

تلاميذه:

حدَّث عنه جماعة؛ منهم ابنه أبو بكر عبد الله، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأحمد بن سليمان النجار؛ وهو آخر من روى عنه في الدنيا[٢]، وحدَّث عنه الترمذي في «جامعه»[٣].

زهده وفضله:

كان ورعًا تقيًّا ناسكًا عفيفًا[٤].

قال عنه قوَّام السنة الأصبهاني: أحد الورعين المتقشِّفين المتَّقين، كان حافظًا عالمًا فقيهًا، ذَبَّ عن السنَّة وقمع المخالفين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

قال الحافظ الذهبي في «السير» (١٣/ ٢١٥، ٢١٦): روى الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: كان عبد الله بن مسعود يشبه بالنبي ﷺ في

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٢).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٦٤).

(٣) تاريخ دمشق (٢٢/ ١٩٢)، السير (١٣/ ٢٠٥).

(٤) انظر: السير (١٣/ ٢١١).

(٥) سير السلف الصالحين لقوَّام السنة (ص١١١٨).

هديه ودله.

وكان علقمة يشبه بعبد الله في ذلك.

قال جرير بن عبد الحميد: وكان إبراهيم النخعي يشبه بعلقمة في ذلك، وكان منصور يشبه بإبراهيم.

وقيل: كان سفيان الثوري يشبه بمنصور، وكان وكيع يشبه بسفيان، وكان أحمد يشبه بوكيع، وكان أبو داود يشبه بأحمد[(١)].

قال أبو بكر بن أبي داود: سمعت أبي يقول: الشهوة الخفية حبُّ الرياسة.

وقال أبو داود: من اقتصر على لباس دُون ومطعم دون أراح جسده[(٢)].

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

قال أبو بكر الخلال: أبو داود الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعه أحد في زمانه، رجل ورع مقدم[(٣)].

قال أحمد بن محمد بن ياسين: كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ، وعلمه وعلله وسنده، في أعلى درجة النسك والعفاف، والصلاح والورع، من فرسان الحديث[(٤)].

(١) انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ١٢٨)، البداية والنهاية (١١/ ٦٥).

(٢) تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٠٠).

(٣) السير (١٣/ ٢١١).

(٤) السير (١٣/ ٢١١).

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق الصاغاني، وإبراهيم الحربي: أُلِين لأبي داود الحديث، كما ألين لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ الحَدِيد [(١)].

وقال الحافظ موسىٰ بن هارون: خُلِق أبو داود في الدنيا للحديث، وفي الآخرة للجنَّة.

وقال الحافظ أبو عبد الله بن مندة: الذين خرَّجوا وميَّزوا الثابت من المعلول، والخطأ من الصَّواب أربعة: البخاري، ومسلم، ثم أبو داود، والنسائي [(٢)].

جاء سهل بن عبد الله التستري لأبي داود، فقيل له: يا أبا داود، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائرًا. قال: فرحب به وأجلسه، فقال: يا أبا داود لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: حتىٰ تقول: قضيتها مع الإمكان. قال: قد قضيتها مع الإمكان. قال: أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله ﷺ أقبله. قال: فأخرج له لسانه فقبَّله [(٣)].

قال الحافظ الذهبي (١٣/ ٢١٥، ٢١٦): كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء؛ فكتابه يدلُّ علىٰ ذلك.

له كتاب «السُّنَن»، و«الناسخ والمنسوخ» وَ«الْقدر» و«المراسيل» وَغير ذَلِك [(٤)].

---

(١) السير (١٣/ ٢١٢).

(٢) السير (١٣/ ٢١٢).

(٣) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٥)، السير (١٣/ ٢٣١).

(٤) طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٦٥).

عقيدته:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ على مذهب السَّلف في اتباع السنة والتسليم لها، وترك الخوض في مضائق الكلام[(١)].

كتابه «السنن»:

قال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني: كتاب «السنن» - جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثماني مائة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه[(٢)].

وقد عرضه على شيخه أحمد بن حنبل، فاستجاده، واستحسنه[(٣)].

قال أبو حامد الغزالي: يكفي المجتهد معرفتها - «سنن أبي داود» - من الأحاديث النبويَّة[(٤)].

قال الحافظ زكريا الساجي: كتابُ الله أصل الإسلام، وكتاب أبي داود عهد الإسلام[(٥)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٥، ٢١٦).

(٢) السير (١٣/٢٠٩، ٢١٠).

(٣) تاريخ بغداد: (٩ / ٥٦)، تاريخ دمشق (٢٢/ ١٩٢)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٩)، البداية والنهاية (١١/ ٦٤).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٦٤)، وانظر المستصفى (ص ٣٤٣).

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/١٩٧)، السير (١٣/ ٢١٥)

قال الخطابي: سمعت ابن الأعرابي يقول ونحن نسمع منه هذا الكتاب - «سنن أبي داود» - فأشار إلىٰ النسخة وهي بين يديه: لو أنَّ رجلًا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب؛ لم يحتجْ معهما إلىٰ شيء من العلم بَتَّةً[(١)].

قال محمد بن مخلد: كان أبو داود يفي بمذاكرة مائة ألف حديث، ولمَّا صنف كتاب «السنن»، وقرأه علىٰ النَّاس، صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف، يتبعونه ولا يخالفونه، وأقرَّ له أهل زمانه بالحفظ والتقدُّمِ فيه[(٢)].

قال الشيخ عبد المحسن العباد[(٣)]: كتاب «السنن» لأبي داود كتابٌ ذو شأن عظيم، عُنِيَ فيه مؤلِّفه بجمع أحاديث الأحكام وترتيبها وإيرادها تحت تراجم أبواب، تَدلُّ علىٰ فقهه وتَمَكُّنه في الرواية والدراية، قال فيه أبو سليمان الخطابي في أول كتاب «معالم السنن» [(٤)]: «وقد جَمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدِّمًا سبقه إليه ولا متأخرًا لحقه فيه»، وهو مقدَّمٌ علىٰ غيره من كتب السنن الأخرىٰ[(٥)].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر(٢٢/ ١٩٧).

(٢) السير (١٣/ ٢١٢).

(٣) كيف نستفيد من الكتب الحديثية الستة (ص ١٨، ١٩).

(٤) (١/ ٨).

(٥) كيف نستفيد من الكتب الحديثية الستة (ص ١٩).

وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين، ودفن إلىٰ جانب قبر سفيان الثوري[1].

❊ ❊ ❊

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٥)، البداية والنهاية (١١/ ٦٥).

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

كِتَاب السُّنَّةِ

الشَّرْح

يقول الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (كتاب السُّنَّة)، وهذا الكتاب من جملة كتب كتاب «السنن» لأبي داود، وهو يتعلَّق بمباحث العقيدة.

۞ الفرق بين منهج المتقدِّمين والمتأخِّرين في التصنيف في مباحث العقيدة:

ولفظ «السنة» يأتي عند السلف ويراد به ما يتعلق بالعقيدة؛ ولهذا نجد أن الكتب التي أفردت بهذا الاسم هي من كتب العقيدة، ومن العلماء من أفرد مباحث العقيدة بالتصنيف، وبعض هذه المصنفات حمل اسم: «كتاب السنة»، وأما أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جعل هذا الكتاب ضمن كتابه «السنن»، فهو من جنس كتاب «التوحيد» وكتاب «الإيمان» عند الإمام البخاري؛ أي: أن الكتاب الجامع يشتمل علىٰ كتب في العقيدة؛ ككتاب الإيمان، وكتاب السنة، وكتاب التوحيد... وغير ذلك من الكتب التي هي ضمن الكتب الجامعة.

ومن العلماء من يخصِّص كتابًا للعقيدة باسم «السنة»، أو باسم «الإيمان»، أو باسم «الرد على الجهمية»، أو غير ذلك، ومنهم من يجعل في المؤلَّفات الجامعة العامة كتبًا تشتمل على مباحث العقيدة، كما فعل أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الكتاب.

ومن المعلوم أن التأليف في العقيدة له طريقتان:

إحداهما: طريقة المتقدمين؛ وهي أنهم يذكرون الأحاديث والآثار بالأسانيد.

وأمَّا الطريقة الثانية: فهي طريقة المتأخرين؛ وهي أنهم يأتون إلى مباحث العقيدة فيذكرون في كل مبحث ما ورد فيه من الآيات والأحاديث، لكنها غير مسنَدة، بل مَعْزُوَّة إلى الكتب المسنَدَة، فيقولون مثلًا: روى البخاري في صحيحه كذا، وروى أبو داود في سننه كذا، وروى ابن ماجه في سننه كذا، دون أن يذكروا أسانيدهم بذلك، وإنما يذكرون الكتب التي خرَّجت تلك الأحاديث، وكذلك يذكرون الآثار والرد على المخالفين.

ويأتي ضمن مؤلفات المتقدمين؛ أسماء عامة يدخل تحتها مسميات كثيرة؛ مثل لفظ «السنة» جاء فيه مؤلفات عديدة، منها ما هو موجود ومنها ما ليس موجودًا، بل فُقد ولم يظفر منه بشيء.

ومن أمثلة الكتب المؤلفة في السنة: كتاب «السنة» لابن أبي عاصم[(١)]،

---

(١) أحمد بن عمر بن محمد بن أبي عاصم النبيل، أبو بكر الشيباني، كان حافظًا عالمًا زاهدًا كثير =

و«السنة» للطبراني[1]، و«السنة» للالكائي[2]، و«السنة» لمحمد بن نصر المروزي[3]، وكتب كثيرة بهذا اللفظ.

=

الحديث، متبعًا للأثر، كثير التصنيف؛ من كتبه: المسند الكبير، والآحاد والمثاني، والسنة، ولي القضاء ثلاث عشرة سنة، ولد سنة ٢٠٦، ومات بأصبهان سنة ٢٨٧. [انظر ترجمته في: طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ (٣/ ٣٨٠)، وسير السلف الصالحين لقوام السنة الأصفهاني (ص١٣٠٢)، والسير (١٠/ ٤٦٠)].

(١) **سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَيِّر اللَّخْمِي**، أبو القاسم الطبراني الحافظ، من أهل طبرية الشام، حافظ عصره، أقام في الرحلة ثلاثًا وثلاثين سنة، وسمع الكثير، وعدد شيوخه ألف شيخ، من مصنفاته: المعاجم الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير، ودلائل النبوة، والأوائل، والدعاء، والسنة، ولد سنة ٢٦٠ بعكا، وسكن أصبهان إلىٰ أن توفي فيها، توفي سنة ٣٦٠. [انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٧)، والسير (١٢/ ٢٠١)، والوافي بالوفيات (١٥/ ٢١٣)].

(٢) **هبة الله بن الحسن بن منصور**، أبو القاسم الطبري الرازي، الشافعي البغدادي المعروف بـ«اللالكائي»، الحافظ، استوطن بغداد، قال الخطيب البغدادي: صنف كتابًا في السنن، وكتابًا في معرفة أسماء من في الصحيحين، وكتابًا في شرح السنة، وغير ذلك، وعاجلته المنية فلم ينشر عنه كثير شيء من الحديث، وخرج في آخر أيامه إلىٰ الدينور، فمات بها كهلًا سنة ٤١٨. [انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب (١٦/ ١٠٨)، والسير (١٣/ ١٣٦)، وطبقات السبكي (٤/ ٢٠٧)].

(٣) **محمد بن نصر بن الحجاج، أبو عبد الله المروزي الحافظ**، أحد أعلام الأمة وعقلائها، وكان إمامًا مجتهدًا علامة، من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين، له مصنفات منها:

=

ومنها ما هو باسم «الإيمان»(١)، ومنها ما هو باسم «الرد على الجهمية»(٢)(٣).

وأما الكتب التي صنفت على طريقة المتأخرين؛ فمنها: «شرح العقيدة الطحاوية»، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية كـ«منهاج السنة»، و«العقيدة الواسطية»، و«التدمرية»، و«الحمويَّة»، ومثل كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ ككتاب «التوحيد»، وغيرها من الكتب.

= القسامة في الفقه، تعظيم قدر الصلاة، السنة، اختلاف الفقهاء، ولد ببغداد سنة ٢٠٢، ونشأ بنيسابور، وسكن سمرقند وتوفي بها سنة ٢٩٤، وكان أبوه مروزيًّا. [انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب (٤/ ٥٠٨)، والسير (١٤/ ٣٣)، وطبقات السبكي(٢/ ٢٤٦)].

(١) مثل: كتاب «الإيمان»، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي المتوفى سنة ٢٢٤، و«الإيمان» للعدني أبي عبد الله محمد بن يحيى بن عمر المتوفى سنة ٢٤٣، و«الإيمان» لابن منده أبو عبد الله العبدي محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى الحافظ المتوفى سنة ٣٩٥.

(٢) من ذلك: «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١، و«الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» لابن قتيبة عبد الله بن مسلم أبي محمد الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦، و«الرد على الجهمية» للدارمي أبي سعيد عثمان بن سعيد المتوفى سنة ٢٨٠، و«الرد على الجهمية» لابن منده.

(٣) ومنهم من صنف باسم «كتاب التوحيد»؛ مثل: ابن خزيمة أبي بكر محمد بن إسحاق الحافظ المتوفى سنة ٣١١، وابن منده.

المعاني المرادة من إطلاق كلمة «السنة»:

ولفظ السنة يطلق علىٰ أربعة معانٍ؛ أعمها وأشملها: **أن «السنة» تطلق ويراد بها ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي، سواء كان كتابًا أو سنة**، والمراد بالسنة هنا: الطريقة؛ أي: طريقة الرسول ﷺ وما كان عليه الرسول ﷺ وما جاء به، ومنه قوله ﷺ: **«مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**[1]؛ أي: طريقته ومنهجه ودينه الذي جاء به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فالقرآن من سنة الرسول ﷺ، والحديث من سنة الرسول ﷺ، وكل ما جاء به الرسول من الوحي؛ فهو داخل في سنة الرسول ﷺ بالمعنىٰ العام، فـ«**من رغب عن سنتي**» التي جئت بها - سواء كانت في القرآن أو في السنة -؛ «**فليس مني**».

فكل ما جاء في القرآن والسنة؛ فهو سنته ﷺ، وهذا هو أوسع المعاني.

والمعنىٰ الثاني: **أن تأتي بمعنىٰ: الحديث**؛ أي: خصوص حديث الرسول ﷺ. فالمحدِّثون والفقهاء عند استدلالهم علىٰ المسائل بقولهم مثلًا: وهذه المسألة دل عليها الكتاب والسنة والإجماع والمعقول - أو القياس -. فهم يريدون بـ«السنة» هنا: الحديث؛ لأنها عطفت علىٰ الكتاب، فيراد بها خصوص حديث الرسول ﷺ، فإذا ذكروها إجمالًا عادوا إليها تفصيلًا، فقالوا: فأما الكتاب فيقول الله عَزَّوَجَلَّ كذا وكذا، وأما السنة فقول

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، في النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٥٠٦٣)، ومسلم، في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه... رقم (٥/ ١٤٠١)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الرسول ﷺ كذا، وأما الإجماع فقد حكىٰ فلان الإجماع علىٰ كذا، وأما المعقول فإن القياس والعقل يدلُّ علىٰ كذا وكذا مما هو مطابق للنقل.

وهي بهذا المعنىٰ تسمَّىٰ: السنة أو الحديث، وهو ما أضيف إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف خَلقي أو خُلقي.

المعنىٰ الثالث: أن يؤتىٰ بالسنة في مقابل البدعة، ومنه ما نحن بصدده هنا، فإن قوله: (كتاب السنة)؛ أي: ما يعتقد طبقًا للسنة، مخالفًا ومباينًا ما هو مبتدع، أو: العقيدة السليمة المستقيمة المطابقة للسنة. وكذلك قولهم: فلان من أهل السنة. أي: من هو علىٰ عقيدة سليمة وصحيحة، ويقال: هذا سني وذاك بدعي؛ إذا كان هذا من أهل السنة وذاك من أهل البدع.

والمعنىٰ الرابع: أن يراد بالسنة: المندوب والمستحب في اصطلاح الفقهاء؛ فالفقهاء يقسِّمون الأحكام إلىٰ خمسة أقسام؛ وهي: واجب ومندوب ومحرم ومكروه ومباح، فما أمر به علىٰ سبيل الإلزام والإيجاب، وهو الذي يثاب فاعله ويعاقب تاركه؛ يقال له: واجب، وما أمر به ليس علىٰ سبيل الإيجاب وإنما علىٰ سبيل الاستحباب؛ وهذا هو الذي يقال له في اصطلاح الفقهاء: سنة، ومندوب ومستحب، وهي مترادفات عندهم فإذا جاء في كتب الفقهاء: يسنُّ كذا، أو يستحب كذا، أو يندب كذا، أو هذا سنة، أو هذا مندوب، أو هذا مستحب؛ فإنه يُقصد به هذا المعنىٰ الرابع.

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ

٤٥٩٦- حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ - أَوْ ثِنْتَيْنِ - وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ إِحْدَىٰ - أَوْ ثِنْتَيْنِ - وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[١].

الشرح

قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب: شرح السنة)، والمقصود بذلك: بيان وإيضاح المراد بالسنة، وأورد في هذه الترجمة حديث أبي هريرة وحديث معاوية، وقد جاء في حديث معاوية[٢] بيان أن المقصود بالفرقة الناجية التي هي واحدة من ثلاث وسبعين فرقة، والتي هي في الجنة: **أنها الجماعة**، وهم

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٣).

(٢) وهو الحديث التالي.

الذين كانوا على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -.

وأورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**افترقت اليهود على إحدى - أو ثنتين - وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى - أو ثنتين - وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمَّة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنَّة**»، وهذا الحديث يدلُّ على حصول الافتراق في الأمم السابقة من اليهود والنصارى، وأنهم فرق شتى، ونحل متعددة، وأن هذه الأمة سيحصل لها مثل ما حصل لهم، وأنها ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ فرقة واحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار؛ أي: أنها مستحقَّة لدخول النار.

وهذا الحديث فيه إخبار عن أمور مغيبة؛ ففيه الإخبار عن أمور مضت، وأمور مستقبلة؛ فالتي مضت افتراق اليهود والنصارى إلى هذه الفرق الكثيرة، والأمر المستقبلي: هو افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، وأن واحدة من هذه الفرق هي الناجية، وهي الجماعة؛ جماعة المسلمين الذين كانوا على سنة الرسول ﷺ ومنهجه وطريقته، واثنتان وسبعون فرقة مخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ، ولكنهم ليسوا كفارًا ولم يصلوا إلى حد الكفر، بل هم مسلمون وهم من أمة الإجابة، ولكنهم مستحقون للعذاب، وأَمْرهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فمن شاء أدخله النار، ولكنه لابد أن يخرج منها؛ لأنه لا

يبقىٰ فيها أبد الآباد إلا الكفار، ومن شاء الله تعالىٰ أن يعفو عنه عفا عنه وأدخله الجنة ولم يدخل النار.

ولا يسلم من عذاب الله ويدخل الجنة من أول وهلة إلا فرقة واحدة وهم الجماعة، وهم الذين كانوا علىٰ ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام - رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم -.

وهذا الحديث من دلائل نبوَّته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإن فيه إخبارًا عن أمور ماضية ولا شك أنها وقعت طبقًا لما أخبر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعن أمور مستقبلة، وقد وقعت تلك الأمور المستقبلة، طبقًا لما أخبر به - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -؛ كحصول التفرُّق الذي جاء في هذا الحديث، ومثل الأمور التي كانت قريبة من زمن النبي ﷺ، ومنها ما سيأتي مثل أخبار الدجال، وعيسىٰ ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وما إلىٰ ذلك. فهو من الأحاديث المشتملة علىٰ علامة من علامات نبوته وهو الإخبار عن أمر مغيب.

قَوْلُهُ ﷺ: **(وإن أمتي ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة)**، المراد بالأمة هنا: أمة الإجابة؛ لأن أمة الإجابة هم المسلمون الذين دخلوا في الإسلام، وفيهم من هو سالم من البدع، وفيهم من هو واقع في البدع، والأكثرون هم الواقعون في البدع، وهم مستحقون للنار، وأمرهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وأمَّة نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمتان:

- أمة دعوة. - وأمة إجابة.

فأمة الدعوة: هم الإنس والجنُّ؛ من حين بُعث رسول الله ﷺ إلىٰ قيام الساعة؛ أي: أن الدعوة موجَّهة إليهم، فهم مكلَّفون ومطالبون بما جاء به الرسول ﷺ، فمن دخل في دينه، وآمن به، واتبع ما جاء به؛ فقد سلم، ومن أعرض ولم يدخل فيما جاء به من الدين الحنيف؛ فإنه يكون كافرًا، ومآله إلىٰ النار، ولو كان تابعًا لنبي من الأنبياء السابقين؛ لأنه ببعثة الرسول ﷺ خُتمت الرسالات، وتعيَّن علىٰ كل من كان موجودًا في زمنه ومن جاء بعد بعثته ﷺ؛ أن يدخل في دينه، وإلا فليس له إلا النار، ويكون كافرًا من الكفار؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)؛ فقوله في هذا الحديث: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ**». المراد به: أمَّة الدعوة؛ لأنه ذكر اليهود والنصارىٰ فيها، واليهود والنصارىٰ هم من أمة محمد ﷺ؛ لأنهم مدعوون ومطالبون بالدخول في دينه، ومن أبىٰ ولم يدخل في دينه؛ فهو كافر، وليس

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم، في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيِّنا محمد ﷺ، رقم (٢٤٠/ ١٥٣)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

له إلا النَّار خالدًا مخلَّدًا فيها أبد الآباد، ولا ينفع اليهودي أن يقول: أنا تابع لموسىٰ. ولا النصراني أن يقول: أنا تابع لعيسىٰ. لأن تلك الرسالات قد انتهت ونُسخت ببعثة نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فشريعته ناسخة لجميع الشرائع، ولا يقبل الله من أحد دينًا سوىٰ الدين الذي جاء به الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، لكن ينفعهم قبل أن يبعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يتَّبعوا موسىٰ ويسيروا علىٰ طريقته، أو أن يتبعوا ما جاء به عيسىٰ، فهم علىٰ حق في ذلك الوقت، وأما بعد بعثة الرسول ﷺ فلا ينفع أحدًا أن يدعي أنه تابع لموسىٰ أو عيسىٰ، بل لا بد أن يتَّبع محمدًا ﷺ، وإلا كان كافرًا من أصحاب النار. وعلىٰ هذا فالأمة أمتان - كما ذكرنا سابقًا -: أمة دعوة، وأمة إجابة.

وأمة الدعوة هي التي جاء ذكرها في حديث: «**والذي نفسي بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة...**»، وأما أمة الإجابة فهي التي جاءت في الحديث الذي معنا، وهو: «**إن أمتي ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون فرقة في النار، وواحدة في الجنَّة**».

وقد جمع الله عَزَّوَجَلَّ بين الأمتين؛ بين من كانت الدعوة موجهة إليهم علىٰ سبيل العموم، وبين من كان موفَّقًا للدخول في الإسلام؛ وذلك في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، ففي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ حذف المفعول؛ أي: كل أحد؛ فكل

الناس مدعوون إلىٰ دار السلام، ليس هناك من لا يدعىٰ، فليس هناك تفريق بين الناس في ذلك؛ ولهذا أثبت الله لنبيه ﷺ الهداية العامة، وهي: هداية الدلالة والإرشاد بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، فالرسول ﷺ هدىٰ إلىٰ الطريق المستقيم الذي يوصل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأوضح ذلك الطريق غاية الإيضاح؛ فمن أخذ به سلم، ومن أعرض عنه خسر، وهذا الإرشاد والبيان موجَّه إلىٰ كل أحد من أمة الدعوة.

ثم قال: ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾؛ وهم أمة الإجابة، وهؤلاء هم الذين وفقوا للدخول في الإسلام، وهداهم الله إلىٰ الصراط المستقيم؛ ولكن منهم من هو علىٰ الجادة سليمًا مستقيمًا، ومنهم من عنده خلل، ولكنهم كلهم لا يخلَّد أحدٌ منهم في النار - كما سبق بيانه -.

قَوْلُهُ: «علىٰ إحدىٰ - أو اثنتين - وسبعين فرقة»: الحديث هنا فيه شكٌّ في الموضعين، لكن جاء في لفظ آخر للحديث: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[1].

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه، وهذا اللفظ عند أحمد (٢/ ٣٣٢)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن حبان (١٤/ ١٤٠، رقم ٦٢٤٧)، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (رقم ٢٠٣).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: **(حدثنا وهب بن بقية)**؛ هو وهب بن بقية الواسطي، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: **(عن خالد)**؛ هو خالد بن عبد الله الطحان الواسطي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة[1].

قَوْلُهُ: **(عن محمد بن عمرو)**؛ هو محمد بن عمرو بن وقاص الليثي، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(عن أبي سلمة)**؛ هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة[2] علىٰ أحد الأقوال الثلاثة في السابع

---

(١) قال الحافظ المزي (ت: ٧٤٢) في «تحفة الأشراف» (١/ ٣): «... الكتبُ الستَّة التي هي عمدة أهل الإسلام، وعليها مدار عامّة الأحكام، وهي: صحيح محمد بن إسماعيل البخاري، وصحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، وسنن أبي داود السجستاني، وجامع أبي عيسىٰ الترمذي، وسنن أبي عَبد الرحمَن النسائي، وسنن أبي عبد الله ابن ماجه القزويني». وانظر الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لأحمد شاكر (ص٢٤٠).

(٢) قال السيوطي (ت: ٩١١) في «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» (٢/ ٧٠٨): «(وَمِنْ أَكَابِرِ التَّابِعِينَ الْفُقَهَاءُ السَّبْعَةُ) مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: سَعِيدُ (بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ) بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، (وَعُرْوَةُ) بْنُ الزُّبَيْرِ، (وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ) بْنِ ثَابِتٍ، (وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) بْنِ عَوْفٍ، (وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ) بْنِ مَسْعُودٍ، (وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ) الْهِلَالِيُّ أَبُو أَيُّوبَ؛ هَكَذَا عَدَّهُمْ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ. (وَجَعَلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: سَالِمَ بْنَ

منهم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي هريرة**)؛ هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صاحب رسول الله ﷺ، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل هو أكثرهم حديثًا على الإطلاق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه(١).

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٥٩٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو

عَبْدِ اللهِ) بْنِ عُمَرَ (بَدَلَ أَبِي سَلَمَةَ. وَجَعَلَ أَبُو الزِّنَادِ بَدَلَهُمَا)؛ أَيْ: سَالِمٍ وَأَبِي سَلَمَةَ، (أَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)».

وقال ابن خلكان (ت: ٦٨١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٢٨٣): «وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد، وعنهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا... وإنَّما قيل لهم: (الفقهاء السَّبعة)، وخُصُّوا بهذه التسْمية؛ لأنَّ الفتوىٰ بعد الصحابة - رضوان الله عليهم - صارت إليهم، وشُهروا بها، وقد كان في عصرهم جماعة من العلماء التابعين؛ مثل سالم بن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأمثاله، ولكن الفتوىٰ لم تكن إلا لهؤلاء السبعة». وانظر تراجمهم في «طبقات الفقهاء» للشيرازي (ص٥٧-٦٢).

(١) قال السيوطي (ت: ٩١١) في «تدريب الراوي» (٢/ ٦٧٥، ٦٧٦): «رَوَىٰ خَمْسَةَ آلَافٍ وَثَلَاثَمِائَةٍ وَأَرْبَعَةً وَسَبْعِينَ حَدِيثًا؛ اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ مِنْهَا عَلَىٰ ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِثَلَاثَةٍ وَتِسْعِينَ، وَمُسْلِمٌ بِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَثَمَانِينَ. وَرَوَىٰ عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ، وَهُوَ أَحْفَظُ الصَّحَابَةِ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: أَبُو هُرَيْرَةَ أَحْفَظُ مَنْ رَوَىٰ الْحَدِيثَ فِي دَهْرِهِ...».

الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، (ح) وحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي صَفْوَانُ؛ نَحْوَهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَرَازِيُّ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهَوْزَنِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**» زَادَ ابْنُ يَحْيَىٰ، وَعَمْرٌو فِي حَدِيثَيْهِمَا - **وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَىٰ الْكَلَبُ لِصَاحِبِهِ**»، وَقَالَ عَمْرٌو: «**الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ**»[(١)]].

الشَّرْح

أورد أبو داود حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في افتراق الأمم السابقة علىٰ اثنتين وسبعين، وافتراق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين، وأن اثنتين وسبعين منها في النار، وواحدة في الجنة، وأن هذه الواحدة التي في الجنة هي الجماعة؛ أي: الذين كانوا علىٰ ما كان عليه رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، والدارمي (٢٥٦٠)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٦، رقم ٨٨٤)، والحاكم (١/ ٢١٨، رقم ٤٤٣)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٠٤).

وأصحابه، كما جاء تفسير ذلك في حديث عبد الله بن عمرو: «قَالُوا: ومَن هِيَ يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: **مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[1].

والحديث دالٌّ علىٰ ما دل عليه حديث أبي هريرة من الإخبار عن افتراق الأمم السابقة، واللفظ الذي ذكره هو الذي جاء في بعض الأحاديث عن النصارىٰ، وأنهم انقسموا علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وهذه الأمّة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، وهو مطابق لما جاء في حديث أبي هريرة المتقدِّم من انقسام هذه الأمة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة، وأن اثنتين وسبعين فرقة في النار، وواحدة في الجنة، ولكن - كما قلت - هذه الأمة هي أمة الإجابة، وهذه الفرق كلها من المسلمين، ولكن أكثرهم علىٰ انحراف عن الجادة، ومستحقون للنار، وأمرهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قَوْلُهُ: (**وأنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارىٰ بهم تلك الأهواء كما يتجارىٰ الكلب بصاحبه**)؛ أي: أنه يخرج أقوام من أمتي وهم من هذه الفرق الثنتين وسبعين التي أخبر عنها الرسول ﷺ «**تتجارىٰ بهم الأهواء**»، والأهواء هي: البدع التي يتَّبع فيها الهوىٰ ولا تتبع فيها السنة؛ فيكون عندهم انحراف، مع كونهم مسلمين. ومعناه: أن الأهواء تقع فيهم وتسري، وتتمكَّن من عقولهم «**كما يتجارىٰ الكلَب بصاحبه**»، والكلَب: هو الداء

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٤٣).

الذي يحصل من الكلب الذي أصيب بداء الكلب، فإذا عضّ أحدًا فإنه يحصل لذلك المعضوض بسبب هذه العضة؛ ضرر وألم يصل إلىٰ جميع جسده، ولا يبقىٰ منه مفصل أو عرق إلا دخله؛ كما سيأتي في بعض الروايات التي ذكرها أبو داود.

قَوْلُهُ: **(وواحدة في الجنة، وهي الجماعة)**؛ أي: الذين كانوا علىٰ السنة؛ ولهذا أهل السنة يسمون مؤلفاتهم في العقيدة: «عقيدة أهل السنة والجماعة»، وهم جماعة المسلمين الذين هم علىٰ الحقِّ، وعلىٰ منهاج النبوَّة، وعلىٰ ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان؛ فهؤلاء هم الجماعة.

وقد جاء تفسيرها في بعض الأحاديث: «**هم من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي**»، بدل «**الجماعة**».

قَوْلُهُ: **(زاد ابن يحيىٰ وعمرو في حديثيهما)**؛ ابن يحيىٰ هو محمد بن يحيىٰ الذهلي الذي جاء في الإسناد الأول، وعمرو هو الذي جاء في الإسناد الثاني؛ زادا في حديثيهما: «**وإنه سيخرج من أمتي أقوام**»؛ أي: أن هذه الزيادة ليست عن الإمام أحمد، وإنَّما هي عند محمد بن يحيىٰ الذهلي، وعند عمرو بن عثمان.

قَوْلُهُ: **(كما يتجارىٰ الكلب لصاحبه - وقال عمرو: الكلب بصاحبه -)**، أي: أن محمد بن يحيىٰ قال: «**لصاحبه**»، والثاني قال: «**بصاحبه**».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن حنبل**)؛ هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، الإمام المحدث الفقيه، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**ومحمد بن يحيىٰ**)؛ هو محمد بن يحيىٰ الذهلي، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**قالا: حدثنا أبو المغيرة**)؛ هو عبد القدوس بن الحجاج، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا صفوان**)؛ هو صفوان بن عمرو، وهو ثقة، أخرج له: البخاري في «الأدب المفرد» ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**ح وحدثنا عمرو بن عثمان**)؛ هو عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، وهو صدوق، أخرج له: أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا بقية**)؛ هو بقية بن الوليد، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**حدثني صفوان**)؛ صفوان هو ابن عمرو الذي مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**نحوه**)؛ أي: أن السياق كان علىٰ الإسناد الأول، وأما الإسناد الثاني فهو علىٰ نحو سياق الإسناد الأول.

قَوْلُهُ: (**حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي**)؛ هو صدوق، أخرج له أبو

داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن أبي عامر الهوزني**)؛ هو عبد الله بن لُحَي، وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**عن معاوية بن أبي سفيان**)؛ هو معاوية بن أبي سفيان، أمير المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❊ ❊ ❊

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ وَاتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ

٤٥٩٨- حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّسْتُرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] إِلَى: ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[1].

الشرح

أورد أبو داود هذه الترجمة: (باب النهي عن الجدال واتِّباع المتشابه من القرآن).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، في التفسير، (٤٥٤٧)، ومسلم، في العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن... رقم (١/ ٢٦٦٥). وأخرجه كذلك أحمد (٦/ ٢٥٦)، والترمذي (٢٩٩٤)، وابن ماجه (٤٧).

والمراد بـ(الجدال): أي: في القرآن بالباطل وبغير حق.

وكذلك (اتباع المتشابه من القرآن): وهو الذي يكون في دلالته خفاء.

والقرآن فيه محكم ومتشابه؛ فالمحكم: دلالته واضحة جليَّة لا خفاء فيها. والمتشابه: هو الذي دلالته غير واضحة.

وطريقة أهل السنة والجماعة في ذلك: أنهم يردُّون المتشابه إلىٰ المحكم. وأما طريقة أهل الأهواء: فإنهم يتركون المحكم، ويصيرون إلىٰ المتشابه؛ ولهذا جاء في هذا الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «**إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمَّىٰ الله فاحذروهم**»؛ أي الذين يتبعون المتشابه، فلا يردُّونه إلىٰ المحكم، فلو ردوه إلىٰ المحكم لاتَّضح وتبين، وصار الكل واضحًا جليًّا، وأما إذا أخذوا بالمتشابه وأولوه علىٰ ما يريدون، ولم يلحقوه بالمحكم الذي هو واضح جلي؛ فأولئك يتَّبعون ما تشابه منه، وهم الذين ذمَّهم الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا قال: «**فاحذروهم**»؛ أي: من هذا شأنهم.

وقد وصف القرآن بأنه كله محكم، وبأنه كله متشابه، وجاء تقسيمه إلىٰ محكم ومتشابه؛ فهناك إحكام عام، وهناك إحكام خاص، وهناك محكم ومتشابه متقابلان، ويفسَّر كل واحد منهما بمعنًىٰ:

فمعنىٰ كون القرآن محكمًا: أنه كله في غاية الإتقان والإحكام والإيضاح والبيان، وهذا هو الإحكام العامُّ؛ كما جاء في أول سورة هود في

قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

ومعنىٰ كونه كله متشابهًا: أنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والإتقان، وهذا هو التَّشابه العام، كما جاء في قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣].

وأما آية آل عمران فقسمته إلىٰ محكم ومتشابه: قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]. فالمحكم: هو الواضح الجلي. والمتشابه: هو الذي في دلالته خفاء، ويحتمل احتمالات.

ولكن طريقة أهل السنة والجماعة أهل الحق: أنهم يردون المتشابه إلىٰ المحكم، والقرآن يفسر بعضه بعضًا، ويوضِّح بعضه بعضًا. وأما أهل الأهواء: فإنهم يتركون المحكم ويأخذون بالمتشابه.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا القعنبي)؛ هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة إلا ابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن أبي مُلَيكة)؛ هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(عن القاسم بن محمد)**؛ هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وهو ثقة، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(عن عائشة)**؛ أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، الصديقة بنت الصديق، وهي واحدة من سبعة أشخاص عُرفوا بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

***

قال المصنِّف رحمه الله تعالى:

بَابُ مُجَانَبَةِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَبُغْضِهِمْ

٤٥٩٩- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ: الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود هذه الترجمة في: (باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم).

و(مجانبة أهل الأهواء): أي: البعد عنهم، وعدم مخالطتهم.

و(بغضهم): أي: في الله، من أجل ما هم عليه من الأهواء، ومن أجل مخالفتهم للسنَّة، وارتكابهم البدع ووقوعهم فيها؛ فيُبغضون لذلك، ويبتعد عنهم، وهذا هو معنى المجانبة؛ أي: أن يكون المرء في جانب وهم في

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (١٤٦/٥) بلفظ: «أحب الأعمال إلى الله...»، وضعفهما الألباني في الضعيفة برقم (١٣١٠، ١٨٣٣).

جانب؛ بحيث لا يكون معهم؛ حتىٰ يسلم من بدعهم وبلائهم، وهو مع كونه يجانبهم ويبتعد عنهم فإنه يبغضهم؛ لأن من شأن المسلم أن يحبَّ الله ورسوله ﷺ، ويحب من يحبه الله ورسوله، وما يحبه الله ورسوله، ويبغض من يبغضه الله ورسوله، وما يبغضه الله ورسوله ﷺ؛ ولهذا جاء في الحديث: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ** - أي: أن الحب يكون في الله ومن أجل الله -، **وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

هذه الثلاث الخصال من وجدت فيه ذاق طعم الإيمان، وقوله ﷺ: «**وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**». يطابق معنىٰ الحديث الذي معنا؛ من جهة أن يبغض أهل الأهواء والبدع؛ أي: يبغضهم من أجل الله؛ لأنهم انحرفوا عن الجادة، وخرجوا عن الصراط المستقيم، وتركوا المنهج القويم الذي كان عليه رسول الله ﷺ، وهذا الخروج منه قد يوصل إلىٰ حدِّ الكفر؛ فتكون تلك البدعة مكفِّرة، ويكون صاحبها كافرًا، وحكمه حكم الكفار، ومنها ما تكون بدعة مفسِّقة وليست مكفرة، وهو مسلم وعنده

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، في الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (٦)، ومسلم، في الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان، رقم (٦٧/ ٤٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إيمان، لكن عنده انحراف وإخلال، لكنه ما خرج عن الإيمان بحيث يكون كافرًا، وهذا هو الذي تدخل فيه الفرق التي مرَّ ذكرها، وهم أمَّة الإجابة.

وأما من كانت بدعته مكفرة؛ فهذا خرج من الإيمان إلىٰ الكفر؛ فهذا ليس من أمة محمَّد ﷺ - أمة الإجابة -، وإنما هو من الكفار الذين مآلهم إلىٰ النار، ويبقون فيها أبد الآباد إلىٰ غير نهاية.

وأورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ قال: (أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ: الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ)، وهذا الحديث ورد بهذا الإسناد وهو ضعيف، ولكن جاء حديث أوثق بلفظ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الْإِيمَانِ: الْحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ»[(١)]. وكذلك الحديث الذي تقدَّم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ»، ومنهم: «أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ»؛ أي: يحبُّ في الله، ومن أجل الله؛ فلأنَّه يحبُّ الله ورسوله ﷺ، فهو يحب من يحبه الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الأشخاص والأقوال والأعمال، ويبغض من يبغضه الله ورسوله ﷺ من الأشخاص والأقوال والأعمال.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ١١٠، رقم ٧٨٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٧١، رقم ١٠٣٥٧)، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، و(١١/ ٢١٥، رقم ١١٥٣٧)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٢٨).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا مسدَّد**)؛ هو مسدد بن مُسَرْهَدٍ البصري، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا خالد بن عبد الله**)؛ هو خالد بن عبد الله الطحان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا يزيد بن أبي زياد**)؛ وهو ضعيف، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن مجاهد**)؛ هو مجاهد بن جبر المكي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن رجل**)؛ هذا مبهم.

قَوْلُهُ: (**عن أبي ذر**)؛ جُنْدُبُ بن جُنَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

والحديث في إسناده رجل ضعيف، ورجل مبهم.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٠٠- حَدَّثَنَا ابْنُ السَّرْحِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ

عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ - قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، - وَذَكَرَ ابْنُ السَّرْحِ قِصَّةَ تَخَلُّفِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - قَالَ: «وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، حَتَّىٰ إِذَا طَالَ عَلَيَّ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. ثُمَّ سَاقَ خَبَرَ تَنْزِيلِ تَوْبَتِهِ»(١).

الشَّرح

ذكر حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتعلق بتخلفه عن غزوة تبوك، وقد استنفر الرسول ﷺ الناس، وأمرهم بالخروج، ولا يتخلف إلا معذور، وقد تخلف هؤلاء الثلاثة وهم غير معذورين، فهجرهم الرسول ﷺ، وأمر الناس بعدم مخاطبتهم؛ فحصل لهم ما حصل، ومكثوا علىٰ تلك الحال خمسين يومًا، ثم أنزل الله توبته عليهم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، في المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رقم (٤٤١٨)، ومسلم، في التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم (٥٣/ ٢٧٦٩)، وكذا أحمد (٣/ ٤٥٦)؛ بطوله. وقد رواه أبو داود في السنن مفرَّقًا في مواضع؛ انظر (١٠٦٩، ٢٢٠٢، ٣٣١٧)، وكذا النسائي مفرقًا أيضًا؛ انظر (٣٨٢٣، ٣٨٢٤)، وأخرج الترمذي بعضه (٣١٠٢)، وانظر الترغيب والترهيب للمنذري (٣/ ٣٦٣).

ومحلُّ الشاهد من هذا الحديث: أن الرسول ﷺ تركهم خمسين ليلة، وأمر الصحابة بهجرهم وتركهم، وعدم مخاطبتهم؛ حتىٰ كانوا لا يردُّون عليهم السلام؛ وذلك للمعصية التي وقعوا فيها، وهي تخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر، ولكنهم كانوا أهل صدق، فنجَّاهم الله تعالىٰ بصدقهم، ولما أنزل الله توبته عليهم عاد حالهم إلىٰ ما كانوا عليه من قبل؛ فالتوبة تجبُّ ما قبلها، وأنزل الله تعالىٰ فيهم قرآنًا يتلىٰ في قوله في سورة التوبة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، فتاب الله عليهم ونجاهم بصدقهم.

فكعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما دعاه الرسول ﷺ وقال له: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟!»، فقال مقالةً عظيمةً؛ قال: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا؛ لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي؛ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ؛ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَىٰ اللهِ، وَاللهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ»، وقدر الله وما شاء فعل. وتركهم الرسول ﷺ مدة خمسين ليلة[1].

---

(١) متفق عليه: انظر التخريج السابق.

وهذا يدلُّ علىٰ أن هجر المبتدع لا يتقيد ولا يتحدَّد بوقت، وأما ما جاء من النهي عن الهجر فوق ثلاث[(١)]؛ فإنما هو لأمور الدنيا وما يكون بين الناس؛ كسوء التفاهم وعدم الوئام والوفاق؛ فيدخل بينهم الشيطان ويحصل بينهم شيء من الوحشة؛ فلا يسوغ للإنسان أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث، هذا إن كان الهجر ليس من أجل الدين، أما إذا كان من أجل الدين؛ فإن له أن يتجاوز الثلاث ويستمرَّ حتىٰ تحصل المنفعة والفائدة من وراء الهجر إذا كان يترتَّب علىٰ ذلك فائدة؛ فأهل البدع وأهل المعاصي فإنهم يهجرون ولو زادت المدَّة عن الثلاث؛ كما حصل في قصَّة كعب بن مالك وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

يقول الخطابي[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه دلالة علىٰ أنه لا يحرج المرء بترك رد

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، في الأدب، باب ما ينهىٰ عن التحاسد والتدابر، رقم (٦٠٦٥)، ومسلم، في البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، رقم (٢٥٥٨/٢٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن عدَّة من الصحابة، وانظر إرواء الغليل للألباني (رقم ٢٠٢٩).

(٢) **هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب**، أبو سليمان الخطابي البستي – نسبة لمدينة بست من بلاد كابل –، الإمام الفقيه الأديب اللغوي المحدِّث، من نسل زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، له تصانيف منها: «أعلام الحديث» شرحٌ لصحيح البخاري، و«معالم السنن» شَرَحَ فيه سننَ أبي داود، والعزلة، وغريب الحديث، توفي سنة ٣٨٨، [انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/٤٩٦)، والوافي بالوفيات للصفدي (٧/٢٠٢)، ومعجم =

سلام أهل الأهواء والبدع)[١]. أي: لا يكون عليه حرجٌ في ترك رد السلام عليهم؛ فله أن يفعل ذلك إذا كان فيه مصلحة؛ ولا يكون الرد واجبًا في هذه الحالة، كما جاء في حديث كعب بن مالك أنه قال: «... فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَىٰ صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّىٰ إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ...»[٢].

وفيه دليل علىٰ أن من حلف علىٰ ألا يكلم رجلًا فسلم عليه، أو رد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان حانثًا[٣]؛ لأن ردَّ السلام كلام، فتلزمه الكفارة.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا ابن السرح)؛ هو أحمد بن عمرو بن السرح المصري،

الأدباء (٣/ ١٢٠٦)].

(١) معالم السنن (٤/ ٢٩٦)، وقال ابن القيم (ت: ٧٥١) في «زاد المعاد» (٢/ ٣٩٠): «وكَانَ مِنْ هَدْيه: تَرْكُ السَّلَامِ ابْتِدَاءً وَرَدًّا عَلَىٰ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا، حَتَّىٰ يَتُوبَ مِنْهُ...».

(٢) متفق عليه: وقد تقدم تخريجه.

(٣) انظر: معالم السنن (٤/ ٢٩٦).

وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (أخبرنا ابن وهب)؛ هو عبد الله بن وهب المصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرني يونس)، هو يونس بن يزيد الأيلي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن شهاب)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك)؛ هو عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، ثقةٌ، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن كعب بن مالك)؛ وهو ثقة، وقيل: له رؤية. أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي.

قَوْلُهُ: (عن كعب بن مالك)؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❊ ❊ ❊

قال المصنّف رحمه الله تعالى:

بَابُ تَرْكِ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الأَهْوَاءِ

٤٦٠١- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ، فَخَلَّقُونِي بِزَعْفَرَانٍ، فَغَدَوْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: «اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ»[١].

الشرح

أورد أبو داود هذه الترجمة وهي: (باب ترك السلام علىٰ أهل الأهواء)، والمقصود من ذلك: أن يكون فيه تأديب لهم، ومصلحة وفائدة لهم؛ لأن

(١) حسن: أخرجه أبو داود، في الترجل، باب الخلوق للرجال (٤١٧٦)، وأحمد (٤/ ٣٢٠) بسياق أطول من هذا، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، وفي التعليق الرغيب (١/ ٩١).

المقصود من وراء ذلك هو الإصلاح، والإحسان إليهم، حتىٰ ينزجروا ويرتدعوا.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (**قَدِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ، فَخَلَّقُونِي بِزَعْفَرَانٍ**)؛ أي: دهنوا يديه المشقَّقتين بالزعفران، وكأن المقصود من ذلك المداواة، وعلاج التشقُّق الذي كان في يديه، فجاء إلىٰ الرسول ﷺ فسلَّم عليه، فلم يرد عليه السلام، وقال: «**اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ**»، فالرجل لا يستعمل الزعفران لا في جسده ولا في ثيابه[1].

---

(١) قال في عون المعبود (١١/ ١٥٧): «(نهىٰ رسول الله ﷺ...) إلخ؛ أي: عن استعمال الزعفران في الثوب والبدن.

والحديث دليل لأبي حنيفة والشافعي ومن تبعهما في تحريم استعمال الرجل الزعفران في ثوبه وبدنه، ولهما أحاديث أخر صحيحة.

ومذهب المالكيَّة: أن الممنوع إنما هو استعماله في البدن دون الثوب...

فإن قلتَ: قد ثبت في الصَّحيحين من حديث أنس: (أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلىٰ رسول الله ﷺ وبه أثر صُفْرَة، فسأله رسول الله ﷺ فأخبره أنه تزوَّج امرأة...) الحديث.

وفي رواية: (وعليه ردع زعفران)؛ فهذا الحديث يدلُّ علىٰ جواز التَّزَعْفُرِ؛ فإنَّه ﷺ لم ينكر علىٰ عبد الرحمن بن عوف، فكيف التوفيق بين الأحاديث؟

قلتُ: أشار البخاري إلىٰ الجمع بأنَّ حديث عبد الرحمن للمتزوِّجِ، وأحاديث النهي لغيره؛ حيث ترجم بقوله: (باب الصفرة للمتزوج)،

=

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو موسىٰ بن إسماعيل التبوذكي البصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد**)؛ حماد بن سلمة، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**أخبرني عطاء الخراساني**)؛ هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، وهو صدوق يهم كثيرًا، أخرج له مسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن يحيىٰ بن يعمر**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عمار بن ياسر**)؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٠٢- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ سُمَيَّةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، وَعِنْدَ

=

وقال الحافظ: إن أثر الصفرة التي كانت علىٰ عبد الرحمن تعلَّقت به من جهة زوجته؛ فكان ذلك غير مقصود له. قال: ورجَّحه النووي، وأُجيب عن حديث عبد الرحمن بوجوه أُخَر ذكرها الحافظ في الفتح».

زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْنَبَ: «أَعْطِيهَا بَعِيرًا». فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ[1].

الشرح

أورد أبو داود حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: (**اعتل بعير لصفية بنت حيي**)؛ يعني: أصابه علّة، فصار لا يُحمل عليه ولا يُركب، (**وكان عند زينب فضل ظهر**) يعني: عندها زيادة في الإبل، (**فأمرها أن تعطيها بعيرًا، فقالت: أنا أعطي هذه اليهودية؟ فغضب رسول الله ﷺ، وهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر**).

والحديث في إسناده سمية التي تروي عن عائشة، وهي هنا غير منسوبة، وقد قال عنها الحافظ في «التقريب»[2]: إنها مقبولة. أي: أنه يحتجُّ بحديثها حيث يعتضد، وقد ضُعِّفَ الحديثُ بسببها.

(١) حسن لغيره: أخرجه أحمد (٦/ ١٣١)، والنسائي في الكبرى (٩١١٧)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٧١، رقم ١٨٨) والأوسط (٣/ ٩٩، رقم ٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٨٣٥): حسن لغيره. وانظر السلسلة الصحيحة له (٧/ ٦٢٢- ٦٢٧).

(٢) (ص: ٧٤٨).

والمقصود من الحديث: هجره ﷺ لزينب هذه المدَّة، وهو بهذا الإسناد غير ثابت عن رسول الله - صلوات الله وبركاته عليه -.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: **(حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن ثابت الْبُنَاني)**؛ ثابت بن أسلم الْبُنَاني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(عن سمية)**؛ وهي مقبولة، أخرج لها أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: **(عن عائشة)**؛ أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد مرَّ ذكرها.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ

٤٦٠٣- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا - يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ هَارُونَ -، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ**»(١).

الشَّرح

أورد المصنِّف هذه الترجمة وهي قوله: (باب النهي عن الجدال في القرآن)، أي: بالباطل. وأما البحث عمَّا جاء في القرآن من المعاني والحِكَم والأسرار، وفهم معانيه علىٰ مقتضىٰ اللغة، وعلىٰ ما جاء عن الصحابة والتابعين؛ فهذا أمر سائغ.

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٠)، والنسائي في الكبرىٰ (٨٠٣٩)، وابن حبان (٤/ ٣٢٤، رقم ١٤٦٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٤٣): حسن صحيح. وانظر صحيح الجامع رقم (٦٦٨٧).

ومقصود النهي الجدال الذي يكون بالباطل؛ بغير حق، والذي يترتب عليه ضرر وفتن، وضلال، وتنافر بين الناس؛ هذا هو المذموم.

وقد أورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: («**المراء في القرآن كفرٌ**»)، والمراء هو الجدال، والمقصود من ذلك: المراء الذي يكون بالباطل، والذي يكون بضرب القرآن بعضه ببعض؛ بحيث يشكِّكُ فيه، أو يؤتىٰ فيه بأمور غير سائغة تصرف الناس عن القرآن؛ فلا شك أن هذا كفر بالله عَزَّ وَجَلَّ، وهو مخرج من الملّة.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن حنبل**)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**حدثنا يزيد - يعني ابن هارون -**)؛ هو يزيد بن هارون الواسطي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة**)؛ ثلاثتهم قد مرَّ ذكرهم.

❁ ❁ ❁

الأسئلة

السؤال: الأحاديث التي جاءت في الهجر وترك السلام هي فيمن وقع في معصية؛ فهل تقاس المعصية على البدعة؟

الجواب: نعم؛ فالترجمة هي في الأهواء والبدع، وإن كانت الأحاديث التي جاءت هي في المعاصي، إلا أن الحكم واحد؛ لأن هذا كله فيه مخالفة للسنَّة، إلا أن البدع تتعلَّق بالاعتقاد، والفسق والمعاصي تتعلق بالعمل، ومعلوم أن البدع أعظم وأخطر وأضر من المعاصي؛ وذلك أن صاحب المعصية يعرف أنه عاصٍ، فهو يشعر بذنبه ويخاف منه، بخلاف المبتدع؛ فرغم أنه على باطل إلا أنه يعتقد أنه على حق، فيموت وهو على بدعته، ولهذا جاء في الحديث: «إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ»(١)، فلكونه يظن أنه على حق لا يحصل منه توبة، بخلاف العاصي فإنه يعرف أنه عاصٍ، وأن فعله محرم؛ فيتوب منه.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٢٨١، رقم ٤٢٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥٩، رقم ٩٤٥٦)، والضياء (٦/ ٧٣، رقم ٢٠٥٥)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٤).

السؤال: ما حكم من يمدح أهل الأهواء؟

الجواب: إذا كان يمدحهم من أجل بدعهم؛ فهو مدح للباطل - والعياذ بالله -، وأما إذا مدحهم لأمر هو موجود فيهم من صفات حميدة؛ فهذا أمره هين، ولكن لا ينبغي أن يُمدَح أهل البدع؛ لأنه قد يُظن من وراء هذا المدح أن أمرهم هين، وأن بدعهم هينة، وإن كان قد مدحهم علىٰ أمر موجود فيهم؛ كالفصاحة أو البلاغة أو ما إلىٰ ذلك، لكن مع هذا يُحذَّر من بدعتهم؛ مثلما ذكروا عن واصل بن عطاء المعتزلي(١): قد كان فصيحًا بليغًا ذا قدرة علىٰ صياغة الكلام، وكان يلثغ بالراء غينًا، فكان يتجنب الكلمات التي بها راء؛ فكان يخلِّص كلامه من الراء، ولا يفطن بذلك(٢).

❁ ❁ ❁

السؤال: الإمام أبو داود ترجم بقوله: (مجانبة أهل الأهواء)، ثم ذكر حديث كعب، وكذا ترجم بـ(ترك السلام على أهل الأهواء)، وذكر

(١) واصل بن عطاء المعتزلي، أبو حذيفة المخزومي بالولاء، البصري، رأس المعتزلة، كان متكلمًا بليغًا أديبًا متفننًا خطيبًا، متشدِّقًا، عُرِف بالغزَّال لتردده علىٰ سوق الغزالين، طرده الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن، ولا كافر. فانضم إليه عمرو بن عبيد واعتزلا حلقة الحسن؛ فسمُّوا المعتزلة، ولد سنة ٨٠، وتوفي سنة ١٣١. [انظر ترجمته في: السير (٦/ ١٧٥)، ووفيات الأعيان (٦/ ٧)، ومعجم الأدباء (٦/ ٢٧٩٣)، والمواقف (٣/ ٦٥٢)].

(٢) انظر «الكامل» للمبرد (٣/ ١٤٣)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٧).

حديث عمار بن ياسر؛ فهل يفهم القارئ من ذلك إنزال لفظ الأهواء على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وحاشاهم من كل لفظ سيئ؟

الجواب: لا ينزل هذا عليهم، وإنما هذه الأمور التي حصلت منهم إنما هي معاصٍ، والترجمة تتعلق بالأهواء؛ أي: من باب أولىٰ؛ فإذا كان من وقع منهم معاصٍ قد حصل هجرهم؛ فأصحاب البدع من باب أولىٰ.

❀ ❀ ❀

السؤال: إذا كانت البدعة غير مكفرة؛ فهل يبغض صاحبها على الإطلاق، أم يجتمع فيه الحب والبغض؟

الجواب: يجتمع فيه الحب والبغض؛ لأن من كان غير كافر وإنما هو مثل العاصي - أي: مرتكب الكبيرة -؛ فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فيحب علىٰ ما عنده من الإيمان، ويبغض علىٰ ما عنده من الفسوق والعصيان، ولكن لا يُظهَر حبهم ولا يُنشَر، بل يحذَّر منهم.

❀ ❀ ❀

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ

٤٦٠٤ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَرِيزِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ**»[1].

الشرح

يقول الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللهُ: (باب في لزوم السنة)؛ أي: ملازمتها والثبات عليها والأخذ بها، وعدم التهاون والتفريط في شيء منها.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٤٣).

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث المقدام بن معد يكرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب**»؛ أي: القرآن، فهو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ المتعبَّد بتلاوته، والعمل به، «**ومثله معه**»: وهي السنة.

ومن المعلوم أن كلًّا من الكتاب والسنة وحي من الله عَزَّوَجَلَّ، وأن كل ما يأتي به النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو من عند الله، سواء كان قرآنًا أو سنةً، وليس الوحي مقصورًا على القرآن، بل السنة كذلك وحي؛ ولهذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]، وجاء في الحديث: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجَنَّةُ**»، فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ: «**إِلَّا الدَّيْنُ، سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آنِفًا**»[1]؛ أي: نزل عليه جبريل واستثنى الدين.

وقوله: «**سَارَّني به جبريل آنفًا**»؛ يدلُّ على أن ما يأتي به النبي ﷺ إنما هو وحي من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فالقرآن وحي، والسنة وحي، إلا أن القرآن متعبَّد بتلاوته والعمل به، وأما السنة فمتعبَّد بالعمل بها، ولا يتعبد بتلاوتها كما يتعبد بتلاوة القرآن؛ فالقرآن يقرأ به في الصلاة ويقرأ به في جميع الأوقات، والسنة ليست كذلك، ولكن حكمهما من حيث العمل واحد؛

---

(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ١٣٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠١٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٤٧، رقم ٥٥٧)، عن محمد بن عبد الله بن جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند: صحيح لغيره. وقال الألباني في الإرواء (٥/ ١٩): هذا سند جيد.

فالكل يجب اتِّباعه، والعمل بما جاء فيه؛ ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه»؛ والمقصود من ذلك: السُّنَّة؛ التي هي مع الكتاب، ويتعيَّن العمل بهما، ولا يقتصر على الكتاب دون السُّنَّة.

ومن لم يؤمن بالسنة لم يؤمن بالكتاب، ومن كفر بالسنة فهو كافر بالقرآن؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]؛ فالمنكِر للسنة هو منكر للقرآن، والمكذب للسنة مكذب بالقرآن، والكتاب والسنة متلازمان، فكل منهما يجب العمل والأخذ به، ولا يمكن أن يقال: إنه يمكن أن يستغني الإنسان بالقرآن عن السنة، ولا يحتاج إلىٰ السنَّة. ولو كان الأمر كذلك فكيف يمكن للناس أن يصلوا؟! أم كيف يمكن لهم أن يزكوا؟! فالصلاة لم تُعرف أوقاتها ولا ركعاتها ولا هيئاتها وكيفياتها إلا بالسنة، فلا يوجد في القرآن أن الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، والفجر ركعتان؛ فهذا لا تحصل معرفته إلا عن طريق السنَّة؛ فالإنسان الذي يقول: إنه يأخذ بالقرآن ولا يأخذ بالسنة. نقول له: كيف ستؤدِّي الصلوات الخمس التي فرضها الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عباده في اليوم والليلة خمس مرَّات؟!

وكذلك بالنسبة للزكاة، فلا يوجد في القرآن مقادير الأنصبة، ولا المقدار الذي يخرج في الزكاة... وهكذا، فالسنة موضِّحة للقرآن، وشارحة

له، ودالة عليه، ومبيِّنة له، والرسول ﷺ مبلِّغ عن الله الكتاب والسنة، فهما وحي من الله عَزَّوَجَلَّ أوحاه إلىٰ رسوله الكريم - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

قَوْلُهُ: «**ألا يوشك رجل شبعان علىٰ أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم في هذا القرآن من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**». أي: أنه يقتصر علىٰ ما في القرآن، فما كان في القرآن حلالًا فهو حلال، وما كان في القرآن حرامًا فهو حرام، وأما السنة فليست كذلك. ولهذا فإن السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ألف كتابه: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»[1] ذكر في مقدِّمته سبب تأليفه للكتاب، فقال: «اعلموا - يَرْحَمكُمُ الله - أَنَّ مِن الْعلم كَهَيئَةِ الدَّوَاء، وَمن الآراء كَهَيئَةِ الْخلَاء؛ لَا تذكر إِلَّا عِنْد دَاعِيَة الضَّرُورَة، وَأَن مِمَّا فاح رِيحه فِي هَذَا الزَّمَان وَكَانَ دارسًا - بِحَمْد الله تَعَالَىٰ - مُنْذُ أزمان؛ وَهُوَ أَن قَائِلًا رَافِضِيًّا زنديقًا أَكثر فِي كَلَامه: أَن السّنَّة النَّبَوِيَّة وَالْأَحَادِيث المَرْوِيَّة - زَادهَا الله علوًّا وشرفًا - لَا يحْتَج بهَا، وَأَن الْحجَّة فِي الْقُرْآن خَاصَّة»[2]. قوله: «وَمن الآراء كَهَيئَةِ الْخلَاء؛ لَا تذكر إِلَّا عِنْد دَاعِيَة الضَّرُورَة»؛ أي: أَنَّها آراء يضطر الإنسان إلىٰ

(١) طبعته لأول مرة إدارة الطباعة المنيرية، ثمَّ صدر له عدة طبعات بعد ذلك.

(٢) (ص ٥).

ذكرها، وهي قبيحة وخبيثة وسيِّئة، ولكن الضرورة ألجأت إلىٰ ذلك، وكأن الإنسان يجب أن ينزِّه لسانه عن أن يتكلَّم بمثل هذا الكلام.

ثم بيَّن ما جاء من النصوص في الاحتجاج بالسنة، وما جاء عن سلف هذه الأمة في الاحتجاج بالسنة، وأنه يُحتج بها مثلما يحتج بالقرآن، ويعمل بها مثلما يعمل بالقرآن، ومن المعلوم أن المكذب بها مكذِّب بالقرآن؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧].

قَوْلُهُ: «**ألا يوشك رجل**»؛ كلمة «رجل» هنا ليس لها مفهوم، فالمرأة مثل الرجل في ذلك، ولكن ذكر الرجال علىٰ سبيل التغليب؛ لأن الخطاب لا يكون إلا معهم في الغالب، والأصل هو تساوي الرجال والنساء، إلا أن يأتي شيء يدل علىٰ تخصيص أحدهما دون الآخر. فذكر «الرجل» هنا لا مفهوم له، فالنساء قد يحصل منهن ذلك.

ولهذا يأتي في النصوص كثيرًا التنصيص علىٰ الرجال في أمور يشترك فيها الرجال والنساء؛ مثل قوله ﷺ: «**لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ، إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا، فَلْيَصُمْهُ**»[1]، فكذلك المرأة التي كان من عادتها أن تصوم الإثنين والخميس، ثم وافق الإثنين أو الخميس يوم

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، في الصوم، باب: لا يتقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، رقم (١٩١٤)، ومسلم، في الصيام، باب: لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم (١٠٨٢/ ٢١)، عن أبي هريرة رَضِحَالِلَّهُعَنْهُ.

الثلاثين. وكذلك قوله ﷺ: «**إِذَا أَفْلَسَ الرَّجُلُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ بِعَيْنِهِ؛ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْغُرَمَاءِ**»(١)، فكذلك لو وجد متاعه عند امرأة قد أفلست فإنه أحقُّ به. فذكر الرجل هنا لا مفهوم له، والأصل هو التساوي بين الرجال والنساء في الأحكام.

قَوْلُهُ: (**شبعان**)؛ وهذا يدلُّ على التنعُّم.

وقوله: «على أريكته»؛ أي: سريره، فيقول مثل هذا الكلام، دون أن يتعب نفسه في الاشتغال بالعلم وتحصيله، وإنما يقول بغير علم مثل هذا الكلام الجائر والقبيح؛ لجهله، فيقول: «**عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**» أي: يقتصرون على ذلك ولا يلتفتون إلى السنة.

ثم إن الرسول ﷺ أشار إلى أمورٍ ليست في القرآن، ولكنها في السنة، فقال: «**ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي**»؛ فهذا مثال لما جاء في السنة، وليس في القرآن، والواجب الأخذ به كما يؤخذ بما جاء في القرآن، والأخذ به داخل تحت قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، في الاستقراض، باب إذا وجد متاعه عند مفلس... رقم (٢٤٠٢)، ومسلم، في المساقاة، باب من أدرك ما باعه عند المشتري... رقم (١٥٥٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: (ولا كل ذي ناب من السبع)؛ ذلك أيضًا محرم، ولا يوجد في القرآن، وإنما يوجد في السنة.

قَوْلُهُ: (ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها)؛ أي: إذا تركها واستغنىٰ عنها؛ فليس بحاجة إليها، والتنصيص علىٰ المعاهد؛ لا يعني أن الحكم يختصُّ به، بل إذا كان هذا في حق المعاهد - وهو من بقي في بلاد المسلمين بعهد -؛ فالمسلم من باب أولىٰ، وقد جاءت نصوص عامة في اللُّقَطَة وبيان أحكامها، فلا يحل للإنسان أن يتملَّك اللقطة في الحال إلا إذا عرف أن صاحبها قد تركها مستغنيًا عنها، أو كانت من الأشياء التافهة التي لا يُؤبه[1] ولا يُهتم بها، وإلَّا فإن الأصل في اللقطة: التعريف بها.

قوله: (ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه)؛ أي: أن يعطوه القرىٰ، وهو الضيافة، «فإن لم يُقروه؛ فله أن يُعْقِبَهم بمثل قِراه»؛ أي: أن يأخذ من مالهم بمثل الشيء الذي يستحقُّه عليهم. وقيل: إن هذا إنما هو في حق المضطر إلىٰ ذلك، وأنه لو لم يحصل منه ذلك؛ فإنه سيعود علىٰ نفسه بالضرر، أو يعرِّض نفسه للهلاك، وأما إذا لم يكن كذلك؛ فإنه لا يفعل مثل هذا الفعل، وبعض أهل العلم قال: إن هذا منسوخ.

---

(١) يُقَال: شَيْءٌ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، أَو بِهِ: لَا يُحتفَل بِهِ وَلَا يُلْتَفت إِلَيْهِ؛ لخموله أو حقارته. انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٦)، والمعجم الوسيط (١/ ٣)، مادة (أ ب هـ).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأريكة: السرير(١)، ويقال: إنه لا يسمىٰ أريكة حتىٰ يكون في حَجَلة(٢)»(٣).

ويقول أيضًا: «وفي هذا الحديث دليلٌ علىٰ أنه لا حاجة في الحديث أن يعرض علىٰ الكتاب»(٤)؛ لأن حكمه مستقلٌّ؛ فالحديث الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ يعمل به دون أن يُنظر هل معناه موجود في الكتاب أو لا، وهل الكتاب فيه شاهد له أو لا.

وهناك أحاديث لها شواهد في الكتاب، لكن لا يقال: إن الحكم إذا جاء في السنة لا يؤخذ به إلا إذا جاء ما يصدقه أو يؤيِّده ويوافقه من القرآن.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٩٠)، والقاموس المحيط (ص ١٤).

(٢) الحَجَلَة - بفتحات -: ساتر كالقبة. انظر: لسان العرب (١١/ ١٤٤)، والقاموس المحيط (ص ٩٨٢)، والمعجم الوسيط (١/ ١٥٨)، مادة (ح ج ل).

(٣) معالم السنن (٤/ ٢٩٨)، وتمام كلامه: «وإنَّما أراد بهذه الصفة أصحاب التَّرَفُّهِ والدَّعَة، الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم، ولم يغدوا ولم يروحوا في طلبه في مَظَانِّه، واقتباسه من أهله»، وانظر كذلك عون المعبود مع حاشية ابن القيم (١٢/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(٤) معالم السنن (٤/ ٢٩٩)، وتمام كلامه: «وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجَّةً بنفسه، وأما ما رواه بعضهم أنه قال: «إذا جاءكم الحديث فاعرضوه علىٰ كتاب الله؛ فإن وافقه فخذوه وإن خالفه فدعوه»؛ فإنه حديث باطل لا أصل له، وقد حكىٰ زكريا بن يحيىٰ الساجي عن يحيىٰ بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة». وانظر كذلك عون المعبود مع حاشية ابن القيم (١٢/ ٢٣٢، ٢٣٣).

بل إن السنة أصل بنفسها، يؤخذ بما فيها وإن لم يكن ذلك موجودًا في الكتاب. وكما قلت آنفًا: إن السنة فيها أحكام لا بد للناس منها، وهي لا توجد في الكتاب؛ مثل عدد ركعات الصلوات، والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وكيفيتها جاء بيانها في سنة الرسول ﷺ، ولا يوجد بيانها وتفصيلها في القرآن.

وبعض أهل العلم يقول: لا ينبغي أن يقال: إن السنة في المرتبة الثانية بعد القرآن. وإنما السنة مع القرآن في مرتبة واحدة.

ووجهه: أنه من حيث الاحتجاج والعمل؛ فكلاهما يتعين الأخذ به. لكن - كما هو معلوم - القرآن كله متواتر، وأما السنة ففيها المتواتر وفيها الآحاد، لكن من حيث العمل فيجب العمل بالجميع.

وقد جاء في حديث معاذ المشهور: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟». قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ؟». قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا فِي كِتَابِ اللهِ؟». قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرَهُ، وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ»**[1]، وقد تكلَّم فيه بعض أهل العلم

---

(١) منكر: أخرجه أبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، وقال الألباني في الضعيفة (رقم ٨٨١): منكر.

وصحَّحه بعضهم[1]، ولكن له شاهد يدلُّ عليه في «سنن النسائي»، في باب: الْحُكْمُ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «مَنْ عَرَضَ لَهُ مِنْكُمْ قَضَاءٌ بَعْدَ الْيَوْمِ؛ فَلْيَقْضِ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَىٰ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا قَضَىٰ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ؛ فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَىٰ بِهِ الصَّالِحُونَ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا قَضَىٰ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ، وَلَا قَضَىٰ بِهِ الصَّالِحُونَ؛ فَلْيَجْتَهِدْ رَأْيَهُ...»[2].

فهذا يدل علىٰ أنه يبحث في القرآن أولًا، ثم يبحث في السنة، لكن إذا وُجِد حديثٌ ثابتٌ عن رسول الله ﷺ؛ فإنه يتعين العمل به، ومن المعلوم أن الإنسان يبحث في القرآن أولًا، فإذا كان الحكم موجودًا في القرآن فالأمر واضح، ولا يحتاج معه إلىٰ شيء آخر، وإن جاء في السنة شيء يوافقه ويؤيده ويدل عليه؛ فإنهما يكونان متفقين علىٰ إثبات ذلك الحكم؛ ولهذا يقولون في بعض المسائل: وهذه المسألة دلَّ عليها الكتاب والسنة والإجماع؛ فأما الكتاب فكذا وأما السنة فكذا وأمَّا الإجماع فكذا.

أما إذا لم يجد في القرآن فيبحث في السنَّة، وأما أن يغفل الإنسان عن

(١) انظر: التلخيص الحبير لابن حجر (٤/ ٤٤٥)، وتذكرة المحتاج لابن الملقن (ص ١٠٩)، والسلسلة الضعيفة للألباني رقم (٨٨١)، ومنزلة السنة في الإسلام له (ص ٢٩، ٣٠).

(٢) صحيح موقوف: أخرجه النسائي (٥٣٩٧)، وقال الألباني في «صحيح وضعيف سنن النسائي»: صحيح الإسناد موقوف.

الدليل الذي في القرآن ويذهب للبحث عن دليل في السنة؛ فهذا قصور.

وهذا مثل من يبحث عن حديث في كتب غير مشهورة، أو كتب غير معروفة بالصحَّة، ويغفل ما هو موجود في الصحيحين؛ فإنهم يقولون في مثل هذا: (أبعد النُّجْعَة)[١].

وهذه عبارة عند المحدثين والعلماء في مثل هذا؛ فإذا كان الحديث في الصحيحين وعزاه إلىٰ غير الصحيحين، أو أخذه من غير الصحيحين؛ يقال له: أبعد النجعة[٢]؛ أي: أنه ذهب بعيدًا، وترك الشيء الذي كان يمكنه أن يكتفي به عن غيره، فإذا كان الحديث موجودًا في الصحيحين فلا يحتاج إلىٰ أن يبحث عنه في غير الصحيحين، إلا إذا كان ذلك من ناحية إثبات كثرة المصادر، وكثرة الطرق، وكثرة المخارج، وأما من ناحية الاكتفاء فما جاء في الصحيحين يكفي، وكون الإنسان يعزو شيئًا إلىٰ السنن وهو موجود في الصحيحين؛ فهذا قصور.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الوهاب بن نجدة**)؛ هو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار**)؛ وهو عثمان بن سعيد بن

---

(١) النُّجعة – بالضم –: طَلَبُ الْكَلَإِ فِي مَوْضِعِهِ، والجمع: نُجع. انظر مختار الصحاح (ص ٣٠٥)، والقاموس المحيط (ص ٧٦٥)، مادة (ن ج ع).

(٢) انظر علىٰ سبيل المثال: بيان الوهم والإيهام لابن القطان (٢/ ٣٣٧)، والبدر المنير لابن الملقن (٢/ ٣٢٥)، والثمر المستطاب للألباني (ص ٤٢٨).

كثير بن دينار الحمصي، وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**عن حَرِيز بن عثمان**)؛ هو حريز بن عثمان الحمصي، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الرحمن بن أبي عوف**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن المقدام بن معد يكرب**)؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صحابي، أخرج حديثه البخاريُّ وأصحاب السنن.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٦٠٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ**»[1].

الشرح

أورد المصنف حديث أبي رافع، وهو بمعنىٰ حديث المقدام بن معديكرب المتقدم.

---

(١) صحيح: وقد أخرجه أيضًا: الترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧١٧٢).

قَوْلُهُ ﷺ: «لا ألفين - أي: لا أجد - أحدكم متكئًا علىٰ أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»؛ أي: نقتصر علىٰ ما جاء في الكتاب، ولا نأخذ بشيء مما جاء في السنَّة لم يأتِ في الكتاب، وهذا باطل ومخالف للحق.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل**)؛ هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، الإمام الفقيه المحدث، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**وعبد الله بن محمد النفيلي**)؛ ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**حدثنا سفيان**)؛ سفيان هو ابن عيينة المكي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي النضر**)؛ أبو النضر هو سالم المدني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عبيد الله بن أبي رافع**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبيه**)؛ هو أبو رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مولىٰ رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٠٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، (ح) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَىٰ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَخْرَمِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ؛ فَهُوَ رَدٌّ**»، قَالَ ابْنُ عِيسَىٰ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ صَنَعَ أَمْرًا عَلَىٰ غَيْرِ أَمْرِنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث عائشة أم المؤمنين - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأرضاها - أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا ما ليس فيه؛ فهو ردٌّ**»؛ أي: أنه أحدث في دين الله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا ليس من الدين، وإنما هو من محدثات الأمور التي حذَّر منها رسول الله ﷺ. وقد بيَّن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث أن ما أحدثه محدِث؛ فهو مردود عليه، وأنه رَدٌّ علىٰ صاحبه، وأن الأخذ به حرام،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، في الصلح، باب إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧/ ١٧١٨)، وأحمد (٦/ ٢٤٠)، وابن ماجه (١٤).

وهو أخذٌ بالباطل، وعمل بما هو محدَث في الدين وليس منه.

وهذا الحديث من جوامع كلمه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإن كل من أحدث في دين الله ما ليس منه؛ فإنه ردٌّ؛ أي: مردود عليه، ويكون الأخذ إنما هو بالسنن، وبما جاء في الكتاب والسنة.

وهذا اللفظ في الصحيحين[1]؛ اتَّفق عليه البخاري ومسلم، وجاء عند مسلم[2] بلفظ آخر أعم من هذا اللفظ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ**»، فهذا من أفراد مسلم، وهو أعمُّ من الجملة الأولىٰ؛ لأن الجملة الأولىٰ فيها إحداث، وأما الثانية ففيها عمل، والعمل يدخل فيه من كان هو المحدث لتلك البدعة أو من كان متابعًا لمحدِث سبقه إليها، لكنه عمل بها واتبع المبتدع الذي ابتدعها؛ فـ«**من أحدث في أمرنا**» يتعلق بالإحداث ومن ابتدأ ذلك، وأما «**من عمل عملًا**» فيشمل من لم يحدث لكنه تابع من أحدث، وعمل بما هو محدَث من قبله.

وقوله: «**ردٌّ**»؛ بمعنىٰ: مردود عليه؛ فلا يقبل منه، ولا ينفع صاحبه عند الله عَزَّوَجَلَّ كونه يتعبَّد بالبدع والمحدثات التي حذَّر منها رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كلَّ محدثة بدعة،**

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة (١٨/ ١٧١٨).

وكل بدعة ضلالة»[١]. وحديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها - وهو قوله: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ**»؛ يدل على تحريم كل ما أُحدث في دين الله مما ليس له أصل فيه، وأما ما كان له أصل، ويدل عليه نصوص شرعيَّة، أو تدل عليه القواعد؛ فهذا لا يقال: إنه محدث. وإنما المعول عليه الأصل الذي أُخذ منه.

وأما إذا أحدث عبادة، أو أحدث شيئًا ينسب إلى الدين وهو ليس من الدين؛ فهذا هو الذي حذَّر منه الرسول ﷺ، كما سيأتي في حديث العرباض بن سارية؛ حيث رغَّب في السنن، وحذَّر من البدع.

ويؤخذ من هذا الحديث: أن النهي يقتضي الفساد؛ وهذا هو الأصل.

قَوْلُهُ: **(قال ابن عيسى: قال النبي ﷺ: «من صنع أمرًا على غير أمرنا؛ فهو رد»)**؛ هذا اللفظ جاء في رواية ابن الطباع محمد بن عيسى، معناه: أن اللفظ الذي سِيق على غير لفظه، ثمَّ أشار إلى لفظه، وهو: «**من صنع أمرًا على غير أمرنا؛ فهو رد**»؛ أي: من عمل.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: **(حدثنا محمد بن الصبَّاح البزَّاز)**؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) انظر التخريج التالي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا إبراهيم بن سعد**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**ح وحدثنا محمد بن عيسىٰ**)؛ (ح): وهو التحول من إسنادٍ إلىٰ إسناد آخر، ومحمد بن عيسىٰ: هو ابن الطباع، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، وأبو داود والترمذي في «الشمائل» والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله بن جعفر**)؛ هو عبد الله بن جعفر المخرمي، وهو ليس به بأس - وهو بمعنىٰ: صدوق -، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**وإبراهيم بن سعد عن سعد بن إبراهيم**)؛ سعد بن إبراهيم: ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن القاسم بن محمد**)؛ هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عائشة**)؛ عمته عائشة، أم المؤمنين - رضي الله تعالىٰ عنها وأرضاها -، الصديقة بنت الصدِّيق، وهي واحدة من سبعة أشخاص عُرفوا بكثرة الحديث عن النبي ﷺ[1].

---

(١) قال الحافظ جلال الدين السيوطي (ح) في «الألفية» في علم الحديث (ص١٠٨):

وَالْمُكْثِـرُونَ فِـي رِوَايَـةِ الأَثَـرْ   أَبُـو هُرَيْـرَةَ يَلِيـهِ ابْـنُ عُمَـرْ

=

وَأَنَــــسٌ وَالْبَحْــــرُ كَالْخُــــدْرِيِّ وَجَــــابِرٌ وَزَوْجَــــةُ النَّبِــــيِّ

قال الأثيوبي في شرحه على ألفية السيوطي «إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر» (٢/ ١٨٥، ١٨٦): «(والمكثرون في رواية الأثر)؛ النبوي، وهو مبتدأ، خبره قوله: (أبو هريرة) وما عطف عليه، أو محذوف تقديره: سبعة؛ أي: الذين أكثروا في رواية الحديث النبوي.

والمكثر: هو الذي روى فوق الألف.

هؤلاء السبعة أولهم: (أبو هريرة)؛ الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المتوفى سنة (٥٩)؛ فإنه أكثر الكل رواية؛ روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا.

(يليه)؛ أي: يلي أبا هريرة في الإكثار: عبد الله (ابن عمر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، المتوفى سنة (٧٣)؛ فإنه روى (٢٦٣٥) حديثًا.

ويلي ابنَ عمر (أنس) ابن مالك خادم رسول الله ﷺ، المتوفى سنة (٩٣) عن (٩٩ سنة)؛ فإنه روى (٢٢٨٦) حديثًا.

ويلي أنسًا (البحر) عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، المتوفى سنة (٦٨) عن (٧١ سنة)، فإنه روى (١٦٩٦) حديثًا.

(كالخدري)؛ أي كما يلي الخدريُّ البحرَ، وهو أبو سعيد، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فإنه روى (١١٧٠) حديثًا.

(وجابر) بالرفع عطفًا على المرفوعات، أو بالجر عطفًا على ما قبله، أي: كما يلي جابر؛ فإنه روى (١٥٤٥) حديثًا.

(وزوجة النبي) بالرفع أو بالجر؛ أي: كما تلي زوجة النبي ﷺ، وهي أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أطلقها لشهرتها بكثرة الرواية من بين أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، توفيت سنة ٧ أو ٨ أو ٥٩ عن (٦٧ سنة)؛ فإنها روت (٢٢١٥) حديثًا...

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٦٠٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢]. فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ. فَقَالَ الْعِرْبَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ**

هذه الأعداد مأخوذة من الحافظ ابن الجوزي؛ فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ ذكرها في «تلقيح فهوم أهل الأثر» معتمدًا على ما وقع لكل صحابي في مسند أبي عبد الرحمن بَقِيّ بن مَخْلَد؛ لكونه أجمع ما أُلِّفَ من المسانيد، فاتَّبعه العلماء في ذلك، وقد تتبع العلامة المحقق ابن شاكر ما وقع لكل صحابي في «مسند الإمام أحمد»، وهو أقل حديثًا إلا في بعضهم كابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فإنه في مسند بقي (١٦٦٥) حديثًا، وفي مسند أحمد (١٦٩٦) حديثًا».

بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قوله: (وهو ممن نزل فيه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢])؛ أي: هذا تعريف به رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أنه كان ممن يحرص علىٰ الجهاد، لكن كان من أهل الحاجة، ومن الفقراء الذين لم يكن معهم ظهور يركبونها، فأتوا إلىٰ النبي ﷺ يطلبون منه أن يحملهم، فاعتذر لهم؛ لأنه لم يجد ما يحملهم عليه، فتولَّوا وأعينهم تفيض من الدمع؛ لأنهم لم يتمكَّنوا من المجاهدة مع الناس.

قَوْلُهُ: (أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين)؛ أي: جاءوا لزيارته وعيادته والاقتباس منه؛ يعني: الاستفادة من حديثه ومن علمه، فحدثهم بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ؛ فقال: (أن الرسول ﷺ وعظهم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون)؛ يعني: حصل التأثر لقلوبهم

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وقال الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٤٥٥): صحيح.

وعيونهم؛ فعيونهم بكت، وقلوبهم وَجِلَتْ، فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ قالوا: (كأنها موعظة مودِّع)؛ أي: خشوا أن تكون نهايته قَرُبَتْ، فطلبوا منه أن يَعْهَدَ إليهم. والمودع - الإنسان إذا أراد أن يسافر مثلًا - من شأنه أن يبيِّن ما يحتاج إلىٰ أن يفعله أهله ومَنْ وراءَه، فيبين لهم ما يريد أن يفعلوه حال غيبته.

فأوصاهم رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة؛ فقال: «**أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة**»، وتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: هي أن يجعل الإنسان بينه وبين غضب الله وقاية تقيه منه، وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فهذه هي التقوىٰ بالمعنىٰ الشرعيِّ.

وأما معناها اللغوي: فهو أوسع من الشرعي، وهو أن يجعل الإنسان بينه وبين الشيء المخوف وقايةً تقيه منه؛ فالبرد مَخُوف فيجعل بينه وبينه وقاية بلُبْس الأَلْبِسة التي تقيه منه، والشوك والحصىٰ والرمضاء في الأرض مخوف، فيلبس النعال والخفاف، وكذلك يتَّخذ البيت من أجل أن يستكن بها من الشمس والبرد... وهكذا.

❁ [مسألة تولية العبد ولاية عامة]:

ثم أمر ﷺ بعد ذلك بالسمع والطاعة لمن ولَّاه الله الأمر؛ فقال: «**وإن عبدًا**»؛ أي: وإن كان الذي تولَّىٰ عليكم عبدًا، وهذا مما حذف فيه (كان)

واسمها وبقي خبرها[1]؛ فقوله: «**وإن عبدًا**» يعني: وإن كان المتولِّي عبدًا.

ومثال ذلك أيضًا: «**إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر**»[2].

وهذا فيه الإرشاد إلىٰ السمع والطاعة لمن تولىٰ ولو كان عبدًا، ومن المعلوم: أن الإجماع منعقد علىٰ أنه لا يجوز للعبد أن يتولىٰ، وإنما يكون ولي الأمر حرًّا لا عبدًا؛ لأن العبد منافعه مملوكة لسيده، ومن شأن الذي يتولىٰ أن يكون متصرِّفًا بمنافعه، وأن تكون منافعه بيده وليست بيد غيره.

❁ **وقد أجاب العلماء عمَّا ورد من الأحاديث في السمع والطاعة للمتولي وإن كان عبدًا بأربعة أجوبة:**

أحدها: أن المقصود من ذلك: أن يولي وليُّ الأمر عبدًا علىٰ ناحية أو علىٰ قرية أو علىٰ مدينة أو علىٰ جماعة؛ فتكون ولايته خاصَّة، وتكون صادرة من ولي الأمر، فإذا ولَّىٰ وليُّ الأمر عبدًا علىٰ جماعة، سواء كانوا في سفر، أو كانوا في حضر - قرية أو مدينة أو ناحية -؛ فعلىٰ أولئك الذين وُلي عليهم السَّمع والطَّاعة.

---

(١) انظر: أوضح المسالك لابن هشام (١/ ١٥٣).

(٢) صحيح: جاءت في حديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٨٩، رقم ٢١٥)، والأوسط (٨/ ٥٦، رقم ٧٩٥١)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٠٦) عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر»، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٦٦٣).

الثاني: أن الشيء يذكر - وإن كان لا يحصل - من باب الإشارة إلىٰ تحتُّم ولزوم ذلك الشيء لو حصل.

ولهذا نظائر وأمثلة، ومن ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخاطبًا الرسول ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وهو ﷺ لا يشرك ولا يحبط عمله. وكذلك ما جاء في الحديث من قوله ﷺ: «من بنىٰ لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة[١]؛ بنىٰ الله له بيتًا في الجنة»[٢]، والمسجد - كما هو معلوم - لا يكون بهذا المقدار ولا بهذا الحجم، وإنما هذا علىٰ سبيل المبالغة.

وقال بعض أهل العلم: إن ذلك يكون بالمشاركة؛ أي: ولو كانت مشاركته بشيء يسير؛ فيكون بنىٰ المسجد هو وغيره، لكن علىٰ أن المسجد لو كان كمفحص قطاة؛ فإنه لا يكون، لكن المقصود: أنه مهما بلغ المسجد من الصِّغَر؛ فإن الله تعالىٰ يأجره علىٰ ذلك بأن يبني له بيتًا في الجنة.

وغير ذلك من الأمثلة، التي يذكر فيها الشيء وإن كان لا يحصل؛ للإشارة إلىٰ لزوم ذلك، وتعيُّنه، وتحتمه.

الثالث: إنَّ المقصود به: أنه يكون في حال توليته حرًّا، ولكنه كان عبدًا فيما مضىٰ؛ أي: هو عبد طرأ عليه عِتْقٌ، فيقال له: عبدٌ؛ باعتبار ما كان، لا

---

(١) مَفْحَصُ القَطَاةِ: حَيْثُ تُفَرِّخ فِيهِ مِنَ الأَرض، وجمعُهُ: مَفَاحِصُ. انظر: لسان العرب (٧/ ٦٣).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٤٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٢٩)، وجاء عن عدَّة من الصحابة بنحوه.

باعتبار الحال، وذلك مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ فهم لا تدفع إليهم الأموال إلا بعد البلوغ، وليس قبل البلوغ، وهم يتامىٰ قبل أن يبلغوا، وأما بعده فلا، وقيل لهم: يتامىٰ؛ حال إعطائهم باعتبار ما كان؛ لأنه في حال يُتْمِهم لا تدفع لهم الأموال؛ لأنه تعالىٰ قال: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]؛ أي: بشرط البلوغ، والرشد أيضًا؛ أي: إنفاق المال وتدبيره وعدم تضييعه وإتلافه بالسفه.

الرابع: أن المقصود من ذلك: أنه إذا تغلَّب وقهر الناس وصار له قوَّة وشوكة، واستتبَّ له الأمر؛ فإنه يُسمع له ويُطاع.

هذه الأجوبة الأربعة أجاب بها أهل العلم علىٰ ما ورد من الأحاديث في السمع والطاعة لمن تولَّىٰ إذا كان عبدًا. وقد انعقد الإجماع علىٰ أنه لا يجوز أن يولىٰ العبد؛ فإذًا التوفيق بين ما جاء في النصوص وبين الإجماع المنعقد؛ هو أن يفسر بأحد هذه التفسيرات.

قَوْلُهُ: (**وإن عبدًا حبشيًا**)؛ أي: وإن كان المتولِّي أو المولَّىٰ عبدًا حبشيًا.

❁ الإخبار بحدوث الاختلاف في النحل والعقائد؛ من دلائل نبوته ﷺ:

قَوْلُهُ: (**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا**)؛ هذا إخبار من الرسول ﷺ عن أمر سيقع، وهو من دلائل نبوته؛ لأنه يخبر عن الأمور المستقبلة فتقع طبقًا لما أخبر به ﷺ.

فقد أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث أنه سيوجد الاختلاف، ومع

وجوده يكون كثيرًا أيضًا - ليس بقليل -. وهذا الاختلاف - كما هو معلوم - إنما يكون في النحل والعقائد، وفي الاتجاهات المخالفة المنحرفة لما جاء به الرسول ﷺ؛ مثل البدع المختلفة التي حصلت في الأمَّة؛ من التجهُّم والاعتزال والرفض، وغير ذلك من البدع التي حصلت بعد ذلك ووقعت طبقًا لما أخبر به الرسول ﷺ: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا**».

وبعد هذا الذي أخبر به الرسول ﷺ من وجود الاختلاف؛ كأنَّ قائلًا يقول: وما هو طريق السلامة والنجاة من هذه الاختلافات؟ لذلك بين الرسول ﷺ ذلك دون أن يُسأل عنه؛ لأنه في ظلِّ وجود هذا الاختلاف لابد من سلوك طريق مستقيم، فالنبي ﷺ بعد إخباره بهذا الاختلاف أرشد إلىٰ طريق السلامة والنجاة؛ فقال: «**فعليكم...**» و«**وإياكم...**»؛ فرغَّب ورهَّب، رغَّب بقوله: «**عليكم...**»، ورهَّب بقوله: «**إياكم...**»؛ رغَّب في السنن، ورهَّب من البدع، فأرشد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلىٰ السنن ورغَّب فيها، ثم حذَّر من البدع المخالفة لسنَّته.

❁ [إرشاد النبي أمته إلى اتباع السنة واجتناب البدعة عند ظهور الاختلاف]:

قَوْلُهُ: (**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**)؛ وهذا هو الذي رغَّب فيه الرسول ﷺ، وهو اتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين رضي الله تعالىٰ عنهم

وأرضاهم، وهذا يدل علىٰ أن طريق العصمة والسلامة والنجاة أمام هذا الاختلاف: أن نكون علىٰ ما كان عليه رسول الله ﷺ، وخلفاؤه الراشدون رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ.

والحديث يدل علىٰ فضل هؤلاء الخلفاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلىٰ فضل خلافتهم، ووصفها بأنها راشدة، وهم خلفاء راشدون ومهدِيون، وخلافتهم خلافة نبوَّة، كما جاء في حديث سفينة(١) مولىٰ رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَفَعَهُ: «**خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء**»(٢).

واتِّباع سنتهم؛ أي: في شيء فعلوه، ولو لم يوجد عن الرسول ﷺ؛ مثل الأذان الذي زاده عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة(٣)؛ فإن هذا سنَّة، وداخل تحت سنة الخلفاء الراشدين.

---

(١) سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ؛ كان أصله من فارس، فاشترته أمُّ سلمة، ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ، واختُلف في اسمه علىٰ واحد وعشرين قولًا. انظر ترجمته في: الاستيعاب (٢/ ٦٨٤)، والإصابة لابن حجر (٣/ ١١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، عن سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤٥٩).

(٣) أخرجه البخاري، في الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة، رقم (٩١٢)، عن السائب بن يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَىٰ المِنْبَرِ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ، زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَىٰ الزَّوْرَاءِ). ثم قال البخاريُّ: (الزَّوْرَاءُ: مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ).

أما إذا كان جاء عن الرسول ﷺ شيءٌ وهم تابعوه علىٰ ذلك؛ فالأصل هو سنة الرسول ﷺ.

وقوله: «**وعضُّوا عليها بالنواجذ**»؛ إشارة إلىٰ شدَّة التمسك وشدة الأخذ بها، وعدم التهاون والتفريط في شيء منها، فعلىٰ الإنسان أن يعول علىٰ السنن، وأن يحرص عليها كما يحرص علىٰ الشيء الذي يعضُّ عليه بالنواجذ.

ثم إنه ﷺ بعد أن رغَّب في السنن حذَّر من البدع، فقال: «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، وهي البدع التي تُحدث في دين الله وليست منه، وهي التي تقدَّمت في حديث عائشة: «**من أحدث في أمرنا ما ليس فيه؛ فهو رد**»؛ أي: فهو مردود عليه.

فقوله: «**إياكم ومحدثات الأمور**»؛ أي: احذروها وابتعدوا عنها واتركوها، ولا تأخذوا بها، واكتفوا بالسُّنن، واقتصروا علىٰ ما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه صحابته الكرام - رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم -.

قَوْلُهُ: (**فإن كل محدثة بدعة**)؛ أي: كل محدثة في دين الله بدعة، «**وكل بدعة ضلالة**»؛ وهذا من جوامع كلمه ﷺ، فالبدع المحدثة في دين الله كلها ضلالة، فهذا حكمٌ عامٌّ يشمل كل ما أُحدِث وابتُدِع في الدين؛ فإنه موصوف بأنه ضلالة، وضد الهدىٰ. والهدىٰ إنما هو في الكتاب والسنة، وما جاء عن سلف هذه الأمة وهم الصحابة - رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم -، وقد

جاء عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة)[١].

واللفظ – كما قلت – عامٌّ باقٍ علىٰ عمومه، لا يستثنىٰ منه شيء؛ فكل البدع ضلال، فلا يقال: إن هناك بدعة حسنة! كيف والرسول ﷺ قال: **«كل بدعة ضلالة»**؟! وقد تجد بعض المبتدعة، وبعض من يسهل عليهم الأخذ بالبدع، أو التهاون بشأنها يقولون: هذه بدع حسنة!! أبعد أن يقول الرسول ﷺ: **«كل بدعة ضلالة»**. يقال: بدعة حسنة؟!!

أما ما جاء في الحديث: **«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»**[٢]؛ فهو ليس من هذا القبيل، وإنَّما المقصود بذلك:

– إما أن يحيي سنة قد أميتت، فمثلًا أن يأتي إلىٰ بلد لا توجد فيه تلك السنة بل قد أهملت وأميتت فيحييها؛ فيكون بذلك أحياها لا أحدثها.

– أو يُحمل علىٰ ما جاء في سبب الحديث؛ فالرسول ﷺ قاله بمناسبة؛ وهي: أن جماعة من مضر جاءوه وعليهم البؤس والفاقة وشدة الحاجة، ووجوههم شاحبة، وثيابهم بالية، والرسول ﷺ كما وصفه الله:

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (رقم ٢٠٥)، واللالكائي في شرح السنة (رقم ١٢٦)، والبيهقي في المدخل (١٩١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم، في الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة... رقم (٦٩/ ١٠١٧) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، صلوات الله وسلامه، عليه. فتأثَّر، ودخل بيوته وخرج، يريد أن يُحصِّل لهم شيئًا، فجمع الناس وحثَّهم على الصدقة والإحسان إلى هؤلاء، فجاء رجل من الأنصار معه صُرَّة يكاد يعجز عن حملها، فوضعها، وتتابع الناس وراءه؛ فعند ذلك قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها...**».

فهو إما أن يحمل على سبب الحديث، أو يقال: إنه يدخل فيه من أحيا سنَّة من سُنن الرسول ﷺ بعدما اندثرت وأُميتت في بلد من البلدان. أما أن يحدث شيئًا من عنده ومن ابتكاره ثم يقال له: سنَّة!! فهذا لا يقال له: سنة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن حنبل**)؛ مر ذكره.

قَوْلُهُ: (**حدثنا الوليد بن مسلم**)؛ هو الدمشقي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا ثور بن يزيد**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**حدثني خالد بن معدان**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي**)؛ وهو مقبول، أخرج له

أبو داود والترمذي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (وحُجْر بن حُجْر)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود والترمذي.

وهذان - عبد الرحمن السلمي وحُجر - كل واحد منهما مقبول، والمقبول هو الذي إذا وُجد ما يشدُّ حديثه ويقوِّيه؛ فإنه يحتج به، فكل واحد منهما هنا كمّل الآخر.

قَوْلُهُ: (عن العرباض بن سارية)؛ هو صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب السنن.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رحمه الله تعالى:

٤٦٠٨ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ عَتِيقٍ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(١).

الشَّرح

ثم أورد المصنف بعد ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال الرسول ﷺ: «**ألا هلك المتنطعون**». قالها ثلاثًا؛ أي: كررها ثلاثًا: «ألا

(١) صحيح: أخرجه مسلم، في العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٧/ ٢٦٧٠)، وأخرجه أحمد (١/ ٣٨٦).

هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون».

والمتنطعون[١]: هم المتكلِّفون المُتَعَمِّقُون[٢]. وقد أورده هنا في «باب: لزوم السنة»؛ لأن فيه مخالفة للسنة، ويدخل في ذلك أهل الكلام الذين يتعمَّقون في الكلام، ويشتغلون به، ويعولون عليه في عقائدهم، ويهجرون السنن، ولا يعولون عليها، فهؤلاء هم المتنطعون؛ أي: المتعمقون المتكلفون، الذين يعولون على العقول، ولا يشتغلون بالنقول، أو يتهمون النقول إذا لم تتَّفق مع العقول، والأصل: أن النقول هي الأساس، والعقول توافق النقول؛ فالعقل الصحيح - السليم - لا يخالف النقل الصحيح، ولشيخ الإسلام ابن تيميَّة كتاب اسمه: «درء تعارض العقل والنقل»[٣].

وأهل الكلام يعوِّلون على العقول ولا يعولون على النقول، وأهل السنة يعولون على النقول، ويعتبرون أن العقول إذا كانت سليمة؛ فإنها لا تخالف النقول، وإذا وُجِدَ من العقول شيء يخالف النقول؛ فإنه لا يُلتَفَت إليه، ولا

---

(١) انظر: النهاية لابن الأثير (٥/ ٧٤)، ولسان العرب لابن منظور (٨/ ٣٧٥).

(٢) المُتَعَمِّقُ: المُبالغ فِي الأَمر المتشدِّد فِيهِ، الَّذِي يَطْلُبُ أَقصىٰ غَايَتِهِ. [لسان العرب (١٠/ ٢٧١)].

(٣) وهو مطبوع في عشرة مجلدات، ويُعرف أيضًا باسم «العقل والنقل»، و«موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، وقد أثنىٰ عليه ابن القيم في نونيته فقال في (ص ٢٣٠):

واقْرأْ كتاب «العقل والنقل» الَّذي ... ما في الوجود له نظيرٌ ثانِ

يعوَّل عليه؛ فالعقول تتفاوت، وقد يرىٰ الإنسان في وقت من الأوقات رأيًا، ثم في وقت آخر يتعجَّب من كونه كان قد رأىٰ هذا الرأي! مع أنه في حال رؤيته ذلك الرأي كان لا يرىٰ أمامه سواه، ثم يتغيَّر حاله، فيرىٰ أن الرأي الذي رآه سابقًا غير صواب، ويتعجَّب كيف رأىٰ هذا الرأي!

ومن أمثلة ذلك: ما حصل في صلح الحديبية، فلما أُبرم العقد بين الرسول ﷺ وبين كفار قريش، كان من جملة ما اشتمل عليه العقد: أن من جاء من المسلمين إليهم فلا يُردُّ، ومن جاء من الكفار مسلمًا فإنه يُرد. فغضب بعض الصحابة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأرضاهم - من هذا الشرط الذي رضي به الرسول ﷺ، وقالوا: «سُبْحَانَ اللهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟!»، وقال عمر: «لِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟!».

وكانت النتيجة بعد ذلك: أنَّ الذين أسلموا فرُّوا من الكفار، والرسول ﷺ لم يقبلهم بناءً علىٰ هذا الصلح، وهم لا يُريدون أن يرجعوا إلىٰ الكفار؛ ساروا إلىٰ سِيف البحر، حَتَّىٰ اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَىٰ الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ»[1]. مع أنهم هم الذين اشترطوا هذا الشرط ابتداءً.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، في الشروط، باب الشروط في الجهاد، رقم (٢٧٣١)، عن

ومحلُّ الشاهد: أن بعض الصحابة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم - غضب من هذا الشرط، وكانت النتيجة خيرًا؛ ولهذا كان عمر يذكر هذه القصَّة، ويقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ اتَّهِمُوا الرَّأْيَ عَلَىٰ الدِّينِ»[1]. وقال ذلك سهل بن حنيف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في موقعة صِفِّين التي حصلت بين علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحصل علىٰ إثرها التحكيم، فكان بعض الناس الذين مع علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يريدون أن يواصلوا القتال، وكان سهل ممن يرىٰ أن يُترك القتال ويوقَف حقنًا للدماء، ويقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ»، ويذكر قصة الحديبية[2].

فالعقول متفاوتة، بل إنَّ عقل الإنسان بين حين وآخر يتغيَّر من رأي إلىٰ رأي، ومن حال إلىٰ حال، فالأصل هو النقول، والعقل الصحيح لا يخالف

=

المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وجاء بنحوه عن سهل بن حنيف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو سيأتي قريبًا.

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٧٢، رقم ٨٢)، والبزار في البحر الزخار (١/ ٢٥٣، رقم ١٤٨)، والضياء في المختارة (١/ ٣٢٥، رقم ٢١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٤٦): حديث عمر في الصحيح بغير هذا السياق. رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح. قال (١/ ١٧٩): رجاله موثقون، وإن كان فيهم مبارك بن فضالة.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في الجزية، بابٌ، رقم (٣١٨١) ومواضع، ومسلم، في الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، رقم (٩٤/ ١٧٨٥).

النقل، والعقول إذا كانت مخالفةً للنقول؛ فإنه لا يلتفت إليها، وإنما يكون التعويل على النقول، وهذه هي طريقة أهل السنَّة والجماعة؛ فإنهم يعولون على النقول ويتهمون العقول، بخلاف أهل البدع فإنهم يعولون على العقل ويتهمون النقل.

يقول الخطابي: «وفيه دليل على أنَّ الحكم بظاهر الكلام، وأنه لا يترك الظاهر إلى غيره ما كان له مساغ وأمكن فيه استعمال»(١)؛ وهذا هو الأصل.

كأنه يشير إلى الذين يأخذون بشيء بخلاف ظاهر النصوص، فيَلْوون أعناقها، ويجذبونها إلى أشياء لا تدلُّ عليها؛ بتنطُّع وتكلُّف.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا مسدَّد**)؛ هو مسدَّد بن مُسَرْهَد البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا يحيى**)؛ هو يحيى بن سعيد القطان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا ابن جريج**)؛ هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثني سليمان - يعني ابن عتيق -**)؛ وهو صدوق، أخرج له

---

(١) معالم السنن (٤/ ٣٠٠).

مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (عن طلق بن حبيب)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن الأحنف بن قيس)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن مسعود)؛ هو عبد الله بن مسعود الهذلي، صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

السؤال: هل كل ما فعله الخلفاء الراشدون يعتبر سنةً؟

الجواب: إذا لم يوجد لهم مخالف، إما إذا وُجِدَتْ أقوال لغيرهم؛ فإن أقوالهم مقدَّمةٌ علىٰ أقوال غيرهم.

❁ ❁ ❁

السؤال: من كان جاهلاً وعمل ببدعة وهو يظن أنه يتقرَّب بها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فهل يثاب على عمله ذلك ويعذر بجهله؟

الجواب: الأصل: أن البدع مردودة علىٰ صاحبها، سواء عمل بها وهو عالم، أو عمل بها وهو جاهل.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يجوز أن يقال: فلان سني مبتدع؛ لكونه يقول بقول أهل السنة في الأسماء والصفات والربوبية والألوهية، ولكن عنده بعض البدع كالأذان على القبر؟

الجواب: لا يقال: سني مبتدع. وإنما يقال: سني عنده بدعة، أو عنده شيء من البدع، وأما سني ومبتدع فهما ضدَّان، فمعنىٰ (سني): أنه علىٰ السنة. ومعنىٰ (مبتدع): أنه ليس علىٰ السنة، وأما أن يكون عنده بدعة، أو

عنده مخالفة، أو عنده شيء من الأمور التي تُحْذَر؛ فهذا يمكن وجوده في السني، وهو مثل قول الرسول ﷺ لأبي ذر: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»[1]، فلم يقل له: إنك جاهلي، أو إنك من أهل الجاهليَّة. بل معنىٰ الحديث: فيك خصلة من خصال الجاهلية.

❋ ❋ ❋

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، في الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم (٣٠)، ومسلم، في الأيمان والنذور، باب إطعام المملوك ممَّا يأكل، رقم (٣٨/ ١٦٦١)، عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابُ لُزُومِ السُّنَّةِ

٤٦٠٩ - حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ - يَعْنِي: ابْنَ جَعْفَرٍ -، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ - يَعْنِي: ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[1].

الشرح

قال الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: (باب لزوم السنة)؛ وهو الثباتُ عليها وملازمتُها، والأخذُ بها، والبعدُ والحذرُ ممَّا يخالفها.

وقد سبق أن مرَّ قبل هذا الباب بابٌ يشبهه، وهو: (باب في لزوم السنة)، وهذا الباب: (باب لزوم السنة)، ومؤدَّاهما واحد، إلَّا أنَّ البابَ الذي تقدم

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦/ ٢٦٧٤)، وأخرجه أيضًا: الترمذي (٢٦٧٤)، وابن ماجه (٢٠٦).

كله أحاديث مرفوعة إلىٰ رسول الله ﷺ، أما هذا الباب فأكثر ما فيه آثار والمرفوع فيه قليل؛ فلا أدري ما وجه هذا التفاوت في التبويب، مع أن الترجمة واحدة تقريبًا، إلَّا أن الأول فيه زيادة (في)!

في نسخة «عون المعبود»[1] بوَّب بعنوان آخر؛ فقال: (باب من دعا إلىٰ السنة)[2]، وهذا التبويب يدخل فيه الحديث الأوَّل فقط، وأما باقي أحاديث الباب؛ فإنها تدخل في (باب لزوم السنة).

وأورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ؛ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»؛ وهذا حديثٌ عظيمٌ يدل علىٰ عظم شأن الدعوة إلىٰ الخير، وكثرة ثوابها وأجرها، وضد ذلك: شدَّة خطر الدعوة إلىٰ الضلالة، وكثرة آثامها، وما يترتب عليها من البلاء؛ ففيه الحث علىٰ الدعوة إلىٰ الخير، والهدىٰ، والدعوة إلىٰ الكتاب والسنة، ولزوم ما كان عليه سلف هذه الأمَّة؛ لأن في ذلك الخير والأجر والثواب من الله عَزَّ وَجَلَّ، والله تعالىٰ يثيب الداعي علىٰ دعوته، سواء قُبل منه أو لم يُقبل، استُجيب له أو لم

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود»؛ للعظيم آبادي، شرف الحق محمد أشرف الصديقي الهندي، المتوفىٰ سنة (١٣١٠). [انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٦/ ٣٩)].

(٢) انظر: عون المعبود، مع حاشية ابن القيِّم (١٢/ ٢٣٦).

يُستجبْ؛ لأنه أَمَر بمعروفٍ أو نهىٰ عن منكر، ودلَّ علىٰ خير، وحذَّر من شرٍّ؛ فهو مأجور علىٰ فعله. وإن استُجيب له؛ فإن الله تعالىٰ يأجر ذلك المستجيب له علىٰ عمله، ويأجر من كان سببًا في هدايته الذي دلَّه علىٰ الخير مثل أجره؛ أي أن الداعي له من الأجر مثل أجر المدعوِّ الذي يستجيب للدعوة، ويعمل عملًا صالحًا.

ثم وضح ذلك بقوله: «**من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»؛ أي أنَّ هذا الثواب الذي يحصل عليه الداعي بسبب اهتداء غيره علىٰ يديه ليس مأخوذًا من أجر المدعو، أو بعضًا من أجر المدعو، وإنما يأخذ المدعو أجره كاملًا، والله تعالىٰ يثيب الداعي بمثل ما أثاب به المدعو؛ تفضلًا منه وإحسانًا؛ لأنه هو الذي دلَّ علىٰ الخير، وكان سببًا في ذلك الخير الذي حصل لذلك المدعو، فقوله ﷺ: «**من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا**»؛ فيه احتراز؛ لئلا يُظن أن هذا الأجر الذي يناله الداعي من الله هو جزء من الأجر الذي ناله المدعو علىٰ عمله الصالح.

ثم هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل ظفر به علىٰ التمام والكمال: **نبيُّنا محمَّدٌ** ﷺ؛ لأنه هو الذي دلَّ أمته علىٰ الحق والهدىٰ وعلىٰ كل خير، وحذرها من كل شر؛ فله أجور أعماله ﷺ، وله مثل أجور أمته كلِّها من أولها إلىٰ آخرها؛ فمن دل علىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، وهذا يدلُّ علىٰ عظم مكانته وعلو منزلته.

وكذلك أسعد الناس حظًّا ونصيبًا بعد رسول الله ﷺ بمقتضىٰ هذا الحديث: **أصحاب رسول الله** - ﷺ، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -؛ لأنهم هم الذين تلقوا عن الرسول ﷺ الحق والهدىٰ، ونقلوه إلىٰ الناس، ودلُّوا النَّاس عليه، فكلُّ من حفظ سنَّةً عن رسول الله ﷺ، وأخذها الناس عنه، وعملوا من بعده؛ فإنه يؤجر علىٰ ذلك بمثل أجور كل الذين عملوا بهذه السنة وهذا الحق الذي جاء من طريقه، ولهذا فإنَّ أصحاب رسول الله - ﷺ ورَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -؛ هم الواسطة بين الناس وبين رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فما عرف الناس حقًّا ولا هدًىٰ إلا عن طريق الصحابة، فهم الذين تلقوا الكتاب والسُّنَّة عن رسول الله ﷺ، وهم الذين أَدَّوْهما إلىٰ الناس من بعدهم علىٰ التمام والكمال؛ فلهم أجور أعمالهم، ولهم مثل أجور كلِّ من استفاد خيرًا بسببهم.

وعلىٰ العكس من ذلك: **الدعوة إلىٰ الضلال**؛ فإنَّ من دعا إلىٰ ضلالة؛ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، من غير أن ينقص من آثامهم شيئًا؛ أي: أن هذا الذي دُعِي إلىٰ الإثم وأخذ به؛ فإنه يعاقب ويؤاخذ علىٰ ضلاله، ثم يعاقب الداعي الذي دعاه إلىٰ الضلالة؛ فيكون عليه من الإثم مثل آثام ذلك الذي دعي وعمل بتلك البدعة، أو بذلك الأمر المحرم. فكما أنَّ مَن دعا إلىٰ هدًىٰ له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أنْ ينقص من أجورهم شيئًا، فكذلك مَن دعا إلىٰ ضلالة؛ فإن عليه من الإثم مثل آثام مَن

تبعه، ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا.

فهذا في الترغيب في الخير، والدعوة إلىٰ الحق والهدىٰ، وبيان ما فيه من الأجر العظيم والثواب الجزيل، ويدلُّ أيضًا علىٰ خطر الدعوة إلىٰ الضلال، وما فيها من الإثم العظيم، والخطر الكبير.

فيجب أن يحرص الإنسان علىٰ أن يكون من دعاة الهدىٰ؛ ليظفر بالثواب من الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ دعوته، سواء استُجيب له أو لم يُستجب، وإن استُجيب له؛ فإنه يؤجر بمثل أجور الذين تبعوه واستفادوا من دعوته.

وكذلك من دعا إلىٰ ضلالة؛ فإنه يأثم بهذه الدعوة، سواء تُضُرِّرَ بدعوته واستُجيب إلىٰ ما دعا إليه من الضلالة، أو لم يُستجبْ ولم يُتَضَرَّر؛ لأن مجرد دعوته إلىٰ الضلال إضلالٌ منه لغيره، لكنه إن توبع؛ فإن عليه من الإثم مثل آثام الذين استجابوا لدعوته إلىٰ الضلال.

وهذا من جوامع كلمه - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، وهو حديث عظيم، فيه جمعٌ بين الترغيب والترهيب؛ أوله ترغيب وآخره ترهيب. وكثيرًا ما يأتي في الكتاب والسنة الجمع بين الترغيب والترهيب؛ الترغيب في الخير، والتحذير من الشرِّ.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا يحيىٰ بن أيوب**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «خلق أفعال العباد»، ومسلم وأبو داود، والنَّسائي في «مسند علي».

قَوْلُهُ: (**حدثنا إسماعيل – يعني: ابن جعفر –**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

وكلمة: (**يعني**)؛ قالها مَن دون يحييٰ بن أيوب؛ إما أبو داود أو من دون أبي داود، والمقصود من ذلك: أن يحييٰ بن أيوب لمَّا رویٰ الحديث لم يعبر إلا بقوله: (إسماعيل). فقط، ولم يأتِ بالنسب – لم يقل: ابن جعفر –، ولكن من دونه أراد أن يوضح هذا الراوي المهمل الذي ذُكِرَ باسمه فقط، فأضاف إليه هذه الجملة، وهي قوله: (**يعني: ابن جعفر**)؛ فجاء بهذه الزيادة للتوضيح.

ومن طبقته (إسماعيل ابن عُلَيَّة)(١)، فكلاهما من شيوخ شيوخ أبي داود، فإذا قال: (إسماعيل)؛ فيُحتمل أن يكون ابن جعفر، ويحتمل أن يكون ابن علية، لكن إذا جاءت مثل هذه العبارة؛ وَضَّحَتْ من هو هذا المهمل، ولو لم تأتِ؛ فإنه يمكن معرفة المهمل بشيوخه وتلاميذه.

وهي فعل مضارع، ولها قائل ولها فاعل؛ **فاعلها**: ضمير مستتر يرجع إلىٰ يحييٰ بن أيوب، **وقائلها**: من دون يحييٰ بن أيوب.

قَوْلُهُ: (**أخبرني العلاء – يعني: ابن عبد الرحمن –**)؛ هو العلاء بن

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، أحد الحفَّاظ، عُرف بـ«ابن عُلَيَّة» وهي أمُّه، وسيأتي ذكره. [وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/ ٥٣٩)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٣٥)، والتقريب (ص ١٠٥)].

عبد الرحمن بن يعقوب الحُرَقِي، وهو صدوق، أخرج له البخاري في «جزء القراءة»، ومسلم، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «جزء القراءة»، ومسلم، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صاحب رسول الله ﷺ، وهو أكثر الصحابة حديثًا علىٰ الإطلاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١٠- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا: مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ عَلَىٰ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**»[١].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ أَعْظَمَ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (١٣٢/ ٢٣٥٨).

الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا: مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ؛ فَحُرِّمَ عَلَىٰ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ)؛ أي: أنه تسبَّب في حصول ذلك الضَّرَر بسبب سؤاله. ومعلوم أن هذا إنَّما هو في زمن التشريع ونزول الوحي، والمقصود بذلك: الأسئلة التي يكون فيها تجاوز وتشدد، أو تعنت وتنطع، أو غير ذلك مما يترتب عليه إلحاق الضرر بالناس. وأما الأسئلة التي يَحتاج إليها الناس في معرفة أمور الدين؛ بحيث يعرفون ما هو واجب عليهم فيفعلونه، وما هو محرَّمٌ عليهم فيتركونه؛ فإن هذا موجود وحاصل، وقد جاء في القرآن عدة أسئلة سألها الصحابة رسول الله ﷺ؛ فأجابهم الله عَزَّوَجَلَّ عنها في القرآن في مواضع عديدة، وقد كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يسألون رسول الله ﷺ عما يحتاجونه، وقد أمر الله تعالىٰ بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وإنما المقصود من الحديث الأسئلة التي يترتب عليها مضرة، والتي لا يصلح ولا ينبغي أن يسأل عنها؛ كسؤال الرجل لما نزلت فريضة الحج؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّىٰ قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ؛ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ؛ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ

فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»[(١)].

فقول الرجل: (أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟)؛ أي: هل فرضه الله تعالىٰ علينا في كل عام؟

وقوله ﷺ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ؛ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»؛ فكيف يحج الناس كلهم كلَّ سنة؟! ثم إن مكة لا تسع الناس كلهم!! فهذا السؤال لم يكن ينبغي أن يطرح؛ فلهذا غضب النبي ﷺ لهذا السؤال، وقال: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ»؛ أي: بالأسئلة التي فيها تكلُّف.

وكما في أسئلة بني إسرائيل عن البقرة التي أمروا بذبحها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٦٧-٧١]؛

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم رقم (٤١٢/ ١٣٣٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكان يكفيهم أن يذبحوا أيَّ بقرة فيحصل المقصود بها، لكنهم تشدَّدوا وتعنَّتوا، وسألوا: ما هي؟ وما لونها؟ حتىٰ جاء وصفها علىٰ هيئة خاصَّة؛ فقيل: إنهم بحثوا عن تلك البقرة الموصوفة؛ فصعب عليهم الحصول عليها[(١)]. فتلك الأسئلة هي التي نُهي عنها وحُذِّر منها.

ولا أعلم مثالًا علىٰ تحريم شيء كان مباحًا بسبب مسألة إنسان، فترتب علىٰ ذلك حرج بالمسلمين، ولكن هذا فيه ترهيب وتحذير من مثل هذه الأسئلة، وإنَّما المقصود: تنفيرهم من مثل هذه الأسئلة التي هي من جنس ذلك السؤال الذي سأله السائل عن الحج: هل يجب في كل سنَةٍ؟

❁ **مناسبة الحديث للباب:**

الحديث يشبه الجملة الثانية من الحديث السابق: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ؛ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[(٢)]، **والمراد:** أن من كان سببًا في لحوق ضرر بالمسلمين، بسبب سؤاله عن أمر كان حلالًا فحُرِّم عليهم؛ فإنه يلحقه الإثم بسبب ذلك الجرم الذي حصل

(١) قال ابن كثير (ت: ٧٧٤) في التفسير: «أخبر تعالىٰ عن تعنت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم. ولهذا لما ضيَّقوا علىٰ أنفسهم ضيّق عليهم، ولو أنهم ذبحوا أيَّ بقرة كانت؛ لوقعت الموقع عنهم، كما قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد، ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم»، وراجع تفسيره (١/ ٢٩٣ - ٢٩٨).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

منه. وكذلك يشبه أيضًا قوله ﷺ: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»[١].

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا عثمان بن أبي شيبة**)؛ هو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي، وإلا النَّسائي فقد أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (**حدثنا سفيان**)؛ هو ابن عيينة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**عن الزهري**)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ثقة، فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عامر بن سعد**)؛ عامر بن سعد بن أبي وقاص، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبيه**)؛ سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١١ - حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ الْهَمْدَانِيُّ،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٢٧/ ١٦٧٧)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ عَائِذَ اللهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَيْرَةَ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - أَخْبَرَهُ قَالَ: كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ: «اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ»، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟! مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّىٰ أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ. فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ؛ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَىٰ لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ». قَالَ: قُلْتُ لِمُعَاذٍ: مَا يُدْرِينِي - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: «بَلَىٰ! اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: مَا هَذِهِ؟! وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ؛ فَإِنَّ عَلَىٰ الْحَقِّ نُورًا»[١].

---

(١) صحيح الإسناد موقوف: أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٤٠٦)، واللالكائي في شرح السنة (١/ ٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٣٥٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٨١)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد موقوف.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «وَلَا يُنْئِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ» مَكَانَ «يُثْنِيَنَّكَ»، وَقَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، فِي هَذَا: «الْمُشَبَّهَاتِ» مَكَانَ «الْمُشْتَهِرَاتِ»، وَقَالَ: «لَا يُثْنِيَنَّكَ»؛ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: «بَلَىٰ! مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ حَتَّىٰ تَقُولَ: مَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ؟!».

الشرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(**أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَمِيرَةَ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - أخبره قَالَ: كَانَ مُعَاذٌ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ: «اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ»**)؛ أي: إنَّه كان يقول هذه العبارة ويكرِّرها في مجالسه التي يذكِّرُ فيها الناس ويعظهم وينصحهم.

وقوله: (**فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا**)؛ أي: أن العبارة التي مرت كان يكثر من ذكرها في مجالسه المتعددة، وفي مجلس من المجالس قال - مع هذه الكلمة التي يقولها دومًا - هذه الموعظة الآتية.

قَوْلُهُ: (**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ**) يعني: أمامكم (**فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ**)؛ أي: يفيض فيها المال علىٰ الناس.

قَوْلُهُ: (وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ)؛ أي: الكلُّ يقرأ القرآن، فكل هؤلاء يكونون علىٰ علم ومعرفة بالقرآن.

قَوْلُهُ: (فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟!)؛ معنىٰ ذلك: أنَّهُ يدعوهم إلىٰ القرآن وإلىٰ ما فيه؛ فلا يستجيبون له؛ فتحدثه نفسه بأمر منكر، وهو أن يحدث لهم شيئًا غير القرآن ومخالفًا حتىٰ يتبعوه؛ لأنهم لم يتبعوه علىٰ الحق.

قَوْلُهُ: (مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّىٰ أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ)، فيبتدع لهم بدعة فيدعوهم إليها؛ فعند ذلك قال معاذ: (فإياكم وما ابتدع)؛ وهذا فيه تحذير وترهيب من هذا الذي ابتدعه ودعاهم إليه.

قَوْلُهُ: (فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ)؛ لأنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة، كما قال رسول الله ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

قَوْلُهُ: (وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ[2])؛ وهو الإنسان الذي عنده حكمة، فكلامه حسن جميل، فقد يحصل منه خطأٌ وزلل، أو يغويه الشيطان، أو

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) قال في عون المعبود (١٢/ ٢٣٧): «(زَيْغَةَ الْحَكِيمِ)؛ أَيِ انْحِرَافَ الْعَالِمِ عَنِ الْحَقِّ». وفي القاموس المحيط (ص ٧٨٣): «والزَّيْغُ: الشَّكُّ، والجَوْرُ عن الحَقِّ».

يسيء الفهم؛ فيأتي بكلام باطل؛ فيعتبر هذا زيغة من حكيم، أو زلة من عالم؛ فيجب أن يُحذر من تلك الزلات وتُجتنب، ولا يُغترَّ بها.

قَوْلُهُ: (فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَىٰ لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ)؛ فالشيطان قد يضل الإنسان حتىٰ يقول كلمة الباطل والضلال، مع أنه معروف بالكلام الطيب والجميل والحسن؛ فإنه يحذر من زللـه وخطئه وزيغه.

وعكس ذلك: أن المنافق قد يقول كلامًا حسنًا جميلًا؛ فالحقُّ يؤخذ ممَّن جاء به، والباطل يُرَدُّ علىٰ مَن جاء به.

ثم سأل يزيدُ بن عميرة معاذَ بن جبل: (مَا يُدْرِينِي[1] - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟).

قَالَ: «بَلَىٰ! اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ - أو: الْمُشَبِّهَاتِ - الَّتِي يُقَالُ لَهَا: مَا هَذِهِ؟!»؛ أي: التي يستغربها الإنسان فيسأل عنها: (ما هذه؟!)؛ أي: هذا شيء غريبٌ يلفت النظر!! لأنها قد اشتهرت بغرابتها، وبمخالفتها للكلام الحسن الذي كان معه، وهذا يشبه ما جاء في الحديث: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ؛ الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»[2]؛ أي أنَّ الإنسان قد يرتاب

---

(١) قال في عون المعبود (١٢/ ٢٣٧): «أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ يُعْلِمُنِي».

(٢) حسن لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٨)، والدارمي في سننه رقم (٢٥٧٥)، وأبو يعلىٰ في مسنده =

ويتوقف ويتردد في الشيء؛ لأن فيه شبهةً جعلته يتردَّدُ فيه، ويقف عنده ويسأل عنه، فالإنسان أحيانًا قد تشتبه عنده أشياء أو يتوقف فيها أو لا يطمئن إليها؛ فيسأل عنها؛ لأن نفسه مترددة فيها؛ فمثلًا قد يتردد إنسانٌ ويكون في نفسه شيء من التسمية ببعض الأسماء، فيسأل: هل يجوز التسمية بهذا الاسم أو لا يجوز؟

وهناك أشياء لا يسأل عنها؛ لاطمئنان نفسه إليها، وانشراح صدره لها.

فكلام الحكيم الذي يُجتنب ويُحذر؛ هو الذي يشتهر بمخالفته لغيره ممَّا هو مستقيم وواضح، مما يجعل الناس يستغربونه ويقولون: ما هذا؟ فهذه هي علامة ذلك الكلام الذي يكون فيه زيغ الحكيم، وزلة العالم.

قَوْلُهُ: (وَلَا يَثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ)؛ أي: أنَّ هذا الحكيم الذي حصل منه هذا الزلل والخطأ فأُمرت باجتنابه وتركه؛ (لَا يَثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ)، أي: لا تنابذه وتبتعد عنه وتعاديه، فـ(لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ)؛ فيعود ما كان على ما كان، وقد يكون لُبِّسَ عليه، وقد يقول الخطأ؛ فيُنَبَّه عليه فيرجع؛ فيُجتنب خطؤه، ولا يُعادى ولا يُنابذ، ولهذا قال: (لَا يَثْنِيَنَّكَ)؛ أي: لا يُرجعنَّك ويعطفنَّك عنه[1]، وفي بعض الروايات: (لَا يُنْئِيَنَّكَ)؛ أي: لا يُبعدك

(٣/ ١٦٠، رقم ١٥٨٦)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٤٨، رقم ٤٠٣)، عن وابصة بن معبد الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني في صحيح الترغيب (رقم ١٧٣٤): حسن لغيره.

(١) أي: لا يصرفك عنه؛ انظر: لسان العرب (٩/ ٢٤٩).

عنه ذلك؛ وهو من النأي؛ وهو البعد[1]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]؛ أي: يَبْتَعِدُون عنه.

قَوْلُهُ: (وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ؛ فَإِنَّ عَلَىٰ الْحَقِّ نُورًا)؛ هذا يرجع إلىٰ المنافق، أي: أن الحق يُعرف وإن كان من مبطل أو ضالٍّ؛ فقد يكون كلامه حسنًا وصحيحًا؛ فهو مقبول، والحق ضالة المؤمن يأخذه حيث وجده؛ ولهذا جاء في القرآن لما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عن الكفار: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]؛ فذكروا حجتين علىٰ فعلهم الفاحشة؛ فأنكر الله عليهم واحدةً، وأقرَّ الثانية وسكت عنها؛ وهي قولهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾؛ لأنَّها حقٌّ مطابق للواقع، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٢، ٢٣].

فلم يرد عليهم الله تعالىٰ ذلك، ولم يتعرض له، وإنما تعرض للحجة الثانية، وهي قولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، فقال منكرًا لها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨].

(قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «وَلَا يُنْئِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ» مَكَانَ «يُثْنِيَنَّكَ»)؛ أي: أن معمرًا روىٰ الحديث عن الزهري،

---

(١) انظر: مختار الصحاح (ص ٣٠٣)، والقاموس المحيط (ص ١٣٣٦).

ولكنه قال بدل «يُثْنِيَنَّكَ»: «يُنْئِيَنَّكَ»، و«يُنْئِيَنَّكَ» يعني: يُبعدنَّك؛ فهو من النأي، وهو: البعد. والمعنىٰ: لا تنأَ وتبتعد عنه، وتتركه وتنفض يدك منه، ولا تسلط لسانك عليه بسبب هذه الزلة؛ فإنه لا يسلم أحد من الزلل، ولا يسلم أحد من الخطأ، ولو كان كل من أخطأ يُنابذ ويُبتعد عنه؛ لما سلم أحد من ذلك، وكلُّ الناس سيُتْرَكُون!! أو لا يسلم من الترك إلا من شاء الله عَزَّوَجَلَّ، فمن ذا الذي يسلم من الخطأ؟!

وإنَّما العالم إذا حصل منه خطأ؛ فإنه يُقبل ما عنده من الحقِّ، ويحذر ما عنده من الخطأ، ولا يُنابذ ويترك ما عنده من العلم؛ فإنَّ مِن العلماء مَن ابْتُلوا ببعض مشايخهم؛ فتأثروا بما عندهم من الانحراف في العقيدة، ومع ذلك فهم علماء ومحدِّثون، ولهم مؤلفات واسعة، والناس لا يستغنون عن علمهم وعن حديثهم، فلو كان كلُّ مَن حصل منه خطأ يُترك ويترك ما عنده؛ لتركت هذه المجلدات الكثيرة التي أَلَّفها بعض أهل العلم من المحدثين، الذين حصل منهم شيء من الأخطاء في العقيدة، مثل ما حصل للإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]؛ فإن له كلامًا في العقيدة في بعض الجوانب لم يُصِبْ فيه،

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي الخُسْرُوجِرْدي الشافعي الحافظ، كان زاهدًا ورعًا قانعًا باليسير، مجدِّد مذهب الشافعي، له تصانيف منها: السنن، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، ولد سنة ٣٨٤، في خُسْرُوجِرْد إحدىٰ قرىٰ بيهق، بنيسابور، وتوفي بنيسابور سنة =

قيل: إن السبب في ذلك هو تأثره ببعض مشايخه[١]. والإمام البيهقي محدِّث وإمام كبير، وله كتاب «السنن الكبرىٰ»[٢] في مجلدات كثيرة، والناس يرجعون إليه وإلىٰ علمه. فلو كان كل من حصل منه خطأ يُترك من أجل ذلك؛ فلن يسلم أحد من أن يترك.

وإنما الذي يُنابَذ هو المبتدِعُ الذي يدعو إلىٰ بدعة، وأما مَنْ كان مِنْ أهل السُّنَّة وخدم السنَّة، واجتهد في نفع الناس، ثم حصل منه خطأ؛ فإنه لا يُترك، ولا تترك جهوده، ولا يحذَّر منه، وإنما يحذر من خطئه وزلته، ولكن

٤٥٨، ونقل جثمانه إلىٰ بلده. [انظر: السير (١٣/ ٣٦٣)، ووفيات الأعيان (١/ ٧٦)، وطبقات الشافعية (٤/ ٨)].

(١) من أبرز شيوخ البيهقي الذين تأثَّر بهم من الناحية العقدية: أبو بكر بن فورك (ت: ٤٠٦)، وأبو عبد الله الحليمي (ت: ٤٠٣)، وهما من كبار المتكلمين الأشاعرة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤) و(١٣/ ٣٥)، والبيهقي وموقفه من الإلهيات لأحمد بن عطية الغامدي (٥٧ – ٦١).

(٢) قال الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨) في السير (١٣/ ٣٦٤) في ترجمة البيهقي: «عمل السنن الكبير في عشرة مُجَلَّدَات، لَيسَ لأَحدٍ مِثْلُهُ»، وقال في (١٣/ ٣٧٨) في ترجمة ابن حزم (ت: ٤٥٦): «قَالَ الشَّيْخُ عزّ الدِّينِ بنُ عَبْدِ السَّلَام – وَكَانَ أَحَدَ المُجْتَهِدين –: مَا رَأَيْتُ فِي كُتُبِ الإِسْلَام فِي العِلْمِ مِثْل «المحلَّىٰ» لابْنِ حَزْم، وَكِتَاب «المُغْنِي» لِلشَّيْخِ مُوَفَّق الدِّينِ. قُلْتُ: لَقَدْ صَدَقَ الشَّيْخُ عزّ الدِّينِ. وَثَالِثُهُمَا: «السُّنَن الكَبِير» لِلبيهقِي، وَرَابعهَا: «التّمهيد» لابْنِ عبدِ البَر، فَمَنْ حصَّل هَذِهِ الدَّوَاوِين، وَكَانَ مِنْ أَذكيَاء الْمُفْتِينَ وَأَدمنَ المُطَالعَة فِيهَا؛ فَهُوَ العَالِم حَقًّا». والكتاب مطبوع في عشرة مجلدات.

يُنتفَع بعلمه، ويُدعَىٰ له، ويُحرص علىٰ الاستفادة من علمه.

وقولُ معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ**»؛ يدل علىٰ وجوب إقامة الحجة علىٰ المخالف، وعدم منابذته ابتداءً.

والقيد في قوله: «**إِذَا سَمِعْتَهُ**» معتبر؛ فالحق لا يُبحث عنه عند المبتدع أو المنافق، لكنه إذا بلغه شيء عن مثل هؤلاء وكان كلامًا حقًّا؛ فإنه يُقبل؛ فالحق ضالة المؤمن، لكنه لا يُبحث عنه في غير مظنَّته؛ فالحق يُبحث عنه في مظانِّه، لكنه إذا وُجِد في غير مظنته؛ فإنه لا يُترك ولا يرد؛ بل يُقبل، ويقال: هذا كلامٌ حقٌّ. والواجب علىٰ صاحبه أن يُضيف إليه الأمور الأخرىٰ التي تركها من الحق وأُنْكِرَ عليه فيها؛ حتىٰ يكون كلامه كلُّه حقًّا.

قَوْلُهُ: (**وَقَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، فِي هَذَا: «الْمُشَبَّهَاتِ»، مَكَانَ «الْمُشْتَهِرَاتِ»**)، أي: أن صالح بن كيسان عبَّر بقوله: «**الْمُشَبَّهَاتِ**»، وكل منهما صحيح، فـ«الْمُشْتَهِرَاتِ» لأنها اشتهرت بغرابتها، و«الْمُشَبَّهَاتِ» لأنَّ فيها شبهةً، كما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ؛ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيه**»، الحديث[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٠٧/ ١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَوْلُهُ: (وَقَالَ: «لَا يُثْنِيَنَّكَ»؛ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ) أي: في الرواية التي ساقها المصنف، ولم يقل: «يُنْئِيَنَّكَ»؛ كما قال معمر.

قَوْلُهُ: (وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: «بَلَىٰ! مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ حَتَّىٰ تَقُولَ: مَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ؟!»)؛ يعني: لأنه كلام مشتبه غير واضح؛ فتستغربه وتقول: ما المراد بهذا؟!

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدَّثنا يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الهمداني**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدّثنا الليث**)؛ هو الليث بن سعد المصري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عُقيل**)؛ هو عُقيل بن خالد بن عَقيل، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن شهاب**)؛ قد مر ذكره.

قَوْلُهُ: (**أن أبا إدريس الخولاني عائذ الله**)؛ أبو أدريس الخولاني اسمه: عائذ الله، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أن يزيد بن عميرة**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**معاذ بن جبل**)؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه

أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قال أبو داود: **(قال معمر)**؛ هو معمر بن راشد الأزدي البصري ثم اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(وقال صالح بن كيسان)**؛ هو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(وقال ابن إسحاق)**؛ هو محمد بن إسحاق المدني، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

❋ ❋ ❋

الأسئلة

السؤال: من ابتدع بدعة وسار الناس عليها، ثم تاب هذا المبتدع، ولكن الناس ما زالوا سائرين على منهجه، فهل يقال: إنَّ عليه آثام من تبعه، مثل أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

الجواب: لا يقال؛ لأنه إذا تاب من بدعته فقد سلم من مغبتها، فلا يصل إليه إثم العاملين بها؛ لأنه تاب من ذلك الشيء الذي دعاهم إليه.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يدل أثر معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على جواز طلب العلم عند أهل البدع إذا علمت بدعتهم؟ وكثير من طلاب العلم يقولون: إنَّ الحقَّ يؤخذ من كل أحد حتى من المبتدع، فيجوز القراءة في كتب أهل البدع، والاستماع لأشرطتهم، لما فيها من الحق.

الجواب: لا يجوز القراءة في كتب أهل البدع، ولا الاستماع إلى أشرطتهم، إلا لبيان ما عندهم من الضلال؛ حتى يُحْذر ذلك؛ فعلى المسلم أن يجتنب ما فيه ضرر وأن يشتغل بشيء لا يكون مظنة للضرر، بل يكون مأمون الجانب؛ فالإنسان يمكنه أن يستمع من الأشرطة، وأن يقرأ من الكتب الشيء الكثير لمن هم على عقيدة صحيحة ومنهج صحيح، ويترك

الذين عندهم اشتباه، أو عندهم انحرافات وأخطاء وزلَّات، ولا يقول: أنا آخذ وأترك. بل عليه بمن يُؤخذ كلامُه كلُّه لا يُترك منه شيء؛ فعمرك لا يتسع لأن تقرأ كل شيء، وأن تستمع لكل شيء، فما دام أن الأمر كذلك؛ فاشغل وقتك في الأمور التي فيها السلامة محقَّقةٌ. وقد يستمع الإنسان لبعض الكلام في الأشرطة، أو يقرأ بعض الكتب؛ فيكون ذلك سببًا في تضرره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ (ح) وحَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُؤَذِّنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ دُلَيْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يُحَدِّثُنَا عَنِ النَّضْرِ (ح) وحَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ قَبِيصَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، عَنْ أَبِي الصَّلْتِ - وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِ ابْنِ كَثِيرٍ وَمَعْنَاهُمْ -؛ قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ، فَكَتَبَ: «أَمَّا بَعْدُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ، وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ اللهِ - عِصْمَةٌ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَىٰ قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا - وَلَمْ يَقُلِ ابْنُ كَثِيرٍ: مَنْ قَدْ عَلِمَ - مِنَ الْخَطَأِ

وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ؛ فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَىٰ، وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَىٰ، فَإِنْ كَانَ الْهُدَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ! وَلَئِنْ قُلْتُمْ: إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ. فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ؛ فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي؛ فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ، وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ، وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ. كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ؛ فَعَلَىٰ الْخَبِيرِ - بِإِذْنِ اللهِ - وَقَعْتَ، مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ، وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ، لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ؛ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهِمْ وَفِي شِعْرِهِمْ، يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ، وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ؛ فَتَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ، وَتَضْعِيفًا لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ، وَلَمْ يُحْصِهِ كِتَابُهُ، وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدَرُهُ، وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ؛ مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ، وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ: لِمَ أَنْزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا! لِمَ قَالَ كَذَا! لَقَدْ قَرَءُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ: كُلِّهِ: بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ، وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ، وَمَا يُقَدَّرْ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ

لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا»[(١)].

الشَّرح

هذا الأثر الطويل هو عن تابعي، وهو عمر بن عبد العزيز الخليفة الإمام المشهور، الذي كان علىٰ رأس المائة، ولي الخلافة لمدة سنتين، وتوفي وعمره أربعون سنة - رحمة الله عليه -، وكان إمامًا فقيهًا مُحدِّثًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. وقد جاءت عنه نقول كثيرة في بيان السنَّة، وفي التحذير من البدع والأهواء، وكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ دُرَرٌ - وهكذا الحقُّ؛ فمن وفقه الله أن يكون علىٰ طريق الحق والهدىٰ، فإنه يخرج منه درر -، ومن ذلك هذا الأثر الطويل الذي ساقه المصنِّف هنا.

❁ **[موافقة عقيدة السلف الصالح للفطرة السليمة]:**

وقد جاء عنه - كما في «طبقات ابن سعد»[(٢)] - أثر آخر مشهور: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الأَهْوَاءِ؛ فَقَالَ: (الْزَمْ دِينَ الصَّبِيِّ فِي الْكُتَّابِ وَالأَعْرَابِيِّ، وَالْهُ عَمَّا سِوَىٰ ذَلِكَ)[(٣)]؛ أي: خذ بما بقي علىٰ الفطرة، وهو

---

(١) صحيح مقطوع: أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٩٣٠)، وابن بطة في الإبانة (٤/ ٢٣١)، والفِرْيابي في القدر (٤٤٦)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح مقطوع.

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لمحمد بن سعد كاتب الواقدي (ت: ٢٣٠)، طُبع في ثمانية أجزاء.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٩٠)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٣٤)، واللالكائي في شرح السنة (١/ ١٥٣).

الذي عليه العوام والصبيان والأعراب الذين لم تتلوث أفكارهم بشيء من الأهواء، ولا تصر إلىٰ شيء يخالفه؛ فهم ما زالوا علىٰ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كشأن الجارية التي سألها رسول الله ﷺ فقال لها: «أين الله؟» فأشارت إلىٰ السماء، وسألها عن نفسه؛ فأشارت إلىٰ أنه رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -[1]. فعقيدة أهل السنة والجماعة مطابقة للفطرة، وعقائد المتكلمين خارجة عن الفطرة؛ ولهذا فإنَّ العوام علىٰ عقيدة سليمة، وأمَّا الذين تعلَّموا في المؤسسات العلمية التي تنهج مناهج مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة؛ فقد انحرفوا عن الجَادَّة بسبب ذلك.

وهذا الذي قاله عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاء نحوه عن بعض المتكلمين الذين ابتلوا بعلم الكلام، ومنهم الرازي[2]؛ فإنه كان من المتبحِّرين في علم الكلام، وقد نقل الحافظ ابن حجر في ترجمة الرازي في

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٣/ ٥٣٧)، عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، فخر الدين البكري - من ذرية أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الشافعي المفسِّر المتكلم، ويعرف بابن خطيب الريِّ، له تصانيف كثيرة؛ منها: التفسير وهو «مفاتيح الغيب»، والمحصول، ومعالم أصول الدين، ولد سنة ٥٤٤، ومات بهراة سنة ٦٠٦. [انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢)، وطبقات السبكي (١/ ١١٥)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص١١٥)].

«لسان الميزان» نقلًا عن ابن الرسب في تاريخه أنه قال عنه: «كان مع تبحره في الأصول يقول: **من التزم دين العجائز فهو الفائز**»[1]، يعني: علىٰ الفطرة.

وكثير من المتكلمين – الذين ابتلوا بعلم الكلام – ندموا علىٰ ذلك، وأظهروا الحيرة، وفيهم من ذمَّ علم الكلام؛ كما حصل من الغزالي[2] في كتابه: «الإحياء»[3]، ونقله عنه شارح الطحاوية[4] وقال بعده: (كلامُ مثله في ذلك

(١) (٤/ ٤٢٧)، وقال الذهبي في السير (١٦/ ٥٢): «وَقَدِ اعترَفَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ حَيْثُ يَقُولُ: (لقد تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلَامِيَّةَ، وَالمنَاهجَ الفلسفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تشفِي عليلًا، وَلَا تروِي غليلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طرِيقَةَ القُرْآنِ)».

(٢) أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، زين الدين الطوسي، الفقيه المتكلم الصوفي، المتوفىٰ سنة ٥٠٥، من مصنفاته: إحياء علوم الدين، والمستصفىٰ في أصول الفقه، وتهافت الفلاسفة، وغيرها. [انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٤/ ٢١٦)، والسير (١٤/ ٢٦٧)].

(٣) من أشهر كتب الغزالي، وهو مطبوع في أربعة مجلدات، وعليه ملاحظات؛ قال الذهبي في السير (١٤/ ٢٧٦): «أما «الإحياء» ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية»، وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في: مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٥٥١).

(٤) هو ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي بن محمد علاء الدين الدمشقيّ، الفقيه، شارح الطحاوية، قاضي قضاة دمشق والديار المصرية، ولد ٧٣١هـ، وتوفي ٧٩٢ هـ. انظر الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٣)، ومعجم المؤلفين (٧/ ١٥٦).

حجة بالغة)(١)؛ لأنه تكلم فيه عن علم، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وقد ذمه ذمًّا بليغًا وعظيمًا، وهو ممن تبحَّر في علم الكلام؛ فقد ذمّهُ عن علم(٢).

فعقيدة العوام والأعراب والصبيان عقيدةٌ مبنيَّة على الفطرة، فلم تتلوث بأفكارٍ خارجة عن الفطرة جاءت نتيجةً للتعلُّمِ، أو بسبب الأخذِ عن أهل البدع والأهواء.

۞ الرجوع إلى أهل العلم في مسائل الدين:

وقد أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأثر الطويل عن عمر بن عبد العزيز، وقد كتب إليه رجل يسأله عن القدر؛ قال: (كَتَبَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ)؛ وهذا فيه الرجوع إلىٰ أهل العلم، وسؤالهم عن أمور الدين، سواء كان ذلك في الأصول أو الفروع.

فأجابه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بكتاب فيه هذا الجواب الواسع، وقد أوضح وبين فيه ما يتعلَّق بهذا الموضوع الذي سأل عنه، وزاده تثبيتًا وإيضاحًا بقوله: (عَلَىٰ الْخَبِيرِ وَقَعْتَ)(٣) أي: أنك سألت من عنده علم بهذا الذي سألت

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٩٤، وما بعدها)، وشرح الطحاوية (ص ٧٢ - ٧٤).

(٢) قال في شرح الطحاوية (ص ١٧٧): (الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتهىٰ آخر أمره إلىٰ الوقف والحيرة في المسائل الكلاميَّة، ثم أَعْرَض عن تلك الطرق وأقبل علىٰ أحاديث الرسول ﷺ، فمات والبخاري علىٰ صدره).

(٣) مثل سائر في العرب يُضرَب للعالم بالشيء الخبير به. انظر: الأمثال لابن سلام (ص ٢٠٦)، =

عنه؛ ليطمئن إلىٰ الجواب، وليكون علىٰ هذا النهج والطريق الصحيح الذي كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة، ومن سار علىٰ منوالهم.

وأتىٰ قبل الإجابة علىٰ السؤال بتمهيد؛ بيَّن فيه أمورًا عامة تتعلق بالعقيدة، وبيَّن المسلك الذي ينبغي علىٰ الإنسان أن يسلكه.

فأوصاه في البداية بأربع جمل:

❁ [الوصية بتقوى الله تعالى، ومعنى التقوى]:

فأوصاه أوَّلًا: بتقوىٰ الله؛ قال: «أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ»:

وتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: هي وصية الله للأولين والآخرين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: هي سبب كل خير وصلاح وفلاح وسعادة في الدنيا والآخرة، وهي: **أن يجعل الإنسان بينه وبين غضب الله وقايةً تقيه منه؛ وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق الأخبار التي جاءت عنه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ**؛ هذا هو المعنىٰ الشرعي للتقوىٰ.

وأما المعنىٰ اللغوي للتقوىٰ: فهو أن يجعل الإنسان بينه وبين الشيء الذي يخافه وقايةً تقيه منه، وهذا المعنىٰ أعم من المعنىٰ الشرعي.

والمعاني الشرعية في الغالب هي جزء من المعاني اللغوية؛ فتجد المعنىٰ

وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٢/ ٤٦).

اللغوي عامًّا والمعنىٰ الشرعي خاصًّا، فيكون جزءًا من أجزائه؛ وذلك مثل (الحجّ)؛ فإنه في اللغة: القصد. **وفي الاصطلاح:** قصدٌ خاصٌّ؛ وهو: قصد مكة لأداء مناسك مخصوصة، فهو إذًا جزء من جزئيات المعنىٰ اللغوي الذي هو القصد العامُّ.

وكذلك **(العمرة)؛ فهي لغةً:** الزيارة، وهذا معنًىٰ عام. **وفي الشرع:** زيارة البيت للطواف به، والسعي بين الصفا والمروة.

وهكذا **(الصوم)؛ فهو لغةً:** الإمساك؛ فيشمل الإمساك عن الكلام، والإمساك عن الأكل والشرب، فكل ذلك يقال له: صومٌ؛ في اللغة. **وأما في الشرع:** فهو إمساك مخصوص، أي: الإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفطرات من طلوع الشمس إلىٰ غروبها.

وعلىٰ هذا؛ فإن التقوىٰ معناها اللغوي: أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يخافه – مطلقًا – وقايةً تقيه منه؛ فإنه إذا خاف التأثر من الرمضاء والشوك والحجارة يجعل وقاية بلبس النعال والخفاف، وكذلك إذا تأذىٰ من البرد فإنه يلبس الألبسة الثقيلة التي تقيه شدَّة البرد... وهكذا.

وأما في الشرع – فكما ذكرنا سابقًا –: أن يجعل الإنسان بينه وبين غضب الله وقاية. فهو شيء مخصوص من عموم ما يُتَّقىٰ.

والوصية بتقوىٰ الله هي وصية رسول الله ﷺ التي كان يُوصِي بها كثيرًا، فكان «إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَىٰ جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ؛ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ،

وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا»(١)، كما جاء في حديث بريدة بن الحصيب(٢) الطويل الذي اشتمل علىٰ وصايا عديدة تتعلق بالجهاد والغزو في سبيل الله(٣). وكذلك قوله ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(٤).

(١) صحيح: أخرجه مسلم، رقم (٣/ ١٧٣١).

(٢) هو بُرَيْدَةُ بن الْحُصَيْبِ أبو عبد الله الأسلمي، أسلم عام الهجرة، وغزا مع النبي ﷺ ست عشرة غزوة، وأخباره كثيرة ومناقبه مشهورة. [انظر ترجمته في: الإصابة (١/ ٤١٨)، والسير (٤/ ٩١)].

(٣) وتمام الحديث: ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ: خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ؛ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا».

(٤) حسن: أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد =

وتقوىٰ الله جامعة لكلِّ خير؛ فهي تشتمل علىٰ فعل المأمورات، وترك المحذورات.

❁ [الاقتصاد في العبادة]:

الوصية الثانية: ثم أوصاه بعد ذلك بالاقتصاد فقال: «وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ»: يعني: فيما يأمر الله تعالىٰ به.

والاقتصاد: هو التوسط والاعتدال في الأمور؛ لا إفراط ولا تفريط، لا غلو ولا جفاء، لا يبالغ ولا يهمل، وإنما يكون معتدلًا متوسطًا؛ ولهذا جاء في الحديث: «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَىٰ اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ قَلَّ»[1]؛ فالعمل الكثير الذي يؤدي إلىٰ الفتور والملل؛ مذموم، والإهمال وعدم الإتيان بالأمور علىٰ وجهها؛ مذموم، وإنما الذي ينبغي هو التوسط؛ فالإنسان يقتصد بأن يأتي بشيء يستطيع أداءه مع المداومة والاستمرار، ولا يشدد ولا يقصِّر. ولهذا قال ابنُ مَسْعُود: (اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ)[2]، أي: كون المرء يؤدي سُنَّةً ليس مجتهدًا فيها مكثرًا منها؛ خير من اجتهاد في بدعة وتوسع فيها؛ فالقليل والكثير في البدعة كلٌّ لا يجوز.

(٥/ ٢٣٦) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٧).

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٥/ ٧٨٢)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٠٧)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٥٨)، والمروزي في السنّة (رقم ٨٩).

فعلىٰ المرء أن يأتي بالأشياء المشروعة؛ فيأتي بما هو واجب، ويحرص علىٰ أن يأتي بالأمور المستحبة، ويداوم علىٰ ذلك وإن كان قليلًا؛ من غير أن يكون مهملًا، وكذا من غير أن يكون متوسعًا فيها بحيث يحصل له الملل والترك؛ فيكون مجتهدًا في العبادة في بعض الأوقات ثم يفتر.

وكما يقولون: (**قليلٌ تداوم عليه خير من كثير تنقطع عنه**)؛ وذلك أن الإنسان إذا داوم علىٰ الشيء - ولو كان قليلًا - كان دائم الصلة بالله، وذلك بالإتيان بالعبادة الواجبة، والتقرب إلىٰ الله بالنوافل ولو كانت قليلة، وإذا داوم علىٰ ذلك؛ فإنه في أي وقت يأتيه الموت يكون علىٰ حالة طيبة، وأما إذا كان يجتهد في بعض الأحيان ثم يهمل؛ فقد يأتيه الموت في حال الإهمال، ولهذا لما قيل لبشر الحافي(١): إنَّ قومًا يتعبدون في رمضان ويجتهدون في الأعمال، فإذا انسلخ تركوا؛ قال: **بِئْسَ القَوم قوم لا يعْرِفون اللهَ إلَّا في رمضان!**(٢).

❁ **[اتباع سنة النبي ﷺ وترك البدع والمحدثات]:**

الوصيَّة الثالثة: أَوْصاه باتِّباع السنَّة، والالتزام بمَا جاء عَنِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ؛

---

(١) بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن، أبو نصر المروزي، المعروف بالحافي، أحد الزهاد الثقات، ولد سنة ١٥٠، وتوفي سنة ٢٢٧. [انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٢٧٤)، وصفة الصفوة (١/ ٢٧٤)، وتهذيب التهذيب (١/ ٤٤٤)].

(٢) مفتاح الأفكار للتأهُّب لدار القرار، لعبد العزيز بن محمد السلمان (٢/ ٢٨٣).

فقال: (وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ):

ومعْلوم أنَّ سنَّة الرسول ﷺ بالمعنىٰ العام - كما مرَّ في أول «كتاب السنَّة»(١) -: هِيَ كل ما جاء عن النبي ﷺ من الكتاب والسنَّة، وهي تدخل تحْت قولِهِ ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢)، فسنَّتُه هنَا: ما جاء به من الْكِتابِ والسُّنَّة.

والتزام سنَّتِهِ يكُون باتّباع كلِّ ما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الوحْي كتابًا وسنَّةً، فمن فعل ذلك؛ كان متَّبعًا سائرًا علىٰ منهاج النُّبوَّة، سالكًا طريقة الرسول الكريم ﷺ.

ومعنىٰ (اتباع السنة): أن يعرف السنة ويعمل بها، فيكون متبعًا لا مبتدعًا.

الوصية الرابعة: **وهي النهي عن اتباع المحدثات؛ قال: (وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ)**:

وهي تقابل اتباع السنة.

فعلىٰ المسلم أن يترك ما أحدثه الناس في دين الله، وليكن متبعًا للسنة تاركًا للبدعة.

وهاتان الوصيتان قد جاءتا في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، ثم أرشد

---

(١) انظر: ص (٢٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (٥/ ١٤٠١)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلىٰ اتباع السنَّةِ بقولِهِ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١)؛ فَأَمَرَ باتِّباع السنَّة، وحذَّر من الوقوع في البدعة، ففيهما ترغيب في السنن، وتحذير من البدع؛ فقوله: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» ترغيبٌ، وقوله: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» ترهيبٌ، وقدْ مَرَّ حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قريبًا في الباب الذي قبل هذا(٢).

قَوْلُهُ: (وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ، وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ)؛ أي: بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ الحق والهدىٰ علىٰ رسوله ﷺ، وكان علىٰ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فالواجب أن يُسارَ علىٰ منوالهم، وأن يُسلك مسلكُهم، ولا يُخرَج عن هذا الطريق المستقيم الذي جاء في الوحي - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ -، فقد **كُفُوا** تلك الأمور المحدثة بما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ من الوحي، وبما جاء به رسول الله ﷺ من السنن.

فبعد أن جاءت الشريعة واكتملت، وثبتتِ السنَّة واستقرَّتْ، فلا يُضاف إليها شيء، ويُترك ما أحدث الناس وراء ذلك؛ فهو من البدع ومحدثات الأمور؛ لأنها شريعة كاملة لا تحتاج إلىٰ إضافات؛ فهي في غاية التمام

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) انظر: ص (٨٥).

والكمال، وكل ما يحتاج إليه الناس في أمور دينهم قد بيَّنه الرسول ﷺ، فالواجب هو الاتِّباع وترك الابْتداع.

۞ ومن مضار الابتداع:

- أن إضافة شيءٍ إلىٰ شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، وإلحاقه وإلصاقه بها وهو لم يشرعه الله؛ هذا من الإحداث في دين الله ما لم يأذن به الله.

- وهو اتهامٌ للشريعة بالنقصان، وأنَّها تحتاج إلىٰ تكميل.

وقد جاء عن مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر عظيم، ذكره الشاطبيُّ[1] في كتاب «الاعتصام»[2]؛ قال[3]: «مَنْ أَحْدَثَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سَلَفُهَا؛ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]. فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا؛ فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا»، يعني: أن ما لم يكن دينًا في زمن رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فإنه لا يكون دينًا بعد ذلك، ومعنىٰ ذلك: أن

(١) إبراهيم بن موسىٰ اللخمي الغرناطي المالكي، أبو إسحاق الشاطبي، أصولي، محدِّث، له: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، وغيرها، توفي سنة ٧٩٠. [انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (١/ ٧٥)، وفهرس الفهارس (١/ ١٩١)].

(٢) مطبوع في مجلد واحد، جعله مؤلفه في بَيَانِ الْبِدَعِ وَأَحْكَامِهَا، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْمَسَائِلِ أُصُولًا وَفُرُوعًا.

(٣) (ص ٤٩٤، و٥٣٥).

الإنسان عندما يأتي بشيءٍ لم يشرعه الله تعالىٰ، فيضيفه إلىٰ الشريعة؛ فكأنه يزعم بلسان حاله أن الشريعة ناقصة تحتاج إلىٰ تكميل، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ الرسالة كاملة. والحقُّ أن الرسول ﷺ لم يمت إلا وقد بَلَّغ كلَّ شيءٍ أُمر بتبليغه، وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه» أثرًا عن الزهري؛ أنه قال: «من الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»[1].

قال: «من الله الرسالة»؛ فقد حصل ذلك، وقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.

قال: «وعلىٰ الرسول البلاغ»؛ وقد حصل ذلك أيضًا علىٰ التمام والكمال.

قال: «وعلينا التسليم»؛ وهنا ينقسم الناس إلىٰ موفق ومخذول، فمنهم من يسلِّم فيَسْلَم، ومنهم من لا يحصل منه التسليم فيحصل له الانحراف والإعراض عن الجَادَّة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه.

فالحاصل: أن الشريعة قد استقرت، وليس هناك شيءٌ يُضاف إليها بعدما أكملها الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ - مشيرًا إلىٰ مذهب الجهميَّة الذي أحدثه الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَم[2] -: (لَوْ كَانَ مَا يَقُولُ الْجَعْدُ

(١) أخرجه البخاري تعليقًا (٩/ ١٥٤).

(٢) مبتدع، من رؤوس الضلال، قتله خالد بن عبد الله القسري صبرًا في حدود سنة عشرين ومائة، ثم أخذ عنه جهم بن صفوان مقالته. [انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥١)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩)، والوافي بالوفيات (١١/ ٦٧)].

حَقًّا؛ لَبَلَّغَهُ النَّبِيُّ ﷺ)[١]؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ فالله تعالىٰ أمره بالتبليغ، فكيف يكون حقًّا ولم يبلغه الرسول ﷺ؟! إذًا فهو باطل، وهو من محدثات الأمور، وهو داخل تحت قوله ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»[٢]، وليس هذا من سنته، وإنما هو خارج عن سنته؛ فالنبيُّ ﷺ لم يترُكْ شيئًا يقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلا دَلَّ عليه، ولم يترك شيئًا يباعد من الله عَزَّوَجَلَّ إلا حذَّر منه - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -[٣].

فكل ما أُحدث بعدما مضت السنَّة وكُفِيَ الناس مؤنته، بما جاء من الشريعة الكاملة التي بلَّغها رسول الله ﷺ علىٰ التمام والكمال، والتي أخبر الله بتمامها وإكمالها؛ فقد أكمل الله تعالىٰ الدين وأتمَّ النعمة[٤]؛ كل ما

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٠٥).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) كما روىٰ الطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥، رقم ١٦٤٧)؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: تَرَكْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا. قَالَ: فَقَالَ ﷺ: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ؛ إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ». وصححه الألباني في الصحيحة، رقم (١٨٠٣).

(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

أُحدث بعد ذلك فإنه مردود علىٰ صاحبه؛ كما جاء في الحديث المتفق علىٰ صحته عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا - وقد مرَّ قريبًا -: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ؛ فَهُوَ رَدٌّ»[1].

وقد عرفنا أن العمل المقبول عند الله تعالىٰ الذي ينفع صاحبه؛ لابد أن يتوفَّر فيه أمران:

الأول: أن يكون خالصًا لوجه الله.

والثاني: أن يكون مطابقًا لسنة رسول الله ﷺ.

فإذا اختلَّ أحد هذين الشرطين؛ فإن العمل يكون مردودًا علىٰ صاحبه؛ فالعمل المبتدع المخالف للسنة مردودٌ علىٰ صاحبه، ولا ينفعه عند الله.

فهذه هي الوصايا الأربع النفيسة التي افتتح بها عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ إجابته لهذا الرجل الذي سأله عن القدر، ومَهَّدَ له بهذا التمهيد، وأتىٰ بهذه الأمور العامة التي عليه أن يأخذ ويتقيد بها؛ لأنها مدخل للقدر وغيره؛ فكل الأمور لابد أن تَنْبَنِي علىٰ السنَّة، وأن يُجتنب ما أحدث المحدثون، وابتدعه المبتدعون.

❁ [التمسك بالسنَّة عصمة من الزيغ والضلال]:

قَوْلُهُ: (فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ)؛ أي: اتَّبع السنن، واحذر البدع، واسلك

(١) متفق عليه: تقدَّم تخريجه.

المسلك القويم، وسِرْ علىٰ الصراط المستقيم الذي جاء به الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو الذي كان عليه أصحابه الكرام - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -؛ فإنهم الحريصون السبَّاقون إلىٰ كل خير. ولتحذرْ من الأهواء والبدع التي أُحدثت بعدهم المخالفة ما كانوا عليه؛ فإنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يقال: إنَّ شيئًا من الأهواء والبدع المحدثة التي جاءت بعد الصحابة أو في زمنهم، ولم يكونوا عليها؛ لا يمكن أن يقال: إنها حقٌّ. بل هي باطل، والحق هو ما كان عليه أصحاب رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، ولو كانت تلك الأهواء التي ابتدعها من ابتدعها حقًّا؛ لبلَّغها الرسول ﷺ؛ كما قال الحسن البصري(١)، ولو كانت حقًّا لسبق إليها السابقون من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أحسنوا في أعمالهم، وتقيدوا بسنة الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -(٢)، لكن سَلِمَ من تلك الأهواء أصحاب رسول الله ﷺ، وَابتُلِيَ بها مَن بعدهم، فلا يمكن أن يقال بحال من الأحوال: إنه حقٌّ حُجب عن الصحابة وحِيل

---

(١) تقدَّم قريبًا.

(٢) قال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤) عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]: وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ: هُوَ بِدْعَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ؛ لأَنَّهمْ لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا». [تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧٨، ٢٧٩)].

بينهم وبينه، وادُّخر لأناس يجيئون بعدهم. فهذا لا يصحُّ أن يقال، ولا يَصِحُّ أن يُفَكَّر فيه؛ بل ما أَحدث المحدثون فهو باطل وضلال؛ كما قال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

قَوْلُهُ: (فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ اللهِ - عِصْمَةٌ)؛ أي: عصمة من الزلل، وعصمة من الضلال؛ لأنها حقٌّ جاء من عند الله الحكيم العليم، وهو سبحانه بكل شيء عليم، ولم تأتِ من عند البشر. فالواجب اتباع السنن التي أنزلها الله وحيًا على رسوله الكريم ﷺ، فإن العصمة فيها؛ لأن العصمة إنما تكون فيما جاء عن المعصوم ﷺ، وليست في كلام غير المعصوم، فغيره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يخطئ ويصيب، وأما هو فمعصوم فيما يبلغ عن الله، وكل ما يأتي به فهو حقٌّ، ومن أخذ به أخذ بما فيه من العصمة، ومن حاد عنه وقع في الأمور المنكرة المحدثة.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَىٰ قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا)؛ أي: قد مضىٰ في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما يُبيِّن أنها ليست حقًّا - أي هذه البدعة -؛ لأنها مخالفة لما جاء في الكتاب والسنَّة، فكون الكتاب العزيز والسنة المطهرة ليس فيهما شيء من هذه

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٧/٤٣) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتقدَّم مثله عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

البدع؛ معنىٰ ذلك أنها محدثة، ليس لها أصل في الدين؛ فالدين قد كَمُل والشريعة استقرَّتْ.

فما أحدث الناس بدعة إلا وقد مضىٰ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسول الله ﷺ ما يدلُّ علىٰ أنها محدثة ومبتدعة، وخارجة عن الجادة، وليست علىٰ الصراط المستقيم الذي جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

❁ صلاة التراويح أصلها في سنة الرسول ﷺ:

ولهذا فإن الرسول الكريم ﷺ صَلَّىٰ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَصَلَّىٰ بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّىٰ مِنَ القَابِلَةِ، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «**قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ**» وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ[1]. فِفِعْلُ الرسول ﷺ إياه دلَّ علىٰ أنه مشروع ومستحب، وإنَّما تركه خشيةَ أنْ يُفرض؛ لأن زمنه ﷺ زمن تشريع. ولما توفي رسول الله ﷺ، واستقرت الشريعة، وانقطع الوحي، وليس هناك مجال لفرض شيء؛ عند ذلك جمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس إلىٰ قيام الليل

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٩٢٤)، ومسلم (١٧٧/ ٧٦١)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وصلاة التراويح في رمضان[١]، فالذي خشي منه الرسول ﷺ هو أن يفرض عليهم، أما وقد استقرت الشريعة؛ فليس هناك تشريع بعد وفاة الرسول ﷺ، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعاد الناس إلىٰ ما كانوا عليه في زمن النبي ﷺ.

❁ **محاسن السنَّة ومساوئ البدع:**

قَوْلُهُ: (فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا - وَلَمْ يَقُلِ ابْنُ كَثِيرٍ: مَنْ قَدْ عَلِمَ - مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ)؛ السنة إنما جاءت من عند الله، فهو الذي سنَّها وشرعها وأوحاها إلىٰ رسوله ﷺ، فهو تعالىٰ يعلم ما في خلافها - ممَّا يحدثه الناس - من الخطأ، وما في خلافها من الضلال، والخطأ والزلل والحمق والتكلف والضرر؛ وقد قال ﷺ: «**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٢]. وعلىٰ هذا؛ فَالسُّنَّة سالمة منْ ذلك، فيكون فيها العصمة؛ كما مرَّ في قول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠١٠)؛ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ القَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَىٰ المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ؛ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: (إِنِّي أَرَىٰ لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ قَارِئٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ أَمْثَلَ)، ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَىٰ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: (نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ)؛ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

«عَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ اللهِ - عِصْمَةٌ».

وهذا فيه بيان عظم شأن الشريعة وشأن السنن، وأنَّها من عند الله، وأن الذي شرعها هو بكل شيء عليم، ويعلم ما في خلافها من الضرر، وما فيها من الخير؛ ولهذا فإن لزومها فيه السعادة والسلامة، والخروج عنها إلىٰ محدثات الأمور، وإلىٰ البدع المحدثة؛ فيه الصفات الذميمة التي أشار إلىٰ شيءٍ منها في قوله: «مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ»؛ أي: التكلف.

❁ [الرضا بما كان عليه السلف الأولون]:

قَوْلُهُ: (فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ)؛ (الْقَوْمُ): هم الصحابة؛ فلا تشذَّ عنهم، ولا تخرج عن طريقهم، ولا تتصور أن ما أنت عليه من الباطل حقٌّ ظفرت به دونهم، وأنه حُجب عن أصحاب رسول الله ﷺ فلم يظفروا به، **فمعاذ الله أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ قد حيل بينهم وبين الحق، وأن يكون قد ادُّخر لأناس يجيئون من بعدهم**؛ ولهذا فإن الخير كل الخير، والسعادة كل السعادة؛ في اتباع ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -، وأما ما أُحدِث بعدهم فهو من البدع التي حذَّر منها رسول الله ﷺ بقوله: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**»[1]، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَارْضَ

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ»؛ أي: يكفيك ما كفىٰ الصحابة، فلا تخرج عن طريقهم، وتزعم أنَّك ظفرت بما لم يظفروا به!! بل الذي كانوا عليه هو الحق والهدىٰ، وما أنت عليه من مخالفة طريقهم هو الضلال، وفيه الخذلان والخسارة.

وقد روىٰ الدَّارميُّ[1] في «سننه» عن عمرو بن سلمة الهمداني قال: (كُنَّا نَجْلِسُ عَلَىٰ بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا.

قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًىٰ، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً؛ فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً. فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً؛ فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً. وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً؛ فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً.

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام، أبو محمد التميمي ثم الدارمي السمرقندي، و(دارم) هو ابن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، أحد الحفاظ الأعلام، حدّث عنه مسلم وأبو داود والترمذي، والنسائي خارج السنن، ولد سنة ١٨١، ومات سنة ٢٥٥، وله ٧٤ سنة. [انظر ترجمته في: السير (٩/ ٥٥٧)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٩٠)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٩٤)].

قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا؛ انْتِظَارَ رَأْيِكَ - أَوِ: انْتظارَ أَمْرِكَ -. قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ شَيْءٌ!!

ثُمَّ مَضَىٰ وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟! قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًىٰ نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ! وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّكُمْ لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ)؛ أي: اختاروا لكم إحداهما!! ففهموا مراده؛ لأن الخيار الأول غير ممكن؛ فلا يمكن أن يكونوا علىٰ طريقة أهدىٰ مما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ؛ فبقيت الثانية؛ وهي أنهم مفتتحو باب ضلالة.

(**قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ**)؛ أي: بهذا الذي نفعله؛ (**قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ**)[1].

والحاصل: أنه بيّن لهم: أنَّ الحق إنما هو فيما كان عليه أصحاب الرسول ﷺ، وأن مخالفتهم وفعل شيء لم يكن علىٰ منهجهم وطريقتهم؛

(١) **صحيح**: أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٢٨٦، رقم ٢١٠)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٠٠٥).

إنما هو من الضلال والبدع المحدثات.

❁ [**عظمة علم السلف وبعد نظرهم**]:

قَوْلُهُ: (**فَإِنَّهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ وَقَفُوا**)؛ أي: أن المنهج الذي ساروا عليه، والمسلك الذي سلكوه؛ إنما صاروا إليه عن علم وقفوا عليه من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله ﷺ؛ فلم يحصل منهم شيء من الابتداع، وإنما صاروا إلىٰ ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

قال: (**وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا**)؛ أي: أن ما أقدموا عليه فقد أقدموا عليه عن علم وبصيرة، ودليل واضح، وحجَّةٍ بيِّنة، وما تركوه وكفوا عنه وأعرضوا عنه من هذه الأمور المحدثة، وهذه الأمور التي تعمق فيها المتعمقون، وتكلف فيها المتكلفون؛ إنما تركوه وأعرضوا عنه ببصرٍ نافذ؛ فأخذوا بالحق والهدىٰ علىٰ بيّنة ودليل من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ. فهو يبيّن أنّهم هدوا إلىٰ الحق والهدىٰ واتبعوه، وأن ذلك حصل بوقوفهم عليه، وأنهم كَفُّوا عن الأمور المحدثة والمنكرة؛ فلم يشغلوا أنفسهم بها، ولم يكلِّفوا أنفسهم شيئًا منها، وإنما التزموا المنهج القويم الذي جاء في القرآن الكريم، وتركوا السُّبل الخارجة عن ذلك الطريق الذي قال فيه الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قَوْلُهُ: (**وَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَىٰ**)؛ أي: هم أقوىٰ من غيرهم

في بيان الحقِّ وإيضاحه، وفي بيان الباطل والابتعاد والإعراض عنه، وما حصل ذلك إلّا بنفاذ بصيرتهم.

قَوْلُهُ: (وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَىٰ)؛ أي: أولىٰ من غيرهم في معرفة الحق والسير عليه، وأما الذين خرجوا عن منهجهم وطريقتهم؛ فقد وقعوا في أمور سلَّم الله منها أصحابَ رسول الله ﷺ، فأحدثوا أمورًا وابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، فعليهم آثامها وآثام كل من ابتلي بها.

❁ [استحالة أن يكون المتأخرون على حق والسلف على خلافه]:

قَوْلُهُ: (فَإِنْ كَانَ الْهُدَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أي: أيها المتأخرون! - يقصد: أهل الأهواء والبدع - (لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ)؛ أي: إن كان ما أنتم عليه هو الحق فقد فات الصحابة ولم يظفروا به، وأنتم ظفرتم به؛ وهذا لا يمكن أن يكون!! لأن الحق والهدىٰ هو ما كان عليه أصحاب الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما جاء في حديث الفرقة الناجية، قال: «قَالُوا: وَمَن هِيَ يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(١)، وكما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّكُمْ لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ»(٢).

قَوْلُهُ: (وَلَئِنْ قُلْتُمْ: إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ،

---

(١) حسن: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ)، وهذا صحيح، فإن الذين أحدثوا ذلك هم الذين اتبعوا غير سبيل المؤمنين، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، إذًا: فهؤلاء خارجون عن سبيل المؤمنين، وصاروا إلىٰ خلاف ذلك، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يقال: إن هؤلاء الذين أحدثوا تلك المحدثات والبدع؛ أولىٰ بالحق من الصحابة، بل إن الحق ما وُفِّقَ إليه الصحابة، وأما هؤلاء فخذلوا وابتلوا بتلك الأهواء والآراء المحدثة التي ما أنزل الله تعالىٰ بها من سلطان.

❁ [الخير والهدى في اتباع سلف الأمة]:

قَوْلُهُ: (فَإِنَّهُمْ)؛ أي: أصحاب رسول الله ﷺ (هُمُ السَّابِقُونَ) أي: إلىٰ كل خير، والحريصون علىٰ كل خير؛ فلا يمكن أن يسبقهم غيرهم إلىٰ ذلك، بأن يُحجَب الحق عنهم ويُدَّخَر لأناسٍ يجيئون من بعدهم، بل إن الحق والهدىٰ هو ما كانوا عليه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وما سوىٰ ذلك فهو من محدثات الأمور.

قَوْلُهُ: (فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي)؛ أي: بما يكفي عمَّا أحدثه أهل البدع؛ فقد تكلموا في أمور العقيدة، وفي مسائل العلم بما يكفي.

قَوْلُهُ: (وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي)؛ أي: يشفي غيرهم، وليس الحقُّ والهدىٰ في كلام غيرهم ممن جاء بعدهم وأحدثَ ما أحدثَ، وإنما الحق والهدىٰ

فيما كانوا عليه، وفيما قالوه، وفيما دلُّوا وأرشدوا إليه.

قَوْلُهُ: (فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ، وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ[١])؛ أي: أنهم حبسوا أنفسهم وسكتوا عن كل شرٍّ؛ سكوتًا لا مزيد عليه، فليس هناك أحدٌ سكت كسكوتهم.

وكذلك لم يكشف أحدٌ الأمورَ التي يُحتاج إلىٰ كشفها ويوضحها، ويحسر عنها ويبينها؛ فوق بيانهم وكشفهم؛ فقاموا بذلك بما لا مزيد عليه.

❁ [خطأ وضلال من ترك منهج السلف الصالح]:

قَوْلُهُ: (وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا)، وهذا يوضح الجملة السابقة في التقصير والحسر؛ فإن أناسًا قصروا عنهم فجفوا، وأناسًا تجاوزوا ما هم عليه، وكشفوا عن الأمور علىٰ وجهٍ يخالف ما

---

(١) قال في عون المعبود (١٢/ ٢٤١): «(فَمَا دُونَهُمْ)؛ أَيْ: فَلَيْسَ دُونَ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ - أي تَحْتَهُمْ -؛ أَيْ: تَحْتَ قَصْرِهِمْ (مِنْ مَقْصَرٍ) مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ أَوِ اسْمُ ظَرْفٍ؛ أَيْ حَبْسٍ أَوْ مَحَلِّ حَبْسٍ؛ مِنْ: قَصَرَ الشَّيْءَ قَصْرًا؛ أَيْ: حَبَسَهُ، (وَمَا فَوْقَهُمْ)؛ أَيْ: وَلَيْسَ فَوْقَهُمْ؛ أَيْ: فَوْقَ حَسْرِهِمْ (مِنْ مَحْسَرٍ) مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ أَوِ اسْمُ ظَرْفٍ أَيْضًا؛ أَيْ: كَشْفٍ أَوْ مَحَلِّ كَشْفٍ؛ مِنْ: حَسَرَ الشَّيْءَ حَسْرًا؛ أَيْ كَشَفَهُ. يُقَالُ: حَسَرَ كُمَّهُ مِنْ ذِرَاعِهِ؛ أَيْ: كَشَفَهَا. وَحَسَرَتِ الْجَارِيَةُ خِمَارَهَا مِنْ وَجْهِهَا؛ أَيْ كَشَفَتْهُ.

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحِينَ قَدْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْ كَشْفِ مَا لَمْ يُحْتَجْ إِلَىٰ كَشْفِهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ حَبْسًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ كَشَفُوا مَا احْتِيجَ إِلَىٰ كَشْفِهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ كَشْفًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ».

أوضحوه وبينوه؛ وذلك بالدخول في علم الكلام، وتأويلهم النصوص الشرعية من كتابٍ وسُنَّة علىٰ ما يوافق بدعهم، وليّهم أعناق النصوص حتىٰ تتفق مع الباطل الذي هم عليه. وأما أصحاب رسول الله ﷺ فقد وقفوا عند النصوص؛ فلم يقصروا عنها، ولم يتجاوزوها.

قَوْلُهُ: (وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مُسْتَقِيمٍ)؛ أي: بين الإفراط والتفريط، وبين الغلوِّ والجفاءِ؛ فهم علىٰ صراط مستقيم، وكما قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلا تغلُ في شيء من الأمر ... كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

فالطرفان اللذان يتوسطهما الحق مذمومان، وهما طرفا الإفراط والتفريط.

❁ جواب السؤال عن القدر:

ثُمَّ قال: (كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ؛ فَعَلَىٰ الْخَبِيرِ - بِإِذْنِ اللهِ - وَقَعْتَ)؛ الكلام الذي مضىٰ كله كلام عامٌّ، يتعلَّق باتباع السنن، واتباع منهج الصحابة، والحذر من البدع مطلقًا، وفيه وصايا نافعة عظيمة في بيان المنهج الصحيح، والطريق المستقيم؛ طريق الفرقة الناجية، وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، والتحذير ممَّا سوىٰ ذلك من البدع والمحدثات، وهذا الكلام يدخل فيه القدر وغير القدر.

❁ ترغيب السلف في الأخذ عنهم:

ثم إنه بعد ذلك رجع إلىٰ سؤاله في القدر، وقبل أن يجيبه قال: «فَعَلَىٰ الْخَبِيرِ - بِإِذْنِ اللهِ - وَقَعْتَ»؛ أي: عندي علم ما تسأل عنه، وإنما قال هذا من أجل أن يحفزه علىٰ أن يعرف ما يقول له، وأنه إنَّما قال ذلك عن علمٍ وبصيرة، ثم أخذ يوضح له ذلك. ولم يقل هذا الذي قاله ثناءً علىٰ نفسه، وإنما قاله ترغيبًا وتحفيزًا له إلىٰ أخذ ما يقوله له وتطمئن إليه نفسه. وقد كان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يحصل منهم شيءٌ من هذا، لا لأجل مدح النفس ولا الثناء عليها، وإنما هو من أجل أن يرغبوا الناس في تلقي ما يجيبون به، وهذا من كمال النصح من سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

❁ [الإيمان بالقدر ومنزلته في الدين ومراتبه]:

ثم بدأ بالكلام علىٰ القدر فقال: (مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ، وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ).

وهذا يحتمل وجهين:

الوجه الأول: أنَّ الكلام في القدر بدعة لغوية، وليس من البدع الشرعيَّة؛ والمقصود بكونه بدعة: أنَّ الكتابة والتأليف فيه إنَّما جاء متأخرًا، وأما من حيث التبيين والإيضاح فالشريعة جاءت بذلك وعلمه الصحابة، ولكن تدوين القدر والكلام فيه؛ إنما جاء بعد ذلك، كما أن السنن كلها إنما دونت

بعد ذلك؛ وهذا ذكره صاحب «عون المعبود»[(١)].

الوجه الثاني: أنَّ هذه البدع الواضحة الجليَّة التي أحدثها الناس؛ الإقرار بالقدر أوضح وأبين منها، فكما أنَّها ماثلة للعيان ومشاهدة ومعاينة وهي بدعٌ محققة ما أنزل الله بها من سلطان؛ فأمر القدر من حيث حصوله ووقوعه هو أبين من هذا الذي أحدثه الناس.

قَوْلُهُ: (لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهِمْ وَفِي شِعْرِهِمْ، يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ) أي: أن القدر قد جاء في كلام أهل الجاهلية.

❁ وقوله: **«لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ»** يحتمل وجهين:

الأول: أن تكون: «لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ»، ويكون **(الْجُهَلَاءُ)** - جمع جاهل - فاعل **(ذَكَرَهُ)**.

الثاني: أن تكون: «لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ»؛ وتكون

---

(١) قال في «عون المعبود» (١٢/ ٢٤٢): «يَقُولُ: إِنَّ الْإِقْرَارَ بِالْقَدَرِ هُوَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَأَثْبَتُ أَمْرًا فِي عِلْمِي مِنْ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ وَابْتَدَعُوهُ مِنْ بِدْعَةٍ، لَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِمَّا أَحْدَثُوهُ وَابْتَدَعُوهُ أَبْيَنَ أَثَرًا وَأَثْبَتَ أَمْرًا مِنْهُ؛ أَيْ مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْإِقْرَارُ بِالْقَدَرِ مُحْدَثًا وَبِدْعَةً؛ لُغَةً؛ نَظَرًا إِلَىٰ تَأْلِيفِهِ وَتَدْوِينِهِ؛ فَإِنَّ تَأْلِيفَهُ وَتَدْوِينَهُ مُحْدَثٌ وَبِدْعَةٌ لُغَةً؛ بلا ريب؛ فإنَّ النبيَّ لَمْ يُدَوِّنْهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَلَمْ يُسَمِّهِ مُحْدَثًا وَبِدْعَةً بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ وَذَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ وَذَاتِهِ سُنَّةٌ ثَابِتَةٌ لَيْسَ بِبِدْعَةٍ أَصْلًا؛ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِيمَا بَعْدُ».

(الْجَهْلَاءِ) - بفتح الجيم - وصفًا للجاهليَّة؛ بمعنىٰ: أنها في غاية ومنتهىٰ وشدة الجهالة والضلالة. ويكون الفاعل محذوفًا دلَّ عليه ما بعده؛ أي: أهل الجاهلية.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً)؛ أي: أنه جاء في إثباته وتقريره وتوضيحه، وأنَّ كل شيء بقضاء وقدر، وأنه لا يقع في ملك الله إلا ما شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل أمر يقع فقد سبق به علْمُ الله؛ فعَلِمَ اللهُ أَزَلًا كلَّ ما هو كائنٌ، وقد كَتَبَ ذلك في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سَنَة؛ كما ثبتت بذلك السنَّة عن رسول الله ﷺ[1]، وقدَّره الله تعالىٰ وشاءه وأراده؛ فأوجده طبقًا لما عَلِمَهُ أزَلًا، وطبقًا لما كتب في اللوح المحفوظ. وهذه **هي مراتب القدر الأربع التي لا بد منها في الإيمان بالقدر**؛ وهي:

المرتبة الأولىٰ: العلم الأزلي: فالله تعالىٰ قد علم أزلًا كلَّ ما هو كائن، ولم يتجدَّد لله علم بشيء لم يكن يعلمه من قبل، بل كل شيء قد سبق علم الله تعالىٰ به، والله تعالىٰ بكل شيء عليم؛ فكلُّ حركة أو سكون في الوجود فقد علمها الله تعالىٰ أزلًا، وأما ما جاء في بعض الآيات من ذكر الاختبار حتىٰ يعلم الله تعالىٰ ما سيفعل العباد، كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦/ ٢٦٥٣)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فقوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ ليس معناه: أنه يحصل لله علم لم يكن حاصلًا له من قبل، وإنما المقصود من ذلك: علمُ ظهورٍ يترتب عليه ثوابٌ وعقاب، ويترتب عليه جزاء؛ فهذا هو المقصود من ذلك. وليس المقصود من ذلك أنه لم يكن يعلم حتىٰ حصل هذا الشيء بهذا الاختبار والابتلاء، فالله تعالىٰ يعلم كل شيء أزلًا.

المرتبة الثانية: الكتابة: كتابة الله عَزَّوَجَلَّ تلك الأمور التي تقع؛ في اللوح المحفوظ، قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ.

المرتبة الثالثة: المشيئة والإرادة: وأن الله شاء وأراد وجود هذا الشيء.

المرتبة الرابعة: الإيجاد: وهو إيجاد الله لذلك الشيء الذي أراد وجوده؛ فيقع طبقًا لما علمه أزلًا، وطبقًا لما كتب في اللوح المحفوظ، وطبقًا لما شاءه وأراده.

فما من أمر يقع في الوجود إلا وقد اجتمع فيه هذه المراتب الأربع؛ لابد من التصديق بذلك.

فمثلًا: وجودنا في هذا المكان، وفي هذا الزمان، فقد اجتمعت فيه هذه المراتب الأربع؛ فالله تعالىٰ قد علم أزلًا أننا سنجتمع في هذا الزمان وفي هذا المكان، وكتب في اللوح المحفوظ أننا سنجتمع، وشاء الله أن نجتمع،

وأوجد اجتماعنا علىٰ هذه الهيئة طبقًا لما علمه أزلًا، ولما كتبه في اللوح المحفوظ، ولما شاءه وأراده. وكل أمر قد وقع فقد شاءه الله، وأما أمر لم يقع فلم يشأه الله، وما لم يشأه الله فلا يمكن أن يوجد؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»[(١)]؛ أي: أن الشيء الذي قُدِّر أن يحصل لك لا يتخلف عنك، والشيء الذي تخلَّف عنْك لا يحصل لك، وعقيدة المسلمين مبنية علىٰ هاتين الكلمتين: (ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن)؛ ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[(٢)].

❁ [إثبات القدر وورود أدلته في الكتاب والسنة]:

قَوْلُهُ: (وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ)؛ جاء ذكر

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣)، والحاكم (٣/ ٦٤٢، رقم ٦٣٠٤)، والضياء في المختارة (١٠/ ٢٣، رقم ١٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٣١٦ - ٣١٨).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في سنن الترمذي، والمشكاة رقم (٥٣٠٢)، وانظر كذلك تخريج الحديث السابق؛ فهو أحد روايات هذا الحديث.

القدر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في آيات عدَّة، وذكره الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة.

فمن القرآن: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وفي السنة: جاءت أحاديث في غاية الكثرة تدلُّ علىٰ القدر:

منها: ما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قوله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(١).

فقوله ﷺ: «**احرص علىٰ ما ينفعك**»؛ أي: خذ بالأسباب. ومع أخذك بالأسباب اعتمد علىٰ مسبِّب الأسباب وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قال: «**واستعن بالله**»؛ لأن الإنسان إذا أخذ بالأسباب ولم يحصل له عون وتوفيق من الله تعالىٰ؛ فلا يحصل ما يريد، ولو أخذ بالأسباب؛ فمجرد الأخذ بالأسباب لا يكفي، بل يُحتاج إلىٰ شيء وراءه، وهو توفيق الله وإعانته علىٰ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٤/ ٢٦٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أن يحصل ذلك الشيء، ولا يترك الأسباب ويقول: أنا متوكل، وإذا قدر الله لي شيئًا فإنه سيأتيني. فهذا كلام باطل وغير معقول، فلو أن إنسانًا قال: إذا قدر الله لي أن يأتيني ولد فسيأتيني، ولو لم أتزوج. فيقال له: إن الولد لا يأتي إلا عن طريق الزواج، فالله تعالىٰ جعل الولد لا يأتي إلا عن طريق الزواج أو عن طريق التسرّي؛ فالزواج أخذ بالأسباب، ومع الأخذ بالأسباب قد يوجد الولد وقد لا يوجد، فالإنسان إذا تزوج فقد يولد له وقد لا يولد له.

فمجرد الأخذ بالأسباب ليس هو كل شيء، لكن السبب مشروع، ومع الأخذ بالأسباب يستعين الإنسان بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه تعالىٰ إذا شاء ألا يحصل الأثر وُجِدَ السببُ ولم يوجد المُسَبَّبُ؛ فلابد من الأمرين: **التوكل والأخذ بالأسباب**؛ فلا يعول الإنسان علىٰ السبب ويعتبره كلَّ شيء، وكذلك لا يترك الأخذ بالأسباب ويدعي التوكل؛ قال الرسول ﷺ: «**لو أنكم توكلون علىٰ الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**»[(١)]، فالطير لا تجلس في أوكارها وتقول: إن قدِّر لي شيء فسيأتيني. بل إنها تغدو في الصباح خاوية البطون، وترجع في المساء ممتلئة البطون.

فالأسباب تنفع بإذن الله وقد تتخلف عنها مسبَّباتها بإذن الله، فالجمع

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٢٥٤).

بين السبب وسؤال الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بالسبب؛ هذا هو الطريق الصحيح؛ ولهذا أرشد النبي ﷺ إلىٰ الأخذ بالأمرين بقوله: «**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله**».

ثم قال ﷺ: «**ولا تعجز**» أي: لا تقصر، ثم قال: «**فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

ومنها: قوله ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ**»(١)، حتىٰ كسل الكسول، ونشاط النشيط، كلُّ ذلك مُقدَّر؛ فالإنسان المتحرك حركته بقدر، والإنسان الخامل خموله بقدر؛ فكل شيء بقضاء وقدر، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والأحاديث عن رسول الله ﷺ في القدر كثيرة، وقد عقد الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما كتابًا باسم «كتاب القدر»(٢)، وعلىٰ ذلك أيضًا كثير من المحدِّثين، ويوردون الأحاديث التي وردت في ذلك عن رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

والإيمان بالقدر هو أحد أصول الإيمان الستة المبيّنة في حديث جبريل؛

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨/ ٢٦٥٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) **انظر**: موطأ مالك (٢/ ٨٩٨)، وصحيح البخاري (٨/ ١٢٨)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٦)، وسنن أبي داود (٤/ ٢٢٢)، وسنن الترمذي (٤/ ٤٤٣)، وسنن ابن ماجه (١/ ٢٨).

حيث سأله عن الإيمان فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١].

قَوْلُهُ: (وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ) أي: من رسول الله ﷺ (الْمُسْلِمُونَ) أي: الصحابة (فَتَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ؛ يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ)؛ فالصحابة سمعوا الكلام في القدر من رسول الله ﷺ، وتكلموا به في حياته وبعد موته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وآمنوا وسلموا به يقينًا وإيمانًا وتصديقًا وإقرارًا، فلم يترددوا في شيءٍ جاء عن الله ورسوله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

قَوْلُهُ: (وَتَضْعِيفًا لِأَنفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ، وَلَمْ يُحْصِهِ كِتَابُهُ)؛ أي: نزهوا الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يكون هناك شيء لم يحط به علمه، بل إن كل شيء قد أحاط الله به علمًا، وكل ما قدِّر فقد سبق به علم الله، واشتمل عليه كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ؛ فنزهوا الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون هناك شيء لم يحط به علمه، أو لم يشتمل عليه اللوح المحفوظ، وهاتان هما المرتبتان الأوليان من مراتب القدر: علم الله الأزلي، وكتابته في اللوح المحفوظ.

قَوْلُهُ: (وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدَرُهُ)؛ أي: وقوع الشيء الذي قد شاءه الله

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٨)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

وأراده، أو عدم وقوعه[1].

قَوْلُهُ: (وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ)؛ أي: كما أنه جاء ذكر القدر في السنة عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسمعه الصحابة منه، فقد جاء في أحاديث كثيرة كما تقدم عند قوله: «فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ»؛ فكذلك جاء في محكم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في عدة آيات، وقد تقدمت أيضًا الإشارة إلىٰ بعضها.

قَوْلُهُ: (مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ، وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ)؛ أي: من القرآن؛ فكما قال قبل ذلك: «وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ»؛ أي سمعوا الأحاديث من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فقد ذكر أيضًا أنهم اقْتَبَسُوا ذلك وتَعَلَّمُوهُ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقد اجتمع علىٰ ذلك الكتاب والسنَّة والإجماع، وهو أحد أصول الإيمان الستة المُبيَّنة في حديث جبريل.

---

(١) قال في عون المعبود: «(يَقِينًا وَتَسْلِيمًا، لِرَبِّهِمْ وَتَضْعِيفًا لِأَنْفُسِهِمْ) قَالَ فِي الْقَامُوسِ: ضَعَّفَهُ تضعيفًا عَدَّه ضَعِيفًا، (أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ) مِنَ الْأَشْيَاءِ (لَمْ يُحِطْ) مِنَ الْإِحَاطَةِ (بِهِ)؛ أَيْ: بِذَلِكَ الشَّيْءِ (عِلْمُهُ)؛ أَيْ: عِلْمُ اللهِ تَعَالَىٰ، (وَلَمْ يُحْصِهِ)؛ أَيْ: ذَلِكَ الشَّيْءَ، مِنَ الْإِحْصَاءِ؛ وَهُوَ: الْعَدُّ وَالضَّبْطُ؛ أَيْ: لَمْ يَضْبِطْهُ (كِتَابُهُ)؛ أَيْ: كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، (وَلَمْ يَمْضِ)؛ أَيْ: لَمْ يَنْفُذْ (فِيهِ)؛ أَيْ: فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ (قَدَرُهُ)؛ أَيْ: قَدَرُ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ - أَيِ: الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَقَرُّوا بِالْقَدَرِ، وَتَيَقَّنُوا بِهِ، وَسَلَّمُوا ذَلِكَ لِرَبِّهِمْ، وَضَعَّفُوا أَنْفُسَهُمْ - أَيِ: اسْتَحَالُوا - أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِمَّا عَزُبَ وَغَابَ عَنْ عِلْمِهِ تَعَالَىٰ؛ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ تَعَالَىٰ، وَلَمْ يَضْبِطْهُ كِتَابُهُ، وَلَمْ يَنْفُذْ فِيهِ أَمْرُهُ».

❁ [عموم قضاء الله وقدره وشموله]:

قَوْلُهُ: (وَلَئِنْ قُلْتُمْ: لِمَ أَنْزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا؟! لِمَ قَالَ كَذَا؟! لَقَدْ قَرَءُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ)؛ أي: ولئن حصل من أحد منكم إيراد بعض الآيات التي قد يكون فيها اشتباه، ثم قلتم: لم كذا ولم كذا؟! فإنهم قَدْ «قَرَءُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ»؛ يعني: هذا الذي قرأتموه هم قرءوه، «وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ»؛ فتميَّزوا عنكم بأنهم علموا ما قد جهلتم.

فأصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن سار علىٰ منوالهم؛ لا يضربون القرآن بعضه ببعض، ولا يأخذون بالمتشابه منه، وإنَّما يردُّون المتشابه إلىٰ المحكم، والقرآن يصدِّق بعضه بعضًا، ويشبه بعضه بعضًا، ولا يُضرب بعضه ببعض، ولا يُتبع منه المتشابه ويُترك المحكم؛ كما هي طريقة أهل الزيغ والضلال التي حذَّر منها الله في القرآن، والتي قال فيها رسول الله ﷺ - في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

فالحاصل: الذين يحصل منهم اعتراضٌ أو إيراد لبعض الآيات التي فيها اشتباه، ويتركون المحكم؛ أصحاب رسول الله ﷺ قد سبقوهم فقرءوا القرآن، وعلموا ما فيه وفقهوا معانيه، وعلموا ما جهل هؤلاء.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

قَوْلُهُ: (وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ: كُلُّهِ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ)؛ يعني: أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، ومقدّر بقضاء الله وقدره؛ فكل هذا الذي يحصل ويقع، وكل ما هو كائن في الوجود؛ فهو بقضاء الله وقدره، ولا يمكن أن يكون في الوجود شيءٌ إلا وقد قدّره الله وقضاه.

قَوْلُهُ: (وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ)؛ أي: أنَّ السعيد قد كُتبت سعادتُه، والشقي قد كُتبت شقاوتُه.

قَوْلُهُ: (وَمَا يُقَدَّرْ يَكُنْ)؛ أي: كل ما هو مقدَّر أن يكون لا بد وأن يكون، (وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ).

ويمكن أن يُعرف الشيء الذي قدره الله وقضاه بأمرين:

أحدهما: الوقوع: فكل شيء قد وقع ووُجِدَ فإنه مقدَّر؛ لأنه لو لم يُقدّر لما وقع، ولهذا قال عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمَا يُقَدَّرْ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ».

الأمر الثاني: أن يخبر الرسول ﷺ عن أمر مستقبل؛ فخبره صدق وحق يجب تصديقه، ويجب اعتقاد أن هذا الذي أخبر به الرسول ﷺ لا بدَّ وأن يوجد طبقًا لما أخبر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. وهذا الذي سيوجد هو مقدّر؛ لأنه لا يوجد إلا شيء مقدَّر، ولا يقع في الكون إلا مقدَّر، والرسول ﷺ أخباره صادقة؛ لأنه يخبر عن الله، وهو لا ينطق عن الهوىٰ.

كما أخبر عن خروج يأجوج ومأجوج، والدجال، ونزول عيسىٰ ابن

مريم، وغيرها من الأمور التي تقع في آخر الزمان؛ فإنَّها مقدَّرة وسبق بها القضاء والقدر، ونحن نعلم أنها مقدَّرة قبل أن تقع؛ لأننا عرفنا ذلك بإخبار الرسول ﷺ.

وكإخباره ﷺ عن أمور قريبة من زمانه، وقد وقعت طبقًا لما أخبر به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ مثل قوله عن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وهو عَلَىٰ المِنْبَرِ وَالحَسَنُ إِلَىٰ جَنْبِهِ - حيث كان صغيرًا -، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَىٰ النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَىٰ -: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»(١)، وقد حصل ذلك بعد ثلاثين سنة من وفاة الرسول ﷺ، في عام (٤١هـ)(٢)، ووقع ما أخبر به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وعلىٰ هذا: فالمقدَّرُ غيبٌ، ولا يعلم ما قدّره الله وقضاه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٠٤) ومواضع، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن بطال (ت: ٤٤٩) في «شرح صحيح البخاري» (٨/ ٩٧): «وذكر أهل الأخبار: أنه لما قُتل علي بن أبي طالب بايع أهل الكوفة الحسن بن علي، وبايع أهل الشام معاوية؛ فسار معاوية بأهل الشام يريد الكوفة، وسار الحسن بأهل العراقين؛ فالتقيا بمنزل من أرض الكوفة، فنظر الحسن إلىٰ كثرة من معه من أهل العراق، فنادىٰ: يا معاوية، إني قد اخترت ما عند الله، فإن يكن هذا الأمر لك فما ينبغي لي أن أنازعك عليه، وإن يكن لي فقد جعلته لك... فسلم الحسن الأمر إلىٰ معاوية، وصالحه، وبايعه علىٰ السمع والطاعة علىٰ إقامة كتاب الله وسنة نبيه، ثم دخلا الكوفة؛ فأخذ معاوية البيعة لنفسه علىٰ أهل العراقين، فكانت تلك السنةُ (سنةَ الجماعة)؛ لاجتماع الناس واتفاقهم وانقطاع الحرب».

ولكننا يمكن أن نعرف المقدَّر بهذين الأمرين.

وقوله: (وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)؛ هاتان الكلمتان فيهما بيان القدر، وأن كل شيء شاءه الله لا بدَّ أن يكون، وكل شيء لم يشأه الله فلا يمكن أن يكون، كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ   وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ[1]

أي: ما شاء الله كان وإن لم يشأ الإنسان، وإذا شاء الإنسان شيئًا والله لم يشأه فلا يمكن أن يكون؛ لأن الذي يقع هو ما شاءه الله عَزَّوَجَلَّ.

قَوْلُهُ: (وَلَا نَمْلِكُ لِأَنفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا)؛ هذا فيه إشارة إلى مخالفة ما عليه القدرية[2] الذين يزعمون بأن العباد يخلقون أفعالهم، وأنهم يملكون

---

(١) أخرجه عنه اللالكائي في شرح السنة (٤/ ٧٧٦)، والبيهقي في: الكبرى (١٠/ ٣٤٨، رقم ٢٠٨٩٦)، وفي الأسماء والصفات (١/ ٤٥٠، رقم ٣٧٦)، وفي الاعتقاد (ص ١٦٢)، وفي القضاء (رقم ٥٧٠)، والطحاوي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٩٠، رقم ٣٣٩)، وهو من بحر المتقارب، وبعده ثلاثة أبيات، وهي:

خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَىٰ مَا عَلِمْتَ   فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَىٰ وَالْمُسِنْ

عَلَىٰ ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ   وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ   وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ

(٢) هم نُفاة القَدَر، وهي من أوائل الفرق في الظهور، نُسبوا إلىٰ القدر لنفيهم إيَّاه، وأول من أظهر ذلك: معبد الجهني وغيلان الدمشقي، في زمان المتأخرين من الصحابة، وقالت بقولهم =

لأنفسهم الضرَّ والنفع! فإن هذا كلام باطل، وأهل السنَّة والجماعة يخالفونهم في ذلك؛ فكل شيء بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فالناس يفعلون الأسباب ويحصل منهم الاكتساب، ولكن لا يقع إلَّا ما قدره الله وقضاه، وكل ما أرادوه إذا لم يشأه الله فإنه لا يقع، وما شاءه الله عَزَّوَجَلَّ لا بد وأن يقع، حتىٰ ولو لم يشاءوه.

فهذا فيه إشارةٌ إلىٰ أن العبد لا يخلق فعله، وأن الله تعالىٰ هو الخالق لكل شيء، والعبد مشيئته تابعة لمشيئة الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]. فلا يمكن أن يوجد في ملك الله ما لم يشأه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكل ما وقع فقد شاءه الله، ولا يمكن أن يقال: إنه قد وُجد شيء لم يشأه الله؛ كما يزعم هؤلاء المعتزلة القدرية القائلين بأن العباد يخلقون أفعالهم، وأن الله تعالىٰ لم يقدِّرها عليهم، وأن الله تعالىٰ ما أرادها وما شاءها، وإنما هم الذين شاءوها وأوجدوها!! فقوله: «وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا»؛ يعني: أن كل شيء بيد الله، وكل شيء بقضاء الله وقدره وبخلقه وإيجاده.

=

المعتزلة، ووردت أحاديث في ذمِّهم. [انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٩٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٥٤١)].

❁ مسألة: هل الإنسان مخيَّر أو مسيَّر؟

وهنا مسألة يتكرر إيرادها، وهي: هل الإنسان مخيَّر أو مسيَّر؟

والجواب: أنه مُخيَّر ومُسيَّر، فلا يقال: إنه مخير فقط، ولا مسير فقط.

والجبريَّة(١) يقولون: أنه مسيَّر فقط؛ فيزعمون أن الإنسان ليس له مشيئة ولا إرادة، وأنه مجبور علىٰ ما يحصل منه، وأنَّه في حركاته وأفعاله كالريشة في الهواء.

والمعتزلة(٢) يقولون: إنه مخير، وإنه يخلق فعله ويوجده.

وأهل السنة والجماعة يقولون: هو مسيَّر باعتبار، ومخير باعتبار؛ أي: مخير باعتبار أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعل له عقلًا وجعل له قُدرةً، وقد أُمر ونُهي، وعَرَف الخير والشر، وقيل له: إن فعلت كذا فلك كذا، وإن فعلت كذا

(١) الجبر: هو إسناد فعل العبد إلىٰ الله تعالىٰ، وأصل قولهم من الجهم بن صفوان، وهم عكس القدرية نفاة القدر، والمتوسطة منهم تُثبِتُ للْعَبد كسبًا كالأشعرية، والخالصة لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة علىٰ الفعل أصلًا. [انظر: الملل والنحل (١/ ٨٥)، والمواقف للإيجي (٣/ ٧١٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٥٤١)].

(٢) فرقة نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وهي من أمَّهات الفرق، ولها عدَّة أسماء؛ منها: أصحاب العدل والتوحيد، والقدرية، والعدلية، والوعيدية. وخالفوا السلف في حكم مرتكب الكبيرة، وعطلوا صفات الله جَلَّوَعَلَا، وقالوا بنفي القدر؛ لذلك سموا بالقدرية، ولهم أقوال أخرىٰ شنيعة. [انظر: الفصل (٤/ ١٤٦)، والملل والنحل (١/ ٤٣)، والفرق بين الفرق (ص٩٣)].

فعليك كذا؛ فقد بَيَّنَ له الخير والشرُّ، فهو يُقدم علىٰ الشيء بمشيئته وإرادته، لكن العمل الذي يعمله بمشيئته وإرادته لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته، بل هو تابع لمشيئة الله وإرادته؛ فهو مخير باعتبار أنه مكلَّف وأنه مأمور ومنهي، وأنه قد بين الله له طريق الخير وطريق الشر، وقيل له: هذا الطريق يوصلك إلىٰ الجنة، وهذا الطريق يوصلك إلىٰ النار. فهو مُخَيَّرٌ بأن يسلك أحد الطريقين.

وهو مسيَّر باعتبار أنه لا يحصل منه إلا ما قدره الله وقضاه، فقضاء الله وقدره لا بد أن يكون.

ولكن لا يقال: إن الإنسان مجبور! بل يجب التفريق بين الفعل الذي يكون باختيار الإنسان، والفعل الذي يكون بغير اختياره، فالأكل والشرب والذهاب والإياب والسفر والبيع والشراء... كل هذه أفعال اختيارية، يفعلها الإنسان بمشيئته وإرادته، فيُثاب علىٰ ما كان منها حسنًا، ويُعاقب علىٰ ما كان سيئًا.

وهناك حركات اضطراريَّة؛ مثل حركة المرتعش الذي ترتعش يده، فليست هذه الحركة اختيارية بمشيئته وإرادته، بل هي خارجة عن مشيئته وإرادته، فهذا هو الذي يقال: إن الإنسان مجبور عليه، وإنه لا يدخل في مشيئته وإرادته.

وأما كون الإنسان يُبَيَّن له طريق الخير وطريق الشر، وأن هذا يوصل

إلىٰ الجنة وهذا يوصل إلىٰ النار، ثم بعد ذلك يُقدم علىٰ هذا أو هذا؛ فإقدامه هذا بمشيئته وإرادته، ولكن مشيئة الإنسان وإرادته تابعة لمشيئة الله وإرادته، كما قال تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

فلا يقال: إنه مخير، بمعنىٰ: أنه لم يُقدَّرْ عليه شيء. ولا يقال: إنه مسير، بمعنىٰ: أنه مجبور، وأنه ليس له مشيئة ولا إرادة، بل له مشيئة وإرادة، ولكنها لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته. فهو باعتبار أن له مشيئة وإرادة ويفعل ما يشاء بإرادته ومشيئته؛ فهو مخير، وباعتبار أنه لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته؛ فهو مسير؛ فهو مخيَّر مسيَّر. فإذا سُئِل الإنسان: هل أنت مخير أو مسير؟ فالجواب بواحدة منهما خطأ. بل يكون الجواب بالجمع بينهما، أي: مسير ومخير؛ مسيَّر باعتبار ومخير باعتبار.

ولهذا يعرِّف النحويون (الفاعل) بتعريف يشمل الاعتبارين؛ فيقولون: الفاعل: اسم مرفوع يدل علىٰ من حصل منه الحدث، أو قام به الحدث[١].

(من حصل منه الحدث)؛ مثل: أكل زيد أو شرب زيد. نقول: حصل منه الحدث؛ وهو الأكل والشرب.

(قام به الحدث)؛ مثل: مات زيد، مرض زيد، ارتعشت يده. فلا يقال في

---

(١) انظر للمزيد: شرح قطر الندىٰ (ص ١٨٠ - ١٨٢)، والنحو الوافي (٢/ ٦٣، ٦٤).

هذا: إنه حصل منه الحدث، وإنَّما هذا وصف حصل له، فارتعاش يده ليس من فعله، وإنما هو وصف قام به. وكذلك: مات زيد، فالموت حلّ به وقام به، لكنه لم يفعل الموت، وكذلك المرض حصل له، وهو ليس من فعله، وإنما الذي من فعله هو الذي يدخل تحت مشيئته وإرادته، مثل: أكل، وشرب، ودخل، وخرج... وما إلىٰ ذلك.

فقولهم: الفاعل: **(اسم مرفوع يدل علىٰ من حصل منه الحدث)**؛ أي: في الأفعال الاختيارية **(أو قام به الحدث)**؛ أي: في الأمور الاضطرارية التي لا تدخل تحت مشيئته وإرادته.

وهذا يشبه مسألة: هل الحدود جوابر أو زواجر؟

الجواب: إنَّها زواجر جوابر معًا؛ فالحد إذا أقيم علىٰ إنسان يكون زاجرًا جابرًا؛ جابرًا للنقص الذي حصل منه، وحصلت عقوبته في الدنيا بالحد. وفي نفس الوقت هو زاجر عن أن يعود إلىٰ ذلك الفعل، وزاجر لغيره أيضًا أن يقع فيما وقع فيه؛ فيتعرض لتلك العقوبة التي عُوقب بها هذا الجاني.

فهذا مما يكون الجواب فيه بالجمع بين الخيارين، وليس باختيار واحد منهما.

❁ **[مسارعة السلف إلى الطاعات مع علمهم أن كل شيء مقدر]:**

قَوْلُهُ: (ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا)؛ أي: مع كونهم كانوا يعلمون أن كل شيء مقدَّر؛ كانوا يرغبون ويرهبون؛ فيفعلون الأعمال الصالحة رغبةً فيما عند الله، ويتركون المعاصي خوفًا من عقوبة الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا الذي فعلوه من الرغبة والرهبة هو من أفعالهم الاختيارية، وحصول ذلك منهم - إذا حصل - يكون طبقًا لما شاءه الله وقدَّره وقضاه.

ويوضح هذا: سؤال الصحابة للنبي ﷺ لمَّا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»(١).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن كثير**)؛ هو العبدي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا سفيان**)؛ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**قال: كتب رجل إلىٰ عمر بن عبد العزيز**)؛ هذا من كلام سفيان، وهو مرسل؛ لأن سفيان لم يدرك عمر بن عبد العزيز، فعمر بن عبد العزيز توفي سنة (١٠١هـ)، وسفيان توفي سنة (١٦١هـ) وعمره أربع وستون سنة، فيكون ولد قبل وفاة عمر بأربع سنوات؛ إذًا فهو لم يسمع من عمر بن عبد العزيز، إذًا فالأثر مرسل.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٦/ ٢٦٤٧)، عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولهذا فالطريق الأخرىٰ يروي فيها سفيان عن رجل؛ وهو النضر.

و(عمر بن عبد العزيز)؛ هو الخليفة الإمام، وهو محدِّث فقيه، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (ح وحدّثنا الربيع بن سليمان المؤذن)؛ هو المرادي، صاحب الشافعيِّ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (حدثنا أسد بن موسىٰ)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، وأبو داود والنَّسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد بن دُلَيْل)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (سمعت سفيان)؛ هو الثوري.

قَوْلُهُ: (يحدث عن النضر)؛ هو ابن عربي، وهو لا بأس به؛ بمعنىٰ: أنه صدوق. أخرج له أبو داود والترمذي.

والإسناد الأول عالٍ؛ لقلة الوسائط فيه بين أبي داود وبين سفيان؛ فبين أبي داود وبين سفيان فيه راوٍ واحد؛ وهو محمد بن كثير.

والثاني أنزل من الأول؛ فبين أبي داود وبين سفيان فيه ثلاثة رواة؛ فهو نازل؛ لكثرة الوسائط فيه بين أبي داود وبين سفيان.

قَوْلُهُ: (ح وحدثنا هناد بن السري)؛ هو أبو السري، وهو ثقة، أخرج له البخاري في «خلق أفعال العباد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن قَبيصة)؛ هو ابن عقبة، وهو صدوق ربما خالف، أخرج له

أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو رجاء)؛ قال الحافظ في «التقريب»: «أبو رجاء عن أبي الصلت؛ قيل: هو الهروي، وإلا فمجهول من طبقته، أخرج له أبو داود»[1].

قَوْلُهُ: (عن أبي الصلت)؛ قال الحافظ في «التقريب»: «قيل: هو شهاب بن خراش، وإلا فمجهول».

وهذا معناه: أنَّ هذين الراويين في الطريق الثالث أمرهما غير محقَّق. لكن - كما هو معلوم - قبله طريقان صحيحان.

قَوْلُهُ: (وهذا لفظ حديث ابن كثير)؛ أي: الطريق الأولىٰ (ومعناهم)؛ أي: معنىٰ الطرق الأخرىٰ.

ثم قال: (كتب رجل إلىٰ عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر...)؛ وقد أجابه - رحمة الله عليه - بهذا الجواب العظيم، وبهذه الدرر التي تُبيِّنُ كيف كانت سلامة سلف الأمة في معتقداتهم وألسنتهم، وأنهم لا يتكلمون إلا بالحق، ويتبعون النصوص، وليس كلامهم مبنيًّا علىٰ العقل، ولا علم الكلام المذموم، ولا علىٰ آراء الرجال، وإنما يُعَوِّلُون علىٰ ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فهم يأخذون بالنُّقُول، والعقول الصحيحة التي تطابق النقول، وأما غيرهم؛ فإنهم يعولون علىٰ المعقول، ويُأَوِّلُون المنقول.

❁ ❁ ❁

(١) (ص ٦٣٩، ترجمة رقم ٨٠٩٥).

الأسئلة

السؤال: ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المبتدع يُشترط في توبته البيان، وتحذير الناس من هذه البدعة؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٦٠]. فهل يقال: إن من دعا إلى ضلالة ثم تاب، فإنه لا تصح توبته ما لم يبين؟

الجواب: نعم، لا بد من البيان، فمجرد التوبة دون أن يُبيِّن نقص فيها، فمن توبته أن يبين؛ حتى لا يغتر الناس بما حصل منه.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل صحيح أنه لا يُوصف بالإمامة من كانت له أخطاء في العقيدة، فلا يُقال مثلاً: حجة الإسلام الغزالي، ولا الإمام ابن حجر؟

الجواب: من كان عنده علم واسع وغزير وَوُجِد عنده شيء من الأخطاء؛ فلا بأس أن يقال له: إمام، فأخطاؤه مغمورة في جانب صوابه؛ فيُشهد له بالإمامة والتقدم في العلم، ويُدعى له ويستغفر له، ويُستفاد من علمه، ويُحذر من خطئه.

لكن لقب «حجة الإسلام» ونحوه من الألقاب؛ تركها أولى. وأما الغزالي فقد جاء عنه ما يدلُّ على رجوعه وندمه على ما قد حصل منه فيما

مضىٰ[١]، فيذكر بما حصل منه من الرجوع إلىٰ الخير وينبِّه علىٰ ذلك، ويحْذر ما في كتبه من الأمور الباطلة والمنكرة.

۞ ۞ ۞

السؤال: الدعاة الذين فُتِنُوا بالتحليلات السياسية والحديث عن فقه الواقع، وناقشهم العلماء في ذلك ولم يرجعوا، هل يُحذَّر منهم ومن أشرطتهم، وهل يُصَرَّح بأسمائهم ويُوصفون بالبدعة؟

الجواب: نعم، يحذَّر منهم، فالذين يركبون رءوسهم ويتكلمون في أهل العلم والولاة؛ ممَّا يترتب عليه فتن، وأمور منكرة؛ فيُستغنىٰ عمَّا عندهم بالكتب والأشرطة مما هو مأمون الجانب وما فيه السلامة - كما أسلفت -[٢]، فالذين عندهم خلط واشتباه وهذا شأنهم وطريقتهم؛ لا شك أنه يحذر منهم، ولا يشتغل بكلامهم، وإنما يُشتَغل بكلام أهل العلم المأمونين الذين يدعون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ بصيرة، ويحذِّرون من الفتن وأسبابها، ومن الوقوع فيها.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل يجوز أن يُمتحن الناس بشخص معين، فيقال لأحدهم: ما قولك في فلان، ثم يُصَنَّف من خلال هذا الجواب؟

الجواب: لا يجوز مثل هذا؛ هذا من تلاعب الشيطان بالناس، فمن

(١) راجع ص (١٣١).

(٢) انظر ص (١٢٦).

الخطأ أن يشغلوا أنفسهم بسؤال الأشخاص عن هذا، ثم بعد ذلك يُنابَذ ذلك الممتَحن أو يقرَّب بِناءً على الجواب، وإنما الواجب على كل إنسان ناصح لنفسه: أن يشتغل بطلب وتحصيل العلم النافع، ولا يشغل نفسه بـ(مارأيك في فلان؟ وماذا قال فلان في فلان؟) مما يضر صاحبه ولا ينفعه.

۞ ۞ ۞

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦١٣- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ -يَعْنِي: ابْنَ أَبِي أَيُّوبَ-، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ**»[1].

الشرح

ثم أورد أبو داود حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وأنه كان له صديق

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٩٠)، والحاكم (١/ ١٥٨، رقم ٢٨٥)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٣٤٥، ٢٠٨٨١)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٧٦، رقم ٥٣٠٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٦٦٩).

يكاتبه من أهل الشام، وأنه بلغه عنه أنه يقول بشيء من القدر، فكتب إليه: (لا تكاتبني)؛ فإني سمعت أنك تتكلم بشيء من القدر، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ».

أي: أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أراد أن يترك مراسلته وصداقته؛ لأنَّه سمع عنه أنه يتكلم في القدر.

وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو الذي روى حديث جبريل المشهور عن أبيه، وذلك لما جاءه اثنان من العراق، وقالا: إنه ظهر قِبَلَنَا أناس يقولون بالقدر. فقال: (إذا لقيتموهم فأخبروهم أنني بريء منهم، وأنهم برآء مني). ثم ساق لهما حديث جبريل الطويل عن أبيه عن النبي ﷺ[1]؛ مستدلًّا به، وهو أول حديث في «صحيح مسلم»، في كتاب الإيمان منه، وساقه من أجل قوله ﷺ: «وتؤمن بالقدر خيره وشره».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن حنبل**)؛ هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الإمام الفقيه المحدث، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله بن يزيد**)؛ هو عبد الله بن يزيد المقري المكي،

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا سعيد - يعني: ابن أبي أيوب -)؛ هو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرني أبو صخر)؛ هو حميد بن زياد، وهو صدوق يَهِمُ، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأبو داود والترمذي، والنسائي في «مسند علي»، وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (عن نافع)؛ مولىٰ ابن عمر، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ)؛ هو عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو الصحابي الجليل، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وهم: عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير[1]، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) قال السيوطي (ت: ٩١١) في تدريب الراوي (٢/ ٦٨٠): «(وَمِنَ الصَّحَابَةِ: الْعَبَادِلَةُ، وَهُمْ) أَرْبَعَةٌ: عَبْدُ اللهِ (ابْنُ عُمَرَ) بْنُ الْخَطَّابِ، (وَ) عَبْدُ اللهِ (ابْنُ عَبَّاسٍ، وَ) عَبْدُ اللهِ (ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَ) عَبْدُ اللهِ (ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَلَيْسَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ)؛ قَالَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ مَوْتُهُ، وَهَؤُلَاءِ عَاشُوا حَتَّىٰ احْتِيجَ إِلَىٰ عِلْمِهِمْ؛ فَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَىٰ شَيْءٍ فَقِيلَ: هَذَا قَوْلُ الْعَبَادِلَةِ... (وَكَذَا سَائِرُ مَنْ يُسَمَّىٰ عَبْدَ اللهِ) مِنَ الصَّحَابَةِ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِمُ الْعَبَادِلَةُ (وَهُمْ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ) نَفْسًا».

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْجَرَّاحِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَخْبِرْنِي عَنْ آدَمَ، أَلِلسَّمَاءِ خُلِقَ أَمْ لِلْأَرْضِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ لِلْأَرْضِ»، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَوِ اعْتَصَمَ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ»، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٦٣]. قَالَ: «إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَفْتِنُونَ بِضَلَالَتِهِمْ إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَحِيمَ»(١).

الشرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن الحسن البصري - رحمة الله عليه -، وذلك أن خالدًا الحذَّاء سأله فقال: (يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَخْبِرْنِي عَنْ آدَمَ، أَلِلسَّمَاءِ خُلِقَ أَمْ لِلْأَرْضِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ لِلْأَرْضِ»)؛ أي: أن الله أسكنه الأرض وجعله خليفة فيها.

قَوْلُهُ: (قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَوِ اعْتَصَمَ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ لَهُ

(١) حسن الإسناد مقطوع: أخرجه الفريابي في القدر (رقم ٣١٩)، والآجري في الشريعة (٢/ ٧١٣)، وابن بطة في الإبانة (٤/ ١٨٦)، وقال الألباني في سنن أبي داود: حسن الإسناد مقطوع.

مِنْهُ بُدٌّ»؛ أي: لم يكن له بدٌّ من أن يأكل من الشجرة؛ لأن الله قدر ذلك، وما دام أنه قدر فلا بدَّ من وقوع المقدر، فلا يقال: إنه يمكن أن يعتصم أو يمتنع من الأكل بعدما وجد الأكل، وبعدما وجد المقدر.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ»؛ جواب عظيم، فالشيء المقدر الذي قد وقع وحصل ووُجِدَ وقد سبق به قضاء الله وقدره؛ فلا يقال: إنه يمكن خلافه. «فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»، وفي حديث أبي هريرة الذي سبق الإشارة إليه: قال الرسول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَـكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(١)]؛ لأن ما قدَّرَهُ الله لا بد وأن يكون، فلا يصحُّ أن يقول: (لو أني فعلت لكان كذا وكذا)، فما الذي يدريك أنه سيكون؟ فقد تريد الشيء ولا يقع، ولكن ما قُدِّر فهو كائن؛ كما قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا يُقَدَّرْ يَكُنْ»، ولهذا قال الحسن - رحمة الله عليه - هنا في قضية الأكل من الشجرة: «لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ»، «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»[(٢)].

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

وهذا يشبه حديث محاجَّة آدم لموسىٰ - عليهما السلام -[1] من ناحية حتمية وقوع المقدَّر، لكن اختلفا في أن محاجَّة آدم لموسىٰ - عليهما السلام - كانت علىٰ أمر قد وقع، ولكن لوم موسىٰ لآدم لم يكن علىٰ الذنب والعيب، وإنما كان علىٰ المصيبة التي جاءت نتيجةً للذنب.

أما الحسن فَسُئِل عن شيء وقع لو كان لم يقع؛ قال: (أَرَأَيْتَ لَوِ اعْتَصَمَ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الشَّجَرَةِ؟)؛ يعني: لو لم يوجد الأكل. قَالَ: «لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ» يعني: لأنه مقدَّر.

قَوْلُهُ: (قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصافات: ١٦٣]. قَالَ: «إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَفْتِنُونَ بِضَلَالَتِهِمْ إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَحِيمَ»)؛ هذا أيضًا يبين الإيمان بالقدر، وأن قوله:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٣٨)، ومسلم (١٥/ ٢٦٥٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ. قَالَ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَىٰ الْأَرْضِ! فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَىٰ: بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ».

﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٢]؛ أي: مع كون الشياطين أو المضلِّين يفتنون غيرهم، إلا أنَّهم لا يفتنون أحدًا إلا وقد كتب الله أنه يُفتن، وليس معنىٰ ذلك: أنهم يُوجِدون هذه الفتن وليس لله تقدير لها. بل إن كل ما يحصل من هداية وضلالة فإنَّما يكون بقضاء الله وقدره، قال تعالىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧]. فما قدَّره الله من خير أو شر، وما قدَّره الله من هداية أو ضلال؛ فلابُدَّ أن يكون.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله بن الجراح**)؛ صدوق يخطئ، أخرج له أبو داود، والنسائي في «مسند مالك»، وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد بن زيد**)؛ هو حماد بن زيد البصري وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن خالد الحذاء**)؛ هو خالد بن مهران الحذاء، وهو ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. و(الحذَّاء) لقب، وسبب تلقيبه بذلك: قيل: أنه كان يجالس الحذائين. وهذه - كما يقولون - نسبة إلىٰ أدنىٰ مناسبة؛ لأنَّ الأصل في الحذَّاء أنه هو الذي يبيع الأحذية، أو الذي يصنعها، وأما أن يلقب بذلك من يجلس عند الحذائين؛ فهذه نسبة لا تسبق إلىٰ الذهن. ومثله قولهم في (يزيد الفقير)، فالمتبادر إلىٰ الذهن أن الفقير هو من الفقر،

لكن سموه (الفقير)؛ لأنه اشتكىٰ من فِقَار ظهره، فقيل له: الفقير[1].

وقيل: لقب بـ(الحذاء)؛ لأنه كان يقول: احْذُ علىٰ هذا النحو[2].

قَوْلُهُ: (عن الحسن)؛ هو الحسن بن أبي الحسن البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١٥ - حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]؛ قَالَ: «خَلَقَ هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ، وَهَؤُلَاءِ لِهَذِهِ»[3].

الشَّرح

ثم أورد المصنف هذا الأثر عن الحسن أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِذَٰلِكَ

---

(١) وهو يزيد بن صهيب أبو عثمان الكوفي الملقب بالفقير، من كبار شيوخ أبي حنيفة، وهو ثقة، أخرج حديثه الستة إلا الترمذي. [انظر ترجمته في: (السير (٥/ ٥٢٤)، وتقريب التهذيب (ص ٦٠٢)].

(٢) انظر: تقريب التهذيب (ص ١٩١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٧١). وكنيته: أبو المنازل.

(٣) **صحيح الإسناد مقطوع:** أخرجه ابن جرير في التفسير (١٥/ ٥٣٥)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٧٨)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص ٥٠٨)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

خَلَقَهُمْ﴾؛ قال: «خَلَقَ هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ، وَهَؤُلَاءِ لِهَذِهِ»؛ أي: خلق أهل السعادة للجنة، وأهل الشقاوة للنار. أي: أنه قد سبق قضاء الله وقدره بأن الأشقياء للنار، وأن السعداء للجنة، لكن لا يقال: إنهم مجبورون علىٰ هذا، بل لهم عقول ولهم إرادة ومشيئة، وقد رُغِّبوا ورُهِّبوا، فمن سلك الطريق الموصل إلىٰ الجنة انتهىٰ إليها، ومن سلك الطريق الموصل إلىٰ النار انتهىٰ إليها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: بيَّنَّا له طريق الخير والشر. وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»(١).

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدّثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو موسىٰ بن إسماعيل التَّبُوذَكي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد**)؛ هو ابن سلمة بن دينار البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**حدثنا خالد الحذاء عن الحسن**)؛ قد مرَّ ذكْرُهما.

۞ ۞ ۞

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١٦- حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٦٣]؛ قَالَ: «إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَصْلَىٰ الْجَحِيمَ»[(١)].

الشَّرْح

وهذا مِثْلُ الأثر السابق.

وقوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾؛ أي: من قدر الله وقضىٰ عليه أنه يصلىٰ الجحيم؛ فهذا هو الذي يفتنه المضلون، وأما من لم يُكتب عليه ذلك فإنه لا يحصل له، كما قال الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»**[(٢)].

---

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٣)، والفريابي في القدر (رقم ٣١٩)، والآجري في الشريعة (٢/ ٧١٣)، والبيهقي في القضاء والقدر (رقم ٣٣٥)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو كامل)؛ هو أبو كامل الجحدري، فضيل بن حسين، وهو ثقة، أخرج له البخاريُّ تعليقًا، ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا إسماعيل**)؛ هو ابن علية، إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (حدّثنا خالِدٌ الْحذَّاءُ، قال: قُلْتُ لِلْحسنِ)؛ قد مرَّ ذكرهما.

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١٧- حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي حُمَيْدٌ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «لَأَنْ يُسْقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: الْأَمْرُ بِيَدِي»[1].

الشَّرح

ثم أورد هذا الأثر عن الحسن حيث قال: «لَأَنْ يُسْقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه ابن بطة في الإبانة (٤/ ١٨٢)، والبيهقي في القضاء (ص ٣١٢)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: الْأَمْرُ بِيَدِي»؛ أي: يقول: إنه مستقلٌّ بأفعاله لم يقدِّر الله عليه شيئًا منها، وأن العباد يخلقون أفعالهم. بل إنَّ الخالق لكل شيء هو الله تعالىٰ؛ فالعبد يفعل بمشيئته وإرادته، ولكن لا يخرج بذلك عن مشيئة الله وإرادته.

والمقصود من ذلك: نفي القول بالقدر الذي يقول فيه القدرية: إن الإنسان يخلق فعله ويوجد فعله، والله لم يُقَدِّر عليه شيئًا.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا هلال بن بشر**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «جزء القراءة»، وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد**)؛ حماد هو ابن زيد، وهو ثقة، وقد مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**أخبرني حميد**)؛ هو حميد بن أبي حميد الطويل، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**الحسن**)؛ قد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١٨- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا الْحَسَنُ مَكَّةَ، فَكَلَّمَنِي فُقَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي أَنْ يَجْلِسَ لَهُمْ يَوْمًا يَعِظُهُمْ فِيهِ؛ فَقَالَ: نَعَمْ. فَاجْتَمَعُوا فَخَطَبَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ

أَخْطَبَ مِنْهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَلَقَ الشَّيْطَانَ؟ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ! هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ؟! خَلَقَ اللهُ الشَّيْطَانَ، وَخَلَقَ الْخَيْرَ، وَخَلَقَ الشَّرَّ»، قَالَ الرَّجُلُ: قَاتَلَهُمُ اللهُ! كَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ هَذَا الشَّيْخِ؟!![1].

الشَّرح

أورد أبو داود هذا الأثر عن الحسن؛ أنه قدم مكة فقال حميد: فَكَلَّمَنِي فُقَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي أَنْ يَجْلِسَ لَهُمْ يَوْمًا يَعِظُهُمْ فِيهِ ويذكِّرُهم، فأجابهم إلىٰ ذلك، فَاجْتَمَعُوا إليه، فَخَطَبَهُمْ. قال: فَمَا رَأَيْتُ أَخْطَبَ مِنْهُ. أي: أبلغ وأفصح منه.

قال: (**فقال له رجل: مَنْ خَلَقَ الشَّيْطَانَ؟ فقال: «سبحان الله!** ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]؟! **خَلَقَ اللهُ الشَّيْطَانَ، وَخَلَقَ الْخَيْرَ، وَخَلَقَ الشَّرَّ»، فقال الرَّجُلُ: قَاتَلَهُمُ اللهُ! كَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ هَذَا الشَّيْخِ؟!!**)؛ أي: كأنه نُسب إليه أنه يقول بشيء من القدر، ولهذا اختبره بهذا السؤال؛ حتىٰ يعرف هل الأمر كما يقولون، أو أنه بخلاف ما يقولون، فلما تبيَّن له أن الأمر بخلاف ما يُقال؛

---

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٩٤٢)، وابن بطة في الإبانة (٤/ ١٨١)، والبيهقي في القضاء (رقم ٥٠٥)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

دعا علىٰ أولئك الذين ينسبون إليه أنه يقول بشيء من القدر.

❁ **رجال الإسناد:**

كلُّهم مرَّ ذكْرُهم.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦١٩- حَدَّثَنَا ابْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢]؛ قَالَ: «الشِّرْكُ»(١).

الشرح

ثم أورد هذا الأثر عن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال: «الشرك»؛ فكلُّ شيء مقدر؛ فالهداية مقدرة، والغواية مقدرة، وشرك المشرك واقع بقضاء الله وقدره، وإيمان المؤمن واقع أيضًا

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه الطبري (١٧/ ٧٠)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٧٩)، واللالكائي في شرح السنة (٣/ ٦١٣)، والبيهقي في القضاء (رقم ٣٣٤)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

بقضاء الله وقدره، لكن لا يقال: إنه مجبور وليس له إرادة ومشيئة. وإنَّما يحصل ذلك بمشيئته وإرادته التي لا تخرج عن مشيئة الله وإرادة الله.

۞ رجال الإسناد:

كلُّهم مرَّ ذكْرُهم.

۞ ۞ ۞

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٦٢٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ رَجُلٍ - قَدْ سَمَّاهُ غَيْرُ ابْنِ كَثِيرٍ عَنْ سُفْيَانَ: عَنْ عُبَيْدٍ الصِّيدِ -، عَنِ الْحَسَنِ؛ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]؛ قَالَ: «بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ»(١).

الشَّرح

ثم أورد هذا الأثر عن الحسن قال: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]

---

(١) ضعيف الإسناد مقطوع: أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٣٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٣٠٤)، وابن بطة (٣/ ٢٧٩)، والبيهقي في القضاء (رقم ٣٣٣) من طريق أبي الأشهب عن الحسن)، والبيهقي في القضاء (رقم٥١٠) من طريق أبي داود؛ به. وقال الألباني في سنن أبي داود: ضعيف الإسناد مقطوع.

قال: «بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ»؛ قيل: إن ذلك يكون عند البعث، فالإيمان لا ينفعهم إذا شاهدوا العذاب.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدّثنا مُحمّد بْنُ كثِيرٍ، قال: أخْبرنا سُفْيانُ، عنْ رجُلٍ - قدْ سمّاهُ غيْرُ ابْنِ كثِيرٍ: عنْ سُفْيان، عنْ عُبيْد الصِّيدِ -).

معناه: أنَّ الرجل المبهم في الطريق الأولىٰ بيَّنته الطريق الثانية وهو (**عبيدٌ الصِّيد**)؛ وهو عبيد بن عبد الرحمن المزني، وهو صدوق، أخرج له أبو داود.

والألباني ضعَّف هذا الإسناد، ويمكن أن يكون وجه الضعف أن الرجل الذي سمىٰ المبهم: عبيدًا الصيد؛ هو مبهمٌ أيضًا[1].

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٢١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمٌ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ بِالشَّامِ، فَنَادَانِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ[2] فَقَالَ:

(١) وله طريق أخرىٰ عن أبي الأشهب عن الحسن؛ راجع التخريج السابق.

(٢) رجاء بن حيوة أبو المقدام الكندي، كان فاضلًا ثقة فقيهًا كثير العلم، وكان ملازمًا لعمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة، وهو الذي أشار علىٰ سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز، مات سنة ١١٢ وقد شاخ، أخرج حديثه مسلم والأربعة.
=

يَا أَبَا عَوْنٍ، مَا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُونَ عَنِ الْحَسَنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: «إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ الْحَسَنِ كَثِيرًا»[(١)].

الشَّرح

ثم أورد هذا الأثر، وهو يشبه ذلك الجواب الذي قاله الرجل بمكة: (قَاتَلَهُمُ اللهُ! كَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ هَذَا الشَّيْخِ؟!!).

والمقصود من ذلك: أنه نُسِبَ إليه شيء من القدر، وقد تبيَّن أنه سليم من ذلك.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدّثنا محمد بن عبيد)؛ هو محمد بن عبيد بن حِسَاب، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا سليم)؛ هو ابن أخضر، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

=

[انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (١/ ٨٩)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٠١)، وتقريب التهذيب (ص ١٠٨)].

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه ابن بطة (٤/ ١٧٨)، والبيهقي في القضاء (رقم ٥١٧)؛ من طريق أبي داود؛ به. وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

قَوْلُهُ: (عن ابن عون)؛ هو عبد الله بن عون، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٢٢- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ، يَقُولُ: «كَذَبَ عَلَىٰ الْحَسَنِ ضَرْبَانِ مِنَ النَّاسِ: قَوْمٌ الْقَدَرُ رَأْيُهُمْ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُنَفِّقُوا بِذَلِكَ رَأْيَهُمْ. وَقَوْمٌ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ شَنَآنٌ وَبُغْضٌ يَقُولُونَ: أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا؟ أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا؟»(١).

الشَّرح

ثم أورد هذا الأثر أن أيوب السختياني قال: «كَذَبَ عَلَىٰ الْحَسَنِ ضَرْبَانِ مِنَ النَّاسِ»؛ أي: صنفان من الناس:

- قوم أهل قدر يريدون أن يُنَفِّقوا(٢) باطلهم بنسبة ذلك إلىٰ الحسن.

---

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه ابن بطة (٤/ ١٨٥)، والبيهقي في القضاء (٥١٨)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

(٢) أي: يُرَوِّجُوا. انظر القاموس المحيط (ص ٩٢٦)، والمعجم الوسيط (٢/ ٩٤٢)؛ مادة: (ن ف ق).

- «وَقَوْمٌ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ شَنَآنٌ[١] وَبُغْضٌ»؛ فهم يضيفون إليه ما لم يقل؛ فيقولون: أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا؟ أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا؟

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا سليمان بن حرب)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد)؛ هو ابن زيد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وقد مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (سمعت أيوب)، هو أيوب السختياني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٢٣ - حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّىٰ، أَنَّ يَحْيَىٰ بْنَ كَثِيرٍ الْعَنْبَرِيَّ، حَدَّثَهُمْ قَالَ: كَانَ قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ يَقُولُ لَنَا: «يَا فِتْيَانُ! لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ الْحَسَنِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ رَأْيُهُ السُّنَّةَ وَالصَّوَابَ»[٢].

الشَّرح

ثم أورد هذا الأثر عن قرة بن خالد؛ أنه قال: «يَا فِتْيَانُ! لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ

(١) أي: بُغض. انظر: مختار الصحاح (ص ١٢٩)، والقاموس المحيط (ص ٤٤)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٩٥)؛ مادة: (ش ن أ).

(٢) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه ابن بطة (٤/ ١٨٣)، من طريق أبي داود؛ به. وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

الْحَسَنِ»؛ أي: لا يغلبكم القدريَّة عليه؛ فإنَّهُ ليس منهم، وإنما هو منكم؛ «فَإِنَّهُ كَانَ رَأْيُهُ السُّنَّةَ وَالصَّوَابَ»؛ فهو على الحقِّ، وليس على الضلالة.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا ابن المثنى)؛ هو محمد بن المثنى أبو موسى الزَّمِن، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أن يحيى بن كثير حدثهم)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (كان قرة بن خالد)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٢٤- حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، قَالَ: «لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ كَلِمَةَ الْحَسَنِ تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ؛ لَكَتَبْنَا بِرُجُوعِهِ كِتَابًا وَأَشْهَدْنَا عَلَيْهِ شُهُودًا. وَلَكِنَّا قُلْنَا: كَلِمَةٌ خَرَجَتْ لَا تُحْمَلُ»[1].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن عبد الله بن عون قال: «لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ كَلِمَةَ الْحَسَنِ تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ؛ لَكَتَبْنَا بِرُجُوعِهِ كِتَابًا وَأَشْهَدْنَا عَلَيْهِ شُهُودًا. وَلَكِنَّا

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه ابن بطة (٤/ ١٨٨)، من طريق أبي داود؛ به. وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

قُلْنَا: كَلِمَةٌ خَرَجَتْ لَا تُحْمَلُ»؛ أي: ولكنها حملت. وكأنه حصل منه كلام مُوهِم، فتلقَّفه من تلقَّفه، وأشاعه من أشاعه، وما جاء عنه من النصوص الكثيرة تدلُّ علىٰ سلامته.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا ابن المثنىٰ)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (وابن بشار)؛ هو محمد بن بشَّار الملقب بـ(بندار)، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

ومحمد بن المثنىٰ ومحمد بن بشار من شيوخ أصحاب الكتب الستة؛ كل الستة رووا عنهما.

قَوْلُهُ: (حدثنا مُؤَمَّل بن إسماعيل)؛ صدوق سيئ الحفظ، أخرج له البخاري تعليقًا، وأبو داود في «القدر»، والترمذي والنسائي وابن ماجه. **وأيضًا أخرج له أبو داود في السنن، كما هو موجود هنا؛ فما أدري ما وجه ذكر نسبته إلىٰ كتاب «القدر» فقط!**

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد بن زيد عن ابن عون)؛ وقدْ مرَّ ذكرُهما.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٢٥- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ

أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ لِي الْحَسَنُ: «مَا أَنَا بِعَائِدٍ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ أَبَدًا»[1].

الشَّرْح

ثم أورد المصنف هذا الأثر عن الحسن قال: «مَا أَنَا بِعَائِدٍ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ أَبَدًا»؛ وهذا الأثر يدل علىٰ أنه قد حصل منه شيء وتلقَّفه الناس، وقد يكون هذا الذي حصل منه هو كلام مشتبه، ففهمه بعض الناس فهمًا خاطئًا، وأضيف إليه ذلك، فبلغه؛ فأخبر أنه لا يعود إلىٰ شيء ممَّا نُسِبَ إليْه.

❁ **رجال الإسناد:**

قد مرَّ ذكرهم جميعًا.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٢٦- حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عُثْمَانَ الْبَتِّيِّ، قَالَ: «مَا فَسَّرَ الْحَسَنُ آيَةً قَطُّ إِلَّا عَنِ الْإِثْبَاتِ»[2].

الشَّرْح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن عثمان البتي؛ أنه قال: «مَا فَسَّرَ الْحَسَنُ آيَةً

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه ابن بطة (٤/ ١٨٨)، من طريق أبي داود؛ به. وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

(٢) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه ابن بطة (٤/ ١٨٧)، من طريق أبي داود؛ به. وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

قَطُّ إِلَّا عَنِ الْإِثْبَاتِ»؛ أي: إثبات القدر.

وهذا فيه بيان دفع ما نُسِب إليه وردُّه، وأنه ما فسر آية إلا على إثبات القدر، وهو خلاف الشيء الذي نُسب إليه؛ وهذه نصوص كثيرة، وآثار متعدِّدة، كلها تدلُّ على سلامة الحسن مما نسب إليه من القدر.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا هلال بن بشر**)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عثمان بن عثمان**)؛ وهو صدوق ربَّما وَهِمَ، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن عثمان البتي**)؛ هو عثمان بن مسلم البتي، وهو صدوق، عابوا عليه الإفتاء بالرأي، أخرج له أصحاب السُّنن.

❁ ❁ ❁

الأسئلة

السؤال: هل أهجر صاحب البدعة - إن كان صديقًا لي - وأترك معاملته بسبب بدعته؛ استدلالاً بفعل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

الجواب: ينبغي أن يُحرص على مناصحته وتوجيهه وإرشاده، فإن حصل أثر لذلك؛ فهو المطلوب، وإن لم يحصل وكانت تلك البدعة تقتضي ذلك، وهي واضحة جليَّة، وكان تركه يمكن أن يؤثر فيه؛ فليفعل.

❋ ❋ ❋

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بَابٌ فِي التَّفْضِيلِ

٤٦٢٧- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ: لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ. ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»(١).

الشَّرح

يقول الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (بابٌ في التفضيل)؛ أي: التفضيل بين الأشخاص، وأنَّ فلانًا أفضل أو خير من فلان.

۞ التفضيل لا يكون إلا بدليل:

معلوم أن التفضيل الذي يتعلَّق بتفاوت الناس في الدرجات عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ لا بد فيه من دليل؛ لأن هذا من الأمور الغيبية التي لا تُعرَف إلا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

بالدليل؛ بأن يأتي ذلك عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، سواء كان من قوله أو من إقراره.

وأمَّا التفضيل بأمور تظهر؛ كأنْ يقال: فلان أعلم من فلان. أو بغير ذلك؛ فهذا يمكن أن يعرف بالمشاهدة والمعاينة؛ كما جاء في حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ**»[1]، فهذا يمكن أن يعرف.

وقد أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ: لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ. ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»؛ يعني: لا نقول: فلان أفضل من فلان، فهذا كان في زمنه ﷺ وحياته، وأمَّا بعد ذلك وبعد أن عرفت النصوص في التفضيل؛ فإنه يتعيَّن المصير إلىٰ ما تثبت به السنة عن رسول الله ﷺ.

۞ فضل الخلفاء الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

ومن المعلوم أنَّ الخلفاء الراشدين الأربعة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم - هم أفضل من غيرهم، وهم خير هذه الأمة بعد نبيها، **وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا هو الذي تم ووقع، وهم جميعًا خلفاء راشدون بنصِّ حديث الرسول ﷺ:

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٠/ ٦٧٣).

«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١)، فأهل السنة والجماعة متَّفقون على أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الخلافة هو هذا الترتيب الذي وقع وحصل، ومن اعترض عليه، أو تكلم وقدح فيه؛ فقد قدح فيما حصل من أصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذين هم خير هذه الأمة، والذين هم أحرص الناس على كل خير، وأسبق الناس إليه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -.

وخلافتهم خلافة نبوَّة: كما جاء ذلك في الحديث عن رسول الله ﷺ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»(٢).

ومعنى أنَّ خلافة هؤلاء الأربعة خلافة نبوَّة: أنَّهم جاءوا بعد النبي ﷺ، وكانوا خلفاء له، وقاموا بالأمر بعده خير قيام، وقد جاء في الحديث الحثُّ على اتباع سنتهم، ثم بعد ذلك تكون ملكًا؛ كما قال ﷺ: «ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ».

ومدَّة خلافتهم كانت ثلاثين سنة؛ فأبو بكر له سنتان وأشهر، وعمر له عشر سنوات وأشهر، وعثمان له اثنتا عشرة سنة وأشهر، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

مكث قريبًا من خمس سنوات.

❁ منزلة الخلفاء الأربعة من النبي ﷺ:

ثم إن هؤلاء الأربعة الذين هم خلفاؤه الراشدون، والذين هم أفضل هذه الأمة؛ كلهم لهم صلة مصاهرة برسول الله ﷺ:

- **فأبو بكر وعمر قد تزوَّج رسول الله ﷺ ببنتيهما**؛ فتزوج عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- **والأخيران عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تزوجا من بنات الرسول ﷺ**؛ فعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تزوج ابنتين من بنات الرسول ﷺ، وهما: رقية وأم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولذا فإنه يقال له: ذو النورين. وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تزوج بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وله قرابة منه أيضًا.

❁ تفضيل عثمان على علي:

وتقديم عثمان علىٰ علي هو المشهور عند أهل السنة والجماعة، وهو قول جمهورهم، وقد جاء عن بعض أهل السنة والجماعة أن عليًّا أفضل من عثمان، ولكن الذين يقولون بتفضيل عليٍّ علىٰ عثمان لا يقولون بأنه أحق وأولىٰ منه بالخلافة، كما قال بعض السلف: (**من قدَّم عليًّا علىٰ عثمان فقد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار**)؛ لأنَّ هذا اعتراض علىٰ ما حصل وجرىٰ منهم من تقديم عثمان علىٰ علي في الخلافة - رضي الله تعالىٰ عن الجميع -. فترتيبهم في الخلافة أمر متفق عليه بين أهل السنة، وإنما خلاف البعض فيما

يتعلق بالتفضيل. ومن المعلوم - حتَّىٰ علىٰ هذا القول الذي قاله بعض أهل السنة من أن عليًّا أفضل من عثمان - أنَّه يجوز ويسوغ تولية المفضول مع وجود الفاضل. لكن الذي استقرَّ عليه قول أهل السنة: **هو أن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أفضل من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ**، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ومسألة (تقديم عثمان علىٰ علي أو علي علىٰ عثمان) ليست من المسائل التي يبدَّع فيها المخالف، فقد قال به جماعة من أهل السنة، وإن كان القول الصحيح الذي عليه جمهور أهل السنَّة خلاف ذلك القول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: «وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

- فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ.
- وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا.
- وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ: تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ

عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[١].

وكون قول أهل السنة استقرَّ على أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ هذا هو المشهور، ولكن جاء عن بعضهم - كما يذكرون في تراجمهم - أنهم كانوا يقولون بتفضيل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقدح فيهم بعض العلماء لذلك؛ كما قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» في ترجمة عبد الرحمن بن أبي حاتم الإمام ابن الإمام[٢]: «وما ذكرته لولا ذكر أبي الفضل السليماني[٣] له، فبئس ما صنع!! فإنه قال: ذِكْرُ أسامي الشيعة من المحدثين الذين يقدِّمون عليًّا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الأعمش، النعمان بن ثابت، شعبة بن الحجاج، عبد الرزاق، عبيد الله بن موسى، عبد الرحمن بن أبي حاتم».

وإنما أورده في كتابه ليدافع عنه؛ فإنه قال في المقدمة: «وفيه من تكُلِّم

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ١١٧، ١١٨)، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد الرَّازي، ابن أبي حاتم، الحافظ الثبت ابن الحافظ الثبت، ولد سنة ٢٤٠، وتوفي سنة ٣٢٧. [انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٢/ ٥٧٨)، وطبقات السبكي (٣/ ٣٢٤)].

(٣) أحمد بن علي بن عمرو، أبو الفضل السليماني البيكندي البخاري، صنف وجمع، وتقدم في الحديث، ولد سنة ٣١١، وتُوفي في ذي القعدة سنة ٤٠٤. [انظر ترجمته في: السير (١٣/ ١٧)، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (١/ ٣٥٥)، ومعجم المؤلفين (٦/ ٨٢)].

فيه مع ثقته وجلالته بأدنىٰ لين، وبأقل تجريح، فلولا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته؛ لثقته، ولم أرَ من الرأي أن أحذف اسم أحد ممن له ذكر بتليين ما في كتب الأئمة المذكورين؛ خوفًا من أن يُتعقَّب عليّ، لا أني ذكرته لضعف فيه عندي»[1]؛ فيذكر فيه أناسًا ليسوا بمجروحين، ولكنه يذكرهم ليدافع عنهم في شيء أُضِيف إليهم.

❁ فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَوْلُهُ: (**لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا**)؛ أي: لا نقدِّم عليه ولا نُسَوِّي به أحدًا، بل هو مُقَدَّم علىٰ غيره. وقد جاءت نصوص كثيرة – كما هو معلوم – في بيان فضله وبيان عظيم قدره ومنزلته، **ومن أوضحها وأشهرها:**

– ما رواه مسلم في «صحيحه»، عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمسٍ يقول: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[2]؛ فقد أخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن أمر لا يكون أنْ لو كان يكون؛ (**أخبر عن أمر لا يكون**)؛ وهو كونه يتخذ خليلًا من أمته، (**أنْ لو كان يكون**)؛ فأخبر أنه لو

---

(١) ميزان الاعتدال (١/ ٢).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢/ ٢٣٨٢).

كان هذا الذي لا يكون؛ فإن الذي سيكون أحقُّ به، والذي سيظفر به؛ هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا يدل على فضله وعلى تقدمه على غيره.

- وقال الرسول الكريم ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّىٰ أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّىٰ مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَىٰ. وَيَأْبَىٰ اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»[1]؛ فقال في حق خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يأبىٰ الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»؛ يعني: أنَّ الذي أريد أن أكتبه سيتحقق وسيتم؛ لأن الله تعالىٰ يأبىٰ إلا أبا بكر، والمؤمنون يأبون إلا أبا بكر، وقد حصل هذا الذي أخبر به النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأبىٰ الله إلا أبا بكر، وأبىٰ المؤمنون إلا أبا بكر؛ فاتَّفق الصحابة علىٰ بيعة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ، وسموه خليفة رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، ورضي الله تعالىٰ عن أبي بكر، وعن الصحابة أجمعين -.

❁ فضل عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

قَوْلُهُ: (ثُمَّ عُمَرَ)؛ أي: يليه في الفضل، وهذا متَّفق عليه، وهو أيضًا يليه في الخلافة.

قال: (ثُمَّ عُثْمَانَ).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١١/ ٢٣٨٧)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

❁ الحكمة من الاقتصار على هؤلاء الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعدم ذكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال **الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لعل الحديث محمول على الكبار من أصحاب رسول الله ﷺ، أما من وراءهم فلا يشك بأن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي يلي عثمان، وأنه أفضل من غيره، ولكنه اقتصر على ذكر الكبار المتقدمين في السن، والذين لهم المنزلة والمكانة الرفيعة عند رسول الله ﷺ، وهم أهل مشورته والمقربون إليه، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان دونهم في السن فليس من كبارهم، ولكن لا شك أنه هو خير أصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان».

وفي حديث العشرة المبشرين بالجنة الذين سردهم النبي ﷺ كلهم في حديث واحد؛ ذَكَرَ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رابعهم، فقال: **«أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»**[1]؛ فلُقِّبوا بالعشرة المبشرين بالجنة؛ لأنهم شُهِدَ لهم بذلك في حديث واحد، وإن كان شُهِد لغيرهم

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٤٧)، عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه الترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣) عن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٠).

بالجنة في أحاديث متعددة، وفي مناسبات مختلفة؛ كما جاء في الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١)، وكذلك عُكَاشَة بن مِحْصَن(٢)، وثابت بن قيس بن شماس(٣)، وبلال(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهم من أصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ممَّن جاءت الشهادة لهم بالجنَّة من رسول الله ﷺ في أحاديث متعددة.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا عثمان بن أبي شيبة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورقم (٣٧٨١) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه رقم (١١٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٧٩٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨/٣٧١) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والبخاري (٥٨١١)، ومسلم (٣٦٧/ ٢١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٣٧٤/ ٢٢٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهو عُكاشة - بتشديد الكاف وتخفيفها - بن محصن أبو محصن الأسدي، من السابقين الأولين، شهد بدرًا، واستشهد في حروب الردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [انظر ترجمته في: الاستيعاب (٣/ ١٠٨٠)، والإصابة (٤/ ٤٣٩)، والسير (٣/ ١٨٩)].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١٨٧/ ١١٩)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي، خطيب النبي ﷺ، شهد أحدًا وما بعدها، وشهد بيعة الرضوان، واستشهد في قتال أهل الردة. [انظر ترجمته في: الاستيعاب (١/ ٢٠٠)].

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (١٠٨/ ٢٤٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الستة إلا الترمذي، وإلا النسائي فإنه إنما أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (حدثنا أسود بن عامر)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة)؛ هو المَاجِشُون، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبيد الله) - مصغَّر -؛ هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر العمري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن نافع)؛ مولىٰ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن عمر)؛ هو عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الصحابي الجليل، وهو أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٢٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا عَنْبَسَةُ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أَجْمَعِينَ»[(١)].

الشَّرح

أورد أبو داود أثر ابن عمر من طريق أخرىٰ، عن ابنه سالم، عنه قال: «كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ».

قَوْلُهُ: (بعده)؛ أي: بعد بعثته ﷺ، وليس معنىٰ ذلك أنَّهم يفضَّلون علىٰ أحد من الأنبياء، بل إن الأنبياء أفضل من جميع البشر؛ فهم أرفع الناس درجة وأعلاهم منزلة، ولكن المقصود: بعد بعثة الرسول ﷺ؛ فخير هذه الأمة همْ هؤلاء، والأنبياء والرسل كلهم مضوا قبله – صلوات الله وسلامه عليهم –.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا أحمد بن صالح)؛ هو المصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود، والترمذي في «الشمائل».

قَوْلُهُ: (حدثنا عنبسة)؛ هو عنبسة بن خالد الأَيْلي، وهو صدوق، أخرج له البخاري وأبو داود.

قَوْلُهُ: (حدثنا يونس)؛ هو يونس بن يزيد الأَيْلي، وهو ثقة، أخرج له

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (رقم ٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (١١٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٥)، وغيرهم، وصححه الألباني في ظلال الجنة. وأخرجه البخاري بنحوه، وقد تقدَّم.

أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن شهاب)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (قال سالم)؛ هو سالم بن عبد الله بن عمر، وهو ثقة فقيه، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، على أحد الأقوال الثلاثة في السابع منهم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (إن ابن عمر)؛ هو عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد مرَّ ذكره.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٢٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَىٰ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ». قَالَ: ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ: ثُمَّ مَنْ؟ فَيَقُولَ: عُثْمَانُ؛ فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبَةِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١).

الشَّرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه سأله ابنه محمد بن علي المشهور بـ(ابن الحنفية): أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ:

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧١).

«أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، قَالَ: ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ: ثُمَّ مَنْ؟ فَيَقُولَ: عُثْمَانُ؛ فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبَةِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»؛ وهذا يدلُّنا على أنَّ تقديم أبي بكر وعمر أمرٌ مستقرٌّ ومعروف، بل علي نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبت عنه ذلك، كما جاء في هذا الأثر الصحيح الثابت عنه[1]، وهذا - كما هو معلوم - مبنيٌّ على ما يعلمونه من رسول الله ﷺ، وقد تكلَّم به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كما في حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ»[2].

وقول محمد ابن الحنفية: (ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ: ثُمَّ مَنْ؟ فَيَقُولَ: عُثْمَانُ)؛ كأنه قد استقرَّ أيضًا واشتهر عندهم أنَّ عثمان هو الذي يلي عمر، كما مرَّ في كلام ابن عمر الذي رواه أبو داود من الطريقين السابقين. فكأنه

---

(١) متواتر: أخرجه أحمد (١/ ١٠٦) ومواضع، وفي فضائل الصحابة (١/ ٧٦، رقم ٤٠) ومواضع، والطبراني في الكبير (١/ ١٠، رقم ١٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٩٩ - ٢٠١)، وغيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ الذهبي: متواتر عن علي. وقال شيخ الإسلام: رواه بضع وثمانون نفسًا عن علي. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٣، ٣/ ١٥٣، ومواضع)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ١١٥، ومواضع). وانظر التخريج السابق.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٨/ ٢٣٨٤).

قال ذلك لما هو معروف بينهم، وما كانوا يتحدثون به.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن كثير**)؛ هو محمد بن كثير العبدي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا سفيان**)؛ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا جامع بن أبي راشد**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو يعلىٰ**)؛ وهو المنذر بن يعلىٰ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن محمد ابن الحنفية**)؛ هو محمد بن علي بن أبي طالب، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**قال: قلت لأبي**)؛ أبوه هو علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمّة، والفضائل الكثيرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٣٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِسْكِينٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ - يَعْنِي: الْفِرْيَابِيَّ -،

قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ، يَقُولُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَحَقَّ بِالْوِلَايَةِ مِنْهُمَا؛ فَقَدْ خَطَّأَ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَالْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارَ، وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَىٰ السَّمَاءِ»(١).

الشرح

ذكر المصنف هذا الأثر عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَحَقَّ بِالْوِلَايَةِ مِنْهُمَا»؛ أي: من الشيخين «فَقَدْ خَطَّأَ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَالْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارَ»؛ لأن أبا بكر بويع بالخلافة وقبل البيعة بالخلافة، وعمر ممَّن بايعه بل هو أوَّل من بايعه(٢)، وكذلك المهاجرون والأنصار بايعوه، فمن زعم أنه أحق بالولاية منهما؛ فقد خطَّأهم جميعًا، واتبع غير سبيل المؤمنين؛ لأنَّهم اتفقوا علىٰ ذلك، وهم خير هذه الأمة، وأحرص الناس علىٰ كل خير، وأسبق الناس إليه - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -؛ ولهذا جاء عن جماعة من العلماء فيمن قال بتفضيل غيرهما

(١) **صحيح الإسناد مقطوع**: قال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع. وصححه أيضًا في ظلال الجنة (٢/ ٢٠٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦٨)؛ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

عليهما؛ (أنه قد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار)[١].

قَوْلُهُ: (وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَىٰ السَّمَاءِ) أي: أنه لن يقبل له عمل؛ لأنه خالف ما عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن مسكين**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد - يعني: الفريابي -**)؛ هو محمد بن يوسف الفريابي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**سمعت سفيان**)؛ هو الثوري، وقد مرَّ ذكره.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٣١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ فَارِسٍ، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ السَّمَّاكُ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: «الْخُلَفَاءُ خَمْسَةٌ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٤٥، رقم ٨٣٢)، عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٣٠٩) عن إبراهيم النخعي، وأخرجه الخلال في السنة (٥١٦)، وابن الأعرابي في معجمه (١٥٠٩)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٧)، عن سفيان الثوري.

(٢) ضعيف الإسناد مقطوع: أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وقال الألباني في سنن أبي داود: ضعيف الإسناد مقطوع.

الشرح

ثم ذكر المصنف هذا الأثر عن سفيان الثوري؛ أنه قال: «الْخُلَفَاءُ خَمْسَةٌ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

❁ مكانة خلفاء بني أمية، وأفضلهم بعد الخلفاء الراشدين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ولا شكَّ أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ من الخلفاء، وقد تقدمه خلفاء، وقد قال النبي ﷺ: «**لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَىٰ اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**»[1]، ولا شكَّ أن عمر بن عبد العزيز منهم، وكذلك معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبله منهم، فبعد الخلفاء الراشدين ثمانية من بني أمية، وكلُّهم وصفهم النبي ﷺ بأنهم خلفاء.

وقوله ﷺ: «**لا يزال أمر الناس قائمًا**»؛ فقد كان الأمر كذلك، فكان أمر الناس ماضيًا؛ كان الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ؛ فكان الجهاد قائمًا، وكانت القوَّة والغلبة للمسلمين، وكانوا يجاهدون، ويغزون الكفار في بلادهم، ويخرجونهم من الظلمات إلىٰ النور، ويهدونهم إلىٰ الصراط المستقيم، ويبصرونهم بالدين، والجيوش في زمن بني أمية وصلت إلىٰ المحيط الأطلسي غربًا، وإلىٰ الصين والسند والهند شرقًا.

ولم يأتِ بعد الخلفاء الراشدين من الولاة والملوك والخلفاء مثل

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٢٢٢)، ومسلم (١٠/ ١٨٢٢)، عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا اللفظ لمسلم.

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه صحابي، والصحابة أفضل من غيرهم، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(١)]، فالصحابة خير من التابعين، وكل واحد من الصحابة خير من أي واحد من التابعين؛ فالصحابة لهم ميزة على غيرهم، وعمر بن عبد العزيز من التابعين، فمعاوية خير وأفضل منه، وهو أفضل من كل تابعي.

وبعض أهل العلم قال: إن عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الخامس. لكنه غير صحيح؛ لأن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الخليفة الخامس، وهو أوَّل خليفة بعد الخلفاء الراشدين.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن يحيى بن فارس**)؛ هو الذهلي، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**حدثنا قَبيصة**)؛ هو قبيصة بن عقبة، وهو صدوق ربَّما خالف، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عباد السماك**)؛ وهو مجهول، أخرج له أبو داود.

---

(١) أخرجه البخاري، في الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٦٥٢)، ومسلم، في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢١٢/ ٢٥٣٣)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري، في نفس الموضع رقم (٢٦٥١)، ومسلم كذلك رقم (٢١٤/ ٢٥٣٥)، عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

قَوْلُهُ: (سمعت سفيان الثوري)؛ قد مرَّ ذكره.

وهذا الأثر الذي جاء عن سفيان غير صحيح؛ لأن في سنده عبَّادًا السماك؛ وهو مجهول.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

السؤال: هل تسمية عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ «خليفة» قدح في خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مع العلم أن معاوية خير من عمر؟!

الجواب: لا يقال: إن تسميته خليفة قدح؛ لأن معاوية خليفة أيضًا، وقد سبق الحديث: «لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَىٰ اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً»[(١)]، وهم الخلفاء الراشدون وثمانية من بني أمية، وأولهم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فهو خير الثمانية وأفضلهم، كما قال شارح «الطحاوية»: «وأول ملوك المسلمين معاوية، وهو خير ملوك المسلمين»[(٢)]، وقال الذهبي في كتابه «السير»: «ملك الإسلام»[(٣)]؛ يعني أول ملك في الإسلام، والنبي ﷺ قال: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»[(٤)]؛ وقد آتىٰ الله ملكه معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومكث في الخلافة عشرين سنة، من سنة إحدىٰ وأربعين إلىٰ سنة ستين.

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه: انظر التخريج السابق.

(٢) (ص: ٤٩٣).

(٣) (٤/ ٢٥٧).

(٤) صحيح: تقدم تخريجه.

السؤال: عندما سئل النبي ﷺ: «أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها» فهل يدل هذا على تفضيل عائشة على أبيها؟

الجواب: لا يدلُّ علىٰ ذلك؛ لأن الأصل عند أهل السنَّة والجماعة أن الصحابة جميعًا أفضلهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. وابن حزم يقول: إن أمهات المؤمنين أفضل من غيرهن؛ لأنَّهن مع النبي ﷺ في الجنة، وهن في درجته ومعه، فيكن أفضل من غيرهن[1]. لكن النصوص علىٰ أن خير هذه الأمة - وهو الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة - بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر: الفِصَل لابن حزم (ت: ٤٥٦) (٤/ ٩١ - ٩٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة (ت: ٧٢٨) في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٩٥): «وأما نساء النبي ﷺ فلم يقل: إنهن أفضل من العشرة؛ إلا أبو محمد ابن حزم، وهو قول شاذ لم يسبقه إليه أحد، وأنكره عليه من بلغه من أعيان العلماء، ونصوص الكتاب والسنة تبطل هذا القول، وحجته التي احتج بها فاسدة...»، وراجع تمام كلامه هناك.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ

الشَّرح

قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ)؛ الخلفاء جمع خليفة، والخليفة هو الذي يلي الأمر، ويقال له: خليفة؛ لأنه يَخْلُفُ من قبله؛ ولهذا لما تُوُفِّي رسول الله ﷺ وبايع المسلمون أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاروا يلقبونه بخليفة رسول الله؛ لأنه خلفه وقام بالأمر بعده، فيلقبونه: خليفة رسول الله ﷺ، وهذا اللقب اختص به، ثم قيل لمن بعده: (**أمير المؤمنين**). وذلك لأن الإضافات ستكثر، فأبو بكر هو خليفة رسول الله ﷺ، وعمر يصير خليفة خليفة رسول الله لو جعلت المسألة بالإضافة، وعثمان خليفة خليفة خليفة رسول الله، فتزاد كلمة، وعلي أيضًا يزيد كلمة؛ فهم بدلًا من هذه الإضافات اختاروا هذا اللقب الذي هو: أمير المؤمنين، فصار أول من تلقب به: أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم صار يقال لكل واحد من الخلفاء: أمير المؤمنين.

فالخلفاء هم الولاة الذين يلون الأمر، وكل واحد يخلف الذي قبله، ويأتي خليفة من بعده، فأبو بكر جاء بعده عمر وخلفه وولي الناس من بعده، وكان ذلك بعهد إليه؛ أي: أن أبا بكر عهد إلىٰ عمر وأوصىٰ بأن يكون هو الخليفة من بعده، واعتبر هذا الاختيار من أعظم حسنات أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه اختار للمسلمين رجلًا قويًّا شجاعًا، حصل علىٰ يديه الخير الكثير؛ حيث فتحت الفتوحات، واتَّسعت رقعة البلاد الإسلامية، وقُضِيَ علىٰ الدولتين العظميين في زمانه؛ دولة الفرس، ودولة الروم، وأُنْفِقَت كنوز كسرىٰ وقيصر في سبيل الله علىٰ يديه؛ حيث أخذتها الجيوش المظفرة التي بعث بها وأتت بها إلىٰ المدينة، وتولىٰ قسمتها بنفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثمَّ اختار الصحابة من بعده عثمان، ثم بعد ذلك اختاروا عليًّا - رضي الله تعالىٰ عن الجميع -؛ فهؤلاء هم أول الخلفاء، ثم جاء خلفاء من بعدهم.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٣٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ فَارِسٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ - قَالَ مُحَمَّدٌ: كَتَبْتُهُ مِنْ كِتَابِهِ - قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَرَىٰ اللَّيْلَةَ ظُلَّةً يَنْطِفُ مِنْهَا السَّمْنُ وَالْعَسَلُ، فَأَرَىٰ

النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ بِأَيْدِيهِمْ؛ فَالْمُسْتَكْثِرُ، وَالْمُسْتَقِلُّ. وَأَرَىٰ سَبَبًا وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَأَرَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ، ثُمَّ وُصِلَ فَعَلَا بِهِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي وَأُمِّي لَتَدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَنَّهَا. فَقَالَ: «**اعْبُرْهَا**»، قَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا مَا يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ، فَهُوَ الْقُرْآنُ لِينُهُ وَحَلَاوَتُهُ، وَأَمَّا الْمُسْتَكْثِرُ، وَالْمُسْتَقِلُّ؛ فَهُوَ الْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالْمُسْتَقِلُّ مِنْهُ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ؛ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ: تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ بَعْدَكَ رَجُلٌ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، أَيْ رَسُولَ اللهِ! لَتُحَدِّثَنِّي أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ.

فَقَالَ: «**أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا**»، فَقَالَ: أَقْسَمْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَتُحَدِّثَنِّي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُقْسِمْ**»[(١)].

٤٦٣٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ فَارِسٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ،

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (١٧/ ٢٢٦٩)، وأخرجه أيضًا: الترمذي (٢٢٩٣)، وابن ماجه (٣٩١٨).

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ؛ قَالَ: «فَأَبَىٰ أَنْ يُخْبِرَهُ»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا جاء إلىٰ النبي ﷺ وقال: (أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَرَىٰ اللَّيْلَةَ ظُلَّةً)؛ أي: في منامه، و(الظلة): هي الشيء الذي له ظلٌّ، والمقصود بذلك: سحابة لها ظل.

قَوْلُهُ: (يَنْطِفُ مِنْهَا السَّمْنُ وَالْعَسَلُ)، يعني: يتساقط منها سمنٌ وعسلٌ، (فَأَرَىٰ النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ بِأَيْدِيهِمْ)؛ أي: بِأَكُفِّهم هذا السمن والعسل الذي ينزل، (فَالْمُسْتَكْثِرُ، وَالْمُسْتَقِلُّ)؛ أي: منهم الذي حصَّل شيئًا كثيرًا وقع في كفه، ومنهم من حصل له شيء قليل.

قال: (وَأَرَىٰ سَبَبًا وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ)؛ والسبب هو: الحبل (فَأَرَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ، ثُمَّ وُصِلَ فَعَلَا بِهِ).

فبادر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: (بِأَبِي وَأُمِّي لَتَدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَنَّهَا)، وطلب

(١) انظر السابق.

الإذن من الرسول ﷺ فأذن له، فقال: (أَمَّا الظُّلَّةُ) التي تنطف السمن والعسل (فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ)؛ أي: هذا الدين الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ، وأما كونها تنطف السمن والعسل؛ فإن ذلك ما جاء به من القرآن، وأنَّ الناس يتفاوتون في الأخذ من القرآن وفي العمل بما جاء فيه؛ فمنهم المستقل ومنهم المستكثر، يعني: علىٰ حسب ما يحصل منهم من التطبيق والتنفيذ لما جاء في القرآن.

ثم الحبل الذي نزل من السماء وعلا به الرسول ﷺ؛ هو إشارة إلىٰ ذهابه وإلىٰ الخلفاء من بعده، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي يليه، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم إنه يحصل ما يحصل له من قيام بعض الناس عليه، وحصره في داره، ثم قتله فيها، ثم إنَّه وُصل بعد ذلك بعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يعني: علا به عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم انقطع، ثم وصل وجاء رجل آخر فعلا به وهو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهذا هو تعبير هذه الرؤيا.

ولما فسَّر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا التفسير، وعبرها بهذا التعبير؛ قال: (أَيْ رَسُولَ اللهِ! لَتُحَدِّثَنِّي أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ)؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»، فَقَالَ: (أَقْسَمْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَتُحَدِّثَنِّي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ). فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُقْسِمْ».

❁ **يمين من قال (أقسمت):**

قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تُقْسِمْ» بعدما قال أبو بكر: (أَقْسَمْتُ): قيل: المقصود أنه

قال: أقسمت. ولم يقل: أقسمت بالله. ومثل هذا لا يعتبر قسمًا، فقال له النبي ﷺ: «لَا تُقْسِمْ»؛ فلم يحصل منه قسم فتحنث يمينه إذا لم يُبَرَّ.

- ومن العلماء من يقول: إنه قسم، ولكن اليمين لا تبر إلا إذا كان يترتب على عدم الإبرار مضرة، وأما إذا كان عدم البر فيه مصلحة؛ فإنَّها لا تبر اليمين، وليس كل من حلف على شيء أن يُخبَر به فإنه يلزم من حلف عليه الإخبار، فإنه إذا لم يكن في إخباره مصلحة؛ فإنه يحنث في يمينه ويكفرها، وهو خير وأولى من أن يخبر بأمر لا ينبغي الإخبار عنه.

وفي رواية البخاري ومسلم: قال: «فَوَاللهِ - يَا رَسُولَ اللهِ - لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ»[1]؛ وهذه توضح كلمة «أقسمت»، وعلى هذا يتعيَّن الوجه الثَّاني.

وكلمة (حلفت) أو (أقسمت) لا تعتبر قسمًا، ما لم يقل فيه: «بالله»؛ لكن حتى لو قال: أقسمت بالله. أو حلف عليه بالله أنه يخبره بسرٍّ من الأسرار التي لا ينبغي أن يخبره بها، فالذي حلف مخطئ في حلفه، وعليه أن يحنث ويكفر عن يمينه.

۞ الحكمة من عدم ذكر النبي ﷺ لما أخطأ فيه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ولعل الرسول ﷺ لم يخبره؛ لأنَّ في ذلك إشارة إلى ما حصل لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن النبي ﷺ لو أخبر به لكان في ذلك حزن وتأثير في الناس بمثل

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه قريبًا.

هذا الخبر، فأخفاه رسول الله ﷺ، ولكنَّه بعد ذلك وقع وعرفه الناس بالوقوع؛ ولهذا قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا فسَّر هذا الحديث؛ ردًّا علىٰ من تساءل بقوله: كيف لم يفسره الرسول ﷺ ولم يخبر به، ثم بعد ذلك يأتي الناس ويفسرونه؟ فقال: «فَإِنْ قِيلَ: فَلِمَ تكَلَّفْتُمْ أَنْتُمْ بَيَانه، وَقَدْ مَنَعَ النبي ﷺ الصِّدِّيق مِنْ تَعَرُّفه وَالسُّؤَال عَنْهُ؟

قِيلَ: مَنَعَهُ مِنْ هَذَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تعَلُّق ذَلِكَ بِأَمْرِ الْخِلَافَة، وَمَا يَحْصُل لِلرَّابِعِ مِنَ الْمِحْنَة وَانْقِطَاع السَّبَب بِهِ. فَأَمَّا وَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ وَوَقَعَ؛ فَالْكَلَام فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي غَيْره مِنَ الْوَقَائِع الَّتِي يُحْذَرُ الْكَلَامُ فِيهَا قَبْل وُقُوعهَا؛ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ، وَدَرْءًا لِلْمَفْسَدَةِ. فَإِذَا وَقَعَتْ؛ زَالَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي سُكِتَ عَنْهَا لِأَجْلِهِ»(١).

قَوْلُهُ ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»؛ ما أصاب فيه واضح، مثل: الحبل، والاتصال بالنسبة للرسول ﷺ، وللسمن والعسل والظلة، ولكن يبدو أنَّ الشيء الذي أخطأه هو بيان ما جاء في آخر الرؤيا، مما يتعلق بما حصل لعثمان.

وقوله: (وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ: تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ بَعْدَكَ رَجُلٌ فَيَعْلُو بِهِ)؛ هذا يتعلق

(١) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، في حاشية عون المعبود (١٢/ ٢٥١).

بخلافة أبي بكر، وأنه تبعه ﷺ ومات بعده.

وهكذا قوله: (ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ)؛ في عمر.

وقوله: (ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ)؛ وهذا فيه إشارة إلىٰ خلافة عثمان، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تهذيب السنن» قال: «وَلَفْظ حَدِيثه (ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ بِهِ ثُمَّ وُصِلَ)[1] فَقَطْ، وَهَذَا لَا يَقْتَضِي أَنْ يُوصَل لَهُ بَعْد انْقِطَاعه بِهِ، وَقَالَ الصِّدِّيق فِي تَفْسِيره فِي نَفْس حَدِيث الْبُخَارِيّ: (فَيَنْقَطِع بِهِ ثُمَّ يُوصَل لَهُ)؛ فَهَذَا مَوْضِع الْغَلَط، وَهَذَا مِمَّا يُبَيِّن فَضْل صِدْق مَعْرِفَة الْبُخَارِيّ وَغَوْر عِلْمه فِي إِعْرَاضه عَنْ لَفْظَة لَهُ فِي الْأَوَّل، وَإِنَّمَا انْفَرَدَ بِهَا مُسْلِم»[2]، يعني: يوصل لغيره وليس له، والمقصود من ذلك: علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وخلافته بعد عثمان. بخلاف ما في «صحيح مسلم» وغيره فقد جاء عندهم: (ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا بِهِ)؛ أي: أنه يرجع يوصل لمن انقطع عنده، بينما المقصود علىٰ رواية البخاري: أنه يرجع إلىٰ الذي جاء بعده؛ لأن أمره انتهىٰ بكونه قتل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وذكر قطع الخلافة بقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بخلاف غيره؛ فأبو بكر مات، وعمر قُتل ولكنه ما قتل علىٰ الخلافة، وأما عثمان فقد قتل علىٰ الخلافة فإِنَّمَا أُرِيدَ مِنْهُ أَنْ يَخْلَع نَفْسه ويتركها وحصروه في داره حتىٰ قتلوه وهو

(١) صحيح البخاري (٧٠٤٦).

(٢) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، في حاشية عون المعبود (١٢/ ٢٥٠، ٢٥١).

متمسك بها؛ لِعَدَمِ إِجَابَتِهِمْ إِلَىٰ خَلْعِ نَفْسه، فَخَلَعُوهُ هُمْ بِالْقَتْلِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا.

ثم أورد أبو داود هذا الحديث برواية ثانية عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: (فأبىٰ أن يخبره)؛ ومعناه: أنه طلب من الرسول ﷺ أن يخبره فما أخبره.

والألباني ضعَّف هذه الرواية، وسبب التضعيف هو سليمان بن كثير؛ لأنه لا بأس به في غير الزهري، وهنا روايته عن الزهري، لكن قوله: (فأبىٰ أن يخبره)؛ هو مقتضىٰ ما تقدم من أنه طلب وما تحقق له ذلك؛ لأن هذا إخبار عن الواقع، فالرسول ﷺ ما أخبره، وامتنع عن إخباره وقد طلب منه وأكد ذلك عليه.

❁ **رجال الإسناد:**

قوله في الطريق الأولىٰ: (حدثنا محمد بن يحيىٰ بن فارس)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد الرزاق)؛ هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني اليماني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (قال محمد: كتبته من كتابه)؛ محمد هو الذهلي، وقوله: (كتبته من كتابه)؛ أي: من كتاب شيخه عبد الرزاق.

قَوْلُهُ: (أخبرنا معمر)؛ هو معمر بن راشد الأزدي البصري اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الزهري)؛ مر ذكره.

قَوْلُهُ: (عن عبيد الله بن عبد الله)؛ هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن

مسعود، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن عباس)؛ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عمِّ النبي ﷺ، وأحد العبادلة الأربعة من أصحاب النبي ﷺ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

قَوْلُهُ: (كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ)؛ مرَّ ذكره رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقوله في الرواية الثانية: (حدثنا محمد بن كثير)؛ محمد بن كثير هو العبدي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وقد مرَّ ذكره. وقد روىٰ عنه هنا بواسطة، وإن كان في العادة يروي عنه مباشرة.

قَوْلُهُ: (حدثنا سليمان بن كثير)؛ هو سليمان بن كثير العبدي، وهو لا بأس به في غير الزهري، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

والرواية الثانية تعتبر مرسل صحابي؛ لأنه في الرواية السابقة قال: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ)؛ وهنا أُسْقِط أبو هريرة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٣٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ. فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود هذا الحديث عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ. فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)؛ وهذا مثل الذي قبله، يدل على خلافة الخلفاء بعد رسول الله ﷺ على هذا الترتيب، وأنَّ أبا بكر بعد رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن الصحابة أجمعين -؛ فهو دالٌّ على خلافتهم، وعلى أن كل واحد منهم يأتي بعد الآخر.

وأما ذكر الاستياء والكراهية التي رأوها في وجه الرسول ﷺ، فلعل

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٨٧)، وأحمد (٥/ ٤٤)، وصححه الألباني في سنن أبي داود، وفي سنن الترمذي، وفي ظلال الجنة رقم (١١٣١).

ذلك لما علم من أمر عثمان مما قد حصل ووقع في آخر الأمر.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن المثنىٰ**)؛ هو أبو موسىٰ الزَّمِن العنزي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو شيخ لأصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري**)؛ من كبار شيوخ البخاري، ممن روىٰ عنه الثلاثيات، وهو ثقة، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا الأشعث**)؛ الأشعث يحتمل أن يكون أشعث بن عبد الله الحِدَّاني، أو أن يكون أشعث بن عبد الملك الحَمْرَاني؛ لأن كُلًّا منهما روىٰ عن الحسن البصري، وروىٰ عنه محمد بن عبد الله الأنصاري.

وكلٌّ منهما محتجٌّ به؛ فالحدَّاني صدوق؛ والحَمْرَاني ثقة، وكل منهما أخرج له البخاري تعليقًا، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن الحسن**)؛ هو الحسن بن أبي الحسن البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي بكرة**)؛ هو نفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٣٥- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ،

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «أَيُّكُمْ رَأَىٰ رُؤْيَا؟»؛ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْكَرَاهِيَةَ؛ قَالَ: فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ يَعْنِي فَسَاءَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»(١).

الشَّرح

ثم أورد الحديث من طريق أخرىٰ، وهو مثل الذي قبله، وما ذكر الكراهية، ولكن ذكر الاستياء، وهما بمعنًىٰ واحد، وفيه أيضًا: أنه قال: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ».

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا موسىٰ بن إسماعيل)؛ هو التبوذكي البصري، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد)؛ هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن علي بن زيد)؛ هو علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف،

---

(١) أخرجه بزيادة: «خلافة نبوَّة...»: أحمد (٥/ ٤٤)، وابن أبي شيبة (٣٠٤٨٢)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ١٩٦، رقم ٩٠٦)، والبزار في البحر الزخَّار (٩/ ١٠٨، رقم ٣٦٥٣)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١١٣٥)، وصححه الألباني في ظلال الجنة.

أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عبد الرحمن بن أبي بكرة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ وقد مرَّ ذكره.

وهذا الإسناد فيه ابن جدعان، ولكن الحديث ثابت بالطريق التي قبله، وقوله ﷺ في آخره: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ». جاء ما يدل عليه، وهو حديث سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولىٰ رسول الله ﷺ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»[1].

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٣٦ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ؛ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ[2] بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ».

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) قال ابن الأثير (ت: ٦٠٦) في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ١٢٩): «أي: عُلِّق؛ يُقَالُ: نُطْتُ هَذَا الأمرَ بِهِ أَنُوطُهُ، وَقَدْ نِيطَ بِهِ؛ فَهُوَ مَنُوطٌ».

قَالَ جَابِرٌ: فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا تَنَوُّطُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ؛ فَهُمْ وُلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ[1].

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَرَوَاهُ يُونُسُ، وَشُعَيْبٌ؛ لَمْ يَذْكُرَا عَمْرَو بْنَ أَبَانَ.

الشَّرْح

أورد أبو داود حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبي ﷺ قال: «أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ»؛ فأوَّلوها أنَّ الرجل الصالح هو رسول الله ﷺ، وأن هؤلاء الذين ذكروا من الخلفاء هم ولاة الأمر من بعد رسول الله ﷺ، فتَنَوُّطُ بعضهم ببعض: أي أن كل واحد يلي الآخر ويخلفه بعده؛ فرسول الله ﷺ جاء بعده أبو بكر، ثم أبو بكر جاء بعده عمر، ثم عمر جاء بعده عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٥)، وابن حبان (١٥/ ٣٤٣، رقم ٦٩١٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٥، رقم ٤٤٣٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٣٤)، وضعَّفه الألباني في سنن أبي داود، وفي ظلال الجنة.

۞ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا عمرو بن عثمان**)؛ هو عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، وهو صدوق، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن حرب**)؛ هو محمد بن حرب الحمصي الأبرش، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن الزبيدي**)؛ هو محمد بن الوليد الزبيدي الحمصي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي.

قَوْلُهُ: (**عن ابن شهاب**)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عمرو بن أبان**)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**عن جابر**)؛ هو جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو صحابي جليل، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن رسول الله ﷺ.

قال أبو داود: (**ورواه يونس وشعيب؛ لم يذكرا عمرو بن أبان**)؛ أي روياه عن الزهري، ولم يذكرا عمرو بن أبان، فيكون منقطعًا؛ فالزهري لا يروي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بغير واسطة.

و(**يونس**)؛ هو ابن يزيد الأيلي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

و(**شعيب**)؛ هو ابن أبي حمزة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

والحديث في إسناده ضعف: من أجل عمرو بن أبان الرواي عن جابر؛

فهو مقبول.

وفي طرق أخرىٰ سقط ذكر عمرو بن أبان؛ فيكون فيها انقطاع بين الزهري وبين جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعلىٰ كل حال: فطرقه بين منقطع، وضعيف؛ لأجل عمرو بن أبان؛ فهو مقبول ولم يُتَابَع.

* * *

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٣٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ؛ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّىٰ تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّىٰ تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشَطَتْ، وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ»(١).

الشرح

ثم أورد أبو داود هذا الحديث عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٥/ ٢١)، والطبراني في الكبير (٧/ ٢٣١، رقم ٦٩٦٥)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١١٤١)، وضعفه الألباني في سنن أبي داود، وفي ظلال الجنة.

للنبي ﷺ: أنه رأىٰ كأن دلوًا دُلِّي، فأخذ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعراقي الدلو - والعراقي: هي الخشبتان المعترضتان اللتان تربط بأطرافهما أطراف الدلو(١) -.

قال: «فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّىٰ تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّىٰ تَضَلَّعَ»؛ (تَضَلَّعَ) يعني: ملأ بطنه، واتصل بطنه بضلعه من امتلاء البطن(٢).

قال: «ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشَطَتْ، وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ»؛ يعني: اضطربت، فأصابه شيء منها.

وهذا يدل علىٰ خلافة كل واحد منهم، وأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدته وجيزة، وعمر وعثمان مدتهما طويلة؛ فمدة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشر سنوات وأشهر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدته اثنتا عشرة سنة، وأما مدة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأربع سنوات وأشهر.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن المثنىٰ)؛ هو أبو موسىٰ العنزي الملقب بـالزَّمِن، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، بل هو شيخ لأصحاب

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٢١): «العَرَاقِي: جمعُ عَرْقُوَة الدَّلو؛ وَهُوَ الْخَشَبَةُ المَعْرُوضَة عَلَىٰ فَمِ الدَّلْوِ، وَهُما عَرْقُوَتَان كالصَّلِيبِ. وَقَدْ عَرْقَيْتَ الدَّلْوَ؛ إِذَا ركَّبْتَ العَرْقُوَةَ فِيهَا».

(٢) قال ابن الأثير (ت: ٦٠٦) في النهاية (٣/ ٩٧): «أَيْ: أَكْثَرَ مِنَ الشُّرْبِ حَتَّىٰ تمدَّدَ جَنْبُه وأَضْلَاعُهُ»، وفي القاموس المحيط (ص٧٤٢): «تَضَلَّعَ: امْتَلأَ شِبَعًا أو رِيًّا، حتىٰ بَلَغَ الماءُ أَضْلاعَه».

الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثني عفان بن مسلم)؛ هو الصفار، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد بن سلمة)؛ هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن أشعث بن عبد الرحمن)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (عن سمرة بن جندب)؛ صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

والحديث في إسناده ضعف: من أجل ضعف عبد الرحمن والد الأشعث الراوي عن سمرة؛ وهو مقبول.

لكن الثابت في الصحيحين وغيرهما: أن الرسول ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَىٰ قَلِيبٍ[1]، فَنَزَعْتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَنْزِعَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ[2] غَرْبًا، ....

---

(١) القَلِيب: البِئر الَّتِي لَمْ تُطْوَ، ويُذَكَّر وَيُؤَنَّث. النهاية (٤/ ٩٨).

(٢) أي: تحوَّلَت. انظر: النهاية (١/ ٤٦٣).

....فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا[١] مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّىٰ ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطَنٍ[٢]»[٣]، غَرْبًا: أي: دلوًا كبيرة جدًّا.

وهو يدل علىٰ خلافة أبي بكر وأنها قصيرة، ويدل علىٰ خلافة عمر وأنها طويلة، وما حصل من النفع الكثير وقوة الإسلام وأهله في ذلك الزمان، حتىٰ اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، وفتحت الفتوحات الواسعة، وقُضِيَ علىٰ الدولتين العُظْمَيين في ذلك الزمان؛ دولة الفرس ودولة الروم، وأنفقت كنوز كسرىٰ وقيصر ملكي الفرس والروم في سبيل الله، وذلك علىٰ يد الفاروق؛ حيث أُرسلت إليه في المدينة وتولىٰ قسمتَها - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -.

وأما الحديث الذي فيه نزول الدلو، وأن أبا بكر شرب شربًا ضعيفًا وعمر شرب حتىٰ تضلع - يعني: حتىٰ التصق بطنه بضلعه من امتلائه بالماء -،

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ١٧٣): «عَبْقَرِيّ الْقَوْمِ: سَيِّدُهُم وكَبِيرُهُم وقَوِيُّهم. والأصلُ فِي العَبْقَرِيّ - فِيمَا قِيلَ -: أَنَّ (عَبْقَر) قَرية يَسْكُنها الجِنُّ فِيمَا يَزْعُمُونَ، فكُلما رَأَوْا شَيْئًا فَائِقًا غَرِيبًا ممَّا يصْعُب عَمَلُهُ ويَدِقُّ، أَوْ شَيْئًا عَظِيمًا فِي نَفْسِه؛ نسبُوه إِلَيْهَا فَقَالُوا: عَبْقَرِيّ. ثُمَّ اتُّسع فِيهِ حَتَّىٰ سُمِّي بِهِ السَّيد الكَبِيرُ».

(٢) قال في النهاية (٣/ ٢٥٨): «العَطَن: مَبْرَك الإبلِ حَولَ الْمَاءِ. يُقَالُ: عَطَنَتِ الإِبِلُ؛ فَهِيَ عَاطِنَة وعَوَاطِن؛ إِذَا سُقِيت وبَركت عِنْدَ الحِياضِ؛ لتُعَاد إِلَىٰ الشُّرب مرَّة أخرىٰ. وأَعْطَنْتُ الإبلَ؛ إِذَا فَعَلْتُ بِهَا ذَلِكَ. ضَرَبَ ذَلِكَ مثَلًا لاتِّساع النَّاس فِي زَمَن عُمَرَ، وَمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الأمْصَار».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (١٧/ ٢٣٩٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (١٩/ ٢٣٩٣)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكذلك عثمان؛ فهذا فيه ضعف.

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٣٨- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: «لَتَمْخُرَنَّ الرُّومُ الشَّامَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا لَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا إِلَّا دِمَشْقَ وَعَمَّانَ»[1].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن مكحول قال: «لَتَمْخُرَنَّ[2] الرُّومُ الشَّامَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»؛ يعني: أربعين يومًا، ومعناه: أنهم يجوبونها مثلما تمخر السفينة في الماء؛ حيث تشقه وتمضي فيه، لا يمتنع منها إلا دمشق وعَمَّان، وهما مدينتان مشهورتان معروفتان من مدن الشام.

(١) ضعيف مقطوع: قال الألباني في الضعيفة رقم (٦١٨١): ضعيف مقطوع. وفيه بحث يَحْسُن مراجعته. وضعَّفه كذلك في سنن أبي داود.

(٢) قال في النهاية (٤/ ٣٠٥): «أَرَادَ أَنَّهَا تَدْخلُ الشَّامَ وتَخوضُه، وتَجوسُ خِلالَه، وتَتمكَّن مِنهُ؛ فشَبَّهَه بِمَخْرِ السفينةِ البحرَ». وفي «عون المعبود» (١٢/ ٢٥٥): «(لَتَمْخُرَنَّ) بِالنُّونِ الْمُثَقَّلَةِ: مِنْ مَخَرَتِ السَّفِينَةُ وَتَمْخَرُ - كَيَمْنَعُ وَيَنْصُرُ -؛ إِذَا جَرَتْ تَشُقُّ الْمَاءَ مَعَ صَوْتٍ».

❁ مسألة: ما وجه المناسبة بين هذا الأثر والباب؟

لا يظهر له مناسبة فيما يتعلق بالخلفاء إلا كما قال صاحب «عون المعبود»: «كَأَنَّ مُرَادَهُ بِهَذِهِ الْآثَارِ فِي هَذَا الْبَابِ بَيَانُ انْقِضَاءِ الْخِلَافَةِ وَظُهُورِ الْفِتَنِ بَعْدَ زَمَانِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ»[1]. لكن - كما هو معلوم - بعد انتهاء الخلافة الراشدة قد استمرت الخلافة واستقرَّت، ولم يدخل الروم الشام بعد أن خرجوا منه في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما تنازل له الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكث في الخلافة عشرين سنة، وكان أمر الإسلام ظاهرًا وقويًّا وعزيزًا، والجهاد ماضيًا، وقد غزا المسلمون البلاد المختلفة، فالقول بأن الخلافة ضعفت بعد الخلفاء الراشدين غير صحيح.

وهذا الأثر مقطوع، وليس له حكم الرفع؛ فمكحول تابعي، ويجوز أنه أخذ من بعض الكتب أو القصص أو الحكايات، فلا يُعتبر ولا يُعوَّل عليه؛ لأنه ما جاء فيه شيء عن رسول الله ﷺ، ولو صح فيمكن أن يكون في المستقبل، ولا يُقال: إنه بعد الخلافة الراشدة.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا علي بن سهل الرملي)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود،

(١) (١٢/ ٢٥٥).

والنسائي في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (حدثنا الوليد)؛ هو ابن مسلم الدمشقي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (حدثنا سعيد بن عبد العزيز)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن مكحول)؛ وهو الشامي، وهو ثقة، أخرج له البخاري في «جزء القراءة»، ومسلم وأصحاب السنن.

والألباني ضعَّف هذا الأثر، ولا أدري هل تضعيفه من جهة الوليد بن مسلم؛ فهو مدلس، أو شيء آخر[1]، لكن - كما هو معلوم - من حيث الثبوت لا يُعتبر ثابتًا؛ لأنَّ هذا إخبار عن أمر مستقبل، وهذا لا يعتبر به إلا إذا جاء عن رسول الله ﷺ. ولا يقال: إن له حكم الرفع؛ وإنما حكم الرفع لكلام الصحابي إذا أخبر عن أمر ليس للرأي فيه مجال أو من الأمور المغيَّبة، ولم يكن معروفًا بالأخذ من الإسرائيليَّات.

---

(١) قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الضعيفة (١٣/ ٤٠٢، رقم ٦١٨١): «وهذا مع كونه مقطوعًا موقوفًا على مكحول، فإنه من رواية سعيد بن عبد العزيز، وهو مع إمامته وفضله وثقته؛ كان قد اختلط قبل موته، وقد خالف في روايته هذه ما أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٦٠٣) من طريق أبي الحسن - رجل من أهل الرقة - عن أبي أسماء الرحبي، عن أبي هريرة قال: (يا أهل الشام لتخرجنكم الروم منها كفرًا كفرًا...)...».

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٣٩- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ عَامِرٍ الْمُرِّيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْعَلَاءِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الْأَعْيَسِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَلْمَانَ، يَقُولُ: «سَيَأْتِي مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ يَظْهَرُ عَلَىٰ الْمَدَائِنِ كُلِّهَا إِلَّا دِمَشْقَ»[(١)].

الشَّرح

ثم أورد هذا الأثر عن عبد الرحمن بن سلمان قال: «سَيَأْتِي مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ يَظْهَرُ عَلَىٰ الْمَدَائِنِ كُلِّهَا إِلَّا دِمَشْقَ»، وهذا مثل الذي قبله، يعني: هو كلام تابعي، وليس من كلام الرسول ﷺ ولا كلام صحابي.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا موسىٰ بن عامر المري)؛ وهو صدوق له أوهام، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (حدثنا الوليد)؛ هو الوليد بن مسلم، وقد تقدَّم.

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد العزيز بن العلاء)؛ صوابه: عبد الله بن العلاء[(٢)]؛

---

(١) صحيح الإسناد مقطوع: قال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

(٢) هكذا هو في «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٥٠)، و«تقريب التهذيب» (ص٣١٧)، ولا ذكر =

وهو ابن زَبْر، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (أنه سمع أبا الأعيس عبد الرحمن بن سلمان)؛ ذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وأخرج له أبو داود.

والوليد بن مسلم صرح فيه بالسماع، وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد مقطوع.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٤٠- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا بُرْدٌ أَبُو الْعَلَاءِ، عَنْ مَكْحُولٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَوْضِعُ فُسْطَاطِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلَاحِمِ أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ»[1].

الشَّرْح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن مكحول، وقد رفعه إلىٰ رسول الله ﷺ وقال: «**مَوْضِعُ فُسْطَاطِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلَاحِمِ أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ**»؛

=

ـ (عبد العزيز بن العلاء) فيهما.

(١) صحيح: أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (رقم ١٧١٢)، من طريق مَكْحُولٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ...؛ فذكره. وجاء عن أبي الدرداء متصلًا، وسيأتي قريبًا. وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح.

وهي البساتين التي حول دمشق، والفسطاط معناه: الخباء[1]، ومعنىٰ ذلك: أن جيوش المسلمين تكون في ذلك المكان.

وهذا مرسل؛ والمرسل في اصطلاح المحدثين: إذا قال التابعي: قال رسول الله ﷺ كذا...[2]. والمرسل ضعيف؛ لأنه يحتمل أن يكون الذي سقط صحابيًّا أو تابعيًّا، وعلىٰ فرض أنه تابعي فيحتمل أن يكون ثقة وأن يكون ضعيفًا، فهو من أجل احتمال أنه تابعي وأن التابعي قد يكون ضعيفًا أو ثقة؛ اعتُبر من قبيل الضعيف، ولو كان الساقط الصحابي فقط فلا يؤثِّر؛ لأن الصحابة كلهم عدول، ولهذا فقول صاحب البيقونية[3]:

وَمُرْسلٌ مِنْهُ الصَّحَابِيُّ سَقَطْ[4]

هذا غير مستقيم؛ لأنه لو كان الساقط صحابيًّا فقط ما كان فيه إشكال، ولكن الإشكال في كون المحذوف الساقط يحتمل أن يكون صحابيًّا وأن

(١) قال في النهاية (٣/ ٤٤٥): «هُوَ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: الْمَدِينَةُ الَّتِي فِيهَا مُجْتَمَع النَّاسِ. وَكُلُّ مَدِينَةٍ فُسْطَاط. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (هُوَ ضَرْب مِنَ الْأَبْنِيَة فِي السَّفر دُونَ السُّرادِق)، وَبِهِ سُمِّيَتِ الْمَدِينَةُ. وَيُقَالُ لِمِصْر والبَصْرة: الفُسْطَاط».

(٢) للتفصيل انظر: تدريب الراوي (١/ ٢١٩)، والباعث الحثيث (ص ٤٧)

(٣) عمر (أو: طه) بن محمد بن فتوح البيقوني الدمشقي الشافعي، واشتهر بمنظومته في مصطلح الحديث التي عُرفت باسمه «البيقونية»، توفي نحو ١٠٨٠. [انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٥/ ٦٤)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٤٤)].

(٤) (ص: ٩).

يكون تابعيًّا، وعلىٰ احتمال أنه تابعي قد يكون ثقة أو ضعيفًا.

لكن الحديث جاء عن أبي الدرداء مرفوعًا باللفظ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَىٰ جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ. مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»[1]، وقد رواه المصنِّف في (كِتَاب المَلاحِم، بَابٌ: فِي الْمَعْقِلِ مِنَ المَلَاحِمِ)[2]، وهو صحيح؛ فَيَصِحُّ به مرسل مكحول.

وإلا لو كان الحديث ما جاء إلا من هذا الطريق فإنه لا يُعتبر؛ لكونه مرسلًا، ولكنه جاء من طريق أخرىٰ متَّصلًا؛ فيكون هذا المرسل له أصل صحيح.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا موسىٰ بن إسماعيل)؛ هو التبوذكي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد)؛ هو ابن سلمة بن دينار؛ وقد مرَّ ذكره، وإذا جاء حماد غير منسوب والراوي عنه موسىٰ بن إسماعيل؛ فهو حماد بن سلمة.

قَوْلُهُ: (حدَّثنا بُرْد أبو العلاء)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن مكحول)؛ قد مر ذكره.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٩٨)، وأحمد (٥/ ١٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢١١٦).

(٢) انظر السابق.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٤٦٤١- حَدَّثَنَا أَبُو ظَفَرٍ عَبْدُ السَّلَامِ، حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ، عَنْ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ مَثَلَ عُثْمَانَ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ. ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَقْرَؤُهَا وَيُفَسِّرُهَا: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]»؛ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ وَإِلَىٰ أَهْلِ الشَّامِ[(١)].

الشرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن الحجاج، وهو يتعلّق بالخلفاء، علىٰ اعتبار أنه أمير لعبد الملك بن مروان[(٢)] أحد خلفاء بني أمية، والحجاج - كما هو معلوم - معروف بالظلم، وقد قالت له أسماء بنت أبي بكر لما قتل ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا: «أَنَّ فِي

(١) ضعيف مقطوع: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٦١٨)؛ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيِّ وَالْحَجَّاجُ يَخْطُبُ، فَقَالَ:... فذكره. وقال الألباني في سنن أبي داود: ضعيف مقطوع.

(٢) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٠): «وولّاه عبد الملك الحرمين مدة، ثم استقدمه فولاه الكوفة، وجمع له العراقين»، وانظر ترجمة الحجاج في: البداية والنهاية (٦/ ١٣٦ - ١٤٢).

ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا»، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ[1].

والمبير: هو الظالم المهلك.

والحجاج كان شديد البأس، وكان ظالمًا مشهورًا بذلك.

قال: (إِنَّ مَثَلَ عُثْمَانَ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ. ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَقْرَؤُهَا وَيُفَسِّرُهَا: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) ومعناه: أنَّ قرابة عثمان - وهم بنو أمية، وهو أحد أمرائهم - جُعلت فيهم الخلافة، وغلبوا علىٰ غيرهم.

قَوْلُهُ: (يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ وَإِلَىٰ أَهْلِ الشَّامِ)؛ يعني: إلىٰ أهل العراق وإلىٰ أهل الشام؛ فأهل الشام: اتَّبعوا بني أمية وتابعوهم ولم يخالفوهم، بخلاف أهل العراق[2].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٩/ ٢٥٤٥)، قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٠٠): «وقولها في الكذاب: (فرأيناه)؛ تعني به: المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن أقبحه: ادعىٰ أن جبريل ﷺ يأتيه. واتَّفق العلماء علىٰ أن المراد بالكذَّاب هنا: المختار بن أبي عبيد، وبالمبير: الحجاج بن يوسف، والله أعلم».

(٢) قال في عون المعبود (١٢/ ٢٥٦): «وَمَقْصُودُ الْحَجَّاجِ مِنْ تَمْثِيلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِظْهَارُ عَظَمَةِ الشَّأْنِ لِعُثْمَانَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أُمَرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ؛ الَّذِينَ كَانُوا فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَتَنْقِيصُ غَيْرِهِمْ؛ يَعْنِي: مَثَلُ عُثْمَانَ كَمَثَلِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَثَلُ مُتَّبِعِيهِ كَمَثَلِ مُتَّبِعِيهِ؛ فَكَمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ مُتَّبِعِي عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا؛ كَذَلِكَ جعل =

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو ظَفَر عبد السلام)؛ هو عبد السلام بن مُطَهَّر، وهو صدوق، أخرج له البخاري وأبو داود.

قَوْلُهُ: (حدثنا جعفر)؛ هو ابن سليمان الضبعي، وهو صدوق، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عوف)؛ هو ابن أبي جميلة الأعرابي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (قال: سمعت الحجاج يخطب)؛ أي: الأثر عنه ينتهي عنده، وليس للحجَّاج[1] رواية، وإنَّما ورد ذكره في الكتب.

❁ ❁ ❁

مُتَّبِعِي عُثْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ فَوْقَ غَيْرِهِمْ؛ بِحَيْثُ جَعَلَ فِيهِمُ الْخِلَافَةَ وَرَفَعَهَا عَنْ غَيْرِهِمْ؛ فَصَارُوا غَالِبِينَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ».

(١) ذكره ابن حجر (ت: ٨٥٢) في تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٠) تمييزًا، وقال في التقريب (ص ١٣٥): «وقع ذكره وكلامه في الصحيحين وغيرهما، وليس بأهل أن يروىٰ عنه». وذكر الذهبي (ت: ٧٤٨) في «الميزان» (١/ ٤٦٦) أنه يروي عن أنس، ثم قال: «يحكي عنه ثابت وحميد وغيرهما، فلولا ما ارتكب من العظائم والفتْكِ والشرِّ لمشىٰ حاله»، وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢/ ١١٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ١٣٦).

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٤٦٤٢- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الطَّالَقَانِيُّ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، (ح) وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَالِدٍ الضَّبِّيِّ، قَالَ: «سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَخْطُبُ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: رَسُولُ أَحَدِكُمْ فِي حَاجَتِهِ أَكْرَمُ عَلَيْهِ أَمْ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ؟ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لِلَّهِ عَلَيَّ أَلَّا أُصَلِّيَ خَلْفَكَ صَلَاةً أَبَدًا، وَإِنْ وَجَدْتُ قَوْمًا يُجَاهِدُونَكَ لَأُجَاهِدَنَّكَ مَعَهُمْ»، زَادَ إِسْحَاقُ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: «فَقَاتَلَ فِي الْجَمَاجِمِ حَتَّىٰ قُتِلَ»[1].

الشرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن الحجاج وفيه: أنه خطب فقال في خطبته: (**رَسُولُ أَحَدِكُمْ فِي حَاجَتِهِ أَكْرَمُ عَلَيْهِ أَمْ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ؟**)؛ والمقصود من ذلك: معرفة الفرق بين هذا وهذا، وفهم الربيع بن خالد الضبي أنه يفضل الخلفاء علىٰ الرسل والأنبياء - عليهم السلام -؛ ولذا قال: (**لِلَّهِ عَلَيَّ أَلَّا أُصَلِّيَ خَلْفَكَ صَلَاةً أَبَدًا، وَإِنْ وَجَدْتُ قَوْمًا يُجَاهِدُونَكَ لَأُجَاهِدَنَّكَ مَعَهُمْ**).

ومعلوم أن هذا لو ثبت فهو رِدَّةٌ، ولكن الإسناد لم يثبت؛ ففيه

(١) ضعيف الإسناد مقطوع: قال الألباني في سنن أبي داود: ضعيف الإسناد مقطوع.

المغيرة بن مقسم الضبي، وهو مدلس.

ثم أيضًا يحتمل أنه لا يقصد تفضيل الخلفاء علىٰ الأنبياء والرسل، وإنما يريد أن الإنسان إذا أرسل إنسانًا في حاجة له وكذلك لو جعل أحدًا يخلفه في أهله إذا غاب عنهم، فإن الذي يخلفه أولىٰ من الذي يرسله في حاجة، فيكون من حيث المعنىٰ لا شكَّ أنه صحيح، وأما إذا أُريد به المقارنة والموازنة بين الرسل وبين الخلفاء؛ فإن هذا ردة وكفر بالله عَزَّوَجَلَّ- والعياذ بالله -.

وهذا الذي نذر كلامه لا شك أنه بناه علىٰ أنه فهم أنه مقارنة بين الرسل وبين الخلفاء.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**حدثنا جرير**)؛ هو جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (ح)؛ وهي التحوُّل من إسناد إلىٰ إسناد.

قَوْلُهُ: (**وحدثنا زهير بن حرب**)؛ وهو أبو خيثمة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي.

قَوْلُهُ: (**عن المغيرة**)؛ المغيرة هو ابن مقسم الضبي، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وقد عنعن؛ فالأثر غير صحيح.

قَوْلُهُ: (عن الربيع بن خالد الضبي)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (زاد إسحاق في حديثه قال: فقاتل في الجماجم حتىٰ قتل)؛ أي: أن الربيع الذي نذر أنه إذا وجد أناسًا يُقاتلونه فسيُقاتله معهم، وذلك في القتال الذي حصل بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن الأشعث[1] في «دير الجماجم»[2].

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٤٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ، وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «اتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لَيْسَ فِيهَا

(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ الكِنْدِيُّ، ولاه الحجاج خراسان، ثم إنه ثار علىٰ الحجاج ودارت بينهم الحرب، وانتهىٰ الأمر بهزيمته، ثم فرَّ إلىٰ رتبيل ملك الترك، ثم انتهىٰ أمره بأن قُتل وبعث برأسه إلىٰ الحجاج وطِيفَ بها في البلاد، سنة ٨٤. [انظر ترجمته في: السير (٥/ ١٠٢)، والوافي بالوفيات (١٨/ ١٣٤)، والبداية والنهاية (٩/ ٦٥)].

(٢) كانت في شعبان سنة ٨٢، وقيل: ٨٣. ودير الجماجم: موضع بظاهر الكوفة علىٰ سبعة فراسخ منها علىٰ طرف البر للسالك إلىٰ البصرة، واجتمع مع ابن الأشعث جنود كثيرة، وفيهم القراء وخلق من الصالحين، ودارت بين الفريقين مصافَّات كثيرة كان النصر فيها لابن الأشعث، وَدَامَت الحَرْبُ أَشْهُرًا، وَقُتِلَ خَلْقٌ مِنَ الفَرِيقَيْنِ، ثم حمل عليهم الحجاج حملةً فانْهَزَمَ جَمْعُ ابْنِ الأَشْعَثِ، وفرَّ ابن الأشعث إلىٰ رتبيل ملك الترك، وانتهىٰ بهلاكه. [انظر للتفصيل: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٢)، والبداية والنهاية (٩/ ٥٠) و(٩/ ٥٨)، ومعجم البلدان (٢/ ٥٠٣)].

مَثْنَوِيَّةٌ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَاللهِ لَوْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَخَرَجُوا مِنْ بَابٍ آخَرَ؛ لَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَاللهِ لَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ لَكَانَ ذَلِكَ لِي مِنَ اللهِ حَلَالًا، وَيَا عَذِيرِي مِنْ عَبْدِ هُذَيْلٍ؛ يَزْعُمُ أَنَّ قِرَاءَتَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَاللهِ مَا هِيَ إِلَّا رَجَزٌ مِنْ رَجَزِ الْأَعْرَابِ مَا أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَذِيرِي مِنْ هَذِهِ الْحَمْرَاءِ يَزْعُمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَرْمِي بِالْحَجَرِ فَيَقُولُ: إِلَىٰ أَنْ يَقَعَ الْحَجَرُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، فَوَاللهِ لَأَدَعَنَّهُمْ كَالْأَمْسِ الدَّابِرِ»، قَالَ: فَذَكَرْتُهُ لِلْأَعْمَشِ فَقَالَ: أَنَا وَاللهِ سَمِعْتُهُ مِنْهُ[(١)].

الشرح

أورد أبو داود هذا الأثر عن الحجاج عن الأعمش، وعن عاصم بن أبي النجود بهدلة؛ يقول: (**سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: اتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ**)؛ يعني: بدون استثناء، يعني: اتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في

(١) صحيح الإسناد: أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٤١، رقم ٦٣٥٢)؛ من طريق أبي بكر بن عياش؛ قال: سمعت الأعمش يقول: والله لقد سمعت الحجاج...؛ فذكره. وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد إلى الحجاج، و هو الظالم المبير.

امتثال أوامره بلا استثناء، ليس إلا الاستجابة والالتزام بما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ من تقوى الله على حسب الاستطاعة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال: (وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ)، يعني: اسمعوا وأطيعوا بدون استثناء. ومعلوم أن السمع والطاعة لولاة الأمور فيها استثناء، وليست على إطلاقها، بل ذلك في حدود طاعة الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فقد جاءت السنة عن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنه يسمع لولاة الأمر فيما أمروا به فيما كان ليس معصية، أما إذا أمروا بمعصية فإنه «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»(١).

وقال المفسِّرون في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]: إن فعل الأمر «أطيعوا» أُعيد مع النبي ﷺ، ولم يُعَدْ مع ولاة الأمور، فلم يقل الله عَزَّوَجَلَّ: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم)، وإنما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؛ وذلك لأنَّ الرسول ﷺ معصوم، لا يأمر إلا بما هو حق، وهو مبلغ عن الله، وكل ما يأتي به فهو وحي من الله عَزَّوَجَلَّ، وأما ولاة الأمور فإنهم يُصيبون ويُخطئون، وليسوا بمعصومين، فلم يأتِ إعادة

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (٣٩/ ١٨٤٠)، وأحمد (١/ ١٣١)، عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ مرفوعًا.

الأمر «أطيعوا» معهم كما أُعيد مع النبي ﷺ؛ فتكون طاعتهم مقيَّدةً في حدود ما ليس بمعصية لله ورسوله ﷺ، فإذا حصل منهم الأمر بما هو معصية فلا يُسمع لهم ولا يُطاع، وإنما يطاع لله ولرسوله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، ويُستجاب لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

قال: (وَاللهِ لَوْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَخَرَجُوا مِنْ بَابٍ آخَرَ؛ لَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ)؛ هذا كلام باطل، نعم عليهم السمع والطاعة إذا أمرهم بأمر ليس فيه معصية، ولكن كونه إذا أمرهم أن يخرجوا من هذا الباب، فخرجوا من باب آخر؛ فهذا لا تحل له به دماؤهم؛ إذ حل الدماء لا يكون إلا بما جاءت به الشريعة. وهذا الكلام إنما يدل علىٰ ظلمه وعلىٰ جوره وعلىٰ شدة بطشه وبأسه.

قَوْلُهُ: (وَاللهِ لَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ لَكَانَ ذَلِكَ لِي مِنَ اللهِ حَلَالًا)؛ وهذا أيضًا باطل.

(لَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ)؛ أي: يأخذ قبيلة بقبيلة، وربيعة ومضر أخوان وهما أولاد نزار بن معدٍّ بن عدنان، وتُنسب إليهما ربيعة ومضر، وهما قبيلتان مشهورتان كبيرتان واسعتان، ومضر بن نزار هو الذي ينتهي إليه نسب الرسول ﷺ؛ فهو جدُّ الرسول ﷺ، وليس بينه وبين عدنان إلا اثنان؛ فهو مضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان، وعدنان هو الأب الحادي والعشرون للرسول ﷺ.

فقوله: (لَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ لَكَانَ ذَلِكَ لِي مِنَ اللهِ حَلَالًا)؛ هذا

باطل؛ فلا يجوز أخذ شيء ولا قتل لأحد إلا في حدود ما هو سائغ شرعًا، أما مخالفة الشرع والقتل بالظلم؛ فهذا حرام.

قَوْلُهُ: (وَيَا عَذِيرِي[1] مِنْ عَبْدِ هُذَيْلٍ؛ يَزْعُمُ أَنَّ قِرَاءَتَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَاللهِ مَا هِيَ إِلَّا رَجَزٌ مِنْ رَجَزِ الْأَعْرَابِ مَا أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ وهذا أيضًا باطل، والمقصود بذلك عبد الله بن مسعود الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وذلك أنَّ له مصحفًا، ومعلوم أنه تلقىٰ من رسول الله ﷺ، وهو ليس كما قال الحجاج أنه مِنْ رَجَزِ الْأَعْرَابِ، وهذا من ظلمه وبطشه وكذبه؛ فإن الأمر ليس كما يقول، ومعلوم أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع الناس علىٰ مصحف واحد، وأحرق ما سوىٰ ذلك إلَّا ما كان عند عبد الله بن مسعود فإنه أبىٰ أن يعطيهم إيَّاه واحتفظ به، وقال الحجاج هذه المقالة؛ لأنه لم يعطِ عثمان المصحف ليحرقه كما أحرق غيره، وبَقِيَ الناس علىٰ المصحف الذي جمعه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: (وَعَذِيرِي مِنْ هَذِهِ الْحَمْرَاءِ)؛ المقصود بهم الموالي غير العرب، قيل: إن أمهم حمراء[2].

قَوْلُهُ: (يَزْعُمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَرْمِي بِالْحَجَرِ فَيَقُولُ: إِلَىٰ أَنْ يَقَعَ الْحَجَرُ قَدْ

---

(١) قال ابن منظور (ت: ٧١١) في لسان العرب (٤/ ٥٤٨): «يُقَالُ: عَذِيري مِن فُلان؛ أي: مَن يَعْذِرني»، وفي النهاية (٣/ ١٩٧): «(كُنْ عَذِيرِي منْها إن أدَّبْتُهَا)؛ أيْ: قُمْ بعُذْرِي فِي ذَلِكَ».

(٢) قال في النهاية: «(هَذِهِ الحَمْرَاء)؛ يَعْنُون: العَجَم والرُّوم، والعَرَبُ تُسَمّي الموَاليَ: الحَمْرَاء».

حَدَثَ أَمْرٌ)؛ ما أدري وجه هذا الكلام؛ هل يقول: إنه قبل أن يقع الحجر أنه حدث أمر، وأن هذا مبادرة أو سرعة إلىٰ الكذب وإلىٰ حصول شيء قبل أن يقع الحجر، في فترة وجيزة؛ لأن الحجر إذا رُمي يقع بعد فترة وجيزة، ولا يطول بقاؤه في الهواء قبل أن يقع علىٰ الأرض.

ولعل المقصود: أنه إخبار بأمور فيها إرجاف وفيها تنغيص وتكدير للصفو، أي: يريد الحجاج من وراء ذلك تخويف الناس وتهديدهم ألا يقع أمور فيها تؤثر علىٰ بقاء الأمن واستمراره[1].

قَوْلُهُ: (فَوَاللهِ لَأَدَعَنَّهُمْ كَالْأَمْسِ الدَّابِرِ)؛ أي: أنه سيقضي عليهم فينتهي أمرهم مثلما انتهىٰ أمس ومضىٰ.

وهذه العبارة تشبهها العبارة التي عند الأدباء في هذا الزمان، يقولون: (أصبح في خبر كان)، يعني: أنه مضىٰ وانتهىٰ.

قَالَ: (فَذَكَرْتُهُ لِلْأَعْمَشِ فَقَالَ: أَنَا وَاللهِ سَمِعْتُهُ مِنْهُ)؛ يعني: هذا الكلام الذي قلته أيضًا أنا سمعته.

❁ **وهذا فيه كلام حقٌّ، وفيه كلام فيه حق وباطل، وفيه كلام باطل:**

فالأول: (اتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ)؛ حق بلا شك.

والثاني: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ)؛ هذا فيه حق

---

(١) قال في «العون»: «لَعَلَّ مُرَادَ الْحَجَّاجِ: أَنَّ الْمَوَالِيَ يُوقِعُونَ الْفَسَادَ وَالشَّرَّ وَالْفِتْنَةَ وَيَقُولُونَ عَقِيبَ إِيقَاعِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ. وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ الْحِجَارَةَ».

وباطل؛ لأنه إذا كان في غير معصية فهو حق، وإن كان في معصية فهو باطل.

والثالث: فما بعد ذلك من هذا الكلام والتهديد؛ فهو باطل.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن العلاء**)؛ هو محمد بن العلاء بن كريب أبو كريب، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو بكر**)؛ هو ابن عياش، وهو ثقة، أخرج له البخاري، ومسلم في المقدمة، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن عاصم**)؛ هو عاصم بن أبي النجود بَهْدَلَةَ، وهو صدوق له أوهام، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة، وحديثه في الصحيحين مقرون.

قَوْلُهُ: (**فذكرته للأعمش**)؛ هو سليمان بن مهران الكاهلي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٤٤ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ الْحَمْرَاءُ هَبْرٌ هَبْرٌ، أَمَا وَاللهِ لَوْ قَدْ قَرَعْتُ عَصًا بِعَصًا، لَأَذَرَنَّهُمْ كَالْأَمْسِ الذَّاهِبِ»؛ يَعْنِي الْمَوَالِيَ[1].

---

(١) صحيح: قال الشيخ الألباني في سنن أبي داود: صحيح.

الشَرح

وهذا مثل الذي قبله إلا أن فيه زيادة، وهي قوله: (هَذِهِ الْحَمْرَاءُ هَبْرٌ هَبْرٌ)؛ يعني: قطع قطع؛ يريد أنه سيستأصلهم، وطبعًا هذا تهديد مثل الذي قبله، يعني: أجعلهم كالأمس الدابر.

قَوْلُهُ: (أَمَا وَاللهِ لَوْ قَدْ قَرَعْتُ عَصًا بِعَصًا[1]، لَأَذَرَنَّهُمْ كَالْأَمْسِ الذَّاهِبِ)؛ معنى ذلك: أنه لو حصل منهم أي شيء ولو كان شيئًا يسيرًا مثل المضاربة بالعِصِيّ، وأنه كان سببًا لبدء الفتنة؛ وأجعلهم كالأمس الذاهب، أي: أقضي عليهم، إذا حصل منهم أي شيء ولو كان شيئًا يسيرًا؛ فإني أعاقبهم تلك العقوبة التي هي إفناؤهم، فكأن هذا يشعر بأنه لو حصل أي شيء يسير كقرع عصًا بعصًا؛ فأنا أعاقبهم بتلك العقوبة التي هي قطعهم وإفناؤهم، وجعلهم كالأمس الذاهب، وهذا كذلك من الظلم؛ لأن مجرد حصول ضرب بعصًا أو حصول شيء يسير لا تكون المعاقبة عليه بالإفناء.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا عثمان بن أبي شيبة)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي، وإلا النسائي فقد أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (حدثنا ابن إدريس)؛ هو عبد الله بن إدريس، وهو ثقة، أخرج له

---

(١) قال في «العون» (١٢/ ٢٥٩): «أَيْ: ضَرَبْتُ الْعَصَا بِالْعَصَا. وَالْمَعْنَىٰ: لَوْ أُرِيدُ قَتْلَهُمْ وَهَلَاكَهُمْ».

أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الأعمش)؛ مرَّ ذكره.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٦٤٥- حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ - يَعْنِي: ابْنَ سُلَيْمَانَ -، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، قَالَ: جَمَّعْتُ مَعَ الْحَجَّاجِ فَخَطَبَ - فَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ -، قَالَ فِيهَا: «فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لِخَلِيفَةِ اللهِ وَصَفِيِّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ قَالَ: «وَلَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ»، وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الْحَمْرَاءِ[1].

الشرح

ثم ذكر هذا الكلام عن الحجاج من طريق أخرى بمثل الذي تقدَّم، والذي فيه: أخذ ربيعة بمضر، وما وراءه من الكلام الباطل، وقال: (وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الْحَمْرَاءِ)؛ أي: الموالي.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا قطن بن نسير)؛ وهو صدوق يخطئ، أخرج له مسلم وأبو

(١) صحيح: قال الألباني في سنن أبي داود: صحيح إلى الحجاج الظالم.

داود والترمذي.

قَوْلُهُ: (حدثنا جعفر - يعني: ابن سليمان -)؛ هو الضُّبَعِي، وهو صدوق، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (حدثنا داود بن سليمان)؛ ذكر في «تحفة الأشراف»[(١)] قال: «سليمان بن داود»[(٢)]، لكن ما أدري ما المقصود بـ(سليمان بن داود)، وهذا الإسناد لا أدري هل هو متصل أو أن فيه تحويلًا؛ لأن شريكًا طبقته متأخِّرة، وفي الغالب يكون بينه وبين أبي داود واسطة واحدة، فيحتمل أن يكون هناك طريق أخرىٰ.

قَوْلُهُ: (عن شريك)؛ هو ابن عبد الله النخعي الكوفي، وهو صدوق، اختلط لما ولي القضاء، وحديثه أخرجه البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن الأعمش)؛ مر ذكره.

❁ هذه الأقوال عن الحجاج كان الأولى عدم نقلها:

ذكر الإمام أبو داود هذه الأخبار عن الحجاج؛ لأنها تتعلق بالخلفاء،

(١) «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» للحافظ المِزِّي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن، المُتوفىٰ سنة ٧٤٢، ذكر فيه أطراف الكتب الستة ولواحقها، مطبوع في ثلاثة عشر مجلدًا. انظر في الثناء علىٰ الكتاب ومؤلفه والتعريف بهما: توضيح الأفكار للصنعاني (١/ ٢٠٨ - ٢١٠)، وطرق التخريج لدخيل بن صالح اللحيدان.

(٢) (١٣/ ٢٤٢).

والسمع والطاعة للخلفاء، والقضاء علىٰ من يعارض الخلفاء، والحقيقة أن عدم ذكرها أولىٰ، مثلما قال صاحب «عون المعبود»[(١)]، ولأجل ذلك أُسقطت من رواية اللؤلؤي.

❁ مسألة: هل الحجاج بن يوسف الثقفي كافر أم لا[(٢)]؟

---

(١) قال في «العون» (١٢/ ٢٥٩): «وَهَذِهِ آثَارُ الْحَجَّاجِ لَيْسَتْ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ الْمَوْجُودَةِ، وَكَذَا لَيْسَتْ فِي مُخْتَصَرِ الْمُنْذِرِيِّ. وَهَذِهِ الْآثَارُ لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُوضَعَ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ».

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤) في «البداية والنهاية» في ترجمة الحجاج (٩/ ١٥٣): «وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر؛ كما قدمنا، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها، وإلا فهو باقٍ في عهدتها، ولكن قد يخشىٰ أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه؛ فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدًّا لوجوه، وربَّما حرَّفُوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات. وقد روينا عنه أنه كان يتديَّن بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعًا في سفك الدماء. فالله تعالىٰ أعلم بالصواب وحقائق الأمور وساترها، وخفيات الصدور وضمائرها. قلت: الحجاج أعظم ما نُقِمَ عليه وصحَّ من أفعاله: سفك الدماء، وكفىٰ به عقوبة عند الله عَزَّوَجَلَّ، وقد كان حريصًا علىٰ الجهاد وفتح البلاد، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن، فكان يعطي علىٰ القرآن كثيرًا، ولمَّا مات لم يترك - فيما قيل - إلا ثلاثمائة درهم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٤٧٥): «فلهذا كان أهل العلم يختارون فيمن عُرف بالظلم ونحوه، مع أنه مسلم له أعمال صالحة في الظاهر - كالحجاج بن يوسف وأمثاله -؛ أنهم لا يلعنون أحدًا منهم بعينه».

وسئل العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل الحجاج بن يوسف كافر أم ظالم؟

=

ولا شك أن ذاك الكلام الذي مرَّ قريبًا لو ثبت؛ لكان كفرًا واضحًا، وهو قضية المقارنة بين الرسل والخلفاء، وهذا لا شك أنه أمر خطير، ولا يبعد أن يكون كفرًا، وقوله في الذي جاء عن عبد الله بن مسعود أنه من أراجيز الأعراب؛ فهو مصحف، وقد تلقاه من رسول الله ﷺ.

وقال ابن حجر في «التهذيب» في ترجمة الحجاج بعدما ذكره تمييزًا: «وقال طاوس: عجبت لمن يسميه مؤمنًا. وكفَّره جماعة منهم سعيد بن جبير والنخعي ومجاهد وعاصم بن أبي النجود والشعبي وغيرهم»[1].

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٤٦- حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ -أَوْ: مُلْكَهُ- مَنْ يَشَاءُ»**.

قَالَ سَعِيدٌ: قَالَ لِي سَفِينَةُ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَعُمَرُ عَشْرًا، وَعُثْمَانُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٌّ كَذَا».

قَالَ سَعِيدٌ: قُلْت لِسَفِينَةَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ

=

فأجاب: «عاصٍ ظالم وليس بكافر» [مجموع فتاوى ابن باز (٢٨٢٦٩)].

(١) تهذيب التهذيب (٢/ ٢١١).

بِخَلِيفَةٍ. قَالَ: «كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ»؛ يَعْنِي: بَنِي مَرْوَانَ(١).

الشرح

أورد أبو داود هذا الحديث عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، وفيه أن النبي ﷺ قال: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ - أَوْ: مُلْكَهُ - مَنْ يَشَاءُ»؛ هذا شك من الراوي، هل قال: ملكه، أو الملك.

وهذا فيه دليل على أن خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة خلافة نبوة، وأنهم على منهاج النبوَّة، وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(٢)؛ فهذا الحديث يدلُّ على

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٢٦)، وأحمد (٥/ ٢٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٤٥٩)، وفيه بحث يَحْسُن مراجعته.

وزيادة: (قَالَ سَعِيدٌ: قُلْت لِسَفِينَةَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ...) ليست عند أحمد والترمذي، وإنَّما أخرجها الرُّوياني في مسنده (١/ ٤٣٨، رقم ٦٦٦)، وأخرجها البيهقي في الاعتقاد (ص ٣٧٠) من طريق أبي داود. وفي «السنة» لابن أبي عاصم (١١٨٥) من طريق العوام بن حوشب: «حدثنا سعيد بن جهمان... فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ عَلِيًّا لا يُعَدُّ مِنَ الْخُلَفَاءِ. فَقَالَ: يَا بَنِي بني الزرقاء! فهو أبعد».

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

فضل الخلفاء، وكذلك حديث سفينة يدلُّ علىٰ فضل الخلفاء وعلىٰ فضل خلافتهم، وأنها خلافة نبوة؛ وذلك أنهم أتوا بعد النبي ﷺ مباشرةً، وهم علىٰ منهاجه وعلىٰ طريقته؛ ولهذا أمر النبي ﷺ باتباع سنتهم مع سنته ﷺ في حديث العرباض الذي أشرتُ إليه.

ثم إن سفينة أخبر سعيد بن جمهان بتفصيل هذه الثلاثين؛ فقال: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ) يعني: اعدد (أَبَا بَكْرٍ سَنَتَيْنِ) يعني: ولي الخلافة سنتين، طبعًا وكسر، (وَعُمَرُ عَشْرًا، وَعُثْمَانُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٌّ كَذَا)، ولم يذكر المقدار[1]، ولكن خلافتهم هذه المدة التي هي الثلاثون سنة هي خلافة نبوة؛ كما وصف ذلك رسول الله ﷺ، وبعد ذلك يؤتي الله الملك من يشاء.

قَوْلُهُ: (قُلْت لِسَفِينَةَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ. قَالَ: «كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ. يَعْنِي: بَنِي مَرْوَانَ)[2]؛ يعني: مروان بن الحكم[3]، أحد خلفاء بني أمية. وكلامهم باطل؛ فخلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) في رواية أحمد: «وَخِلافة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستُّ سِنِينَ».

(٢) قال في «العون» (١٢/ ٢٦٠): «(كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ) الْأَسْتَاهُ: جَمْعُ أَسْتٍ؛ وَهُوَ الْعَجُزُ، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ حَلْقَةِ الدُّبُرِ، وَأَصْلُهُ: سَتَهٌ - بِفَتْحَتَيْنِ - وَالْجَمْعُ: أَسْتَاهٌ. وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ كَلِمَةٌ خَرَجَتْ مِنْ دُبُرِهِمْ. وَالزَّرْقَاءُ: امْرَأَةٌ مِنْ أُمَّهَاتِ بَنِي أُمَيَّةَ».

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الأموي القرشي، ابن عم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولد في حياة النبيِّ ﷺ، واختُلِفَ في صحبته؛ قال ابن حجر: لا تثبت له صحبة. ولي الخلافة =

خلافة ثابتة وخلافة راشدة، وبعد وفاة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما وُجد على ظهر الأرض من هو أفضل من عليٍّ؛ لأنه أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله تعالى عن الجميع -.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا سوار بن عبد الله**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الوارث بن سعيد**)؛ هو العنبري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن سعيد بن جمهان**)؛ وهو صدوق له أفراد، أخرج له أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن سفينة**)؛ مولى رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه مسلم وأصحاب السنن.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٤٧- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ،

=

سنة ٦٤، ومات سنة ٦٥. [انظر ترجمته في: السير (٤/ ٤٦٤)، والبداية والنهاية (٨/ ٢٨٢)، وتقريب التهذيب (ص ٥٢٥)، والإصابة (٦/ ٣٠٣)].

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ- أَوْ: مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ -»(١).

الشَّرْح

أورد أبو داود الحديث من طريق أخرىٰ إلىٰ سعيد بن جمهان، عن سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ، فيه: قال سعيد بن جمهان، وهو مثل الذي قبله.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا عمرو بن عون**)؛ هو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا هشيم**)؛ هو هشيم بن بشير الواسطي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن العوام بن حوشب**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

الأسئلة

السؤال: لماذا اختلف المسلمون في أول الأمر عندما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، مع أنهم قد عرفوا أن أبا بكر أفضلهم بعد النبي ﷺ؟

الجواب: معلوم أن الاجتماع حصل من الأنصار أولًا، وأنهم رأوا أن الولاية تكون فيهم، أو يكون لهم - على الأقل - نصيب من الولاية، وأرادوا أن يولوا سعد بن عبادة، ولكن أبا بكر وعمر وبعض المهاجرين بادروا إليهم؛ لئلا يتَّفقوا على شيء، ثم يترتب عليه أضرار ومفاسد، فأرادوا أن يحسموا الأمر، وأن يُبيَّن الأمر للجميع قبل أن يُتَّخذ شيء، وقبل أن يتفق الأنصار على شيء. فبيَّن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منزلة أبي بكر؛ فقال: (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟ قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ)[1]. فالرسول ﷺ قدَّمه لإمامة الصلاة في مرض موته، وقد روجع الرسول ﷺ في ذلك وأصرَّ على أن يكون هو الذي يتولى الصلاة.

فبعد ذلك حصل الاتفاق من أصحاب رسول الله ﷺ على ذلك، ووقع

---

(١) حسن: أخرجه النسائي (٧٧٧)، وأحمد (١/ ٢١)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة رقم (١١٥٩).

الشيء الذي أخبر به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ حيث قال: «يَأْبَىٰ اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»[(١)]، وقد يكون بعضهم خفي عليه ما يتعلّق بأن الخلافة في قريش[(٢)]؛ كما بينه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأنصار في ذلك الاجتماع[(٣)].

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يصح هذا الحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[(٤)]؟ وما معناه؟

الجواب: حديث صحيح. ومعناه: أن من كان الرسول ﷺ مولاه فإن عليًّا مولاه، ومعنىٰ ذلك: أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمنزلة الرفيعة، ولكن لا يقال: إن هذا يختص بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كما جاء في الحديث الآخر: «لا يحبك إلا

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) جاءت فيه عدة أحاديث؛ منها: حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ اثْنَانِ» أخرجه البخاري (٣٥٠١)، ومسلم (٤/ ١٨٢٠). وانظر: مشكاة المصابيح (٣/ ١٦٨٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري، رقم (٣٦٦٨).

(٤) متواتر: أخرجه الترمذي (٣٧١٣) عن زيد بن أرقم، وابن ماجه (١٢١) عن سعد بن أبي وقاص، وأحمد (١/ ٨٤) عن علي ومعه ثلاثة عشر صحابيًّا، وجاء عن جماعة من الصحابة، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (١٧٥٠)، وطول الشيخ الكلام عليه هناك وفيه فوائد؛ فيحسن مراجعته، وقال الشيخ الألباني تحت هذا الحديث في الصحيحة (٤/ ٣٤٣): متواتر.

مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»(١)، وقد جاء هذا في حقِّ الأنصار عمومًا: «آيَةُ الإِيمَانِ: حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ: بُغْضُ الأَنْصَارِ»(٢)، ولكن التنصيص على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك يدل على فضله، لا على أفضليته على من هو أفضل منه.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما رأي فضيلتكم فيمن يتسرع في التبديع والتفسيق بقوله: أخبث من في الأرض، أو أضَرّ العالمين. لرجل عرف بالمنهج السلفي والدعوة إليه، وله جهود مباركة في الدعوة إلى الله، ثم يبني على ذلك لزوم هجر ومقاطعة من لم يبدعه، ويجعل الخلاف في الأشخاص خلافًا في المنهج؛ فيسبب ذلك تفريقًا بين الشباب وزرعًا للعداوة بينهم؟ نرجو إفادتكم.

الجواب: مثل هذا الكلام الذي ذكر؛ من الأخطاء البينة والواضحة، والواجب هو الاعتدال والتوسُّط في الأمور، والتحرز من آفات اللسان، وما يحصل بسببه ممَّا لا تحمد عقباه، والنبي ﷺ قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ؛ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»(٣)، والمقصود من ذلك: اللسان والفرج. وكذلك قوله ﷺ في وصيته لمعاذ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣١/ ٧٨) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٧٤)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - أَوْ: عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[١]. فالواجب علىٰ الإنسان أن يتحرَّز من لسانه، وألا يطلقه فيما يعود عليه بالمضرَّة، ثم أيضًا كون الشخص يحصل منه خطأ ثم يقال كما جاء في السؤال: (إنه أخبث من كذا، وأخطر من كذا، وأشد من كذا)؛ هذا أيضًا زيادة في ضرر الإنسان نفسَه، بكونه يأتي بمبالغات، ويأتي بكلام ليس صحيحًا، ولا مستقيمًا، ولا مطابقًا للواقع.

ثم أيضًا ما يحصل بسبب ذلك من الفوضىٰ، ومن إساءة الظن بين الإخوان بعضهم ببعض، والهجر، وما إلىٰ ذلك؛ كل هذا من الأمور التي هي من عمل الشيطان، والتي فيها كيد الشيطان للإنسان؛ ليوقعه في المهالك، ويوقعه فيما يعود عليه بالمضرة.

والواجب أن يحاسب الإنسان نفسه ويحفظ لسانه. وآفات اللسان شأنها خطير وأمرها عظيم، ومن حظِّ الإنسان أن يحفظ لسانه عن أن يتكلم بشيء يعود عليه بالضرر. وما يحصل من بعض الإخوان من أهل السنَّة من أن يهتم بعضهم بالنيل من بعض، والكلام في بعض، وتصرف الجهود في ذلك، ويُترك الأعداء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ هذا من الأمور التي فيها كيد الشيطان للإنسان؛ بأن يصرفه عما ينبغي أن يكون

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الإرواء (٤١٣)، وفي الصحيحة رقم (٤١٢).

عليه، وأن يصرفه إلىٰ شيء ينبغي أن يصون نفسه منه.

والواجب علىٰ كل مسلم أن يحتاط لدينه وأن يحتاط لنفسه، وألا يقحم نفسه في أمور تعود عليه بالمضرة، بل الواجب هو التناصح بين المسلمين وخاصة أهل السنة والجماعة؛ ينصح بعضهم بعضًا، ويحسن بعضهم إلىٰ بعض، ويتعاونون فيما بينهم علىٰ الخير، ويحذِّر بعضهم بعضًا مما وقع فيه ليرجع عنه، ولا ينقسم الناس بعد ذلك إلىٰ من يؤيد هذا ضدّ هذا، أو هذا ضد هذا، وإنما الإنسان يحرص علىٰ أن يكون الحقُّ هو ضالته التي ينشدها، وأن يحب الخير لكل أحد، فيحب لمن أخطأ أن يرجع.

وأما حصول الاختلاف وشغل الأوقات فيما يحصل بين أهل السنة والجماعة من كلام بعضهم في بعض، ومتابعة طلبة العلم لذلك، وانشغالهم به، ويكون هو شغلهم الشاغل؛ فهذا لا يليق بطالب العلم، بل علىٰ طالب العلم أن يحرص علىٰ الاشتغال بالعلم وألا يشغل نفسه بقال فلان وقال فلان، ولا يجوز له أن يتبع ذلك الذي اشتغل به من قول فلان وفلان؛ لأنه يترتب علىٰ ذلك شحناء وعداوة وهجر وتباغض وتباعد؛ فإنَّ الواجب هو التناصح، والواجب أن يحسن كل واحد إلىٰ الآخر ويحب له الخير، ويحصل التعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

وأما انقسام أهل السنَّة إلىٰ متنازعين ومتخاصمين؛ يتكلَّم بعضهم في بعض ويبدع بعضهم بعضًا، وينال بعضهم من بعض، ويهجر بعضهم بعضًا؛

فهذا ليس فيه مصلحة وإنما فيه مضرة، وكان ينبغي أن تشغل الأوقات في الاشتغال بأعداء السنة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وأما من كان من أهل السنة وعنده خطأ؛ فإنه يناصح، ويجادل بالتي هي أحسن، ويُحرص علىٰ هدايته، وعلىٰ تقريبه وعدم إبعاده ورميه ونبذه.

فالواجب هو التوسط في الأمور والاعتدال فيها، وعدم الإفراط والتفريط.

وما يحصل من التفسيق والتبديع والهجر وما إلىٰ ذلك؛ هذا من عمل الشيطان، وهذا من كيد الشيطان للإنسان، بل الواجب - كما أشرت - هو الاشتغال بالعلم وعدم الاشتغال بمتابعة ما يحصل بين بعض أهل السنة من كلام بعضهم في بعض؛ لأن ذلك يشغل عن العلم، ويترتّب عليه أمور منكرة، مثل ما أشير إليه من حصول الهجر من بعضهم لبعض، وهذا غلط؛ إذ لو كان كل من حصل منه خطأ يهجر، أو يُهجَر من يقرأ في كتبه أو يسمع كلامه؛ لما سلم من ذلك أحد. وبعض العلماء حصل منهم أخطاء، والناس ما هجروهم ولا تركوا كتبهم، وإنما استفادوا منهم، والخطأ يرد علىٰ صاحبه، لكن لا يكون ذلك سببًا لانقسام الناس إلىٰ أقسام، وإلىٰ أحزاب، فإنَّ هذا من كيد الشيطان للإنسان، وهو من الأمور التي تضر ولا تنفع. والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

۞ ۞ ۞

السؤال: ما حكم من يقول: إن هناك خللاً في التربية لا يستطيع أحد أن ينكره، ولم يخل منه حتى أصحاب محمد ﷺ؟

الجواب: هذا من أبطل الباطل، وهو تنقيص أو ذمٌّ، وإضافة الخلل لأصحاب الرسول ﷺ يدل علىٰ أن هذا المتكلم هو الحقيق بالذم، كما قال أبو المظفر السمعاني[(١)]: «التَّعَرُّضُ إِلَىٰ جَانِبِ الصَّحَابَةِ عَلَامَةٌ عَلَىٰ خِذْلَانِ فَاعِلِهِ، بَلْ هُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ»[(٢)]، فكيف ينال من أصحاب الرسول ﷺ ويتكلم في حقهم، ويقال: إن فيهم خللًا ونقصًا في التربية؟! فمن هم المربون إذا كان أصحاب رسول الله ﷺ ليسوا متصفين بهذا الوصف؟! وهذا كلام سيئ باطل، ولا يجوز أن تُحرَّك الألسنة بمثله.

❁ ❁ ❁

السؤال: إذا كان هناك شخص لا تخطئ له فراسة وقال في أحد جرحًا أو تعديلاً؛ فهل هذا يعتبر رجمًا بالغيب؟

الجواب: هذا كلام ليس بمستقيم، وكون الإنسان له فراسة، وأنه يصيب

(١) منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر السمعاني التميمي المروزي الشافعي، مفتي خراسان، كان حنفيًّا ثم تحوَّل إلىٰ المذهب الشافعي، من كتبه: الاصطلام في الرد علىٰ أبي زيد الدبوسي، وتفسير السمعاني. ولد سنة ٤٢٦، وتوفي سنة ٤٨٩. [انظر ترجمته في: السير (١٤/ ١٥٥)، وطبقات ابن كثير (١/ ٤٨٩)، والأعلام للزركلي (٧/ ٣٠٣)].

(٢) نقله ابن حجر (ت: ٨٥٢) في الفتح (٤/ ٣٦٥)، وعزاه لكتاب «الاصطلام» لأبي المظفر السمعاني.

كثيرًا، لكن كونه لا يخطئ وأنه دائمًا وأبدًا يكون كما يخمن؛ هذا كلام غير مستقيم، وإذا جرح أحدًا عن علم فهو كغيره، ولكن بعض الناس – كما هو معلوم – أشد تثبتًا من بعض، مثلما قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل»؛ لمَّا ذكر يحيىٰ بن سعيد القطان(١) وعبد الرحمن بن مهدي(٢) وأشار إلىٰ تمكنهما في علم الجرح والتعديل، قال: «فمن جرحاه لا يكاد – والله – يندمل جرحه»(٣)، يعني: أنه مجروح وأنهما مصيبان. لكن – كما هو معلوم – كلٌّ يصيب ويخطئ.

وقولهم في فلان: لا تكاد تخطئ له فراسة. إن كان المقصود به: أن صوابه كثير؛ فهذا معقول، وأما كونه يقال عن شخص: إنه لا يخطئ. فهذا القول ليس بصحيح؛ لأنه لا أحد يسلم من الخطأ.

❁ ❁ ❁

(١) يحيىٰ بن سعيد بن فروخ القطان، أبو سعيد البصري التميمي بالولاء، الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة ١٢٠، وتوفي سنة ١٩٨. [انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (١/ ٢١٨)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ١٣١)].

(٢) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، أبو سعيد البصري اللؤلؤي، الحافظ، الناقد، أحد أئمة الجرح والتعديل، قال ابن كثير: أخذ هذا الشأن عن شيخه يحيىٰ بن سعيد القطان. ولد سنة ١٣٥، وتوفي سنة ١٩٨. [انظر ترجمته في: طبقات ابن كثير (١/ ١٤١)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٤١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ١٤٤)].

(٣) (ص: ١٨٠).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٤٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ. وَسُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ؛ ذَكَرَ سُفْيَانُ رَجُلًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ فُلَانٌ إِلَىٰ الْكُوفَةِ أَقَامَ فُلَانٌ خَطِيبًا، فَأَخَذَ بِيَدِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ هَذَا الظَّالِمِ، فَأَشْهَدُ عَلَىٰ التِّسْعَةِ: إِنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَىٰ الْعَاشِرِ لَمْ إِيثَمْ[1] - قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ: آثَمُ -، قُلْتُ: وَمَنِ التِّسْعَةُ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ حِرَاءٍ: «اثْبُتْ حِرَاءُ؛ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ». قُلْتُ: وَمَنِ التِّسْعَةُ؟ قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ. قُلْتُ: وَمَنِ الْعَاشِرُ؟ فَتَلَكَّأَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ: أَنَا[2].

---

(١) قال في عون المعبود: «(لم أيثم) بالإمالة، أي: لم آثم. قال الخطابي لم أيثم لغة لبعض العرب يقولون أيثم مكان آثم».

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٥٧)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (١ / ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٨٧٥).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أحد العشرة المبشرين بالجنة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -، وقد حدَّث به بمناسبة؛ وهي:

قَوْلُهُ: (لَمَّا قَدِمَ فُلَانٌ إِلَى الْكُوفَةِ أَقَامَ فُلَانٌ خَطِيبًا)؛ ذكر في «عون المعبود»: أن المقصود من فلان وفلان: معاوية والمغيرة بن شعبة[١]. ولا أدري هل معاوية قدم الكوفة هو والمغيرة، وأن المقصود به الاثنان، أو أن المقصود به المغيرة.

ولعلَ الذي قدم الكوفة هو المغيرة[٢] صاحب رسول الله ﷺ، وقد قدم أميرًا عليها، وأقام خطيبًا - يعني: شخصًا آخر -، ويكون هذا الخطيب الذي حصل منه الكلام الذي عيب وأُنكر عليه، وليس المغيرة بن شعبة[٣].

---

(١) قال في العون (١٢/ ٢٦١): «قَالَ فِي فَتْحِ الْوَدُودِ: وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْكِنَايَةِ عَنِ اسْمِ مُعَاوِيَةَ وَمُغِيرَةَ بِـ(فُلَانٍ)؛ سِترًا عليهما في مِثْل هذا المحلِّ؛ لكونهما صحابيَّين».

(٢) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي الأمير، أبو عيسىٰ - وقيل: عبد الله -، كان من دهاة العرب، وذوي آرائها، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية وبيعة الرضوان، وكان واقفًا يوم الصلح علىٰ رأس رسول الله ﷺ بالسيف صلتًا، ولاه عمر البصرة وولاه الكوفة، واستبقاه عثمان عليها حينًا ثم عزله، وولَّاه معاوية الكوفة بعدما صالح الحسن، فلم يزل أميرها حتىٰ مات. [انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٨/ ٥٣)].

(٣) جاء هذا في إحدىٰ الروايات عند الإمام أحمد (١/ ١٨٩): عن عبد الله بن ظالم المازني قال: (لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة. قال: فأقام خطباء يقعون في علي؛ =

والذي أقيم خطيبًا لعله شخص آخر أقامه المغيرة بن شعبة، وهو الذي حصل منه الكلام الذي أنكره سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: (**أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ هَذَا الظَّالِمِ**)؛ يعني: الذي أقيم خطيبًا.

❁ العشرة المبشرون بالجنة:

ثم ذكر أن الرسول ﷺ ذكر تسعة في الجنة، وقال: لو شئت لسميت العاشر. ويعني بذلك نفسه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -، فإنه هو أحد العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخبر أن النبي ﷺ صعد حراء، فقال له: «**اثْبُتْ حِرَاءُ؛ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**»؛ وذكر تسعة، وقال: لو شئت لسميت العاشر. فقيل له: من؟ فقال: أنا. وهذا يدلُّ علىٰ تواضع أصحاب رسول الله ﷺ وهضمهم لأنفسهم؛ تواضعًا لله عَزَّوَجَلَّ، فهو مع كونه أحدهم لم يبادر إلىٰ إظهار نفسه، وإبرازها، وإضافة هذا الفضل إلىٰ نفسه، وإنما ذكر فضل غيره ممَّن كان معه وسكت، فروجع في ذلك؛ قال: (**قلت: وَمَنِ الْعَاشِرُ؟ فَتَلَكَّأَ**)؛ يعني: ما استعجل في الجواب، بل تردد وتمهل، ثم بعد ذلك (**قَالَ: أَنَا**)؛ مخبرًا بالواقع وبما جاءت به السنة عن رسول الله ﷺ، وهو يدلُّ علىٰ فضل هؤلاء.

=

قال: وأنا إلىٰ جنب سعيد بن زيد...)؛ فذكره. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

وفي هذا الحديث: أنَّ أولهم رسول الله ﷺ، ومعه تسعة؛ لكن العشرة المبشرين كلهم من أصحاب رسول الله ﷺ كما جاء في بعض الروايات، والعاشر أبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، **والعشرة هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح**، فهؤلاء سموا بالعشرة؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سردهم في حديث واحد فقال: فلان في الجنة وفلان في الجنة... فكل واحد منهم يكون مبتدأً ويخبر عنه بأنه في الجنة؛ فلهذا اشتهروا بهذا اللقب، وصار يُنصُّ عليهم بهذا الوصف؛ فيقال: الترضي عن العشرة، وبيان فضل العشرة.

والحديث ليس فيه أبو عبيدة بن الجراح، وإنَّما فيه أولهم رسول الله ﷺ، وعاشرهم سعيد بن زيد الذي أخبر عن نفسه في آخر الأمر بعدما سُئل وتلكأ أنه هو العاشر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن الصحابة أجمعين -.

۞ الشهادة بالجنة لغير العشرة:

والشهادة بالجنة حصلت لغيرهم في مناسبات مختلفة؛ مثل: ثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة بن محصن، والحسن والحسين، وبلال[2]، وغيرهم من أصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الذين أكرمهم الله وتفضل عليهم بأن جعلهم من أهل الجنة، وشهد لهم بذلك رسول الله -

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه من حديث عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تقدم تخريج الأحاديث التي فيها الشهادة لهم بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

وفيه أن الجمادات خلق من خلق الله تعالىٰ، فتعظم ما عظم رب العزة سبحانه، وليس معظمًا في الإسلام شيء ككتاب الله تعالىٰ؛ ولذا لو أنزل علىٰ جبل لخشع وتصدع من خشيته للمتكلِّم بهذا الكتاب وتعظيمه. وكذا عَظَّم الجبلُ سيدَ البشر وأذعن لأمره؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مرسل من خالقه ومرسيه، وكان تعظيمه له بأن كف عن إرجافه؛ لأنَّ عليه النبي الكريم خير من مشىٰ علىٰ ظهر المعمورة، وعليه صديق الأمة وأفضلها بعد نبيها، والشهيدان بكل ما تعنيه الشهادة، هما أفضل الأمة بعد صديقها بإجماع أهل السنة. فسبحان الله! ما أطوع حراء لأمر النبي ومعرفته لمنازل الرجال.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن العلاء**)؛ هو محمد بن العلاء بن كريب أبو كريب البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن إدريس**)؛ هو عبد الله بن إدريس، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا حصين**)؛ هو حصين بن عبد الرحمن السلمي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن هلال بن يساف**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن ظالم)؛ وهو صدوق، أخرج له أصحاب السنن.

قوله في الطريق الثانية: (وسفيان، عن منصور)؛ يحتمل أن يكون سفيان بن عيينة أو أن يكون سفيان الثوري، والمعروف بالرواية عن منصور بن المعتمر هو سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة مكي؛ فكون عبد الله بن إدريس يروي عن حصين ويروي عن سفيان عن منصور؛ هو الذي لا إشكال فيه، وأما كون الراوي محمد بن العلاء يروي عن سفيان؛ فهذا غير واضح، وإنما يصح إذا كانت الرواية عن سفيان بن عيينة؛ إذ قد أدركه، وأما سفيان الثوري فلم يدركه، فقد توفي سفيان الثوري وعمر محمد بن العلاء ست سنوات؛ لأن الثوري توفي سنة ١٦١، ومحمد بن العلاء توفي سنة ٢٤٧، وعمره ست وثمانون سنة، فلم يدركه إدراكًا بيِّنًا، وإنما أدركه وهو صغير، لكن إذا كان عبد الله بن إدريس هو الذي يروي عن سفيان، والذي يروي عن الحصين؛ فليس فيه إشكال.

وقول صاحب «العون»: «هو ابن عيينة أو الثوري»[1]؛ لا يستقيم، فكونه يروي عن منصور هذا يوضح أنه سفيان الثوري.

و(سفيان)؛ هو الثوري، ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن منصور)؛ هو منصور بن المعتمر الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) (١٢/٢٦١).

قَوْلُهُ: (عن هلال بن يساف، عن عبد الله بن ظالم المازني)؛ مرَّ ذكرهما.

قوله: (ذَكَرَ سُفْيَانُ رَجُلًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ)؛ وقد ذكره في الطريق الذي بعد هذا؛ هو ابن حيان.

قَوْلُهُ: (سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل)؛ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديثُهُ أخرجه أصحاب الكتب الستَّة.

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنِ ابْنِ حَيَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ.

الشَّرح

ثم أورد أبو داود طريقًا معلَّقةً ذكر فيها سفيانُ رجلًا بين هلال بن يساف وبين عبد الله بن ظالم؛ وهو ابن حيان.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (رواه الأشجعي)؛ هو عبيد الله بن عبيد الرحمن، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا أبا داود، وهنا ذكره تعليقًا، ومعلوم: أن من روىٰ عنه أبو داود في التعاليق؛ ولا يعتبر من رجاله إذا كان ما روىٰ له في

المتصلات، ولهذا يأتي كثيرًا ذكر هؤلاء الذين يأتون في التعاليق ولا يرمز لهم برواية أبي داود عنهم.

قَوْلُهُ: (عن ابن حيَّان)؛ مجهول، لا يعرف ولم يسمَّ، ويقال: اسمه حيان بن غالب، أخرج له أبو داود والنسائي.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٤٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحُرِّ بْنِ الصَّيَّاحِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَخْنَسِ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَذَكَرَ رَجُلٌ عَلِيًّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «**عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ**»، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ «**سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ١٨٨)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٢/ ٢٥٩، رقم ٩٧١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٧٤٥٧).

الشَّرح

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الحديث من طريق أخرىٰ.

وفيه أن رجلًا ذكر عليًّا؛ فأتىٰ بالحديث، وبيَّن أن عليًّا من أهل الجنة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا حفص بن عمر النمري**)؛ وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا شعبة**)؛ هو شعبة بن الحجاج الواسطي ثم البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن الحر بن الصياح**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الرحمن بن الأخنس**)؛ وهو مستور - أي: مجهول الحال -، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**فقام سعيد بن زيد**)؛ وقد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٥٠ - حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ النَّخَعِيُّ، حَدَّثَنِي جَدِّي رِيَاحُ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ فُلَانٍ

فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ، فَجَاءَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فَرَحَّبَ بِهِ وَحَيَّاهُ وَأَقْعَدَهُ عِنْدَ رِجْلِهِ عَلَىٰ السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، يُقَالُ لَهُ: قَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ؛ فَاسْتَقْبَلَهُ فَسَبَّ وَسَبَّ؛ فَقَالَ سَعِيدٌ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيًّا. قَالَ: أَلَا أَرَىٰ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ ثُمَّ لَا تُنْكِرُ، وَلَا تُغَيِّرُ؟! أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - وَإِنِّي لَغَنِيٌّ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ فَيَسْأَلَنِي عَنْهُ غَدًا إِذَا لَقِيتُهُ -: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ» وَسَاقَ مَعْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: (لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَغْبَرُّ فِيهِ وَجْهُهُ، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ، وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ)[(١)].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث سعيد بن زيد من طريق أخرىٰ، وفيه أن فلانًا ولم يسمِّ، ولعله يشير بذلك إلىٰ أمير الكوفة المغيرة بن شعبة[(٢)]، وأنه جاء فحيَّاه ورحب به، يعني: المغيرة رحب بسعيد بن زيد وأجلسه معه، ثم جاء رجل يقال له: قيس بن علقمة؛ فسبَّ وسبَّ، فقال: (مَنْ يَسُبُّ هَذَا الرَّجُلُ؟

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ١٨٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣١٩٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١٤٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٩٥)، وصححه الألباني في سنن أبي داود. وانظر السابق.

(٢) جاء ذكره صريحًا في الروايات الأخرىٰ؛ انظر التخريج السابق.

قَالَ: يَسُبُّ عَلِيًّا)؛ فقال: (قَالَ: أَلَا أَرَىٰ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ ثُمَّ لَا تُنْكِرُ، وَلَا تُغَيِّرُ؟!)؛ أمَّا طعن هذا الرجل في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسبُّه أمام المغيرة، وسكوته عنه وعدم إنكاره عليه؛ فلا ندري به، لكن المظنون بأصحاب الرسول ﷺ واللائق بهم: أنَّهم علىٰ أحسن حال، ويجب أن تُحسن بهم الظنون ولا يذكرون إلا بخير.

❁ [سب الصحابة من الكبائر]:

والوقوع في واحد من الصحابة وسبُّه لا يجوز، فهذا من الأمور الخطيرة والكبيرة، والذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر ذلك في كتابه «الكبائر»[(١)]؛ فذكر فيه سبعين كبيرة، وجعل سب أصحاب رسول الله الكبيرة السبعين التي ختمه بها؛ وذلك أنه سبٌّ لخير الناس وأفضل الناس، فكما قال رسول الله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[(٢)]؛ فكيف بسبِّ أصحاب رسول الله ﷺ؟! لا شكَّ أنه من أخطر ما يكون، ومن أسوأ ما يكون؛ لأنه سبٌّ لخير الناس.

ثم قال: (أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - وَإِنِّي لَغَنِيٌّ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ...-)؛ يعني: أنه لا يكذب علىٰ الرسول ﷺ ولا يضيف إليه شيئًا لم يقله، وهذا يدلُّ علىٰ تثبته، وعلىٰ تحقُّقه مما يحدِّث ويخبر به.

ثم ذكر معنىٰ الحديث المتقدم، ثم قال: (لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ

---

(١) انظر: (ص: ٢٣٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (١١٦/ ٦٤)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَسُولِ اللهِ ﷺ يَغْبَرُّ فِيهِ وَجْهُهُ؛ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ، وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ)؛ يعني: أنَّ العمل القليل من أحد أصحاب الرسول ﷺ مع رسول الله ﷺ في غزواته وفي جهاده؛ لا يساويه عمل الكثير ممَّن جاء بعدهم؛ وذلك لأن الذي حصل منهم إنَّما حصل لنصرة الرسول ﷺ، والذبِّ عنه، ونشر دينه، والأخذ والتلقي عنه، وهذا يدل على فضلهم ونبلهم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -.

قَوْلُهُ: (**لَمَشْهَدُ**)؛ معناه: كونه يشهد غزوة من الغزوات، والمقصود بالمشهد: مشاهد الغزوات، ولهذا يأتي في تراجم الرجال من أصحاب الرسول ﷺ: وشهد المشاهد كلها؛ يعني: شهد الغزوات كلها مع رسول الله ﷺ.

قَوْلُهُ: (**يَغْبَرُّ فِيهِ وَجْهُهُ**)؛ يعني: يصاب بالغبار في وجهه بسبب هذه الغزوة؛ شأن ذلك عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهو (**خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ، وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ**)؛ ومدة دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ تسعمائة وخمسون سنة، ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، وهذه مدة دعوته، وهذا غير عمره قبل أن يبعث ويرسل إلى قومه(١).

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٧٤)، في التفسير (٦/ ٢٦٨): «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ نُوحٌ وَهُوَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ عَامًا، حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَفَشَوْا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يُقَالُ: إِنَّ عُمُرَهُ كُلَّهُ كَانَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا؛ لَبِثَ فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ ثَلَاثَمِائَةِ =

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو كامل**)؛ هو أبو كامل الجحدري الفضيل بن حسين، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الواحد بن زياد**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا صدقة بن المثنىٰ النخعي**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثني جدي رياح بن الحارث**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**فجاء سعيد بن زيد**)؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

=

سَنَةٍ، وَدَعَاهُمْ ثَلَاثَمِائَةٍ، وَلَبِثَ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَهَذَا قَوْلٌ غَرِيبٌ، وَظَاهِرُ السِّيَاقِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا.

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ أَبِي شَدَّادٍ: إِنَّ اللهَ أَرْسَلَ نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، فَدَعَاهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَهَذَا أَيْضًا غَرِيبٌ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَقْرَبُ، وَاللهُ أَعْلَمُ».

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٥١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، (ح) وحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ الْمَعْنَىٰ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، فَتَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ؛ فَضَرَبَهُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ، نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»[1].

الشرح

ثم أورد أبو داود حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو يدلُّ علىٰ فضل هؤلاء الذين كانوا مع رسول الله ﷺ، وأن رسول الله ﷺ صعد أحدًا فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل، فضربه رسول الله ﷺ برجله وقال: «اثْبُتْ أُحُدُ، نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»؛ والشهيدان هما: عمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا يدلُّ علىٰ فضلهما، وقد نالا الشهادة[2].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٥)، والترمذي (٣٦٩٧)، وأحمد (٣/ ١١٢).

(٢) أما أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فطعنه أبو لؤلؤة المجوسي وهو قائم يصلي في المحراب، صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣.

=

❁ فائدة:

ذُكِرَ صعود النبي ﷺ جبل أحد في بعض الأحاديث، وبعضها ذكر جبل حراء؛ وهذا يمكن حمله على التعدُّد وأن القصتين مختلفتان؛ قال الحافظ في «الفتح» في شرح هذا الحديث: «قد أخرجه أحمد من حديث بريدة بلفظ (حراء)، وإسناده صحيح، وأخرجه أبو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ (أحد)، وإسناده صحيح، فقوى احتمال تعدد القصة، وتقدم في أواخر الوقف من حديث عثمان أيضًا نحوه، وفيه (حراء)، وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة ما يؤيد تعدد القصة، فذكر أنه كان على حراء ومعه المذكورون هنا، وزاد معهم غيرهم، والله أعلم»[(١)].

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)؛ هو مسدَّد بن مسرهد البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا يزيد بن زريع)؛ يزيد بن زريع ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (ح وحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ)؛ هو يحيىٰ بن سعيد القطان،

=

وأما أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فحاصرته الخوارج في داره مدة، ثم دهموه في داره وقتلوه صابرًا محتسبًا في ذي الحجة سنة ٣٥. انظر: البداية والنهاية (٧/ ١٥٤، ١٥٥) و(١٩٠ - ٢١٤).

(١) (٧/ ٣٨).

ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (المعنىٰ)؛ أي: أن الروايتين ليس لفظهما واحدًا، وإنَّما متوافقتان في المعنىٰ.

وهنا شيخ أبي داود واحد، وصيغة التحمُّل واحدة (وهو التحديث بين مسدد وشيخيه)، فما أدري وجه التحويل وكان بإمكانه أن يقول: (حدثنا مسدد عن فلان وفلان).

قَوْلُهُ: (حدثنا سعيد بن أبي عروبة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن قتادة)؛ وهو ابن دعامة السدوسي البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ)؛ وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٥٢- حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيِّ، عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الدَّالَانِيِّ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ مَوْلَىٰ آلِ جَعْدَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي

جِبْرِيلُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي»(١).

الشرح

ثم أورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي»)؛ يعني: أنك لن تراه فقط، وإنما تأتيه وتتجاوزه داخلًا الجنة، وتسبق كل أمتي.

ولكن الحديث في إسناده رجل ضعيف، وهو أبو خالد مولىٰ آل جعدة، الذي يروي عنه أبو خالد الدالاني. ولا شكَّ أنَّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أول من يدخل الجنَّة من هذه الأمة إن لم يكن أولهم.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا هناد بن السري)؛ هو أبو السري، وهو ثقة، أخرج له

(١) ضعيف: أخرجه أحمد في فضائل الصحابة رقم (٢٥٨)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٣، رقم ٢٥٩٤)، والحاكم (٣/ ٧٧، رقم ٤٤٤٤)، وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١٧٤٥).

البخاري في «خلق أفعال العباد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي)؛ وهو لا بأس به، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبد السلام بن حرب)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي خالد الدالاني)؛ وهو صدوق يخطئ كثيرًا، أخرج له أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن أبي خالد مولىٰ آل جعدة)؛ مجهول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صاحب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل هو أكثر الصحابة حديثًا علىٰ الإطلاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٥٣- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَيَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ الرَّمْلِيُّ، أَنَّ اللَّيْثَ، حَدَّثَهُمْ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٨٦٠)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع

الشرح

ثم أورد أبو داود حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»؛ أي: في بيعة الرضوان، وكانوا ألفًا وأربعمائة[1]، وهذا يدلُّ علىٰ فضل أهل هذه البيعة جميعًا، وأنَّهم لا يدخلون النار، وإنما يدخلون الجنة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -؛ ولهذا يأتي في تراجم الصحابة: (شهد بيعة الرضوان - شهد بدرًا)، وذلك للفضل الذي ورد فيهما، فيذكر مع كونه صحابيًّا أنه من أهل بيعة الرضوان؛ لأن أهل بيعة الرضوان ورد فيهم فضل خاصٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -.

❁ **مسألة: النص على بعض الصحابة أنهم لا يدخلون النار؛ لا يعني أن غيرهم قد يدخلها:**

النصُّ علىٰ أهل بيعة الرضوان أنهم لا يدخلون النار؛ فيه زيادة فضل علىٰ باقي الصحابة، ومعلوم أن من ورد فيه نصٌّ خاصٌّ بأنه من أهل الجنة فيُشهد له تبعًا للنص، لكن لا يعني ذلك أن غيره يؤمر به إلىٰ النار؛ لأنه قد جاء في القرآن ما يدلُّ علىٰ أنهم وعدوا جميعًا الحسنىٰ؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ

=

رقم (٧٦٨٠).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (٦٧/ ١٨٥٦)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠]؛ و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾؛ هي الجنَّة.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا قتيبة بن سعيد**)؛ هو ابن جميل بن طريف البغلاني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**ويزيد بن خالد الرملي**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**أن الليث حدثهم**)؛ هو الليث بن سعد المصري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي الزبير**)؛ هو محمد بن مسلم بن تَدْرُس المكي، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن جابر**)؛ هو جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو صحابي جليل، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

- وهذا الإسناد رباعي، وأبو داود روىٰ عن اثنين في طبقة واحدة، فلا يقال: إنه خماسي؛ لأن الاثنين في طبقة واحدة، وهما شيخا أبي داود.

- وعنعنة أبي الزبير لا تضرُّ؛ لأن الحديث من رواية الليث، وما رواه الليث عن أبي الزبير فهو ممَّا سمعه من جابر.

وكذلك ورد الحديث في «صحيح مسلم» من حديث أمِّ مُبَشِّر[1]، وهو

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٣/ ٢٤٩٦): عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا

بهذا الذي دلَّ عليه حديث جابر.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٥٤- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، (ح) وحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - قَالَ مُوسَىٰ - «فَلَعَلَّ اللهَ» - وَقَالَ ابْنُ سِنَانٍ -: **«اطَّلَعَ اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**[1].

الشَّرح

هذا الحديث يدلُّ علىٰ فضل أهل بدر، وأن الله تعالىٰ قد غفر لهم، وكانوا أكثر من ثلاثمائة[2] - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -.

سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا». وأم مبشر؛ هي بنت البراء بن معرور الأنصارية. [انظر ترجمته في: الاستيعاب (٤/ ١٩٥٧)، والإصابة (٨/ ٤٧١)].

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥)، والدارمي في السنن (٢٨٠٣)، وابن حبان (١١/ ١٢٣، رقم ٤٧٩٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٤٧)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٠٥، رقم ٦٥٨)، والحاكم (٤/ ٨٨، رقم ٦٩٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧١٢٦)، والصحيحة رقم (٢٧٣٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٥٨)، عَنِ البَرَاءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ

قال الرسول ﷺ: «فَلَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»؛ كما رواه موسىٰ بن إسماعيل أحد شيخي أبي داود. واللفظ الثاني للشيخ الثاني: «اطَّلَعَ اللهُ»، ولم يقل: لعل الله.

ولهذا صار لهم فضيلة وميزة، فيقال لأحدهم: إنه بدري، أو: إنه شهد بدرًا. لهذه الفضيلة ولهذه الخصيصة، ولهذا جاء في قصَّة حاطب بن أبي بَلْتَعة[(١)] المشهورة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[(٢)].

❁ [توجيه الأحاديث الدالة على الوعيد بالنار لمن فعل فعلاً صدر عن بعض الصحابة]:

وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس، وما حصل من بعضهم من أمور قد تُستنكر أو تؤخذ عليهم؛ مثل ما جاء عن النبي ﷺ أنَّه قال: «قَاتِلُ عَمَّارٍ وَسَالِبُهُ فِي النَّارِ»[(٣)]، والذي قتله: ....

=

ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ - وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ -؛ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثُ مِائَةٍ». وانظر فتح الباري (٧/ ٢٩١، ٢٩٢).

(١) هو حاطب بن عمرو أبي بلتعة ابن عمير بن سلمة اللخمي، شهد بدرًا والحديبية والمشاهد، مات سنة ٣٠. [انظر ترجمته في: الاستيعاب (١/ ٣١٢)، والإصابة (٢/ ٤)، والسير (٣/ ٣٦٥)].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (١٦١/ ٢٤٩٤)، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ٥٣٩، رقم ١٤٤٣٠)، والحاكم (٣/ ٤٣٧، رقم =

....أبو الغادية[١]، وهو صحابيٌّ!! لكنهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لهم من الفضائل والمناقب، ولهم من الميزات التي حصلت لهم مع رسول الله ﷺ؛ ما يفوقون بها من بعدهم، وقد قال سعيد بن زيد: (لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَغْبَرُّ فِيهِ وَجْهُهُ؛ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ، وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ)[٢][٣].

=

٥٦٦١)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٠٠٨)، وصحيح الجامع رقم (٤٢٩٤).

(١) أبو الغادية الجهني؛ يسار بن سَبُع، قاتل عمار، أدرك النبي ﷺ وهو غلام، وله صحبة. [انظر ترجمته في: الاستيعاب (٤/ ١٧٢٥)، والإصابة (٧/ ٢٦٠)].

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) قال ابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٤٥، ٢٤٦) في بيان موقف أهل السنَّة مما شجر بين الصحابة من الاختلاف: «أَمَّا مَا يَجِبُ عَلَيْنَا تَرْكُهُ، وَفُرِضَ عَلَيْنَا الْإِمْسَاكُ عَنْهُ، وَحَرَامٌ عَلَيْنَا الْفَحْصُ وَالتَّنْقِيرُ عَنْهُ: هُوَ النَّظَرُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَالْخُلْفُ الَّذِي كَانَ جَرَىٰ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مُشْتَبِهٌ، وَنُرْجِئُ الشُّبْهَةَ إِلَىٰ اللهِ، وَلَا نَمِيلُ مَعَ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَلَا نَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَا نُخْرِجُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا نَجْعَلُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ حُجَّةً فِي سَبِّ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَلَا نَسُبُّ أَحَدًا مِنْهُمْ لِسَبِّهِ صَاحِبَهُ، وَلَا نَقْتَدِي بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ جَرَىٰ مِنْهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ وَتُقًىٰ وَخَالِصِ إِيمَانٍ؛ لَأَنَّا عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْ نَصِّ التَّنْزِيلِ وَقَوْلِ الرَّسُولِ، أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَخَيْرُهُ بَعْدَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِأَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ أَتَىٰ بَعْدَهُمْ وَلَوْ جَاءَ بِأَعْمَالِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَلَوْ لَقِيَ اللهَ تَعَالَىٰ وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَلَا خَطِيئَةَ عَلَيْهِ لَمَا بَلَغَ ذَلِكَ أَصْغَرَ صَغِيرَةٍ مِنْ حَسَنَاتِ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ، وَلَا شَيْءَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ صَغِيرٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو التبوذكي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد بن سلمة**)؛ هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**ح وحدثنا أحمد بن سنان**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود، والنسائي في «مسند مالك»، وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا يزيد بن هارون**)؛ هو الواسطي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عاصم**)؛ هو ابن أبي النجود بهدلة، وهو صدوق له أوهام، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وحديثه في الصحيحين مقرونٌ.

قَوْلُهُ: (**عن أبي صالح**)؛ هو أبو صالح السمَّان، واسمه ذكوان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي هريرة**)؛ وقد مرَّ ذكره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٥٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ ثَوْرٍ حَدَّثَهُمْ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: خَرَجَ

النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ؛ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَأَتَاهُ - يَعْنِي عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ - فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ: «أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَتِهِ»، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: «الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ»[1].

الشرح

بعدما ذكر أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ حديث: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[2]؛ ذكر هنا حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ في قصة بيعة الرضوان، وفيه: المغيرة بن شعبة كان من أهل بيعة الرضوان، وكان بارزًا في تلك الغزوة، وأنه كان واقفًا علىٰ رأس الرسول ﷺ يحرسه ومعه السيف في مجلسه ﷺ للصلح مع الكفار؛ دلالةً علىٰ إجلاله واحترامه وتوقيره وحرص الصحابة عليه، وهي منقبة للمغيرة بن شعبة.

وكان عروة بن مسعود الثقفي يخاطب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٣١)، وأحمد (٤/ ٣٢٣).

(٢) صحيح: هو الحديث قبل السابق في السنن.

أثناء ذلك يريد أن يأخذ بلحية الرسول ﷺ، فكان المغيرة يضرب يده بنعل السيف – وهو أسفل السيف –، ويقول: **(أَخِّرْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ)**. **(فقال: من هذا؟! قالوا: المغيرة)**.

وهو حديث طويل جاء في «صحيح البخاري» وغيره، وفيه عقد الصلح وما حصل عند عقده، ولكن المصنف ذكره هنا مختصرًا.

وهو دالٌّ علىٰ فضل المغيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه، والمغيرة بن شعبة قد نال منه من نال وتكلَّم فيه من تكلم، رغم أن هذا شأنه، وهو من الأشخاص البارزين في بيعة الرضوان؛ لأن المبايعين في بيعة الرضوان كانوا ألفًا وأربعمائة، وليس جميعهم معروفين، لكن المغيرة كان في غاية الوضوح؛ لأنه كان قائمًا علىٰ رأس الرسول ﷺ، فهو قائم بهذه المهمَّة العظيمة، وذلك يعدُّ شرفًا له وفضلًا، بالإضافة إلىٰ كونه من أهل البيعة ويشمله ما شملهم من الفضل.

وهو دالٌّ أيضًا علىٰ أن الوقوف علىٰ رأس الإمام عند مجيء الأعداء، وإظهار احترامه وتوقيره؛ سائغ وجائز، وهو يدلُّ علىٰ أن ما جاء في الحديث الصحيح من النهي عن القيام علىٰ رأس الرجل؛ أنه إذا كان في غير هذه الحال؛ كما جاء عَنْ جَابِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا،

فَأَشَارَ إِلَيْنَا فَقَعَدْنَا فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَىٰ مُلُوكِهِمْ، وَهُمْ قُعُودٌ؛ فَلَا تَفْعَلُوا ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ إِنْ صَلَّىٰ قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا وَإِنْ صَلَّىٰ قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا»[(١)].

فهذا الحديث يدل علىٰ استثناء مثل هذه الحال إذا كان المقام يقتضي بيان احترام الإمام وتوقيره، وإظهار الاحتفاء به، والحرص عليه، والمحافظة عليه، وأن القيام علىٰ الرجل في مثل هذه الحالة سائغ، وليس من قبيل الممنوع الذي جاء النهي عنه في الحديث؛ لأنه تشبُّه بفعل الفرس والروم الذين يقومون علىٰ ملوكهم وهم جلوس.

❁ والقيام له ثلاث حالات:

- والقيام إلىٰ الرجل: وهو كون الإنسان يكون جالسًا، ثم يأتي إنسان فيقوم من أجله ليصافحه، أو ليعانقه، أو ليستقبله؛ فإن ذلك سائغ؛ لأنه قيام إليه.

- والقيام للرجل: وهو أن يقوم الإنسان من مجلسه ويجلس من أجل الرجل؛ يعني: لم يقم ليعانقه ولا ليصافحه ولا ليستقبله، وإنما هو قيام وجلوس للإكرام فقط؛ هذا هو الذي جاء النهي عنه، وأنه لا يسوغ ولا يجوز[(٢)].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٤/ ٤١٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣٥٧).

- القيام على الرجل: وهو جائز في مثل هذه الصورة التي جاءت في هذا الحديث.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن عبيد**)؛ يحتمل أن يكون المحاربي، وأن يكون ابن حساب، وكل منهما روىٰ عنه أبو داود، وكل منهما روىٰ عن محمد بن ثور.

ومحمد بن عبيد بن حساب الغبري؛ ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي.

والمحاربي؛ صدوق، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

وفي «**تحفة الأشراف**» سمَّاه: محمد بن عبد الأعلىٰ الصنعاني[1]، وتقدَّم في باب الجهاد (محمد بن عبيد)، والنسخ كلها اتَّفقت علىٰ ذلك.

ومحمد بن عبد الأعلىٰ الصنعاني؛ ثقة، أخرج له مسلم، وأبو داود في «القدر»، والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وعلىٰ كل حال: أيهم كان؛ فإنه محتجٌّ به.

قَوْلُهُ: (**أن محمد بن ثور حدثهم**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن معمر**)؛ هو معمر بن راشد الأزدي البصري ثم اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) انظر: (٨/ ٣٨٣).

قَوْلُهُ: (عن الزهري)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عروة بن الزبير)؛ هو عروة بن الزبير بن العوام، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن المسور بن مخرمة)؛ وهو صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٥٦- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ أَبُو عُمَرَ الضَّرِيرُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ إِيَاسٍ الْجُرَيْرِيَّ أَخْبَرَهُمْ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ، عَنِ الْأَقْرَعِ مُؤَذِّنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ قَالَ: بَعَثَنِي عُمَرُ إِلَىٰ الْأُسْقُفِّ، فَدَعَوْتُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «وَهَلْ تَجِدُنِي فِي الْكِتَابِ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُنِي؟»، قَالَ: أَجِدُكَ قَرْنًا. فَرَفَعَ عَلَيْهِ الدِّرَّةَ، فَقَالَ: «قَرْنٌ مَهْ؟»، فَقَالَ: قَرْنٌ حَدِيدٌ، أَمِينٌ شَدِيدٌ. قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي يَجِيءُ مِنْ بَعْدِي؟»، فَقَالَ: أَجِدُهُ خَلِيفَةً صَالِحًا غَيْرَ أَنَّهُ يُؤْثِرُ قَرَابَتَهُ. قَالَ عُمَرُ: «يَرْحَمُ اللهُ عُثْمَانَ» ثَلَاثًا. فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي بَعْدَهُ؟»، قَالَ: أَجِدُهُ صَدَأَ حَدِيدٍ. فَوَضَعَ عُمَرُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَقَالَ: «يَا دَفْرَاهُ، يَا دَفْرَاهُ»، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ خَلِيفَةٌ صَالِحٌ، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْلَفُ حِينَ يُسْتَخْلَفُ، وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ وَالدَّمُ مُهْرَاقٌ(١).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الدَّفْرُ: النَّتْنُ.

الشرح

أورد أبو داود هذا الأثر عن الأقرع مؤذن عمر: أنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسله إلى الأسقف؛ وهو عالم النصارى، فقال له: (وَهَلْ تَجِدُنِي فِي الْكِتَابِ؟)؛ يعني: في كتبكم (قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُنِي؟»، قَالَ: أَجِدُكَ قَرْنًا. فَقَالَ: «قَرْنٌ مَهْ؟»، فَقَالَ: قَرْنٌ حَدِيدٌ، أَمِينٌ شَدِيدٌ. قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي يَجِيءُ مِنْ بَعْدِي؟»، فَقَالَ: أَجِدُهُ خَلِيفَةً صَالِحًا غَيْرَ أَنَّهُ يُؤْثِرُ قَرَابَتَهُ. فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي بَعْدَهُ؟»، قَالَ: أَجِدُهُ صَدَأَ حَدِيدٍ)؛ والصدأ: هو وسخ الحديد (فَوَضَعَ عُمَرُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَقَالَ: «يَا دَفْرَاهُ، يَا دَفْرَاهُ»)؛ والدفر: هو النتن، وكأنه يشير إلىٰ هذا الأسقف (فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ خَلِيفَةٌ صَالِحٌ، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْلَفُ حِينَ يُسْتَخْلَفُ، وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ وَالدَّمُ مُهْرَاقٌ).

وكما هو معلوم فعليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اتفقت عليه الأمة بعد

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه اللالكائي في شرح السنة (رقم ٢٦٥٨)، وقال الألباني في سنن أبي داود: ضعيف الإسناد.

قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأجمعوا عليه كما أجمعوا علىٰ خلافة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم يكن هناك بعد وفاة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ وجه الأرض من هو خير منه. وفي عهد عثمان وقعت الفتنة وقتل عثمان وأهريق دمه، وأمَّا علي ففي أول خلافته ما كان هذا الذي أشار إليه الأسقف، ولكنه بعد ذلك حصلت الفتن، وحصل إراقة الدماء بين المسلمين، ثم بعد ذلك اجتمعت الكلمة بالصلح الذي حصل من الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وتنازله لمعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فاتَّحدت كلمة المسلمين، وصار علىٰ المسلمين خليفة واحد هو معاوية - رضي الله تعالىٰ عن الجميع -.

وهذا الأثر فيه نكارة في متنه، ويفهم منه: أن الذي بعد عمر هو عثمان، والذي بعد عثمان هو علي، ومعلوم أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جعل الأمر في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يكن يُدرىٰ من يكون الخليفة منهم، وانتهت المسألة إلىٰ أنْ دار الأمر بين عثمان وعليٍّ، ثم حصلت المشاورة في إسناد الأمر إلىٰ عثمان أو علي. فلو كان ذلك مسلمًا به لصار معروفًا.

والإسناد رجاله لا بأس بهم، وظاهره أنه مستقيم، ولا أدري إذا كان فيه انقطاع أو نحوه، لكن الألباني ضعَّفه، ولكن ما أدري ما وجه التضعيف، ولكن من ناحية المتن فلا شكَّ أن فيه نكارة.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: (الدَّفْرُ: النَّتْنُ)، فـ«**يَا دَفْرَاهُ**»؛ يعني: يا نتناه.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرير**)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد بن سلمة**)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**أن سعيد بن إياس الجريري أخبرهم**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الله بن شقيق العقيلي**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**عن عمر**). وهو صحابي جليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثاني الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمَّة والفضائل الكثيرة، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

الأسئلة

السؤال: مدرس يسأل عن زميل له في العمل من الرافضة: فهل أسلم عليه وأصافحه وأجلس معه؟

الجواب: الإنسان عليه أن يحبَّ في الله ويبغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله، و«أَوْثَقُ عُرَىٰ الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»(١)، فمن كان مبغضًا للصحابة ومحاربًا لهم؛ فإنه يجب بغضه في الله عَزَّوَجَلَّ، وعدم مجالسته وعدم مخالطته.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل حصل أن مر أحد الصحابة على جميع البيوت ليستشيرهم أيهم يختارون: عليًا أم عثمان؟ وقد ذكر هذا أحدهم واستدل به على الديمقراطية والانتخابات في الإسلام!

الجواب: ما يقال: إنه مرَّ علىٰ الجميع، ولكن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تولَّىٰ هذه المهمَّة ما كان يتلذذ بنوم ولا يستريح، وكان يطوف

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ١١٠، رقم ٧٨٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٤٤٣) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن عدَّة من الصحابة نحوه، وقال الألباني في الصحيحة رقم (١٧٢٨): فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلىٰ درجة الحسن علىٰ الأقل.

علىٰ الناس ويسألهم[1]، أما أنه مر علىٰ جميع البيوت فلا يظهر أن ذلك حصل.

أمَّا من استدلَّ بهذا الفعل علىٰ الانتخابات والديمقراطية في الإسلام! فالإسلام في وادٍ وأصحاب الديمقراطية في وادٍ آخر، هذا شيء جاء من الغرب، والذي عليه المسلمون جاء من السماء.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يعتبر من تكلَّم فيما شجر بين الصحابة بالذم من أهل البدع؟

الجواب: لا شكَّ أن من يذمُّ الصحابة ويعيبهم أنه من أهل البدع، أو عنده بدعة، فإذا كان من أعداء أهل السنة والجماعة ومن المنحرفين عن أهل السنة والجماعة كالروافض وغيرهم؛ فلا شك أنه من أهل البدع، وأما إذا حصل من بعض أهل السنة شيء من الخطأ والغلط في أمر من الأمور، أو خفي عليه أمر ولم يعلم، أو لم ينبَّه؛ فمثل هذا لا يقال في حقه ما يقال في حق المبتدعين الذين هم في وادٍ وأهل السنة في وادٍ آخر.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٧٢٠٧).

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

بَابٌ فِي فَضْلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

٤٦٥٧- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا (ح)، وحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا -، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ»[1].

الشرح

يقول الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب في فضل أصحاب

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢١٤/ ٢٥٣٥)، وأخرجه أيضًا: الترمذي (٢٢٢١)، والنسائي (٣٨٠٩).

رسول الله ﷺ)؛ هذه الترجمة معقودة لبيان الفضل الذي أكرم الله به أصحاب رسول الله ﷺ، وأنَّ لهم ميزة تميزوا بها علىٰ غيرهم، وهي أنَّهم وجدوا في القرن الذي بُعث فيه الرسول ﷺ، وأكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الحياة الدنيا بصحبته، ومتَّع أبصارهم بالنظر إلىٰ طلعته ﷺ، وشنف[1] أسماعهم بسماع حديثه من فمه الشريف، ووفَّقهم للجهاد معه ونصرته والذبِّ عنه؛ فصارت لهم هذه الفضائل وهذه الميزات التي ميزهم الله تعالىٰ بها، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

ولهذا فإن أصحاب رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فُضِّلوا علىٰ غيرهم بكونهم القرن الذي بعث فيه الرسول ﷺ، وأكرمهم الله بصحبته، وسمعوا كلامه وحديثه، ورأوا شخصه وطلعته ﷺ، وتلقَّوا الحقَّ والهدىٰ منه، وبلغوهما إلىٰ النَّاس؛ فجعلهم الله عَزَّوَجَلَّ الواسطة بين الناس وبين الرسول ﷺ، ما عرف الناس حقًّا ولا هدًىٰ، ولا وصل إلىٰ الناس كتاب ولا سنَّة؛ إلا عن طريق أصحاب رسول الله ﷺ.

ولهذا اشتهر عند العلماء أنَّ الصحابيَّ لا يحتاج إلىٰ أن يُعَدَّل وأن يوثَّق، ولا يحتاج إلىٰ أن يقال: فلان ثقة، وفلان عدْل... إذ يكفيهم تعديل الله ورسوله ﷺ وثناء الله وثناء رسوله - صلوات الله وسلامه

---

(١) شنف الآذان بِكَلَامِهِ: أمتعها بِهِ. انظر المعجم الوسيط (ص ٤٩٦) مادة: (ش ن ف).

وبركاته عليه -؛ ولهذا كان المجهول فيهم في حكم المعلوم، فجهالة الصحابيِّ لا تؤثر، أما من دون الصحابة فإن جهالتهم تؤثِّر؛ ولهذا يأتي في كتب الحديث ذكر الرواية عن الصحابة؛ فيقال: عن رجل صحب النبي ﷺ. وذلك حجَّة ومتَّفق عليه عند أهل السنَّة، ولا خلاف في ذلك. أما من دون الصحابة من التابعين ومن دونهم؛ فإنه يحتاج إلىٰ معرفة أحوالهم وإلىٰ بيان عدالتهم وبيان جرحهم.

وفي كتب تراجم الصحابة لا يذكرون إلا الصحبة وتكفيه، ولا يحتاج إلىٰ أمر آخر يضاف إليها، وقد يقال في بعض الصحابة: فلان صحابي من أهل بدر، أو: شهد بيعة الرضوان، أو: شهد بدرًا. وذلك لما ورد من النصوص في فضل أهل بدر وفضل أهل بيعة الرضوان؛ أي: ليبين أنه من أهل هذا الفضل؛ بذكر كونه بدريًّا أو ممن شهد بيعة الرضوان.

❁ [ما جاء في فضل الصحابة من الكتاب والسنة]:

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مبيِّنة قدر أصحاب رسول الله ﷺ وبيان فضلهم ونبلهم، وأثنىٰ الله عليهم وأثنىٰ عليهم رسوله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، وجاء في ذلك آيات كثيرة، وجاء في ذلك أحاديث عديدة عن رسول الله ﷺ.

❁ فمن الكتاب:

- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠].

- وكذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

فهذه الآية الكريمة فيها بيان أنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ قدْ ذُكروا بالثناء عليهم في التوراة والإنجيل والكتب السابقة قبل أن يوجدوا وقبل أن يأتي زمانهم، وهذا دالٌّ على فضلهم ونبلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

وفيها أنهم يُغاظُ بهم الكفار؛ وذلك لأنهم يقومون بنصرة الدِّين وبالجهاد في سبيل الله، فالكفار يغاظون بهم؛ ولهذا قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

ثمَّ أخبر أنه وعدهم بمغفرة ورحمة؛ فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. والمقصود من ذلك الصحابة، وقوله: ﴿مِنْهُم﴾؛ لا يراد به التبعيض، وإنما يراد بيان الجنس؛ أي أنَّ هذا الوعد إنما هو لهم، ولو لم تأتِ بكلمة ﴿مِنْهُم﴾ لصار الأمر لا يخصُّهم، فلو قال: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة وأجرًا عظيمًا)؛ فيكون لهم ولغيرهم، لكن لما جاءت كلمة ﴿مِنْهُم﴾ عُرف أن هذا الوعد لهم، لكن

ليس لبعضهم وإنَّما هو لجميعهم؛ لأن (مِن) هنا بيانية، وليست تبعيضية.

ونظير ذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]؛ فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾؛ ليس المقصود: بعضهم، بل كل الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة؛ تُوعِّدوا بهذا الوعيد، فكلمة ﴿مِنْهُم﴾ لبيان الجنس وليست للتبعيض.

و(من) في الآية الأولىٰ لبيان الجنس في جانب المدح، وفي الثانية لبيان الجنس في جانب الذم.

- وكذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

فإنه وإن حصل بينهم التفاوت في الدرجات وعلو المنازل؛ إلَّا أنَّ الكل وُعِدَ الحسنىٰ، والحسنىٰ هي: الجنة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

۞ **أما في سنة رسول الله ﷺ: فقد جاءت أحاديث كثيرة تدلُّ علىٰ فضل الصحابة، وعظيم منزلتهم.**

وقد أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عمران بن حصين: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ**». وهم الصحابة.

والمراد بـ(القرن) هنا: المجموعة من الناس الذين رأوا النبي ﷺ

وصَحِبُوه، وليس المقصود به مدَّة معيَّنة محددة لها بداية ولها نهاية، وإنما المقصود منه هؤلاء القوم وهؤلاء الصحب الذين بُعث فيهم النبي ﷺ، والذين رأوه والذين سمعوا كلامه، والذين تلقَّوا الحق والهدىٰ منه وبلغوهما إلىٰ الناس، فهؤلاء هم خير أمة محمد ﷺ.

❁ تفضيل الصحابة على من بعدهم تفضيل للجميع لا للمجموع:

وقد ذهب أهل السنَّة والجماعة إلىٰ تفضيل جميع أفراد الصحابة علىٰ جميع الأفراد الذين يجيئون بعد زمانهم، فالتفضيل للجميع لا للمجموع؛ أي: أن كلَّ واحد من الصحابة أفضل من أيِّ واحد ممن يأتي بعدهم؛ فإن ما حصل لهم من صحبة النبي ﷺ والجهاد معه وتلقي الكتاب والسنة عنه، وتأديتهما إلىٰ الناس؛ هذا شيء تميَّزوا به واختصوا به؛ فصار لهم فضل لا يدانيه أحد ولا يساويه أحد؛ ولهذا جاء في حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي مرَّ: «لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر به وجهه؛ خير من عمل أحدكم عمره، ولو عمر عمر نوح»[(١)].

ولم يأتِ ما يخالف ذلك إلا ما نقل عن ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: يمكن أن يكون في بعض من يأتي بعد الصحابة؛ من هو أفضل من بعض الصحابة[(٢)]. ولكن هذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة والذي لا

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) انظر: التمهيد (٢٠/ ٢٥٠ - ٢٥٥).

يعرف عنهم غيره.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)؛ القرن الثاني: هم التابعون، وهم الذين رأوا الصحابة، وينقسمون إلىٰ: كبار ومتوسِّطين وفيهم صغار، ولهذا يقال: من كبار التابعين، أو من أوساط التابعين، أو من صغار التابعين.

وقد جاء ذكر المثال لهذه الأصناف من التابعين في أول حديث في «صحيح البخاري»؛ وهو حديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»(١)؛ فقد رواه عمر بن الخطاب، ورواه عن عمرَ علقمةُ بن وقَّاص الليثي(٢) وهو من كبار التابعين، ورواه عن علقمة بن وقاص محمد بن إبراهيم التيمي(٣)، وهو من أوساط التابعين، ورواه عن محمد بن إبراهيم التيمي يحيىٰ بن سعيد الأنصاري(٤) وهو من صغار التابعين.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٥٥/ ١٩٠٧).

(٢) علقمة بن وقَّاص بن محصن بن كلدة الليثي العُتْوَارِيُّ، المَدَنِيُّ، مَاتَ بالمدينة فِي دَوْلَةِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ، وحَدِيْثُهُ فِي الكتب الستة. [انظر ترجمته في: السير (٥/ ٢٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٨٠، ٢٨١)، والتقريب (ص ٣٩٧، ٣٩٨)].

(٣) محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي، أبو عبد الله المدني، ثقة، وحَدِيْثُهُ فِي الكتب الستة. [انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٩/ ٥ - ٧)، والتقريب (ص ٤٦٥)].

(٤) هو يحيىٰ بن سعيد بن قيس، أبو سعيد النجاري الأنصاري، المدني الإمام، قاضي المدينة ثم قاضي القضاة للمنصور، ثقة ثبت، وحَدِيْثُهُ فِي الكتب الستة. [انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ =

ومن التابعين أيضًا: **المخضرمون**[١]؛ الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، ولكنهم لم يروه ﷺ، وإنما رأوا كبار الصحابة ورووا عنهم؛ مثل قيس بن أبي حازم[٢] الذي قيل: إنه اتَّفق له أن يروي عن العشرة المبشَّرين بالجنة، وهم كبار الصَّحابة. وينتهي هذا القرن بوفاة آخر واحد رأىٰ واحدًا من الصحابة.

وكذلك أتباع التابعين الذين رأوا التابعين.

والأحاديث الثلاثية في «صحيح البخاري»؛ فيها بيان الكبار من هؤلاء وهؤلاء، فالثلاثيَّات فيها بين البخاري والنبي ﷺ ثلاثة أشخاص؛ صحابي =

(١/ ١٠٤)، والسير (٦/ ١٧٧)، والتقريب (ص ٥٩١)].

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما المخضرمون، فهم: الذين أسلموا في حياة رسول الله ﷺ ولم يروه. و«الخضرمة»: القطع فكأنهم قطعوا عن نظرائهم من الصحابة.

وقد عد منهم مسلم نحوًا من عشرين نفسًا، منهم: أبو عمرو الشيباني، وسويد بن غفلة، وعمرو بن ميمون، وأبو عثمان النهدي، وأبو الحلال العتكي، وعبد خير بن يزيد الخيْواني، وربيعة بن زرارة، قال ابن الصلاح: وممن لم يذكره مسلم: أبو مسلم الخولاني عبد الله ابن ثوب.

«قلت»: وعبد الله بن عُكيم، والأحنف بن قيس. [الباعث الحثيث إلىٰ اختصار علوم الحديث (١٩٣)].

(٢) قيس بن أبي حازم حصينِ بن عوف، أبو عبد الله البجلي الإمام، أَسْلَمَ وَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ لِيُبَايِعَهُ، فَقُبِضَ ﷺ وَقَيْسٌ فِي الطَّرِيْقِ، قال ابن حجر: يقال: إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة. ثقة، وحديثه عند الستة. [انظر ترجمته في: السير (٥/ ١١٢)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٤٩)، والتقريب (ص ٤٥٦)].

وتابعي وتابع تابعي، فهو يكون قد روىٰ عن أتباع التابعين؛ مثل محمد بن عبد الله الأنصاري، ومكي بن إبراهيم، وأبي عاصم النبيل، فهؤلاء هم ممن روىٰ عنهم الثلاثيات، والبخاري توفي سنة مائتين وست وخمسين، وأولئك الذين هم من كبار شيوخه ماتوا في حدود سنة مائتين وعشرين.

فقوله: (خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ- وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا -)؛ أي: قرن الصحابة أولًا، ثم قرن التابعين، ثم قرن أتباع التابعين.

وقد جاء الشَّكُّ في حديث عمران بن حصين؛ هل ذكر الثالث بعد قرنه ﷺ أم لا؟ وليس المقصود من ذلك الشك في قرن أتباع التابعين؛ فقد وردت أحاديث كثيرة في ذكر القرون الثلاثة، وإنَّما الشكُّ في كونه ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، والصحيح: أنه ذكر قرنين، مع قرنه، والقرن الرابع لم يثبت فيه شيء.

وتفضيل هذه القرون الثلاثة؛ جاء عن جماعة من الصحابة، وحديث عمران بن حصين محتمل وفيه شك، ولكن جاء ما يبيِّن أن المقصود ثلاثة قرون بقرنه، والشكُّ في الرابع، والصحيح الثابت هو تفضيل القرون الثلاثة الأول فقط. ويوضح ذلك الحديث الصحيح الذي جاء في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه قال: «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ،

يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ – وفي رواية: مَنْ صَحِبَ – رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ – وهؤلاء المراد بهم الصحابة –. ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ»(١)؛ وهذه القرون الثلاثة هي: قرن الصحابة، وقرن التابعين، وقرن أتباع التابعين.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ)؛ معناه: أنَّهم يتساهلون في أمر الشهادة، ويحرصون علىٰ الشهادة دون أن تُطلب منهم، وأما إذا كان الإنسان عنده شهادة وصاحب الشهادة لا يدري أن عند فلان شهادة، وعنده فصل في أمر من الأمور، وشهادته تبين حقًّا، وتوضح من له الحقُّ ومن ليس له الحقُّ؛ فإن إدلاءه بشهادته محمود، ويدلُّ عليه قوله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا»(٢)، وأمَّا إذا كان صاحب الحقِّ يدْري ويعْرف، ولكن الإنسان يأتي فيخبر بأنه عنده شهادة، إما لأمر يكون بينه وبين ذلك الشخص الذي يشهد عليه أو لغير ذلك؛ فهذا هو المذموم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (٢٠٨/ ٢٥٣٢)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩/ ١٧١٩)، عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: (وَيَنْذِرُونَ، وَلَا يُوفُونَ)؛ والنذر يجب الوفاء به إذا وجد، ولكن ليس من المرغَّب فيه أن ينذر الإنسان، وإنما علىٰ الإنسان إذا أراد أن يحسن فليحسن بدون نذر، وإذا أراد أن يتقرَّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بقربة؛ فليبادر إليها بدون أن يعلِّقها بشيء، ودون أن ينيطها بشيء؛ لأن إناطتها بشيء وتعليقها بشيء يعني أن هذا ما حصل منه ابتداءً من أجل أن يتقرَّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به، وإنَّما إذا حصل له كذا فإنه يفعل كذا وكذا، ثمَّ إذا حصل له ذلك الشيء الذي يترتب عليه النذر ضاق صدره، وصار يتألَّم، ويبحث عن مخارج يتخلَّص بها من ذلك النذر الذي ألزم نفسه به؛ فيكون فعله لتلك العبادة ولتلك الطاعة لم يحصل في البداية علىٰ وجه مشروع وعلىٰ وجه مستحبٍّ، وفي النهاية حصل التلكُّؤ وحصل الامتعاض[1] والتألُّم، وأنه لم يكن مرتاحًا إلىٰ ذلك الذي تصدق به؛ ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»[2]، فالبخيل لا يحسن ابتداءً، ولكنه ينيط إحسانه بشيء إذا وُجد، وإذا وجد لزمه ذلك، وقد يبحث عن سبيل يتخلَّص به من ذلك النذر.

---

(١) أي: المشقَّة، يُقَالُ: مَعِضَ مِنْ شَيْءٍ سَمِعَه، وامْتَعَضَ، إِذَا غَضِبَ وشَقَّ عَلَيْهِ وأوجعه. انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٤٢)، ولسان العرب (٧/ ٢٣٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (٤/ ١٦٣٩)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والنذر إذا وجد يجب الوفاء به، وهو عبادة لا تكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ، لكن ليس مرغَّبًا فيها وليس مأمورًا بها؛ لأنها ليست عبادة متمحِّضة لله عَزَّوَجَلَّ ابتداءً، وإنما معلَّقة بشيء.

قَوْلُهُ: (وَيَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ)؛ يعني: تظهر فيهم الخيانة، وقلَّة الأمانة.

قَوْلُهُ: (وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ)؛ لأنهم مهتمُّون بمتع الدنيا والانهماك[١] فيها والافتتان فيها، وعدم الاشتغال بشيء آخر سواها[٢].

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا عمرو بن عون)؛ عمرو بن عون ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (قَالَ: أَنبَأَنَا ح، وحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ)؛ التحويل جاء بعد ذكر الصيغة من الشيخ الأوَّل، وذلك أن صيغة كلٍّ من الشيخين تختلف في روايته عن أبي عوانة؛ لأن عمرو بن عون قال: أنبأنا أبو عوانة.

---

(١) الِانْهِمَاكُ: التَّمادِي فِي الشَّيْءِ واللَّجَاجُ فِيهِ. انظر: النهاية (٥/ ٢٤٧)، ولسان العرب (٥/ ٥٠٨).

(٢) قال في «العون» (١٢/ ٢٦٩): «(وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ) بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِ الْمِيمِ؛ أَيْ: يَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ بِالتَّوَسُّعِ فِي الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ. قِيلَ: كَنَّىٰ بِهِ عَنِ الْغَفْلَةِ وَقِلَّةِ الِاهْتِمَامِ بِأَمْرِ الدِّينِ؛ فَإِنَّ الْغَالِبَ عَلَىٰ ذَوِي السَّمَانَةِ أَنْ لَا يَهْتَمُّوا بِارْتِيَاضِ النُّفُوسِ، بَلْ مُعْظَمُ هِمَّتِهِمْ تَنَاوُلُ الْحُظُوظِ وَالتَّفَرُّغُ لِلدَّعَةِ وَالنَّوْمِ. قِيلَ: وَالْمَذْمُومُ مِنَ السِّمَنِ: مَا يُسْتَكْسَبُ لَا مَا هُوَ خِلْقَة.

وانظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ٨٦، ٨٧)، وإتحاف الجماعة للتويجري (٢/ ٥٤).

ومسدد قال: حدثنا أبو عوانة.

قَوْلُهُ: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ)؛ هو مسدد بن مسرهد البصري ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو عوانة)؛ هو الوضاح بن عبد الله اليشكري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن قتادة)؛ هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن زرارة بن أوفى)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عمران بن حصين) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أبو نجيد، وهو صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

السؤال: هل هناك تعارض بين رواية: «خير القرون قرني»، ورواية: «خير أمتي قرني»؟

الجواب: ليس هناك تعارض، لكن لا نعرف حديثًا بلفظ «خير القرون»، وإنما ورد قوله: «خير الناس»، أو: «خير أمتي»، وهاتان معناهما واحد.

۞ ۞ ۞

السؤال: متى يبدأ القرن الأول، ومتى ينتهي؟

الجواب: القرن الأول يبدأ ببعثة الرسول ﷺ؛ لأنه عند حصول الإيمان به بدأت الصحبة، وبوفاة آخر واحد من الصحابة ينتهي ذلك القرن، ويقال: إن أبا الطفيل[1] هو آخر الصحابة موتًا، وكانت وفاته سنة مائة وعشر.

۞ ۞ ۞

---

(١) هو عامر بن واثلة الليثي، أبو الطفيل، اشتهر بكنيته، قال الذهبي: خَاتَمُ مَنْ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الدُّنْيَا. قال ابن حجر في التهذيب (٧/ ٢٥٧): «المحدثون قد اتَّفقوا علىٰ أن آخر الصحابة موتًا: أبو الطفيل عامر بن واثلة، ومات سنة ١١ - يعني: ١١١ - علىٰ الصحيح، وظهر به مصداق قوله ﷺ فيما أخرجه أصحاب الصحيح أنه قال في آخر عمره: **«علىٰ رأس مائة سنة من هذه الليلة لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد»**، فكان كذلك. [انظر ترجمته في: الاستيعاب (٢/ ٧٩٨)، والسير (٤/ ٤٥٩)، والإصابة (٧/ ١٩٣)].

السؤال: ألا يخرق الإجماع الذي ذكرتموه بأن الحديث إذا كان عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فهو مقبول؛ قدح ابن القطان الفاسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «بيان الوهم والإيهام» في عدد من الأحاديث بجهالة الصحابي؟

الجواب: هذا ما له قيمة؛ لأن كتب الحديث فيها هذا الشيء، فهو موجود في «صحيح البخاري» وفي غيره، وفي «تحفة الأشراف» الأشخاص الذين ما سمُّوا وقد جاءت الأحاديث عنهم في الكتب الستة، فالجهالة غير مؤثرة وغير معتبرة، ولم يخالف في عدالة الصحابة إلا أهل البدع، قال الحافظ ابن حجر: «ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة»(١). وقال السيوطي في كتابه «تدريب الراوي»(٢): «وقالت المعتزلة: عدول إلا من قاتل عليًّا»(٣). وبه يتبيَّن الشذوذ من المبتدعة.

❁ ❁ ❁

---

(١) الإصابة (١/ ١٦٢).

(٢) «تَدْرِيبُ الرَّاوِي فِي شَرْحِ تَقْرِيبِ النَّوَاوِي» للحافظ جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١)؛ كتاب جامع في فَنِّه، وهو أوفى كتب مصطلح الحديث وأشملها؛ قال (١/ ٢٥): وَجَعَلْتُهُ شَرْحًا لِهَذَا الْكِتَابِ - «التقريب والتيسير» للنووي - خُصُوصًا، ثُمَّ لِمُخْتَصَرِ ابْنِ الصَّلَاحِ وَلِسَائِرِ كُتُبِ الْفَنِّ عُمُومًا. طبع في مجلدين. [انظر: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد أبي شُهبة (ص ٣٣)].

(٣) (٢/ ٢٧٤).

السؤال: هل يُشهد لأصحاب رسول الله ﷺ أنهم كلهم في الجنة بلا استثناء؟

الجواب: جاء في القرآن ما يدل على ذلك؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠]. و﴿ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾: فسرت بأنها الجنَّة.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حال حديث: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سألوا الرسول ﷺ: هل أحد خير منا؟ قال: «نعم، قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني»(١)؟

الجواب: جاء حديث في فضل الذين يؤمنون به ولم يروه(٢)، لكن لا

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٦)، والدارمي (٢٧٨٦)، والطبراني في الكبير (٤/ ٢٢، رقم ٣٥٣٧)، والحاكم (٤/ ٩٥، رقم ٦٩٩٢)، عن أبي جمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣٣١٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٣٩/ ٢٤٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ».

«فدلَّ الحديث على التمييز بين أصحابه وإخوانه، وأنَّ أصحابه هم الذين أدركوه ورأوه، وإخوانه الذين يأتون مِن بَعد ولم يروه، والمراد بالأخوَّة: الأخوة الإيمانية، والصحابة جمعوا بين الصحبة والأخوة، والذين من بعدهم نصيبهم الأخوة وحدها»، الانتصار للصحابة الأخيار =

يقال: إنه يأتي أحد بعد الصحابة خير من الصحابة، بل العلماء متَّفقون على أن أي فرد من أفراد الصحابة هو خير ممن جاء بعدهم، أيُّ فرد منهم؛ فالتفضيل للجميع لا للمجموع، وقد جاء عن ابن عبد البر وحده القول بأنه قد يكون في بعض من يأتي بعد الصحابة من هو خير من بعض الصحابة، لكن الجمهور على القول بأن تفضيلهم هو تفضيل للجميع، وأن أي واحد منهم فهو أفضل من أي واحد بعدهم، ويوضِّح ذلك الأثر الذي مرَّ بنا عن سعيد بن زيد أحد العشرة؛ حيث قال: «لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه؛ خير من عمل أحدكم عمره، ولو عُمر عمر نوح»[١].

والجمع بين هذا الحديث وبين حديث: «**يأتي زمان أجر العامل فيه أجر خمسين منكم**» ؛ أنه قد تأتي شدة وأمور خطيرة تحتاج إلى صبر وتجلُّد؛ فيكون ذلك العمل عظيمًا، لكن فضل الصحبة لا يعدله شيء.

❊ ❊ ❊

= للشيخ العباد حفظه الله (ص ٢١).

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

٤٦٥٨- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

الشَّرح

بعد أن ذكر أبو داود فضل أصحاب رسول الله ﷺ أورد هذه الترجمة في النهي عن سبِّهم؛ قال: (**باب النهي عن سبِّ أصحاب رسول الله ﷺ**)، وهو دالٌّ علىٰ فضلهم أيضًا؛ فالنهي عن سبهم دلالة علىٰ فضلهم، وأورد المصنِّف حديث أبي سعيد، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي،**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٢١/ ٢٥٤٠)، وأخرجه أيضًا الترمذي (٣٨٦١)، وابن ماجه (١٦١)، وأحمد (٣/ ١١).

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»؛ فتعليل النهي عن سبهم بأنه: «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»؛ فيه دلالة على فضلهم، وأن القليل منهم لا يساويه الكثير من غيرهم.

قَوْلُهُ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي) وأصحاب رسول الله ﷺ: هم الذين رأوه وأكرمهم الله برؤيته، وبسماع كلامه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثم قال: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ»؛ يعني: لو كان إنسان عنده كوم من الذهب مثل جبل أحد، وأنفقه في سبيل الله؛ لم يبلغ فضل المد الذي ينفقه الواحد من الصحابة، والمد: ربع الصاع. «وَلَا نَصِيفَهُ»؛ أي: نصف المد.

❁ سبب ورود الحديث، ودلالته على شدَّة حرمة الصحابة:

وجاء في بعض طرق الحديث: (كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»)[١]؛ وهذا يدلُّ على فَضْل السابقين، وعلى تميُّزهم على المتأخِّرين، لكن الكل اشترك في فضل الصحبة، وهم متفاوتون فيها،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم رقم (٢٢٢/ ٢٥٤١)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وليسوا علىٰ حدٍّ سواء؛ فالسابقون الأولون أفضل من غيرهم، والذين أسلموا أوَّل في أول من أسلم أفضل من غيرهم، والذين وردت فيهم نصوص تدل علىٰ فضلهم أفضل من غيرهم، وهكذا...

وإذا كان هذا الكلام قيل لخالد بن الوليد لما سبَّ رجلًا من السابقين الأولين؛ فإن غير الصحابة ممَّن جاء بعدهم ممن لم يظفر بشرف الصحبة هو من باب أولىٰ، فإذا كان الفرق والبون شاسعًا بين الصحابة المتأخرين وبين السابقين؛ فإن الذين يجيئون بعد الصحابة ولم يظفروا بفضل الصحبة، ولم يظفروا بشرف النظر إليه ﷺ، وسماع حديثه من فَمِهِ الشريف ﷺ؛ من باب أولىٰ أن يكون عمل الكثير منهم لا يساوي القليل من عمل أصحاب رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم-.

❁ تحذير أهل العلم من سبِّ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

جاءت النقول الكثيرة عن أهل العلم في التَّحذير من سبِّهم ومن ذكرهم بسوء؛ ومن ذلك:

- **قول سعيد بن زيد** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ، يغبر به وجهه؛ خير من عمل أحدكم عمره، ولو عمر عمر نوح»(١). ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا؛ كما جاء ذلك في آية

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

العنكبوت[١]، وهي مدَّة طويلة، وعمر طويل.

- وقول أبي المظفر السَّمعاني - كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» -: (**إن القدح في أحد من الصحابة؛ علامة على خذلان فاعله، وهو بدعة وضلالة**)[٢].

- قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث المصرَّاة[٣] من «صحيح البخاري»: «وَاعْتَذَرَ الْحَنَفِيَّةُ عَنِ الْأَخْذِ بِحَدِيثِ الْمُصَرَّاةِ بِأَعْذَارٍ شَتَّىٰ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ طَعَنَ فِي الْحَدِيثِ لِكَوْنِهِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَمْ يَكُنْ كَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ؛ فَلَا يُؤْخَذُ بِمَا رَوَاهُ مُخَالِفًا لِلْقِيَاسِ الْجَلِيِّ - وهذا قدح في فقهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -. وَهُوَ كَلَامٌ آذَىٰ قَائِلُهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَفِي حِكَايَتِهِ غِنًىٰ عَنْ تَكَلُّفِ الرَّدِّ عَلَيْهِ»، ثم نقل كلام أبي المظفر السمعاني المتقدم[٤].

- **ومن أشدِّ وأوضح ما جاء في ذلك**: ما نقله الخطيب البغدادي في كتابه

---

(١) يعني قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢١٤٨)، ومسلم (١١/ ١٥١٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال البخاري في الصحيح (٣/ ٧٠): «وَالْمُصَرَّاةُ: الَّتِي صُرِّيَ لَبَنُهَا وَحُقِنَ فِيهِ وَجُمِعَ، فَلَمْ يُحْلَبْ أَيَّامًا، وَأَصْلُ التَّصْرِيَةِ حَبْسُ الْمَاءِ، يُقَالُ مِنْهُ: صَرَّيْتُ الْمَاءَ إِذَا حَبَسْتَهُ».

(٤) انظر: الفتح (٤/ ٣٦٤، ٣٦٥).

«الكفاية» بإسناده إلىٰ أبي زرعة الرازي قال: (**إذا رأيتم من ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلموا أنه زنديق، وذلك أن الكتاب حق، والرسول ﷺ حق، وإنما أدَّىٰ إلينا الكتاب والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وهؤلاء – أي: الذين يقدحون فيهم – يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنَّة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة**)؛ لأن القدح في الناقل قدح في المنقول، والمنقول هو الكتاب والسنة، والناقلون هم أصحاب رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله تعالىٰ عن الصحابة –.

– وذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر كتابه «الكبائر»: كبيرة سبِّ الصحابة، وختم بها ذلك الكتاب المكوَّن من سبعين كبيرة؛ **فسبُّ أصحاب رسول الله ﷺ من الكبائر**، ولا شكَّ أن سبَّهم فيه مخالفة لنهي الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ذلك، وفيه نيل من خير هذه الأمة وأفضلها، وتعرض لخير هذه الأمة التي هي خير الأمم.

وكل هذا يبين فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **وخطورة سبهم والنيل منهم؛** فإن كان سبُّ آحاد المسلمين والنيل من آحادهم يُعتبر من الغيبة المحرَّمة، وأما أصحاب رسول الله ﷺ فالنيل منهم أعظم وأشد؛ لأنه نيل من حملة الرسالة الذين هم الواسطة بين الناس وبين رسول الله ﷺ، وما عرف الناس حقًّا ولا هدًىٰ إلا عن طريق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

❁ عظم أجر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

ومن مناقب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكثرة ثوابهم وأجرهم: أن أحدهم إذا روىٰ سنة عن رسول الله ﷺ، وتلقَّاها الناس من بعده وعملوا بها، إلىٰ يوم القيامة؛ فإن الله تعالىٰ يثيب ذلك الصحابي مثل ثواب كلِّ الذين عملوا بهذه السنة؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[(١)]؛ وقد رواه أبو داود -كما مرَّ-، وأخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو معاوية)؛ هو محمد بن خازم الضرير الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الأعمش)؛ هو سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي صالح)؛ هو أبو صالح السمان، واسمه: ذكوان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

قَوْلُهُ: (عن أبي سعيد)؛ هو أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٥٩ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ قَيْسٍ الْمَاصِرُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قُرَّةَ، قَالَ: كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ، فَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْغَضَبِ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ فَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ. فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ حُذَيْفَةَ فَيَقُولُونَ لَهُ: قَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ فَمَا صَدَّقَكَ وَلَا كَذَّبَكَ. فَأَتَىٰ حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبْقَلَةٍ، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيَرْضَىٰ فَيَقُولُ فِي الرِّضَا لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَمَا تَنْتَهِي حَتَّىٰ تُوَرِّثَ رِجَالًا حُبَّ رِجَالٍ وَرِجَالًا بُغْضَ رِجَالٍ، وَحَتَّىٰ تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً؟ وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي؛ فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»،

وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَكْتُبَنَّ إِلَىٰ عُمَرَ[(١)].

الشَّرْح

أورد أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ هذا الأثر عن حذيفة وسلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وهو أن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يحدِّث بأحاديث ويخبر بأخبار قالها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه في حال الغضب، وبلغ سلمان هذا الذي يحدِّث به حذيفة، فقال للذي أخبره: هو أعلم بما يقول. فرجعوا إليه وقالوا: إنه ما صدقك ولا كذبك. فجاء حذيفة وقال: كيف لا تصدقني في شيء أسنده إلىٰ رسول الله ﷺ؟! فقال: (**إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ**)؛ يعني: فيحمله عنه من يحمله، وإنَّك بهذا تورِّث حب أناس وبغض أناس، وإن لم تكف عن مثل ذلك لأكتبن بذلك إلىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وذكر الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ قال: «**أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي؛ فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ،**

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٧)، والطبراني في الكبير (٤/ ٢٥٩، رقم ٦١٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٥٨)، وفي سنن أبي داود.

وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنىٰ الذي ذكره سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ساق مسلم في صحيحه جملة منها متوالية(١)، وختمها بقصة أمِّ سليم(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكَانَتْ عِنْدَها يَتِيمَةٌ، فَرَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ - وكان ﷺ قد عرفها وهي صغيرة، ثم رآها وقد كبرت -، فَقَالَ: «آنْتِ هِيَهْ؟ لَقَدْ كَبِرْتِ، لا كَبِرَ سِنُّكِ»، فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَىٰ أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ، يا بُنَيَّةُ؟ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا - أَوْ قَالَتْ: قَرْنِي -. فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا(٣)، حَتَّىٰ لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟»، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَدَعَوْتَ عَلَىٰ يَتِيمَتِي؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكِ، يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟»، قَالَتْ: زَعَمَتْ

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، بَابُ مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ سَبَّهُ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ هُوَ أَهْلًا لِذَلِكَ؛ كَانَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا وَرَحْمَةً (٤/ ٢٠٠٧، ٢٠١٠).

(٢) أمُّ سليم بنت ملحان بن خالد، الأنصارية الخزرجية، أم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ، اشتهرت بكنيتها، واختُلف في اسمها؛ فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: مليكة، وقيل: الغميصاء أو الرّميصاء، أسلمت مع السابقين إلىٰ الإسلام من الأنصار، وتزوجت أبا طلحة الأنصاري. [انظر ترجمته في: الاستيعاب (٤/ ١٩٤٠)، والإصابة (٨/ ١٠٩)، والسير (٣/ ٥٣٠)].

(٣) قَوْلُهُ «تَلُوثُ خِمَارَهَا» هُوَ بِالْمُثَلَّثَةِ فِي آخِرِهِ أَيْ تُدِيرُهُ عَلَىٰ رَأْسِهَا. [شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٥٥)].

أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا، وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَىٰ رَبِّي: أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَىٰ رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَىٰ كَمَا يَرْضَىٰ الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ؛ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ؛ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١)؛ فدل هذا علىٰ أن النبي ﷺ قد يقول الشيء وهو لا يريده كما هو معروف عند العرب، ومع ذلك النبي ﷺ دعا بهذه الدعوة، وسأل الله هذه المسألة؛ أن كل من حصل له شيء من ذلك فإن الله تعالىٰ يبدله به زكاةً وطهرًا.

❁ حسن ترتيب مسلم لصحيحه ووضعه للأحاديث في مواضعها:

ومن جميل صنيع الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه لما فرغ من هذه الأحاديث التي فيها بيان أن من دعا عليه النبي ﷺ بدعوة ليس هو لها بأهل؛ أن يجعل الله ذلك له زكاةً وطهرًا، لما فرغ من ذلك رَوَىٰ حديث ابن عبَّاس: أَنَّ النبي ﷺ قال له: «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ». قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ»، قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ. فَقَالَ: «لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ»(٢). فبعض الذين في نفوسهم ريب ومرض

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٩٥/ ٢٦٠٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٩٦/ ٢٦٠٤).

وحقد علىٰ الصحابة يأتون بهذا الحديث علىٰ أنه سب وذم لمعاوية، لكن بناءً علىٰ هذه الأحاديث صار مَحْمَدَةً ودعوة لمعاوية، قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذا الحديث: «وقد فهم مسلمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا الحديث: أنَّ معاوية لم يكن مستحقًّا للدعاء عليه؛ فلِهَذا أدْخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقبِ مُعَاوية؛ لأنَّه في الحقيقةِ يصيرُ دعاءً له»(١).

والإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروف بحسن الترتيب وحسن التنظيم ووضع الأحاديث المناسبة في الأماكن المناسبة، وهو لم يذكر أبوابًا في «صحيحه»، وما فيه من تبويب فهو من صنع الشُّرَّاح، ولكن هو في حكم المُبَوَّب؛ لأنه يسوق الأحاديث التي في موضوع واحد مساقًا واحدًا، ويجعلها في مكان واحد؛ فسهل بذلك وضع أبواب لها؛ كما صنع النووي وغيره.

قَوْلُهُ: (**فَأَتَىٰ حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبْقَلَةٍ**(٢))؛ وهي مزرعة فيها بقل، والبقل: هو نوع من النبات معروف، والمكان الذي يوجد فيه يقال له: مبقلة.

قَوْلُهُ: (**أَمَا تَنْتَهِي حَتَّىٰ تُوَرِّثَ رِجَالًا حُبَّ رِجَالٍ وَرِجَالًا بُغْضَ رِجَالٍ، وَحَتَّىٰ تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً؟**)؛ يعني بسبب هذا الذي ينقله في حقِّ بعضهم.

قَوْلُهُ: (**أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي؛ فَإِنَّمَا أَنَا**

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٥٦).

(٢) قال في العون (١٢/ ٢٧٠): «أي: في أرضٍ ذَاتِ بَقْلٍ».

مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ لكن جاء في حديث أمِّ سليم المُتقدِّم تقييد ذلك بقوله: «فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ»[1]؛ فقد يسبُّ أحدًا وهو أهل للسبِّ.

قَوْلُهُ: (وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَكْتُبَنَّ إِلَىٰ عُمَرَ)؛ يعني: إما أن تنتهي عن هذا الذي تظهره، أو لأكتبن إلىٰ عمر بذلك.

وفي نسخة «عون المعبود» زيادة بين معقوفتين بعد قوله: «أو لأكتبن إلىٰ عمر»: (فَتَحَمَّل عَليه برجال؛ فكفَّر يَمِينَه، ولم يكتب إلىٰ عمر، وكفَّر قبل الحنث. قال أبو داود: قبل وبعد كلُّه جائز)؛ فكون الإنسان يكفر قبل الحنث أو بعده كله جائز، فيمكن أنه يحنث قبل أن يكفر، ويمكن أن يكفر قبل أن يحنث.

قَوْلُهُ: (فَتَحَمَّل عَليه برجال؛ فكفَّر يَمِينَه، ولم يكتب إلىٰ عمر)؛ يعني: كأنه طلب منه بواسطة بعض الرجال، فكفر عن يمينه ولم يكتب، ومعناه: أنه لم يبر بيمينه بأن يكتب، ورجع عن الذي حلف، وترك التنفيذ؛ فيعتبر حنثًا؛ لكونه أراد أن يترك التنفيذ.

---

(١) صحيح: تقدم قريبًا.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن يونس**)؛ هو أحمد بن عبد الله بن يونس، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو الذي قال عنه الإمام أحمد: شيخ الإسلام.

قَوْلُهُ: (**حدثنا زائدة بن قدامة الثقفي**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عمر بن قيس الماصر**)؛ وهو صدوق ربَّما وَهِم، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود.

قَوْلُهُ: (**عن عمرو بن أبي قرَّة**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود.

قَوْلُهُ: (**حذيفة... سلمان**)؛ كلٌّ منهما صحابي جليل، وحديثهما عند أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٦٦٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ؛ قَالَ: لَمَّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ دَعَاهُ بِلَالٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ»، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَمْعَةَ فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا؛ فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ قُمْ فَصَلِّ بِالنَّاسِ. فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ - وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا مُجْهِرًا - قَالَ: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ»، فَبُعِثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ[1].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٢)، والطبراني في الكبير (١٣/ ١٩٠، رقم ٤٤٦)، والأوسط (٢/ ١١، رقم ١٠٦٥)، والحاكم (٣/ ٧٤٣، رقم ٦٧٠٣)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١٠٥٩ - ١٠٦٢)، وفي سنن أبي داود.

الشَّرح

قال أبو داود: (بَابٌ فِي اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

۞ وخلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختُلف؛ هل ثبتت بالنصِّ أو بالاختيار؟:

- فمنهم من قال: إنها ثبتت بالنصِّ.

- ومنهم من قال: إنها ثبتت بالاتفاق المبني علىٰ النصوص الدالَّة علىٰ أنه الأحقُّ والأولىٰ.

وإذا أريد بالنصِّ نصٌّ خاصٌّ من رسول الله ﷺ يقول فيه: (الخليفة بعدي فلان، أو: يخلفني فلان)؛ فهذا لا وجود له، لا لأبي بكر ولا لغيره، والدليل علىٰ ذلك: أنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما طُلب منه أن يستخلف لما طُعن قال: (إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ ﷺ)(١)، فالرسول ﷺ لم يستخلف بنص مكتوب، أو بشيء ينص فيه علىٰ أن الخليفة بعده فلان.

۞ **النصُّ على أحقيَّة أبي بكر بالخلافة:**

أما وجود نصوص تدلُّ علىٰ أحقية أبي بكر وأولويته بالخلافة؛ فهذا كثير جدًّا، ومنها:

- قول النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١١/ ١٨٢٣)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بِالنَّاسِ». فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»[1]؛ فتقديم الرسول ﷺ إياه في الصلاة في مرض موته، وكونه روجع في ذلك، وفي كل مرة يُراجَع يصرُّ ويؤكد على أن أبا بكر هو الذي يصلي بالناس؛ فهم الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم - منه تقديمه في الخلافة من بعده، ولهذا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم السقيفة: (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؟! فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟! قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ)[2]، وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَرَضِينَا لِدُنْيَانَا مَا رَضِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِدِينِنَا)[3].

- ومن أوضح ما جاء في ذلك: ما جاء في «مسلم» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال لها في مرض موته: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّىٰ أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّىٰ مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَىٰ**». ثم ترك الكتابة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقال: «**يَأْبَىٰ اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»[4]؛ يعني:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٩٤/ ٤١٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) حسن: تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الخلال في السنة (رقم ٣٣٣)، والآجري في الشريعة (٤/ ١٧٢٢)، وابن عساكر في التاريخ (٣٠/ ٢٦٥).

(٤) صحيح: تقدم تخريجه.

أن هذا الذي أريد أن أكتبه سيتحقَّقُ؛ لأن الله تعالىٰ يأبىٰ إلا أبا بكر، والمؤمنون يأبون إلا أبا بكر، وقد كان؛ وتَمَّتْ بيعة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصاروا يلقِّبونه بـ(خليفة رسول الله ﷺ)، وهي مع خلافة الخلفاء الثلاثة الذين بعده خلافة نبوَّة؛ كما جاء ذلك في حديث سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ الذي مرَّ بنا قريبًا(١).

ثم أورد أبو داود حديث عبد الله بن زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (**لَمَّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ**)؛ يعني: اشتد مرضه ووجعه (**وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)؛ من أصحاب رسول الله ﷺ. وجاءه بلال واستأذنه في الصلاة فقال: «**مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ**»، فخرج ولم يكن أبو بكر موجودًا، فقال لعمر: صلِّ بالناس. فصلىٰ بالناس، فلما سمع النبي ﷺ تكبير عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وكان جهوريًّا – قال: «**فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟**». يعني: لم يصلِّ بالناس، «**يَأْبَىٰ اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، يَأْبَىٰ اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ**»(٢)؛ فهذا يدل علىٰ فضله وعلىٰ تقديمه بالخلافة، وأنه الأولىٰ بأن يصلي، وقد جاءت الأحاديث في التنصيص علىٰ أمر أبي بكر أن يصلي بالناس؛ فقال ﷺ:

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (١١/ ٢٣٨٧)، وأخرجه البخاري بنحوه رقم (٥٦٦٦).

«مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»[1].

قال: (فَبُعِثَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّىٰ عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ فَصَلَّىٰ بِالنَّاسِ)، والذي يبدو أنه صلىٰ الصلوات التي بعدُ، وليس معنىٰ ذلك أن هذه الصلاة أعيدت، وإنَّما صلىٰ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هذه الصلاة؛ لأن أبا بكر لم يكن موجودًا، ثم بعد ذلك صار الذي يصلي بالناس أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي**)؛ عبد الله بن محمد النفيلي ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن سلمة**)؛ وهو الباهلي الحراني، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري في جزء «القراءة»، ومسلم وأصحاب السنن.

❁ فائدة:

إذا جاء محمد بن سلمة في طبقة شيوخ شيوخ أبي داود؛ فهو **الباهلي الحراني**.

وإذا جاء محمد بن سلمة في طبقة شيوخ أبي داود؛ فهو **المرادي المصري**.

قَوْلُهُ: (**عن محمد بن إسحاق**)؛ هو محمد بن إسحاق المدني، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

قَوْلُهُ: (قال: حدثني الزهري)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (قال: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، على أحد الأقوال الثلاثة في السابع منهم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ فائدة:

الفقهاء السَّبعة في عصر التابعين في المدينة: ستَّة متفق على عدهم في الفقهاء السبعة، والسابع فيه خلاف؛ قيل: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث. وقيل: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. وقيل: سالم بن عبد الله بن عمر.

والستة المتفق على عدهم: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وسعيد بن المسيّب، والقاسم بن محمد، وسليمان بن يسار.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول كتابه «إعلام الموقعين» عددًا كبيرًا من العلماء المفتين في عصر الصحابة وفي عصر التابعين، وفي مختلف البلاد، ولما ذكر المدينة ومن كان فيها من الفقهاء في عصر التابعين؛ ذكر

الفقهاء السبعة، وذكر السابع منهم أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وذكر بيتين من الشعر، الثاني منهما يشتمل على الفقهاء السبعة:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر   روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبيد الله عروة قاسم   سعيد أبو بكر سليمان خارجة

فالبيت الثاني مشتمل على ذكر السبعة، والسابع هو أبو بكر الذي معنا في الإسناد.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن زمعة)؛ وهو صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

۞ ۞ ۞

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٦١- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَىٰ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ زَمْعَةَ، أَخْبَرَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ، قَالَ: لَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ: صَوْتَ عُمَرَ قَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ حُجْرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَا! لَا! لَا! لِيُصَلِّ لِلنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ»، يَقُولُ ذَلِكَ مُغْضَبًا[1].

---

(١) صحيح: انظر الحديث السابق من السنن.

الشَّرح

ثم أورد أبو داود الحديث من طريق أخرىٰ، وفيه أنه قال: «"لَا! لَا! لَا!"»؛ يعني: لا يصلي أحد غير أبي بكر، وهذا فيه إشارة قوية ودلالة واضحة علىٰ أنه الأحق بالأمر من بعد رسول الله ﷺ.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن صالح**)؛ هو أحمد بن صالح المصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود، والترمذي في «الشمائل».

قَوْلُهُ: (**حدثنا ابن أبي فديك**)؛ هو محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**قال: حدثني موسىٰ بن يعقوب**)؛ وهو صدوق سيئ الحفظ، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الرحمن بن إسحاق**)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن ابن شهاب**)؛ مر ذكره.

قَوْلُهُ: (**عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة**)؛ هو أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الله بن زمعة**). وقد مرَّ ذكره.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى:

بَابُ مَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْكَلَامِ فِي الْفِتْنَةِ

٤٦٦٢- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، وَمُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، (ح) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْأَشْعَثُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي». وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ: «وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ»(١).

الشَّرح

❁ الكف عمَّا جرى بين الصَّحابة وإحسان الظن بهم:

يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله: (بَابُ مَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْكَلَامِ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، والترمذي (٣٧٧٣)، والنسائي (١٤١٠)، وأحمد (٥/ ٣٧).

فِي الْفِتْنَةِ)؛ فما جرىٰ من فتنٍ وأمور حصلت بين الصحابة؛ فإنه يترك الكلام فيها، وهذا هو معنىٰ ما جاء عن كثير من العلماء في كتب العقائد، لا سيَّما المختصرة؛ أنَّ من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: الكف عما شجر بين الصحابة، وألا يُتكلَّم فيهم إلا بخير، وأن تحسن بهم الظنون، وأن يحمل ما جرىٰ منهم علىٰ أحسن المحامل، وفي ذلك سلامة القلوب وطهارتها ونظافتها من أن يقع فيها شيء لا يليق في حقِّ بعض الصحابة، فالواجب الترحُّم علىٰ الجميع، والترضِّي عنهم، واعتقاد أنهم لا يعدمون الأجر أو الأجرين؛ فمن اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد.

قال شارح الطحاوية: «والفتنُ التي كانت في أيَّامه - يعنِي: أميرَ المؤمنين عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قد صان الله عنها أيدينا، فنسألُ الله أن يَصون عَنْهَا ألسِنَتنا بِمَنِّه وكرمِه»[١]؛ يعني: ما كنَّا في زمانهم حتىٰ يكون لأيدينا مشاركة، وبقيت الألسن؛ فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يصونها وأن يحفظها من أن تتكلَّم فيهم بما لا ينبغي وبما لا يليق، بل الواجب محبة الجميع وتعظيمهم وتوقيرهم، وألا يُشتغَل بما جرىٰ بينهم، وإذا اشتغل به؛ فيكون بالاعتذار وبيان سلامتهم. وكثير ممَّا نقل عنهم في أمر الفتنة زِيدَ فيه ونقص منه، وبعضه كذب، وما صحَّ منه فهم دائرون فيه بين الأجر والأجرين؛ إمَّا

(١) (ص: ٤٩٤)، وانظر: الانتصار للصحابة الأخيار، لعبد المحسن العباد (ص: ٤٤).

مجتهدون مصيبون فلهم أجران، وإما مجتهدون مخطئون فلهم أجر واحد، والخطأ منهم مغفور؛ هذا هو الواجب في حق أصحاب رسول الله - ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -.

❁ ما يُستفاد من الحديث:

هذا الحديث من دلائل نبوَّة النبيِّ ﷺ:

وقد أورد أبو داود حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان علىٰ المنبر ومعه ابنه الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي»، وفي بعض الروايات: «بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ»، وهذا فيه إخبار النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأمر مغيب يأتي في المستقبل، وهو من دلائل نبوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك من الإيمان بالغيب؛ لأن الإيمان بالغيب يكون عن أخبار ماضية وعن أمور مستقبلة، وعن أمور موجودة لكنها غير مشاهدة ولا معاينة، وهذا ممَّا حصل فيه الإخبار عن أمر مستقبل وقريب من زمنه ﷺ، فإنه ﷺ أخبر في هذا الحديث أن هذا الغلام سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين، وقد فُهِم من هذا أن الحسن سيعيش، وأنه لن يموت طفلًا، بل سيبقىٰ حتىٰ يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين؛ لأن الرسول ﷺ أخبر عن ذلك، وخبره لا يتخلَّف، بل هو صِدْقٌ، فهو لا ينطق عن الهوىٰ، وهو الصادق المَصْدُوقُ - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -،

وقد تحقَّق هذا الذي أخبر به النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد وفاته بثلاثين سنة، واجتمعت كلمة المسلمين بتنازل الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عام (٤١)، وسمي ذلك العام عام الجماعة؛ لاجتماع كلمة المسلمين، وكونه صار لهم خليفة اجتمع عليه الناس وصارت الكلمة واحدة.

❁ **إطلاق (السيد) على المخلوق[(١)]:**

وفيه إطلاق (السيد) على المخلوق، وقد جاء إطلاقه على الله عَزَّوَجَلَّ، فالله تعالى من أسمائه: (السيد)، ويطلق أيضًا على المخلوق كما جاء في هذا الحديث؛ حيث قال عن الحسن: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ**».

❁ **وصف الطائفتين المقتتلتين بالإسلام:**

وفيه أيضًا وصف الفئتين اللتين يحصل الصلح بينهما بأنهما مسلمتان، وهذا فيه بيان أن هؤلاء الذين حصل بينهم الخلاف مسلمون، وأن كلمتهم ستجتمع بتنازل هذا الرجل العظيم لمعاوية - رضي الله تعالى عن الجميع -، وقد جاء عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول عقب هذا الحديث: (قَوْلُهُ:«مِنَ الْمُسْلِمِينَ» يُعْجِبنَا جِدًّا)[(٢)]؛ يعني: أنَّ النبي ﷺ وصف الطائفتين بالإسلام مع اقتتالهم واختلافهم.

---

(١) وسيأتي لذلك مزيد بيان عند قوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ».

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٨/ ٢٩٩، رقم ١٦٧٠٩)، وفي الاعتقاد (ص٣٧٦)، وذكره ابن حجر في الفتح (١٣/ ٦٦).

وما جرىٰ بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لا يدخل تحت حديث: «إِذَا التَقَىٰ المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا...»[1]، فليس من هذا القبيل؛ لأن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حصل ما حصل منهم باجتهاد، وكل منهم كان يرىٰ أنه علىٰ حقٍّ، وأما اللذين ذكرا في الحديث؛ فإنهما يلتقيان وكل واحد منهما يريد أن يقتل الآخر؛ أي: يريد أن يعتدي عليه. وأما في خلاف الصحابة فكل منهم يرىٰ أنه علىٰ الحق.

❁ [مناسبة الحديث للترجمة]:

أما مناسبة الحديث للترجمة؛ فهو من جهة أن ما حصل من الصلح كان قبله اختلاف وفتنة، وقد انتهت بهذا الذي تمَّ علىٰ يد الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أي: أن الفتن التي حصلت قبل ذلك الصلح من الأشياء التي كان المطلوب أن يكفَّ عن الكلام فيها، وألا يتكلم فيها إلا بما هو خير وبما هو لائق في حق أصحاب رسول الله ﷺ.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)؛ هو مسدد بن مسرهد البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٣٣/ ١٦٨٠)، عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتمامه: «فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

قَوْلُهُ: (ومسلم بن إبراهيم)؛ هو الفراهيدي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد)؛ هو ابن زيد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن علي بن زيد)؛ هو علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن الحسن)؛ هو الحسن بن أبي الحسن البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي بكرة)؛ هو نفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (ح وحدثنا محمد بن المثنىٰ)؛ (ح)؛ طريق أخرىٰ. و(محمد بن المثنىٰ)؛ هو العَنَزي أبو موسىٰ الملقب بـ(الزمن)، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، بل هو شيخ لأصحاب الكتب الستة، رووا عنه مباشرة بدون واسطة.

قَوْلُهُ: (عن محمد بن عبد الله الأنصاري)؛ وهو ثقة، من كبار شيوخ البخاري، وممَّن روىٰ عنهم الثلاثيَّات، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (قال: حدثني الأشعث)؛ الأشعث يحتمل أحد شخصين: الأشعث بن عبد الله الحداني أو الأشعث بن عبد الملك الحمراني؛ وقد

ذكر في ترجمة محمد بن عبد الله الأنصاري أنه روىٰ عنهما جميعًا، وكذلك في ترجمة الحسن أنَّهما رَوَيَا عَنْه جميعًا، وكلٌّ منهما محتجٌّ به؛ فالأول: صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، وأصحاب السنن. والثاني: ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا وأصحاب السنن.

إلَّا أن الترمذي أخرجه[1] من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ - هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ -... فيتعيَّن إذا سمي في بعض الأسانيد.

وعلىٰ هذا فالإسناد الأول - وفيه علي بن زيد بن جدعان - لا يؤثر؛ لأن الإسناد الثاني الصحيح هو إسناد ثانٍ لنفس الحديث.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٦٣ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ؛ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ: مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تُدْرِكُهُ الْفِتْنَةُ، إِلَّا أَنَا أَخَافُهَا عَلَيْهِ، إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ**»[2].

---

(١) رقم (٣٧٧٣).

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٢٣٨)، وابن بطة في الإبانة (رقم ٧٢٨)، وصححه الألباني في المشكاة رقم (٦٢٣٣)، وفي سنن أبي داود.

الشَّـرح

ثم أورد أبو داود حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تُدْرِكُهُ الْفِتْنَةُ، إِلَّا أَنَا أَخَافُهَا عَلَيْهِ، إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ»)، وسيأتي أنه اعتزل الفتن، ولم يدخل أو يشارك فيها.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا الحسن بن علي**)؛ هو الحسن بن علي الحلواني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا النسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا يزيد**)؛ هو يزيد بن هارون الواسطي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا هشام**)؛ هو هشام بن حسان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن محمد**)؛ هو محمد بن سيرين، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حذيفة**)؛ هو حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو صحابي جليل، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

۞ ۞ ۞

قال المصنّف رحمه الله تعالى:

٤٦٦٤- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ حُذَيْفَةَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا لَا تَضُرُّهُ الْفِتَنُ شَيْئًا»، قَالَ: فَخَرَجْنَا فَإِذَا فُسْطَاطٌ مَضْرُوبٌ فَدَخَلْنَا فَإِذَا فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «مَا أُرِيدُ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَمْصَارِكُمْ حَتَّىٰ تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ»[1].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث حذيفة من طريق أخرىٰ - وهو مثل الذي قبله - أنه قال: (إِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا لَا تَضُرُّهُ الْفِتَنُ شَيْئًا)، ثم إنهم رأوا فسطاطًا منصوبًا؛ يعني: خباءً أو خيمة، فدخلوا فإذا فيه محمد بن مسلمة، فسألوه عن شأنه فقال: (مَا أُرِيدُ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَمْصَارِكُمْ حَتَّىٰ تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ)؛ يعني: الفتن، وهو يريد أنْ يعتزلَ النَّاس حتَّىٰ تنتهي الفتنة وتنجلي.

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩١، رقم ٥٨٣٧)، وابن بطة في الإبانة (رقم ٧٢٩)، قال الألباني في سنن أبي داود: صحيح بما قبله.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا عمرو بن مرزوق**)؛ وهو ثقة له أوهام، أخرج له البخاري وأبو داود.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا شعبة**)؛ هو شعبة بن الحجاج الواسطي البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن الأشعث بن سليم**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي بردة**)؛ هو أبو بردة بن أبي موسىٰ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ثعلبة بن ضبيعة**)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**حذيفة**)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**محمد بن مسلمة**)؛ وهو صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٦٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ ضُبَيْعَةَ بْنِ حُصَيْنٍ الثَّعْلَبِيِّ؛ بِمَعْنَاهُ[1].

الشَّرح

وهذا إسناد آخر بمعنىٰ اللفظ المتقدِّم في الإسناد السابق.

(١) انظر الحديث السابق في السنن.

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو عوانة)؛ هو الوضاح بن عبد الله اليشكري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ضبيعة بن حصين الثعلبي)؛ في الإسناد المتقدم ثعلبة بن ضبيعة، وهنا قال: ضبيعة بن حصين. وهو هو.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٦٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهُذَلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا؛ أَعَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَمْ رَأْيٌ رَأَيْتَهُ؟ فَقَالَ: «مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّهُ رَأْيٌ رَأَيْتُهُ»(١).

الشَّرْح

أورد أبو داود هذا الأثر عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سُئل عن

(١) صحيح الإسناد: أخرجه أحمد (١/ ١٤٨)، وابنه عبد الله في السنة (رقم ١٢٦٦)، والضياء في المختارة (٢/ ٣٢٦، رقم ٧٠٤)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد.

مسيره؛ أي: في بعض أيامه التي التقىٰ فيها مع من يقابله من المسلمين، كالجمل أو صفين، فقيل: هل مسيرك هذا شيء عهد إليك به رسول الله ﷺ، أو أنه رأي رأيته؟ فأخبر بأنه لم يعهد إليه الرسول ﷺ بشيء من ذلك، وإنَّما هو رأي رآه، واجتهاد حصل منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا إسماعيل بن إبراهيم الهذلي**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا ابن علية**)؛ هو إسماعيل بن إبراهيم بن مُقْسَم، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**عن يونس**)؛ هو ابن عُبيد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن الحسن**)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**عن قيس بن عباد**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي.

قَوْلُهُ: (**قلت لعلي**)؛ هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، صاحب المناقب الجمَّة، والفضائل الكثيرة، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٦٦٧- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»**[(١)].

الشرح

أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري أنه قال ﷺ: **«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»**؛ والمقصود من ذلك الخوارج؛ الذين خرجوا بعدما حصل التحكيم وانحازوا في مكان يقال له: (حَروراء)[(٢)]، وحصل منهم ما حصل، وقاتلهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وقوله: **«عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»**؛ هو مثل الحديث الذي مر في قوله: «يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[(٣)]؛ فإنه وصف المختلفين

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٠/ ١٠٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٢).

(٢) قال ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦) في «معجم البلدان» (٢/ ٢٤٥): «هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فنسبوا إليها».

(٣) صحيح: تقدم قريبًا.

والمفترقين أنهم مسلمون، فهذا مثل ذاك.

وقال النبيُّ ﷺ في هذا الحديث: «يَقْتُلُهَا أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»؛ وهذا يدلُّ علىٰ أن عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أولىٰ من غيره، وأنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان محقًّا، وأنه أولىٰ بالحق، ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان مجتهدًا، وكل من المجتهدين من أصحاب رسول الله ﷺ لا يعدمون الأجر أو الأجرين؛ فالمجتهد المصيب له أجران، والمجتهد المخطئ له أجر واحد، وخطؤه مغفور - رضي الله تعالىٰ عن الجميع -.

الفرق بين قتال الخوارج وما كان بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ:

والخوارج هم الذين خرجوا من جيش علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعدما حصل التحكيم، ولا يقال عن جيش معاوية: خوارج. وإنَّما هم مجتهدون؛ لأن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رأىٰ أن يُقتصَّ أولًا من قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه، ثم يسلِّم الشام، وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رأىٰ أنه يتمُّ تسليم الشام أولًا ثم ينظر في الأمر، وكل وقف عند رأيه، وحصل ما حصل، وكلهم - كما ذكرت - لا يعدمون الأجر أو الأجرين.

قال الخطابي: «أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَنَّ الْخَوَارِجَ مَعَ ضَلَالَتِهِمْ فِرْقَةٌ مِنْ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ»(١)، لكن ....

(١) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٠٠)، وعون المعبود (١٢/ ٢٧٦).

...بعض العلماء كفَّرهم(١).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا مسلم بن إبراهيم**)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**حدثنا القاسم بن الفضل**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «**الأدب المفرد**»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن أبي نضرة**)؛ هو المنذر بن مالك بن قُطْعَة، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سعيد**)؛ هو أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ، وهذا الإسناد رباعي.

❁ **فائدة: أقوال كبار أئمة السلف في وجوب السكوت عما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:**

- قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ حين سئل عن القتال الذي حصل

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتاوى (٢٨/ ٥١٨): «فَإِنَّ الْأُمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَتَضْلِيلِهِمْ، وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تَكْفِيرِهِمْ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَد، وَفِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا نِزَاعٌ فِي كُفْرِهِمْ؛ وَلِهَذَا كَانَ فِيهِمْ وَجْهَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الْأُولَىٰ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ بُغَاةٌ.
وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، كَالْمُرْتَدِّينَ، يَجُوزُ قَتْلُهُمْ ابْتِدَاءً، وَقَتْلُ أَسِيرِهِمْ، وَاتِّبَاعُ مُدْبِرِهِمْ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ اُسْتُتِيبَ كَالْمُرْتَدِّ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ»، اهـ كلامه.

بين الصحابة: «تلك دماء طهَّر الله يدي منها، أفلا أطهر منها لساني؟! مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسِّها»[(١)].

- سئل الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّا حصل بين الصحابة فقال: «قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتَّبعنا، واختلفوا فوقفنا»[(٢)].

- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: «ما أقول فيهم إلا الْحُسنىٰ»[(٣)].

- قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيتم من ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلموا أنه زنديق؛ وذلك أنَّ الكتاب حقٌّ والرسول حقٌّ، وإنَّما أدَّىٰ إلينا الكتاب والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، فهم يريدون أن يجرحوا شهودنا فيبطلوا الكتاب والسنة؛ فالجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة»[(٤)]؛ وهذا من أعظمها وأشدِّها وأوضحها.

---

(١) مناقب الشافعي للرازي (ص٢٣٨، ٢٣٩)، ط: دار الكتب العلمية. وجملة «مثل أصحاب رسول الله مثل العيون...» من كلام أبي سعيد الخدري، ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٦٩)، وعزاه لأبي نعيم في الطب، وقال: وهو ضعيف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي.

(٤) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٤٩).

- **قال الإمام الطحاوي**[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علماء السَّلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين، أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو علىٰ غير السبيل»[٢].

- **قال أبو عبد الله ابن بطة**[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة ومن بعدهم**: «نكفُّ عمَّا شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، وقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرُّب إليه بمحبَّتهم، وفرَض ذلك علىٰ لسان نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم؛ أنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا علىٰ سائر الخلق لأن الخطأ العمد قد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم» [الإبانة][٤].

---

(١) أحمد بن محمد بن سلامة بن مسلمة الأزدي المصري الحنفي، أبو جعفر الطحاوي، ولد سنة ٢٣٩، وتوفي سنة ٣٢١. [انظر ترجمته في: حسن المحاضرة (١/ ٣٥٠)، ووفيات الأعيان (١/ ٧١)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ١٠٢)].

(٢) متن الطحاوية (ص: ٨٢)، وانظره مع شرحها (ص: ٥٠٣).

(٣) عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله، ابن بطة العُكْبُري - من أهل عُكْبُرا مولدًا ووفاة - الحنبلي، الإمام العابد الفقيه المحدث، صاحب «الإبانة الكبرىٰ»، كان مجاب الدعوة، آمرًا بالمعروف، لم يبلغه خبر عن منكر إلا غيره، اعتزل الناس أربعين سنة، زادت مصنفاته علىٰ المائة، ولد سنة ٣٠٤، وتوفي سنة ٣٨٧. [انظر ترجمته في: السير (١٢/ ٤٦٤)، والوافي بالوفيات (١٩/ ٢٧١)، وطبقات الحنابلة (٢/ ١٤٤)].

(٤) لم أقف عليه في «الإبانة» لابن بطة، ومن كلام ابن في «الإبانة» في هذا الصدد قوله (٣/ ٢٤٥، =

- قال الإمام أبو عبد الله القرطبي[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجوز أن يُنسب إلىٰ

=

٢٤٦): « أَمْرُ الصَّحَابَةِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -، فَأَمْرُهُمْ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: فُرِضَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ.

وَالْآخَرُ: وَاجِبٌ عَلَيْنَا الْإِمْسَاكُ عَنْهُ، وَتَرْكُ الْمَسْأَلَةِ وَالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنْهُ.

فَأَمَّا الْوَاجِبُ عَلَيْنَا عِلْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ: فَهُوَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ وَصْفِهِمْ، وَمَا ذَكَرَهُ مِنْ عَظِيمِ أَقْدَارِهِمْ، وَعُلُوِّ شَرَفِهِمْ، وَمَحَلِّ رُتَبِهِمْ، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ مِنَ الِاتِّبَاعِ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَعِلْمُ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ، وَعِلْمُ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا حُبُّهُمْ لِأَجْلِهِ مِنْ فَضْلِهِمْ وَعِلْمِهِمْ، وَنَشْرُ ذَلِكَ عَنْهُمْ؛ لِتَنْحَاشَ الْقُلُوبُ إِلَى طَاعَتِهِمْ، وَتَتَأَلَّفُ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ؛ فَهَذَا كُلُّهُ وَاجِبٌ عَلَيْنَا عِلْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَمِنْ كَمَالِ دِينِنَا طَلَبُهُ.

وَأَمَّا مَا يَجِبُ عَلَيْنَا تَرْكُهُ، وَفُرِضَ عَلَيْنَا الْإِمْسَاكُ عَنْهُ، وَحَرَامٌ عَلَيْنَا الْفَحْصُ وَالتَّنْقِيرُ عَنْهُ: هُوَ النَّظَرُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَالْخُلْقُ الَّذِي كَانَ جَرَى مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مُشْتَبَهٌ، وَنُرْجِئُ الشُّبْهَةَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا نَمِيلُ مَعَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا نَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَا نُخْرِجُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا نَجْعَلُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ حُجَّةً فِي سَبِّ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَلَا نَسُبُّ أَحَدًا مِنْهُمْ لِسَبِّهِ صَاحِبَهُ، وَلَا نَقْتَدِي بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ جَرَى مِنْهُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى هُدًى وَتُقًى وَخَالِصِ إِيمَانٍ؛ لِأَنَّا عَلَى يَقِينٍ مِنْ نَصِّ التَّنْزِيلِ وَقَوْلِ الرَّسُولِ، أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَخَيْرُهُ بَعْدَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِأَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ أَتَى بَعْدَهُمْ وَلَوْ جَاءَ بِأَعْمَالِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَلَوْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَلَا خَطِيئَةَ عَلَيْهِ لَمَا بَلَغَ ذَلِكَ أَصْغَرَ صَغِيرَةٍ مِنْ حَسَنَاتِ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ، وَلَا شَيْءَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ صَغِيرٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ».

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله القرطبي الأنصاري المالكي، صاحب التفسير «الجامع لأحكام القرآن»، توفي بمصر سنة ٦٧١. [انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات

=

أحد من الصحابة خطأ مقطوع به؛ إذ كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا الله عَزَّوَجَلَّ، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبَّدنا بالكفِّ عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر؛ لحرمة الصحبة، ولنهي النبي ﷺ عن سبِّهم، ولأن الله غفر لهم وأخبرنا بالرضا عنهم». [الجامع لأحكام القرآن](١).

- **قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة:** «ويمسكون عمَّا شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المَرْوِيَّة في مساوئهم؛ منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون» [العقيدة الواسطية](٢).

- **ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:** «التعرُّض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان صاحبه، بل هو بدعة وضلال» [فتح الباري](٣).

❁ هذه فوائد عظيمة تتعلَّق بأصحاب رسول الله ﷺ، وقد نقلت في آخر

=

(٢/ ٨٧)، وطبقات المفسرين (ص٩٢)].

(١) (١٦/ ٣٢١).

(٢) الواسطية (ص: ١٢٠)، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤، ١٥٥).

(٣) تقدم تخريجه.

كتابي «الانتصار للصحابة الأخيار»[1] جملة كبيرة من النقول عن سلف هذه الأمة في حقِّ أصحاب رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم؛ وهذا هو اللائق في أصحاب الرسول ﷺ، والواجب في حقهم؛ أن تكون الألسنة والقلوب سليمة ونظيفة في جانبهم، كما تقدَّم في قول شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ»؛ فتكون القلوب سليمة خالية من الحقد والغيظ والبغض، والألسنة سليمة خالية من السبِّ والذمِّ والثلب والعيب.

وإذا كانت الغيبة محرَّمة في حقِّ سائر المسلمين؛ فإن الاغتياب لأصحاب الرسول ﷺ أشد حرمة؛ فهم خير هذه الأمة والواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ، والذين نقلوا الكتاب والسنة إلىٰ الناس؛ والغيبة لهم وقيعة في خير الناس، وفيمن ساق الله للناس الخير علىٰ أيديهم، وهو الوحي الذي تلقوه من رسول الله ﷺ، ثم أدَّوه إلىٰ من بعدهم؛ **فمِنْ حُسن حظ المرء: أن يكون قلبه ولسانه نظيفين نزيهين سليمين في حق الصحابة، ومن علامة سوء حظ الإنسان: أن يحرِّك لسانه فيما لا ينبغي في حقهم، وأن يقع في قلبه شيء ممَّا لا ينبغي في حقِّهم جميعًا رضي الله عنهم.**

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر (ص: ١٣٣ - ١٣٩).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

٤٦٦٨- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَمْرٌو -يَعْنِي: ابْنَ يَحْيَىٰ-، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ»(١).

الشرح

قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، والمقصود بالتخيير: تفضيل بعضهم علىٰ بعض؛ بأن يقال: فلان خير من فلان. ومعلوم أن القرآن والسنَّة جاءا بتفضيل بعض الأنبياء علىٰ بعض؛ قال الله تعالىٰ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥]،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (١٦٣/ ٢٣٧٤)، وأخرجه أيضًا: أحمد (٣/ ٣١).

فالتفضيل حاصل وثابت في الكتاب، وكذلك سنة الرسول ﷺ.

وقد أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذه الترجمة جملة أحاديث؛ منها حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**»؛ أي: لا تقولوا: فلان خير من فلان.

❁ المفاضلة بين الأنبياء طريق معرفتها الوحي، وليس فيها تنقيص لأحد منهم:

وهذا النهي المقصود به: أنهم لا يخيِّرون من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون مبنيًّا علىٰ علم، أو أن يكون التخيير علىٰ جهة التقليل من شأن بعضهم. وأما إذا كان التخيير مبنيًّا علىٰ علم ومبنيًّا علىٰ النصوص؛ فإن هذا أمر مطلوب، مع توقير الجميع وتعظيم الجميع ومحبَّة الجميع، ولكن يُعتقد التفضيل الذي جاءت به النصوص؛ لأن التفضيل من الأمور الغيبيَّة؛ فلا يقال: فلان خير من فلان. إلا بدليل؛ لأن معناه: أنه خير عند الله، وأنه أفضل عند الله؛ وهذا لا يعلم إلا عن طريق الوحي.

فالتخيير المنهيُّ عنه: هو الذي يكون مبنيًّا علىٰ غير علم ومبنيًّا علىٰ غير وحي، أو مبنيًّا علىٰ عصبيَّة أو حمية، أو يكون التخيير علىٰ وجه التقليل من شأن بعض الأنبياء، وأما إذا كان التخيير مبنيًّا علىٰ نصوص الوحي؛ فإن هذا لا بأس به، والله تعالىٰ قد ذكر في كتابه العزيز أنه فضَّل بعضهم علىٰ بعض.

❁ أفضل الرسل - عليهم السلام - هم أولو العزم:

أفضل الرسل وخيرهم: أولو العزم من الرسل، وهم خمسة: نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ، وقد ذكرهم الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وجاءت تسميتهم في سورتين: سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي سورة الشورىٰ في قوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وأفضلهم: نبيُّنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو خليل الله وكليمه، ويليه إبراهيم وهو خليل الله، ثم يليه موسىٰ وهو كليم الله، فاجتمع في نبيِّنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما تفرَّق في غيره؛ فالخلة لإبراهيم، والتكليم لموسىٰ، ونبينا محمد ﷺ له الوصفان جميعًا، فهو خليل الرحمن كما أنه كليم الرحمن؛ فقد كلَّمه ليلة المعراج عندما عرج به إلىٰ السماء، وسمع كلام الله من الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -(١).

ومعلوم أنه ﷺ خير من جميع المرسلين؛ فهو سيِّد المرسلين وأفضلهم وخيرهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (٢٥٩/ ١٦٢)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو التبوذكي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا وهيب**)؛ هو وهيب بن خالد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عمرو - يعني ابن يحيىٰ -**). هو عمرو بن يحيىٰ المازني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبيه**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سعيد الخدري**)؛ هو سعد بن مالك بن سنان الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مشهور بنسبته وكنيته؛ كنيته: أبو سعيد، ونسبته: الخدري، واسمه: سعد بن مالك بن سنان، وهو صحابيٌّ جليل، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبيِّ ﷺ.

❁ **فائدة: السبعة المكثرون من الرواية عن النبي ﷺ:**

هم: أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وأبو سعيد، وأنس، وجابر، وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ستة رجال وامرأة واحدة، وقد ذكرهم السيوطي في «ألفيته» حيث قال[1]:

---

(١) (ص: ١٠٨).

والمكثـرون في روايـة الأثـر   أبـو هريـرة يليـه ابـن عمـر
وأنـس والبحـر والخـدري   وجـابر وزوجـة النبـي

البحر: يعني ابن عباس.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٦٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ»(١).

الشرح

قوله (خير): معناها: أفضل؛ أي فلان أفضل من فلان، وهي أفعل تفضيل تحذف الهمزة من أوَّلها – ومثلها كلمة (شرّ) –، ويؤتىٰ بها بدون همزة اختصارًا، وأصلها: أخير وأشر؛ ويؤتىٰ بهما للمفاضلة.

ويونس بن متىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: رسول الله، فهو أحد المرسلين الذين جاء ذكرهم في القرآن في عدَّة مواضع، ومتىٰ هو اسم أبيه، وقد ذكره الله

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (١٦٧/ ٢٣٧٧)، وأخرجه أيضًا: أحمد (١/ ٢٤٢).

باسمه، وذكره بوصفه في موضعين، فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ يعني: صاحب الحوت، والنون: اسم للحوت، وجمعه: نينان، كالحوت جمعه: حيتان. وقال: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨].

❁ سبب ورود الحديث:

والرسول ﷺ قال: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ»؛ لِمَا جاء في القرآن عنه من أنه لم يصبر علىٰ ما حصل من قومه؛ فذهب مغاضبًا وحصل له ما حصل؛ فقد يقول قائل: أنه يعمل أفضل من عمل يونس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فهو يصبر بخلاف يونس فإنه لم يصبر! فالواجب توقير رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - ومحبَّتهم والثناء عليهم وذكرهم بما يليق بهم(١).

---

(١) قال في شرح الطحاوية (ص: ١٢٢): «وهذا اللفظ يدلُّ علىٰ العموم، لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه علىٰ يونس بن متىٰ، ليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمدًا علىٰ يونس؛ وذلك لأن الله تعالىٰ قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم؛ أي: فاعل ما يلام عليه، وقال تعالىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلىٰ هذا المقام؛ إذ لا يفعل ما يلام عليه. ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾، كما قال أول الأنبياء وآخرهم...».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا حفص بن عمر**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا شعبة**)؛ هو شعبة بن الحجاج الواسطي، وقد مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**عن قتادة**)؛ هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي العالية**)؛ هو رفيع بن مهران الرِّيَاحي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن عباس**)؛ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عمِّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٧٠- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَىٰ الْحَرَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٥)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٨٠، رقم ١٩٦)، والضياء في =

الشَّرح

لا يعارض هذا الحديث ما جاء من بيان تفضيله ﷺ علىٰ غيره من الرسل ومنهم يونس(١)، وقد أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم(٢)، وسيد الناس يوم القيامة(٣)؛ والرسول ﷺ بلَّغ ما له من الفضل حتىٰ يُعْتَقَدَ ويُؤْمَنَ بذلك؛ لأنه ليس بعده نبي يخبر بمنزلته وبفضله ودرجته عند الله، بخلاف الأنبياء السابقين؛ فإنه قد جاء بعدهم أنبياء يبينون فضل من تقدَّمهم، وشيئًا من أحوالهم. وقد جاء ﷺ بالشريعة الكاملة، وقد بيَّن ما يتعلَّق به وبغيره

=

المختارة (٩/ ١٨٩، رقم ١٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٢١).

(١) قال الخطابي في معالم السنن (٤/ ٣١٠، ٣١١): «هذا القول منه علىٰ الهضم من نفسه وإظهار التواضع لربه؛ يقول: لا ينبغي لي أن أقول: أنا خير منه. لأن الفضيلة التي نلتها كرامة من الله سبحانه، وخصوصية منه، لم أنلها من قبل نفسي ولا بلغتها بحولي وقوتي؛ فليس لي أن أفتخر بها، وإنما يجب علي أن أشكر عليها ربي، وإنما خَصَّ يونس بالذكر - فيما نرىٰ، والله أعلم - لما قصه الله تعالىٰ علينا من شأنه، وما كان من قلة صبره علىٰ أذىٰ قومه؛ فخرج مغاضبًا ولم يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.

قلت: وهذا أولىٰ الوجهين وأشبههما بمعنىٰ الحديث؛ فقد جاء من غير هذا الطريق أنه قال ﷺ: «ما ينبغي لنبي أن يقول: إني خير من يونس بن متىٰ»؛ فعم به الأنبياء كلهم، فدخل هو في جملتهم».

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٣/ ٢٢٧٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧/ ١٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -[١].

۞ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد العزيز بن يحيىٰ الحراني**)؛ وهو صدوق ربَّما وَهِم، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثني محمد بن سلمة**)؛ هو الحراني، وهو ثقة، أخرج له البخاري في «جزء القراءة»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن محمد بن إسحاق**)؛ هو المدني، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن إسماعيل بن أبي حكيم**)؛ وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**عن القاسم بن محمد**)؛ هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الله بن جعفر**)؛ هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو صحابي أخرج له أصحاب الكتب الستة.

۞ ۞ ۞

---

(١) وسيأتي لذلك مزيد بيان عند قوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ».

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٧١ - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ فَارِسٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ. فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَا تُخَيِّرُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ فِي جَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ»**[1].

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَحَدِيثُ ابْنِ يَحْيَىٰ أَتَمُّ.

الشرح

ثم أورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا من اليهود قال: (وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ)، وفي بعض الروايات: (علىٰ العالمين)[2]، فغضب

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (١٦٠/ ٢٣٧٣)، وأخرجه أيضًا: أحمد (٢/ ٢٦٤)، وابن ماجه (٤٢٧٤).

(٢) عند البخاري، ومسلم وأحمد.

المسلم الذي سمعه ولطمه؛ لأنه فضَّله علىٰ محمَّد؛ فقوله: (علىٰ العالمين)؛ معناه: أنه فضله تفضيلًا مطلقًا، فلطمه المسلم، وجاء اليهوديُّ واشتكىٰ المسلم إلىٰ رسول الله ﷺ، فعند ذلك قال: «**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ**».

❁ التوفيق بين أحاديث تفضيله ﷺ على غيره، وبين النهي عن تخييره على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الجمع بين الذي ورد في الحديث من النهي عن تخييره وتفضيله علىٰ موسىٰ، وبين ما جاء من تفضيله علىٰ غيره ﷺ؛ مثل قوله ﷺ: «أَنَا سيِّد وَلَدِ آدَمَ»[1]، وقوله: «أَنَا سَيِّدُ النَّاس يوْمَ القِيَامَةِ»[2]؛ قيل فيه جوابان:

- **الأول:** أنَّ النهي يُحمل علىٰ أنه حصل قبل أن يعلم بمنزلته وبتفضيله علىٰ غيره.

- **الثاني:** أنَّ النهي محمول فيما إذا كان التخيير أو التفضيل مبنيًّا علىٰ التعصُّب والعصبية، وليس مبنيًّا علىٰ النصوص.

❁ صعق الناس يوم القيامة، وما يحصل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه:

وقد بيَّن النبي ﷺ شيئًا يحصل لموسىٰ، فقال: «**فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ فِي جَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ**

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

مِمَّنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ»، وجاء في بعض الأحاديث أنه قال: «فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور»[(١)]، وقيل: إن هذا الصعق الذي يحصل؛ إنَّما هو يوم القيامة عندما يتجلَّىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لفصل القضاء بين الناس؛ فإنهم يصعقون جميعًا، فيكون النبي ﷺ أول من يفيق من هذه الصعقة، فيجد موسىٰ آخذًا بقائمة العرش، فالنبي ﷺ يقول: «لا أدري، أفاق قبلي»؛ يعني: صعق وأفاق قبلي، «أم جوزي بصعقة الطور»؛ أي: التي حصلت في الدنيا، والتي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فإن كان قد صعق؛ فيكون صعق مرَّتين: مرة في الدنيا، عندما تجلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ومرة في يوم القيامة.

وإن كان سلم من ذلك الصعق: فيكون جوزي بصعقة يوم الطور، فجوزي عن تلك الصعقة التي في الدنيا بأنه سلم من هذه الصعقة في الآخرة.

۞ توجيه معنى الاستثناء الوارد في الحديث:

قوله في هذا الحديث: «أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ»؛ يحتمل:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (١٥٩/ ٢٣٧٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والبخاري (٣٣٩٨)، ومسلم (١٦٢/ ٢٣٧٤)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **إما أن يكون المقصود به:** أنه استثني فلم يصعق عند تجلي الله عَزَّوَجَلَّ لفصل القضاء بين الناس؛ لأنه قد حصل له ذلك في الدنيا كما جاء في الحديث الآخر.

- **أو يكون المقصود منه:** الاستثناء المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، لكن هذه الصعقة التي في الآية المراد بها: صعقة الموت لمن كان حيًّا في نهاية الدنيا؛ فهناك صعقتان:

- **صعقة الموت.**
- **ثم صعقة البعث.**

وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: من لم يشأ الله أن يحصل له الموت؛ كالحور العين في الجنة؛ فإنَّهن خلقن للبقاء، فلا يحصل لهن موت فيكن ممن استُثني. وعلىٰ ذلك فيتَّجه الاحتمال الأول.

وهذا نقله شارح الطحاوية عن أبي الحجاج المزي وابن القيِّم وابن كثير، وقال به ابن كثير في التفسير(١)؛ فذكروا أنَّ الصعق إنما هو في الآخرة عندما يأتي الله لفصل القضاء، وأن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إما أن يكون صعق مرة أخرىٰ يوم القيامة فيفيق قبل النبي ﷺ، أو أنه لم يصعق ولكنه

(١) انظر: شرح الطحاوية (٤١٢، ٤١٣)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٣).

جوزي بصعقة الدنيا عندما تجلَّىٰ الله عَزَّوَجَلَّ للجبل وخرَّ موسىٰ صعقًا، كما جاء ذلك مبينًا في سورة الأعراف(١).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: **(حدثنا حجاج بن أبي يعقوب)**؛ وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود.

قَوْلُهُ: **(ومحمد بن يحيىٰ بن فارس)**؛ هو الذهلي، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: **(حدثنا يعقوب)**؛ هو ابن أبي إبراهيم بن سعد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(حدثنا أبي)**؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(عن ابن شهاب)**؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(عن أبي سلمة بن عبد الرحمن)**؛ هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قوله: (وعبد الرحمن الأعرج)؛ هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل هو أكثرهم حديثًا.

قال أبو داود: (وحديث ابن يحيىٰ أتم)؛ أي: محمد بن يحيىٰ الذهلي، شيخه الثاني.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٧٢- حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ؛ يَذْكُرُ عَنْ أَنَسٍ؛ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ»(١).

الشَّرح

معلوم أنَّ النبي ﷺ أفضل من إبراهيم، وهو أفضل من جميع المرسلين - عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم - هو أفضل البشر، وأفضلهم بعده إبراهيم - كما مرَّ -.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٠/ ٢٣٦٩)، والترمذي (٣٣٥٢)، وأحمد (٣/ ١٧٨).

❁ **الجمع بين هذا الحديث وبين كونه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أفضل من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

وقوله ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ»؛ أي: هو خير البرية، مع كونه ﷺ خيرًا من إبراهيم وغيره:

- قيل: إنه قال ذلك قبل أن يعلم بتفضيله علىٰ غيره، وأنه أفضل البشر جميعًا.

- وقيل: إنه قال ذلك علىٰ سبيل التواضع.

وفي هذا دليل علىٰ فضل إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكنه لا يدلُّ علىٰ أنه أفضل من نبيِّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا زياد بن أيوب**)؛ هو ثقة، أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله بن إدريس**)؛ هو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن مختار بن فلفل**)؛ هو صدوق له أوهام، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن أنس**)؛ هو أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، خادم رسول الله ﷺ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

❁ **وهذا الإسناد من رُبَاعِيَّات أبي داود، وهي أعلىٰ الأسانيد عنده.**

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٧٣ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ فَرُّوخَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(١).

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه بيان جملة من فضائله وخصائصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي اختصَّ بها وتميَّز بها عن غيره.

❁ الحكمة من إخبار النبي ﷺ عن فضائله وخصائصه التي ميزه الله بها:

وقد أخبر الرسول ﷺ بهذه الأمور عن نفسه؛ لأنه مبيِّن عن الله كل ما يلزم الأمة أن تعتقده، وأن تأخذ به، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ آخر الأنبياء وليس بعده نبي ولا وحي يأتي بالتشريع لذلك؛ فالشريعة كاملة؛ فقد تمَّت وكَمُلت، وانتقل النبي ﷺ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ بعد أن بلغ البلاغ المبين، وأدَّىٰ للناس كل ما يحتاجون إليه، ولم يتركهم محتاجين إلىٰ شيء، فلا تحتاج هذه الشريعة إلىٰ تكميل، ولا إلىٰ إضافات، ولا إلىٰ بدع ومحدثات.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣/ ٢٢٧٨)، وأحمد (٥/ ٥٤٠).

ومن هذا البيان الذي بينه ﷺ في الشريعة: معرفة قدر النبي ﷺ عند الله، وأن له هذه الميزات وهذه الفضائل؛ ليعتقدوها، وليعرفوا قدره ﷺ عند ربِّه.

أمَّا الأنبياء السابقون فإنه قد جاء بعدهم من الأنبياء من بين فضائلهم، وما يتميَّز به كل واحد منهم، كما بين نبيُّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فضائل المرسلين قبله، وبين ما اختصَّ به بعضهم، وكذلك بين ما يتعلَّق به؛ لما قدمنا أنه ليس بعده نبي يبيِّن ذلك.

❁ الحكمة من تخصيص تفضيله على ولد آدم ﷺ بيوم القيامة في بعض الروايات:

قَوْلُهُ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»؛ يدل على فضله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على جميع البشر، فهو سيدهم وأفضلهم.

وقد جاء هذا الحديث في «صحيح مسلم» بلفظ: «أَنَا سيِّد ولَد آدم يوْم القِيَامَة»[١]، وجاء في حديث الشفاعة: «أَنَا سيِّد النَّاس يوْم القِيامة»، ثم ذكر الشفاعة[٢]، وهو ﷺ سيد البشر في الدنيا والآخرة، ولكنَّه نصَّ هنا على يوم القيامة؛ لأنَّ ذلك اليوم هو اليوم الذي يظهر فيه سؤدده على البشر من أولهم إلى آخرهم، وذلك أنهم في ذلك الموقف يموج بعضهم في بعض، ويبحثون عمن يشفع لهم إلى ربهم، فيأتون إلى آدم فيعتذر، ثم إلى نوح

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

فيعتذر، وإلىٰ إبراهيم فيعتذر، وإلىٰ موسىٰ فيعتذر، وإلىٰ عيسىٰ فيعتذر، ثم يأتون إلىٰ نبيِّنا محمَّد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فيتقدَّم للشفاعة، ويقول: «أَنَا لَهَا»، ويشفعه الله عَزَّوَجَلَّ؛ ويأتي لفصل القضاء.

وهذه هي الشفاعة العظمىٰ والمقام المحمود الذي يحمده عليه الأوَّلون والآخرون؛ فظهر سؤدده علىٰ الجميع في ذلك الموقف؛ لأن شفاعته حصلت للجميع واستفاد منها الجميع، وحصل أثر هذه الشفاعة وفائدتها لكلِّ أهل الموقف؛ من لدن آدم إلىٰ الذين قامت عليهم الساعة.

❁ **إطلاق (السيد) على المخلوق:**

وفي هذا دليل علىٰ أنه يجوز أن يقال للمخلوق: (سيِّد)؛ كما قال عن نفسه - صلوات الله وسلامه عليه -: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»، وأيضًا جاء إطلاق السيادة علىٰ بعض الصحابة؛ كما قال النبي ﷺ في حقِّ سعد بن معاذ: «قوموا إلىٰ سيدكم»[(١)].

وقد جاء في الحديث: «السيد الله عَزَّوَجَلَّ»؛ فهو من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويجمع بين هذا وهذا: بأنَّ السؤدد الكامل الذي لا يماثله سؤدد؛ هو المضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأما المخلوق فيضاف إليه السؤدد الذي يناسبه، ولكن لا يغالىٰ ولا يتجاوز الحد في ذلك؛ فما يضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ يليق به وما يضاف إلىٰ المخلوقين يليق بهم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (٦٤/ ٧٦٨)، عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولا يوصف بالسيادة إلَّا من يستحقُّ، ولا تقال لكل أحد، بل قد جاء النهي عن إطلاقها علىٰ من لا يستحقُّها؛ كالمنافقين[1]، فلا يقال للمنافق: سيد، ولا يقال للكافر: سيد، ولا يقال لمن لم يستحقَّ السيادة: إنه سيد.

❁ **مسألة:** قول (سيدنا) عند ذكر النبي ﷺ:

ويستدل البعض بقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**»، علىٰ ملازمة قوله: (سيدنا) كلما ذكر النبي ﷺ، لكن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يفعلوا ذلك وهم أشد الناس محبَّة للرسول ﷺ من غيرهم، وهم أسبق الناس إلىٰ كل خير، وأحرص الناس علىٰ كل خير، والدليل علىٰ هذا: هذه الأحاديث التي نقرؤها، فالكتب الستة وغيرها كلها تنتهي إلىٰ الصحابي، والصحابي يقول: قال رسول الله ﷺ كذا. ولو كانوا يقولون: سيدنا. لنُقل ذلك عنهم؛ فإن أبا داود وغيره من المصنِّفين في الحديث – كما عرفنا- يميزون بين كلمة (النبي) وكلمة (الرسول) فيما إذا قال أحد الرواة: قال رسول الله ﷺ. وقال الآخر: قال النبيُّ ﷺ. فيقولون: فلان قال: النبي. وفلان قال: رسول الله. مع أن النتيجة واحدة؛ فالنبي هو الرسول والرسول هو النبي، والمقصود بذلك شخص واحد، لكن كل هذا للحفاظ علىٰ اللفظ، فلو كانت كلمة (سيدنا) موجودة؛ لحافظوا عليها وأبقوها، ولم يتركوها؛ فدل هذا علىٰ أن

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٧٧)، عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ. فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ». وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧١).

الالتزام بذلك ليس من طريقة الصحابة ولا السلف الصالح.

نعم هو سيدنا ﷺ، لكن كونه لا يأتي ذكره إلا ويؤتىٰ بهذا؛ فلم يكن الصحابة علىٰ هذا.

❁ **[التفضيل بين الملائكة وصالحي البشر]:**

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ لِتَفْضِيلِهِ ﷺ عَلَىٰ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْآدَمِيِّينَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ»(١).

ونقل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنه سئل عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب: «إن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلىٰ منزَّهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الربِّ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما في يوم القيامة بعد دخول الجنَّة فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة». ثم قال ابن القيِّم: «وبهذا التفصيل يتبيَّن سر التفضيل، وتتَّفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم علىٰ حقه»(٢).

---

(١) انظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٥/ ٣٧)، ونقله عنه في العون (١٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١٣٦)، ومجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٤/ ٣٤٣).

وعلىٰ كلٍّ: فالقول بالتفضيل علىٰ اعتبار المنزلة والفضل عند الله، ومسألة التفضيل بين صالحي البشر والملائكة؛ مسألة خلافية، وشارح الطحاوية ذكر هذه المسألة، وذكر أدلَّة الفريقين، وجواب كل فريق علىٰ الآخر، وانتهىٰ إلىٰ الوقف وعدم الجزم[(١)]. نعم المشهور عند أهل السنة أن

---

(١) قال في شرح الطحاوية: «وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَصَالِحِي الْبَشَرِ، وَيُنْسَبُ إِلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ تَفْضِيلُ صَالِحِي الْبَشَرِ وَالْأَنْبِيَاءِ فَقَطْ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ. وَإِلَىٰ الْمُعْتَزِلَةِ تَفْضِيلُ الْمَلَائِكَةِ. وَأَتْبَاعُ الْأَشْعَرِيِّ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يُفَضِّلُ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ وَلَا يَقْطَعُ فِي ذَلِكَ قَوْلًا. وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ مَيْلُهُمْ إِلَىٰ تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ. وَحُكِيَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ.

وَقَالَتِ الشِّيعَةُ: إِنَّ جَمِيعَ الْأَئِمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَصَّلَ تَفْصِيلًا آخَرَ.

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِمَّنْ لَهُ قَوْلٌ يُؤْثَرُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ دُونَ بَعْضٍ. وَكُنْتُ تَرَدَّدْتُ فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؛ لِقِلَّةِ ثَمَرَتِهَا، وهِي منَ المسائل التي لَمْ يَقْطَعْ أَبُو حَنِيفَةَ فِيهَا بِجَوَابٍ، وهذا هو الحقُّ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَفْضَلُ؛ فَإِنَّ هَذَا لَوْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ لَبُيِّنَ لَنَا نَصًّا...

وَلِلشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُصَنَّفٌ سَمَّاهُ: «الْإِشَارَةَ فِي الْبِشَارَةِ» فِي تَفْضِيلِ الْبَشَرِ عَلَىٰ الْمَلَكِ، قَالَ فِي آخِرِهِ: «اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ المسألة من بدع علم الكلام، التي لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهَا الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأُمَّةِ، وَلَا مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْأَئِمَّةِ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْعَقَائِدِ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَقَاصِدِ؛ وَلِهَذَا خَلَا عَنْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُصَنَّفَاتِ هَذَا الشَّأْنِ، وَامْتَنَعَ مِنَ الْكَلَامِ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ، وَكُلُّ مُتَكَلِّمٍ فِيهَا مِنْ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ بِعِلْمِهِ،

صالحي البشر مفضَّلون على الملائكة، والمسألة خلافيَّة بين أهل السنة؛ فمنهم من يقول بخلاف هذا القول.

ولا شكَّ أن هذا الكلام الذي قاله شيخ الإسلام واقع؛ من ناحية أن الملائكة الآن معصومون؛ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وأنهم ليس لهم عمل غير العبادة، ولا يحصل منهم الخطأ والعصيان، وأمَّا بالنسبة للآخرة فلا شك أن البشر مُكَرَّمون، لكن كونهم أفضل من الملائكة في الدار الآخرة؛ فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك.

وصالحو البشر يدخل فيهم النبيُّ ﷺ والأنبياء، فالرسول ﷺ من البشر فيدخل في الخلاف السابق؛ أما كونه ﷺ أفضل البشر وأفضل الثقلين فهذا لا إشكال فيه.

❁ **[من خصائصه ﷺ أنه أول من يُبعث من قبره يوم القيامة]:**

قَوْلُهُ ﷺ: «وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ» أي: أول من يبعث من قبره؛ فعندما ينفخ في الصور النفخة الثانية وهي نفخة البعث؛ تنشقُّ القبور عن أهلها، ويخرج الناس من قبورهم، وأول القبور انشقاقًا عن صاحبه هو قبر

=

لَمْ يَخْلُ كَلَامُهُ عَنْ ضَعْفٍ واضطراب. انتهى، والله الموفق للصواب».

ثم ذكر أدلَّة الفريقين، ثم قال: «وَحَاصِلُ الْكَلَامِ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ فُضُولِ الْمَسَائِلِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأُصُولِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ»، اهـ بتصرُّف (ص٢٨١-٢٩٠).

نبيِّنا محمد ﷺ.

❁ **بقاء الأموات في قبورهم إلى يوم القيامة:**

وهذا يدلنا علىٰ أن المقبورين باقون في قبورهم، وأما الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فهم باقون في قبورهم علىٰ هيئتهم التي وضعوا فيها، فلا تأكلهم الأرض، ولا تغير الأرض شيئًا منهم؛ لقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»(١)، وهم يخرجون منها عند البعث، ولا يخرجون قبل البعث، فلا يقال: إن جسد الرسول ﷺ أو غيره يخرج من قبره، ويبقىٰ القبر ليس فيه جسد، بل إن كل ميِّت باقٍ في قبره، فإن كان نبيًّا فإنه باق علىٰ هيئته؛ وإن كان غير نبي فمن الناس من تأكله الأرض، ومِنْهم مَنْ يبقىٰ علىٰ هيئته، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤]؛ أي: فنحن سنعيده من التراب عند البعث، والأجساد التي أكلتها الأرض هي التي ترجع ذراتها حتىٰ يتكَّون منها الإنسان الذي قُبِر، ولا يبعث جسد جديد غير الجسد الذي دفن، بل إن الجسد الذي دفن هو الذي يبعث. وإذا كانت الأرض قد أكلته؛ فإن الله تعالىٰ يعلم ما أخذته الأرض فيعيده، فترجع كل ذرة من ذرات جسده إلىٰ مكانها، ثم يبعث الله

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)، عن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢١٢).

ذلك الجسد الذي كان في الدنيا ثم قُبِرَ، ولا يبعث جسدًا آخر.

فلا يخرج أحد من قبره قبل البعث، وأصحاب القبور باقون في قبورهم لا يخرجون منها، وأما بعض الدجَّالين من غلاة الصوفيَّة فإنهم يقولون: إن الرسول ﷺ يخرج من قبره، ويصافح بعضهم ممن يزعمون أن فيه الولاية! يقظةً لا منامًا!! فهذا من الدجل، وهو مخالف لما جاء في الكتاب والسنَّة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]؛ فالناس لا يبعثون ولا يخرجون من قبورهم قبل يوم القيامة، وإنما يكون ذلك إذا جاء البعث والنشور. وكما في هذا الحديث أنه ﷺ «**أول من ينشق عنه القبر**»؛ أي أول من يبعث ويخرج من القبر.

۞ مسألة: حياة النبي ﷺ في قبره لا يعنى أنه يُسأل وتُطلَب منه الأشياء:

والرسول ﷺ في قبره حيٌّ حياة برزخية، ولا يعني ذلك: أنه يُخاطب ويُطلب منه شيء، وإنما يسلَّم عليه، ويُدْعَىٰ لَهُ فقط؛ فَيُدْعَىٰ له ولا يُدْعَىٰ هو، والله تعالىٰ هو الذي يُدْعَىٰ، والخلْقُ كلهم يُدْعَىٰ لهم ولا يُدْعَوْنَ؛ فلا يطلب شيء من رسول الله ﷺ، ولا يقول إنسان: يا رسول الله! الشفاعة، يا رسول الله! أريد كذا، يا رسول الله! حقق لي كذا. بل تُطلب الشفاعة من الله، فيقال: اللهم! شفع فيَّ نبيك، اللهم! اجعلني من الفائزين بشفاعته، اللهم! اجعلني ممن أكرمته بشفاعة نبيك محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فيطلبها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يطلبها من غيره؛ فالدعاء عبادة، والعبادة إنما تكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وممَّا يدل علىٰ أن النبي ﷺ لا يُطلب منه شيء بعد موته: أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا في زمنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا حصل جدب أو قحط فإنهم يأتون إليه، ويطلبون منه الدعاء، فيدعو لهم ويغيثهم الله عَزَّوَجَلَّ، ولما توفي رسول الله ﷺ لم يذهبوا إلىٰ قبره ويطلبوا منه الدعاء أن الله يغيثهم، وإنما طلبوا من بعضهم أن يدعو؛ كما حصل من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لما حصل في زمنه جدب وقحط، فخرج بالناس للاستسقاء، وطلب من العباس عمِّ النبي ﷺ أن يقوم ويدعو، وقال: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أُقْحِطْنَا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»؛ فَيُسْقَوْنَ[(١)]. واختار العباس مع أن هناك أفضل منه؛ فعمر نفسه أفضل منه، وبعض الصحابة أفضل منه كعثمان وعلي، وهؤلاء كانوا في زمن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه عم النبي ﷺ، وهو أقرب الناس إليه، ولو كان النبي ﷺ يورث عنه المال لورثه العباس؛ لأنه أقرب القرابات إليه، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا تَرَكَتِ الفَرَائِضُ فَلِأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ»[(٢)].

وليس المقصود هو التوسُّل بشخص العباس، وإنما المقصود قرابة العباس من الرسول ﷺ؛ ولهذا قال: (إنا نتوسَّل إليك بعم نبينا فاسقنا). فلو

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٠١٠)، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٧٣٢)، ومسلم (٢/ ٦١٥)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

كان طلب الدعاء من النبي ﷺ وهو في قبره سائغًا لما عَدَل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ طلب الدعاء من العباس، ولقال: (يا رسول الله! ادع الله أن يغيثنا)، فلما عدل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصحابة معه إلىٰ طلب الدعاء والسؤال من الله عَزَّوَجَلَّ عن طريق حي موجود معهم، ولم يتقدَّموا بذلك إلىٰ النبي ﷺ؛ دل هذا علىٰ أنه لا يجوز طلب شيء من النبي ﷺ وهو في قبره، وغيره من باب أولىٰ.

وممَّا يدل علىٰ ذلك: ما رواه البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه، كتاب المرضىٰ، باب: قول المريض: وَا رَأْسَاه. عن عائشة أنها قالت: وَا رَأْسَاه! فقال رسول الله ﷺ: «**ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ؛ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ**»(١)؛ أي: لو مت قبلي دعوت لك واستغفرت لك، فهذا يدل علىٰ أن الدعاء إنما هو في الحياة، وأنه لا يطلب منه شيء بعد وفاته - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، ولو كان الأمر سواءً ولا فرق أن يموت قبلها أو تموت قبله، وأنه يدعو لها في الحالين؛ لما قال لها: «**لو كان ذاك وأنا حي دعوت لك**»؛ فدلَّ علىٰ أن هذا إنما يُطلب منه في حياته ﷺ، ولا يطلب منه شيء وهو في قبره.

وأما ما ابتلي به بعض الناس من الجهل المطبق الذي حملهم علىٰ أن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٦٦٦)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

يأتوا إلىٰ قبر النبي ﷺ ويخاطبونه ويقولون: يا رسول الله! أريد كذا، يا رسول الله! حقق لي كذا، يا رسول الله! مدد. فكل هذا من الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه طلب من النبي ﷺ شيئًا لا يطلب إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

۞ اجتماع أولويَّة الشفاعة وأولويَّة قبولها له ﷺ:

ثم قال ﷺ: «**وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»؛ فهو أول من يتقدَّم للشفاعة، وهو أول من تجاب وتحقق شفاعته، وقد جمع بينهما في الحديث لبيان أن الأوليَّة حاصلة له في الحالين؛ فهو أول من يتقدَّم للشفاعة وأول من يشفع؛ وذلك أنه قد يحصل التقدُّم للشفاعة بأن يتقدم شخص ثم يتقدم آخر، ثم قد يشفع الثاني قبل الأول، لكن جاء في هذا الحديث ما يدل علىٰ أن النبي ﷺ اجتمعت فيه الأوليتان: الأولية المتعلِّقة بالتقدم للشفاعة، والأولية المتعلقة بقبول الشفاعة وتحقيقها وحصولها.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا عمرو بن عثمان)؛ هو الحمصي، وهو صدوق، أخرج حديثه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا الوليد)؛ هو ابن مسلم، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الأوزاعي)؛ هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، فقيه الشام ومحدثها، وهو ثقة، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي عمار)؛ هو شداد بن عبد الله، وهو ثقة، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن فروخ)؛ وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل هو أكثر السبعة حديثًا.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٧٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْعَسْقَلَانِيُّ، وَمَخْلَدُ بْنُ خَالِدٍ الشَّعِيرِيُّ الْمَعْنَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا، وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا»**(١).

الشَّرح

هذا الذي قاله النبي ﷺ عن تبع؛ قبل أن يعلم حاله، وقد جاء ما يدلُّ

(١) صحيح: أخرجه البزار (١٥/١٦٦)، وابن عساكر (٤٠/٣١٨)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٢١٧).

علىٰ أنه قد أسلم فلا يكون لعينًا[1]. وأمَّا عزيرٌ فلم يأت ما يدلُّ علىٰ أنه نبي.

۞ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني**)؛ وهو صدوق له أوهام كثيرة، أخرج حديثه أبو داود.

قَوْلُهُ: (**ومخلد بن خالد الشعيري**) مخلد بن خالد الشعيري ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الرزاق**)؛ هو ابن همام الصنعاني اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا معمر**)؛ هو معمر بن راشد الأزدي البصري ثم اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن أبي ذئب**)؛ وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٣، رقم ٦٠١٣)، والأوسط (٣/ ٣٢٣، رقم ٣٢٩٠)، وابن عساكر (١١/ ٥)، عن سهل بن سعد. وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٩٦، رقم ١١٧٩٠)، والأوسط (٢/ ١١٢، رقم ١٤١٩)، والخطيب (٣/ ٢٠٥)، وابن عساكر (١١/ ٦)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولفظه: «لا تَسُبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ». وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٤٢٣).

قال ابن عساكر قبله: «وهذا الشك من النبي ﷺ؛ كان قبل أن يتبيَّن له أمره، ثمَّ أخبر أنه كان مسلمًا...» ثم ساقه.

أبي ذئب، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن سعيد بن أبي سعيد**)؛ هو سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي هريرة**)؛ وقد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٦٧٥- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**»(١).

الشرح

النبي ﷺ خاتم النبيين والنبي الذي قبله عيسى؛ فهو أقربهم إليه.

قَوْلُهُ: (**الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ**)؛ أي: أن دينهم واحد وشرائعهم شتى، فأصل الدين واحد ولكن الشرائع مختلفة؛ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (١٤٣/ ٢٣٦٥)، وأخرجه أيضًا: أحمد (٢/ ٤٠٦).

وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

و(أولاد العلات) في الأصل: هم الإخوة لأب، أبوهم واحد والأمهات متعددات، فبينهم شيء يجمعهم وشيء يفرقهم، فالأنبياء يجمعهم أصل الدين؛ فهو واحد في جميع الرسالات، ويختلفون في أن لكلٍّ رسالة، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾؛ أي شرعه الله له وأمره باتِّباعه.

ويقال للإخوة الأشقَّاء: أولاد أعيان. والإخوة لأمٍّ: أولاد أخياف.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن صالح**)؛ هو المصري، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي في «الشمائل».

قَوْلُهُ: (**حدثنا ابن وهب**)؛ هو عبد الله بن وهب المصري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرني يونس**)؛ هو يونس بن يزيد الأيلي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن شهاب**)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سلمة**)؛ هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي هريرة**)؛ وقد مر ذكره.

الأسئلة

السؤال: ذكر بعض أهل العلم أنه لا يقال في حق النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أفضل الخلق، وإنما يقال: سيد ولد آدم، أو أفضل الثقلين. ونحو ذلك؛ اقتصارًا على ما ورد، فهل هذا صحيح؟

الجواب: نعم، هناك خلاف مشهور بين أهل العلم في التفضيل بين الملائكة والبشر، وقد ذكر ذلك شارح الطحاوية[(١)]، وذكر أدلَّة الفريقين علىٰ ذلك، وجواب كل فريق عن أدلة الفريق الآخر، وانتهىٰ إلىٰ الوقف، وأنه لا يجزم بشيء؛ لأنه لم يأتِ دليل يفصل في ذلك، ولكن المشهور عند أهل السنة هو تفضيل الأنبياء وصالحي البشر.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما قولكم في قول النبي ﷺ عن عمار: «تقتله الفئة الباغية»[(٢)]؟

الجواب: جاء عن الرسول ﷺ هذا الحديث، ولكن أولئك الذين حصل منهم المقابلة لعلي؛ كان الدافع لهم إلىٰ ذلك هو الخلاف حول قتلة

---

(١) انظر (ص ٢٨١-٢٩٠)، وقدم تقدم النقل عنه بتصرُّف؛ راجع (ص ٣٩٥).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٧٠ / ٢٩١٥)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عثمان، وكان معاوية من قبيلة عثمان بني أمية، فأراد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقتصَّ من القتلة، ورأىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يستتبَّ له الأمر أولًا، ثم يتتبَّعون القتلة، فكل مجتهد، ولا يعدم الأجر أو الأجرين.

❊ ❊ ❊

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي رَدِّ الإِرْجَاءِ

٤٦٧٦- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ: أَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(١).

الشَّرْح

❁ تعريف الإرجاء، وبيان أقسام المرجئة:

قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الترجمة: (بَابٌ فِي رَدِّ الإِرْجَاءِ).

والإرجاء في اللغة: هو التأخير؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦] أي: مؤخرون. وقال: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]؛ أي: أَخِّره وأخاه.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٥٨/ ٣٥)، وأخرجه أيضًا: النسائي (٥٠٠٥)، وابن ماجه (٥٧)، وأحمد (٢/ ٤١٤).

وفي الاصطلاح: هو تأخير الأعمال عن أن تكون داخلةً في الإيمان.

وينقسم المرجئة[1] إلى قسمين:

- المرجئة الغلاة.

- ومرجئة الفقهاء.

والمرجئة الغلاة الذين يقولون: (لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة)، ولا يتفاوت الناس - عندهم - في الإيمان؛ فلا فرق بين أتقىٰ الناس وأفجر الناس، فما دام أن الكل مسلم فهم متساوون.

قولهم: (لا يضر مع الإيمان ذنب)؛ أي: لا يضر المسلم أي ذنب حصل منه. وهذا مخالف للنصوص الكثيرة الدالَّة علىٰ أنَّ الذنوبَ تضرُّ أصحابها، وأنَّ أمر صاحبها إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقولهم: (كما لا ينفع مع الكفر طاعة)؛ فالكافر إذا حصلت منه طاعة فإنها تكون مردودة وغير مقبولة؛ كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

---

(١) المرجئة: من أصول الفرق، وهي من أوائل الفرق في الظهور، وتشعَّبت عنها فرقٌ، سميت بذلك نسبة للإرجاء بمعنىٰ التأخير؛ لأنهم يؤخرون العمل عن الاعتقاد، أو: من إعطاء الرجاء؛ لأنهم يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية. وغلاتهم يزعمون أن الإيمان هو معرفة القلب فقط وهم الجهمية، ومنهم من يقول: هو مجرَّد النطق باللسان. وهم الكرامية. وغير ذلك. [انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٤)، والملل والنحل (١/ ١٣٩)].

قالوا: فما دام الكفَّار لا يُقبل منهم العمل؛ فكذلك المؤمنون لا تضرهم المعصية.

وأمَّا مرجئة الفقهاء: فهم الذين يقولون: إن الأعمال لا تدخل في مسمىٰ الإيمان، وأن الإيمان هو تصديق بالقلب، وقول باللسان، وأما عمل الجوارح فلا يدخل في مسمَّىٰ الإيمان.

والمعروف عند أهل السنة والجماعة: أنَّ الإيمان يتكوَّن من هذه الأمور الثلاثة: تصديق الجنان، وقول باللسان، وعمل الجوارح والأركان؛ فهي داخلة في مسمَّىٰ الإيمان.

❁ بيان موقف كبار أئمَّة السلف من الإرجاء:

ممن روي عنه أن الإيمان قول وعمل: الحسن وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وعطاء وطاوس ومجاهد والشعبي والنخعي والزهري ومالك والشافعي وإسحاق وأبو عبيد وأبو ثور وغيرهم؛ فهم لا يحصون[١]؛ كما قال الإمام البخاريُّ: (لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٧): «وَمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ صَرَّحَ بِهِ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ وابن جُرَيْجٍ وَمَعْمَرٍ وَغَيْرِهِمْ؛ وَهَؤُلَاءِ فُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ فِي عَصْرِهِمْ، وَكَذَا نَقَلَهُ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» عَنِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَرَوَىٰ بِسَنَدِهِ الصَّحِيحِ عَنِ الْبُخَارِيِّ قَالَ: «لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْصَارِ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ =

الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْصَارِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ)(١).

- عن عمير بن حَبِيب(٢) قال: (الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)، فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: (إِذَا ذَكَرْنَا اللهَ وَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ؛ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَضَيَّعْنَا وَنَسِينَا؛ فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ)(٣).

- قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «خالفنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول: الإيمان قول وعمل. وهم يقولون: قول بلا عمل.

ونحن نقول: يزيد وينقص. وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص.

ونحن نقول: أهل السنة عندنا مؤمنون، أما عند الله؛ فالله أعلم. وهم يقولون: نحن عند الله مؤمنون»، [أخرجه البيهقي في كتاب «الاعتقاد إلى

يَخْتَلِفُ فِي أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ»، وَأَطْنَبَ ابن أَبِي حَاتِمٍ وَاللَّالَكَائِيُّ فِي نَقْلِ ذَلِكَ بِالْأَسَانِيدِ عَنْ جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَكُلِّ مَنْ يَدُورُ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَحَكَاهُ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ وَوَكِيعٌ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

(١) أخرجه اللالكائي (١/ ١٩٣، ٣٢٠) مطولًا، وذكره ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧) مختصرًا.

(٢) عمير بن حبيب بن خُمَاشة - وقيل: حباشة - الخطمي الأنصاري، صحابي، بايع تحت الشجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨١)، وأسد الغابة (٤/ ٢٧٧)، والإصابة (٤/ ٥٩٣)].

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣٢٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٦٢٤)، والآجري في الشريعة (٢١٥، و٢١٦).

سبيل الرشاد»[١)].

قَوْلُهُ: (وهم يقولون: نحن عند الله مؤمنون)؛ أي: مؤمنون كاملو الإيمان؛ فعندهم: كل مسلم فهو مؤمن كامل الإيمان.

- قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَثَلُ الْمُرْجِئَةِ مَثَلُ الصَّابِئِينَ)[٢].

- وقال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَا ابْتُدِعَتْ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ أَضَرُّ عَلَىٰ الْمِلَّةِ مِنْ هَذِهِ)؛ يَعْنِي: أَهْلَ الْإِرْجَاءِ[٣].

المقصود من ذلك: أنها تؤدِّي إلىٰ التسيُّب والانفلات من الأحكام الشرعيَّة، وعدم اهتمام بالتكاليف؛ لأن التكاليف عندهم تركها لا يؤثِّر، والمعاصي فعلها لا يؤثر ، فقول المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب. معناه: أن للإنسان أن يفعل المعاصي كيف يشاء، ومع ذلك فإنه يكون مؤمنًا كامل الإيمان. فهذا يدلُّ علىٰ خطورتها من ناحية الانفلات من الأحكام الشرعيَّة.

- وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثَلَاثٌ هُنَّ بِدْعَةٌ: أَنَا مُؤْمِنٌ مُسْتَكْمِلُ الْإِيمَانِ، وَأَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا، وَأَنَا مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ)[٤]؛ لأنَّ هذه أقوال المرجئة،

---

(١) ص(١٨٣)، وذكره البغوي في شرح السنة (١/ ٤١).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٦١٦)، والخلال في السنة (رقم ١٣٥٥)، والآجري في الشريعة (رقم ٣٠٠)، وغيرهم.

(٣) أخرجه القاسم بن سلام في الإيمان (رقم ٢٤)، والآجري في الشريعة (رقم ٢٩٥)، وابن بطة في الإبانة (رقم ١٢٢٢).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٦٨٧، رقم ٣٠٦).

فقول: (أنا مؤمن مستكمل الإيمان)؛ فكل الناس عندهم كذلك، وقول: (أنا مؤمن حقًّا)؛ يعني: عنده حقيقة الإيمان، وكذلك قول: (أنا مؤمن عند الله)؛ فهي كلها بمعنًىٰ واحد.

- وسُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمن قال: الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. قَالَ: (هَذَا بَرِيءٌ مِنَ الْإِرْجَاءِ)[1].

- قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سَمِعْتُ أَبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَسُئِلَ عَنِ الْإِرْجَاءِ؛ فَقَالَ: (نَحْنُ نَقُولُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، إِذَا زَنَىٰ وَشَرِبَ الْخَمْرَ نَقَصَ إِيمَانُه)[2].

- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ[3]: تَرَىٰ الْإِرْجَاءَ؟ قَالَ: (أَنَا أَقُولُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَكَيْفَ أَكُونُ مُرْجِئًا؟!)[4].

- قال الحميدي[5]: سمعت ....

(١) أخرجه الخلال في السنَّة (١٠٠٩).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٩٩).

(٣) أبو عبد الرحمن المروزي، عبد الله بن المبارك بن واضح، شيخ الإسلام المجاهد، لقي التابعين، وأكثر الترحال والتطواف إلىٰ الغاية في طلب العلم والجهاد والحج والتجارة، عرف بالسخاء، له تصانيف منها: «الجهاد» وهو أوَّل من صنف فيه، و«الرقائق»، ولد سنة ١١٨، وتوفي سنة ١٨١. [انظر: السير (٧/ ٣٦٥)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٢٥)].

(٤) أخرجه الخلال في السنة (رقم ٩٦٤).

(٥) عبد الله بن الزبير الحميدي أبو بكر القرشي، الحافظ الفقيه، أحد الأئمة، شيخ البخاري، =

...وكيعًا[١] يقول: (أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ. وَالْمُرْجِئَةُ تَقُولُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ. وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَة)[٢]؛ أي: التصديق.

- قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْصَارِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ)[٣].

- **ذكر الإمام البربهاري[٤]، عن عبد الله بن المبارك، أنه قال:** (ومن قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ فقد خرج من الإرجاء كله؛ أوله وآخره)[٥].

ورئيس أصحاب ابن عيينة، مات سنة ٢١٩. [انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (٢/ ٣)، والسير (٩/ ٣١)، وطبقات الحفاظ (١٨١)].

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي الحافظ، ثقة عابد، [انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١١/ ١٢٣)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٣)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص١٣٣)].

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (رقم ٣٠٤)، وابن بطة في الإبانة (رقم ١٠٩١)، واللالكائي في شرح السنة (١٨٣٧).

(٣) تقدَّم قريبًا.

(٤) الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد الحنبلي البغدادي الإمام، كان قوَّالًا بالحقِّ، داعية إلى الأثر، شديدًا على أهل البدع، توفي مستترًا بعد أن أوغر المبتدعة قلب الخليفة عليه سنة ٣٢٩، وله سبع وسبعون سنة. [انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ١٨)، والسير (١١/ ٣٩٥)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٠١)].

(٥) شرح السنة للبربهاري (ص ١٢٩).

- **قال أبو عثمان الصابوني**(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)(٢).

- **قال محمد بن جرير الطبري**: (وَالصَّوَابُ لَدَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَبِهِ الْخَبَرُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ مَضَىٰ أَهْلُ الدِّينِ وَالْفَضْلِ)(٣).

- **قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَالَتِ الْمُرْجِئَةُ - عَلَىٰ اخْتِلَافِ فِرَقِهِمْ -: لَا تُذْهِبُ الْكَبَائِرُ وَتَرْكُ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ شَيْئًا مِنَ الْإِيمَانِ؛ إِذْ لَوْ ذَهَبَ شَيْءٌ مِنْهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ؛ فَيَكُونُ شَيْئًا وَاحِدًا يَسْتَوِي فِيهِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ. وَنُصُوصُ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ تَدُلُّ عَلَىٰ ذَهَابِ بَعْضِهِ وَبَقَاءِ بَعْضِهِ؛ كَقَوْلِهِ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»(٤)»(٥).

---

(١) إِسْمَاعِيلُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَحْمَدَ النيسابوري، أبو عثمان الصَّابُوني، الواعظ المحدث المفسر، ولد بنيسابور سنة ٣٧٣، وجلس للوعظ وهو ابن تسع سنين، ومات بنيسابور سنة ٤٤٩. [انظر ترجمته في: السير (١٣/ ٢٩٩)، والوافي بالوفيات (٩/ ٨٦)، والأعلام (١/ ٣١٧)].

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٠٥)، ط: دار العاصمة.

(٣) صريح السنة للطبري (ص ٢٥)، وأخرجه عنه اللالكائي في شرح السنة (١/ ٢٠٦، رقم ٣٢٥).

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥٩٨) عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٤٥٠)، وصحيح الجامع رقم (٨٠٦٢).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٢٢٤)، وقال بعده: «وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّهُ يَتَفَاضَلُ، وَجُمْهُورُهُمْ يَقُولُونَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَزِيدُ، وَلَا يَقُولُ: يَنْقُصُ؛ كَمَا رُوِيَ عَنْ =

فالناس متفاوتون في الإيمان، هذا هو الواقع؛ ففيهم كامل الإيمان، وفيهم ناقص الإيمان، مع أنهم كلهم مؤمنون ما خرجوا من الإيمان، لكن لا يقال: إن أتقىٰ الناس وأفجر الناس سواء.

۞ وسطية أهل السنة بين الفرق الضالة في باب أسماء الإيمان، وأحكام الدنيا:

أهل السنَّة والجماعة يقولون: الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والخوارج يقولون: مرتكب المعصية يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر.

والمعتزلة يقولون: خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر؛ فهو في منزلة بين المنزلتين. لكنهم يتَّفقون مع الخوارج في كونه خالدًا في النار أبد الآباد.

ويقابلهم في الجانب الآخر **المرجئة**: فعندهم أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان.

والحقُّ وسط بين هؤلاء وهؤلاء، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، فهم يقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، عنده إيمان وفسق؛ **فهو مؤمن ناقص الإيمان**؛ فلم يسلبوه مطلق الإيمان الذي هو أصله، ولم يعطوه الإيمان المطلق الذي هو الكمال.

=

مَالِكٍ فِي إِحْدَىٰ الرِّوَايَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَتَفَاضَلُ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَقَدْ ثَبَتَ لَفْظُ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ مِنْهُ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِيهِ مُخَالِفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ».

فقولهم: مؤمن؛ خالفوا به الخوارج الذين قالوا: هو كافر.

وقولهم: ناقص الإيمان؛ خالفوا به المرجئة.

فهاتان الكلمتان عند أهل السنة؛ يخالفون بكلٍّ واحدة منهما فرقة من أهل الضلال؛ الذين علىٰ طرفي الإفراط والتفريط؛ تفريط المرجئة، وإفراط الخوارج والمعتزلة.

كما قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تغل في شيء من الأمر ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم[1]

يعني: طرف الإفراط وطرف التفريط.

فلم يقولوا: مؤمن كامل الإيمان؛ كالمرجئة.

فالمرجئة فرَّطوا وأهملوا وضيَّعوا؛ فقولهم فيه تحلُّل من الدين، وانفلات من أحكام الشريعة.

ولم يقولوا: خرج من الإيمان؛ كالخوارج والمعتزلة.

فالخوارج والمعتزلة أفرطوا حتىٰ أخرجوا المؤمن العاصي من الإيمان.

❁ مرتكب المعصية يجتمع فيه الحب والبغض:

وهو يُحَبُّ لما عنده من الإيمان، ويُبغَض علىٰ ما عنده من الفسق

(١) العزلة للخطابي (ص ٩٧)، وهو من بحر الطويل، وأنشد قبله:

تَسَامَحْ وَلَا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ ... وَأَبْقِ فَلَمْ يَسْتَوْفِ قَطُّ كَرِيمُ

والعصيان؛ فيكون محبوبًا باعتبار، ومُبْغَضًا باعتبار آخر.

ولا مانع من أن يجتمع في الشخص محبة وبغض؛ فتكون المحبة باعتبار، والبغض باعتبار؛ كما يقول الشاعر(١):

الشَّيبُ كُرْه وكُرْهٌ أن يفارقني أعجب بشيء على البغضاء

فالشيب؛ إذا نظر إلىٰ ما تقدمه وهو الشباب؛ فليس مرغوبًا فيه ولا محبوبًا، ولكن إذا نظر إلىٰ ما وراءه وهو الموت؛ صار مرغوبًا فيه ومحبوبًا.

❁ وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق الضالة في الحكم على مرتكب الكبيرة في الآخرة:

الخوارج والمعتزلة قالوا: مرتكب الكبيرة خالد مخلَّد في النار.

والمرجئة قالوا: إنه في الجنة؛ لأنه - عندهم- لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ فهم عند الله سعداء وكلهم من أهل الجنة.

وأهل السنة والجماعة قالوا: إن مرتكب الكبيرة إذا مات من غير توبة؛ فإن أمره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ إن شاء عفا عنه وتجاوز؛ فلا يدخله النار ويدخله الجنة من أول وهلة. وإن شاء عذَّبه في النار، ولكنه لا يخلِّده فيها، بل يبقىٰ فيها المدَّة التي يشاؤها الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يخرجه ويدخله الجنة، ولا يبقىٰ في

(١) البيت للوليد بن مسلم، وقيل: لبشار بن برد، وهو من بحر البسيط، وأنشد بعده:

يمضي الشباب وقد يأتي له خلفٌ والشيبُ يذهب مفقودًا بمفقود

انظر: تاريخ دمشق (٦٣/ ٢٠١)، وديوان المعاني (٢/ ١٥٨)، وأحسن ما سمعت للثعالبي (ص ٨٢).

النار إلا الكفَّار الذين هم أهلها؛ فهم لا سبيل لهم إلىٰ الخروج منها.

فلم يقولوا: أنه من أهل الجنة رأسًا، وأن كل مسلم فهو من أهل الجنة؛ كما تقوله المرجئة.

ولم يقولوا: أنه مخلد في النار؛ كما تقوله الخوارج والمعتزلة.

وإنما قالوا: أمره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن لا يخلد في النار، بل يخرج منها – إن دخلها – بعفو الله وفضله وإحسانه وتجاوزه، أو يقبل الله فيه شفاعة الشافعين، وإن شاء الله عفا عنه ودخل الجنة من أول وهلة.

فالمعتزلة والخوارج غلبوا جانب الوعيد، وأهملوا جانب الوعد.

والمرجئة غلبوا جانب الوعد، وأهملوا جانب الوعيد.

وأما أهل السنة والجماعة فأخذوا بالوعد والوعيد جميعًا.

۞ الجمع بين الوعد والوعيد في القرآن، وجمع أهل السنة بين الخوف والرجاء:

يأتي في القرآن كثيرًا الجمع بين الوعد والوعيد؛ للترغيب والترهيب:

كقوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

وقوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ فهذا ترغيب، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، وهذا ترهيب.

وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]،

فأهل السنة والجماعة يأخذون بهذا وهذا؛ فيجمعون بين الترغيب والترهيب، والخوف والرجاء[١]، ويقول بعض العلماء: إن المسلم يسير إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالخوف والرجاء؛ فيكون خائفًا راجيًا. ويقول أبو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ[٢]: «الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ هُمَا كَجَنَاحَيِ الطَّيْرِ؛ إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَىٰ الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيَرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا وَقَعَ منه النَّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا جَمِيعًا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ؛ لِذَلِكَ قِيلَ: لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ؛ لَاعْتَدَلَا»[٣].

والمقصود من إيراد حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن النبي ﷺ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ: أَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»: أن فيه أن الإيمان له شعبٌ، وأنَّ الأعمال داخلة في هذه الشُّعب؛ مثل إماطة العظم - الأذىٰ - عن الطريق؛

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٧٦) في رياض الصالحين (ص١٦٨): «باب الجمع بين الخوف والرجاء: اعْلَمْ أنَّ المختار للعبد في حالة صِحَّتِهِ أنْ يَكُونَ خَائفًا رَاجِيًا، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ سَواءً، وفي حَالِ المَرَضِ يُمحَّضُ الرَّجاءُ. وقواعِدُ الشَّرْع مِنْ نصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ وغَيْرِ ذَلِكَ مُتظاهِرَةٌ عَلَىٰ ذلك»، ثم ذكر الأحاديث والآيات.

(٢) أبو عَلِيّ الرُّوذْبَارِيُّ، أحد أئمة الصوفية، اختُلف في اسمه، وصحَّح السبكي أنه: حمد بن محمد بن منصور، سكن مصر وأصله من بغداد، توفي سنة ٣٢٢ هـ. [انظر ترجمته في: السير (١١/ ٣٢٧)، وطبقات السبكي (٣/ ٤٨)، وتاريخ بغداد (٢/ ١٨٠)].

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٢٨، رقم ٩٩٦)، والقشيري في الرسالة القشيرية (١/ ٢٦٠، رقم ٢٦٠).

فهذا عمل من الأعمال، وقد أدخله في مسمَّىٰ الإيمان.

وكذلك قول اللسان عمل؛ فهو عمل اللسان. وكذلك الحياء من أعمال القلوب؛ فكل هذه داخلة في مسمىٰ الإيمان وهي أعمال، ولكن الشيء الذي هو عمل واضح في هذا الحديث؛ هو «**إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ**»، وقد جاء في بعض الروايات: «**إِمَاطَةُ الأَذَىٰ**»[1]؛ وهذا اللفظ أعمُّ؛ فقد يكون الأذىٰ شوكًا، أو عظمًا، أو زجاجًا، أو حجرًا، أو شيئًا يحصل به الانزلاق؛ كقشر الموز، وغير ذلك من الأشياء؛ فإزالة أي أذًىٰ عن الطريق هي من الإيمان.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو التبوذكي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد**)؛ هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا سهيل بن أبي صالح**)؛ وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وروايته في «صحيح البخاري» مقرونة، وأما مسلم فقد أخرج له في صحيحه في الأصول.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الله بن دينار**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٨/ ٣٥).

قَوْلُهُ: (عن أبي صالح)؛ هو ذكوان السمان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

وسهيل يروي عن أبيه مباشرة، ولكنه هنا يروي عنه بواسطة.

❁ فائدة:

ومن الأحاديث التي رواها مسلم عن سهيل؛ حديث: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[(١)]؛ وفيه: أنَّ سُفْيَانَ قَالَ: «قُلْتُ لِسُهَيْلٍ: إِنَّ عَمْرًا حَدَّثَنَا عَنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِيكَ. قَالَ: وَرَجَوْتُ أَنْ يُسْقِطَ عَنِّي رَجُلًا. قَالَ: فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْهُ أَبِي كَانَ صَدِيقًا لَهُ بِالشَّامِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ...»؛ فسفيان أراد أن يحصِّل علو الإسناد بإسقاط واسطة، فأسقط له سهيل واسطتين.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ قد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٧٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو جَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ؛ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٩٥/ ٥٥)، عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِاللهِ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ»[1].

الشرح

أورد أبو داود حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ)؛ وهم من ربيعة بن نزار، ويلتقي نسبهم مع النبي ﷺ في نزار، وربيعة هو أخو مُضَر الذي إليه نسب الرسول ﷺ، وهؤلاء كانوا ممَّن تقدَّم إسلامهم، وكانوا في البحرين[2]، وكانوا - كما جاء في بعض طرق هذا الحديث - لا يستطيعون أن يأتوا إليه إلا في شهر حرام، فجاءوا إلى النبي ﷺ، وقالوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَلَيْسَ نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ؛ فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذُ بِهِ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا»، فقال: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟»، ففسَّره لهم قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٣) ومواضع، ومسلم (١٧/٢٣)، وأخرجه: الترمذي (٢٦١١)، والنسائي (٥٠٣١)، وأحمد (١/ ٢٢٨).

(٢) هي الإحساء وما جاورها، وهكذا يتلفظ بها بالياء في حال الرفع والنصب والجر. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٤٦)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/ ٥١).

إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ»؛ وهذه كلها أعمال، وقد فسَّر النبي ﷺ الإيمان بها؛ فدلَّ على أنها داخلة في مسمى الإيمان.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا أحمد بن حنبل)؛ هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، الإمام المحدِّث الفقيه، أحد أصحاب المذاهب الأربعة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا يحيى بن سعيد)؛ هو القطان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن شعبة)؛ هو شعبة بن الحجاج الواسطي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثني أبو جمرة)؛ هو نصر بن عمران الضُّبَعِي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن عباس)؛ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عمِّ النبي ﷺ، وأحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ فائدة:

وأبو جمرة مشهور بالرواية عن ابن عباس، بل جاء في إحدى طرق هذا

الحديث في «صحيح البخاري»: أنه قال: (كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ)[١]، وقال: (كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَىٰ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّىٰ أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي. فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ)[٢]؛ يعني: يسمع الحديث منه، ثم يبلغه للناس.

قال الحافظ ابن حجر: «هُوَ أَصْلٌ فِي اتِّخَاذِ الْمُحَدِّثِ الْمُسْتَمْلِي»[٣]؛ يعني: ليساعده ويبلغ صوته للناس إذا كانوا كثيرين ولا يصل صوته إليهم.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٨٧).

(٢) صحيح البخاري رقم (٥٣)، قال ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٣٠): «قَوْله: (كنت أقعد مَعَ ابن عَبَّاسٍ)؛ بَيَّنَ الْمُصَنِّفُ فِي الْعِلْمِ مِنْ رِوَايَةِ غندر عَن شُعْبَة السَّبَب فِي إكرام ابن عَبَّاس لَهُ، وَلَفظه: (كنت أترجم بَين ابن عَبَّاس وَبَين النَّاس)؛ قَالَ ابن الصَّلَاحِ: أَصْلُ التَّرْجَمَةِ التَّعْبِيرُ عَنْ لُغَةٍ بِلُغَةٍ، وَهُوَ عِنْدِي هُنَا أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ كَانَ يبلغ كَلَام ابن عَبَّاسٍ إِلَىٰ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ، وَيُبَلِّغُهُ كَلَامَهُمْ؛ إِمَّا لِزِحَامٍ أَوْ لِقُصُورِ فَهْمٍ. قُلْتُ: الثَّانِي أَظْهَرُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ جَالِسًا مَعَهُ عَلَىٰ سَرِيرِهِ فَلَا فَرْقَ فِي الزِّحَامِ بَيْنَهُمَا، إِلَّا أَنْ يحمل علىٰ أَن ابن عَبَّاسٍ كَانَ فِي صَدْرِ السَّرِيرِ، وَكَانَ أَبُو جَمْرَةَ فِي طَرَفِهِ الَّذِي يَلِي مَنْ يُتَرْجِمُ عَنْهُمْ. وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا جَمْرَةَ كَانَ يَعْرِفُ الْفَارِسِيَّةَ فَكَانَ يُتَرْجِمُ لِابْنِ عَبَّاسٍ بِهَا. قَالَ الْقُرْطُبِيّ: فِيهِ دَلِيل علىٰ أَن ابن عَبَّاسٍ كَانَ يَكْتَفِي فِي التَّرْجَمَةِ بِوَاحِدٍ. قُلْتُ: وَقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَاخِرِ كِتَابِ الْأَحْكَام - كَمَا سَيَأْتِي -، واستنبط مِنْهُ ابن التِّينِ جَوَازَ أَخْذِ الْأُجْرَةِ عَلَىٰ التَّعْلِيمِ لِقَوْلِهِ: (حَتَّىٰ أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي)؛ وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ إِعْطَاؤُهُ ذَلِكَ كَانَ بِسَبَبِ الرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا فِي الْعُمْرَةِ قَبْلَ الْحَجِّ، كَمَا سَيَأْتِي عِنْدَ الْمُصَنِّفِ صَرِيحًا فِي الْحَجِّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ أَصْلٌ فِي اتِّخَاذِ الْمُحَدِّثِ الْمُسْتَمْلِي».

(٣) فتح الباري (١/ ١٣٠).

وأيضًا يروي عن ابن عباس شخص يقال له: أبو حمزة القصَّاب[1]، واسمه يشتبه باسم أبي جمرة من ناحية تقارب الرسم، وهذا من المؤتلف والمختلف.

وأبو حمزة القصاب هو الذي روى عن ابن عباس الحديث المتعلِّق بمعاوية: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**»[2]، الذي في «صحيح مسلم»، وهذا الحديث يعتبر محمَدة لمعاوية وليس مذمَّة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَىٰ رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَىٰ كَمَا يَرْضَىٰ الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ؛ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3][4].

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٧٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ؛ تَرْكُ**

---

(١) هو عمران بن أبي عطاء الأسدي بالولاء، أبو حمزة القصاب (بياع القصب) الواسطي، صدوق له أوهام، له حديث في صحيح مسلم. [انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٨/ ١٣٥)، وتقريب التهذيب (ص ٢٤٠)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢٣٩)].

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٩٥/ ٢٦٠٣)، عن أم سليم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٤) تقدم بيان ذلك بشيء من التفصيل، راجع ص (٣٤٢).

الصَّلَاةِ»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ؛ تَرْكُ الصَّلَاةِ»، وهذا يدلُّنا علىٰ عِظَم شأن الصلاة، وأن تركها كفرٌ، والمقصود بالترك: الترك تهاونًا وكسلًا وليس جحودًا؛ فإن من جحد ما هو أقل منها؛ فإنه يكفر باتفاق المسلمين وبإجماع العلماء؛ لا خلاف في ذلك، وإنما الكلام في الترك كسلًا وتهاونًا.

وهذا الحديث ممَّا استدلَّ به من قال بكفر تارك الصلاة، وأوضح ما يُستدل به علىٰ كفره أيضًا؛ الحديث الذي جاء في قتال الأمراء والخروج عليهم؛ فقد قال النبي ﷺ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»(٢)، وجاء حديث آخر ....

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٤/ ٨٢)، والترمذي (٢٦١٩)، والنسائي (٤٦٤)، وابن ماجه (١٠٧٨).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (٤٢/ ١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

....قال: «**لَا، مَا صَلَّوْا**»[(١)]، فدلَّ هذا علىٰ أنهم إذا لم يصلُّوا فقد حصل الكفر الذي عند الناس فيه من الله برهان.

وهو دالٌّ أيضًا علىٰ مقصود المصنف من إيراده في هذا الباب؛ من جهة أن الصلاة هي من جملة الأعمال، وهي داخلة في مسمىٰ الإيمان؛ لأن تركها يكون كفرًا الكفر المقابل للإيمان.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا أحمد بن حنبل)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (حدثنا وكيع)؛ هو وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا سفيان)؛ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي الزبير)؛ هو محمد بن مسلم بن تَدْرُس المكي، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن جابر)؛ هو جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الصحابي الجليل، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبيِّ ﷺ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٢/ ١٨٥٤)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا».

الأسئلة

السؤال: هل خلاف أهل السنة مع مرجئة الفقهاء خلاف لفظي؛ كما يقول شارح الطحاوية؟ وهل مرجئة الفقهاء خارجون عن دائرة أهل السنة والجماعة؟

الجواب: شارح الطحاوية يقول: إنه لفظيٌّ. رغم أنه - نفسه - قد أشار إلىٰ محاذير تتعلَّق بذلك؛ منها:

- أنه وسيلة إلىٰ القول المذموم؛ قول غلاة المرجئة.
- وهو أيضًا وسيلة إلىٰ التساهل في أمر الأعمال، وتهوين شأنها[1].

وهم ليسوا بخارجين عن دائرة أهل السنة والجماعة؛ هم من أهل السنة والجماعة، ولكنهم أخطئوا في هذا.

❁ ❁ ❁

(١) قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص ٣٢٠): «وَإِذَا كَانَ النِّزَاعُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ نِزَاعًا لَفْظِيًّا؛ فَلَا مَحْذُورَ فِيهِ، سِوَىٰ مَا يَحْصُلُ مِنْ عُدْوَانِ إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ وَالِافْتِرَاقِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَأَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ ذَرِيعَةً إِلَىٰ بِدَعِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ مِنْ أَهْلِ الْإِرْجَاءِ وَنَحْوِهِمْ، وَإِلَىٰ ظُهُورِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي؛ بِأَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ حَقًّا، كَامِلُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَلِي مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ! فَلَا يُبَالِي بِمَا يَكُونُ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي».

السؤال: مقالة: لو قال بلسانه الشهادتين، واعتقد بقلبه التوحيد، ولم يعمل خيرًا طيلة حياته، فلم يقم بواجب ولم يترك محرَّمًا؛ فهو مؤمن. هل هذه المقالة مقالة الإرجاء؟

الجواب: هذه المقالة لا شك أنها سيِّئة، ومعلوم أنه قد جاءت النصوص بأن ترك الصلاة كفر[(١)]، وقال عبد الله بن شَقِيق العُقَيْلِي[(٢)]: (كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ)[(٣)]، فمثل هذا القول يدلُّ علىٰ خلاف هذا الذي جاء عن الصحابة، ولا يقال: إن المقصود من ذلك الجحود؛ لأن الجحود كفر باتِّفاق وإجماع المسلمين، بل حتىٰ لو جحد ما هو دون الصلاة فإنه يكفر، والذي جاء عن الصحابة إنما هو في التهاون والكسل.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل الأعمال شرط كمال أو شرط صحة في الإيمان؟

الجواب: هي جزء منه، ومنها ما هو شرط كمال، ومنها ما هو شرط

---

(١) راجع شرح الحديث رقم (٤٦٧٨)، ص (٤٢٦).

(٢) تابعي، بصري، ثقة، لكن فيه نصب. [انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (٧/ ٩٠)، والتقريب (ص ٣٠٧)، وتاريخ دمشق (٢٩/ ١٥٦)، وميزان الاعتدال (٢/ ٤٣٩)].

(٣) صحيح موقوف: أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (رقم ٥٦٥): صحيح موقوف.

صحَّة؛ فمنها ما يحصل به الكمال، ومنها ما يحصل به الأساس مثل الصلاة؛ فإنَّ الصلاة لا يُقال: إن الإنسان إذا أتىٰ بها حصَّل كمالًا وإذا لم يأتِ بها لم يحصل شيئًا. وهذا علىٰ القول الصحيح بأن تركها كفر.

لكن الكمال في مثل النوافل، وأمَّا الفرائض فهي علىٰ سبيل الوجوب واللزوم، ولا بدَّ منها.

❁ ❁ ❁

السؤال: في هذه الأيام أصبحنا نسمع: أنَّ من ترك جنس العمل؛ فإنه يكفر. هل ورد هذا اللفظ في كلام السلف؟

الجواب: لا. ومعنىٰ (ترك جنس العمل)؛ أي: ترك أي عمل من الأعمال، وهذا هو معتقد الخوارج الذين يكفِّرون مرتكب الكبيرة.

بل الأعمال مثلها كمثل جسد الإنسان؛ فهي متفاوتة، فمنها أشياء إذا ذهبت لم يذهب الإيمان، ومنها أشياء إذا ذهبت ذهب الإيمان؛ فجسد الإنسان لو قطعت منه أصبعًا بقي الجسد، لكن لو قطع رأسه أو قطع منه شيء قاتل؛ فإنه يذهب.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل أجمع العلماء على أن ترك جنس العمل كفر. اعني بجنس العمل: من ترك جميع الأعمال سوى الشهادتين؟

الجواب: معنىٰ (ترك جنس العمل): أيّ عمل من الأعمال؛ أي ترك شيئًا

مما يقال عنه: عمل.

وأما إذا ترك العمل غير الشهادتين؛ فلا يقال فيه: ترك جنس العمل. وإنما: ترك العمل نهائيًّا، أو ترك كل الأعمال.

- أما قوله: هل أجمع العلماء على أن ترك جنس العمل كفر؟

فلا! كيف يكون ذلك والذين يقولون: إن ترك جنس العمل كفر. إنما هم الخوارج؟!

❋ ❋ ❋

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ

٤٦٧٩ – حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ مُضَرَ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَلَا دِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»، قَالَتْ: وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ شَهَادَةُ رَجُلٍ. وَأَمَّا نُقْصَانُ الدِّينِ: فَإِنَّ إِحْدَاكُنَّ تُفْطِرُ رَمَضَانَ، وَتُقِيمُ أَيَّامًا لَا تُصَلِّي»[(١)].

الشَّرح

تقدَّم في باب (رَدِّ الإِرْجَاءِ): أن أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وأنَّ أهل السنة وسط

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٢/ ٧٩)، وابن ماجه (٤٠٠٣)، وأحمد (٢/ ٦٦). وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وراجع الإرواء للألباني رقم (١٩٠).

بين المرجئة وبين المعتزلة والخوارج فيما يتعلَّق بأسماء الإيمان وأحكام الدنيا، وفيما يتعلق بالحكم في الآخرة.

ثم قال الإمام أبو داود: (بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ)، وأورد جملة من الأحاديث الدالَّة علىٰ ذلك، وقد قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالأَمْصَارِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي: أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ)[1]؛ ومجال زيادته الطاعة ومجال نقصه المعصية.

وقد أورد أبو داود حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَالَ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَلَا دِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ** - أي: لذي عقل - **مِنْكُنَّ** - أي: من النساء -»؛ فوصفهنَّ بنقص العقل والدين، **ومحل الشاهد منه:** نقص **الدين**؛ وفسر نقصان الدين هنا بأن المرأة يأتي عليها أيام لا تصلِّي ولا تصوم بسبب الحيض، وهذا - كما هو معلوم - ليس من قبلها، وليس الأمر في ذلك إليها؛ وإنَّما هذا شيء كتبه الله عليها، فهو بقضاء الله وقدره، وخلقه وإيجاده.

۞ نقص الإيمان قد يرجع لأمر باختيار الإنسان، أو لأمر قدَّره الله عليه:

هذا الحديث يدلُّ علىٰ أنَّ الرجل يزيد عليها بالأعمال في مثل هذه

---

(١) تقدم تخريجه.

المدَّة التي مُنِعَت فيها، وأما حديث: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ؛ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»(١)؛ فهو يتعلَّق بالأشياء التي كانت واجبة علىٰ الجميع – الرجال والنساء –، فإذا حصل شيء يمنع كالسفر أو المرض؛ فإن الله يكتب له مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم، وبناءً علىٰ هذا فيكون نقصان دينها إنما هو بالنسبة للرجال، فهم عندهم زيادة بالصلاة والصيام، وهن ليس عندهن هذه الزيادة.

والفرق بينهنَّ وبين الرجال: أن الرجال مستمرُّون في الصيام والصلاة؛ ولا يمنعهم من ذلك مانع إلا الأمور الطارئة التي تحصل للرجال والنساء؛ كالمرض والسفر، فعندهم إذًا زيادة في الأعمال في هذه المدة التي لا يصلي فيها النساء ولا يصمن؛ فيكون في ذلك زيادة عمل وثواب عند الله عَزَّوَجَلَّ.

فنقص الإيمان يكون بفعل المعاصي؛ وهذا يرجع إلىٰ إرادة الإنسان واختياره، ويكون بشيء لا يرجع إليه؛ كما جاء في هذا الحديث من كون النساء ناقصات عقل ودين.

وأمَّا نقصان العقل: فإن شهادتها بشهادة نصف رجل؛ كما جاء ذلك في القرآن: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٩٦)، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ وهذه المسألة – التي هي من أسباب نقصان العقل في حق النساء –؛ واحدة من خمس مسائل النساء فيهن علىٰ النصف من الرجال:

الأولىٰ: الشهادة: شهادة امرأتين بشهادة رجل.

الثانية: الميراث: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

الثالثة: العقيقة: فالغلام يُعَقُّ عنه بشاتين والجارية بشاة واحدة[(١)].

الرابعة: العتق: «مَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا؛ كَانَ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِئُ كُلُّ عَظْمٍ مِنْهُ بِكُلِّ عَظْمٍ مِنْهُ، وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ؛ كَانَتَا فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِئُ بِكُلِّ عَظْمَيْنِ مِنْهُمَا عَظْمٌ مِنْهُ»[(٢)].

الخامسة: الدية[(٣)].

والأصل هو التساوي بين الرجال والنساء في الأحكام، إلا إذا جاءت نصوص تفرق بينهما.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٨٣٤)، والنسائي (٤٢١٥)، وابن ماجه (٣١٦٢)، عَنْ أُمِّ كُرْزٍ الْكَعْبِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ»، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤١٠٦)، وجاء عن جماعة من الصحابة.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩٦٧)، وابن ماجه (٢٥٢٢)، عن كعب بن مرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٧٠٠).

(٣) قال ابن قدامة في «المغني» (٨/ ٤٠٢): «قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَىٰ أَنَّ دِيَةَ الْمَرْأَةِ نِصْفُ دِيَةِ الرَّجُلِ»، وانظر التمهيد لابن عبد البر (١٧/ ٣٥٨).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا أحمد بن عمرو بن السَّرْح)؛ هو المصري، وهو ثقة، أخرج حديثه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا ابن وهب)؛ هو عبد الله بن وهب المصري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن بكر بن مضر)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، إلا ابن ماجه.

قَوْلُهُ: (عن ابن الهاد)؛ هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن دينار)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن عمر)؛ هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الصحابي الجليل، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٨٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ؛ الْمَعْنَىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ

الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣](١).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث ابن عباس قال: «لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ»؛ أي: لما نسخ استقبال بيت المقدس وشُرع استقبال الكعبة؛ فاستقبل الرسول ﷺ الكعبة واستقبلها الناس معه، وكان ذلك بعد الهجرة بستة عشر شهرًا؛ عند ذلك قال جماعة من الصحابة: (كَيْفَ بِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ؟)(٢)؛ أي: ولم يصلوا إلىٰ هذه القبلة؟ **«فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]»**. والمقصود بالإيمان هنا: الصلاة؛ أي: صلاتكم إلىٰ البيت المقدس.

*** دلالة الحديث على الترجمة:**

في الحديث: إطلاق الإيمان علىٰ الصلاة؛ ففيه بيان أنَّ الأعمال داخلة

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩٦٤)، وأحمد (١/ ٢٩٥)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (١٧١٤)، وفي سنن أبي داود، وسنن الترمذي. وأخرجه البخاري بنحوه عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رقم (٤٠).

(٢) انظر: سنن الترمذي رقم (٢٩٦٤).

في مسمىٰ الإيمان.

وتظهر دلالة الحديث علىٰ زيادة الإيمان بالأعمال؛ في أن الذين كانوا يصلون إلىٰ بيت المقدس أولًا، وكتب الله لهم الحياة حتىٰ أدركوا الصلاة إلىٰ بيت الله المسجد الحرام فاستقبلوا القبلتين؛ كتب لهم أجر هذه وهذه، فإن عندهم زيادة في الأعمال علىٰ من مات قبلهم، ومعلوم أن الإنسان كلما طال عمره وحسن عمله[1]؛ فإن ذلك زيادة خير وثواب عند الله عَزَّوَجَلَّ. لكن قد جاء ما يدلُّ علىٰ أن السابقين الأولين ممن تقدَّم إسلامه، ونصر الرسول ﷺ؛ القليل منهم لا يساويه الكثير ممن جاء بعد ذلك ممن تأخَّر إسلامه؛ كما جاء في حديث: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابي»، وما جرىٰ بين خالد وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[2].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤٣٩): «فَإِنَّ الصَّلَاةَ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ، كَمَا دَخَلَتْ فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: أَيْ صَلَاتَكُمْ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، وقال (٣٥/ ٣٧): «وَالصَّلَاةُ أَوَّلُ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ، وَأَصْلُ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ؛ وَلِهَذَا سَمَّاهَا إِيمَانًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أَيْ صَلَاتَكُمْ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. هَكَذَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ».

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٢/ ٢٥٤١)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن سليمان الأنباري**)؛ صدوق، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**وعثمان بن أبي شيبة**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة، إلا الترمذي، وإلا النسائي؛ فإنه أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (**حدثنا وكيع**)؛ هو وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن سفيان**)؛ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن سِمَاك**)؛ هو ابن حرب، صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن عكرمة**)؛ مولىٰ ابن عباس، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن عباس**)؛ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عمِّ النبي ﷺ، وأحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٨١ - حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورَ، عَنْ

يَحْيَىٰ بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَىٰ لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»[(١)].

الشَّرح

وقوله: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ»؛ حذف فيه المفعول، وهو يقدَّر بـ(مَنْ) وبـ(مَا)؛ والمعنىٰ: أحبَّ لله من يحبه الله، وأحب لله ما يحبه الله، والمراد: من يحبه الله من الأشخاص، وما يحبه الله من الأعمال والأقوال.

فإذًا الحب يكون للأشخاص، وللأقوال والأفعال، التي يحبُّها الله ويرضىٰ بها.

وقوله: «وَأَبْغَضَ لِلَّهِ»؛ أي: أبغض من يبغضه الله، وأبغض ما يبغضه الله.

وفي حديث أنس بن مالك الذي في الصحيحين: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٣٠)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٣٤، رقم ٧٦١٣)، والأوسط (٩/ ٤١، رقم ٩٠٨٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ١٦٨)، وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣٨٠)، وصحيح الجامع رقم (٥٩٦٥).

يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّار»[١].

وفي حديث السَّبْعَةِ الَّذِين يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»[٢].

وقوله: «وَأَعْطَىٰ لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ»؛ أي: من أجل الله؛ فلا يريد بإعطائه الرياء ولا غير ذلك، وإنَّما يعطي من أجل الله؛ يرجو ثواب الله، ويخشىٰ عقاب الله، وكذلك يمنع وفقًا لما جاء عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فيكون إعطاؤه من أجل الله، ومنعه من أجل الله، وحبُّه من أجل الله، وبغضه من أجل الله؛ فيكون بذلك «قَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»؛ أي أتىٰ ما يحصل به كمال الإيمان.

فالحب والبغض من أعمال القلوب، والإعطاء والمنع من أعمال الجوارح، وكلها من الإيمان إذا كانت من أجل الله.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا مؤمل بن الفضل)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن شعيب بن شابور)؛ وهو صدوق صحيح الكتاب، أخرج له أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن يحيىٰ بن الحارث)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن القاسم)؛ هو القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي، وهو صدوق

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٦٧/ ٤٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (٩١/ ١٠٣١).

يُغْرِبُ كثيرًا، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن أبي أمامة)؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، مشهور بكنيته، واسمه: صُدَيُّ بن عجلان الباهلي ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٨٢ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[1].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أبي هريرة: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا؛ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»، وهذا يدلُّ علىٰ زيادة الإيمان؛ لأنه ذكر أنَّ ذلك هو أكمل المؤمنين إيمانًا، فمعنىٰ ذلك: أنَّ المؤمنين متفاوتون في الإيمان.

قَوْلُهُ: (أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)؛ وهذا يدلنا علىٰ فضل الخُلُق الكريم،

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٠)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٨٤).

والأخلاق الحسنة، وأن صاحبها يكون بهذه المنزلة الرفيعة التي بيَّنها رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهو أكمل المؤمنين إيمانًا؛ وذلك لأنه يعاملهم بالمعاملة الطيِّبة، ويخالق الناس بالمخالقة الحسنة، ويعامل الناس كما يحب أن يعاملوه، ومعلوم أن الإنسان يحب أن يعامله الناس معاملة طيِّبة، فعليه أيضًا أن يعامل غيره معاملة طيبة؛ فيحب لغيره ما يحب لنفسه، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1].

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن حنبل**)؛ هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيُّ، الإمام الفقيه المحدِّث، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا يحيىٰ بن سعيد**)؛ هو القطان البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن محمد بن عمرو**)؛ هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقَّاص اللَّيثي، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سلمة**)؛ هو ابن عبد الرحمن بن عوف المدني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١/ ٤٥)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأكثر أصحابه حديثًا عنه على الإطلاق.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٨٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنْهُمْ شَيْئًا؛ فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ»، حَتَّىٰ أَعَادَهَا سَعْدٌ ثَلَاثًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْ مُسْلِمٌ». ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ لَا أُعْطِيهِ شَيْئًا؛ مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ»(١).

الشرح

أورد أبو داود حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أعطى

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (٢٣٦/ ١٥٠)، وأخرجه النسائي (٤٩٩٢)، وأحمد (١/ ١٧٦).

رَسُولُ اللهِ ﷺ رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنْهُمْ شَيْئًا»، وهذا الذي لم يعط شيئًا كان أعجبهم إلىٰ سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ!»، فقال النبي ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ»، أي: أنه يُلَقِّنُهُ، ويريده أن يقول: مسلم. فأعاد، فأعاد عليه الرسول ﷺ ذلك، ثم إنَّ النبي ﷺ بيَّن السببَ، وأنه قد يعطي أشخاصًا وغيرهم أحب إليه من هؤلاء الذين أُعطوا؛ ذلك أن هؤلاء الذين أعطاهم إنما يعطيهم تألفًا وترغيبًا لهم في الإسلام، وخشيةَ أنْ يحصل منهم نفور وعدم إقبال علىٰ ذلك الخير الذي أمروا به وهو الإيمان؛ فيترتَّب علىٰ ذلك أن يُكَبُّوا في النار علىٰ وجوههم.

ولهذا لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَأَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَ كَثِيرَةً، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ - أي: الذين أسلموا حديثًا عامَ الفتح؛ تأليفًا لقلوبهم -، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا؛ إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فجمعهم الرسول ﷺ وتكلَّم معهم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ. أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُونَ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ؟! فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ»، فَقَالُوا: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ رَضِينَا. وقال: «لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا

وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ»(١)، فبين ﷺ أنه إنَّما يعطي لغرض ويمنع لغرض، وقال لهم تلك الكلمات الجميلة التي هي أحسن عندهم من الدرهم والدينار، ومن الإبل والغنم.

فكان ﷺ لا يعطي أناسًا؛ يَكِلُهم لما عندهم من قوة إيمان، ويعطي أناسًا كانوا حديثي عهد بالإسلام، وكان يريد أن يتألَّفهم.

فلما قال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ»، حَتَّىٰ أَعَادَهَا سَعْدٌ ثَلَاثًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْ مُسْلِمٌ»)؛ وذلك أنَّ الإيمان درجة كاملة عالية، والإسلام أقلُّ منها؛ فأراد أن يرشد إلىٰ الأصل الذي يشترك فيه جميع المسلمين؛ وهو أصل الإسلام، وأما الإيمان فهو أعلىٰ وأكمل من أصل الإسلام، أخص من الإسلام، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا، فقد يكون عنده الاستسلام والانقياد، ولكن لا يكون الإيمان متمكِّنًا من قلبه؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ عن الأعراب: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤]؛ أي: لم يتمكَّن الإيمان في قلوبهم، ومعنىٰ ذلك أن عندهم نقصًا وضعفًا، لكن عندهم الإسلام الذي هو الأصل، وأما الإيمان فهو شيء أعلىٰ من ذلك.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٣٣١)، ومسلم (١٢٣/ ١٠٥٩)، والبخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٣٩/ ١٠٦١)، عن عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ الفرق بين الإسلام والإيمان:

الإيمان أخصُّ من الإسلام، والإسلام أعمُّ من الإيمان؛ فكلُّ مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا؛ فقد يكون عند الإنسان استسلام وانقياد، ولكن ليس عنده تمكُّن في القلب؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن الأعراب: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]؛ أي لم يتمكَّن الإيمان من قلوبهم، ومعنىٰ ذلك أن عندهم ضعفًا ونقصًا، ولم يبلغوا الكمال، ولكن عندهم الأصل الذي هو الإسلام والذي من حصل منه واستسلم ظاهرًا؛ فقد عصم ماله ودمه، لكن الإيمان شيء أكثر وأعلىٰ من ذلك.

ولهذا قال الرسول ﷺ لسعد: «أَوْ مُسْلِمٌ»؛ إشارةً إلىٰ الحدِّ الذي ليس فيه إشكال، وليس فيه تزكية.

ولهذا كان السلف يستثنون في الإيمان؛ فإذا سُئل أحدهم: أنت مؤمن؟ يقول: (أنا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ)[(١)]. ولا يجزم، أو يقول: (آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله)[(٢)]. وهذا ليس شكًّا، ولكن بعدًا عن التزكية، فهو مسلم من

(١) جاء عن جماعة من السلف؛ منهم: مالك وأحمد وجرير بن عبد الحميد وسعيد بن عبد العزيز، والأوزاعي، والثوري. انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (رقم ٦٦٢، و٧٤٤)، والسنة للخلال (رقم ١٠٥١)، والإبانة لابن بطة (رقم ١١٠٣، و١١٩٢)، وغيرها.

(٢) جاء عن ابن مسعود، وطاوس، وإبراهيم النخعي، وأيوب السختياني، وأحمد، وغيرهم؛ انظر: =

أهل الإسلام، وأما الإيمان فهو كمال؛ فلا يدَّعيه لنفسه، ولا يزكِّي نفسه، ولكن يقول: أرجو. أو: إن شاء الله[(١)].

ولكن لا يقول: أنا مسلم إن شاء الله. وإنما يجزم؛ يقول: نعم؛ مسلم.

فالمحذور أن يقول الإنسان عن نفسه: أنا مؤمن. وكذلك إذا قال عن غيره؛ فيقول: مسلم. كما في هذا الحديث؛ فالنبي ﷺ قال ذلك عن غيره، لأن (مسلم) لا إشكال فيها، و(مؤمن) فيها إشكال، لكن إذا قالها على اعتبار أن عنده قوَّة إيمان، وأنه معروف بكثرة الأعمال الصالحة؛ فلا بأس.

۞ معنى الإيمان والإسلام إذا افترقا وإذا اجتمعا:

لفظا (الإيمان) و(الإسلام)؛ من الألفاظ التي إذا جُمع بينها في الذكر؛

جامع معمر بن راشد (رقم ٢٠١٠٨)، والإيمان للقاسم بن سلام (ص ٢٠، ٢١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٦٤٧، ٦٦٠)، وغيرها.

(١) قال البغوي (ت: ٥١٦) في «شرح السنة» (١/ ٤١): «وَكَرِهُوا أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا. بَلْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ. لَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ الشَّكِّ فِي إِيمَانِهِ وَاعْتِقَادِهِ مِنْ حَيْثُ عِلْمُهُ بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ فِيهِ عَلَىٰ يَقِينٍ وَبَصِيرَةٍ، بَلْ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْخَوْفِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَخَفَاءِ عِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ أَمْرَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ يَبْتَنِي عَلَىٰ مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ عَبْدِهِ، وَيَخْتِمُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، لَا عَلَىٰ مَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ، وَالاسْتِثْنَاءُ يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَفِيمَا خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، لَا فِيمَا مَضَىٰ وَظَهَرَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ فِي اللُّغَةِ لِمَنْ تَيَقَّنَ أَنَّهُ قَدْ أَكَلَ وَشَرِبَ أَنْ يَقُولَ: أَكَلْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَشَرِبْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَيَصِحُّ أَنْ يَقُولَ: آكُلُ وَأَشْرَبُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَلَوْ قَالَ: أَنَا مُؤْمِنٌ. مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ يَجُوزُ؛ لأَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، مُقِرٌّ بِهَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ».

فُرِّق بينها في المعنىٰ، وإذا انفرد أحدهما عن الآخر؛ شمل المعاني التي فُرِّقت عند الاجتماع:

- فإذا أطلق الإسلام شمل الأعمال الظاهرة والباطنة؛ مثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

- وإذا أطلق الإيمان شمل الأعمال الظاهرة والباطنة.

- وإذا جمع بينهما؛ فُسِّر الإيمان بالأعمال الباطنة، والإسلام بالأعمال الظاهرة؛ كما في حديث جبريل؛ لما سأله عن الإسلام قال: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، وهذه أمور ظاهرة. ولما سأله عن الإيمان قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١)، وهذه أمور باطنة.

وهذا مثل لفظي (الفقير) و(المسكين): إذا جمع بينهما في الذكر فسر الفقير بمعنًىٰ، والمسكين بمعنًىٰ، وإذا أُفْرِدَ أحدهما شمل المعنيين؛ فالله تعالىٰ جمع بين الفقير والمسكين في آية قَسْمِ الصدقات: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠]، فهما صنفان من ثمانية أصناف؛ فلمَّا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٨)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جمع بينهما في الذكر فرق بينهما في المعنىٰ، وفسر (الفقير): بأنه من ليس عنده شيء أصلًا. و(المسكين): بأنه الذي عنده شيء، ولكنه لا يكفيه؛ فهو أحسن حالًا من الفقير.

لكن إذا جاء لفظ (الفقير) مستقلًّا؛ فإنه يدخل تحته من ليس عنده شيء، ومن كان عنده شيء لا يكفيه؛ كما في حديث معاذ بن جبل: «فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ - أي: إلىٰ الصلاة -؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ»[1].

وكذلك لفظا (البر) و(التقوىٰ): فإذا جمع بينهما؛ فإن البرَّ يفسر بالأوامر المطلوبة، وتُفسَّر التقوىٰ بالمنهيات؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وأما إذا جاء لفظ (الْبِرِّ) وحده، ولفظ (التقوىٰ) وحده؛ فإن البر يشمل الأوامر والنواهي، والتقوىٰ تشمل الأوامر والنواهي؛ أي: أن الإنسان يتَّقي الله عَزَّوَجَلَّ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

علىٰ كلِّ حال: المشهور عند أهل السنة - كما عرفنا - هو التفريق بين الإسلام والإيمان، وأن الإيمان أكمل من الإسلام، وأعلىٰ درجةً منه، وبعضهم يقول: الإسلام هو الإيمان. واستدلُّوا بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (٢٩/ ١٩).

كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]؛ وهذه تتعلَّق بقوم لوط الذين استثنوا من الهلاك، فوصفوا بأنهم مسلمون ومؤمنون، إذًا فالإسلام هو الإيمان، لكن يقول ابن كثير: «وَهَذَا الِاسْتِدْلَالُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا قَوْمًا مُؤْمِنِينَ، وَعِنْدَنَا أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ، لَا يَنْعَكِسُ، فَاتَّفَقَ الِاسْمَانِ هَاهُنَا لِخُصُوصِيَّةِ الْحَالِ، وَلَا يَلْزَمُ ذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ»(١)؛ فهؤلاء المؤمنون وصفوا بأنهم مسلمون؛ لأن الإسلام يدخل في الإيمان، ومن كان مؤمنًا فإنه يصدق عليه أنه مسلم، لكن ليس كل مسلم يقال عنه: مؤمن. وهذا هو الذي نهىٰ الله عنه الأعراب حيث قال: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فهؤلاء الذين نجَّاهم الله مع لوط هم مؤمنون وفي نفس الوقت مسلمون؛ لأن كل مؤمن هو مسلم، فقد جمعوا بين هذين الوصفين، ولا يصح العكس فليس كل من كان مسلمًا يقال عنه: مؤمن. ولهذا أنكر علىٰ الأعراب قولهم: آمنَّا. وأُمِرُوا أن يقولوا: أسلمنا.

❁ المرتبة الثالثة: (مرتبة الإحسان):

وأما مرتبة الإحسان فهي أكملها، وهي أعلىٰ من الإيمان، وقد بيَّنه الرسول ﷺ في حديث جبريل بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٢)، فكما أنه: كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا؛

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٢).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

فكذلك: كل محسن مؤمن، وليس كل مؤمن محسنًا؛ لأنَّ الإحسان أخصُّ وأعلىٰ من درجة الإيمان.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن عبيد)؛ يحتمل أن يكون محمد بن عبيد بن حساب، ويحتمل أن يكون محمد بن عبيد المحاربي، وكلٌّ منهما محتجٌّ به، وقد مرَّ ذكرهما في مثل هذا الإسناد(١).

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن ثور)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (عن معمر)؛ هو ابن راشد الأزدي البصري ثم اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (وَأَخْبَرَنِي)؛ فجاء بالواو، والغالب في الأسانيد أن تأتي (أخبرني) بدون واو، وإيراد الواو هنا معناه: أنه حدَّثه بحديث آخر، ثم حدَّثه بهذا الحديث، فترك المعطوف عليه وأتىٰ بالمعطوف الذي هو المقصود وفيه محلُّ الشاهد.

فإذا جاءت مثل هذه الصيغة؛ فإن المقصود بها شيء محذوف دُلَّ عليه بهذه الواو العاطفة.

قَوْلُهُ: (الزهريُّ)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري،

---

(١) راجع ص(٣٠٩).

وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عامر بن سعد)؛ هو عامر بن سعد بن أبي وقَّاص، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ هو سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، منسوب إلىٰ أبيه بالكنية، واسم أبيه: مالك. وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

۞ ۞ ۞

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٨٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]؛ قَالَ: «نَرَىٰ أَنَّ الْإِسْلَامَ الْكَلِمَةُ، وَالْإِيمَانَ الْعَمَلُ»(١).

الشَّرح

قَوْلُهُ: (الْإِسْلَام الْكَلِمَةُ)؛ أي: القول والنطق والكلام؛ وأن الإنسان يدخل الإسلام بأن يشهد: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

---

(١) صحيح مقطوع: أخرجه ابن حبان (١/ ٣٨٠، رقم ١٦٣)، والحميدي في «مسنده» رقم (٦٩)، وغيرهما، تحت حديث سعد بن أبي وقاص السابق. وأخرجه مفردًا: عبد الله بن أحمد في السنة (٧٥٢)، والخلال في السنة (رقم ١٠٩٤) وغيرهما، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع. وصححه كذلك في «التعليقات الحسان» رقم (١٦٣).

وهذا هو الذي يظهر للناس، والبواطن علمها عند الله عَزَّوَجَلَّ.

فالإسلام يثبت للإنسان بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن لا يعني ذلك أنه يبقىٰ علىٰ هذا حتىٰ يموت عليه من غير أن يسجد لله سجدة، ولا أن يركع لله ركعة، فإذا جاء وقت الصلاة فإنه يُطالب بالصلاة، وإذا تركها تهاونًا أو كسلًا؛ فإنه يكون كافرًا، وأما الجحود فقد عرفنا أن أي جحد لأمر معلوم من دين الإسلام بالضرورة - ولو كان دون الصلاة بكثير -؛ فإن ذلك كله يكون كفرًا، وردة عن الإسلام.

قَوْلُهُ: (وَالْإِيمَان الْعَمَلُ)؛ أي: الإيمان يكون بالعمل؛ فيدخل فيه عمل القلوب؛ كالخشية والرجاء وما إلىٰ ذلك، وعمل الجوارح، ومعلوم أن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب؛ فإن الجوارح يكون بها التنفيذ؛ كما جاء في حديث النعمان بن بشير الذي أشرت إليه: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[1]، وكذلك قول الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ)[2].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٠٧/ ١٥٩٩).

(٢) جيِّد: أخرجه ابن بطة في الإبانة (رقم ١٠٩٣)، والبيهقي في الشعب (رقم ٦٥)، عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقطوعًا، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني (١٠٩٨).

❁ بيان المقصود بـ«الكلمة» و«العمل» في هذا الأثر:

وقوله: (الْإِسْلَام الْكَلِمَةُ)؛ وضَّح شيخ الإسلام ابن تيميَّة المراد منه في كتاب «الإيمان»[(١)]؛ فقال: «فإنه قد يراد به الكلمة بتوابعها من الأعمال الظاهرة، وهذا هو الإسلام الذي بيَّنه النبي ﷺ حيث قال: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»[(٢)].

وقد يراد به الكلمة فقط من غير فعل الواجبات الظاهرة، وليس هذا هو الذي جعله النبي ﷺ الإسلام».

وكذلك قوله: (وَالْإِيمَان الْعَمَلُ)؛ إذا كان المقصود بالإيمان العمل فقط دون أن يكون هناك شيء في القلوب؛ فليس هذا بصحيح، وأما إذا قيل: إن العمل يكون في القلوب ويكون في الجوارح؛ فهو كلام مستقيم.

❁ الإسناد: هذا أثرٌ مقطوع.

❁ فائدة: في الفرق بين المقطوع والمنقطع:

المقطوع: الذي ينتهي إلى التابعي أو من دونه، وهو من صفات المتون. وهو غير المنقطع؛ لأن المنقطع من صفات الأسانيد، وهو سقوط في أثناء الإسناد .

---

(١) ص (٢٠٣).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٨٥- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الْمَعْنَىٰ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَسَمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَسْمًا، فَقُلْتُ: أَعْطِ فُلَانًا؛ فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ. قَالَ: «**أَوْ مُسْلِمٌ. إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ الْعَطَاءَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُكَبَّ عَلَىٰ وَجْهِهِ**»[1].

الشرح

هذا الحديث من جنس الذي قبله.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن حنبل**)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الرزاق**)؛ عبد الرزاق بن همام الصنعاني اليماني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**ح وحدثنا إبراهيم بن بشار**)؛ وهو حافظ له أوهام، أخرج له أبو داود والترمذي.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه، راجع الحديث رقم (٤٦٨٣)، ص (٤٤٥)، وقد أورده أبو داود هنا من طريقين آخرين عن معمر؛ به.

قَوْلُهُ: (حدثنا سفيان)؛ هو ابن عيينة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا معمر، عن الزهري، عن عامر بن سعد، عن أبيه)؛ قد مرَّ ذكرهم جميعًا.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رحمه الله تعالى:

٤٦٨٦- حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخْبَرَنِي، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[1].

الشَّرح

هذا الحديث أورده المصنف في هذا الباب من أجل أنه ﷺ وصف ضرب المؤمنين بعضهم رقاب بعضهم: بأَنَّهُ كفرٌ.

❁ **وهو يحتمل وجهين:**

الوجه الأول: أن يراد به: أنه كفر مخرج من الملَّة، وينهاهم أن يرتدوا

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٤٠٣)، ومسلم (١٢٠/ ٦٦)، وأخرجه أيضًا: النسائي (٤١٢٥)، وابن ماجه (٣٩٤٣)، وأحمد (٢/ ٨٥)، وجاء كذلك عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم.

بعده، فيحصل مع ارتدادهم وكفرهم أن بعضهم يضرب رقاب بعض؛ فيكون المقصود بذلك ما حصل من بعض الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ وقاتلهم الصديق، بإرساله الجيوش لقتال المرتدين، وقُتل من قتل منهم علىٰ الردَّة؛ وهم المعنيون بما جاء في حديث الذود عن الحوض؛ قال النبي ﷺ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[١]؛ أي: أنهم ارتدوا وقُتلوا علىٰ الردَّة، وهؤلاء الذين رأوا النبي ﷺ وكانوا من أصحابه، ولكنهم أدركهم الخذلان وارتدوا عن الإسلام، وقاتلهم الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتل منهم من قتل علىٰ الردة، وعددهم يسير. ومنهم من رجع إلىٰ الإسلام.

وكان ذلك من أَجَلِّ أعماله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -؛ فقد بذل جهده في أن يرجع الناس إلىٰ ما كانوا عليه في زمن النبي ﷺ، وسعىٰ في إصلاح الخلل الداخلي، ثم بعد ذلك انتقل إلىٰ جهاد الكفار وغزوهم في بلادهم.

الوجه الثاني: أن يراد به: أنه كفر دون كفر، وأن في ذلك نقصًا للإيمان؛ فيكون المقصود به حصول مضاهاة[٢] ومشابهة الكفار الذين يسهل عليهم القتل؛ فإن من شأنهم التقاطع وقتل بعضهم بعضًا، وشأن المسلمين بخلاف ذلك؛ فهم متوادون ومتراحمون ومتعاطفون.

وهذا مقصود المصنِّف من إيراد هذا الحديث في: (باب زيادة الإيمان

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٣٢/ ٢٢٩٧)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: مُشَاكَلَة. انظر: مختار الصحاح (ص ١٨٦).

ونقصانه)؛ علىٰ اعتبار أن هذا الفعل ليس ردَّة، ولا يتعلق بالمرتدين، وإنَّما يتعلق بالمسلمين الذين يحصل منهم التقاتل بغير حق، وهو من قبيل النقص في الإيمان.

كما في الحديث: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[1]، والمقصود من ذلك أنه كفر دون كفر؛ فهذا من قبيل المعاصي الكبيرة، ومعلوم أن الذنب الذي يوصف بأنه كفر يكون من أكبر الكبائر، ومن أخطر الأشياء؛ لأن وصفه بأنه كفر يدل علىٰ خطر شأنه وعظمته.

قال الخطابي عن هذا الحديث: «هذا يتأول علىٰ وجهين: أحدهما: أن يكون معنىٰ الكفار: المتكفرين بالسلاح، يقال: تكفر الرجل بسلاحه؛ إذا لبسه، فكفر به نفسه؛ أي: سترها. وأصل الكفر: الستر، ويقال: سمِّي الكافر كافرًا لستره نعمة الله عليه، أو لستره علىٰ نفسه شواهد ربوبية الله ودلائل توحيده»[2]؛ هذا هو المعنىٰ اللغوي؛ لكن كونه يتكفر بالسلاح أو يستتر به، أو يحمله؛ هذا لا يكفي، ولكن المراد ما يئول أمره إليه من كونه يفعل ذلك مستعدًا للقتل، فيحصل منه القتل، وأما مجرد سَتْر نفسه بالسلاح، لبس السلاح؛ فمجرد هذا لا يكفي بأن يقال عنه: إنه ذنب، وإنه منهي عنه. فالسلاح يلبس عند الحاجة إليه ولا يصير مذمومًا، ولكن إذا آل ذلك إلىٰ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (١١٦/ ٦٤)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) معالم السنن (٤/ ٣١٦)، ونقله في «العون» (١٢/ ٢٨٨).

أمر لا يسوغ، أو أنه فعله استعدادًا لفعل أمر لا يسوغ؛ فالعبرة بهذه النهاية، لا بمجرد اللبس فقط، وكون المعنىٰ اللغوي للكفر أنه الستر لا يكفي في أن يكون هو المقصود.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو الوليد الطيالسي)؛ هو هشام بن عبد الملك الطيالسي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا شعبة)؛ هو شعبة بن الحجاج الواسطي ثم البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (واقد بن عبد الله أخبرني)؛ هو واقد بن عبد الله بن محمد بن زيد العدوي، وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

وهذا فيه تأخير صيغة الأداء عن الراوي أو المحدث؛ فبدلًا من أن يقول: (أخبرني واقد بن عبد الله)؛ قال: **(واقد بن عبد الله أخبرني)**، ومعروف عن شعبة أنه كان يقدم الراوي علىٰ الصيغة أحيانًا.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ)؛ هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الصحابي الجليل، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس. وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ، وهم: أبو هريرة وابن

عمر وابن عباس وأبو سعيد وأنس وجابر وأم المؤمنين عائشة؛ فهم إذًا ستة رجال وامرأة واحدة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن الصحابة أجمعين -.

❁ فائدة: تقديم بعض العلماء المتن وتأخير السند:

بعض العلماء كان يقدِّم المتن ويؤخر السند، وهذا الأسلوب كان يستعمله ابن خزيمة[1]، وقد جاء عنه أنه حَرَّجَ عَلَىٰ مَنْ يُغَيِّرُ هَذِهِ الصِّيغَةَ الْمُصْطَلَحَ عَلَيْهَا إِذَا أَخْرَجَ مِنْهُ شَيْئًا عَلَىٰ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ؛ أي: يروي عنه كما روىٰ، وكما جاء عنه.

وجاء عند البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في مواضع قليلة تقديم المتن وتأخير الإسناد:

مثلما فعل في «كتاب العلم» من «صحيحه»؛ في أثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فيه: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!»[2].

وكذلك فعل أيضًا في «كتاب التفسير» من «صحيحه»، في أول تفسير سورة فصلت[3]؛ فإنه ذكر أثرًا طويلًا عن ابن عباس، فأتىٰ بالمتن أولًا ثم أتىٰ بالإسناد في آخره.

---

(١) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر السلمي النيسابوري، الشافعي، الحافظ، إمام الأئمة، صاحب التصانيف؛ منها: الصحيح، كتاب التوحيد؛ ولد سنة ٢٢٢، وتوفي سنة ٣١١. انظر ترجمته في: السير (١١/ ٢٢٥)، وطبقات الحفاظ (١/ ٣١٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٧)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٧).

وقال الحافظ ابن حجر: «وَفِي مُغَايَرَةِ الْبُخَارِيِّ سِيَاقَ الْإِسْنَادِ عَنْ تَرْتِيبِهِ الْمَعْهُودِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ شَرْطِهِ، وَإِنْ صَارَتْ صُورَتُهُ صُورَةَ الْمَوْصُولِ»؛ أي: مثل هذه الصيغة، ثم ذكر كلام ابن خزيمة وطريقته، وأنه يمنع أن تُغيَّر طريقته عند النقل منه، بل ينبَّه علىٰ ما حصل منه من التقديم والتأخير. وهذا الأثر والكلام الذي ذكره الحافظ ابن حجر؛ في كتاب التفسير، في الجزء الثامن من «فتح الباري»[1].

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٨٧- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلًا مُسْلِمًا؛ فَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَإِلَّا كَانَ هُوَ الْكَافِرُ**»[2].

الشَّرْح

أورد المصنف حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلًا مُسْلِمًا؛ فَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَإِلَّا كَانَ هُوَ الْكَافِرُ»؛ أي: إذا كان المقول له

---

(١) (٨/ ٥٥٩).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٣٦٨، رقم ٢٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٤٤٩٣)، وفي التوسل ص (٧٨). وأخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (١١١/ ٦٠) بلفظ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**».

ذلك كافرًا، أي: حصل منه كفر؛ فإنَّ الكلام يكون صحيحًا مطابقًا للواقع، وأما إذا لم يكن كذلك، ولم يكن المخاطب كافرًا؛ فإن الكفر يعود على القائل ويحور عليه[1]؛ فيكون هو الكافر، ومعنى ذلك: أنه يرجع عليه إثمه ومغبَّته، لا أنه يكون كافرًا خارجًا من الإسلام بمجرد أنه قال هذه الكلمة.

فهذا فيه وعيد شديد، وبيان أن ذلك الأمر ليس بالهين، وأن التكفير ليس أمرًا سهلًا، وإنَّما هو صعب وخطير، ولا ينبغي التهاون والتساهل فيه، ولا ينبغي للإنسان أنْ يتكلَّم فيه بغير علم.

ومثل هذا مسألة الاتِّهام بالتبديع والتفسيق؛ فمن قال لأحد: يا فاسق. ولم يكن كذلك؛ فإنه يحور عليه، ويرجع إثمه عليه.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا عثمان بن أبي شيبة**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، إلَّا الترمذي، وإلا النسائي فأخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (**حدثنا جرير**)؛ هو جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن فضيل بن غزوان**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) أي: يرجع عليه. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٢٠)، والقاموس المحيط (ص ٣٨١)، مادة: (ح و ر). وفي «صحيح مسلم» (١١٢/ ٦١)، من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ».

قَوْلُهُ: (عن نافع)؛ هو مولىٰ ابن عمر، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن عمر)؛ وقد مرَّ ذكره في الحديث الذي قبل هذا.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٨٨ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أن النبي ﷺ قال «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (١٠٦/٥٨)، وأخرجه الترمذي (٢٦٣٢)، والنسائي (٥٠٢٠)، وأحمد (٢/ ١٨٩).

حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، وهذه الأمور كلها من النفاق العملي، وليست من النفاق الاعتقادي، لكن من أتىٰ بهذه الأمور مستحلًّا لها؛ فإنه يكون كافرًا بهذا الاستحلال.

أمَّا النفاق الاعتقاديُّ: فهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وأهله في الدرك الأسفل من النار، فلما كان للإسلام قوة وصولة وشوكة لم يستطيعوا أن يظهروا ما في بواطنهم؛ فلجئوا إلىٰ أن يتظاهروا بالإسلام، وهم يبطنون الكفر، كما ذكر الله عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

وقوله: (مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ)؛ أي: أنَّ من كانت هذه الأمور مجتمعة فيه؛ فقد وصل إلىٰ حدٍّ عظيم فيما يتعلق بهذا الوصف؛ فيكون منافقًا خالصًا في النفاق العملي وليس الاعتقادي، فلا يكون كافرًا بمجرد اتصافه بهذه الصفات الذَّمِيمة، ولكن يكون عنده تمكُّن في النفاق. ومن وجدت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق.

ويكفر العبد - كما قلنا - باستحلال هذه الخصال الذميمة، فمن استحلَّ الكذب - في غير ما لا يسوغ فيه الكذب -؛ فإنه يكفر.

وأمَّا ما جاء فيه جواز الكذب، سواء كان صريحًا أو تلويحًا، مثل ما جاء في حديث أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قَالَتْ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَذِبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ؛ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا أَعُدُّهُ كَاذِبًا: الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ؛ يَقُولُ الْقَوْلَ وَلَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الْإِصْلَاحَ. وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا»[1]، فلا بأس بذلك، وأمَّا استحلال الكذب مطلقًا فلا شك أنه كفر.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة**)؛ هو عبد الله بن محمد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة، إلا الترمذي.

❁ فائدة: إكثار مسلم في الرواية عن أبي بكر بن أبي شيبة:

وأبو بكر بن أبي شيبة أكثر عنه الإمام مسلم؛ فلم يروِ عن أحد أكثر ممَّا روىٰ عنه، فقد قيل: إنه روىٰ عنه أكثر من ألف وخمسمائة حديث. ولهذا فالذي يقرأ في «صحيح مسلم» لا يكاد يفتح صفحة أو صفحات قليلة إلَّا ويمرُّ به أبو بكر بن أبي شيبة، ويليه: زهير بن حرب أبو خيثمة؛ فإنه روىٰ عنه أكثر من ألف ومائتي حديث.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله بن نمير**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا الأعمش**)؛ هو سليمان بن مهران الكاهلي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٧٠).

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن مرة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن مسروق)؛ هو ابن الأجدع، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن عمرو)؛ هو عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٨٩- حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْأَنْطَاكِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**»[1].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (١٠٠/ ٥٧)، وأخرجه الترمذي (٢٦٢٥)، والنسائي (٤٨٧٠)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، وأحمد (٢/ ٣٧٦).

يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ».

وهذا الحديث من الأحاديث التي أوردها أبو داود في (بَاب الدَّلِيلِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ)؛ ففيه دليل علىٰ نقص الإيمان.

۞ حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة:

قَوْلُهُ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ...»؛ أي: أنه عند مواقعته المعصية لا يكون كامل الإيمان، بل عنده نقص وضعف في الإيمان.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ مُؤْمِنٌ»؛ أي: أنه عندما يحصل منه الزنا؛ فإنه ينقص الإيمان؛ لوقوعه في المعصية؛ فيقع النقص في الإيمان من حين يبدأ بالمعصية، إلىٰ أن يتوب منها، ولا ينتفي عنه الإيمان حتىٰ يكون كافرًا خارجًا من الإسلام، بل يكون إيمانه بسبب الفاحشة أنقص مما كان عليه قبل أن يفعل الفاحشة.

وليس عدم زوال الإيمان بالمعصية أنه يسلم من مغبَّتها[١]؛ فقد يكون لتلك المعصية حد في الدنيا، وإن أقيم عليه الحد كان كفارة له، وإن لم يقم عليه الحد؛ فإنَّ أمره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فإن كان تاب منها فالله تعالىٰ يتوب علىٰ من تاب؛ ولهذا قال في آخر الحديث: «وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»؛ أي: بعد هذا الذي حصل من ارتكاب المعصية، ما لم يغرغر[٢]؛ أي: عند النَّزع، فإن

---

(١) أي: عاقبتها. انظر: لسان العرب (١/ ٦٣٥)، والقاموس المحيط (ص١١٩).

(٢) كما أخرج الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ =

حياة الإنسان كلها قبل ذلك وقت للتوبة، والتوبة مقبولة.

وإن التوبة تجبُّ ما قبلها؛ فالشرك - وهو أعظم الظلم، وأبطل الباطل - إذا تاب الكافر منه؛ تاب الله عليه، فكذلك ما دونه.

وإن مات علىٰ تلك المعصية والجريمة؛ فإن أمره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه وأدخله النار، ولكنه إذا أدخله النار فإنَّه لا يخلِّده فيها، بل يخرجه منها ويدخله الجنة. ولا يبقىٰ في النار أبد الآباد إلا الكفار الذين هم أهلها، سواء كانوا كفارًا أصليين، أو مرتدين، أو منافقين نفاقًا اعتقاديًّا الذين هم في الدرك الأسفل من النار؛ فإن أولئك هم الذين يبقون فيها إلىٰ غير نهاية.

يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فكلُّ ذنبٍ دون الشرك فهو تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا مذهب أهل السنَّة والجماعة؛ فهم يعدون صاحب الكبيرة فاسقًا، ولا يخرجونه من الإسلام، ولا يجزمون بعذابه، وإذا عُذِّب لا يقولون بتخليده، بل أمره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: إن شاء عفا عنه ولم يعذبه، وإن شاء عذبه، ولكنه إذا عذَّبه بالنار؛ فلابد أن يخرجه من النار، ومآله إلىٰ الجنة.

=

يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٠٣)، قال في النهاية (٣/ ٣٦٠): «أيْ: مَا لَمْ تَبْلغ رُوحُه حُلْقومَه، فَيكُونَ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الَّذِي يَتَغَرْغَرُ بِهِ الْمَرِيضُ. والغَرْغَرَة: أنْ يُجْعَل المشْروبُ فِي الْفَمِ ويُرَدَّد إِلَىٰ أصْل الْحَلق وَلَا يُبْلَع».

❁ **حكم مرتكب الكبيرة عند الخوارج والمعتزلة:**

وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة:

- **أمّا الخوارج**: فإنهم يقولون بكفر الزاني وغير الزاني ممن ارتكب الفواحش والمحرمات، ويقولون بتخليده في النار إلىٰ غير نهاية.

- **وأمّا المعتزلة فيقولون**: إنه خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين منزلة الإيمان والكفر! ولكن في النهاية قولهم مطابق لقول الخوارج بأنه خالد مخلد في النار.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو صالح الأنطاكي**)؛ هو محبوب بن موسىٰ، وهو صدوق، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا أبو إسحاق الفزاري**)؛ هو إبراهيم بن محمد بن الحارث، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الأعمش)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (عن أبي صالح)؛ واسمه ذكوان، ولقبه السَّمان، ويلقب أيضًا بـ«الزيات»؛ نسبةً إلىٰ بيع السمن والزيت؛ لأنه كان يجلب السمن والزيت ويبيعهما، فيقال له: السمان، ويقال له: الزيات. وهذه نسبة إلىٰ الحرفة، كما يقال: نجار وحداد وخباز...

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

صاحب رسول الله ﷺ، وهو أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثًا على الإطلاق.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٤٦٩٠- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُوَيْدٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا نَافِعٌ - يَعْنِي: ابْنَ زَيْدٍ -، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ؛ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيَّ حَدَّثَهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»**.

الشرح

قَوْلُهُ: «فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»، أي: انتهى وفرغ أو أقلع عن الزنا؛ فإنه يرجع إليه، وهذا فيه وعيد شديد للزُّناة، فالزنى أمره خطير، وشأنه عظيم.

لكن - كما هو معلوم - هذا لا يعني أن الزاني يكفر في حال زناه، فالأحاديث الأخرى تبيِّن أنه مرتكب كبيرة، وأن أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن التوبة معروضة بعد.

فلا يقال: أنه كافر، أو ليس بمسلم. ولكن انحطَّ إيمانه حتى ضَعُفَ جدًّا.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا إسحاق بن سويد الرملي**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا ابن أبي مريم**)؛ هو سعيد بن أبي مريم، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا نافع - يعني: ابن زيد**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثني ابن الهاد**)؛ هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أن سعيد بن أبي سعيد المقبري**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي هريرة**)؛ قد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

الأسئلة

السؤال: هل ورد الاستثناء في الإسلام؟

الجواب: لا أدري، بل الإنسان يقول: أنا مسلم. ولا يستثني في ذلك، لكنْ جاء في بعض النصوص ما يدلُّ علىٰ أن الإسلام يتفاوت في الإطلاق، فقد قال ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[1]؛ أي: المسلم الكامل، لكن لا نعلم أنه ورد الاستثناء في الإسلام، ويمكن أن يلاحظ المعنىٰ الذي جاء في قوله: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»؛ أن المقصود المسلم الكامل، فيكون التفاوت فيه من جنس التفاوت في الإيمان، لكن المعروف أن الإسلام هو الدرجة الدنيا، وهي الدرجة التي يتميز بها عن الكفار، ويكون الإنسان بها من المسلمين، والمسلمون يتفاوتون؛ فمنهم من يكون كامل الإيمان فيقال له: مؤمن. ومنهم من يكون دون ذلك؛ فيقال له: مسلم. ولا يقال له: مؤمن. كما قال الله تعالىٰ في حق الأعراب: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٦٤/ ٤٠)، عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ والبخاري (١١)، ومسلم (٦٦/ ٤٢)، عن أبي موسىٰ؛ وأخرجه مسلم (٦٥/ ٤١)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السؤال: ما صحة هذه العبارة: يقول الخطابي: «وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلمًا في الظاهر غير منقاد في الباطن، ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر»(١)؟

الجواب: قد يكون العبد مستسلمًا في الظاهر، وليس عنده الكمال في الباطن، وهذا هو الذي جاء في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤]؛ أي: لم يتمكَّن في القلوب، وإن كان الأصل موجودًا؛ وهو الإسلام، وإذا وجد الاستسلام والانقياد في الباطن؛ فإنه يتبَعُه الاستسلام في الظاهر؛ لأنَّ الأمر كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث النعمان بن بشير: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(٢)، وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ)(٣).

۞ ۞ ۞

السؤال: هل لفظ الكفر والشرك من الألفاظ التي نقول فيها: إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت؟

---

(١) معالم السنن (٤/ ٣١٥)، ونقله في العون (١٢/ ٢٨٨).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

الجواب: لفظتا الكفر والشرك بينهما فرق ولو لم يجتمعا، فالكفر أعم من الشرك؛ حيث إن الشرك يطلق علىٰ ما إذا عُبد مع الله غيره، وجُعل لله شريك في العبادة. وأما الكفر فإنه يطلق علىٰ أمور كثيرة يدخل فيها الشرك، فبينهما إذًا عموم وخصوص مطلق؛ فكل شرك كفر، وليس كل كفر شركًا؛ لأن الشرك هو دعوة غير الله معه، لكن قد لا يدعو غير الله معه ولكنه يأتي بمكفر آخر؛ كأن يسب الرسول ﷺ، أو يسب الله تعالىٰ، أو يجحد أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة كالزكاة مثلًا، أو يستحل محرمًا معلومًا من الدين بالضرورة كالزنىٰ؛ فهذا مكفِّر، ولكن لا يقال له: شرك.

❁ ❁ ❁

السؤال: قول: ليس كل مسلم مؤمنًا. هل المراد أنه ليس مؤمنًا أصلاً، أم أنه لابد من قدر مجزئ من الإيمان؟

الجواب: أصل الإيمان موجود، ولهذا قالوا: إن من جاء عنهم من السلف عدم الاستثناء في الإيمان؛ فإنهم يقصدون بذلك أصل الإيمان، ولا يقصدون بذلك التزْكية وأنهم كاملو الإيمان.

فمن جاء عنه عدم الاستثناء فيحمل كلامه علىٰ الأصل؛ وهو الإسلام، ولا يحمل علىٰ التزكية.

❁ ❁ ❁

السؤال: عندنا رجل ينتقد سلف الأمة بالإهمال والتقصير في تدوين التاريخ الإسلامي، فيقول: وهذا بعكس أهل الغرب الذين دونوا تاريخهم. ويطعن أيضًا في أهل السنة حيث إنهم يروون عن الضعفاء والمتروكين والروافض، فلم يصححوا تلك المرويات التاريخية، فأصبح للمسلمين تاريخ غير ثابت؛ فما نصيحتكم لنا تجاه هذا الرجل، وهو يدرِّسنا فهو أستاذ لنا في الجامعة؟

الجواب: هذا الكلام كلام باطل وغير صحيح، ومعلوم أن العلم قد دُوِّن، والتاريخ منه ما دون بالأسانيد، ومنه ما جاء بغير أسانيد، ولكن الثبوت لا يعتبر إلا بصحَّة الأسانيد، وما لم تصح أسانيده فلا يعتبر ثابتًا ولا يعول عليه، ولكن يمكن أن يذكر على سبيل الحكاية وما إلى ذلك.

وأما رواية سلف هذه الأمة عن بعض أهل البدع؛ فإنما هي في شيء لا يتعلق ببدعهم، أو أن غيرهم تابعهم على ذلك، ولم تقبل روايتهم على سبيل الاستقلال، وأما الرواية عمن فيه تشيع أو غيره من البدع؛ فهذا حاصل، لكن حديث المبتدع الذي يتعلق بالبدع فإنهم يجتنبونه.

وبين العلماء أحوال هؤلاء الذين تُكُلِّم فيهم من هذه الناحية، وبينوا الاعتذار عمَّن روى عنهم - كما ذكر آنفًا -.

والحاصل: أنَّ الواجب على كل مسلم أن يحفظ لسانه عن أن يتكلَّم في علماء أهل السنَّة والجماعة بما لا ينبغي، بل عليه أن يُحسن الظنَّ بهم، وأن

يعتقد أنهم قد بذلوا جهودًا عظيمة مضنية، حفظ الله تعالىٰ بها ما جاء عنه سبحانه، وعن رسوله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، ورضي الله تعالىٰ عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان -. والكلام في علماء أهل السنة ضرره كبير علىٰ المتكلم به، كما قال الطحاوي في «عقيدة أهل السنة والجماعة»: «وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ؛ لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فهو علىٰ غير السبيل»[1].

ثم هذا الذي يتكلَّم بمثل هذا الكلام، ماذا قدم للإسلام؟! كل ما قدم أنه جنىٰ علىٰ نفسه بأن تكلم وقدح في علماء أهل السنة والجماعة بمثل هذا القدح، وغالبًا فإن مثل هؤلاء الذين يتكلمون في مثل هذا الشيء؛ يعود عليهم مضرته، ولا يأتون بشيء تعود عليهم منفعته.

❁ ❁ ❁

السؤال: سؤال عن خروج النساء مع جماعة التبليغ، وهو خروج المرأة لمدة ثلاثة أيام من منزلها مع مجموعة من النساء في بلد من البلدان داخل مصر، وأما أزواجهن فيكونون في مسجد قريب.

الجواب: النساء مأمورات بالقرار في البيوت، والاستقامة علىٰ طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وأما هذا الخروج الذي انتهجته هذه الجماعة؛ فهؤلاء

(١) متن الطحاوية (ص ٨٢)، وانظره مع شرح الطحاوية (ص ٥٠٣).

الذين يخرجون بهذه الطريقة؛ مفتقرون إلىٰ العلم، ومفتقرون إلىٰ معرفة التوحيد غالبًا؛ فهم لا يعنون بالتوحيد، ولا يعنون بالاشتغال بالعلم، ولهذا يأتون إلىٰ العامي الذي لا يعرف شيئًا ويطلبون منه الخروج إلىٰ الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهو نفسه بحاجة إلىٰ دعوة! والذي ينبغي عليهم وعلىٰ غيرهم: أن يتفقهوا في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يتعلَّموا العلم النافع والتوحيد، وأن يدعوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ بصيرة. وهذه المرأة عليها أن تناصح زوجها بأن يبقىٰ معها وألا يخرج معهم، فيبقىٰ هو وإياها يتعاونان علىٰ تربية الأولاد، وأما أن يخرج هو ويضيع أهله، أو يطلب من أهله أن تخرج أيضًا معه؛ فإن هذا الخروج ليس بصحيح، وتفقه الإنسان في دين الله عَزَّوَجَلَّ، ومحافظته علىٰ أهله وعلىٰ أولاده؛ أفضل من أن يخرج وهو جاهل، ولا يحصل من وراء هذا الذهاب إلا أن يضيع أهله وأولاده.

فالحاصل: أن علىٰ هذه المرأة أن تنصح زوجها بأن يترك الخروج معهم، وأن يبقىٰ معها، وأن يحرصوا علىٰ التفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ تربية الأولاد تربية طيبة.

❊ ❊ ❊

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بَابٌ فِي الْقَدَرِ

الشرح

قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَابٌ فِي الْقَدَرِ»؛ وقد جاء في حديث جبريل المشهور أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة؛ حيث سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان، فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1]، وسيأتي الحديث.

والقدر هو سر من أسرار الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه، لا يعلمه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا لا يُتعمَّق في الأسئلة عنه؛ لأن التعمق فيه - كما قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ - ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ[2]. فعلى العبد أن يؤمن بما جاءت به

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) متن الطحاوية (ص ٤٩، ٥٠)؛ قال: (وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛ فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ =

النصوص، وأن يعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكيم في قدره، وحكيم في شرعه، وأنه تعالىٰ يقدر الأمور لحكمة، كما أنه يشرع ما يشرع لحكمة.

❁ موقف المسلم من القدر:

قبل الفعل: الأخذ بالأسباب مع الاستعانة والتوكل على الله:

والإنسان في باب القدر يأخذ بالسائغ والمشروع له؛ فيأخذ بالأسباب التي تؤدي إلىٰ السعادة في الدنيا والآخرة، ويستعين بالله عَزَّوَجَلَّ علىٰ تحصيل ما يريد من الخير، ولا يعول علىٰ الأسباب ويغفل عن مسبِّب الأسباب، كما أنه لا يُهمل الأسباب ويزعم أنه متوكِّلٌ علىٰ الله، وأن الله إذا قدّر له شيئًا فإنه سيأتي إليه وإن لم يفعل السبب؛ فكل هذا لا يسوغ، وإنما عليه أن يأخذ بالسبب، ويسأل الله أن ينفع به؛ كما جاء في حديث أبي هريرة في «صحيح مسلم»: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ...**»[1]، فأمر

=

الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ؛ كَمَا قال الله تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتاب؛ كان من الكافرين)، وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشية متن الطحاوية: «وهذا التعمق هو المراد - والله أعلم - بقوله ﷺ: «... وإذا ذكر القدر فأمسكوا». وهو حديث صحيح، روي عن جمع من الصحابة، وقد خرجته في «الصحيحة» (٣٤)»

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

بالجمع بين شيئين:

- فعْل الأسباب.

- والاستعانة بمسبِّب الأسباب وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلا يأخذ بالأسباب ويغفل عن الله عَزَّوَجَلَّ، ويزعم أن هذه أمور مادية، فإذا وجد كذا وجد بسببه كذا، هذا لا يصح؛ بل الأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فقد يوجد السَّبب، ولكن لا يشاء الله وجود المسبَّب؛ فالإنسان يزرع ليحصل الزرع والفائدة، وقد يزرع ولا يحصل المقصود؛ لأنه قد تصيبه آفة، وقد يتزوج الإنسان لتحصيل الولد، وقد لا يأتيه ولد مع أنه قد فعل السبب؛ إذًا لابد مع فعل السبب من التوكل والاعتماد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وسؤاله أن ينفع بالسبب.

وكذلك لا يهمل الإنسان السبب ويقعد في بيته، ويقول: لا أبحث عن الرزق؛ لأنه لو كان الله قد كتب لي شيئًا، فسيأتيني إلىٰ بيتي ولو لم أخرج! فهذا أيضًا أمر لا يسوغ، بل علىٰ الإنسان أن يفعل السبب لكن لا يعتمد عليه؛ فهناك شيء وراء الأسباب وهو توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس السبب هو كل شيء؛ لذلك فإن التوكل الحقيقي هو الذي يكون فيه الأخذ بالأسباب، وأما التوكل بدون أخذ الأسباب فهو تواكل وليس بتوكل، وهذا مثل فعل الجماعة الذين كانوا يحجون ولا يأخذون زادًا، ويقولون: نحن المتوكلون. وإذا سافروا سألوا الناس، أو تحرّوا من الناس أن يحسنوا إليهم، وقد تركوا أموالهم في بلدانهم؛ فتصير حقيقتهم أنهم مُتَأَكِّلُون، وليسوا

بالمتوكلين[1]، وقد قال الرسول ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[2]. أي: أنها لم تجلس في أوكارها وتنتظر إلىٰ أن يأتيها رزقها إليها، وإنما تراها إذا أصبحت خرجت من أوكارها «خِمَاصًا»؛ خامصة البطون، أي: فارغة البطون، «وَتَرُوحُ بِطَانًا»؛ أي: وترجع ممتلئة البطون؛ فهي قد أخذت بالأسباب.

❁ **بعد الفعل: التسليم لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:**

ثم إذا فعل الإنسان ما يقدر عليه؛ فلا يقل إذا فاته ما أراد: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[3]، أي: أن هذا الذي وقع هو قدر الله.

قَوْلُهُ: «**وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»؛ فلو أن إنسانًا دخل

---

(١) أخرج البخاري (١٥٢٣)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ. فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]»؛ قال ابن حجر في «الفتح»: «قَالَ - المهلب -: وَفِيهِ أَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَكُونُ مَعَ السُّؤَالِ، وَإِنَّمَا التَّوَكُّلُ الْمَحْمُودُ: أَنْ لَا يَسْتَعِينَ بِأَحَدٍ فِي شَيْءٍ، وَقِيلَ: هُوَ قَطْعُ النَّظَرِ عَنِ الْأَسْبَابِ بَعْدَ تَهْيِئَةِ الْأَسْبَابِ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»».

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٥٢٥٤).

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.

في مشروع تجاري فلم يربح فيه؛ فلا يقل: لو أني لم أدخل في هذا المشروع ودخلت في مشروع آخر؛ لكان كذا وكذا. بل هذا الذي وقع هو الذي قدره الله عَزَّوَجَلَّ، ثم ما يدريه أنه إذا دخل في المشروع الثاني أنه كان سيصير كذا وكذا؟! فكل ذلك غيب لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

ولكن الإنسان يأخذ بالأسباب المشروعة، ويستعين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ مراتب الإيمان بالقدر:

القدر له أربع مراتب يجب الإيمان بها كلها:

المرتبة الأولى: العلم:

علمُ الله عَزَّوَجَلَّ الأزلي، وهو أن الله عَلِم أزلًا قبل أن يخلق الخلق أنه سيكون كذا وكذا، وكل شيء سيقع فالله تعالىٰ قد علم أنه سيقع، ولا يقع شيء في الوجود لم يكن الله تعالىٰ قد علمه أزلًا، ولا يتجدد لله علم بشيء لم يكن معلومًا له أزلًا، بل كلُّ ما هو كائن فقد علمه أزلًا؛ فعلم الله أزلي لا بداية له.

المرتبة الثانية: الكتابة:

أن يؤمن بأن الله قد كتب مقادير الخلق في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ كما في الصحيح؛ قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَجَرَىٰ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الْأَبَدِ»[1]،

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، =

فمعنىٰ ذلك: أن كل شيء سيقع فقد كُتب في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: المشيئة:

أنَّ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ الإرادة والمشيئة، ومعنىٰ ذلك: أن الله عَزَّوَجَلَّ شاء أن يحصل وأن يقع كذا، فيقع طبقًا لما شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فما شاء الله عَزَّوَجَلَّ كان، وما لم يشأ لم يكن.

❁ الفرق بين الإرادة والمشيئة:

والإرادة مثل المشيئة إلا أنها تختلف عنها بأنها قد تأتي لمعنًىٰ شرعي، والمشيئة لا تأتي إلا لمعنًىٰ كوني فقط، ولا تأتي لمعنًىٰ شرعي.

فإطلاقات المشيئة في الكتاب والسنَّة كلها تتعلَّق بالقدر والقضاء والمشيئة الكونية.

وأما الإرادة فإنها قد تأتي لمعنًىٰ كوني فتكون مثل المشيئة، وقد تأتي لمعنًىٰ شرعي ديني، وفي ذلك تخالف المشيئة.

فبينهما عموم وخصوص مطلق؛ فيجتمعان في المعنىٰ الكوني، وتنفرد الإرادة بأنها تأتي لمعنًىٰ شرعي لا تأتي فيه المشيئة.

وهناك ألفاظ أخرىٰ تأتي بمعنىٰ الإرادة: أي: تأتي لمعنًىٰ كوني ولمعنًىٰ شرعي؛ منها: الحكم والإذن والكتاب والكلمات والتحريم، وغير ذلك،

=

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٧، ٢٠١٨).

وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ صنف كتاب «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»؛ قسمه إلىٰ ثلاثين بابًا في مسائل القدر، وعقد فيه بابًا يتعلَّق بالكلمات التي تأتي لمعنًىٰ كوني، أو لمعنًىٰ شرعي، والتمثيل لها[1].

❁ الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية:

الإرادة الكونية: لابد من وقوعها؛ فلا تتخلف؛ فالشيء الذي قدَّره الله وقضاه لابد أن يقع.

والإرادة الشرعيَّة: قد تقع وقد لا تقع؛ لأنها تكون فيما يحبه الله، وذلك قد يحصل وقد لا يحصل؛ فهذا الذي يحبه الله وشرعه وأمر الناس به؛ منهم من يمتثله، ومنهم من لا يمتثله.

فمن الناس من يستجيب لشرع الله؛ فتجتمع فيه الإرادتان: الكونية والشرعية، ومنهم من لا يستجيب؛ فتتحقق فيه الإرادة الكونية فقط، وهي أنه شقي ولم يمتثل ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ والناس يعرفون ما قدره الله وقضاه بأمرين[2]:

- **الأمر الأول: الوقوع:** فكل ما وقع فإن الله قد شاءه؛ لأنه لو لم يشأه ما

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شفاء العليل» (ص ٢٨٠): «الباب التاسع والعشرون: في انقسام القضاء، والحُكم، والإرادة، والكتابة، والأمر، والإذن، والجَعْل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والانتباه؛ إلىٰ كوني متعلق بخلقه، وإلىٰ ديني متعلق بأمره، وما يحقق ذلك من إزالة اللبس والإشكال».

(٢) سبقت هذه المسألة بمزيد من التفصيل، راجع ص (١٦٧).

وجد؛ «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»(١)، فالشيء المقدَّر لابد أن يوجد ولا يتخلَّف.

- **الأمر الثاني:** حصولُ الإخبار من رسول الله ﷺ عن أمور تقع في المستقبل(٢).

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد:

إيجاد الله عَزَّوَجَلَّ وخلقه للشيء وفقًا لما علمه أزلًا، وكتبه في اللوح المحفوظ، وشاءه وأراده؛ فيقع كما علمه وكتبه وشاءه.

والله تعالىٰ هو خالق كل شيء، فليس هناك أحد يخلق مع الله، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١].

❁ مشيئة العبد وإرادته عند أهل السنة:

الكلُّ خلق الله وإيجاده، ولكن لا يقال: إنَّ العباد ليس لهم مشيئة ولا إرادة. بل لهم مشيئة وإرادة؛ ولهذا كلفوا وأمروا ونُهوا، وبيِّن لهم أن هذه الطريق وهذه الأعمال توصل إلىٰ الجنة، وهذه الطريق وهذه الأعمال توصل إلىٰ النار، وعندهم عقول يدركون ويفهمون بها؛ فمن عمل بعمل السعادة انتهىٰ إلىٰ السعادة، ومن عمل بعمل الشقاوة انتهىٰ إلىٰ الشقاوة،

---

(١) صحيح: تقدَّم تخريجه.

(٢) تقدم بيان هذه المسألة بشيء من التفصيل في ص(١٦٧).

وقد جاء ذلك في حديث علي - وسيأتي عند المصنِّف -؛ لمَّا قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»(١).

❁ وسطية أهل السنة والجماعة في باب القدر بين الجبرية والقدرية:

لا يجوز أن تسلب الإرادة والمشيئة من العبد؛ كما هو قول الجبرية، كما لا يجوز أن يقال: إن الله تعالىٰ لم يقدر أعمال العباد ولم يخلقها، وإنهم هم الذين يخلقونها ويوجدونها. كما هو قول القدرية النفاة من المعتزلة.

فهم لا يدخلون أفعال العباد في الآيات العامة التي تدل علىٰ عموم خلقه، بل يدخلون تحتها ما لا يجوز أن يُدْخل، فيقولون: إن القرآن مخلوق. ويقولون: قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]؛ فالقرآن مخلوق. وأما أفعال العباد التي لا يجوز أن تخرج من خلق الله؛ فإنهم يخرجونها! فأدخلوا في الآية ما لا يصلح دخوله وهو كلام الله، وأخرجوا منها ما لا يصلح خروجه وهو أفعال العباد.

ولا شكَّ أن كلتا الطائفتين منحرفتان عن الحق والهدىٰ، ومجانبتان للصواب، والحق وسط بينهما؛ فأهل السنة والجماعة وسط في باب القدر بين الجبرية المثبتة الغلاة في الإثبات، وبين القدرية النفاة؛ فأهل السنة

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٦/ ٢٦٤٧)، وسيأتي لأبي داود برقم (٤٦٩٤).

يقولون: إن أفعال العباد خلق الله عَزَّوَجَلَّ، وهي كسب للعباد؛ فقد حصلت بمشيئتهم وإرادتهم التابعة لمشيئة الله وإرادته، فالعباد ليسوا مستقلين بحيث إنهم يحصل منهم شيء في الوجود لم يقدره الله تعالىٰ، ولا يقال: إنهم لا إرادة لهم ولا مشيئة، وإنهم مسيرون، وإنهم مجبورون علىٰ أعمالهم، وإنهم مثل الأشجار التي تحركها الرياح، ومثل حركة المرتعش. فكيف يكلفون وهم مجبورون؟! وكيف يُؤمروا ويُنْهوا وليس لديهم مشيئة ولا إرادة؟!

بل لهم مشيئة وإرادة، لكن لا يقال: إن مشيئتهم وإرادتهم مستقلة، وإنهم قد يفعلون شيئًا لم يقدره الله تعالىٰ. بل مشيئتهم تابعة لمشيئة الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»(١)، فهؤلاء عملوا بمشيئتهم وإرادتهم، وهؤلاء عملوا بمشيئتهم وإرادتهم، وكل ذلك يكون مطابقًا لما شاءه الله وقدره وقضاه.

فأعمال العباد هي كسب للعباد وخلْق الله عَزَّوَجَلَّ؛ فتتعلق بمشيئتهم وإرادتهم، ويحمدون علىٰ حسنها، ويذمون علىٰ سيِّئها، وما حصل منهم من الحسن والسيئ؛ فإنه داخل تحت خلق الله عَزَّوَجَلَّ ومشيئته.

---

(١) متفق عليه: انظر التخريج السابق.

❁ توجيه حديث: «الشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»:

وأما ما جاء في الحديث في دعاء النبي ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(١)؛ فليس معناه أن الشر ليس من الله خلقًا وإيجادًا، وإنما المقصود من ذلك - كما قال بعض أهل العلم -: أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يخلق شرًّا محضًا لا خير فيه بوجه من الوجوه، بل إنه خلق الشر لحكمة، ويترتب عليه مصلحة وفائدة، فلا يقال: إنه تعالىٰ يخلق شرًّا لا فائدة من ورائه ولا حكمة، ولا يترتب عليه مصلحة. بل كل ما يخلقه لحكمة؛ فالشر هو خلق الله، والخير هو خلق الله، وكل شيء بخلقه وإيجاده، وبقضائه وقدره.

ولهذا فإن عقيدة المسلمين تدور وتنبني علىٰ كلمتين:

- ما شاء الله كان: «مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»؛ وهذا هو الذي شاء الله أن يكون، فلا يمكن أن يتخلف.

(١) صحيح: أخرجه مسلم رقم (٢٠١/ ٧٧١)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا؛ إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ؛ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ...».

- وما لم يشأ لم يكن: «مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»؛ وهذا هو الذي قدر الله أنه لا يكون، فلا يمكن أن يحصل.

وفي حديث ابن عباس؛ قال ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ»[1]؛ فلا يحصل في الوجود حركة إلا بقضاء الله وقدره، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ»[2]؛ أي: حتىٰ نشاط النشيط، وحركة المتحرك، وخمول الخامل؛ كل ذلك مقدَّر؛ كل ذلك بقضاء الله وقدره.

❁ **مسألة: هل العبد مسير أم مخير؟**

بهذا يتبين لنا جواب سؤال: هل العبد مسير أم مخير؟

وهو أنَّ العبد لا يكون مسيَّرًا فقط أو مخيَّرًا فقط، وإنما هو مسيَّر باعتبار ومخير باعتبار.

فقولنا: (**مخيَّر باعتبار**)؛ أي: ليس بمجبور، بل له مشيئة وإرادة، وبُيِّن له طريق الجنة وطريق النار؛ فالإنسان يختار طريق السعادة أو طريق الشقاوة، قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: بيَّنا له طريق الخير والشرِّ.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم رقم (١٨/ ٢٦٥٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقولنا: (مسيَّرٌ باعتبار)؛ أي: أنه لا يحصل منه شيء خارج عن مشيئة الله وإرادته، بل ما شاءه الله فلابد أن يوجد، لكن لا يقال: إن ما شاءه الله لابد أن يوجد، وليس للإنسان مشيئة ولا إرادة.

۞ هناك أشياء تدخل تحت مشيئة الإنسان وأخرى لا تدخل تحت مشيئته:

فالإنسان الذي ترتعش يده لا يكون هذا من فعله ولا من كسبه، ولا يقال له: كفّ يدك عن التحرك. لأنه لا يقدر علىٰ هذا، لكن إذا كان الإنسان يؤذي الناس؛ فإنه يقال له: كف يدك عن الناس. ويؤدَّب حتىٰ يكف؛ لأنه يستطيع أن يفعل ذلك، وهذا شيء بإرادته ومشيئته، وبهذا يتبيّن الفرق بين الشيء الذي يكون تحت مشيئة الإنسان، والشيء الذي ليس تحت مشيئته.

وقد بيَّنتُ ما مضىٰ وغيره من الفوائد والمسائل المتعلقة بالقضاء والقدر؛ في كتاب «شَرْحِ العَقِيدةِ القَيْرَوانِيَّة»(١).

---

(١) هو كتاب «قَطْف الجَنَىٰ الدَّاني شَرْح مُقَدِّمَةِ رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدِ الْقَيْرَوَانِي»، راجع (ص ٩٦-١٠٨)، في شرح قول ابن أبي زيد: «والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِه وَمُرِّه، وكلُّ ذلك قَد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا، ومقاديرُ الأمورِ بيدِه، ومَصدَرُها عن قضائِه.

عَلِمَ كلَّ شيْءٍ قَبل كَونِه، فجَرَىٰ علىٰ قَدَرِه، لا يَكون مِن عبادِه قَولٌ ولا عَمَلٌ إلاَّ وقدْ قَضاهُ وسبق عِلْمُه به، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [المُلك:١٤].

يُضِلُّ مَن يشاء، فيَخْذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء، فيُوَفِّقُه بفضلِه، فكَلٌّ مُيَسَّرٌ بتَيْسيره إلىٰ ما سَبَقَ مِن علمه وقَدَرِه، مِن شَقِيٍّ أو سعيدٍ.

=

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٩١- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِمِنًىٰ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»(١).

الشرح

القدرية: هم نفاة القدر، الذين يقولون: إن العبد خالق لفعله، والله عَزَّوَجَلَّ لم يقدِّر عليه الشرَّ، وإنَّما العبد هو الذي فعله. ويقولون: إن الله تعالىٰ منزه عن الفحشاء؛ بمعنىٰ: لا يريدها.

ومعلوم أن الخير والشر كله من الله عَزَّوَجَلَّ، وأن كل ما يقع في الوجود من خير وشر فهو بقضاء الله وقدره، ومشيئته وإرادته، وقد جاء في القرآن الكريم نسبة الهداية والإضلال إليه سبحانه، وأنه يهدي من يشاء ويضل من =

تعالَىٰ أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد، أو يكونَ لأحَد عنه غِنًىٰ خالقًا لكلِّ شيءٍ إلاَّ هو، رَبُّ العباد ورَبُّ أعمالِهم، والمُقَدِّرُ لِحَركاتِهم وآجالِهم».

(١) حسن: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٣٨)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٦٥، رقم ٢٤٩٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٩، رقم ٢٨٦)، وغيرهم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٤٤٢)، وفي ظلال الجنة، وفي صحيح سنن أبي داود.

يشاء، وأنه لو شاء لهدىٰ الناس أجمعين، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]؛ فكل شيء بقضاء الله وقدره، ولا يقع في ملك الله إلا ما شاءه.

قَوْلُهُ ﷺ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»؛ أي: أنهم يضاهئون المجوس؛ لأن المجوس جعلوا للكون خالقَيْن، وهما: النور والظلمة، وقالوا: إنَّ الخير يرجع إلىٰ النور، والشرَّ يرجع إلىٰ الظُّلمة[1]. وهؤلاء جعلوا الخير يرجع إلىٰ الله، والشرَّ يرجع إلىٰ العباد، وأنَّ العباد هم الذين يخلقون أفعالهم[2].

---

(١) قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (٢/ ٣٧): «إن التثنية اختصت بالمجوس، حتىٰ أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين؛ يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النُّور، والآخر: الظلمة».

(٢) قال في شرح الطحاوية (ص٤٩٣): «وَالْقَدَرِيَّةُ نُفَاةُ الْقَدَرِ جَعَلُوا الْعِبَادَ خَالِقِينَ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَلِهَذَا كَانُوا «مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، بَلْ أَرْدَأُ مِنَ الْمَجُوسِ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْمَجُوسَ أَثْبَتُوا خَالِقَيْنِ، وَهُمْ أَثْبَتُوا خَالِقِينَ!!».

وقال الخطابي في «معالم السنن» (٤/ ٣١٧): «إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين؛ وهما النور والظلمة؛ يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة؛ فصاروا ثانوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والشر إلىٰ غيره، والله سبحانه خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلّا بمشيئته، وخلقه الشر شرًّا في الحكمة كخلقه الخير خيرًا؛ فالأمران معًا مضافان إليه خلقًا وإيجادًا، وإلىٰ الفاعلين لهما من

وفي الحديث: بيان ذم هذه الفرقة الضالَّة، والقرآن والسنة يردَّان عليهم، ومن أنكر منهم علم الله تعالىٰ الأزلي؛ فلا شكَّ في كفره؛ كما قال الشافعي: (نَاظِرُوا الْقَدَرِيَّةَ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ خُصِمُوا، وَإِنْ أَنْكَرُوا كَفَرُوا)(١).

❁ **بعض أدلة خلق الله عَزَّوَجَلَّ لأفعال العباد:**

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]؛ فهذه الآية عامة لا يخرج عنها شيء؛ فكل شيء مخلوق فهو من خلق الله وإيجاده، سواء كان ذوات أو صفات؛ فالذوات مخلوقة، والصفات - وهي الأعمال - مخلوقة.

عباده فعلًا واكتسابًا».

(١) انظر شرح الطحاوية (ص٢٤٧). وجاء عن عمر بن عبد العزيز نحوه في مناظرته لغيلان؛ أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٩٤٨)، واللالكائي في شرح السنة (رقم ١٣٢٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٤٩): «وَكَذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَد فِي الْقَدَرِيِّ: إنْ جَحَدَ عِلْمَ اللهِ كَفَرَ. وَلَفْظُ بَعْضِهِمْ: نَاظِرُوا الْقَدَرِيَّةَ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ خُصِمُوا، وَإِنْ جَحَدُوهُ كَفَرُوا. وَسُئِلَ أَحْمَد عَنِ الْقَدَرِيِّ: هَلْ يَكْفُرُ؟ فَقَالَ: إنْ جَحَدَ الْعِلْمَ كَفَرَ». وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص ١٠٣): «وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: نَاظِرُوا الْقَدَرِيَّةَ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ خُصِمُوا، وَإِنْ جَحَدُوهُ فَقَدْ كَفَرُوا. يُرِيدُونَ: أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْعِلْمَ الْقَدِيمَ السَّابِقَ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَسَّمَهُمْ قَبْلَ خَلْقِهِمْ إِلَىٰ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، وَكَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ حَفِيظٍ؛ فَقَدْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ، فَيَكْفُرُ بِذَلِكَ. وَإِنْ أَقَرُّوا بِذَلِكَ، وَأَنْكَرُوا أَنَّ اللهَ خَلَقَ أَفْعَالَ عِبَادِهِ، وَشَاءَهَا، وَأَرَادَهَا مِنْهُمْ إِرَادَةً كَوْنِيَّةً قَدَرِيَّةً؛ فَقَدْ خُصِمُوا؛ لِأَنَّ مَا أَقَرُّوا بِهِ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَنْكَرُوهُ».

والمعتزلة تناقضوا في الاستدلال بهذه الآية؛ فأخرجوا منها أفعال العباد، ثم استدلوا بها علىٰ أن القرآن مخلوق، وأدخلوا كلام الله تحت عمومها، فأدخلوا ما لا يصح أن يُدخل؛ وهو كلام الله، وأخرجوا ما لا يصح أن يُخرج؛ وهو أفعال العباد.

وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]؛ فهو خالق العباد، وخالق أفعال العباد، لكن هي كسب لهم؛ فيحمدون علىٰ حسنها، ويذمون علىٰ سيئها، ويثابون علىٰ حسنها، ويعاقبون علىٰ سيئها؛ فتضاف إليهم باعتبار الكسب، وتضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ باعتبار الخلق والإيجاد؛ فلا يقع في ملك الله شيء لم يردْهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والقول بأن العباد يخلقون أفعالهم؛ معناه أنه يقع في ملك الله ما لم يرده الله؛ كما رُوِيَ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا وَقَفَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ(١)، فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ! إِنَّ نَاقَتِي سُرِقَتْ، فَادْعُوا اللهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تُسْرَقَ نَاقَتُهُ فَسُرِقَتْ، فَارْدُدْهَا عَلَيْهِ! فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا حَاجَةَ لِي فِي دُعَائِكَ! قَالَ: وَلِمَ؟

---

(١) هو عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان التيمي بالولاء البصري، المتكلم القدري، كبير المعتزلة وأولهم، كان زاهدًا عابدًا إلَّا أنَّه كان صاحب بدعة؛ ولد سنة ٨٠، وتوفي وهو راجع من مكة بموضع يقال له: مران، سنة ١٤٤. [انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٠)، والسير (٦/ ٢٥٩)، والمواقف (٣/ ٦٦٠)].

قَالَ: أَخَافُ - كَمَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرَقَ فَسُرِقَتْ - أَنْ يُرِيدَ رَدَّهَا فَلَا تُرَدُّ!!»[١].

فهذا الأعرابي على الفطرة؛ لذلك أنكر عليه هذه المقولة.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو التبوذكي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم**)؛ وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حَدَّثَنِي بِمِنًى**)؛ أي: أن عبد العزيز حدَّث موسىٰ بن إسماعيل بهذا الحديث بمنًىٰ.

قَوْلُهُ: (**عن أبيه**)؛ هو أبو حازم سلمة بن دينار، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن عمر**)؛ هو عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الصحابي الجليل، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (رقم ١٩١٤)، واللالكائي في شرح السنة (١٣٧٦)، وذكره شارح الطحاوية (ص ٢٢٧)، وعند اللالكائي: «فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ نَاقَةَ هَذَا الْفَقِيرِ سُرِقَتْ، وَلَمْ تُرِدْ سَرِقَتَهَا، اللَّهُمَّ ارْدُدْهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا شَيْخُ، الْآنَ ذَهَبَتْ نَاقَتِي وَأَيِسْتُ مِنْهَا!! قَالَ: وَكَيْفَ؟! قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرَقَ فَسُرِقَتْ؛ لَمْ آمَنْ أَنْ يُرِيدَ رُجُوعَهَا فَلَا تَرْجِعَ!! وَنَهَضَ مِنْ عِنْدِهِ مُنْصَرِفًا.

- وهذا إسنادٌ رباعيٌّ.

- والحديث حسَّنه الألباني، لكن فيه انقطاع، فقد قيل: إن أبا حازم لم يسمع من ابن عمر. لكن قال بعض أهل العلم: إن أبا حازم كان موجودًا مع ابن عمر في المدينة، وكان في زمانه؛ فيكون قدْ أدركه ولقيه وعاصره، فروايته عنه علىٰ شرط مسلم؛ لأنَّ مسلمًا لا يشترط العلم بالسماع، وإنما يكتفي بمجرد المعاصرة مع إمكان السماع واللقاء؛ ولهذا حسن الحديث الشيخ الألباني.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٩٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ مَوْلَىٰ غُفْرَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ. مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ**»(١).

الشَّرح

قَوْلُهُ: «وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»؛ أي: أمة محمد ﷺ.

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٥/ ٤٠٦)، والبيهقي في الكبرىٰ (٢٠٨٧٠)، والبزار (٧/ ٣٣٨، رقم ٢٩٣٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (٥٧١٤).

قَوْلُهُ: «مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ»؛ هو في أهل البدع، وأصحاب المذاهب المبتدعة، فمن كان منهم مسلمًا وليس بكافر؛ فتترك عيادته تأديبًا وزجرًا وردعًا لهم ولغيرهم، وهذا أمرٌ مطلوب، وهو في هذا الحديث والذي قبله نصّ في القدرية.

لكن **لا** يقال: كل من كان عنده بدعة فإنه يطبق عليه هذا الكلام.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن كثير**)؛ هو العبدي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا سفيان**)؛ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وهو ثقة فقيه، وصف بأنه «أمير المؤمنين في الحديث»، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عمر بن محمد**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي.

قَوْلُهُ: (**عن عمر مولىٰ غفرة**)؛ هو عمر بن عبد الله مولىٰ غُفرة، وهو ضعيف، أخرج له أبو داود والترمذي.

قَوْلُهُ: (**عن رجل من الأنصار**)؛ مبهم.

قَوْلُهُ: (**عن حذيفة**)؛ هو حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الصحابي الجليل، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

- والحديث في إسناده رجل مجهول؛ وهو عمر مولىٰ غفرة، ورجل مبهم؛ وهو رجل من الأنصار.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٩٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ زُرَيْعٍ، وَيَحْيَىٰ بْنَ سَعِيدٍ، حَدَّثَاهُمْ قَالَا: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَسَامَةُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ** جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الْأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ»[١].

زَادَ فِي حَدِيثِ يَحْيَىٰ: «وَبَيْنَ ذَلِكَ».

وَالْإِخْبَارُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ»؛ هذا في

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩٥٥)، وأحمد (٤/ ٤٠٠)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٦٣١)، وفي صحيح الجامع رقم (١٧٥٩).

الألوان والهيئات.

قَوْلُهُ: «وَالسَّهْلُ»؛ أي: الذي فيه سهولة ولين ورقة ورفق، «وَالْحَزْنُ»؛ من الحزونة، وهي الشدة والغلظة؛ فالسهل والحَزْن متقابلان، «وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ»؛ متقابلان.

قَوْلُهُ: (زَادَ فِي حَدِيثِ يَحْيَىٰ: «وَبَيْنَ ذَلِكَ»)؛ أي: بين السهولة والحزونة؛ أي: وسط بين ذلك.

قَوْلُهُ: (وَالْإِخْبَارُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ)؛ المقصود بالإخبار هنا: التحديث؛ لأنه قال: (حدثنا)، وهي بمعناها. ومعناه: أن التحديث جاء في حديث يزيد، أما يحيىٰ بن سعيد فقد عنعن.

❁ **فائدة: في تفريق بعض المحدثين بين التحديث والإخبار:**

بعض العلماء يفرِّق بين (حدثنا) و(أخبرنا)؛ بأن (حدثنا): إذا سمع الحديث من لفظ الشيخ، و(أخبرنا): إذا قُرِئ علىٰ الشيخ وهو يسمع، ومن العلماء من يسوي بينهما. وهنا سوَّىٰ بينهما؛ لأنه قال: والإخبار. مع أنه قال: حدثنا.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)؛ هو ابن مسرهد، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (أن يزيد بن زريع)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (ويحيىٰ بن سعيد)؛ هو القطان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا عوف)؛ هو ابن أبي جميلة الأعرابي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا قسامة بن زهير)؛ ثقة، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي موسىٰ.

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو موسىٰ)؛ هو عبد الله بن قيس الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وهو مشهور بكنيته ونسبته، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٩٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، قَالَ: سَمِعْتُ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ يُحَدِّثُ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَبِيبٍ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَلَسَ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْمِخْصَرَةِ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ، إِلَّا قَدْ

كُتِبَتْ شَقِيَّةً، أَوْ سَعِيدَةً». قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَىٰ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَىٰ الشِّقْوَةِ؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ؛ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشِّقْوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلشِّقْوَةِ**»، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ - ١٠](1).

الشرح

قَوْلُهُ: (مِخْصَرَةٌ)؛ والمخصرة: عصًا صغيرة، و(يَنْكُتُ): أي: يخطِّط بها. وهذا - كما يقولون - فِعْلُ الْمُفَكِّرِ الْمَهْمُومِ، (**ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ»**)؛ أي: مولودة، والمرأة إذا ولدت يقال لها: نفساء؛ لأنه يسيل منها الدم، ونفست: يعني: خرج منها الدم. ويقال للدم: نَفْس. ومن أَوَّلِيَّاتِ إبراهيم النَّخْعِي رَحِمَهُ اللَّهُ(2) التعبير بـ: (ما لا نفس

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٦/ ٢٦٤٧)، وأخرجه أحمد (١/ ١٢٩).

(٢) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمران الكوفي، من سادات التابعين، ولد سنة ٤٦، ومات مختفيًا من الحَجَّاج سنة ٩٦. [انظر: وفيات الأعيان (١/ ٢٥)، والوافي بالوفيات (٦/ ١٠٨)].

له سائلة)[1]؛ المقصود: أن ما لا دم له سائل، (إِلَّا كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ، إِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً، أَوْ سَعِيدَةً)، وهذا شيء قد سبق به القضاء والقدر، وقد كُتب ومضىٰ.

قال: (فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَىٰ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَىٰ الشِّقْوَةِ؟)؛ أي: ما دام أنه قد سبق القضاء والقدر بأن الشقي شقي، وأن السعيد سعيد، وأن الذي في الجنة في الجنة، والذي في النار في النار، فما دام الأمر كذلك؛ ألا ندع العمل، وكلٌّ سيصير إلىٰ مكانه: إلىٰ الجنَّة أو إلىٰ النار، وإلىٰ الشقاوة أو السعادة؟ (قَالَ: «اعْمَلُوا...»)؛ أي: إنَّ هذه الغايات والنهايات التي قدَّرها الله عَزَّوَجَلَّ من الشقاوة والسعادة؛ قد قدَّر الله تعالىٰ أمورًا ووسائل تؤدِّي وتوصل إليها؛ وذلك بالعمل؛ فالذي يعمل خيرًا ويوفق لسلوك طريق الخير؛ ينتهي به الأمر إلىٰ الغاية الحميدة المقدَّرة وهي السعادة، وإذا سلك واختار طريق الشرِّ - وهذا بمشيئته وإرادته وعمله -؛ فإن ذلك سيؤدي به إلىٰ الغاية السيِّئة وهي الشقاوة والنار.

وهذا الذي فعله الإنسان بمشيئته وإرادته؛ لا يخرج عن مشيئة الله

(١) قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ١٠٢، ١٠٣): «وَأَوَّلُ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ، فَقَالَ: مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةً. إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَعَنْهُ تَلَقَّاهَا الْفُقَهَاءُ». وانظر «عشرون حديثًا من صحيح البخاري»، للشارح (ص: ١٢٠).

وإرادته، بل هو تابع لمشيئة الله، فما قدَّره وقضاه لابد أن يكون؛ حيث قدر أن هذا يعمل بعمل أهل السعادة وينتهي إلىٰ السعادة، وأن هذا يعمل بعمل أهل الشقاوة وينتهي إلىٰ الشقاوة؛ وبهذا فالغاية مقدَّرة، والوسيلة مقدرة، وكل شيء يقع في الوجود فقد سبق به القضاء والقدر.

❁ الإنسان مأمور بالعمل، أما القدر فلا يعلمه إلا الله:

فبيَّن النبي ﷺ بهذا الجواب: أن المطلوب هو التقرُّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالأعمال الصالحة، والناس مأمورون بما يعود عليهم بالخير، ومنهيُّون عما يعود عليهم بالشرِّ، وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ لهم طريق الخير من طريق الشر؛ كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، فمن وفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنه يعمل الأعمال الصالحة التي تفضي به إلىٰ السعادة، ومن خذَله الله عَزَّوَجَلَّ ولم يوفِّقه؛ فإنه يعمل الأعمال الخبيثة التي توصله إلىٰ الشقاوة وإلىٰ النار.

وهذا البيان من أوضح البيان في أنَّ المقصود هو العمل، والقدر سر من أسرار الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه، لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(١).

---

(١) قال الخطابي في «معالم السنن» (٤/ ٣١٩): «هذا الحديث إذا تأمَّلته أصبتَ منه الشفاء فيما يتخالجك من أمر القدر، وذلك أن السائل رسولَ الله ﷺ والقائلَ له: (تَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟)؛ لم يترك شيئًا ممَّا يدخل في أبواب المطالبات والأسئلة الواقعة في باب التجويز والتعديل إلَّا وقد طالب به وسأل عنه؛ فأعلمه ﷺ أن القياس في هذا الباب متروك، والمطالبة عليه ساقطة، وأنه أمرٌ لا يشبه الأمور المعلومة التي قد عقلت معانيها وجرت =

۞ نقل فوائد هذا الحديث عن كتاب «عشرون حديثًا من «صحيح البخاري»»[(١)]:

وهذا الحديث وضعته ضمن الأحاديث التي اخترتها من «صحيح البخاري»، وهو الحديث التاسع عشر، وقد ذكرت بعض النقول فيما يتعلَّق بشرحه، وفيما يتعلق بالقضاء والقدر.

ولمَّا وضعت كتاب «عشرون حديثًا من «صحيح البخاري»» حرصت علىٰ أن أختار لكلِّ واحد من الخلفاء الراشدين حديثًا من أحاديثه، وأترجم

=

معاملات البشر فيما بينهم عليها، وأخبر أنه إنما أمرهم بالعمل ليكون أمارة في الحال العاجلة لما يصيرون إليه في الحال الآجلة؛ فمن تيسَّر له العملُ الصالح كان مأمولًا له الفوز، ومن تيسَّر له العملُ الخبيث كان مخوفًا عليه الهلاك، وهذه أمارات من جهة العلم الظاهر وليست بموجبات؛ فإن الله سبحانه طوىٰ علم الغيب عن خلقه وحجبهم عن دركه؛ كما أخفىٰ أمر الساعة فلا يعلم أحد متىٰ أبان قيامها؛ ثم أخبر علىٰ لسان رسول الله ﷺ بعض أماراتها وأشراطها؛ فقال: «من أشراط الساعة أن تلد الأمة ربتها، وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان»، ومنها كيت وكيت».

(١) هو كتاب «عشرون حديثًا من صحيح البخاري، دراسة أسانيدها وشرح متونها»، للشارح حَفِظَهُ اللَّهُ، قال في مقدمته (ص: ٣): «فهذه دراسةٌ لعشرين حديثًا من كلام النبي الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم -، انتقيتها من صَحيحِ الإمَام أبي عبْد الله محمَّد بن إسماعيل البخاريّ رَحِمَهُ اللَّهُ، راعيتُ في انتقائها أن تكون أسانيدها ومتونها مشتملة علىٰ فوائد جمَّة».

له بترجمة أنقل فيها جملة من الثناء عليه، ومن بيان فضائله ومناقبه[1].

❁ ترجمة أمير المؤمنين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

[[2]صحابيُّ الحديث: أمير المؤمنين، وابن عمِّ سيد الأولين والآخرين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وأحد الستَّة الذين جعل عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الأمر إليهم شورى من بعده؛ أبو الحسن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال الحافظ في «التقريب»: «علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عمِّ رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، من السابقين الأوَّلين،

---

(١) فجعل حَفِظَهُ ٱللَّهُ: الحديث السابع: عن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ المُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا! قَالَ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا».

والحديث الثامن عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».

والخامس عشر عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ».

والثامن عشر عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

والتاسع عشر عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وهو هذا الحديث.

(٢) ما بين معقوفين هو المنقول من كتاب «عشرون حديثًا»، وما قبله (قلت) تعليق على بعض المواضع من كتاب «عشرون».

والمرجَّح أنه أول من أسلم، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم في الأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستُّون سنة علىٰ الأرجح»[١]، ورَمَزَ لكون حديثه في الكتب الستَّة].

قُلْتُ:

قول الحافظ: «وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم في الأرض بإجماع أهل السنة»؛ أي: أنه بعد وفاة الخلفاء الذين قبله لم يكن هناك أحد أفضل منه، وليس في الصحابة أفضل منه بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة، لا يتقدمه غيرهم، وكل من سواهم فإن عليًّا أفضل منه، وهذا باتفاق أهل السنة.

[وقال الخَزْرَجِيُّ[٢] في «الخُلاصة»[٣]: «علي بن أبي طالب عبد مناف...».

قُلْتُ:

قول الخزرجي: «عليُّ بن أَبي طالبٍ عبدِ مناف»؛ أي: أن (عبد مناف) هو اسم أبي طالب؛ وقد كان مشهورًا بكنيته. وأعمام الرسول ﷺ الذين

(١) تقريب التهذيب (ص ٤٠٢).

(٢) صفي الدين أحمد بن عبد الله بن أبي الخير الخزرجي الأنصاري الساعدي، من تصانيفه: «خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، صنفه سنة ٩٢٣ هـ. [انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (١/ ١٦٠)، ومعجم المؤلفين (١/ ٢٨٨، ٢٨٩)].

(٣) (ص: ٢٧٤).

أدركهم الإسلام أربعة: حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب - واسم أبي لهب عبد العزىٰ، فوفّق اثنان ودخلا في الإسلام، وتشرّفا بصحبة رسول الله ﷺ، وخُذل اثنان فماتا علىٰ الكفر، ولم يدخلا في الإسلام، وقد قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[١]: «مِنْ عَجَائِبِ الِاتِّفَاقِ: أَنَّ الَّذِينَ أَدْرَكَهُمُ الْإِسْلَامُ مِنْ أَعْمَامِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ؛ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمُ اثْنَانِ، وَأَسْلَمَ اثْنَانِ، وَكَانَ اسْمُ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ يُنَافِي أَسَامِيَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَهُمَا أَبُو طَالِبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَأَبُو لَهَبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّىٰ - أي: تماثل أسماء الكفّار؛ فهي معبدة لغير الله عَزَّوَجَلَّ -، بِخِلَافِ مَنْ أَسْلَمَ؛ وهما حَمْزَة وَالْعَبَّاس».

[... بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، أبو الحسن، ابن عم النبي ﷺ، وختَنُه[٢] علىٰ ابنته، أَمِيرُ الْمُؤمنِينَ، يكنىٰ: أَبَا تُرَاب، وَأمُّه فَاطِمَة بنت أَسد بن هَاشم، وَهِي أول هاشميَّة ولدت هاشميًّا، لَهُ خَمْسمِائَة حَدِيث وَسِتَّة وَثَمَانُونَ حديثًا، اتَّفقا علىٰ عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر...].

---

(١) (٧/ ١٩٦).

(٢) الختن: كل من كَانَ من قبل الْمَرْأَة كأبيها وأخيها، وَكَذَلِكَ زوج الْبِنْت أَو زوج الْأُخْت، قال في النهاية: «والأَخْتَانُ مِنْ قِبل الْمَرْأَةِ، وَالأَحْمَاءُ مِنْ قِبل الرجُل، وَالصِّهْرُ يَجْمَعُهُمَا، وخَاتَنَ الرَّجُلُ الرجُلَ؛ إِذَا تَزَوّج إِلَيْهِ». المعجم الوسيط (ص: ٢١٨)، والنهاية (٢/ ١٠)، مادة: (خ ت ن).

قُلْتُ:

وهذا من فوائد «الخلاصة» للخزرجي؛ أنه إذا ذكر الصحابة ذكر جملة ما لهم من الأحاديث في الكتب الستَّة، وعدد الأحاديث التي اتَّفق عليها البخاري ومسلم، والتي انفرد بها البخاري، والتي انفرد بها مسلم، وهذا لا يوجد في «التقريب».

[...شهد بدرًا والمشاهِدَ كلَّها. روَىٰ عنْه أولادُهُ: الحسنُ والحُسينُ ومحمَّد، وفاطمةُ، وعمرُ، وابنُ عبَّاس، والأحنَفُ، وأُمَمٌ.

قال أبو جعفر: كان شديد الأُدْمَة[1]، رَبْعَةً[2] إلىٰ القِصَر، وهو أوَّل من أسلم من الصبيان - جمعًا بين الأقوال -. قال له النبي ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ»[3]...].

قُلْتُ:

وقد قال له هذا لمَّا خلَّفه في المدينة في غزوة تبوك، وكان الرسول ﷺ قد استنفر الناس، وأعلن للناس أنه سيغزو الروم، وكان من عادته ﷺ أنه إذا أراد غزوة ورَّىٰ بغيرها، فإذا أراد أن يذهب إلىٰ جهة الشمال فإنه يسأل -

(١) أي: السُّمْرَة. «مختار الصحاح» (ص١٥).

(٢) أي: وسيط القامة، بين الطول والقصر؛ يقال: رجلٌ رَبْعَةٌ ومَرْبُوعٌ. انظر: النهاية (٢/ ١٩٠)، والمعجم الوسيط (ص ٣٢٥)، مادة (ر ب ع).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٣٠/ ٢٤٠٤)، عن سعد بن أبي وقَّاص رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ.

مثلًا - عن طرق في جهة الجنوب، فالذي يسمع مثل هذه الأسئلة يظنُّ أنه سيذهب إلىٰ جهة الجنوب؛ وفعله هذا إنما هو لإخفاء مسيره علىٰ الأعداء الذين يريد أن يغزوهم حتىٰ لا يستعدُّوا له.

وأما في غزوة تبوك فإنه قد أعلن لهم أنه سيغزو الروم، وأمر الناس بالاستعداد لذلك؛ لأن المسافة بعيدة، والغزوة كانت في حرارة الصيف، والعدو كبير، فأراد أن يستعدَّ الناس، ثم إنه خلَّف عليًّا في المدينة؛ ليكون قائمًا بشئون أهل بيته، ومن بقي في المدينة من أهل الأعذار. ولمَّا خرج الرسول ﷺ وأصحابه نظر عليٌّ وإذا به وحده مع النساء والصبيان، مع أنه من أهل الشجاعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويريد أن يجاهد في سبيل الله، ولا يريد أن يتخلَّف عن رسول الله ﷺ، فَلَحِقَ بالنبي ﷺ وقال: «أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟! قَالَ: أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[1]؛ أي: إني خلفتك في المدينة حتىٰ أرجع، كما خلف موسىٰ أخاه هارون حتىٰ يرجع، وهذا لا يدلُّ علىٰ أنه أولىٰ من غيره بالخلافة؛ لأن موسىٰ إنما خلف أخاه هارون مدَّة غيبته، ومحمد ﷺ خلف عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مدة غيبته، ولا يدلُّ علىٰ أنه أفضل من غيره، وإنما يدل علىٰ فضله، ثم إنَّ النبي ﷺ لم يقل له ذلك ابتداءً، وإنما قال له ذلك تطييبًا

(١) انظر التخريج السابق، وانظر: مسند أحمد (١/ ١٧٠).

لخاطره لما قال: (أتخلفني في النساء والصبيان)[(١)].

وفرْقٌ بين المشبه والمشبه به:

فالمشبَّه: استخلاف موسىٰ لهارون؛ وهو نبي خلف أخاه النبي.

والمشبَّه به: استخلاف النبي ﷺ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وهو نبي خلَّف قريبه؛ لأنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ، ولهذا قال له: «إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[(٢)].

[...وفضائله كثيرة، وقد استشهد ليلة الجمعة لإحدىٰ عشرة ليلة بقيت أو خلت من رمضان سنة أربعين، وهو حينئذ أفضل من علىٰ وجه الأرض. وذكر الحافظ ابن حجر في مقدمة «الفتح»: أن له عند البخاري تسعة وعشرين حديثًا[(٣)]، وقال ابن حجر في «الإصابة»[(٤)]: «أبو الحسن أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين علىٰ الصحيح، فَرُبّي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخيره بالمدينة: «أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَىٰ؟»[(٥)]، وزوَّجه ابنته فاطمة، وكان اللواء بيده في

(١) فليس للروافض في هذا الحديث مستند علىٰ قولهم: أن علي أولىٰ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ من غيره. وللمزيد راجع: «منهاج السنة» لابن تيمية (٧/ ٣٢٥-٣٤١)، والفصل لابن حزم (٤/ ٧٨).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٣) فتح الباري (١/ ٤٧٥).

(٤) (٤/ ٤٦٤).

(٥) متفق عليه: تقدم تخريجه.

أكثر المشاهد، ولما آخىٰ النبي ﷺ بين أصحابه قال له: «أَنْتَ أَخِي»[١]، ومناقبه كثيرة، حتىٰ قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي. وتتبَّع النسائي ما خُصَّ به من دون الصحابة؛ فجمع من ذلك شيئًا كثيرًا بأسانيد أكثرها جياد».

وقال الذهبي في **«تذكرة الحفَّاظ»**[٢]: «أبو الحسن الهاشمي، قاضي الأئمة، وفارس الإسلام، وخَتَنُ المصطفىٰ ﷺ، كان ممَّن سبق إلىٰ الإسلام ولم يتلعثم، وجاهد في الله حق جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل، وشهد له النبي ﷺ بالجنَّة[٣]، وقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ؛ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»[٤]، وقال له: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[٥]، وقال: «لَا

---

(١) ضعيف جدًّا: أخرجه الترمذي (٣٧٢٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع رقم (١٣٢٥): ضعيف جدًّا. وقال في الضعيفة رقم (٣٥١): موضوع. وقال: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وحديث مآخاة النبي ﷺ لعلي؛ من الأكاذيب. وأقره الحافظ الذهبي في مختصر منهاج السنة (ص ٣١٧)».

(٢) (١/ ١٣- ١٦).

(٣) كما في حديث العشرة المبشرين، وقد تقدم تخريجه.

(٤) متواتر: أخرجه الترمذي (٣٧١٣) عن زيد بن أرقم، وابن ماجه (١٢١) عن سعد بن أبي وقاص، وأحمد (١/ ٨٤) عن علي، ومعه ثلاثة عشر صحابيًّا، وجاء عن جماعة من الصحابة، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (١٧٥٠)، وطول الشيخ الكلام عليه هناك وفيه فوائد؛ فيحسن مراجعته، وقال الشيخ الألباني تحت هذا الحديث في الصحيحة (٤/ ٣٤٣): متواتر.

(٥) متفق عليه: تقدم تخريجه.

يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغَضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»[١]، ومناقب هذا الإمام جمَّة أفردتها في مجلَّد وسمَّيته بـ«فتح المطالب في مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»».

وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[٢]: «ومن خصائص عليٍّ قوله ﷺ يوم خيبر: «لأدفعنَّ الرَّايَةَ غَدًا إلىٰ رَجُلٍ يحبُّ اللهَ ورسُولَهُ، وَيحبُّه اللهُ وَرسُولُهُ، يَفْتَح اللهُ علىٰ يدَيْه»، فلمَّا أصبح رسول الله ﷺ غَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُو أن يُعطاها، فقال رسول الله ﷺ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»، فقالوا: هو يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فأُتي به فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فدعا له فَبرئَ، فأعطاه الرَّايَةَ. أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد[٣]» انتهىٰ. وقد روىٰ هذا الحديث غير سهل أكثر من اثني عشر صحابيًّا، ذكرهم في «تهذيب التهذيب»[٤]][٥].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣١/ ٧٨)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) (٤/ ٤٦٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٣٤/ ٢٤٠٦).

(٤) قال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٣٧): «وروىٰ سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وسهل بن سعد وبريدة وأبو سعيد وابن عمر وعمران بن حصين وسلمة بن الأكوع، والمعنىٰ واحد: أن النبي ﷺ قال يوم خيبر:...»، وقال (٧/ ٣٣٩): «أما حديث الراية يوم فتح خيبر؛ فروي أيضًا عن: علي والحسين والزبير بن العوام وأبي ليلىٰ الأنصاري وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر وغيرهم»؛ فهؤلاء أربعة عشر، والله أعلم.

(٥) عشرون حديثًا من صحيح البخاري (ص ٣٣١، ٣٣٢).

❁ شرح الحديث:

[المبحث الرابع: شرح الحديث:

١- قوله: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ)؛ جاء في بعض الروايات - كما تقدم في التخريج - أن ذلك كان في بقيع الغرقد، وجاء في بعضها بيان ذلك الشيء الذي ينكت به الأرض وأنه (عود)، وفي بعضها: (مخصرة)؛ وهي العصا، سميت بذلك؛ لأنها تحمل تحت الخصر غالبًا للاتّكاء عليها.

ومعنىٰ «ينكت»: يخط يسيرًا مرة بعد مرة، وذلك فعل المفكر المهموم.

٢- قوله: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ)؛ ورد في بعض النصوص تعيين السائلين؛ ففي بعضها: سراقة بن مالك بن جعشم، وفي بعضها شريح بن عامر الكلابي، وفي بعضها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي بعضها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال الحافظ ابن حجر بعد ذكرها: «والجمع بينها تعدُّد السائلين عن ذلك».

٣- قوله: (أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟)؛ قال الحافظ ابن حجر: «وَالْفَاءُ مُعَقِّبَةٌ لِشَيْءٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: أَفَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟»[(١)]، وحاصل السؤال: ألا نترك مشقة العمل فإنا سنصير إلىٰ ما قدر

(١) فتح الباري (١١/ ٤٩٧).

علينا؟ وحاصل الجواب: لا مشقَّة؛ لأن كلًّا ميسَّر لما خلق له وهو يسير على من يسَّره الله، «قَالَ الطِّيبِيُّ: الْجَوَابُ مِنَ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ مَنَعَهُمْ عَنْ تَرْكِ الْعَمَلِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْتِزَامِ مَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَزَجَرَهُمْ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الْأُمُورِ الْمُغَيَّبَةِ؛ فَلَا يَجْعَلُوا الْعِبَادَةَ وَتَرْكَهَا سَبَبًا مُسْتَقِلًّا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَلْ هِيَ عَلَامَاتٌ فَقَطْ» انتهى[1].

٤- هذا الحديث أصل في باب القضاء والقدر، وأنه قد سَبَق قضاء الله تعالى بكون المكلَّفين فريقين: فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير. قال النووي[2]: «قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ: سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ: التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ وَمُجَرَّدِ الْعُقُولِ، فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ وَتَاهَ فِي بِحَارِ الْحَيْرَةِ، وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ النَّفْسِ، وَلَا يَصِلُ إِلَى مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللهِ تَعَالَى الَّتِي ضُرِبَتْ مِنْ دُونِهَا الْأَسْتَارُ؛ اخْتَصَّ اللهُ بِهِ، وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ؛ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ. وَوَاجِبُنَا: أَنْ نَقِفَ حَيْثُ حَدَّ لَنَا، وَلَا نَتَجَاوَزَهُ؛ وَقَدْ طَوَى اللهُ تَعَالَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَلَى الْعَالَمِ فَلَمْ يَعْلَمْهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ». انتهى.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٩٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٩٦).

وقال الطحاوي في «عقيدة أهل السنَّة»[(١)]: «وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛ فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ؛ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ؛ كَمَا قال الله تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]».

وقال[(٢)]: «فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ؛ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ[(٣)]؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا؛ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ الْقَلَمُ بما هو كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ[(٤)]، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ[(٥)]».

---

(١) متن الطحاوية (ص٥٠)، وانظره مع شرحه (ص ٢٢٥).

(٢) متن الطحاوية (ص٥٣)، وانظره مع شرحه (ص ٢٤٢).

(٣) أي: في اللوح المحفوظ.

(٤) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشية متن الطحاوية: هذا طرف من حديث ابن عباس المشهور بلفظ: «احفظ الله يحفظك...» الحديث. وهو حديث صحيح، كما ذكرت في التخريج، «شرح العقيدة الطحاوية»، برقم (٢٧٤).

(٥) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشية متن الطحاوية: هذا من تمام حديث ابن عباس المشار =

وقال[١]: «فَوَيْلٌ لمنْ صَارَ لله تعالىٰ في الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأحضَرَ للنَّظَرِ فِيه قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا».

٥- من فقه الحديث وما يُستنبط منه:

١- مشروعية اتِّباع الجنازة.

٢- أنَّ متَّبع الجنازة عليه أن يتذكَّر الآخرة، وأن يظهر عليه أثر ذلك.

٣- موعظة العالم أصحابه عند القبور.

٤- إثبات القدر، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

٥- مراجعة العالم، والاستفسار منه عمَّا قد يشكل.

٦- أنَّ السعادة والشقاوة بتقدير الله وقضائه.

٧- الردُّ علىٰ الجبرية؛ لأن التيسير ضد الجَبْر؛ فالجبر لا يكون إلا عن كره، ولا يأتي الإنسان الشيء بطريق التيسير إلا وهو غير كاره له.

٨- الردُّ علىٰ القدرية؛ لأن أفعال العباد وإن صدرت عنهم؛ فقد سبق علم الله بوقوعها بتقديره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٩- أنَّ العمل الطيِّب أمارة علىٰ الخير، والعكس بالعكس.

=

إليه آنفًا في رواية عنه.

(١) متن الطحاوية (ص٥٣)، وانظره مع شرحه (ص ٢٥١).

١٠- النَّهيُ عن ترك العمل والاتِّكال علىٰ ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشَّرع بها، وكل ميسَّر لما خلق له.

١١- أنَّ السنَّة تبيِّن القرآن، وتوضِّحه، وتدلُّ عليه] اهـ(١).

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا المعتمر)؛ هو ابن سليمان بن طرخان التيمي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (سمعت منصور بن المعتمر)؛ هو الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن سعد بن عبيدة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن حبيب)؛ هو أبو عبد الرحمن السلمي، ثقة مقرئ، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)؛ وهو ابن أبي طالب أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين الهادين المهديِّين، صاحب المناقب الجمَّة، والفضائل الكثيرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وحديثه عند أصحاب أهل الكتب الستة(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) عشرون حديثًا من صحيح البخاري (ص ٣٣٣- ٣٣٦).

(٢) تقدَّمت ترجمتُهُ قريبًا بشيء من التفصيل، نقلًا عن كتاب «عشرون حديثًا».

الأسئلة

السؤال: ما معنى الكلمات الكونية والكلمات الشرعية، وما الفرق بينهما؟

الجواب: الكلمات الكونية مثل الإرادة الكونيَّة، والكلمات الشرعيَّة مثل الإرادة الشرعية.

فالكلمات الشرعيَّة: مثل القرآن؛ ففيه أوامر ونواهٍ وأخبار، قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي؛ وهي الكلمات الشرعية، فالكلمات الشرعية مشتملة علىٰ أخبار وأحكام، فأخبارها صادقة، وأحكامها عادلة.

والكلمات الكونيَّة: هي الكلمات القدرية، وهي بمعنىٰ الإرادة والمشيئة.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل القدرية صنف واحد أو فيهم غلاة وغير غلاة؟

الجواب: القدرية هم أولًا صنفان متقابلان، ثم إن النفاة فيهم غلاة.

❁ ❁ ❁

السؤال: من نفى علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهل هو من غلاة القدريَّة؟

الجواب: لا شكَّ أنه من غلاة القدرية، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ناظروا

القدرية بالعلم؛ فإن أقرُّوا به خصموا، وإن أنكروا كفروا)[1].

۞ ۞ ۞

السؤال: جاء عن جماعة من السلف في تعريف الإيمان قولهم: الإيمان قول وعمل. ولم يذكروا الاعتقاد بالقلب؟

الجواب: الذين قالوا: الإيمان قول وعمل. لا يريدون إخراج الاعتقاد بالقلب عن هذا؛ لأن العمل - كما هو معلوم - عمل بالقلب، وعمل بالجوارح، فالقلوب لها أعمال، كما أن الجوارح لها أعمال.

۞ ۞ ۞

السؤال: تقول المرجئة: إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط. فهل من يقول: إن الكفر كله تكذيب فقط. موافقًا لقول المرجئة؟

الجواب: الكفر يكون بالتكذيب وغير التكذيب؛ فليس خاصًّا بالتكذيب، فسبُّ الله عَزَّوَجَلَّ مثلًا كفر، مع أنه ليس بتكذيب.

۞ ۞ ۞

السؤال: بماذا يجيب المرجئة عن الآيات والأحاديث التي فيها التنصيص على زيادة الإيمان ونقصانه؟

الجواب: المرجئة غلَّبوا جانب الوعد، وأهملوا جانب الوعيد، فعَوَّلُوا علىٰ أحاديث الوعد، وأهملوا أحاديث الوعيد، وعكْسهم الخوارج الذين

(١) تقدم تخريجه.

غلبوا جانب الوعيد، وأهملوا جانب الوعد، وأما أهل السنة والجماعة فأعملوا النصوص جميعًا.

❁ ❁ ❁

السؤال: بالنسبة لقول السلف في تعريف الإيمان: الإيمان قول وعمل. ألا يقال: إن السلف أدخلوا الاعتقاد في القول؛ لأن القول إذا أطلق يشمل قول القلب واللسان؟

الجواب: يمكن، ولكن من ناحية العمل الأمر ظاهر؛ فالقلوب لها أعمال، والجوارح لها أعمال.

وأمَّا إطلاق القول علىٰ ما يقوم في القلوب؛ فهذا ممكن؛ لكن بتقييد، فالأصل: أن الكلام هو ما يُسمع من المتكلِّم ويفهم، لكن قد يُطلق القول أحيانًا علىٰ ما يقوم في القلب دون أن ينطق به الإنسان إذا قُيِّد؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨]، فلمَّا جاءت كلمة: ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ عُرف أن هذا يرجع إلىٰ القلب، لكن لو لم تأتِ لانصرف إلىٰ الكلام المسموع من المتكلم.

لكن الأصل: أن القول يكون بالكلام؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**»(١). ولو نوىٰ الطلاق الإنسان في قلبه فلا يعتبر مطلقًا، وكذلك لو نوىٰ العتق في قلبه فلا

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧/٢٠١)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يعتبر معتقًا، حتىٰ يوجد منه اللفظ الذي يحصل به العتق والطلاق.

❁ ❁ ❁

السؤال: عندنا في الأردن بعض الإخوة يعملون موعظة على كل قبر بعد الدفن، فهل في هذا شيء؟

الجواب: لم يأتِ شيء في هذا بعد الدفن، وإنَّما جاء قبل الدفن، وأمَّا بعد الدفن فيقفون علىٰ القبر ويدعون للميِّت ثم ينصرفون، لكن إذا حصل تذاكر أو كلام عابر قبل الدفن؛ فلا بَأْس به، كما جاء في الحديث.

❁ ❁ ❁

السؤال: مقولة: إن القدر سرُّ الله في خلقه. هل هي أثر؟

الجواب: هي من كلام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومعناه: أنه شيء خفي اختصَّ الله تعالىٰ به، ولا يعلم حقيقته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وله الحكمة البالغة في ذلك، فهو من الأسرار الخفيَّة التي لا يُبحث عنها، ولا يُتعمَّق فيها.

وأما الكلام في القدر طبقًا لما جاءت به النصوص؛ فهذا أمر مطلوب، ولكن المحذور هو التعمُّق فيه، والاعتراض عليه؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، فمن حكمته أن جعل الناس فريقين، وهذا لا يعني أنهم مجبورون، بل لديهم عقول وإرادة ومشيئة، ويقدمون بأنفسهم علىٰ ما ينفعهم وما يضرُّهم.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل بإمكاني دعوة بعض أهل البدع إلى حفل زفافي بغية دعوتهم إلى الحقِّ، علمًا أنهم يدعون إلى بدعهم في القرية التي أسكن فيها؟

الجواب: إذا كانت الدعوة يترتَّب عليها مصلحة استمالتهم والتوصُّل إلى هدايتهم؛ فهذا مقصد حسن، وأمر طيِّب.

❁ ❁ ❁

السؤال: كيف يكون التعمق في القدر؟

الجواب: التعمُّق في القدَر؛ كأن يقول: الله عَزَّوَجَلَّ قدَّر أن هذا شقي وهذا سعيد، فلماذا قدر أن هذا تكون له السعادة وذاك تكون له الشقاوة؟ ولماذا لا يكون العكس؟

وإلا فعلى الإنسان أن يعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قدر أن يكون الناس فريقين؛ فريق في الجنة وفريق في السعير، وجعل لكل منهما أمورًا تؤدي إليها، وكلٌّ بينت له هذه الأمور. وأعطى الله للناس عقولًا؛ فمنهم من اختار بعقله وإرادته ومشيئته طريق الخير، ومنهم من اختار طريق الشرِّ، والله قدَّر الغاية والوسيلة التي تؤدِّي إلى هذه الغاية.

❁ ❁ ❁

السؤال: قال الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ في «لمعة الاعتقاد» بعد أن تكلَّم عن آيات الصفات ووجوب الإيمان بها من غير تأويل ولا تشبيه؛ قال: «وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه، ونرد

علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله»، فما صحّة هذا الكلام؟

الجواب: هذا غلط وليس بصحيح؛ فتفويض المعنىٰ غير مسلَّم، بل المعنىٰ يُثْبَت علىٰ ما يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعلوم أن السميع غير البصير، والبصر غير السمع، فالبصر يتعلّق بالمرئيَّات، والسمع يتعلق بالمسموعات، فلا يقال: إنه لا يُفهم معنىٰ البصر، ولا يُفهم معنىٰ السمع، ولا يُفهم معنىٰ القدرة. بل المعنىٰ معلوم؛ كما قال ذلك الإمام مالك بن أنس - رحمة الله عليه - في الاستواء؛ عندما سئل: كيف استوىٰ؟ قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»؛ أي: السؤال عن الكيفيَّة، وأما المعنىٰ فثابت، ولكنه ليس كما يليق بالمخلوقين، بل كما يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فأَثْبَت السمع والبصر، ونفىٰ المشابهة؛ فله سمع لا كالأسماع، وبصر لا كالأبصار.

فتفويض الكيف مع فهم المعنىٰ: فهو منهج أهل السنة والجماعة.

وأما المفوِّضة الذين يقولون في صفات الله: الله أعلم بمراده بذلك، وإن المعنىٰ لا يفهم. فمذهبهم باطل، وليس هذا منهج السلف ولا طريقتهم، وإنما هو طريقة أهل البدع، ولا يصحُّ أن يقال: إن مذهب السلف من الصحابة ومن سار علىٰ منوالهم هو التفويض؛ بل طريقة السلف تفويض الكيف دون المعنىٰ، وهو الذي بيَّنه الإمام مالك بن أنس - رحمة الله عليه -؛

حيث قال: «الاستواء معلوم»؛ أي: ليس فيه تفويض، «والكيف مجهول»؛ فهذا هو الذي يفوّض فيه.

ومن قال: مذهب السلف التفويض؛ فقد ارتكب ثلاثة محاذير:

الأول: أنه جاهل بمذهب السلف.

والثاني: أنه مجهِّل لهم؛ أي: نسبهم إلىٰ الجهل، وأنهم لا يعلمون معاني ما خوطبوا به؛ ويترتب علىٰ ذلك أنهم يقولون: الله أعلم بمراده بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؛ وهذا غلط، فقد جاء عنهم بيان معنىٰ ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ بأنه علا وارتفع، ففسَّروها بذلك كما تقتضيه اللغة.

والثالث: أنه كاذب عليهم؛ لأنَّ مذهبهم ليس هو التفويض، بل هو إثبات المعنىٰ؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فالسمع معناه معروف، والبصر معناه معروف، ولا يقال: الله أعلم بمراده بالسمع، والله أعلم بمراده بالبصر، فالسَّمع يتعلَّق بالمسموعات، والبصر يتعلق بالمرئيات والمبصَرات، وسمع الله تعالىٰ محيط بكل شيء، ولا يخفىٰ عليه شيء، وكذلك بصره نافذ في كل شيء، ومحيط بكلِّ شيء.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم قول الرجل لأخيه: وجدتك صدفة؟

الجواب: إذا كان المقصود: أن ذلك من غير قصد ولا إرادة؛ فلا بأس به،

وهذا هو الذي يسمُّونه: اتفاقًا؛ يقولون: حصل اتفاقًا من غير قصد، فالإنسان كان لا يفكر فيه ثم لقيه اتفاقًا، وهو بمعنىٰ مصادفة، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ومشيئته؛ الذي حصل بإرادتك وبغير إرادتك.

❁ ❁ ❁

السؤال: جاء عن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنه قال: (من مشى في جنازة مبتدع فهو في غضب الله حتى يرجع)، فهل هذا ينطبق على كل مبتدع في هذا الزمان؟

الجواب: لا أدري عن صحة نسبة هذا الكلام إلىٰ الفضيل، وكون من فعل ذلك فإنه يكون في غضب الله؛ هذا من الأمور المغيَّبة، ولكن - كما هو معلوم - هناك مبتدعة أهل بدع كالمعتزلة والخوارج، وهناك من عنده بدعة وليس من أهل البدع.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٦٩٥- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ: مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ: مُعْتَمِرَيْنِ -، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ

عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ. فَوَفَّقَ اللهُ لَنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ دَاخِلًا فِي الْمَسْجِدِ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ؛ فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَالْأَمْرَ أُنُفٌ. فَقَالَ: إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ؛ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا نَعْرِفُهُ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ.**

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ.**

قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ.**

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا.

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ، رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، هَلْ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[1].

الشَّرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب القدر حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث جبريل المشهور، وهو مشتملٌ علىٰ الإيمان بالقَدَر؛ وأنَّه أحد أصول الإيمان الستة، التي أجاب بها رسول الله ﷺ عن سؤال جبريل عن الإيمان؛ فقال فيها: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٨)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وابن ماجه (٦٣)، وأحمد (١/ ٢٧).

❁ إضافة تعليم الدين إلى الرسول ﷺ وإلى جبريل:

وحديث جبريل حديث عظيم، بيَّن النبي ﷺ في آخره أن جبريل جاء يعلم الدين، وكان تعليمه للدين بإلقائه السؤال علىٰ الرسول ﷺ؛ ليسمع الحاضرون الجواب؛ فأضاف إليه أنه معلِّم للدين؛ لأنه سأل أسئلة ويريد من النبي ﷺ أن يجيب عليها حتىٰ يتعلَّم الناس الذين عنده ﷺ الدِّين منه، فأضيف التعليم إليه كما هو مضاف إلىٰ رسول الله ﷺ.

فأضيف إلىٰ النبي ﷺ: لأنه هو الذي أجاب وهو الذي بيَّن.

وأضيف إلىٰ جبريل: لأنه متسبِّب لهذا العلم الذي سمعوه، وإن كانوا سمعوه من النبي ﷺ ولم يسمعوه منه، لكن كان بناءً علىٰ سؤاله. وجبريل كان عالمًا بالجواب، ولكنه أراد أن يسأل حتىٰ يسمع الحاضرون الجواب؛ فيتعلَّمون بسبب سؤاله.

❁ طريقة السلف في الاستدلال:

وقد أورد ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الحديث بطوله من أجل الاستدلال علىٰ الإيمان بالقدر، وهذه طريقة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ فقد كانوا إذا سئلوا أحيانًا يجيبون بغير ذكر الدليل، وأحيانًا يأتون بالدليل، وأحيانًا يذكرون بالدليل دون الجواب اكتفاءً بالدليل، وكان من شأنهم إذا سئلوا أجابوا بالأثر.

لكن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بيَّن حكم القدر وشأنه، وأيضًا ساق الحديث الطويل كله من أجل قوله ﷺ: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وفي هذا: أنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا أحيانًا إذا سئلوا عن شيء ساقوا الحديث الطويل من أجل اشتماله علىٰ جزئية معيَّنة؛ لأنهم بهذا الجواب يعطون السائل ما سأل، ويزيدونه علىٰ ذلك أمورًا أخرىٰ.

❁ اهتمام التابعين بالعلم ورجوعهم إلى الصحابة في ذلك:

قال يَحْيَىٰ بْنُ يَعْمَرَ فِي الحَدِيثِ: «فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ: مُعْتَمِرَيْنِ -، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ»؛ أي: سافرا إلىٰ مكة في حجٍّ أو عمرة، وكان من مهمَّتهم بالإضافة إلىٰ كونهم يؤدون النسك: أنْ يتفقَّهوا في الدين ويعرفوا الأحكام الشرعيَّة، وأن يسألوا عما حصل عندهم من أمور منكرة، فيرجعوا في ذلك إلىٰ أصحاب رسول الله ﷺ ويعرضوها عليهم؛ لأنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم الذين يُرجع إليهم في معرفة الأحكام الشرعيَّة في زمانهم؛ لأنهم شاهدوا التنزيل ورأوا النبيَّ الكريم ﷺ، وسمعوا حديثه.

وفي هذا دليل علىٰ حرص التابعين علىٰ لقي الصحابة، وسؤالهم عن الأمور المشكلة.

قَوْلُهُ: (حَاجَّيْنِ - أَوْ: مُعْتَمِرَيْنِ -)؛ شك؛ إما حجّ أو عمرة.

قَوْلُهُ: (**فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ**)؛ أي: لعلنا نلقىٰ أحدًا من أصحاب الرسول ﷺ، فنعرض له هذا الذي ظهر في بلادنا، (**فَوَفَّقَ اللهُ لَنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ**)؛ أي:

لقيا عبد الله بن عمر (دَاخِلًا فِي الْمَسْجِدِ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي).

قال يحيىٰ بن يعمر: (فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ)؛ أي: أنه فهم من صاحبه حميد بن عبد الرحمن الحميري أنه واكل الحديث إليه ليبدأ بالكلام ويسأل، وكانا قد اكتنفاه؛ حتىٰ يكون كل واحد منهما علىٰ تمكُّن من سماع كلامه، وما يجيب به، واستيعابه؛ بحيث لا يفوته منه شيء.

وهذا يدل علىٰ حرص التابعين علىٰ الاستفادة من الصحابة.

❁ كلام القدرية في خلق أفعال العباد:

فسأله يحيىٰ بن يعمر وقال: (إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا)؛ يعني: في بلدنا (نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَفَقَّرُونَ الْعِلْمَ)؛ يعني: عندهم اشتغال بالعبادة وبالعلم، وهم يقرءون القرآن، ويشتغلون به، و(وَيَتَفَقَّرُونَ الْعِلْمَ)؛ أي: يجتهدون في تحصيله، وفي معرفته والبحث عنه.

ولكن ظهر منهم ما يُنكر عليهم؛ وهو أنهم (يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَالْأَمْرَ أُنُفٌ)؛ أي: أنه مستأنف، وليس هناك علم سابق؛ بمعنىٰ: أن العباد يوجدون أفعالهم ويخلقونها، وأن الله تعالىٰ لم يقدِّر عليهم شيئًا.

فقال عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ؛ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، ثم ساق الحديث عن أبيه من أجل قوله ﷺ: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وفي هذا الكلام من ابن عمر؛ دليلٌ علىٰ أنَّ من لا يؤمن بالقدر فعمله مردود؛ وذلك أنه أتىٰ بشيء لا يُقبل معه عمل، وهو عدم الإيمان بالقدر، الذي هو أصل من أصول الدين.

وقد ذكر الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هؤلاء أنهم يقولون[1]: إنه ما تقدم قدر ولا علم، وإنَّ الله تعالىٰ لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها. وهؤلاء هم الغلاة في نفي القدر؛ لأنهم ينفون العلم الأزليَّ بكل شيء، ويزعمون أن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]؛ لا تدخل فيه أفعال العباد، فيخلقونها، والله تعالىٰ لا يعلمها ولا يقدرها. وهؤلاء كفَّرهم العلماء، وأمَّا الذين لا ينكرون العلم؛ ففي تكفيرهم خلاف بين العلماء؛ قال الحافظ ابنُ رجب: «وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: (نَاظِرُوا الْقَدَرِيَّةَ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ خُصِمُوا، وَإِنْ

---

(١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع العلوم» (ص ١٠٣): «وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ، وَشَرٍّ، وَطَاعَةٍ، وَمَعْصِيَةٍ، قَبْلَ خَلْقِهِمْ وَإِيجَادِهِمْ، وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأَعَدَّ لَهُمُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ؛ جَزَاءً لِأَعْمَالِهِمْ قَبْلَ خَلْقِهِمْ وَتَكْوِينِهِمْ، وَأَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَأَحْصَاهُ، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تَجْرِي عَلَىٰ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَكِتَابِهِ.

وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ خَلَقَ أَفْعَالَ الْعِبَادِ كُلَّهَا مِنَ الْكُفْرِ، وَالإِيمَانِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْعِصْيَانِ، وَشَاءَهَا مِنْهُمْ. فَهَذِهِ الدَّرَجَةُ يُثْبِتُهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيُنْكِرُهَا الْقَدَرِيَّةُ، وَالدَّرَجَةُ الأُولَىٰ أَثْبَتَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، وَنَفَاهَا غُلَاتُهُمْ؛ كَمَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ، الَّذِي سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ عَنْ مَقَالَتِهِ، وَكَعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، وَغَيْرِهِ».

جَحَدُوهُ فَقَدْ كَفَرُوا)؛ يُرِيدُونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْعِلْمَ الْقَدِيمَ السَّابِقَ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَسَّمَهُمْ قَبْلَ خَلْقِهِمْ إِلَىٰ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، وَكَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ حَفِيظٍ؛ فَقَدْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ، فَيَكْفُرُ بِذَلِكَ، وَإِنْ أَقَرُّوا بِذَلِكَ، وَأَنْكَرُوا أَنَّ اللهَ خَلَقَ أَفْعَالَ عِبَادِهِ، وَشَاءَهَا، وَأَرَادَهَا مِنْهُمْ إِرَادَةً كَوْنِيَّةً قَدَرِيَّةً؛ فَقَدْ خُصِمُوا؛ لِأَنَّ مَا أَقَرُّوا بِهِ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَنْكَرُوهُ. وَفِي تَكْفِيرِ هَؤُلَاءِ نِزَاعٌ مَشْهُورٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ. وَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ الْعِلْمَ الْقَدِيمَ؛ فَنَصَّ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ عَلَىٰ تَكْفِيرِهِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمَا مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ»(١)(٢).

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ١٠٣، ١٠٤).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٨٤، ٣٨٥): «... فَهَذَا الْقَدَرُ هُوَ الَّذِي أَنْكَرَهُ الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ كَانُوا فِي أَوَاخِرِ زَمَنِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَوَّلَ مَنِ ابْتَدَعَهُ بِالْعِرَاقِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهُ: (سيسويه)، مِنْ أَبْنَاءِ الْمَجُوسِ، وَتَلَقَّاهُ عَنْهُ مَعْبَدٌ الجهني، وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَا حَدَثَ فِي الْحِجَازِ لَمَّا احْتَرَقَتْ الْكَعْبَةُ فَقَالَ رَجُلٌ: احْتَرَقَتْ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ. فَقَالَ آخَرُ: لَمْ يُقَدِّرِ اللهُ هَذَا.

وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَحَدٌ يُنْكِرُ القَدَرَ؛ فَلَمَّا ابْتَدَعَ هَؤُلَاءِ التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ بَقِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَوَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، وَكَانَ أَكْثَرُهُ بِالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ، وَقَلِيلٌ مِنْهُ بِالْحِجَازِ؛ فَأَكْثَرُ كَلَامِ السَّلَفِ فِي ذَمِّ هَؤُلَاءِ الْقَدَرِيَّةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ: الْقَدَرِيَّةُ يَقُولُونَ: الْأَمْرُ مُسْتَقْبَلٌ وَإِنَّ اللهَ لَمْ يُقَدِّرِ الْكِتَابَةَ وَالْأَعْمَالَ. وَالْمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: الْقَوْلُ يُجْزِئُ مِنَ الْعَمَلِ. وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْمَعْرِفَةُ تُجْزِئُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. قَالَ وَكِيعٌ: وَهُوَ كُلُّهُ كُفْرٌ. وَلَكِنْ لَمَّا اشْتَهَرَ الْكَلَامُ فِي الْقَدَرِ؛ وَدَخَلَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالْعُبَّادِ؛
=

❁ قدرة الملائكة على التمثُّل بهيئة البشر:

ثم ساق ابن عمر الحديث عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: (**حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ**)؛ أي: كانوا جالسين عند النبي ﷺ يستفيدون منه ويتفقَّهون، ويتحمَّلون عنه السنن والأحاديث، (**إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا نَعْرِفُهُ**)؛ أي: رجل غريب، لا يعرفه أحد منهم، ومع ذلك لا يظهر عليه أثر السفر؛ لأن شعره شديد السواد، ولباسه شديد البياض، والمعتاد من حال المسافر أنه يظهر شعث الشعر، وغبار السفر، ولكن هذا علىٰ خلاف ما اعتادوه وما ألفوه؛ فكان موضع استغراب منهم.

وهذا الذي جاء هو جبريل، وكان أحيانًا يأتي إلىٰ النبيِّ ﷺ في صورة غير معروفة كما في هذا الحديث، وأحيانًا يأتي في صورة بعض الصحابة؛ كدحية بن خليفة الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، وكان من ....

=

صَارَ جُمْهُورُ الْقَدَرِيَّةِ يُقِرُّونَ بِتَقَدُّمِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا يُنْكِرُونَ عُمُومَ الْمَشِيئَةِ وَالْخَلْقِ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ فِي إِنْكَارِ الْكِتَابِ الْمُتَقَدِّمِ رِوَايَتَانِ. وَقَوْلُ أُولَئِكَ كَفَّرَهُمْ عَلَيْهِ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَد وَغَيْرُهُمْ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ مُبْتَدِعُونَ ضَالُّونَ، لَكِنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَنْزِلَةِ أُولَئِكَ؛ وَفِي هَؤُلَاءِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ كُتِبَ عَنْهُمُ الْعِلْمُ».

(١) دحية بن خليفة بن فضالة بن امرئ القيس بن الخزرج الكلبي، من كلب بن وبرة في قضاعة، شهد أحدًا وما بعدها، ولم يشهد بدرًا، ضُرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل يأتي =

.....أجمل الصحابة(١).

وفي هذا: بيان أنَّ الملائكة وقد خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ ذوي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع، وهم يطيرون بأجنحتهم، ويتحوَّل أحدهم - بقدرة الله وإقداره لهم - من هيئته التي هو عليها إلىٰ هيئة وصورة إنسان معروف(٢)، أو غير معروف(٣)؛ وذلك مثلما جاء ضيوف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه، وإلىٰ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ في صور رجال(٤)، وقد جاءوا [التبشير إبراهيم بالولد، و] لإهلاك قوم لوط، وكذلك أتىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ مريم في صورة

=

علىٰ هيئته، أرسله رسول الله ﷺ بكتابه إلىٰ هرقل عظيم الروم، بقي إلىٰ خلافة معاوية. [انظر ترجمته في: الاستيعاب (٢/ ٤٦١)، والإصابة (٢/ ٣٢١)، وطبقات ابن سعد (٤/ ١٨٨)].

(١) كما في حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: قَالَتْ: هذَا دِحْيَةُ. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ. متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (١٠٠/ ٢٤٥١).

(٢) انظر التخريج السابق.

(٣) كما في هذا الحديث؛ حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المعروف بـ«حديث جبريل».

(٤) كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩، ٧٠]، إلىٰ قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧] الآيات، وغيره من المواضع في القرآن.

رجل[١].

وجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خلقه عظيم، وله ستمائة جناح؛ كما ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ[٢]، وقد رآه النبي ﷺ على هيئته مرَّتين: مرة ليلة المعراج فوق السموات، ومرة رآه في الأرض وقد سدَّ الأفق[٣][٤].

---

(١) كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٦، ١٧] الآيات.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (٢٨٠/ ١٧٤)، عن ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٢٧٨) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وصححه الألباني في المشكاة رقم (٥٦٦١).

(٤) قال ابن كثير في التفسير (٧/ ٤٤٥): «فَإِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَةَ لِجِبْرِيلَ - يعني: الرؤية الأولىٰ -؛ لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، بَلْ قَبْلَهَا، ورسولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ، فَهَبَطَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَتَدَلَّىٰ إِلَيْهِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَهُوَ عَلَىٰ الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ؛ يَعْنِي: لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ الْأُولَىٰ؛ فِي أَوَائِلِ الْبَعْثَةِ بَعْدَ مَا جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ صَدْرَ سُورَةِ (اقْرَأْ)، ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فيها مرارًا ليَتَرَدَّىٰ من رؤوس الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا هَمَّ بِذَلِكَ نَادَاهُ جِبْرِيلُ مِنَ الْهَوَاءِ: «يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأَنَا جِبْرِيلُ». فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقَرُّ عَيْنُهُ، وَكُلَّمَا طَالَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَادَ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ تَبَدَّىٰ لَهُ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَبْطَحِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ عُظْم خَلْقِهِ الْأُفُقَ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَعَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ عَظَمَةَ الْمَلَكِ الَّذِي جَاءَهُ بِالرِّسَالَةِ، وَجَلَالَةَ =

ولا يقال: إن الهيئة التي جاء عليها موجودة، وجاء هو علىٰ هيئة بشر! بل هي نفس الهيئة تتحوَّل؛ فهو نفس المخلوق العظيم يتحوَّل إلىٰ صورة رجل.

ومعلوم أن أصل الملائكة غير أصل البشر؛ فإن الملائكة خلقوا من نور، والبشر خلقوا من تراب؛ كما في القرآن: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٥]، وجاء في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[1].

❁ أحوال السائل عن العلم:

قال: (حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ)؛ أي: فلما جاء إلىٰ رسول الله ﷺ وصل إليه حتىٰ جعل ركبتيه عند ركبتيه[2]، ووضع يديه علىٰ فخذيه، وبدأ يسأل الأسئلة التي يريد من

قَدْره، وَعُلُوَّ مَكَانَتِهِ عِنْدَ خَالِقِهِ الَّذِي بَعَثَهُ إِلَيْهِ».

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٠/ ٢٩٩٦)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) قال الشيخ حَفِظَهُ اللَّهُ في «شرح حديث جبريل» (ص١٦، ١٧): «ذكر النووي في «شرح مسلم» (١/ ١٥٧) أنَّ الضمير في «فخذيه» يرجع إلىٰ جبريل، وقال غيرُه: إنَّه يرجع إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١١٦): وَفِي رِوَايَةٍ لِسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ: (لَيْسَ عَلَيْهِ سَحْنَاءُ السَّفَرِ، وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَدِ، فَتَخَطَّىٰ حَتَّىٰ بَرَكَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَجْلِسُ أَحَدُنَا فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ

ورائها أن يسمع الحاضرون الجواب عليها؛ ليتعلَّموا الدين، كما قال النبي ﷺ في آخر الحديث: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وفي هذا دليل على: أن السائل يمكن أن يسأل ليعلم الجواب لكونه جاهلًا به، ويمكن أن يسأل وهو عالم بالجواب، لكن مقصوده من ذلك: أن يسمع الحاضرون الجواب، فيريد أن يشاركه غيره بمعرفة الجواب عن السؤال الذي يسأل عنه؛ وهذا فيه مصلَحة وفائِدةٌ كبيرة.

❁ سؤال جبريل عن الإسلام، وتصديقه للنبيِّ ﷺ:

ثم بدأ بالأسئلة: (قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا

= عَلَىٰ رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ ﷺ)، وَكَذَا فِي حَدِيثِ ابن عَبَّاسٍ وَأَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ: (ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ ﷺ)؛ فَأَفَادَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ: أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: (علىٰ فَخذيهِ)؛ يَعُودُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِهِ جَزَمَ الْبَغَوِيُّ وَإِسْمَاعِيلُ التَّيْمِيُّ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَرَجَّحَهُ الطِّيبِيُّ بَحْثًا؛ لِأَنَّهُ نَسَقُ الْكَلَامِ، خِلَافًا لِمَا جَزَمَ بِهِ النَّوَوِيُّ، وَوَافَقَهُ التُّورِبَشْتِيُّ؛ لِأَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَىٰ أَنَّهُ جَلَسَ كَهَيْئَةِ الْمُتَعَلِّمِ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا مِنَ السِّيَاقِ لَكِنْ وَضْعُهُ يَدَيْهِ عَلَىٰ فَخِذِ النَّبِيِّ ﷺ صَنِيعٌ مُنَبِّهٌ لِلْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ لِمَا يَنْبَغِي لِلْمَسْئُولِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالصَّفْحِ عَمَّا يَبْدُو مِنْ جَفَاءِ السَّائِلِ، وَالظَّاهِرُ: أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ الْمُبَالَغَةَ فِي تَعْمِيَةِ أَمْرِهِ؛ لِيُقَوِّيَ الظَّنَّ بِأَنَّهُ مِنْ جُفَاةِ الْأَعْرَابِ؛ وَلِهَذَا تَخَطَّىٰ النَّاسَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ». وفي سنن النسائي (٤٩٩١) أنَّه وضع يديه علىٰ ركبتي رسول الله ﷺ.

رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ)؛ لأن من شأن السائل أنه إذا أعطي الجواب أنه يقبله، وأما قوله: (صَدَقْتَ)؛ فمعناه: أنه عنده علم بالجواب فلما حصل الجواب طبقًا لما عنده قال: صَدَقْتَ. كأنَّه يقول: صدقت؛ هذا هو الجواب. ولهذا عجبوا منه؛ (قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ).

۞ أركان الإسلام الخمسة:

وهذه هي أركان الإسلام الخمسة التي بُنِيَ عليها؛ كما جاء في حديث ابن عمر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[1]، فهذه الخمس هي الأسس التي يقوم عليها الإسلام.

۞ أهمية الشهادتين في أركان الإسلام:

قَوْلُهُ ﷺ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»:

أول هذه الأسس الخمسة: الشهادتان:

وهما الأساس لبقية الأركان، ولكل عمل من الأعمال؛ فهما أصل من الأصول الخمسة، ولكنهما الركنُ الركين والأساس المتين الذي تقوم عليه الأركان وغير الأركان؛ لأن الصلاة والزكاة والصيام والحجَّ وكل عمل من

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٩/ ١٦).

الأعمال؛ لابدَّ أن يكون مبنيًّا على شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، وإلا فإنَّ العمل – أي عمل – لا عبرة به إذا لم يُسبق بهما ويُبنى عليهما؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

❁ تلازم الشهادتين:

والشهادتان متلازمتان: لا تنفكُّ إحداهما عن الأخرى، ولا تقبل إحداهما بدون الأخرى، فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشهد أن محمدًا رسول الله؛ لم تنفعه شهادته، فأهل الكتاب إذا شهدوا أن لا إله إلا الله ولم يشهدوا أن محمدًا رسول الله؛ لا ينفعهم ذلك، بل لابدَّ من الشهادة برسالة محمد ﷺ بعد مبعثه، فكلُّ الإنس والجنِّ مكلَّفون بالإيمان به؛ ومكلفون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإذا لم يحصل منهم ذلك فإنهم لا يكونون من أهل الإسلام، ولو قالوا: إنهم يتَّبعون الأنبياء السابقين. كاليهود فإنهم يقولون أنهم يتبعون موسى. والنصارى يقولون أنهم يتبعون عيسى. وذلك لا ينفعهم؛ بل لابدَّ من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه –.

فإن الأنبياء أمروا أتباعهم باتِّباعه إذا بُعث ﷺ، والرسالات السابقة نُسخت ببعثته، فمن تمسَّك بها وأعرض عمَّا جاء به النبي الكريم ﷺ؛ فإنه كافر ومآله إلى النار خالدًا فيها أبد الآباد.

ومما يدلُّ على ذلك: أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «لو كان موسى

حيًّا ما وسعه إلا اتباعي». فموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرسول الذي يزعم اليهود أنهم أتباعه؛ لو كان حيًّا لم يسعه إلا اتِّباع محمد ﷺ.

أما عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي يزعم النصارىٰ أنهم أتباعه؛ فإنه قد رُفع إلىٰ السماء، وسينزل في آخر الزمان ويقتل الدجَّال، ويضع الجزية؛ فلا يقبل إلا الإسلام، ويحكم بشريعة نبيِّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا يحكم بالإنجيل الذي أُنزل عليه؛ لأن الإنجيل قد نسخ، ولَنْ يبقَىٰ في الأرض إلا شريعة نبيِّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي هي خالدة باقية إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

❁ **معنى شهادة أن لا إله إلا الله:**

الشهادة الأولى معناها: الشهادة لله بالوحدانيَّة:

- فهو واحد في ربوبيته.
- وواحد في ألوهيَّته.
- وواحد في أسمائه وصفاته.

فهو واحد في ربوبيَّته: فلا شريك له في خلق السموات والأرض، ولا في خلق الخلق غيرهما، وهو ربُّ العالمين - والعالمون كل من سوىٰ الله -، وهو تعالىٰ هو الخالق وكل من سواه مخلوق ومربوب له، فالخلق خلقه، وكل شيء إنما وجد بخلقه وإيجاده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وهو المتصرِّف في الكون كيف يشاء؛ فهو الذي يحيي ويميت، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

وتوحيد الربوبيَّة: هو توحيد الله تعالىٰ بأفعاله؛ أي: أن الله واحد في أفعاله، وهي الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الكون.

وهو واحد في ألوهيته: أي: أنه هو المعبود وحده، الذي لا يُصرف شيء من العبادة لغيره، بل يجب أن تكون خالصة له عَزَّوَجَلَّ.

وتوحيد الألوهيَّة: هو توحيد الله بأفعال العباد؛ كالدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكُّل، والرغبة، والرهبة، والإنابة والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغيرها من أفعال العباد؛ كلها يجب أن تكون كلها لله عَزَّوَجَلَّ؛ أي أنه تعالىٰ يخصُّ بها ويعبد بها ولا يعبد بها غيره معه، ولا يُشرك معه أحد في العبادة، لا ملك مقرَّب، ولا نبي مرسل.

وكيف تُصرف العبادة لمن كان عدمًا فأوجده الله؟! وكيف يعبد المخلوق مخلوقًا مثله؟! فإذن العبادة لا تكون إلا للخالق الموجد الذي خلق الخلق كلهم، ولم يشاركه في الخلق أحد؛ فكذلك يجب أن يُفرد بالعبادة، ولا يشاركه فيها أحد.

وتوحيد الألوهيَّة هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، أو: لا معبود حق إلا الله. فالنفي إنَّما هو للألوهيَّة الباطلة، وهي موجودة وكثيرة، وقد قال الكفار لمَّا دعاهم النبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. تُفْلِحُوا**»[1]؛ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ

(١) صحيح: أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١١٦٤)، وابن أبي شيبة (٨٢٢)، والطبراني في

عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]؛ فالنفي ليس للوجود، وليس المعنىٰ: لا إله موجود إلا الله. فهناك آلهة ولكنَّها باطلة، فتقدير خبر (لا): (حق)، أو: (بحق)، وبهذا تخرج الآلهة الأخرىٰ؛ لأنها تعبد بباطل أو أنها باطل. فلا يصح تقدير خبر (لا): موجود؛ فيقال: لا إله موجود إلا الله. لأن الآلهة التي تُعبد مع الله وتعبد من دون الله موجودة، ولكن الذي يختصُّ به الله ويخرج به من سواه أن نقول: لا إله حق إلا الله، أو: لا إله بحق إلا الله.

فشهادة أن لا إله إلا الله تقوم علىٰ ركنين: النفي والإثبات؛ نفي عام في أولها، وإثبات خاص في آخرها، فالنفي في (لا إله)، والإثبات في (إلا الله)، والنفي عامٌّ حيث تنفي الألوهية عن كل من سوىٰ الله، والإثبات الخاصُّ هو أن تثبتها لله عَزَّوَجَلَّ وحده.

والتوحيد الأول (توحيد الربوبية)؛ لم ينكره الكفار الذين بُعث فيهم الرسول ﷺ، بل كانوا مقرِّين بهذا التوحيد، وقد جاء في القرآن آيات تدل

=

الكبير (٨/ ٣١٤، رقم ٨١٧٥)، والحاكم (٢/ ٦٦٨، رقم ٤٢١٩)، وغيرهم، عن طارق بن عبد الله المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتَيْنِ: رَأَيْتُهُ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ قَدْ دَمِيَتْ عُرْقُوبَاهُ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. تُفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ يَرْمِيهِ، وَيَقُولُ: هَذَا الْكَذَّابُ فَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا أَبُو لَهَبٍ عَمُّهُ)، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٩٢)، وغيره عن ربيعة بن عباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح السيرة رقم (١٤٣)، وفي التعليقات الحسان (رقم ٦٥٢٨).

علىٰ إقرارهم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

❁ توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية:

ويأتي في القرآن كثيرًا تقرير توحيد الربوبية؛ لا لأن الكفار أنكروه، ولكن لينتقل منه إلىٰ توحيد الألوهيَّة، وليُلزم من أقرَّ به أن يقرَّ بالألوهية؛ **فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية**؛ أي: أن من أقرَّ بالأول يلزمه أن يقرَّ بالثاني؛ فإذا اعترف بأن الله الخالق وحده، والرازق وحده، والمحيي وحده، والمتصرِّف بالكون وحده؛ إذن لزمه أن يقرَّ بأنَّ الله هو المعبود وحده، فلا يعبد مع الله مخلوقًا، وإنَّما يعبد الخالق وحده، فكما أنه متفرِّد بالخلق والإيجاد؛ فكذلك يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له.

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في سورة النمل: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ هذا تقرير توحيد الربوبية، ثم قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]؛ هذا هو المقصود من هذا السياق؛ توحيد الألوهيَّة، وهذا استفهام إنكار؛ فالذي انفرد بالخلق والإعجاز؛ لماذا لا يُفرد بالعبادة؟! فإذًا هذا التقرير ليس لأنهم منكرون له فيُلزمون به، بل هم مقرُّون؛ لكن المقصود من ذلك الانتقال إلىٰ الإلزام بالألوهية، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾؛ أي: يسوون بين الله وغيره ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ

حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٦١].

❁ توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبيَّة:

وتوحيد الألوهية متضمِّنٌ لتوحيد الربوبية؛ أي: أن من أقرَّ بالألوهية فقد أقرَّ بالربوبية ضمنًا؛ لأنه لا يصلح أن يثبت الألوهية وينكر الربوبية، فمن يعبد الله وحده ويخصُّه بالعبادة؛ لا يقول: إن لله شريكًا في خلق السموات والأرض. فمن وجد عنده توحيد الألوهية؛ فقد وجد عنده توحيد الربوبية ضمنًا.

ولكن من أقر بالربوبية قد ينكر الألوهية؛ كما حصل من الكفَّار الذين بُعث فيهم النبي ﷺ، فجاء الإلزام لهم بالألوهية؛ كما تقدم.

❁ توحيد الأسماء والصفات:

وهو واحد في أسمائه وصفاته؛ فالله تعالىٰ له أسماء حسنىٰ وصفات عُليا، ولكن هذه الأسماء والصفات أمور غيبيَّة، فالإيمان بالله من علم الغيب؛ والغيب لا يُعرف إلا عن طريق الوحي، فإنما يُعرف من الكتاب والسنَّة، ولا يعلمه الناس من تلقاء أنفسهم، فلا يضاف إلىٰ الله شيء إلا إذا جاء في الأدلَّة من الكتاب والسنة؛ فنثبت لله كل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ علىٰ وجه يليق بكماله وجلاله، دون تمثيل أو تشبيه أو تكييف، ودون تحريف أو تعطيل أو تأويل، بل كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. فأثبت السمع والبصر بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، ونفىٰ المشابهة بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾؛ فله سمع لا كالأسماع، وله بصر لا

كالأبصار؛ فيجب أن يكون إثبات الصفات قائمًا علىٰ أساس الإثبات مع التنزيه، لا الإثبات مع التشبيه، ولا التنزيه مع التعطيل.

*** وسطيَّة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات بين المشبِّهة والمعطِّلة:**

أهل السنة والجماعة وسطٌ بين المشبِّهة الذين أثبتوا وشبَّهوا، والمعطلة الذين قالوا: إن الله منزَّه عن صفات المخلوقين. فعطَّلوا الصفات اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ؛ فآل أمرهم إلىٰ أن شبهوا الله بالمعدومات.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا ونزَّهوا، أثبتوا فلم يعطِّلوا، ومع إثباتهم لم يشبِّهوا ولم يمثِّلوا؛ بل نزَّهوا؛ كما مرَّ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]؛ فهو نفي وإثبات؛ النفي في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، والإثبات في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

*** أنواع التوحيد ثلاثة لا رابع لها:**

هذه أنواع التوحيد الثلاثة التي دلَّ الكتاب العزيز عليها بالاستقراء؛ أي: ليس هناك دليل خاص يدلُّ علىٰ هذا التقسيم، ولكن عرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة؛ أنه ينقسم إلىٰ هذه الثلاثة الأنواع لا رابع لها: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وما يذكر من أن هناك أنواعًا من التوحيد تضاف إليها؛ فغير صحيح؛ لأنها ترجع إليها ولا تخرج عنها:

فليس من أقسام التوحيد: توحيد الاتباع؛ بل إن الاتباع داخل في الألوهيَّة؛ لأن توحيد الألوهية والعبادة يقوم على ركنين:

- أن تكون العبادة خالصة لله؛ وهو معنى: أشهد أن لا إله إلا الله.

- وأن تكون مطابقة لسنَّة رسول الله ﷺ؛ وهو معنى: أشهد أن محمدًا رسول الله.

وإذا اختلَّ أحد هذين الشرطين؛ لم يقبل العمل: فإن اختل الإخلاص رُدَّ العمل؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1].

وإن اختلَّ شرط المتابعة رُدَّ العمل؛ لقوله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ»[2].

وليس من أقسام التوحيد: توحيد الحاكمية؛ بل الحاكميَّة لها حالتان:

إن أُريد بها الحكم الكونيُّ؛ فهذا يرجع إلى توحيد الربوبية.

وإن أُريد بها الأحكام الشرعية، والآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة المشتملة على الأحكام؛ فهذا يدخل في توحيد الألوهية؛ لأن العبادة ما عرفت إلا عن طريق الكتاب والسنَّة، وكذلك الأحكام الشرعية ما عرفت إلا عن طريق الكتاب والسنة، فلا يقال: إنه قسم يضاف إلى الأقسام الثلاثة.

(١) صحيح: أخرجه مسلم رقم (٤٦/ ٢٩٨٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

❁ وقد اشتملت سورتا الفاتحة والناس على أنواع التوحيد الثلاثة:

أمَّا سورة الفاتحة :

فقال تعالىٰ في الآية الأولىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ يشتمل علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة:

فقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ فيه بيان توحيد الألوهيَّة؛ ففيه إسناد وإضافة الحمد إلىٰ الله، فكون العباد يصرفون الحمد لله؛ فهذا توحيد ألوهية.

وقوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ﴾؛ فيه بيان توحيد الأسماء والصفات؛ فـ(الله): اسم من أسماء الله الحسنىٰ، بل هو أعظم أسماء الله، بل هو الاسم الذي تُنسب إليه الأسماء؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ويخبر بالأسماء عنه كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، فـ(الله): مبتدأ، و(غفور): خبر أول، و﴿رَّحِيمٌ﴾ خبر ثانٍ، وكذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فتأتي الأسماء مضافة إليه وتابعة له أو منسوبة إليه.

وأيضًا (الرب) من أسماء الله؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ فيه بيان توحيد الربوبية، والعالمون: كل ما سوىٰ الله؛ فالله تعالىٰ ربهم الموجد لهم، المتصرِّف فيهم كيف يشاء.

❁ والآية الثانية فيها بيان توحيد الأسماء والصفات:

قَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾؛ اسمان من أسماء الله يدلَّان علىٰ صفة من صفات الله؛ وهي الرحمة؛ ففيها توحيد الأسماء والصفات.

وأسماء الله عَزَّوَجَلَّ كلها مشتقَّة تدل علىٰ معانٍ، وليس فيها اسم جامد، وكل اسم منها يشتقُّ منه صفة؛ فالرحمن يدل علىٰ الرحمة، والرحيم يدل علىٰ الرحمة، والعزيز يدل علىٰ العزَّة، والحكيم يدلُّ علىٰ الحكمة، والعليم يدل علىٰ العلم، والبصير يدل علىٰ البصر، والسميع يدل علىٰ السمع، والخبير يدل علىٰ الخبرة، وهكذا.

لكن العكس لا يكون؛ فلا يشتقُّ من الصفات أسماء؛ لأن من صفات الله اليد والوجه، ولا يؤخذ منها أسماء؛ وهي صفات ذاتيَّة، ومن صفات الله الفعلية: الاستهزاء والمكر والكيد، ولا يؤخذ منها أسماء؛ فلا يقال: مستهزئ ولا ماكر ولا كائد؛ من أسماء الله.

❁ ليس الدهر من أسماء الله:

وقد جاء عن بعض أهل العلم؛ أنه قال: إن من أسماء الله: الدهر؛ أخذًا من قوله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[1]. ولكن هذا غير صحيح، و(الدهر) اسم جامد،

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢/ ٢٢٤٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله فيه: «**وأنا الدهر**»؛ ليس معنىٰ ذلك أنه اسم من أسمائه، وإنما فيه بيان أن من سب الدهر فقد سبَّ الله؛ لأن الدهر هو الزمان، والزمان يتقلَّب، والله تعالىٰ هو المقلِّب، ومن سب المقلَّب رجعت سبته إلىٰ المقلِّب، والدهر ليس فاعلًا متصرفًا، وإنما هو متصرَّف فيه؛ ولهذا قال بعده: «**بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»؛ فالليل والنهار هما الدهر.

وأسماء الله كلها حسنىٰ - ولا يقال: إنها حسنة. فقط - بل هي (حُسنىٰ) أي: بالغة في الحسن نهايته وكماله. فتوصف بالوصف الأكمل والأعلىٰ.

❁ سر التنصيص على يوم الدين في سورة الفاتحة:

وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]؛ (الدين) هو: الجزاء والحساب، والناس يجازون يوم القيامة بأعمالهم؛ إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

والله تعالىٰ مالك الدنيا والآخرة، ومالك كل شيء، فلماذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، مع أنه مالك كل شيء؟

لأن ذلك اليوم هو الذي يظهر فيه الخضوع لرب العالمين من كل أحد، أما في الدنيا فقد وجد من يتكبَّر ومن يتجبَّر، بل قد وجد من قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]؛ وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]. أما الآخرة فليس هناك إلا الذلّ والخضوع والإذعان لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو سرُّ التنصيص علىٰ يوم الدين، والله أعلم.

ونظير هذا قول الرسول ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(١)]؛ مع أنه سيد الناس في الدنيا والآخرة، ولكن خص يوم القيامة بالذكر؛ لأنه يظهر فيه سؤدده علىٰ الجميع، علىٰ الخليقة كلها من أولها إلىٰ آخرها؛ وذلك أنه يشفع الشفاعة العظمىٰ التي تستفيد منها الخليقة كلها من أوّلها إلىٰ آخرها؛ ولهذا قيل لمقامه ذاك: المقام المحمود؛ أي: الذي يحمده عليه الأولون والآخرون.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ هذا توحيد ألوهية، وقدم المفعول للحصر؛ أي: نعبدك وحدك ولا نعبد معك غيرك.

وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ توحيد ألوهية؛ لأنه دعاء، و«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»؛ كما قال رسول الله ﷺ[(٢)].

ثم قال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل التوحيد، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ الذين جانبوا التوحيد، وكفروا بالله عَزَّوَجَلَّ.

فقد اشتملت هذه السورة علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة في مواضع متعدِّدة.

أما سورة الناس:

فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، عن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١ - ٦].

فالآية الأولىٰ فيها كالآية الأولىٰ في سورة الفاتحة: فقوله: ﴿أَعُوذُ﴾؛ توحيد ألوهية؛ لأن الاستعاذة من توحيد الألوهية.

وقوله: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾؛ فيه توحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن من أسماء الله (الرب)، و(رب الناس) يعني: خالق الناس وموجدهم ومربيهم بالنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقوله في الآية الثانية: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]؛ فيه توحيد الربوبية، أي: هو مالكهم وملكهم.

وفيه أيضًا توحيد الأسماء والصفات؛ لأن من أسماء الله الملك.

وقوله: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٣]؛ فيه توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن من أسماء الله الإله.

فهذه أنواع التوحيد الثلاثة اشتملت عليها سور القرآن، ويتَّضح ذلك بأول سورة وآخر سورة في المصحف (الفاتحة والخاتمة)؛ الفاتحة والناس.

والخلْقُ إنما خلقوا للعبادة وليُؤمروا ويُنْهوا؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي: إلا لآمرهم وأنهاهم؛ أي شرعًا، وليس قدرًا؛ فلو قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ أن يعبدوه ما تخلَّف عن عبادته أحد؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛ فالرسل أُرسلت للدعوة إلىٰ توحيد العبادة، والكتب أنزلت لبيان توحيد العبادة، وحتىٰ يُعبد الله طبقًا لما أمر به.

۞ معنى شهادة أن محمدًا رسول الله:

قال شيخ الإسلام محمَّدُ بن عبْد الْوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الْأُصُولِ الثَّلاثَةِ»: «وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ»(١)، فهي تشتمل علىٰ هذه الأمور وتقتضيها:

الأول: أن يطاع في كل ما يأمر به.

الثاني: أن يُنتهىٰ عن كل ما ينهىٰ عنه.

الثالث: أن يُصدَّق بكل خبر يخبر به.

الرابع: أن لا يعبد الله إلا طبقًا لما جاء به؛ فلا يعبد بالبدع والمنكرات والمحدثات، وإنما يُعبد بالوحي الذي جاء به من عند الله كتابًا وسنَّة.

۞ محبة النبي تدخل تحت شهادة أن محمدًا رسول الله:

ويدخل في ذلك محبَّته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محبة تفوق محبة كل مخلوق،

(١) (ص ٨).

ولا يتقدَّم عليه أحد في المحبة من الخلق؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١)؛ فالوالدان اللذان كانا سببًا في وجود الإنسان، وقد قاما بتنشئته وتربيته والإحسان إليه، حتىٰ بلغ مبلغ الرجال وصار رجلًا سويًّا، وكذلك أولاده الذين تفرَّعوا منه، وهو يحبُّهم ويشفق عليهم؛ لا يؤمن حتىٰ يكون رسول الله ﷺ أحبَّ إليه منهم؛ وذلك لأن المنفعة التي حصلت من الوالدين هي أنهما كانا سبب وجوده، وقاما بتنشئته، لكن المنفعة التي حصلت له بسبب الرسول ﷺ أعظم؛ وهي الهداية للصِّراط المستقيم، والخروج من الظلمات إلىٰ النور ببعثته وما جاء به ﷺ؛ فهذه أعظم نعمة وإحسان من الله لا يماثلها ولا يساويها نعمة.

وقوله: «وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»؛ يعمُّ القريب والبعيد؛ من كان للإنسان به علاقة ومن ليس له به علاقة من الناس، فلابدَّ أن تكون محبة الرسول ﷺ في قلبه مقدمة علىٰ محبَّة كل من سواه من الناس – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه–.

❁ منزلة الصلاة في الإسلام:

قَوْلُهُ ﷺ: «وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ»:

الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ ولهذا لما أرسل النبي ﷺ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٦٩/ ٤٤)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن، ورسم له الخطَّة التي يسير عليها في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»(١)، فهي أهمُّ الأركان وأعظمها وأول ما يُدعىٰ إليه بعد التوحيد، فقد جعلها ﷺ تالية للشهادتين.

والصلاة صلة وثيقة بين العبد وبين ربِّه؛ حيث تتكرَّر في اليوم والليلة خمس مرَّات، وبقيةُ الأركان ليست مثلها؛ فمنها ما يأتي كل سنة، ومنها ما يحصل في العمر مرة واحدة فقط.

وهي علامة تميِّز بين المؤمن والكافر؛ فالحدُّ الفاصل بين المرء وبين الكفر والشرك ترك الصلاة؛ كما في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ(٢).

ومن المعلوم: أنَّ الصلاة يمكن أن يعرف بها من يكون وليًّا من أولياء الله، ومن يكون بخلاف ذلك؛ لأنك إذا صحبت إنسانًا تستطيع أن تكتشفه خلال أربع وعشرين ساعة، فإن كان من المحافظين علىٰ الصلاة فهي علامة خير، وإن كان بخلاف ذلك فهي علامة شرٍّ، بخلاف الزكاة فإنها لا تجب إلا علىٰ الأغنياء، ولا تجب إلا مرة في السنة، ولا تجب إلا

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (٢٩/ ١٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٤/ ٨٢)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ».

بشروط؛ كأن يملك النصاب ويحول عليه الحول وغيرها، فلا يُعرف بها المرء بسرعة. والصيام لا يجب إلا شهرًا في السنة، والحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة، وأما الصلاة فتجب في اليوم والليلة خمس مرات في الجماعة، والتخلف عنها من علامات النفاق؛ كما جاءت الأحاديث بذلك[1].

وقد جاءت نصوص كثيرة تدلُّ علىٰ عظم شأن الصلاة وفضلها[2].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم رقم (٢٥٧/ ٦٥٤)، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ».

(٢) قال الشيخ حَفِظَهُٱللَّهُ في «شرح حديث جبريل» (ص٢٠-٢٢): «أهمُّ أركان الإسلام الخمسة بعد الشهادتين: الصلاة، وقد وصفها رسول الله ﷺ بأنَّها عمود الإسلام؛ كما في حديث وصيَّته ﷺ لمعاذ بن جبل، وهو الحديث التاسع والعشرون من الأربعين النووية، وأخبر أنَّها آخر ما يُفقد من الدِّين، وأوَّل ما يُحاسَب عليه العبد يوم القيامة؛ انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (١٧٣٩)، و(١٧٤٨).

وأنَّ بها التمييزَ بين المسْلِم والكَافر؛ رواه مسْلم (١٣٤).

ومِمَّا يدلُّ علىٰ أهميَّة شأن الصلاة أيضًا: أنَّ الله فرَضَ الصَّلوات الخمس علىٰ رسول الله ﷺ ليلة الإسْرَاء وهو في السماء، كما جاء ذلك في أحاديث الإسرَاءِ، وأنَّ أهلَ سَقَر يُجيبون عن أسباب دخولهم سَقَرَ بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٣] الآيات، وأنَّ الصلاةَ تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وهي من آخر ما أوصىٰ به رسول الله ﷺ؛ فعن أمِّ سلمة: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «الصَّلاة وَمَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ»؛ فمَا زالَ يَقُولها حَتىٰ مَا يفيض بها لسانه. وعن =

أنس بن مالك قال: كانتْ عامَّةَ وصيَّة رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: «الصَّلاة وَمَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ». وعن علي بن أبي طالب قال: كَانَ آخِر كَلامِ النَّبيِّ ﷺ: «الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ»؛ وهي أحاديث صحيحة، رواها ابن ماجه (١٦٢٥)، (٢٦٩٧)، (٢٦٩٨)، وغيرُه.

وأيضًا: فإنَّ الله لَمَّا ذكر صفات المؤمنين في سورتي «المؤمنون» و«المعارج» بدأها بالصلاة وختمها بالصلاة؛ فقال في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وقال في آخرها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]. وقال في سورة المعارج: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ [المعارج: ٢٢، ٢٣]، وقالَ في آخِرِهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].

وإقامَةُ الصَّلاةِ تكُون عَلىٰ حَالَتين:

إحداهما واجبة: وهو أداؤها علىٰ أقلِّ ما يحصل به فعل الواجب، وتبرأ به الذِّمَّة.

ومستحبَّة: وهو تكميلها وتتميمها بالإتيان بكلِّ ما هو مستحبٌّ فيها.

وهذه الصلوات الخمس لازمةٌ لكلِّ بالغ عاقل من الرِّجال والنساء، ما دامت الروح في الجسد، ويجب علىٰ الرِّجال أداؤها جماعة في المساجد، ويدلُّ لذلك قوله ﷺ: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ همَمتُ أَنْ آمرَ بحطَبٍ فيُحْطَب، ثمَّ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَيُؤَذَّن لها، ثمَّ آمُرَ رَجُلًا فيؤمَّ النَّاسَ، ثم أُخَالِفُ إلىٰ رِجَالٍ فَأُحرِقُ عَلَيْهِمْ بُيُوتهمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ؛ لَشَهِدَ العِشَاءَ»؛ رواه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله ﷺ: «إِنَّ أَثقَلَ صَلاةٍ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ

ثم قال ﷺ: «وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ»:

والزكاة تلي الصلاة في المنزلة، وهي قرينتها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ،

=

مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَىٰ قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»، رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) عن أبي هريرة.

وروىٰ مسلم في «صحيحه» (٦٥٤) عن ابن مسعود قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَىٰ، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَىٰ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَىٰ مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ؛ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَىٰ بِهِ يُهَادَىٰ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ».

وروىٰ أيضًا في «صَحِيحِهِ» (٦٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَىٰ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَىٰ الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ؛ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّىٰ؛ دَعَاهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَجِبْ».

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ والصُّبْحِ؛ أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ»، رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١١)، وقال: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا. ووافقه الذهبيُّ.

ويدلُّ لوجوب صلاة الجماعة: ورود نصوص الكتاب والسنَّة بأدائها حال الخوف؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية، وورد في السنَّة أحاديث متعدِّدة تدلُّ علىٰ أداء صلاة الخوف علىٰ أوجه مختلفة».

وتعلَّق بالإحسان إلىٰ الناس خاصة الفقراء والمساكين، فنفعها متعدٍّ، ولكنها لا تجب في السنة إلا مرة واحدة.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَتَصُومَ رَمَضَانَ»؛ فلا يجب في السنة إلا شهرًا واحدًا.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»؛ والحج لا يلزم في العمر إلا مرَّة واحدة، وما زاد علىٰ ذلك فهو تطوُّع.

❁ أركان الإيمان الستَّة:

ثم سأله عن الإيمان: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ.

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»)؛ وهذه هي أركان الإيمان الستة.

❁ معنى الإيمان بالله، وبيان أنه أساس أركان الإيمان:

قَوْلُهُ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ»؛ الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ يعني: الإيمان بوجوده، وربوبيَّته، وألوهيَّته، وأسمائه وصفاته، وقد سبق ما يتعلَّق ببيان الربوبية والألوهيَّة والأسماء والصفات في الكلام علىٰ الشهادتين[1].

وهذا الركن الأول من أركان الإيمان مثل الركن الأول من أركان الإسلام؛ لأن ذاك أساس يتبعه كل ما وراءه، وهذا أساس يتبعه كل ما وراءه؛ فالإيمان بالله يتبعه ما وراءه، ولهذا جاءت الأركان الأخرىٰ مضافة إليه: ملائكته، كتبه، رسله؛ فهو الأساس، وغيره تابع له، أي: أن الإيمان

(١) راجع ص (٥٤٠).

بالملائكة تابع للإيمان به، والإيمان بالرسل تابع للإيمان به، والإيمان بالكتب تابع للإيمان به، والإيمان باليوم الآخر تابع للإيمان به، والإيمان بالقدر تابع للإيمان به، ومن لم يؤمن بالله لا يؤمن بهذه الأمور.

۞ الإيمان بالملائكة:

قَوْلُهُ: «وَمَلَائِكَتِهِ»:

الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان الستة، والملائكة عالم من العوالم التي خلقها الله عَزَّوَجَلَّ، وقد خلقهم من نور؛ كما ثبت ذلك في الحديث عن رسول الله ﷺ؛ قال: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(١) أي: من تراب ومن طين.

فجمع هذا الحديث أصل هذه العوالم الثلاثة.

۞ صفات الملائكة:

- الملائكة خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ ذوي أجنحة، مثنىٰ وثلاث ورباع:

وجبريل له ستمائة جناح؛ كما جاءت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ(٢)، وهم يطيرون بأجنحتهم، ويتحولون إلىٰ صورة الإنسان؛ كما جاء في أول الحديث، وكما جاء في قصة ضيوف إبراهيم، وفي مجيء جبريل إلىٰ

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) تقدم الكلام علىٰ هذا بشيء من التفصيل في شرح أول هذا الحديث.

مريم بصورة بشر(١).

- وهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]:

فهم مستسلمون منقادون دائمًا وأبدًا، فليس عندهم إلا الطاعة، ولا تحصل منهم معاصٍ.

- **وقد وكلّوا بأعمال كثيرة:**

فمنهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بالقطر، ومنهم الموكل بالموت، ومنهم الموكل بالجنة، والموكل بالنار، ومنهم الموكل بالحفظ والكتابة، ومنهم الموكل بالجبال، ومنهم الموكل بالأرحام، وغير ذلك من أعمالهم الكثيرة(٢).

---

(١) راجع ص(٥٣٦).

(٢) قال الشيخ ﷾ في «قطف الجنىٰ الداني» (ص١٥٠-١٥٢): «والملائكةُ منهم الموكَّلون بالوحي، والموكَّلون بالقَطر، والموكَّلون بالموت، والموكَّلون بالأرحام، والموكَّلون بالحفظ، والمُوكَّلون بالجنَّة، والمُوكَّلون بالنار، والمُوكَّلون بغير ذلك، وكلُّهم مُسْتَسْلِمُون مُنْقَادُون لأمرِ الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون.

والواجبُ علىٰ المسلم الإيمانُ والتصديق بكلِّ ما جاء في الكتاب العزيز وصحَّت به السُّنَّة من أخبار عن الملائكة.

٢- منَ الملائِكَةِ مَنْ وُكِّل بالحِفْظِ والكِتَابَةِ، كَمَا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا =

﴿لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٦-١٨].

والكَتَبَةُ يكتبون أقوالَ العباد وأفعالَهم، بل ويكتبون الهمَّ بالحسنة والسيِّئة؛ فقد روىٰ البخاري (٧٥٠١) ومسلم (٢٠٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ»، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ والمعنىٰ: أنَّ حفظَ الملائكة للإنسان هو مِمَّا أمرهم الله به، والله بكلِّ شيء عليم، وهو يعلم أقوالَ العباد وأفعالَهم كُتبت أو لم تُكتَبْ، والكتابةُ إنَّما هي لإحصَاءِ أعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَقْوالِهِمْ، وإيقافهم علَيهَا، وإظهار عدْل الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم، وأنَّه يُثيبُهم علىٰ أعمالهم الحسنة، ويُعاقبهم علىٰ أعمالهم السيئة، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

والعقابُ يقع علىٰ الشرك، وكلُّ ذنب دونه فهو تحت مشيئة الله، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٣- من الإيمانِ بالملائكةِ: الإيمان بالملائكة الموكَّلين بالموتِ، وقدْ جاء التَّوَفِّي في القرآن مضافًا إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، وجاء مُضافًا إلىٰ مَلَك الموت، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وجاء مضافًا إلىٰ الملائكة، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وَلا تَنَافي بينَ هذه الإضَافَاتِ؛ فَإضَافةُ الموتِ إلىٰ اللهِ؛ لِكَونه الآمرَ به والمقدِّرَ له والموجدَ له، وإضافتُه إلىٰ مَلَك الموت لِكَوْنِهِ المباشرَ

- وهم خلق كثير لا يحصيهم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

وممَّا يدل علىٰ كثرتهم: أنَّ البيتَ المَعْمُور وهو في السَّماء السابِعَة «يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»(١)، ومعنىٰ هذا: أنه كل يوم يدخل سبعون ألفًا، ولا يتاح لمن دخله أن يرجع إليه مرة أخرىٰ.

وكذلك حديث: «يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(٢).

ويدل علىٰ ذلك أيضًا: أنَّ كل إنسان معه حفظة وكتبة من الملائكة.

- وقد وصف الله الملائكة بالرسالة، ولم يصفهم بالنبوَّة:

كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]؛ فوصفوا بأنهم رسل، وما وصفوا بأنهم أنبياء.

❁ الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب:

يجب التصديق والإيمان بكل ما جاء في الكتاب وثبتت به السنة عن رسول الله ﷺ من أخبار الملائكة، وعدم التردُّد في ذلك.

والأصل في هذا الباب: أن الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب، وأنه

=

لقبض الأرواح، وإضافتُه إلىٰ الملائكة لأخذهم الأرواحَ مِنْ مَلَك الموتِ بعْدَ قَبْضِهَا».

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٦٤/ ١٦٤)؛ عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم، رقم (٢٩/ ٢٨٤٢)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا يثبت فيهم إلا ما ثبت بالدليل، ولا يتكلم بشيء من غير علم؛ لأن علم الغيب لا يعرف إلا بالوحي؛ فهم لا يشاهَدون ولا يعايَنون، بل إنهم يكونون قريبين من الإنسان يكتبون ويحفظون، ومع ذلك لا يشاهدهم الناس، ومثلهم الجنّ الذين يكونون حول الإنس ولا يشاهدونهم ولا يعاينونهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

۞ الإيمان بالكتب:

قَوْلُهُ: «وَكُتُبِهِ»:

الإيمان بالكتب يكون بأن نصدِّق بما جاء في الكتاب والسنة من كتب أنزلها الله، وكذلك ما لم يُذكر لنا؛ لأنه ليس كل كتاب قُصَّ علينا خبره، فكل رسول قد أنزل الله عليه كتابًا؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]؛ فنؤمن علىٰ سبيل التفصيل بالذي سُمي باسمه؛ كالتوراة التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ، والزبور الذي أنزله الله علىٰ داود، والإنجيل الذي أنزله الله علىٰ عيسىٰ، وكذلك صحف إبراهيم وموسىٰ؛ هذا هو الذي سمي لنا في القرآن(١).

(١) قال الشيخ حَفِظَهُ اللهُ في «قطف الجنىٰ الداني» (ص ٣٠): «وقد جاء ذكر صحف إبراهيم وموسىٰ في موضعين من القرآن، في سورتَي النجم والأعلىٰ، وزبور داود جاء في القرآن في موضعين، في النساء والإسراء، قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهما: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وأمَّا التوراة =

والذي لم يسمَّ نؤمن به علىٰ سبيل الإجمال، وإن لم نعرف اسمه، فنؤمن بالجميع، ونقول: إن هذه الكتب من جملة كلام الله.

ونعلم أن هذه الكتب مشتملة علىٰ ما فيه الخير والسعادة لمن أنزلت عليه، وأن من أخذ بها فقد سعد، ومن أعرض عنها فقد خاب وخسر(١).

والإنجيل فقد جاء ذكرهما في كثير من سُوَر القرآن، وأكثرهما ذكرًا التوراة؛ فلَم يُذكر في القرآن رسول مثلما ذُكر موسىٰ، ولم يُذكر فيه كتاب مثلما ذُكر كتاب موسىٰ، ويأتي ذكره بلفظ: التوراة، والكتاب، والفرقان، والضياء، والذِّكر».

(١) قال الشيخ حَفِظَهُ اللهُ في «قطف الجنىٰ الداني» (ص ٣٠، ٣١): «ومِمَّا يمتاز به القرآن علىٰ غيره من الكتب السابقة: أنَّه يجب الإيمانُ به تفصيلًا؛ فتُصدَّق أخبارُه، وتُمتثل أوامرُه، وتجتنب نواهيه، ويُتعبَّد الله طبقًا لِمَا جَاء فِيه وفي سنّة رسول الله ﷺ، وأنَّه المعْجِزة الخالدة التي تُحدِّي أهل الفَصَاحة والْبَلاغَةِ علىٰ أن يأتوا بسورة مثله، فعجزوا ولن يستطيعوا؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ويمتاز أيضًا: بتكفُّل الله بحفظه وسلامته من التحريف؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ويمتاز بنزوله منجَّمًا مفرَّقًا؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وكونه مُهَيمنًا علىٰ الكُتُب السَّابقة؛ قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، فهذه الآية تدلُّ علىٰ أنَّ القرآنَ مُهيمنٌ علىٰ الكتب السَّابقة، وسنَّةُ رسول الله ﷺ شارحةٌ للكتاب وموضِّحة له؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ:

❁ كلام الله عَزَّوَجَلَّ لا حصر له:

الكتب من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وكلام الله عَزَّوَجَلَّ لا حصر له؛ لأن المتكلِّم به سبحانه لا بداية له ولا نهاية، وكذلك كلامه لا بداية له ولا نهاية، أما المخلوقات فكلها محصورة.

وجاء في القرآن الكريم آيتان تدلان على سعة كلام الله وكثرته، وأنه لا يحاط به:

الآية الأولى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩].

الآية الثانية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فالبحار الزاخرة والمحيطات على سعتها لو تحوَّلت مدادًا -أي: حِبْرًا- يُكتب به؛ لنفدت البحور ولو ضوعفت أضعافًا مضاعفة؛ لأنها لو ضوعفت مع سعتها وكثرة مائها فهي محصورة، وكلام الله عَزَّوَجَلَّ لا ينحصر.

والقرآن من كلام الله، وكذلك التوراة والإنجيل والزبور، وكل كتاب أنزله الله عَزَّوَجَلَّ فهو من كلامه، وكلُّ كلام سمعه منه ملَكَ أو إنس؛ فإنه من كلامه، كما أن الرسول ﷺ كلَّمه الله وكذلك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلَّمه الله، فكل منهما كليم الله، ويكلم سبحانه أهل الجنة إذا دخلوا الجنة.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ولا بدَّ من العمل بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ومن كفر بالسُّنَّة فقد كفر بالقرآن».

❁ الإيمان بالرسل:

قَوْلُهُ: «وَرُسُلِهِ»:

أي: الإيمان برسل الله عَزَّوَجَلَّ، وهم من البشر، أرسلهم الله عَزَّوَجَلَّ وأوحىٰ إليهم، وأمرهم بالتبليغ، وقاموا بأداء ما كُلِّفوا به علىٰ التمام والكمال، ودلُّوا أممهم علىٰ كل ما أمروا بتبليغه لهم. وما بعث الله من نبي إلا ودل أمته علىٰ خير ما يعلم لها، وحذَّرها من شر ما يعلم لها؛ كما جاءت بذلك السنة عن رسول الله – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه –[1].

ونحن نؤمن بمن سمِّي لنا منهم باسمه علىٰ سبيل التفصيل، ومن لم يسمَّ نؤمن به وإن لم نعرف اسمه علىٰ سبيل الإجمال، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]؛ فنحن نؤمن بما قص وما لم يقص.

والله عَزَّوَجَلَّ سمَّىٰ في القرآن خمسة وعشرين نبيًّا؛ جاء ثمانية عشر منهم في سورة الأنعام في سياق واحد، قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ

(١) صحيح: أخرجه مسلم رقم (٤٦/ ١٨٤٤)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ولفظه: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».

﴿وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦]. ويبقىٰ بعدهم سبعة، وهم: آدم وهود وشعيب وصالح ومحمد ﷺ وذو الكفل وإدريس. وقد ذكر سبعة عشر منهم في سورة الأنبياء، لكن الموضع الذي ذكر فيه أكثر عدد منهم هو ما في سورة الأنعام.

❁ **الفرق بين الرسول والنبي:**

قال بعض أهل العلم: أن الرسول: هو الذي أوحي إليه بشريعة ابتداءً، وأنزل عليه كتاب، وأُمر بتبليغه.

والنبي: هو الذي أُمر بأن يبلِّغ رسالة سابقة، ولم ينزل عليه كتاب، ولكنه كُلِّف بأن يحكم بكتاب، أو أن يبلِّغ كتابًا، أو الذي أوحي إليه بوحي ولم يؤمر بتبليغه.

مثل أنبياء بني إسرائيل من بعد موسىٰ، الذين قال الله عنهم في سورة المائدة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾؛ صفة كاشفة، فذكر أنهم يحكمون بالتوراة التي أنزلت علىٰ موسىٰ، وإذًا هم **مرسلون** ليبلغوا التوراة، فإذًا فالنبي مرسل؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ...﴾ [الحج: ٥٢]؛ فكلٌّ من الرسول والنبي وُصِف بأنه مرسل، إلا أن الرسول أُرسل بكتاب وبشرع

جديد أنزل عليه، وهذا أرسل يبلِّغ رسالة سابقة، ويحكم بكتاب سابق أُنزل على من قبله ولم ينزل عليه.

وقد جاء في القرآن وصف بعض الرسل بأنهم أنبياء ورسل، كما جاء في حق نبيِّنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]؛ فخاطبه الله بالنبوة، وخاطبه بالرسالة.

وجاء في حق موسىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، وإسماعيل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

ونبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أول ما نزل عليه الوحي لم يؤمر بالتبليغ، لكن جاءته النبوة، ثم مكث مدة لم يؤمر بالتبليغ، ثم نزلت سورة المدثر؛ فصار رسولًا نبيًّا؛ فهو قد نُبِّئَ بـ(اقْرَأ)، وَأُرْسِلَ بـ(الْمُدَّثِّر) - كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأصول الثلاثة»[1] -؛ فجمع بذلك بين النبوة والرسالة - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

والواجب: هو التصديق والإيمان بكل ما جاء من ذِكر أسمائهم، ومن الأخبار التي جاءت عنهم، وما جرىٰ بينهم وبين أممهم، وما يتعلَّق بكتبهم - صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم -، ولا نعرف ذلك إلا بالكتاب

---

(١) (ص ١١).

العزيز أو بالسنة.

❁ حكمة الترتيب بين الملائكة والكتب والرسل:

وقدم ذكر الملائكة علىٰ الكتب والرسل في الأصول الستَّة؛ لأنهم هم الذين يأتون بالوحي إلىٰ الرسل؛ فهم الواسطة بين الله وبين رسلِهِ، ثم ذكر بعدهم الكتب؛ لأنهم ينزلون بالكتب، ثم جاء ذكر الرسل؛ لأنهم هم الذين تصل إليهم الكتب من الملائكة، فجاء الترتيب بذكر الإيمان بالملائكة أولًا؛ لأنهم الذين يأخذون عن الله، ثم الذي يأخذونه هو الكتب وينزلون بها، ثم الرسل الذين تنتهي الرسالة إليهم؛ حيث ينتهي الرسول الملكي إلىٰ الرسول البشري فيبلغه ما أنزل عليه.

❁ الإيمان باليوم الآخر:

قَوْلُهُ: «وَالْيَوْمِ الآخِرِ»:

واليوم الآخر هو الذي بعد اليوم الأول؛ أي: الدنيا، والحدُّ الفاصل بين الدنيا والآخرة: هو الموت، فكل من مات انتقل من الدنيا إلىٰ الآخرة، وهذه الآخرة فيها حياة برْزخيَّة، وحياة بعد البعث، ولكنها كلها علىٰ طريقة واحدة من ناحية أنها دار جزاء وليست دار عمل؛ فما قبل الموت عمل، وما بعد الموت جزاء؛ فمن قدَّم شيئًا قبل الموت وجده بعد الموت، سواء في القبر أو بعد البعث والنشور؛ فما بعد الموت مبنيٌّ علىٰ ما قبله، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كما ذكره البخاري عنه في

كتاب الرقاق -: «ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ؛ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ»[1].

قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً)؛ يعني: بالموت؛ فكل يوم يمضي من حياة الإنسان يقربه من الأجل.

❁ من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وما يكون فيه:

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وما يجري فيه من الفتنة، وسؤال الملكين، وأن الموفق إذا سئل عن ربه ودينه ونبيه فإنه يجيب، كما قال تعالىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧][2]، وأنَّ الذي لم يوفق لا يجيب عن تلك الأسئلة، وأن الموفَّق يفتح له باب إلىٰ الجنة، فيأتيه من روحها

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا (٨/ ٨٩)، ووصله ابن المبارك في الزهد (رقم ٢٥٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٤٩٥)، وغيرهما.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٧٣/ ٢٨٧١)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، ولفظ البخاري: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»، وعند مسلم: «﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾؛ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾».

ونعيمها، والمخذول يفتح له باب إلىٰ النار فيأتيه من حرِّها وسمومها[(١)]؛ فينعَّم المنعَّم بنعيم الجنة وهو في قبره، ويعذَّب المعذَّب بعذاب النار وهو في قبره.

ويدل علىٰ عذاب الكفار في القبور: قول الله عَزَّوَجَلَّ في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وأمَّا عَذَاب من استحق ذَلِك منَ الْمسلمين: فيدلُّ عليه ما جاء في قصة الرجلين اللذين أطلع الله نبيه ﷺ علىٰ سبب عذابهما في القبر؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُمَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[(٢)].

والنعيم أو العذاب يكون للروح والجسد جميعًا، وليس للروح وحدها؛ فالروح تنعَّم أو تعذَّب متَّصلة بالبدن ومنفصلة عنه، وذلك أن الإحسان حصل منهما جميعًا، والإساءة حصلت منهما جميعًا؛ فتكون

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث طويل، في موعظته ﷺ عند القبر الذي يُلحَد. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (١١١/ ٢٩٢)، ولفظة «لا يَسْتَبْرِئُ» عند النسائي (٢٠٦٨)، وعندهما: «لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»، ولمسلم: «لَا يَسْتَنْزِهُ».

العقوبة أو النعيم علىٰ مجموع الأمرين؛ لأن الروح وحدها ما حصل منها إحسان وإساءة، والجسد وحده ما حصل منه إحسان وإساءة، وإنَّما حصلت الإساءة أو الإحسان بمجموع الروح والجسد.

ومن مات فإنه يبقىٰ في قبره، ومن الناس من تأكله الأرض، ومنهم من لا تأكله وهم الرسل والأنبياء؛ كما جاءت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ(١)، والعذاب يصل إلىٰ من يستحقُّه؛ قُبِر أو لم يُقْبر، وإنما أضيف العذاب إلىٰ القبور؛ لأن الغالب أن الناس يُقْبَرون، لكن مِن الناس مَن لا يقبر؛ فمنهم من تأكله السباع، أو الحيتان في البحر، ومنهم من يحترق وتأكله النار ويصير رمادًا، ولكن كل مستحق لعذاب القبر يصل إليه العذاب، وكل مستحق للنعيم يصل إليه النعيم، والله تعالىٰ علىٰ كل شيء قدير، ولا دخل للعقول في ذلك ولا تدركه؛ لأن عذاب القبر من أمور الغيب. ولهذا لا يقال: إننا نفتح القبر ولا نجد فيه جنة ولا نارًا. بل الجنة

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)؛ عن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ -يَعْنِي: وَقَدْ بَلِيتَ-؟! قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ -»، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٥٢٧)، وفي الإرواء رقم (٤).

والنار موجودتان في القبر ولو لم ترَ شيئًا؛ لأن هذا شيء لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعلمه الخلق، فكما أنك الآن عندك ملائكة وجن يحضرونك ومع ذلك لا تراهم ولا تشاهدهم، فكذلك أيضًا هذه الأمور لا تستطيع مشاهدتها، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»[1]؛ فهو ﷺ أسمعه الله وأطلعه علىٰ ما يجري في القبور، وغيره ممن يكون حوله لا يسمع، كما أنه ﷺ لمَّا صَلَّىٰ بالنَّاس صلاة الكُسُوفِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ[2]؟ قَالَ ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ**»[3]، والصحابة الَّذين صلَّوا مَعه ﷺ لمْ يروا هذا الذي رآه رسول الله ﷺ، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يطلع من شاء علىٰ مَا شَاءَ، ويُخفِي مَا شاء علىٰ مَنْ شاء.

❁ الإيمان بالبعث الجسماني وكيفيته:

- إعادة الأجساد التي كانت في الدنيا في البعث يوم القيامة:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٧/ ٢٨٦٧)، عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و(٦٨/ ٢٨٦٨)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أيْ: أحْجَمْت وتأخَّرت إِلَىٰ وَراء. انظر: النهاية (٤/ ١٨٠)، والمعجم الوسيط (٧٩٠)؛ مادة: (كعكع). وفي رواية لمسلم: «كَفَفْتَ».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (١٧/ ٩٠٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعندما يبعث الناس من قبورهم؛ فإن نفس الأجساد التي وضعت في القبور هي التي تعود، ولا تأتي أجساد جديدة غير التي وضعت في القبور؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤]؛ أي: فنحن نعيده.

ومن النصوص التي جاء فيها كيفية البعث:

- قصَّة الرجل الذي أسرف علىٰ نفسه: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ. فَأَمَرَ اللهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ** - وفي رواية: **فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ؛ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ** -، **ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَغَفَرَ لَهُ**»(١).

- وقصَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الطيور: كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ فقد أمره الله أن يأخذ أربعة من الطيور يَصُورُهُنَّ(٢) إليه، ويذبحهنَّ ويقطعهنَّ ويخلط اللحم بعضه

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٥٠٦)، ومسلم (٢٤/ ٢٧٥٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري بنحوه (٧٥٠٨) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٤/ ٤٧٤): «أي وَجِّهْهن... قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ (صُرْهُنَّ): وَجِّهْهُنَّ =

ببعض حتىٰ يصير كتلةً واحدةً، ثم يجعل علىٰ كل رأس جبل قطعة من هذه الكتلة، ثم يدعوهنَّ فتنطلق كل ذرة وكل قطعة حتىٰ تأتي إلىٰ مكانها الذي يخصُّها من ذلك الطائر، حتىٰ تعود الطيور علىٰ ما كانت عليه.

فهذه كيفية البعث وطريقته، وفيها أن الأجساد نفسها هي التي تُبعث، وهذا هو الذي تقتضيه حكمة الله؛ حيث إن الجسد الذي أساء هو الذي يعذَّب، والجسد الذي أحسن هو الذي ينعَّم؛ لا يُخلق جسد ليس له علاقة بالدنيا فيعذب أو ينعم؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، معناه: أن الأجساد التي كانت في الدنيا هي التي تشهد بما عملت في الدنيا، ولو كانت أجسامًا جديدة لما كانت تعرف شيئًا عن الدنيا، فكيف تشهد؟! وكذلك قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

فتنشق القبور عن أصحابها، ويخرج من الأرض ما دخل فيها، ويخرج الناس من قبورهم، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

= بضم الصاد -، وَمَعْنَىٰ (صِرْهن) - بكسر الصاد -: قَطِّعْهن وشَقِّقهن. وَالْمَعْرُوفُ أنهما لُغَتَانِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ - وهما قراءتان -، وَكُلُّهُمْ فَسَّرُوا ﴿فَصُرْهُنَّ﴾: أَمِلْهن، وَالْكَسْرُ فُسر بِمَعْنَىٰ: قَطِّعْهن. قَالَ الزَّجَّاجُ: قَالَ أَهل اللُّغَةِ: مَعْنَىٰ (صُرْهُنَّ إِليك)؛ أَمِلْهن وَاجْمَعْهُنَّ إِليك» اهـ بتصرف.

❁ **الإيمان بالحشر وما يكون في أرض المحشر:**

ثم إذا خرج الناس من قبورهم يذهبون إلىٰ المحشر، ويجتمعون في صعيد واحد، من لدن آدم إلىٰ الذين قامت عليهم الساعة، ويموج بعضهم في بعض(١)، وتصيبهم شدَّة، ويبحثون عمن يشفع لهم إلىٰ الله لفصل القضاء بينهم، حتىٰ يحاسبوا ويذهبوا إلىٰ منازلهم من الجنة أو النار؛ فيأتون إلىٰ آدم أبي البشر فيعتذر، ثم إلىٰ نوح فيعتذر، ثم إلىٰ إبراهيم فيعتذر، ثم إلىٰ موسىٰ فيعتذر، ثم إلىٰ عيسىٰ فيعتذر، ثم إلىٰ نبينا محمد ﷺ فيقول: «**أَنَا لَهَا**»، ثم يتقدَّم ويشفع ويفتح الله عليه بالمحامد، فيقال له: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»(٢)؛ فيشفِّعه الله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦/ ١٩٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ولفظه: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ...» الحديث، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]؛ قال الشيخ السعدي في التفسير (ص ٩٣٣): «﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾؛ أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها»، وفي «لسان العرب» (٦/ ٣٣٠): «شَبَّهَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الناسَ يومَ البَعْث بِالْجَرَادِ الْمُنتَشر وبالفَراش الْمَبْثُوثِ؛ لأنهم إذا بُعِثُوا يمُوج بعضُهم فِي بَعْضٍ كَالْجَرَادِ الَّذِي يَمُوج بعضُه فِي بَعْضٍ».

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦/ ١٩٣)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧/ ١٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه هي الشفاعة العظمىٰ، وهي المقام المحمود؛ لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -؛ لأن الكل يستفيد من شفاعته، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)]؛ فنصَّ علىٰ يوم القيامة لأنه يظهر فيه سؤدده علىٰ الأولين والآخرين، وإلا فهو سيد الناس في الدنيا والآخرة - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

فيأتي الله لفصل القضاء بين العباد بشفاعة الرسول ﷺ، ثم يكون الحساب.

ثم بعد المحاسبة توزن الأعمال، والله عَزَّوَجَلَّ عالم بكل شيء، وعالم بالراجح والمرجوح، ولكن وزن الأعمال من أجل العباد أنفسهم؛ حتىٰ يعرفوا ما لهم وما عليهم، وليظهر عدل الله عَزَّوَجَلَّ فيهم، وأن من كان عنده حسنات فإنه لا ينقص منها شيء، ومن كان عنده سيئات فإنه لا يزاد عليها شيء، بل كلُّ امْرئ ما حصَّل من خير فسيجده أمامه، وما حصل من شر فسيجده أمامه؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. وقال في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[(٢)].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧/ ١٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥٥/ ٢٥٧٧)، عن أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثم يذهبون إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار، والنار في الطريق إلىٰ الجنة؛ فلا يوصل إلىٰ الجنة إلا بالمرور علىٰ النَّار، والصراط منصوب علىٰ متن جهنم، والناس يمرون علىٰ الصراط؛ فمن كان من أهل النار وقع في النار، ومن كان من أهل السعادة تجاوز هذا الصراط، وذهب إلىٰ الجنة التي هي وراء النار.

والناس يمرون علىٰ الصراط، وهم متفاوتون في المرور عليه علىٰ حسب ما عندهم من الإيمان والأعمَال الصَّالحة؛ فمنهم من يمرُّ بسرعة البرق، ومنهمْ منْ يمُرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كَأَجَاوِيدِ[1] الخَيْلِ، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من تخطفه الكَلَالِيبُ[2] فيقع في النار[3]، ولكن من وقع في النار وهو من أهل الإيمان؛ فإنه لا يخلد فيها، بل لابد وأن يخرج منها ويدخل الجنة، ولا يبقىٰ في النار أبد الآباد إلا الكفار الذين لا سبيل لهم إلىٰ الخروج منها؛ لأن الجنة حرمت عليهم، والنار هي مقرهم، وهم متفاوتون فيها في الدركات.

---

(١) قال في «النهاية» (١/ ٣١٢): «هِيَ جَمْع أَجْوَاد، وأَجْوَاد: جَمْعُ جَوَاد»، والجواد: هو النجيب من الْخَيل. انظر: المعجم الوسيط (١٤٦).

(٢) جمع كُلَّاب أو كَلُّوب؛ وهو حديدة معوجة الرَّأس ينشل بهَا الشَّيْء أو يعلق. انظر: لسان العرب (١/ ٧٢٥)، والمعجم الوسيط (١/ ٧٢٥).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢/ ١٨٣)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه بنحوه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩/ ١٨٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ الإيمان بالجنة والنار:

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالجنَّة والنار، وما في الجنة من النعيم المقيم، مما جاء بيانه في القرآن، وسنَّة الرسول ﷺ، وما في النار من العذاب الأليم الذي جاء بيانه في القرآن وسنَّة الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

❁ الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب:

وقد جاء الكتاب والسنة بهذه التفاصيل المتعلِّقة بالقبر وعذابه ونعيمه، وبالبعث وكيفيته، وبالحشر وما يجري فيه، والجنة والنار، وكل أمور الآخرة غيبيَّة يجب الإيمان والتصديق بها، وأنها حق، وعدم الاعتراض عليها، وعدم التردد في قبول شيء منها، وأنها حقيقة وأنها واقعة، وأنها لابد وأن توجد.

ولا يجعل الإنسان ذلك تابعًا لعقله؛ فإن الواجب على العقول التسليم والانقياد والاستسلام، وعدم الاعتراض أو التردُّد في تصديق كل ما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن رسوله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

فكل ما أخبر به الرسول ﷺ من أخبار ذلك اليوم؛ فإنه يقع طبقًا لما أخبر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فالواجب - كما مرَّ - تصديق الرسول ﷺ في أخباره الماضية والمستقبلة والموجودة التي لا تشاهد ولا تُعاين.

ثم الإيمان بالقدر؛ في قوله: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وهو الركن

السادس من أركان الإيمان، وقد مرَّ الكلام فيه قريبًا.

❁ **أركان الإيمان كلها غيب:**

أركان الإيمان كلها غيب؛ فالإيمان بالله من الإيمان بالغيب، والإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب، والإيمان بالرسل من الإيمان بالغيب، والإيمان بالكتب من الإيمان بالغيب، والإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب، ولا يعرف الناس شيئًا منها إلا عن طريق الوحي من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله ﷺ.

❁ **العلاقة بين الإسلام والإيمان:**

والرسول ﷺ أجاب عن السؤال عن الإسلام بالأمور الظاهرة التي يظهر فيها الاستسلام والانقياد؛ وهي: الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج؛ فإن الإسلام في الأصل: هو الاستسلام لله، وهذا الاستسلام يظهر على الجوارح.

وأجاب عن السؤال عن الإيمان بالأمور الباطنة.

وكما هو معلوم: فإن الإيمان لابد أن يكون بالقلب وباللسان وبالعمل، لكن فسره هنا بالأمور الباطنة، فلما كان السؤال عن الإسلام والإيمان؛ وُزِّعَ المعنى العام عليهما؛ فأعطي الإسلام الأمور الظاهرة، وأعطي الإيمان الأمور الباطنة؛ فأضيف إلى الإسلام ما يناسب معناه اللغوي؛ وهو الاستسلام والانقياد، وأضيف إلى الإيمان ما يناسب معناه اللغوي؛ وهو ما

يقوم بالقلب من التصديق، لكن إذا انفرد أحدهما بالذكر شمل المعاني المفرقة عند الاجتماع.

فلفظا (الإيمان والإسلام) من الألفاظ التي إذا جُمِع بينهما في الذكر فُرِّق بينهما في المعنىٰ؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فليس المقصود من ذلك الأمور الظاهرة فقط دون الاعتقاد وما يقوم بالقلوب، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] ليس المقصود من ذلك ما جاء في حديث جبريل: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله... إلخ**» فقط، بل يدخل فيه أركان الإسلام وأركان الإيمان.

وكذلك الإيمان عندما يأتي منفردًا يشمل الظاهر والباطن[1].

❁ **معنى الإحسان في حديث جبريل:**

ثم سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإحسان: (**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ.**

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»).

وهذا فيه بيان عظم شأن الإحسان، وأنه منزلة عالية رفيعة، وأنَّه أعلىٰ مما تقدَّمه من الإسلام والإيمان؛ لأن فيه قدرًا زائدًا علىٰ ذلك؛ وهو: أن الإنسان يعبد الله وكأنه واقف بين يديه، ومن كان كذلك فإنه يتقن عمله فيأتي به علىٰ الوجه الأكمل والأتم، ولا يحصل منه إخلال فيه.

---

(١) سبق الكلام علىٰ ذلك بتفصيل أكثر؛ انظر (٤٤٩).

والإحسان - كما هو معلوم - يكون في عمل الإنسان القاصر[(١)]؛ مثل الصلاة؛ فيصلي كأنه واقف بين يدي الله، فيقبل علىٰ صلاته، ويحافظ عليها، ويأتي بكل ما يلزم فيها.

وكذلك يكون الإحسان في العمل المتعدي، وذلك بالإحسان إلىٰ الناس بالقول أو بالمال، وذلك بإخراج الواجب والمستحبِّ من المال في الزكاة والصدقات، وما إلىٰ ذلك.

ويكون أيضًا الإحسان بالعلم، والدعوة إلىٰ الخير، والتبصير بالحق والهدىٰ، وتعليم العلم النافع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن هذا كله إحسان إلىٰ من بُذل له؛ لأنه يستفيد هدًىٰ، وعلمًا نافعًا، يسير به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ بصيرة.

ويكون الإحسان بالجاه، ويكون في وجوه كثيرة. لكن كون الإنسان يأتي بالعمل - مثل الصلاة -؛ وهو مقبل علىٰ الله، ويستشعر بأنه بين يدي الله؛ فهذه درجة الكمال، ودرجة الكمال لا تحصل لكلِّ أحدٍ، ولا تتيسَّر لكل أحد.

وإذا لم يكن العبد يرىٰ الله؛ فإنه يستشعر أن الله مطلع عليه، فالله تعالىٰ مطلع علىٰ كل شيء، لكن كون الإنسان يستشعر ذلك المعنىٰ، وأنه تعالىٰ رقيب عليه،

---

(١) أي: غير المتعدي.

لا تخفىٰ عليه خافية، فكل حركاته وسكناته يراها الله تعالىٰ، ويطلع عليها؛ فإن ذلك يدفعه إلىٰ العناية بالعمل، وإلىٰ الإتيان بالعمل علىٰ الوجه المطلوب.

❁ تفاوت الناس بين الإحسان والإيمان والإسلام:

يقول العلماء: إن الإسلام والإيمان والإحسان هي درجات؛ فالمحسن هو مؤمن ومسلم، ودونه المؤمن؛ فإنه مؤمن مسلم، ودونه المسلم؛ إذ ليس كل مسلم مؤمنًا، وكذلك ليس كل مؤمن محسنًا، أي: بالغًا هذه الدرجة التي جاء وصفها في هذا الحديث عن رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -. والناس متفاوتون في الإيمان وفيما يقوم منه بقلوبهم وفي أعمالهم، وليسوا علىٰ حد سواء.

❁ شرح علامات الساعة من حديث جبريل:

بعد ذلك سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الساعة: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»)؛ أي: علمي وعلمك فيها سواء، والمعنىٰ: أننا لا نعلم شيئًا من ذلك؛ لأن علم الساعة من الأمور التي اختصَّ الله تعالىٰ بها؛ فقد أخفاها ولم يطلع عليها أحدًا؛ فلا يُعلم في أي سنة تقوم، وفي أي شهر من السنة، وفي أي يوم من الشهر؛ إلا الله، نعم جاءت السنة بأنها تقوم يوم الجمعة(١)، فلا تكون في بقية الأيام، لكن في أي

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨/ ٨٥٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

يوم من الشهر وفي أي سنة؟ لا يعلم ذلك إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي الحديث: «مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ»، وآخرها: «وَلَا يَعْلَمُ مَتَىٰ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ»(١).

❁ لا يعلم الغيب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

وهذا يدلنا علىٰ أنه لا يعلم الغيب علىٰ الإطلاق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فرسول الله ﷺ قد أطلعه الله علىٰ كثير من الغيوب، وأخفىٰ عليه ما شاء من الغيوب، ومما أخفاه عليه قيام الساعة؛ متىٰ تقوم، ولهذا أجاب النبي ﷺ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الجواب فقال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

ولم يقل ﷺ: لست أعلم بها منك. وإنَّما أتىٰ بهذا الجواب ليبين أنه هو الجواب الذي يصلح عند كل سؤال عن شيء لا يعلمه السائل ولا المسئول؛ ففيه بيان أن كل سائل وكل مسئول ليس عنده علم بقيام الساعة متىٰ تقوم؛ فلا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ تنوع إجابات الرسول ﷺ عن السؤال عن الساعة:

والرسول ﷺ عندما سئل عن الساعة؛ تارة يجيب بذكر أماراتها:

من ذلك: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ،

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٩٧)، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[١]؛ فهذا سأله عن الساعة فأجابه بشيء من أماراتها.

وفي مواضع أخرىٰ يرشد ﷺ إلىٰ ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من الاستعداد لها:

من ذلك: حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» - فَوُفِّقَ السَّائِلُ في الجواب - قَالَ: حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[٢].

فترك السؤال الذي سأل عنه، وأرشد إلىٰ ما هو أهمُّ وأعظم منه؛ وهو الاستعداد للساعة بالعمل الصالح الذي يجده إذا قامت الساعة، فهذا هو المهم، وليس المهم أن يسأل عن الساعة؛ فإن الساعة آتية وكل آتٍ قريب، ولا يعلم متىٰ تقوم الساعة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا يدل علىٰ أن المهمَّ في أمر المسلم أن يكون مشتغلًا بالأعمال

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (١٦١/ ٢٦٣٩).

الصالحة التي تقربه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ ليجدها أمامه إذا قامت الساعة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

وأمَّا جبريل فإنَّه سأله عن أمارات الساعة؛ قَالَ: (فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا)؛ الأمارات هي: العلامات.

وفي بعض الروايات أنه قال: «سَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا»(٢).

والساعة لها علامات قريبة من قيامها؛ وهي العلامات الكبرىٰ، وعلامات وقعت في زمن النبي ﷺ، وعلامات بعد ذلك وبين ذلك، والرسول ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»(٣)؛ يعني: أن زمن بعثته قريب من الساعة.

وقد جاءت أحاديث تدل علىٰ أشراط الساعة(٤).

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٥/ ٩)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي رواية: «سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (١٣٢/ ٢٩٥٠)، عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والبخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (١٣٣/ ٢٩٥١)، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) وقد أفردت بالتصنيف؛ راجع: «النهاية» لابن كثير، و«إتحاف الجماعة في الفتن والملاحم =

❁ أقسام أشراط الساعة:

ما لا تعتبر من أشراطها العظام: وقد وقع شيء منها، وهناك أشياء لم تقع.

وأشراط عظام: وهي التي تكون بين يديها، وقريبة من قيامها؛ مثل خروج الدجال، وخروج المهدي، ونزول عيسىٰ ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها.

❁ الكلام في معنى: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا»:

ثم إنه ﷺ أجابه؛ فقال: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا»، أو:«ربها»[(١)]؛ وفسَّر هذا بأن المراد منه: أن يكثر السبي حتىٰ يطأهن أسيادهن، فتلد الولد من سيدها؛ فيكون بمنزلة سيدها، وإن لم يكن هو سيدها، ولكنه بمنزلة السيد؛ لأنه ابنه وقائم مقامه، وأمهات الأولاد استيلادهنَّ من أسباب عتقهن.

ومنهم من قال: إنَّها تلد من يكون سيدًا لقومه أو سيدًا للناس، ويكون مسئولًا، كأن يكون ملِكًا أو صاحب سلطة؛ فيكون راعيًا وإمامًا لكل هؤلاء ومنهم أمه.

ومنهم من قال: إن هذا إشارة إلىٰ العقوق، بمعنىٰ: أنه يتسلَّط عليها ويحصل منه شيء من الإيذاء ومن العقوق لأمِّه، وكأنه بمنزلة من يكون

=

وأشراط الساعة» للتويجري، قال في «شرح الطحاوية» (ص ٥١٦): «وَقَدْ أَفْرَدَ النَّاسُ فِي أَحَادِيثِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ مُصَنَّفَاتٍ مَشْهُورَةً، يَضِيقُ عَلَىٰ بَسْطِهَا هَذَا الْمُخْتَصَرُ».

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٥/ ٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مالكًا لها يتصرَّف فيها كيف يشاء. وهذا المعنىٰ هو الذي رجَّحه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»(١)، وقال: «وَهَذَا أَوْجَهُ الْأَوْجُهِ عِنْدِي؛ لِعُمُومِهِ، وَلِأَنَّ الْمَقَامَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ حَالَةٌ تَكُونُ - مَعَ كَوْنِهَا تَدُلُّ عَلَىٰ فَسَادِ الْأَحْوَالِ - مُسْتَغْرَبَةً، وَمُحَصَّلُهُ: الْإِشَارَةُ إِلَىٰ أَنَّ السَّاعَةَ يَقْرُبُ قِيَامُهَا عِنْدَ انْعِكَاسِ الْأُمُورِ بِحَيْثُ يَصِيرُ الْمُرَبَّىٰ مُرَبِّيًا، وَالسَّافِلُ عَالِيًا، وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِقَوْلِهِ فِي الْعَلَامَةِ الْأُخْرَىٰ: «أَنْ تَصِيرَ الْحُفَاةُ مُلُوكَ الْأَرْضِ»»(٢).

ثم قال: «وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ، رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»:

قَوْلُهُ: «الحفاة»؛ هم الذين ليس في أرجلهم نعال.

قَوْلُهُ: «العراة»؛ هم الذين لباسهم قليل، وليس معنىٰ ذلك أنهم يمشون عراة ليس عليهم شيء، وإنما المعنىٰ: أنهم وإن كان عليهم ما يسترهم إلا أن ثيابهم تكون بالية، فهم بمثابة العاري؛ لضعف حالهم وفقرهم، وقلة ذات يدهم.

قَوْلُهُ: «العالة»؛ هم الفقراء، وهذا يرجع إلىٰ اللفظين السابقين؛ لأن من

---

(١) قال في (١/ ١٢٢، ١٢٣): «قَالَ ابن التِّينِ: اخْتُلِفَ فِيهِ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَوْجُهٍ. فَذَكَرَهَا لَكِنَّهَا مُتَدَاخِلَةٌ، وَقَدْ لَخَّصْتُهَا بِلَا تَدَاخُلٍ؛ فَإِذَا هِيَ أَرْبَعَةٌ... الرَّابِعُ: أَنْ يَكْثُرَ الْعُقُوقُ فِي الْأَوْلَادِ، فَيُعَامِلُ الْوَلَدُ أُمَّهُ مُعَامَلَةَ السَّيِّدِ أَمَتَهُ مِنَ الْإِهَانَةِ بِالسَّبِّ وَالضَّرْبِ وَالِاسْتِخْدَامِ؛ فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ رَبُّهَا مَجَازًا لِذَلِكَ، أَوِ الْمُرَادُ بِالرَّبِّ الْمُرَبِّي فَيَكُونُ حَقِيقَةً».

(٢) (١/ ١٢٢، ١٢٣).

شأن من يكون حافيًا ويكون عاريًا؛ أن ذلك حصل له من فقره. فكلمة «**العالة**» يدخل تحتها ما تقدم من كونهم حفاة عراة.

قَوْلُهُ: «**رِعَاءَ الشَّاءِ**»: أي: الذي كان شأنهم رعي الغنم والإبل في البادية، ومن صفاتهم الجهل والجفاء والغلظة.

قَوْلُهُ: «**يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»؛ أي يتحولون من البادية إلىٰ الحاضرة، ويكونون بهذا الوصف الذي بيَّنه الرسول - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -. والمعروف عن المتقدمين في زمن الرسول ﷺ: أن منازلهم كانت بسيطة، وكان فيها تواضع وسهولة وليس فيها تكلف، وليست مكونة من أدوار كثيرة. وقد جاء في قصة مجيء الرسول ﷺ إلىٰ المدينة ونزوله ضيفًا عند أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ما يدل علىٰ أنَّ بيتَهُ كان مكوَّنًا من دورين؛ فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ؛ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعِلْوِ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ! فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»؛ فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا. فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ) [1]؛ فغرضه من ذلك: ألا يكون فوق رسول الله ﷺ، وإنما يكون الرسول ﷺ فوقه، ولكن الغالب أنهم كانوا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧١/ ٢٠٥٣)، عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يبنون من غير تكرار الأدوار، وأيضًا يكون السقف قريبًا، وقد ذكر بعض أهل العلم آثارًا تدلُّ علىٰ هذا المعنىٰ؛ أي: فيما يتعلق بالبساطة والسهولة وعدم التكلف في البنيان(١).

---

(١) قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص١٤١، ١٤٢): «وَفِي قَوْلِهِ: «يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»؛ دَلِيلٌ عَلَىٰ ذَمِّ التَّبَاهِي وَالتَّفَاخُرِ، خُصُوصًا بِالتَّطَاوُلِ فِي الْبُنْيَانِ، وَلَمْ يَكُنْ إِطَالَةُ الْبِنَاءِ مَعْرُوفًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، بَلْ كَانَ بُنْيَانُهُمْ قَصِيرًا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، رَوَىٰ أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ»؛ خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ. وَخَرَّجَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فَرَأَىٰ قُبَّةً مُشْرِفَةً، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالُوا: هَذِهِ لِفُلَانٍ - رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ -. فَجَاءَ صَاحِبُهَا، فَسَلَّمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا؛ فَهَدَمَهَا الرَّجُلُ. وَخَرَّجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا، وَعِنْدَهُ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ بِنَاءٍ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ هَكَذَا عَلَىٰ رَأْسِهِ - أَكْثَرُ مِنْ هَذَا، فَهُوَ وَبَالٌ».

وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ السَّائِبِ عَنِ الْحَسَنِ: كُنْتُ أَدْخُلُ بُيُوتَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَتَنَاوَلُ سَقْفَهَا بِيَدِي. وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كَتَبَ: (لَا تُطِيلُوا بِنَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُ شَرُّ أَيَّامِكُمْ). وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ: قَالَ حُذَيْفَةُ لِسَلْمَانَ: أَلَا نَبْنِي لَكَ مَسْكَنًا يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: لِمَ تَجْعَلُنِي مَلِكًا؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ نَبْنِي لَكَ بَيْتًا مِنْ قَصَبٍ وَنَسْقُفُهُ بِالْبَوَارِي، إِذَا قُمْتَ كَادَ أَنْ يُصِيبَ رَأْسَكَ، وَإِذَا نِمْتَ كَادَ أَنْ يَمَسَّ طَرَفَيْكَ. قَالَ: كَأَنَّكَ كُنْتَ فِي نَفْسِي.

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ قَالَ: إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ بِنَاءَهُ فَوْقَ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ؛ نُودِيَ: يَا أَفْسَقَ الْفَاسِقِينَ، إِلَىٰ أَيْنَ؟! خَرَّجَهُ كُلَّهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا. وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ»: بَلَغَنِي عَنِ ابْنِ أَبِي عَائِشَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي شُمَيْلَةَ قَالَ: نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ حَوْلَ الْمَسْجِدِ - يَعْنِي: بِالْبَصْرَةِ - فِي أَخْبِيَةٍ =

❁ حديث جبريل بيان لأمور الدين، وهي إما أحكام أو أخبار:

قَالَ عمرُ: (ثُمَّ انْطَلَقَ)؛ أي: أَنَّ جبريل مضىٰ بعدما انتهت هذه الأسئلة، (فَلَبِثْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، هَلْ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»).

وهذا فيه بيان أن كل ما مضىٰ ذكره يدخل تحت الدين، وفيه أخبار وأحكام:

- فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت؛ كل هذه أحكام يفعلها الإنسان.

- وأركان الإيمان أمور تُعتقد، وهي إخبار عن الله وعن ملائكته ورسله

=

الشَّعْرِ، فَفَشَا فِيهِمُ السَّرَقُ، فَكَتَبُوا إِلَىٰ عُمَرَ؛ فَأَذِنَ لَهُمْ فِي الْيَرَاعِ، فَبَنَوْا بِالْقَصَبِ، فَفَشَا فِيهِمُ الْحَرِيقُ، فَكَتَبُوا إِلَىٰ عُمَرَ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي الْمَدَرِ، وَنَهَىٰ أَنْ يَرْفَعَ الرَّجُلُ سُمْكَهُ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ، وَقَالَ: إِذَا بَنَيْتُمْ مِنْهُ بُيُوتَكُمْ فَابْنُوا مِنْهُ الْمَسْجِدَ. قَالَ ابْنُ أَبِي عَائِشَةَ: وَكَانَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَنَىٰ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ بِالْقَصَبِ، قَالَ: مَنْ صَلَّىٰ فِيهِ وَهُوَ مِنْ قَصَبٍ؛ أَفْضَلُ مِمَّنْ صَلَّىٰ فِيهِ وَهُوَ مِنْ لَبِنٍ، وَمَنْ صَلَّىٰ فِيهِ وَهُوَ مِنْ لَبِنٍ؛ أَفْضَلُ مِمَّنْ صَلَّىٰ فِيهِ وَهُوَ مِنْ آجُرٍّ.

وَخَرَّجَ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَبَاهَىٰ النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ». وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَرَاكُمْ سَتُشَرِّفُونَ مَسَاجِدَكُمْ بَعْدِي كَمَا شَرَّفَتِ الْيَهُودُ كَنَائِسَهَا، وَكَمَا شَرَّفَتِ النَّصَارَىٰ بِيَعَهَا». وَرَوَىٰ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا بَنَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، قَالَ: «ابْنُوهُ عَرِيشًا كَعَرِيشِ مُوسَىٰ». قِيلَ لِلْحَسَنِ: وَمَا عَرِيشُ مُوسَىٰ؟ قَالَ: إِذَا رَفَعَ يَدَهُ بَلَغَ الْعَرِيشَ - يَعْنِي: السَّقْفَ -».

وكتبه واليوم الآخر والقدر؛ وذلك من الغيب الذي يجب الإيمان به؛ فيجب التصديق بها.

- والإحسان عمل، وقد بيَّن النبي ﷺ وصفه.

- وأما أمارات الساعة؛ فإنها أخبار، وهي من الأمور المغيبة التي يجب التصديق بها، وألا يتكلم فيها إلا بعلم؛ لأن العلامات والإخبار عن أمور مستقبلة هي من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يعرف شيء منه إلا ما جاء به الوحي عن الله وعن رسوله ﷺ في الكتاب والسنة.

الحاصل: أن حديث جبريل المشهور حديث عظيم مشتمل علىٰ أمور كثيرة مهمة، وعلىٰ أصول عظيمة في العبادات، وفيما يتعلق بما يقوم بالقلوب، وبما يقوم بالجوارح، وبما يقوم باللسان، وفيه إخبار عن أمور مغيبة لا تعرف إلا عن طريق الوحي؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**هذا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

وقد أثنىٰ العلماء علىٰ هذا الحديث، وبينوا عظيم شأنه وأهميته، والإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ صدَّر به صحيحه؛ فهو أول حديث في كتاب الإيمان من «صحيح مسلم».

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبيد الله بن معاذ**)؛ هو عبيد الله بن معاذ بن معاذ العنبري، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبي**)؛ هو معاذ بن معاذ العنبري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا كهمس**)؛ هو ابن الحسن، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن بريدة**)؛ هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن يحيىٰ بن يعمر**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عبد الله بن عمر**)؛ هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

قَوْلُهُ: (**حدثني عمر بن الخطاب**)؛ أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمة والفضائل الكثيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

السؤال: هل يستفاد من حديث جبريل أن للمسلمين مرجعية وهم العلماء؟

الجواب: نعم؛ فالناس الذين كانوا في العراق لما وجد القول بالقدر رجعوا إلىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: لعلنا نجد أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فنسأله عما وجد في بلدنا، فكان أن وجدوا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهذا يدلُّ علىٰ الرجوع إلىٰ أهل العلم، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فالذين يرجع إليهم في أمور الدين، وعند حصول الأمور المنكرة التي فيها خروج عن الدين، والتي فيها انحراف عن الدين؛ هم أهل العلم الذين يبينون الأحكام الشرعية، ويبينون فساد الطرق المنحرفة عن الجادَّة وعن الصراط المستقيم.

❁ ❁ ❁

السؤال: أشكل علي في حديث جبريل أنه لبيان بدعة القدرية، ولكن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن ذكرا لابن عمر محاسنهم من العبادة والاجتهاد في العلم، ولم ينكر ابن عمر ذلك، فهل في ذلك ما يدل على الموازنات؟

الجواب: لا يدلُّ علىٰ ذلك، ولكن هذا يبين أن هؤلاء لم يكونوا

منحرفين عن العبادة؛ لأنهم عندهم عبادة، وعندهم قراءة قرآن، لكن وجد منهم هذا الأمر المنكر، فالمقصود من ذلك: أن يُعرف أن هذا الذي حصل لم يكن من أناس لا علاقة لهم بالدين ولا يشتغلون به، بل هم منتسبون إلىٰ الدين، ولكنهم جاءوا بهذه البدعة، فلا يدلُّ هذا علىٰ أنه لا يذكر مبتدع حتىٰ تذكر حسناته قبل ذلك؛ لأن المقصود من هذا ليس ذكر الحسنات، وإنما المقصود من ذلك بيان أن هؤلاء ما جاء هذا الكلام منهم لأنهم بعيدون عن المسلمين، وليسوا علىٰ الإسلام، ولا يشتغلون بالقرآن ولا يشتغلون بالعلم؛ بل هم مجتهدون، ولكن البلاء جاء من الانحراف والبدعة التي حصلت لهم.

ومعلوم: أن المهم في الأمر هو المسئول عنه، ولكن هذا تمهيد من أجل بيان حالهم، وألا يظنّ أنهم منحرفون في الأصل انحرافًا كليًّا، بل عندهم شيء من الدين، ولكنهم أتوا بهذه البدعة الخبيثة.

والرسول ﷺ لمَّا استشارته فاطمة بنت قيس؛ كما قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ؛ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ»**(١)، وما قال: معاوية كاتب الوحي، ومعاوية رجل ذكي. بل أتىٰ بالشيء الذي يهمُّها، وهذان اللذان سألا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرادا أن يبيِّنا أن هؤلاء

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٦/ ١٤٨٠)، عن فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ينتسبون للإسلام ويقرءون القرآن ويتقفرون العلم، ومع ذلك يقولون بهذه المقالة الخبيثة.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما معنى قول المعتزلة: عليم بذاته، قدير بذاته، سميع بذاته، وهل يفهم من ذلك أنهم يثبتون الصفات؟

الجواب: المعتزلة يثبتون الأسماء، ولا يثبتون الصفات، فهم يقولون: سميع بلا سمع. ومعناه: أن اسمه سميع، ولكنه سميع بذاته، وليس بسمعه!

❁ ❁ ❁

السؤال: يقام يوم القيامة الميزان بالقسط، فلماذا يبدأ الحساب في القبر؟

الجواب: القبر - كما هو معلوم - فيه امتحان واختبار، وأما الميزان الذي هو لحصر الأعمال، ومعرفة الحسنات والسيئات، والمحاسبة عليها، والوزن؛ إنما يكون يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

السؤال: ذكرتم في التفريق بين النبي والرسول: أن الرسول ينزل عليه كتاب بشريعة جديدة، ألا يشكل على ذلك سليمان؟ فهو رسول، ولم ينزل عليه كتاب بشريعة؟ وكذلك آدم؟

الجواب: ما هو الدليل على أنه لم ينزل عليه كتاب؟ فإن عدم ذكر الكتاب الذي أنزل عليه لا يدل على أنه لم ينزل عليه كتاب، وقد جاء في

القرآن أن كل رسول أنزل الله عليه كتابًا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، والألف واللام في «الكتاب» للجنس وليست لكتاب معين؛ لأنَّ الله ما أنزل علىٰ رسله كتابًا واحدًا، وإنما أنزل عليهم كتبًا، ولهذا لفظ (الكتاب) يأتي كثيرًا في القرآن ويراد به الجنس؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]؛ أي: الكتب.

وكذلك أيضًا يأتي (الكتاب) مضافًا إلىٰ معرفة، فيكون عامًّا ويراد به الكتب؛ كما في قول الله عَزَّوَجَلَّ في آخر سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢]؛ فقد قرأ جمهور القراء: (وَكِتَابِهِ)؛ ولا خلاف بين القراءتين؛ لأن الكتاب المقصود به الكتب؛ لأنه مفرد مضاف إلىٰ معرفة فيكون عامًّا.

فالحاصل: أن الكتاب يأتي مفردًا محلًّىٰ بالألف واللام، ويأتي مضافًا إلىٰ معرفة؛ فيراد به الجنس، ولا يراد به خصوص كتاب معين.

وقد يراد به العهد الذهني: مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١، ٢]؛ أي: القرآن؛ لأن «أل» للعهد الذهني، يعني: الكتاب المعهود بالأذهان.

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ فـ(الكتاب) الأولىٰ المقصود بها: القرآن. والثانية:

الكتب السابقة، وكلها بلفظ الإفراد، إلا أن هذا للجنس وهذا للإفراد.

وكذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾؛ وهو القرآن، فـ«أل» للعهد الذهني، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]؛ أي: الكتب.

وأما آدم فهو نبيٌّ وهو رسول إلىٰ أولاده، ونوح إنما هو أول الرسل؛ أي: بعدما حصل الشرك وتغيَّرت الفطرة، وأما آدم فإنه يعمل بما أوحىٰ الله تعالىٰ به إليه، وكذلك أبناؤه يعملون بما أوحي إليه به، ولا ينافي هذا ما جاء في نوح: ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]؛ لأن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أرسل بعدما وجد الشرك، وأما في زمن آدم فلم يحصل الخروج عن الشيء الذي فطر الله الناس عليه، كما جاء في الحديث: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ»(١)، وفي الحديث الآخر: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»(٢).

❁ ❁ ❁

السؤال: ما هو الترتيب الصحيح لمشاهد يوم القيامة: الشفاعة، والحوض، والميزان، وغيرها؟

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٣/ ٢٨٦٥)، عن عياض بن حمار المجاشعي، بلفظ: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ».

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٢/ ٢٦٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الجواب: الحوض: قيل: إنه في عرصات القيامة؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا، فيأتون للحوض ليشربوا منه، فيذاد عنه من يذاد ويشرب منه من يشرب، والناس يجتمعون في صعيد واحد بعد أن يخرجوا من قبورهم ويذهبون إلىٰ المحشر، ثم يأتي الله لفصل القضاء بينهم، ويحاسبهم علىٰ أعمالهم، ثم تنصب الموازين وتوزن الأعمال، ثم بعد ذلك يكون العبور علىٰ الصراط، والذهاب إلىٰ الجنة أو النار، والنار في الطريق إلىٰ الجنة، والصراط منصوب عليها، والناس يمرون عليه من فوق جهنَّم؛ فمن وقع فيها وقع، ومن سلمه الله تجاوز ودخل الجنة.

❁ ❁ ❁

السؤال: انكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح العقيدة الواسطية»[1] تعريف الإيمان لغةً بالتصديق، وذكر ان (آمن) فعل متعدٍّ لغيره، و(صدَّق) متعد بنفسه؛ فنرجو التوضيح.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح العقيدة الواسطية» (ص ٥٤، ٥٥): «الإيمان في اللغة: يقول كثير من الناس: إنَّه التصديق. فصدقت وآمنت، معناهما لغةً واحدٌ، وقد سبق لنا في التفسير: أن هذا القول لا يصحُّ؛ بل الإيمان في اللغة: الإقرارُ بالشيء عن تصديق به؛ بدليل أنك تقول: آمنت بكذا، وأقررت بكذا، وصدقت فلانًا. ولا تقول: آمنت فلانًا.

إذًا فالإيمان يتضمَّن معنًىٰ زائدًا علىٰ مجرد التَّصديق؛ وهو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام؛ هذا الإيمان، أما مجرد أن تؤمن بأنَّ الله موجود؛ فهذا ليس بإيمانٍ حتىٰ يكون هذا الإيمان مستلزمًا للقبول في الأخبار والإذعان في الأحكام، وإلا فليس إيمانًا».

الجواب: لا أتذكر هذا التفصيل، لكن الإيمان في اللغة هو التصديق؛ كما قيل[(١)].

۞ ۞ ۞

---

(١) نقل بعضهم إجماع اللغويين وغيرهم على أن الإيمان هو التصديق؛ كما في «لسان العرب» (١٣/ ٢٣)، وانظر مناقشة شيخ الإسلام لدعوى أن الإيمان في اللغة هو التصديق، ودعوى الإجماع على ذلك؛ في مجموع الفتاوى (٧/ ١٢٣ - ١٢٧)، وكذلك ناقشها شارح الطحاوية (ص ٣٢٠-٣٢٣).

وقال العلامة صالح آل الشيخ في «شرح الطحاوية» (١/ ٤٨٢، ٤٨١): «فهذا الأصل اللغوي الذي هو مجيء الاشتقاق من كلمة واحدة؛ يدلُّكَ على أنَّ أصْل كلمة (الإيمان) في اللغة من حيث الاشتقاق من الأمن، ثُمَّ في الاستعمال العرفي - عُرْف العرب - خَصَّت ذلك المعنى إلى أنَّ الإيمان هو التصديق؛ أي: التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يَأْمَنُ معه.

وهذا جاء في القرآن - يعني: في استعمال المعنى اللغوي للإيمان - في مواضع:

كقوله جَلَّ وَعَلَا في قصة يوسف مخبرًا عن قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾؛ لاحظ (الأمن)؛ يعني: بِمُصَدِّقٍ لنا التصديق الجازم الذي يتبعه عمل؛ أنَّكَ لا تؤاخذنا بما فعلنا ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، فما أعطاهم الأمْن.

كذلك قال جَلَّ وَعَلَا في قصَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾؛ يعني: صَدَّقَهُ تصديقًا جازمًا تبعه عملٌ له؛ بحيث يأمن من العذاب الذي توعَّد به إبراهيم قومَه.

كذلك في وصف النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في سورة براءة؛ قال: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَيُؤْمِنُ﴾ أي: يُصَدِّقُهُم فيما يقولون؛ فيأمنون معه عقوبة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

إذًا فالإيمان في اللغة استُعْمِلَ ويُرادُ به التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يأمن معه».

السؤال: قول النبي ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا»[(١)]؛ هل هذا يعتبر من سب الدهر؟

الجواب: ليس هذا من سب الدهر، وإنما هو بيان لحقارة الدنيا وضآلتها، وأنه لا خير فيها إلا ما كان على الطريقة الصحيحة، كما قال: «**إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ**». وأكثر الناس هالكون، والناجون هم القليلون، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]؛ فالشرُّ واسع، والمهتدون قليلون؛ ولهذا يقول بعض أهل العلم: (لا تغترَّ بطريق الشر ولو كثر السالكون، ولا تزهد في طريق الخير لقلة السالكين[(٢)]؛ فليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا![(٣)]).

لأن من هلك فهو مع الأكثرين الهالكين، أما من نجا فهو الذي يتعجب من أمره.

۞ ۞ ۞

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٧٩٧)، وتمامه: «**إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**».

(٢) ذكره الشاطبي في الاعتصام (ص ١١٢)، وابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٤٦)، وغيرهما، وعزاه الشاطبي للفضيل بن عياض.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٧١)، عن يحيىٰ بن أبي كثير: أَنَّ سُلَيْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ...؛ فذكره.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٩٦ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ قَالَا: لَقِينَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَذَكَرْنَا لَهُ الْقَدَرَ وَمَا يَقُولُونَ فِيهِ.

فَذَكَرَ نَحْوَهُ، زَادَ قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ أَوْ جُهَيْنَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِيمَا نَعْمَلُ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا أَوْ مَضَىٰ، أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الْآنَ؟ قَالَ: «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَىٰ»، فَقَالَ الرَّجُلُ، أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ**»(١).

الشرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ حديث جبريل من طريق أخرىٰ، وفيه الزيادة: **(وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ أَوْ جُهَيْنَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِيمَا نَعْمَلُ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا أَوْ مَضَىٰ، أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الْآنَ؟ قَالَ: «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَىٰ»)**؛ يعني: أن الناس يعملون في شيء سبق به القضاء والقدر؛ أي

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨/٣) ولم يسق لفظه، وأحمد (١/ ٢٧)، وانظر الصحيحة للشيخ الألباني رقم (٣٥٢١).

سبق به علم الله وتقديره وكتابته ومشيئته، (فَقَالَ الرَّجُلُ، أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»)؛ وهذا مثل ما جاء في حديث علي الذي مرَّ قريبًا وفيه: (قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَىٰ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَىٰ الشِّقْوَةِ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ؛ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشِّقْوَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِلشِّقْوَةِ»)[١].

ومعنىٰ ذلك: أنَّ الناس لا يتركون العمل بناءً علىٰ أنه سبق القضاء والقدر بما هم صائرون إليه؛ فإن الله تعالىٰ قدَّر ما هم صائرون إليه، وقدر الأسباب التي توصل إليه، فيأخذون بالأسباب التي قدرها الله عَزَّوَجَلَّ، والغايات تأتي بعد وجود السبب الذي قدره الله عَزَّوَجَلَّ من العمل الصالح أو العمل السيئ؛ فمن عمل صالحًا؛ انتهىٰ إلىٰ نهاية حسنة، ويسر لطريق أهل السعادة، ومن عمل بخلاف ذلك؛ انتهىٰ نهاية سيئة، ويسر لطريق أهل الشقاوة – والعياذ بالله! –.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا مسدد**)؛ هو ابن مسرهد البصري، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا يحيىٰ)؛ هو ابن سعيد القطَّان البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عثمان بن غياث)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثني عبد الله بن بريدة عن يحيىٰ بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن)؛ هنا حميد بن عبد الرحمن يشارك يحيىٰ بن يعمر في الرواية، أما الرواية السابقة فهي من لفظ يحيىٰ بن يعمر.

(وحميد بن عبد الرحمن)؛ هو الحميري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (لقينا عبد الله بن عمر)؛ وقد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٦٩٧- حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنِ ابْنِ يَعْمَرَ؛ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قَالَ: فَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالِاغْتِسَالُ مِنَ الْجَنَابَةِ**»(١).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٥٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤٦٩٦)، والنسائي في الكبرىٰ (٥٨٥٢)، =

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: عَلْقَمَةُ مُرْجِئٌ.

الشَّرح

أورد أبو داود حديث عمر من طريق أخرىٰ، وفيه أنه فسَّر الإسلام بـ«**إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالِاغْتِسَالُ مِنَ الْجَنَابَةِ**»؛ فزاد «**الاغتسال من الجنابة**»؛ وهي الطهارة من الحدث الأكبر، وهي زيادة علىٰ ما جاء في الحديث، والحديث جاء فيه زيادات عن عمر وعن أبي هريرة، وكذلك عن غيرهم.

وإسناد هذا الحديث صحيح، رجاله كلُّهم ثقات، فهذه زيادة صحيحة، وهناك زيادات أخرىٰ جاءت في طرق أخرىٰ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر تلك الزيادات التي جاءت في مختلف الأحاديث[(١)]، وكذلك ابن رجب في شرح الحديث في «جامع العلوم والحكم»[(٢)].

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا محمود بن خالد)؛ هو الدمشقي، وهو ثقة، أخرج له أبو

وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (رقم ١٧٥)، وصحيح الجامع (رقم ٢٧٧٤).

(١) انظر: الفتح (١/ ١١٥- ١٢٥).

(٢) انظر: (ص ٩٤- ٩٨).

داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا الفريابي)؛ هو محمَّد بن يوسف الفريابي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن سفيان)؛ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا علقمة بن مرثد)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن سليمان بن بريدة)؛ وهو ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن ابن يعمر في هذا الحديث يزيد وينقص)؛ يعني فيه زيادات ونقصان، ومنها هذا الذي ذكره.

قال أبو داود: (علقمة مرجئ)؛ يعني: أنه ينسب إلىٰ الإرجاء.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦٩٨- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ أَبِي فَرْوَةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيْ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّىٰ يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ؛ قَالَ: فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَكُنَّا نَجْلِسُ

بِجَنْبَتَيْهِ. وَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا الْخَبَرِ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَذَكَرَ هَيْئَتَهُ، حَتَّىٰ سَلَّمَ مِنْ طَرَفِ السِّمَاطِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ[(١)].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث أبي هريرة وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وما تقدم من طرق فهي لحديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما هذا فهو عن أبي ذر وعن أبي هريرة، وأبو هريرة خرَّج حديثه البخاري ومسلم؛ فحديث جبريل متَّفق عليه من حديث أبي هريرة، وهو من أفراد مسلم من حديث عمر، وقد شرح الحافظ ابن حجر حديث أبي هريرة شرحًا مطوَّلًا في كتاب الإيمان[(٢)]، والإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا ألَّف كتابه «الأربعين النووية»[(٣)]؛ جعل أول حديث فيه

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٤٩٩١)، وصححه الألباني في الإرواء (١/ ٣٣).

(٢) (١/ ١١٤- ١٢٥).

(٣) كتاب «الأربعون النووية» للنووي (ت: ٦٧٦) جمع فيه اثنين وأربعين حديثًا من جوامع كلم النبي ﷺ، قال في مقدمته (ص:٤٤): «قد رأيت جمع أربعين أهمَّ من هذا كلّه، وهي أربعون حديثًا مشتملةً علىٰ جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام، أو ثلثه، أو نحو ذلك»، وقد تلقته الأمة بالقبول وكثر النفع به؛ قال الحافظ ابن رجب في شرح عليه المسمىٰ «جامع العلوم والحكم» (ص٥٦): «وَاشْتَهَرَتْ هَذِهِ الْأَرْبَعُونَ الَّتِي جَمَعَهَا، وَكَثُرَ حِفْظُهَا، وَنَفَعَ اللهُ بِهَا، بِبَرَكَةِ نِيَّةِ =

أول حديث في البخاري وهو حديث عمر: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[(١)]، وثاني حديث فيه أول حديث في «صحيح مسلم»؛ وهو حديث عمر المعروف بـ«حديث جبريل»، فالحديث الأوّل والثاني هما أوّل ما في الصحيحين.

قَوْلُهُ: (**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيْ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّىٰ يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ. قَالَ: فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَتَيْهِ**)؛ أي: كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه غير متميِّز عنهم، وإذا أتىٰ شخص غريب لا يعرف الرسول ﷺ لم يميز من هو الرسول ﷺ من هؤلاء الجالسين؛ فعرض عليه أصحابه أن يبْنوا له مكانًا مرتفعًا يجلس عليه حتىٰ يُعْرف أنه رسول الله ﷺ، وحتىٰ لا يلتبس علىٰ الناس، فوافق علىٰ ذلك؛ فبنوا له دكانًا - أي: دكة - من الطين، وهو مكان مرتفع، فكان يجلس عليه - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

وجلوسه مع أصحابه بحيث لا يُعرف؛ هذا من تواضعه وكمال خلقه ﷺ، فرأىٰ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن المصلحة أن يتميَّز حتىٰ إذا أتىٰ الغريب عرف الرسول ﷺ من أول وهلة، فيسأله ويستفيد منه، فكان من شأنهم أن عرضوا عليه، وهذا من أدبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فإنهم ما أقدموا علىٰ ذلك دون

=

جَامِعِهَا، وَحُسْنِ قَصْدِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ».

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٥٥/ ١٩٠٧).

إذن، ولكنهم سألوا النبي ﷺ عن هذا الشيء وعرضوه عليه فأجابهم.

وفي هذا دليل علىٰ جواز أن يكون المعلِّم علىٰ مكان مرتفع؛ كالكرسي أو غيره؛ من أجل أن يكون بارزًا، وأن يراه الجميع، ويتمكَّنوا من الاستفادة منه.

قَوْلُهُ: (حَتَّىٰ سَلَّمَ مِنْ طَرَفِ السِّمَاطِ[1])؛ يعني: المجلس، وهذا فيه ذكر سلامه، وما جاء في بعض الروايات من عدم ذكر السلام؛ لا يدلُّ علىٰ عدمه؛ فيكون بعضهم ذكر ما لم يذكره الآخر، وأتىٰ بما لم يأتِ به الآخر؛ فيكون كل ذلك معتبرًا وثابتًا، ما دام أنه جاء من طريق صحيح؛ فلا يقال: إن الرواية التي جاء فيها عدم ذكر السلام تدل علىٰ أنه لم يسلِّم، بل قد ثبت في بعض الطرق ما يدلُّ علىٰ أنه سلم؛ فيكون ذلك من فعل بعض الرواة إما لكونه لم يعرف ذلك، أو لكونه اختصر الحديث، فلم يذكر كلَّ ما جاء فيه.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا **عثمان بن أبي شيبة**)؛ هو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي، وإلا النسائي، فقد أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (حدثنا **جرير**)؛ هو ابن عبد الحميد الضبي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن **أبي فروة الهمداني**)؛ هو عروة بن الحارث، وهو ثقة، أخرج

---

(١) قال ابن الأثير: السماط: الجماعة من الناس والنخل، والمراد به في الحديث: الجماعة الذين كانوا جلوسًا علىٰ جانبيه. [النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٠١)].

له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (عن أبي ذر)؛ هو جندب بن جنادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (وأبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وهو أكثر الصحابة حديثًا على الإطلاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٦٩٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدٍ الْحِمْصِيِّ، عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي. قَالَ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ؛ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ**».

قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ.

قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ.

قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ[1].

الشَّرْح

ذكر أبو داود في (باب القدر) حديث أبي بن كعب ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد جاء عبد الله بن فيروز الديلمي إلىٰ أبي بن كعب وقال: (وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي. قَالَ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ؛ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ**»)؛ ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي، وكذلك جاء به الحديث مرفوعًا إلىٰ رسول الله ﷺ؛ كما رفعه زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ؛ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ**»؛ وذلك أنهم يحصل منهم التقصير ويحصل منهم الخلل، فلو أن الله لم يتجاوز عنهم، فلعذَّبهم وهو غير ظالم لهم.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٥/ ١٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٢٤٤).

قَوْلُهُ: «وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»؛ وذلك أن أعمالهم التي يعملونها لله عَزَّوَجَلَّ هي أيضًا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بهم، ومن توفيقه لهم، وما حصل منهم شيء من الأعمال الصالحة إلا بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ؛ فالفضل لله عَزَّوَجَلَّ أوَّلًا وآخرًا؛ هو المتفضِّل بهذه النعمة.

قَوْلُهُ: «وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»؛ وذلك أنَّ الإيمان بالقدر من أصول الإيمان، وقد سبَق أن مر مثل ذلك عن عبد الله بن عمر بين يدي حديث جبريل(١).

قَوْلُهُ: «وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»؛ هذا هو الإيمان بالقدر، ومعنىٰ هذا: أن كل ما حصل لك لا سبيل إلىٰ تخلُّصك منه؛ لأنَّ الله تعالىٰ قدْ قدَّره فلابد من أن يوجد، والشيء الذي أخطأك ولم يصبك لا يمكن أن يصيبك، لا سبيل إلىٰ وجوده، وهذا هو معنىٰ قول المسلمين: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)؛ فـ(ما شاء الله كان) مأخوذ من قوله: «مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»، كما جاء في حديث في وصية النبي ﷺ لابن عباس: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ

---

(١) راجع ص(٥٢٧).

وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١).

والكلام الذي جاء هنا عن أبي بن كعب قد جاء أيضًا مرفوعًا، وزيد بن ثابت قد حدَّث بذلك عن رسول الله ﷺ ورفعه إليه. وتقدم أن الحسن البصري رحمة الله عليه «لما سئل عَنْ آدَمَ؛ أَلِلسَّمَاءِ خُلِقَ أَمْ لِلْأَرْضِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ لِلْأَرْضِ. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَوِ اعْتَصَمَ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ»(٢)، وذلك لأن هذا الشيء الذي قدَّره الله لا بدَّ منه، ولا يقال: إن هذا جبر، وإن العباد لا اختيار لهم. بل لهم اختيار ولهم مشيئة، وما يحصل منهم يكون بمشيئتهم وإرادتهم، ويقع الذي قدره الله عَزَّوَجَلَّ وقضاه، فيجتمع في ذلك إرادة العبد حصول الشيء الذي قد حصل له، وكون ذلك الذي حصل منه لا يخرج عما قدَّره الله وقَضاه(٣)؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩]. فلا يمكن أن يحصل من العبد شيء ما لم يقدره الله، بل الذي قدره الله عَزَّوَجَلَّ له سبب يؤدِّي إليه، والمقدَّر غاية تأتي نتيجة لهذا السبب؛ ولهذا فإن النبي ﷺ لما قيل له كما في الحديث المتقدم: (أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) حسن الإسناد مقطوع: تقدم لأبي داود برقم (٤٦١٤).

(٣) تقدم الكلام عن هذه المسألة بشيء من التفصيل.

لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»)(١).

الشيء الذي للعبد فيه مشيئة لابد لوقوعه من أمرين:

- مشيئة من العبد.
- ومشيئة من الله عَزَّوَجَلَّ.

وذلك مثل الأفعال الاختياريَّة كالأكل والشرب والسفر والذهاب والإياب والبيع والشراء وغير ذلك.

أما الشيء الذي ليس للعبد فيه إرادة ولا مشيئة؛ فإنما يقع بقضاء الله وقدره، والعبد لا مشيئة له ولا إرادة فيه؛ مثل حركة المرتعش.

وقد مرَّ أن الناس لا يعرفون المقدر إلا بأمرين:

الأمر الأول: الوقوع، فكل شيء وقع فقد قدر؛ لأنَّه لا يقع إلا ما قدر، كما قال الشافعيُّ:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ(٢)

والأمر الثاني: أن يحصل الإخبار من الصادق المصدوق ﷺ عن أمر مستقبل؛ فإن هذا الذي أخبر به النبي ﷺ لابدَّ أن يقع، وكل شيء يقع لابد أن يكون مقدَّرًا؛ ومن ذلك إخباره عن الدجَّال، وعن خروج يأجوج

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

ومأجوج، وعن نزول عيسىٰ ابن مريم، وغير ذلك من الأمور التي تقع بين يدي الساعة وما حصل قبل ذلك، وما حصل بعد زمنه بوقت يسير؛ مثل قوله ﷺ عن الحسن: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[1].

فإن هذا الذي أخبر به النبي ﷺ حقٌّ وصدق لابد أن يوجد، ويعتقد بأنه سبق به القضاء والقدر؛ لأنه لا يقع في الوجود إلا ما هو مقدَّر.

۞ كفر غلاة القدرية الذين ينكرون القدر:

قَوْلُهُ: «وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»؛ أي: لأنه يكون منكرًا للقدر، وقد مرَّ أن الغلاة من القدريَّة الذين ينكرون العلم قد قال العلماء بتكفيرهم، وأما الذين أثبتوا العلم لله عَزَّوَجَلَّ، ولكنهم قالوا: إنهم ينزِّهون الله عن أن يقدر الشرَّ ويريده. فقد اختلف العلماء في تكفيرهم.

وقد أشرنا إلىٰ ذلك عند ذكر كلام الحافظ ابن رجب في كتابه في شرح الأربعين النووية «جامع العلوم والحكم في شرح أربعين حديثًا من جوامع الكلم»[2].

قَوْلُهُ: (قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) هامش: راجع ص(٥٣٣).

النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ)؛ يعني: أن الصحابة الثلاثة الأولين ذكروا ذلك من غير إسناده إلىٰ رسول الله ﷺ، ومعلوم أنَّ هذا من الأمور التي لا تُقال من قبل الرأي، وأيضًا فإنَّ زيد بن ثابت قد رفع ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ؛ فيكون مرفوعًا من هذا الصحابي، وموقوفًا من أولئك الذين تقدموه؛ فهو إذًا ثابت عن رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

❁ **متى يسأل الإنسان أكثر من عالم؟**

وجاء في بعض طرق هذا الحديث: أن كل صحابي كان يجيبه ثم يحيله علىٰ أخيه، ولم يسأل هذا السؤال أكثر من واحد من تلقاء نفسه، أخرجه ابن ماجه هكذا[1]. ولعل هذا أيضًا وقع منه حتىٰ يتأكَّد من زوال ما في قلبه من اللبس، لكن فيما يتعلَّق بالأمور التي هي أحكام شرعيَّة لا يحيل العالم علىٰ غيره إلا إذا اجتهد في الجواب وقد رجا أن يكون عند غيره دليل؛ مثلما جاء عن أبي موسىٰ في قصة الميراث؛ لما سُئِلَ أَبُو مُوسَىٰ عَنْ بِنْتٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ؛ فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَسَيُتَابِعُنِي. فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَىٰ؛ فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ... إلخ الحديث[2].

---

(١) سنن ابن ماجه رقم (٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧٣٦)، وتمامه: أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ: «لِلِابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ»، فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَىٰ فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ =

فإذا كان العالم غير مطمئنٍّ للجواب فإنه يحيل علىٰ غيره، وأما إذا ذهب المستفتي إلىٰ من يثق بعلمه ودينه فأفتاه؛ فلا يكثر الأسئلة؛ لأنه قد يحصل له الجواب علىٰ اجتهادات مختلفة فيتشوَّش.

وأما إذا كان الأمر يحتاج إلىٰ استثبات؛ مثل قصة هذا الرجل الذي وقع في نفسه شيء من القدر، وهو يريد أن يتحقَّق من زوال ما في نفسه منه؛ فله ذلك، ولهذا سأل أكثر من واحد واتفقوا علىٰ جواب واحد.

الإنسان إذا حصل له ما يحتاج إلىٰ معرفة حكمه الشرعيِّ؛ فإنه يختار لسؤاله من يثق بعلمه ودينه، ويرىٰ أنه أولىٰ من غيره، وإذا سأله يأخذ بفتواه ولا يحتاج إلىٰ أنْ يكثر الأسئلة.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن كثير**)؛ هو العبدي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا سفيان**)؛ هو الثوري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سنان**)؛ هو سعيد بن سنان، وهو صدوق له أوهام، أخرج له البخاري في «جزء القراءة»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن وهب بن خالد الحمصي**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود

=

مَسْعُودٍ؛ فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ.

والترمذي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (عن ابن الديلمي)؛ هو عبد الله بن فيروز، وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (أبي بن كعب)؛ صاحب رسول الله ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عبد الله بن مسعود)؛ هو عبد الله بن مسعود الهذلي، صاحب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حذيفة بن اليمان)؛ وهو صحابي ابن صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (زيد بن ثابت)؛ وهو صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٠٠- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُسَافِرٍ الْهُذَلِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ، عَنْ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ؛ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ؛ سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا؛ فَلَيْسَ مِنِّي»[١].

الشَّرح

هذا مثل ما تقدم في الحديث السَّابق الذي جاء عن جماعة من الصحابة، ورفعه زيد بن ثابت إلىٰ النبي ﷺ، ثم بعد هذا الذي قاله لابنه قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»).

فقوله: «اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»؛ هذا يبين قوله أولًا لابنه: (مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ)؛ أي: أن الذي قدره الله عَزَّوَجَلَّ وكتبه في اللوح المحفوظ من أن كذا سيصيب هذا الشخص، أو يخطئ هذا الشخص؛ فالذي أصابه لابدَّ له منه ولا يمكن التخلُّص منه، والذي أخطأه لا سبيل إلىٰ حصوله؛ لأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٥٥)، وأحمد (٥/ ٣١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠١٨).

وفي الحديث دليل على إثبات القدر، وعلى الكتابة، والقلم لما خلقه الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال له: «اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»، وقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو في «صحيح مسلم»: أنَّ هذه الكتابة كانت قبل خلْق السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ(١).

❁ مسألة: أيهما خلق أولاً: العرش أم القلم:

واستدل بعض أهل العلم بهذا الحديث على أن القلم هو أول المخلوقات من هذا العالم.

ومنهم من قال: إنَّ العرش خلق قبله؛ لما جاء في الحديث الذي فيه الكتابة من قوله: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(٢)، فيكون قوله: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ»؛ معناه: أنه من أوّل ما خلقه الله قال له: اكتب. والعرش كان موجودًا من قبل أن يكتب القضاء والقدر، وقبل أن يخلق القلم الذي أمر بكتابة المقادير التي قدَّرها الله عَزَّوَجَلَّ حتى تقوم الساعة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦/ ٢٦٥٣)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

(٢) صحيح: انظر التخريج السابق.

فمنهم من رجَّح أوليَّة القلم، ومنهم من رجح أولية العرش كابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونيَّة؛ قال[1]:

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذي ... كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدَّيَّانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ ... قَوْلانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلا الْهَمَذَانِي
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لأَنَّهُ ... قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ

قوله: (يَا بُنَيَّ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا»)؛ أي: أن من مات على إنكار القدر، (فَلَيْسَ مِنِّي).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا جعفر بن مسافر الهذلي)؛ هو أبو صالح، وهو صدوق ربما أخطأ، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا يحيىٰ بن حسَّان)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا الوليد بن رباح)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود، وهو

---

(١) (ص: ٦٥)، وقال بعدها:

وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ ... إِيجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَصْلِ زَمَانِ
لمَّا بَرَاه اللهُ قَالَ اكْتُبْ كَذَا ... فَغَدا بِأَمْرِ اللهِ ذَا جَرَيَانِ
فَجَرَىٰ بِمَا هُوَ كَائِن أبدًا إِلَىٰ ... يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ

مقلوب؛ وصوابه: رباح بن الوليد.

قَوْلُهُ: (عن إبراهيم بن أبي عبلة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي.

قَوْلُهُ: (عن أبي حفصة)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (قال عبادة بن الصامت)؛ صاحب رسول الله ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٠١- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، ح وحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمَعْنَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ طَاوُسًا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ؛ فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ**»(١).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ: عَنْ عَمْرٍو، عَنْ طَاوُسٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (١٣/ ٢٦٥٢)، وأخرجه: الترمذي (٢١٣٤)، وابن ماجه (٨٠)، وأحمد (٢/ ٢٤٨).

الشَّرح

من المعلوم: أنَّ القدر لا يجوز الاحتجاج به علىٰ ترك أمر، ولا علىٰ فعل نهي؛ فالإنسان إذا حصلت منه معصية بأن ترك مأمورًا أو فعل منهيًّا، وعوتب علىٰ ذلك؛ فلا ينفعه أن يحتجَّ بالقدر علىٰ ترك الأمر وفعل النهي، فإذا قيل له: لماذا زنيت؟ لا ينفعه أن يقول: هذا شيء مقدر. بل يُعاقب العقوبة التي يستحقُّها، ويقال له: أذنبت ذنبًا وهو مقدر، وهذه عقوبتك وهي مقدَّرة، وكل شيء بقضاء وقدر.

وهذا الحديث فيه المحاجَّة بين آدم وموسىٰ - عليهما الصلاة والسلام -، وأن موسىٰ قال لآدم ما قال، وأجابه آدم بأنَّ هذا شيء قد كتبه الله عليه قبل أن يُخلق، والنبي ﷺ قال: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»؛ يعني: غلبه بالحجَّة.

وقد أُجيب عن هذا الحديث وتوجيهه، مع أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر علىٰ المعاصي، بجوابين:

أحدهما: ذكره ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو: أن الاحتجاج بالقدر إنما هو علىٰ المصيبة التي جاءت نتيجة للذنب، وترتَّبت علىٰ الذنب، وليس علىٰ الذنب والمعصية، فهو ما لامه علىٰ المعصية، وإنما لامه علىٰ الأمر الذي تبع المعصية، وهو المصيبة التي حلَّت به وبذريته بأن أخرجوا من الجنة.

قال: يُحْتَجُّ بِهِ فِي المَصَائِبِ دُونَ الْمَعَائِبِ.

الثاني: استَظْهره ابنُ القيِّم: وهو أنه إذا كان الإنسان لم يتب من الذنب؛ فإن احتجاجه بالقدر غير صحيح ولا يعتبر؛ لأنه مُصرٌّ علىٰ الذنب وغير تائب منه، وأما إذا كان قد تاب منه وندم لامه لائم فاحتجَّ بالقدر، وقال: هذا شيء قد قدره الله عليَّ. فعند ذلك يجوز، وفعل آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو من هذا القبيل؛ لأنه بعد التوبة.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذين التوجيهين في كتابه «شفاء العليل بما يتعلق بالقضاء والقدر»[1]، وقد عقد بابًا خاصًّا لهذا الحديث والكلام عليه[2]، وذكر كلام كثير من النَّاس، ومنها أقوال باطلة تتعلَّق بالقضاء والقدر وشرْح هذا الحديث وبيان معناه، واختار هذين التوجيهين اللذين أحدهما لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، والثاني له، وهذا باب من أبواب ثلاثين أوردها في كتابه «شفاء العليل».

قَوْلُهُ: «فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ»؛ هذا فيه بيان أن

---

(١) (ص: ١٧، ١٨)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٣٢): ««فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»؛ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَىٰ لَمْ يَكُنْ عَتَبُهُ لِآدَمَ لِأَجْلِ الذَّنْبِ؛ فَإِنَّ آدَمَ قَدْ كَانَ تَابَ مِنْهُ وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ؛ وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي لَحِقَتْهُمْ مِنْ ذَلِكَ. وَهُمْ مَأْمُورُونَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ الْقَدَرِ فِي الْمَصَائِبِ وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا مِنَ المعائب؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]».

(٢) الباب الثالث (ص ١٣ - ١٩).

موسىٰ كليم الله، وأنَّ الله تعالىٰ اصطفاه بالكلام.

ومعلوم أن الكلام حصل أيضًا لنبيِّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو كليم الرحمن كما أن موسىٰ كليم الرحمن، وإبراهيم خليل الرحمن، ونبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خليل الرحمن؛ فقد اجتمع فيه ﷺ ما تفرَّق في غيره؛ فالخلَّة لإبراهيم والكلام لموسىٰ، ونبيُّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ له الوصفان: الخلة والتكليم.

قَوْلُهُ: «وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»؛ فيه دليل علىٰ أن التوراة هي ممَّا خطه الله عَزَّوَجَلَّ بيده.

قَوْلُهُ: «**تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ**»؛ وهذا تقدير آخر غير التقدير الأول الذي قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر عدَّة تقديرات جاءت فيها أحاديث، وهي: التقدير اليومي، والتقدير الحولي، والتقدير عند التخليق، وهذا التقدير الذي جاء قبل خلق آدم، والتقدير سابق علىٰ خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة[1].

والذي يبدو: أن هذه المحاجَّة وقعت في الحياة البرزخيَّة؛ فإن الأنبياء

---

(١) شفاء العليل (ص ٢٣، ٢٤)، قال: «وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق؛ وفي ذلك دليل علىٰ كمال علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة تعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه».

أجسادهم في قبورهم، ولكنهم يلتقون بأرواحهم علىٰ صور أجسادهم؛ مثلما حصل من لقي النبي ﷺ ليلة المعراج إياهم؛ فإنه لقيهم وصلَّىٰ بهم في بيت المقدس.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا **مسدد**)؛ هو ابن مسرهد **البصريُّ**، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا سفيان**)؛ هو ابن عيينة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (ح وحدثنا **أحمد بن صالح**)؛ هو المصريُّ، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود، والترمذي في «الشمائل».

قَوْلُهُ: (المعنىٰ قال: حدثنا **سفيان بن عيينة**)؛ التحويل جاء من أجل النسب؛ لأن شيخه الأول مسددًا ذكر شيخه ولم ينسبه؛ فقال: (حدثنا سفيان) فقط، وأما الثاني أحمد بن صالح فذكره بنسبته فقال: (حدثنا سفيان بن عيينة).

قَوْلُهُ: (عن **عمرو بن دينار**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (سمع طاوسًا)؛ هو ابن كيسان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (سمعت **أبا هريرة**)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

صاحب رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأكثر أصحابه حديثًا على الإطلاق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

قَوْلُهُ: (قال أحمد بن صالح: عن عمرو عن طاوس، سمع أبا هريرة)؛ هذه الطريق فيها عنعنة وليس سماع، أيضًا قال هنا: عن طاوس سمع أبا هريرة. وفي الإسناد الأول قال: عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ طَاوُسًا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٠٢- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَىٰ قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ. فَأَرَاهُ اللهُ آدَمَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ. قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ. قَالَ: أَنْتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَمَا وَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فِيمَ

تَلُومُنِي؛ فِي شَيْءٍ سَبَقَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي؟!».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»(١).

الشَّرح

وهذا الحديث مثل الذي قبله إلا أن فيه زيادة توضِّح أن موسىٰ طلبه، ولما لقيه سأله وذكر ما ذكر، وإلا فإن المعنىٰ واحد.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا ابن وهب)؛ هو عبد الله بن وهب المصري، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرني هشام بن سعد)؛ صدوق له أوهام، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن زيد بن أسلم)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أن عمر بن الخطاب)؛ أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين

(١) صحيح: أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (١/ ٢٠٩، رقم ٢٤٣)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٦)، والضياء في المختارة (رقم ٨٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم ٤٢١)، وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٠٢).

الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمَّة والفضائل الكثيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستَّة.

۞ ۞ ۞

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٠٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أُنَيْسَةَ؛ أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ؛ أَخْبَرَهُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] - قَالَ: قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ الْآيَةَ -، فَقَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْهَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ**».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ؛ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ؛ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ؛**

فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْهَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»...)، وهو من جنس الأحاديث السابقة فيما يتعلَّق بأن العمل مطلوب، وأن الناس لا يعرفون المقدَّر، وأن عندهم مشيئة وإرادة، وأن من اختار طريق السعادة فإنه ييسَّر لها، ومن اختار طريق الشقاوة فإنه ييسَّر لها، وينتهي الأول للجنة، وينتهي الآخر إلىٰ النار.

والحديث ضعَّفه الشيخ ناصر، وقال: «وفي أَخْذ الذُّرية من صُلْب آدم؛ أحاديث أخرىٰ صحيحة أَخْصَرُ منْ هذا، وقدْ خرَّجتُ بعضها في

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٠٧٥)، وأحمد (١/ ٤٤)، ومالك في الموطأ (٢/ ٨٩٨، رقم ٢)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (رقم ٣٠٧١)، وفي ضعيف الجامع (رقم ١٦٠٢).

«الصحيحة» (٤٨ - ٥٠)[١]، وليس في شيء منها مسح الظهر، إلا في حديث لأبي هريرة مخرج في «ظلال الجنة» (٢٠٤، ٢٠٥)[٢]، وفي كلِّها لم تذكر

---

(١) حديث رقم (٤٨) في السلسلة الصحيحة: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي». فقال قائل: يا رسول الله، فعلى ماذا نعمل؟ قال: «على مواقع القدر»، أخرجه رواه أحمد (٤ / ١٨٦)، وغيره عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو صحيح.

حديث رقم (٤٩): «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنَّهم الذَّرُّ، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحُمَمَ، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي. وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي» رواه أحمد وابنه في زوائد المسند (٦/ ٤٤١)، عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإسناده صحيح.

حديث رقم (٥٠): «إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قبض قبضة بيمينه فقال: هذه لهذه ولا أبالي وقبض قبضة أخرى، يعني: بيده الأخرى، فقال: هذه لهذه ولا أبالي»، رواه أحمد (٥٥ / ٦٨) عن أبي نضرة عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ، وإسناده صحيح.

وفي الباب عن أبي موسى وأبي سعيد وغيرهما فليراجعها من شاء في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨٦، ١٨٧). اهـ من السلسلة الصحيحة بتصرف يسير.

(٢) حديث رقم (٢٠٤) في ظلال الجنة: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الدَّيْنِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمُ؛ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا خَلَقَهُ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ مِنْ ذَرَارِيَّ إِلَىٰ يوم القيامة فعرضهم عليه».

حديث صحيح، رجاله ثقات غير ابن جدعان فهو ضعيف، لكن له شاهد من حديث أبي هريرة يأتي بعده. والحديث أخرجه أحمد (١/ ٢٥١ و٢٩٩ و٣٧١).

=

الآية الكريمة»(١).

❁ أقوال العلماء في تفسير هذه الآية:

ذكر العلماء في تفسير هذه الآية معنيين:

أحدهما: هذا الذي جاء في الحديث.

والثاني: أن الله تعالىٰ فطر الناس علىٰ التوحيد؛ فمنهمْ مَنْ يكون علىٰ هذا الشيء الذي فُطر عليه، ومنهم من ينْحرِفُ عن الجادَّةِ.

ولكن قد جاء الحديث في بيان سبب نزولها، وأنهم استُخْرِجوا من ظهر آدم(٢)(٣).

حديث رقم (٢٠٥): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ آدَمَ...»، ثم ذكر الحديث. حديث صحيح، رجاله ثقات لولا ما يخشىٰ من مبارك بن فضالة تدليسه تدليس التسوية. لكنه يتقوىٰ بالطريق التي بعده. اهـ من ظلال الجنة بتصرف يسير.

(١) السلسلة الضعيفة (٧/ ٧٣)، تحت الحديث رقم (٣٠٧١).

(٢) وهو ضعيف كما تقدم.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٠٦): «فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَأَمَّا الْإِشْهَادُ عَلَيْهِمْ هُنَاكَ بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا فِي حَدِيثِ كُلْثُومِ بْنِ جَبْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُمَا مَوْقُوفَانِ لَا مَرْفُوعَانِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْإِشْهَادِ: إِنَّمَا هُوَ فَطْرهم عَلَىٰ التَّوْحِيدِ؛ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعِيَاضِ بْنِ حمَار الْمُجَاشعي، وَمِنْ رِوَايَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ

والميثاق في هذه الآية على توحيد الألوهيَّة؛ فهو الأصل الذي خلق الخلق من أجله، أما توحيد الربوبيَّة فداخل فيه، وهو شيء فطري، والكفَّار لا يجحدونه؛

عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ. وَقَدْ فَسَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الْآيَةَ بِذَلِكَ، قَالُوا: وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (مِنْ آدَمَ)، ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (مِنْ ظَهْرِهِ)، ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾؛ أَيْ: جَعَلَ نَسْلَهُمْ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَقَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وَقَالَ: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وَقَالَ: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ أَيْ: أَوْجَدَهُمْ شَاهِدِينَ بِذَلِكَ، قَائِلِينَ لَهُ حَالًا وَقَالًا.

وَالشَّهَادَةُ تَارَةً تَكُونُ بِالْقَوْلِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] الْآيَةَ، وَتَارَةً تَكُونُ حَالًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]؛ أَيْ: حَالُهُمْ شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، لَا أَنَّهُمْ قَائِلُونَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧]، كَمَا أَنَّ السُّؤَالَ تَارَةً يَكُونُ بِالْقَالِ، وَتَارَةً يَكُونُ بِالْحَالِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، قَالُوا: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا هَذَا: أَنْ جَعَلَ هَذَا الْإِشْهَادَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي الْإِشْرَاكِ، فَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ هَذَا كَمَا قَالَهُ مَنْ قَالَ؛ لَكَانَ كُلُّ أَحَدٍ يَذْكُرُهُ، لِيَكُونَ حُجَّةً عَلَيْهِ. فَإِنْ قِيلَ: إِخْبَارُ الرَّسُولِ بِهِ كَافٍ فِي وُجُودِهِ. فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُكَذِّبُونَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ. وَهَذَا جُعِلَ حُجَّةً مُسْتَقِلَّةً عَلَيْهِمْ؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ الْفِطْرَةُ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ أَيْ: لِئَلَّا يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾؛ أَيْ: عَنِ التَّوْحِيدِ، ﴿غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ الْآيَةَ».

ولهذا ذكر بعده الإشراك: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٧٣].

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله القعنبي**)؛ هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**عن مالك**)؛ هو ابن أنس إمام دار الهجرة، المحدِّث الفقيه، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن زيد بن أبي أنيسة**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب؛ أخبره**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن مسلم بن يسار الجهني**)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عمر بن الخطاب**)؛ قد مر ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٠٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ جُعْثُمٍ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ

عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ... بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَحَدِيثُ مَالِكٍ أَتَمُّ[1].

الشَّرْح

أورد أبو داود الحديث من طريق أخرىٰ، وأحاله علىٰ الطريق الأولىٰ؛ فقال: (وَحَدِيثُ مَالِكٍ أَتَمُّ)، وهو الذي ليس فيه ذكر نعيم بن ربيعة.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن المصفىٰ**)؛ وهو صدوق له أوهام، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا بقية**)؛ هو ابن الوليد، وهو صدوق، أخرج حديثه البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**حدثني عمر بن جعثم القرشي**)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن نعيم بن ربيعة**)؛ نعيم بن ربيعة مقبول، أخرج له أبو داود.

والإسناد الأول فيه انقطاع بين مسلم بن يسار وعمر، وهذا فيه مقبول، لكن الحديث له طرق أخرىٰ وشواهد.

❁ ❁ ❁

---

(١) ضعيف: وقد تقدم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٠٥- حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ بْنِ مَصْقَلَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا**»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أبيّ بن كعب قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا**»؛ يعني: أن الله قدَّر أن يكون كافرًا، «**وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا**»؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]؛ وعلىٰ هذا فقد سبق القضاء والقدر بأن هذا طُبِع علىٰ هذه الحال، وهو دالٌّ علىٰ القدر، وعلىٰ أن المقادير سبقت بكلِّ ما هو كائن.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا المعتمر**)؛ هو ابن سليمان بن طرخان التيمي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩/ ٢٦٦١)، والترمذي (٣١٥٠)، وأحمد (٥/ ١١٨).

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ هو سليمان بن طرخان، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن رقبة بن مصقلة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، إلا ابن ماجه فأخرج له في «التفسير».

قَوْلُهُ: (عن أبي إسحاق)؛ هو عمرو بن عبد الله الهمداني السَّبِيعِي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن سعيد بن جبير)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن عباس)؛ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عمِّ النبي ﷺ وأحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

قَوْلُهُ: (عن أُبي بن كعب)؛ وقد مر ذكره قريبًا.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

٤٧٠٦ - حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠]: «وَكَانَ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا»(١).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «وَكَانَ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا»؛ أي: يوم قدرت المقادير قدر أنه كافر، وهذه الآية فيها مثال لما يذكره العلماء من العهد الذكري؛ أي: كون الألف واللام ترجع إلىٰ معهود تقدَّم ذكره؛ لأنه قال قبل ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ [الكهف: ٧٤]، ثم قال هنا: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾؛ فصارت (أل) في الغلام ترجع إلىٰ (غلامًا) الذي مرَّ ذكره.

ونظيره قوله في سورة المزمل: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]؛ لأن (أل) في كلمة (الرسول) ترجع إلىٰ (رسولًا) التي قبلها.

وتأتي (أل) أيضًا للعهد الذهني؛ أي ترجع إلىٰ معهود في الأذهان مثل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]؛ فلم يتقدم له ذكر، ولكنه معهود في الأذهان أنه في القرآن.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: **(حدثنا محمود بن خالد)**؛ هو محمود بن خالد الدمشقي، وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: **(حدثنا الفريابي)**؛ هو محمد بن يوسف الفريابي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(عن إسرائيل)**؛ هو ابن يونس بن أبي إسحاق، وهو ثقة، أخرج له

أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧٠٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَتَنَاوَلَ رَأْسَهُ فَقَلَعَهُ؛ فَقَالَ مُوسَىٰ**: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] الْآيَةَ»(١).

الشرح

أورد أبو داود حديث أبي بن كعب، وفيه كيفيَّة قتل الغلام، وأنه أمسك رأسه وقلعه؛ أي: فقتله بذلك.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن مهران الرازي**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (١٧٠/ ٢٣٨٠)، وأخرجه الترمذي (٣١٤٩)، وأحمد (٥/ ١١٧)، وسياقهم جميعًا أطول من سياق أبي داود.

❁ الجمع بين كون الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا وبين حديث الفطرة:

طبع الغلام علىٰ الكفر؛ لا يتعارض مع ما جاء في الحديث: «كل مولود يولد علىٰ الفطرة؛ فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه»(١)؛ فحديث الفطرة علىٰ عمومه، وكون هذا الغلام طبع كافرًا معناه أنه قدِّر أنه يكون كافرًا، وليس معنىٰ ذلك أنه ما خُلق علىٰ الفطرة، وأنه خارج عن الفطرة، فالحديث فيه: «كل مولود يولد علىٰ الفطرة»، وهذا مولود، ولكن حصل الانحراف للناس بعد ذلك، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ»(٢)، فالله قدر له أن يكون كافرًا، كما قدر الله أن الكفار وُلِدوا علىٰ الفطرة ثم حصل لهم انحراف بعد ذلك.

يقول المحشي: قال المنذري: «ولفظ البخاري ومسلم: «فَأَخَذَ الخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ»، وفي لفظ للبخاري: «فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بالسكة»(٣)، وفي كتاب الطبري: «أنه أخذ صخرة فثلغ بها رأسه»(٤)، والجمع بينها متوجِّه».

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٢/ ٢٦٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) في صحيح البخاري (٤٧٢٦): «بالسِّكِّينِ».

(٤) في تفسير الطبري (١٨/ ٦٧): «فأخذه بيده، وأخذ حجرًا، قال: فضَرَبَ به رأسَهُ حتَّىٰ دَمَغَهُ فقتله».

إذا صحَّت الأحاديث فقد يرجح بعضها علىٰ بعض، لكن إذا أمكن الجمع والتوجيه يمكن أن يوفَّق بينها[1]؛ فإذا صحَّت رواية الطبري؛ فلعل ضربه بالحجر حصل أولًا، ثم بعده خلع الرأس، وقد يكون ضرب الحجر لم يقتل، ولكن أحدث ضررًا، ثم كمِّل بخلع الرأس.

❁ مسألة: ما حدث مع الخضر يدل على نبوته:

وينبغي أن يعلم: أن مثل هذا يدل علىٰ أن الخضر نبي، وليس بوليٍّ فقط؛ لأن الأولياء لا يعرفون الحقَّ إلا عن طريق الأنبياء، وهم تابعون للأنبياء، وأما الخضر فهو نبيٌّ، والمحاورة التي جرت بينه وبين موسىٰ تدل علىٰ ذلك؛ فقد قال: «**إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ**»، ثم قال: «**مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ**»[2]. وكذلك ما جاء في قصَّته في سورة الكهف – ولم تتكرَّر قصته في مواضع أخرىٰ من القرآن– أنه قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

ولهذا فإن الفتنة حصلت لكثير من الناس بالدعوىٰ أنه ولي، وأنه

---

(١) قال القرطبي (ت: ٦٧١) في التفسير (١١/ ٢٠، ٢١): «وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ هَذِهِ الأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ؛ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ دَمَغَهُ أَوَّلًا بِالْحَجَرِ، ثُمَّ أَضْجَعَهُ فَذَبَحَهُ، ثُمَّ اقْتَلَعَ رَأْسَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَسْبُكَ بِمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ».

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (١٧٠/ ٢٣٨٠)، عن أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يحصل من الولي مثل هذه الأمور؛ فغلوا في الأولياء، واعتقدوا فيهم ما لا يجوز، وأنزلوهم المنازل التي لا يستحقُّونها، بحجة أن الخضر حصل منه ما حصل وهو ولي، فالقول بأن الخضر نبيٌّ يمحو هذا كله.

❁ **مسألة: موسى أفضل من الخضر عليهما السلام:**

وأيضًا معلوم أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفضل المرسلين بعد نبيِّنا محمد ﷺ وبعد إبراهيم، فهو الذي يلي إبراهيم؛ لأنَّ محمدًا ﷺ خليل كليم، وإبراهيم خليل، وموسىٰ كليم، وإنما ذهب ليحصل من هذا العلم الذي أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ ذلك الرجل.

❁ **مسألة: الأدلة على أن الخضر قد مات:**

زعم بعض الناس أنه حيٌّ موجود، وأنه لم يمت، وهذا أيضًا غير صحيح؛ لأن النصوص تدلُّ علىٰ أنه قد مات، وأنه لم يكن موجودًا في زمن النبي ﷺ، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. فلو كان الخلد لأحد لكان للنبيِّ ﷺ، فالقول بأن الخضر كان موجودًا في زمن النبي ﷺ أو بعده غير صحيح؛ ولو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ فكيف لا يأتي إليه ويتشرَّف بلقيه ونصرته، وهو يجول ويصول في البلاد كما يقولون، ويقطع الدنيا، ويحضر في أماكن كثيرة.

وقد كان ﷺ يناجي ربَّه في بدر ويقول: «اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ

أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»[(١)]. فلو كان الخضر موجودًا وهلكت العصابة؛ فإن الله يعبد في الأرض؛ حيث يعبده الخضر.

وكذلك جاء في الحديث: «لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ، وَعَلَىٰ الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ»[(٢)]، ومعنىٰ ذلك: أنه بعد مضي مائة سنة من ذلك اليوم الذي تحدَّث فيه النبي ﷺ الحديث سيموت كل من كان موجودًا علىٰ الأرض، فلو كان الخضر موجودًا في ذلك الوقت؛ لمات قبل مضي مائة سنة؛ كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٨/ ١٧٦٣)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٨/ ٢٥٣٨) عن جابر، و(٢١٩/ ٢٥٣٩)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢١٧/ ٢٥٣٧) بنحوه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأسئلة

السؤال: ما الراجح في الأولية: خلق العرش أم القلم؟

الجواب: بعض أهل العلم يقول: إن القلم هو الأول؛ لحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ»[١].

ومنهم من يقول: إن العرش أول مخلوق، وإن قوله: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ»[٢]؛ معناه: أنه أول ما خلقه قال له: اكتب.

وقد ذكر ابن القيِّم الخلاف في النونيَّة، ورجَّح أن العرش متقدِّم، قال[٣]:

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي ... كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدَّيَّانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ ... قَوْلانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمَدَانِي
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لأَنَّهُ ... قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ

❁ ❁ ❁

السؤال: قوله ﷺ: «وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»؛ هل يدل على أن التوراة مخلوقة؟

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) قد تقدَّم.

الجواب: الحديث لا يدلُّ علىٰ أن التوراة مخلوقة؛ لأنَّ كلام الله عَزَّوَجَلَّ مكتوب في اللوح المحفوظ، ولا يقال: إنه مخلوق؛ لأنه كلام الله الذي تكلَّم به وكتبه، فلا يقال: إن هذا الكتاب الذي هو من كلامه وخطه بيده يكون مخلوقًا؛ فكلام الباري غير مخلوق سواء تكلم به أو خطه، وكلام المخلوق مخلوق سواءً تكلم به أو خطَّه.

❁ ❁ ❁

السؤال: جاء في الحديث أن أول المخلوقات هو القلم، أليس في ذلك دليل على أن القول بتسلسل الحوادث في الماضي خطأ؟

الجواب: قالوا: إن القلم أول المخلوقات في هذا العالم المشاهد، فهذا العالم المشاهد هو الذي فيه الأوَّلية بالنسبة للعرش أو بالنسبة للقلم، وأما ما قبل ذلك فالله عَزَّوَجَلَّ يخلق ما يشاء، والله تعالىٰ أعلم بخلقه وما خلق، لكن هذا العالم المشاهد هو - كما جاء في هذا الحديث - ما يتعلَّق بخلق السموات والأرض، والعرش قبل ذلك.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يُفهم من قوله في حديث خلق القلم: «اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»؛ أن المقادير التي كتبت إنما هي إلى يوم القيامة فقط؟

الجواب: الحديث يدل علىٰ هذا؛ أن الله قدر أن كل ما يجري حتىٰ تقوم

الساعة، ومعلوم أن ما يجري في الجنَّة والنار بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لا نهاية له؛ فالعذاب مستمرٌّ ويتجدَّد: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وأهل الجنة منعَّمُون إلىٰ غير نهاية، والله أعلم.

ومعلوم أن اللوح المحفوظ له بداية ونهاية، وكل ما كتب فيه محدود ومعروف ومحصور، ولكن الجنَّة والنار وما يحصل فيهما من النعيم والعذاب، وما يحدثه الله وينشئه لأهليهما علىٰ مدىٰ العصور والزمان الذي لا انقطاع له ولا نهاية فإنه مستمر.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٠٨- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، (ح) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ - الْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ، وَالإِخْبَارُ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ - عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: **«إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيُكْتَبُ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ - أَوْ: قِيدُ ذِرَاعٍ -، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ**

الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ - أَوْ: قِيدُ ذِرَاعٍ -، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَيَدْخُلُهَا»[(١)].

الشرح

ثم أورد أبو داود حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قضية التقدير، وكتابة الملك عند نفخ الروح في الجنين: رزقه وأجله وشقي أم سعيد.

قال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ)؛ هذا ثناء علىٰ رسول الله ﷺ، ومدح له بأنه صادق مصدوق - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -[(٢)]، وهذه الجملة اعتراضية بين

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (١/ ٢٦٤٣)، وأخرجه كذلك: الترمذي (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦)، وأحمد (١/ ٤١٤).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٨٧): «وَ(الصَّادِقُ): مَعْنَاهُ الْمُخْبِرُ بِالْقَوْلِ الْحَقِّ، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ الْفِعْلِ، يُقَالُ: صَدَقَ الْقِتَالُ، وَهُوَ صَادِقٌ فِيهِ. وَ(الْمَصْدُوقُ) مَعْنَاهُ: الَّذِي يُصَدَّقُ لَهُ فِي الْقَوْلِ؛ يُقَالُ: صَدَقْتُهُ الْحَدِيثَ؛ إِذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِ إِخْبَارًا جَازِمًا، أَوْ مَعْنَاهُ: الَّذِي صَدَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعْدَهُ. وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ: لَمَّا كَانَ مَضْمُونُ الْخَبَرِ أَمْرًا مُخَالِفًا لِمَا عَلَيْهِ الْأَطِبَّاءُ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَىٰ بُطْلَانِ مَا ادَّعَوْهُ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ تَلَذُّذًا بِهِ وَتَبَرُّكًا وَافْتِخَارًا».

=

الحديث والمحدَّث به.

وقيل: إنها جملة حاليَّة.

وقال بعضهم: إن كونها اعتراضيَّة أولىٰ من كونها جملة حاليَّة؛ لأن معنىٰ الجملة الحالية أنه الصادق المصدوق في حال تحديثه لنا. ولكن إذا كانت جملة اعتراضية فالمعنىٰ أنه متَّصف بهذا الوصف دائمًا وأبدًا، وأن هذا شأنه - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه - دائمًا، وليس ذلك مقيدًا بحال تحديثه إياهم.

«إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ» أي: أربعين، «ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ»؛ أي: بعد مائة وعشرين يومًا.

فكلُّ إنسان يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا؛ أي: فيكون نطفة من ماء مهين، فيمكث أربعين يومًا، ثم يتحوَّل إلىٰ علقة؛ أي قطعة صغيرة من اللحم، ثم يتحوَّل إلىٰ مضغة بعد أربعين يومًا أخرىٰ، والمضغة: هي الأكلة التي يضعها الآكل في فمه.

وقال العلامة ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٢٨٩): ««وهو الصادق المصدوق»؛ يعني: الصادق فيما يقول، والمصدوق فيمَا يوحىٰ إليه من الوحي، وفيما يقال له من الوحي؛ فهو صادق لا يخبرُ إلا بالصِّدْق، مصدوقٌ لا ينبأ إلا بالصدق - صلوات الله وسلامه عليه -، وإنما قدَّم هذه المقدِّمة؛ لأنه سيخبر عن أمر غيبيٍّ باطن يحدث في ظلمات ثلاث».

فبعد هذه الأطوار الثلاثة التي يمر بها يخلَّق على هيئة إنسان؛ يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويصير مكوَّنًا من روح وجسد.

قال: «فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيُكْتَبُ رِزْقُهُ»؛ يعني: أنه يكتب ما قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون له من رزق؛ سواء كان مبسوطًا أو مضيَّقًا، «وَأَجَلُهُ»؛ أي مدَّة حياته ومتى ينتهي أجله، «وَعَمَلُهُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»، فإما أن يكون من أهل السعادة أو من أهل الشقاوة. وجاء في الحديث أنَّ الملَكَ يقولُ: «أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ؟»[1]؛ فيُذكر له الحالة التي شاء الله تعالىٰ أن يكون عليها من ذكورة أو أنوثة.

وهذا فيه إثبات القدر، وأن كلًّا سينتهي إلىٰ ما قدِّر له من شقاوة أو سعادة، وكل شيء قدره الله عَزَّوَجَلَّ سيأتي علىٰ الإنسان بإرادته ومشيئته التابعة لمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ وإرادته.

والمرء ينتهي إلىٰ ما قُدِّر له من السعادة أو الشقاوة؛ فيكتبه الملك، فيموت علىٰ ذلك، والعبرة بما مات عليه، وما قبل ذلك ليس هو المعتبر؛ فقد تكون الحال حسنة ثم تتغيَّر إلىٰ حال سيِّئة؛ فيختم له بالسوء، أو قد

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٨)، ومسلم (٥/ ٢٦٤٦)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَكَّلَ اللهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ. فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

تكون الحال سيئة ثم يتحول إلىٰ حال حسنة، وينتهي أمره علىٰ أمر حسن؛ فالعبرة بالخواتيم؛ كما جاء في الحديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»[١].

ومعلوم أن التقدير قد حصل في اللوح المحفوظ، وهذا تقدير آخر؛ لأنه قد جاءت أحاديث في ذكر تقديرات أخرىٰ غير التقدير الأول الذي حصل في اللوح المحفوظ[٢]، والذي في اللوح المحفوظ هو الأصل وغيره تابع له.

ثم قال: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ - أَوْ: قِيدُ ذِرَاعٍ -، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ - أَوْ: قِيدُ ذِرَاعٍ -، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَيَدْخُلُهَا».

فقد بيَّن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آخر هذا الحديث أنَّ من كان من أهل السعادة قد يعمل بعمل أهل النار طيلة حياته أو أكثر حياته، حتَّىٰ ما يبقىٰ بينه وبينها إلا ذراع، أي ما يكون بينه وبين الموت إلا شيء يسير، فيهتدي ويتوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ويعمل بعمل أهل الجنَّة، ثم يموت علىٰ حالة حسنة، ومن تاب تاب الله عليه، والتوبة تجبُّ ما قبلها، فكل الذنوب التي حصلت من الإنسان؛ إذا تاب منها في الحياة قبل أن يغرغر؛ فإن التوبة تجبها.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٩٣)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم الكلام علىٰ أنواع التقديرات، راجع ص(٦٢٧).

وعلىٰ العكس من ذلك: فقد يعمل بعمل أهل الجنة، ويستمرُّ عليه أكثر حياته، ثم يدركه الخذلان فيرجع عن الحقِّ والهدىٰ، فيرتد أو ينحرف عن الجادَّة؛ فيختم له بخاتمة سيِّئة(١)، ولكن إذا كان الانحراف عن طريق ردَّة؛

---

(١) قال العلامة ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٢٩٢، ٢٩٣): «قال: «فَوَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيَدْخُلُهَا»؛ ولكن أبشروا! فإن هذا الحديث مقيَّد بأنه لا يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وأمَّا الذي يعمل بعملِ أهْل الجنَّة بقلب وإخلاص؛ فإن الله لا يخذله عَزَّوَجَلَّ، والله أكرم من العبد؛ فإذا عملت بعمل أهل الجنة بإخلاص – نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين منهم –؛ فإنَّ الله لا يخذلك، لكن فيما يبدو للناس.

والدليل علىٰ هذا القيد: ما ثبت في «صحيح البخاري»: أن رجلًا كان مع النبي ﷺ في غزوة، وكان شجاعًا مقدامًا، لا يترك للعدو شاذَّة ولا فاذَّة إلا قضىٰ عليه، فتعجَّب الناس منه، ومن شجاعته، من إقدامه، فقال النبي ﷺ ذات يوم: «إنه من أهل النار»، أعوذ بالله! هذا الشجاع الذي يفتك بالعدوِّ من أهل النار؟! فكبُر ذلك علىٰ المسلمين، وعظم عليهم، وخافوا؛ كيف يصير هذا من أهل النار؟!

فقال رجل: (والله لألزمنه)؛ أتابعه وأراقبه؛ لأرىٰ نهايته كيف تكون؟ فمشىٰ معه، وفي أثناء القتال أصاب هذا الرجل الشجاع السهم فجزع، فأخذ بسيفه فسله، فوضعه في صدره، واتَّكأ عليه حتىٰ خرج من ظهره، قتل نفسه جزعًا، فجاء الرجل إلىٰ النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: «وبم؟».

قال: الرجل الذي قلت: «إنه من أهل النار»؛ حصل له كذا وكذا.

فقال النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس». الحمد لله علىٰ هذا القيد: =

فإنه ليس له إلا النار، وإذا كان الانحراف عن طريق معاصٍ أو بدع غير مكفِّرة؛ فإن أمره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء عذَّبه في النار علىٰ بدعته أو معصيته، ولكنه لابد أن يخرج من النار ويدخل الجنة، ولا يبقىٰ في النار أبد الآباد إلا الكفار الذين هم أهلها.

فالنبي ﷺ بيَّن أن العبرة بالنهاية، وأن من كان وفقه الله عَزَّوَجَلَّ فيختم له بعمل أهل الجنة، ومن كان بخلاف ذلك حصل له الخذلان وختم له بعمل أهل النار.

❁ أقسام الناس بالنسبة للبدايات والنهايات:

الناس بالنسبة للبدايات والنهايات ينقسمون إلىٰ أربعة أقسام:

القسم الأول: وفق بأن ولد في الإسلام، ونشأ في الإسلام، أو وفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ للدخول في الإسلام عندما بُعث النبيُّ ﷺ، واستمرَّ علىٰ الإسلام، ووفق للأعمال الصالحة ودام عليها حتىٰ توفَّاه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فتكون حياته كلها معمورة بالصلاح والتقىٰ.

القسم الثاني: الذي يقابله: وهو الذي ولد في الكفر، ونشأ علىٰ الكفر، واستمرَّ علىٰ الكفر حتىٰ مات عليه - والعياذ بالله -، فالبدايات سيئة

=

«يعمل فيما يبدو للناس بعمل أهل الجنة، وهو من أهل النار؛ يظنُّون أنه صالح، ولكن في قلبه فساد وهو من أهل النار»».

والنهايات سيئة، والحياة كلها مملوءة بالسوء، وبالكفر بالله عَزَّوَجَلَّ والإلحاد.

القسم الثالث: الذي تكون بداياته سيئة وماضيه سيئًا، ثم يختم له عند النهاية بخير؛ كالذي عمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فسبق عليه الكتاب، فعمل بعمل أهل الجنة؛ فدخلها، وهذا مثل السحرة الذين كانوا مع فرعون، والذين كانت حياتهم كلُّها سحر وكفر، وفي آخر الأمر: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠]، ثم قُتلوا وانتهوا علىٰ خير؛ فكانت حياتهم معمورة بالكفر والسحر والخبث، وعند اقتراب الأجل حصل لهم الاهتداء ودخلوا في الحقِّ الذي جاء به موسىٰ، وآمنوا بربِّ هارون وموسىٰ، ثم قتلوا وصارت نهايتهم طيِّبة.

القسم الرابع: علىٰ العكس منه؛ وهو من يكون في حياته علىٰ استقامة وعلىٰ هداية، ثم يدركه الخذلان في الآخر عندما لم يبقَ علىٰ حياته إلا الشيء القليل، فيرتدُّ عن الإسلام - والعياذ بالله -، ثم يموت علىٰ الردَّة؛ فيكون عمل بعمل أهل الجنة طيلة حياته، فأدركه الخذلان فعمل بعمل أهل النار؛ فدخلها.

- فمنهم من بدايته ونهايته طيبة.
- ومنهم من بدايته ونهايته سيئة.
- ومنهم من بدايته حسنة ونهايته سيئة.
- ومنهم من بدايته سيئة ونهايته حسنة.

❁ معرفة نوع الجنين ليس من علم الغيب:

في الحديث أيضًا دليل على أن الملك يعرف الذكر من الأنثى بعدما ينفخ الروح ويسأل ربه: «أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ؟»[1]، فيعلم الملك بذلك، وهذا يدل على أنه يمكن أن يعرف الناس الحمل هل هو ذكر أو أنثى وهو في بطن أمه، وأن هذا لا يعتبر من علم الغيب؛ لأن الملك ما دام قد عرف ذلك وهو مخلوق من مخلوقات الله؛ فقد خرج ذلك عن أن يكون من علم الغيب الذي اختصَّ الله تعالى به، فهو مما يعلمه الناس، ولكن قبل هذه الحال عندما يكون الجنين ماءً مهينًا فإنه لا يعلم ذلك إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن إذا سأل الملك ربه: «أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ؟»، وقيل له ذلك؛ فحصل علم المخلوق بذلك، فيمكن للبشر أن يعرفوا ذلك عن طريق الأجهزة التي يعرفون بها كونه ذكرًا أو أنثى، ولا يقال: إن هذا من علم الغيب، أو إن هذا اطِّلاع على علم الغيب، أو كلام في علم الغيب؛ لأنه خرج عن أن يكون من علم الغيب بمعرفة الملك بذلك.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا حفص بن عمر النمري)؛ وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا شعبة)؛ هو ابن الحجاج الواسطي البصري، ثقة، أخرج له

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(ح وحدثنا محمد بن كثير)**؛ (ح) هي للتحوُّل من إسناد إلىٰ إسناد، و(محمد بن كثير)؛ هو العبدي، وهو ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(أخبرنا سفيان)**؛ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

وكل من شعبة في الإسناد الأول، وسفيان الثوري في الإسناد الثاني؛ وصف بأنه أمير المؤمنين في الحديث، وهو من ألفاظ التعديل العالية التي لا تحصل لكل أحد، ولا يظفر بها كل أحد، والذين وصفوا بها قليلون جدًّا.

قَوْلُهُ: **(المعنىٰ واحد)**؛ معناه: أن الرواية بالمعنىٰ، وأن أحاديثهم ليست متَّفقة في الألفاظ، ولكنها متَّفقة في المعنىٰ.

قَوْلُهُ: **(والإخبار في حديث سفيان)**؛ أي التحديث؛ وهو في حديث شيخه الثاني.

قَوْلُهُ: **(عن الأعمش)**؛ هو سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(حدَّثنا زيد بن وهب)**؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(حدثنا عبد الله بن مسعود)**؛ هو عبد الله بن مسعود الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وهو من فقهاء الصحابة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

الأسئلة

السؤال: جاء في بعض الروايات: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يظهر للناس» فما معناه؟

الجواب: نعم. ورد ذلك؛ لأن الناس لا يعرفون أحوال الناس إلا بالظاهر، ولا يعرفون البواطن، ولكن الناس يرون أنه عمل بعمل أهل الجنة على حسب ظاهره، وقد يظهر من الإنسان شيء وهو بخلاف ما يظهر؛ مثل شأن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

❁ ❁ ❁

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٤٧٠٩- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ الرِّشْكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(١).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٩٦)، ومسلم (٩/٢٦٤٩)، وأخرجه كذلك: الترمذي =

الشَّرح

أورد أبو داود حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»)؛ أي: أن الله تعالىٰ قد علم ذلك وسبق به القضاء والقدر، وفُرِغ منه.

قَالَ: (فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟)؛ أي: إذا كان أهل الجنة قد علموا، وأهل النار قد علموا؛ فلم العمل؟!

فقالَ النبيُّ ﷺ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»؛ فالمطلوب من العباد أنْ يعملوا، وقد بيَّن الله لهم طريق الخير وطريق الشر، والذي سيكون من أهل الجنة سيعمل بالأعمال التي توصله إلىٰ الجنة، والذي يكون من أهل النار سيعمل ويختار بمشيئته وإرادته الأعمال التي توصله إلىٰ النار.

وهذا جاء في عدَّة أحاديث:

منها: حديث عبد الله بن عمر - وقد مرَّ - أن رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةَ أَوْ جُهَيْنَةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فِيمَا نَعْمَلُ؛ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا، أَوْ مَضَىٰ، أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الْآنَ؟ قَالَ: «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَىٰ»، فَقَالَ الرَّجُلُ أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟! قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»[1]، وهذا يدلُّنا علىٰ أن الشقاوة والسعادة =

(٢١٣٥)، وأحمد (٤/ ٤٢٧).

(١) متفق عليه: وقد تقدَّم.

سبق بها القضاء والقدر.

ومنها: حديث ابن مسعود السابق[١]؛ وفيه أنه يكتب: شقي أو سعيد. ومعلوم أن كتابة الشقاوة والسعادة قد حصلت قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا تقدير بعد تقدير، وهو مطابق لذلك التقدير.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا مسدد**)؛ هو ابن مسرهد، ثقة، أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد بن زيد**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن يزيد الرشك**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، والرِّشْك لقب له.

قَوْلُهُ: (**حدثنا مطرف**)؛ هو ابن عبد الله بن الشخير، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عمران بن حصين**)؛ وهو صحابي، كنيته: أبو نُجَيد، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٧١٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِيُّ أَبُو

(١) متفق عليه: وقد تقدَّم.

عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَيْمُونٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ**»(١).

الشرح

أورد أبو داود هذا الحديث في النهي عن مجالسة أهل القدر، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ**»؛ ومثلهم في ذلك عامة المبتدعة، وذلك حتىٰ لا يتأثر المرء بهم، لكونه ضعيفًا في العلم، أو يغتر بعباراتهم أو أخلاقهم الحسنة، أو يغتر غيره به؛ فيطمئن إليهم، ونحو ذلك. وقد جاء في حديث آخر: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ...**» إلخ، وقال في جليس السوء: «**إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(٢)؛ فمجالسة الأشرار فيها مضرَّة علىٰ من يجالسهم، ولهذا فإن السلامة في الابتعاد عنهم

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٣٠)، وأبو يعلىٰ في مسنده (١/ ٢١٢، رقم ٢٤٥)، وابن حبان (١/ ٢٨٠، رقم ٧٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٦١٩٣)، وفي التعليقات الحسان.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (١٤٦/ ٢٦٢٨)، عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحذر منهم، والاتصال بهم إذا حصل يكون لدعوة أو توجيه وإرشاد؛ فهذا أمرٌ مقصود حسن، وشيء طيب، ولكن مجالستهم والاحتكاك بهم واستماع كلامهم، قد يجعل الإنسان يُبتلىٰ بأن يصيبه ما أصابهم من البلاء، فينتقل إليه منهم.

قَوْلُهُ: «**وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ**»؛ فُسِّرت المفاتحة بألا يُتحاكم إليهم، ولا يُرجع إليهم في الحكم؛ لأنَّهم أهل انحراف، وليسوا أهل استقامة.

وفُسِّرت أيضًا بالمناظرة والمجادلة، فلا يُناظرون ولا يُجادلون وإنَّما يُعرض عنهم، بل لا يجالسهم؛ لأن المجالسة قد يترتب عليها حديث وكلام ومناظرة، وأخذ ورد، وقد يكون الإنسان ليس عنده قوة علمية يفحم بها الخصم، بل قد يُبتلىٰ بأن يعلق في ذهنه شيء من الشُبه التي ابتلي بها أولئك الذين ابتلوا بالقدر.

﴿ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن حنبل**)؛ هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، الإمام المحدث الفقيه، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنَّة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو أحد العبادلة الأربعة الذين سمعوا من ابن لَهِيعَة[1] قبل

(١) عبد الله بن لَهِيعة بن عقبة بن لهيعة، القاضي، أبو عبد الرحمن الحضرمي الغافقي المصري، =

الاختلاط؛ وهم: هو، وعبد الله بن وهب(١)، وعبد الله بن مسلمة(٢)، وعبد الله بن المبارك.

قَوْلُهُ: (حدثني سعيد بن أبي أيوب)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثني عطاء بن دينار)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود والترمذي.

قَوْلُهُ: (عن حكيم بن شريك الهذلي)؛ وهو مجهول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (عن يحيىٰ بن ميمون الحضرمي)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو

=

كان مكثرًا من الحديث، وهو صدوق خَلَّط بعد احتراق كتبه، مات بالقاهرة سنة ١٧٤. [انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/ ٣٨)، والسير (٧/ ١٢٥)، وميزان الاعتدال (٢/ ٤٧٥، ٤٧٦)، والتقريب (ص ٣١٩)].

(١) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء، أبو محمد المصري، ثقة حافظ فقيه إمام عابد، من أصحاب مالك، أخرج له أصحاب الكتب الستة؛ ولد سنة ١٢٥، وتوفي سنة ١٩٧ وله ٧٢ سنة، ومولده ووفاته بمصر. [انظر ترجمته في: التهذيب (٦/ ٧١)، والتقريب (ص ٣٢٨)، وترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ٢٢٨)، والسير (٨/ ١٣)].

(٢) عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي، أبو عبد الله المدني ثم البصري، ثقة عابد إمام، من جلة أصحاب مالك وفضلائهم، وهو أحد رواة «الموطَّأ»، أخرج له الستة إلا ابن ماجه، نزل البصرة، ومات بمكة سنة ١٢١. [انظر ترجمته في: التهذيب (٦/ ٣١)، والتقريب (ص ٣٢٣)، وترتيب المدارك (٣/ ١٩٨)، والسير (٨/ ٣٦٧)، والوافي بالوفيات (١٧/ ٣١٣)].

داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (عن ربيعة الجرشي)؛ وهو مختلف في صحبته، وقد وثقه الدارقطني وغيره، أخرج له أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صاحب رسول الله ﷺ، وهو أكثر الصحابة حديثًا على الإطلاق.

قَوْلُهُ: (عن عمر بن الخطاب)؛ وهو الصحابي الجليل، ثاني الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمة والفضائل الكثيرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

- وهذا الإسناد تساعي، وهو من أنزل الأسانيد عند أبي داود، وقد ضعَّفه الألباني، من أجل حكيم بن شريك الهذلي[1].

- ومعلوم أن أعلى الأسانيد عند أبي داود الرباعيات، أي: أن يكون بينه وبين رسول الله ﷺ أربعة.

*** نقل ما يتعلّق بالإيمان بالقدر من كتاب «قَطْفُ الْجَنَى الدَّانِي شرْح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»[2]:**

---

(١) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ظلال الجنة» (رقم ٣٣٠): «إسنادُهُ ضعيفٌ؛ من أجل حَكِيم بْنِ شريكٍ الهذلي؛ مجهول».

(٢) هو عبد الله بن أبي زيد عبدِ الرحمن، أبو محمد القيرواني المالكي «مالك الصغير»، عالِم

۞ أولاً: مقدِّمة الكتاب(١):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجَّلين، المبعوث رحمةً للعالمين، صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آلِهِ الطيبين الطاهرين، وأصحابِهِ الغرِّ المَيامِين، الذين حفظ الله بهم الملَّة وأظهر الدين، وعلىٰ من اتَّبعهم بإحسان وسَار علىٰ نهجهم إلىٰ يوم الدِّين.

المغرب، كان من أهل الصلاح والورع والفضل، وكان علىٰ طريقة السلف، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٣٨٦. [انظر ترجمته في: السير (١٢/ ٤٩٠)، وترتيب المدارك (٢/ ٢١٥)، وترجم له الشيخ عبد المحسن العباد ترجمة مختصرة في مقدمة «قطف الجنىٰ» (ص ١١)].

(١) «رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، في فقه الإمام مالك، وقد طارت شهرة هذه المقدمة، ونفع الله بها في مذهب مالك؛ قال أحمد بن غيم الأزهري في مقدمة شرحه لها المسمىٰ «الْفَوَاكِهُ الدَّوَانِي عَلَىٰ رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ» (١/ ٣): «قَدْ كَثُرَ اشْتِغَالُ النَّاسِ بِرِسَالَةِ الْإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ، الْمُلَقَّبَةِ بِبَاكُورَةِ السَّعْدِ وَبِزُبْدَةِ الْمَذْهَبِ؛ لِمَا ظَهَرَ فِي الْخَافِقَيْنِ مِنْ أَثَرِهَا وَبَرَكَتِهَا؛ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مُخْتَصَرٍ ظَهَرَ فِي الْمَذْهَبِ بَعْدَ تَفْرِيعِ ابْنِ الْجَلَّابِ، وَكَثُرَتِ الشُّرَّاحُ عَلَيْهَا»، وقد بدأها ابن أبي زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمقدمة وجيزة في علم الأصول.

أمَّا بعد؛ فإنَّ عقيدةَ أهل السنَّة والجماعة تمتازُ بالصّفاءِ والوضوحِ والخلوِّ مِن الغموضِ والتعقيد، وهي مستمدَّةٌ مِن نصوصِ الوحي كتابًا وسنَّةً، وكان عليها سلفُ الأمّة، وهي عقيدةٌ مطابقةٌ للفطرة، ويقْبَلُها العقلُ السليمُ الخالي مِن أمراضِ الشُّبهات، وذلك بخلاف العقائد الأخرىٰ المتلقَّاةِ مِن آراء الرِّجال وأقوالِ المتكلِّمين؛ ففيها الغموضُ والتعقيدُ والخبطُ والخلط، وكيف لا يكون الفرقُ كبيرًا والبَونُ شاسعًا بين عقيدةٍ نزل بها جبريلُ مِن الله إلىٰ رسولِه الكريم ﷺ وبين عقائد متنوِّعة مختلفة خرج أصحابُها المبتدعون لها مِن الأرض، وخلقهم اللهُ من ماءٍ مهينٍ؟!

فعقيدة أهل السنة والجماعة بدت وظهرت مع بعثة النبي ﷺ، ونزول الوحي عليه من ربه تعالىٰ، وسار عليها الرسول ﷺ وأصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان. والعقائدُ الأخرىٰ لا وجود لها في زمن النبوَّة، ولم يكن عليها الصحابةُ الكرام، بل قد وُلد بعضُها في زمانهم، وبعضُها بعد انقراض عصرهم، وهي مِن محدثاتِ الأمور التي حذَّر منها الرسولُ ﷺ؛ فقال: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١)، وليس مِن المعقول ولا المقبول أن يُحجب حقٌّ عن الصحابة الكرام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -، ويُدَّخر لأُناسٍ يجيئون بعد أزمانهم؛ فتلك

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

العقائد لو كان شيءٌ منها خيرًا لسبق إليه الصحابةُ، ولكنَّها شرٌّ حفِظهم اللهُ منه، وابتُلِيَ به مَن بعدَهم.

والحقيقة الواضحة الجليَّة: أنَّ الفرقَ بين عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة المتلقَّاة من الوحي، وبين عقائد المتكلِّمين المبنيَّة علىٰ آراء الرجال وعقولهم؛ كالفرق بين الله وخَلقه، ومثل ذلك ما يكون به القضاء والحكم؛ فإنَّه يُقال فيه: إنَّ الفرقَ بين الشريعة الإسلامية الرَّفيعة المنزَّلة من الله علىٰ رسوله ﷺ، وبين القوانين الوضعيَّة الوضيعة التي أحدثها البشر؛ كالفرق بين الله وخَلقه؛ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فما بال عقول كثير من الناس تَغْفُلُ عن هذه الحقيقة الواضحة الجليَّة فيما يُعتقد، والحقيقة الواضحة الجليَّة فيما يحكم به، فيستبدلون الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير؟!

اللهمَّ اهْدِ مَنْ ضلَّ من المسلمين سُبُلَ السلام، وأخرجه من الظلمات إلىٰ النور، إنَّك سميعٌ مجيب.

وقدْ أَلَّف علماء السنَّة قديمًا وحديثًا مؤلَّفات توضح عقيدة أهل السنة والجماعة، منها ما هو مختصر، ومنها ما هو مطول، وكان من بين هذه المختصرات «مقدمة الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي لرسالته»، ومقدمة رسالته هي علىٰ طريقة السلف، وهي مختصرة مفيدة، والجمع بين

الأصول والفروع في كتاب واحد؛ نادر في فعل المؤلِّفين، وهو حسن يجعل المشتغل في فقه العبادات والمعاملات علىٰ علمٍ بالفقه الأكبر؛ الذي هو العقيدة علىٰ طريقة السَّلف، وهي مع وجازتها وقلَّة ألفاظها تبين بوضوح العقيدة السليمة المطابقة للفطرة، المبنيَّة علىٰ نصوص الكِتاب والسنَّة، وهي شاهد واضح للمقولة المشهورة: «إن كلام السلف قليل كثير البركة، وكلام المتكلمين كثير قليل البركة»[١].

ومن أمثلة ما في هذه المقدمة من النفي المتضمن إثبات كمال لله تعالىٰ؛ قوله في مطلع هذه المقدمة: «**أَنَّ اللهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ له، وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ**»[٢]، فإنَّ هذه المنفيَّات عن الله عَزَّوَجَلَّ مستمدَّة من الكتاب والسنة، وهذا بخلاف النفي في كلام المتكلمين؛ فإنه مبني علىٰ التكلُّف، ومتَّصف بالغُموض، ومن أمثلة ذلك ما جاء في العقائد النسفيَّة قول مؤلِّفها: «ليس بعرض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا مصوَّر، ولا محدود، ولا معدود، ولا متبعِّض، ولا متجزٍّ، ولا متركِّب، ولا متناهٍ»، وهذه المنفيَّات لم ينصَّ علىٰ نفيها كتاب ولا سنة، والواجب السكوت والإمساك عما لم يدل عليه دليل من الوحي، واعتقاد

(١) انظر: رسالة «فضل علم السلف علىٰ الخلف»، للحافظ ابن رجب.

(٢) انظر: «قطف الجنىٰ» (ص٤١).

أن الله متصف بكل كمال، مُنَزَّه عن كل نقص. ومثل هذه السلوب لا يفهمها العوام، ولا تطابق الفطرة التي هم عليها، وهي من تكلُّف المتكلمين، وفيها غموض وتلبيس؛ يتَّضح ذلك بالإشارة إلىٰ واحد منها وهو نفي الجسم؛ فإنه يحتمل أن يُراد به ذات مشابهة للمخلوقات، وعلىٰ هذا الاحتمال يُرَدُّ اللفظ والمعنىٰ جميعًا؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وإنْ أُريد به ذات قائمة بنفسها، مباينة للمخلوقات، متصفة بصفات الكمال؛ فإنَّ هذا المعنىٰ حق، ولا يجوز نفيه عن الله، وإنما يرد هذا اللفظ لاشتماله علىٰ معنًىٰ حقٍّ ومعنًىٰ باطل، وسيأتي في كلام المقريزي[(١)] (ص: ١٤، ١٥) قوله عن الصحابة: «فأثبتوا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - بلا تشبيه، ونزَّهوا من غير تعطيل، ولم يتعرَّض مع ذلك أحدٌ منْهُم إلىٰ تَأْويل شيءٍ منْ هذا، ورأوا بأجمعِهِم إِجراء الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدلُّ به علىٰ وحدانية الله تعالىٰ، وعلىٰ إثبات نبوة محمد ﷺ، سوىٰ كتاب الله، ولا

(١) تقي الدين أبو العباس، أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي - وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة - الحنفي المصري مولدًا ودارًا ووفاة، كان علمًا من الأعلام، ضابطًا مؤرِّخًا، مفننًا، محدِّثًا، معظَّمًا في الدولة؛ ولد بالقاهرة سنة ٧٦٦، وتوفي بها سنة ٨٤٥.
[انظر ترجمته في: شذرات الذهب لابن العماد (٩/ ٣٧٠)، والأعلام للزركلي (١/ ١٧٧)، والبدر الطالع للسخاوي (١/ ٧٩)].

عرف أحدٌ منهم شيئًا من الطرق الكلاميَّة، ولا مسائل الفلسفة»(١).

وسيأتي أيضًا في كلام أبي المظفر السمعاني (ص: ١٦) قوله في بيان فساد طريقة المتكلِّمين: «وَكَانَ مِمَّا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ: التَّوْحِيدُ، بَلْ هُوَ أَصْلُ مَا أُمِرَ بِهِ؛ فَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ أُصُولِهِ وَقَوَاعِدِهِ وَشَرَائِعِهِ إِلَّا بَلَّغَهُ، ثُمَّ لَمْ يَدَعْ إِلَّا الِاسْتِدْلَالَ بِمَا تَمَسَّكُوا بِهِ مِنَ الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ، وَلَا يُوجَدُ عَنْهُ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ ذَلِكَ حَرْفٌ وَاحِدٌ فَمَا فَوْقَهُ؛ فَعُرِفَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ ذَهَبُوا خِلَافَ مَذْهَبِهِمْ، وَسَلَكُوا غَيْرَ سَبِيلِهِمْ بِطَرِيقٍ مُحْدَثٍ مُخْتَرَعٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَيَلْزَمُ مِنْ سُلُوكِهِ الْعَوْدُ عَلَى السَّلَفِ بِالطَّعْنِ وَالْقَدْحِ، وَنِسْبَتِهِمْ إِلَى قِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَاشْتِبَاهِ الطُّرُقِ؛ فَالْحَذَرَ مِنْ الِاشْتِغَالِ بِكَلَامِهِمْ وَالِاكْتِرَاثِ بِمَقَالَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ التَّهَافُتِ كَثِيرَةُ التَّنَاقُضِ»(٢)، وقول أبي المظفر السَّمعاني هذا أورده الحافظ ابن حجر في كتاب «فتح الباري» في شرح قول البخاري: «بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]»(٣)، ونقل فيه (١٣/ ٥٠٤) عن الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قال: «لَوْ كَانَ مَا يَقُولُ الْجَعْدُ حَقًّا لَبَلَّغَهُ النَّبِيُّ ﷺ».

والجعد بن درهم هو مؤسس مذهب الجهمية، ونسب الجهمية إلى

(١) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، المعروف بـ«الخطط المقريزية» (٢/ ٣٥٦) للمقريزي.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٠٧).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٥٢)، وفتح الباري (٨/ ٢٧٥) وما بعدها.

جهم بن صفوان[1]؛ لأنه هو الذي أظهر هذا المذهب الباطل ونشره، وأقول كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لو كان ما يقوله الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين حقًّا، لبلغه الرسول ﷺ).

وقد رأيت أن أشرح هذه المقدمة شرحًا يزيد في جلائها ووضوحها، ويفصِّل المعاني التي اشتملت عليها، ورأيت أن أمهِّد لهذا الشرح بذكر عشر فوائد في عقيدة السلف، وقد نظم الشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي المالكي المتوفىٰ (سنة ١٢٨٥هـ) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني نظمًا بديعًا سلسًا، رأيت من المناسب إثباته مع نصِّ المقدمة قبل البدء بالشَّرح.

وقد سميت هذا الشرح: «قَطْفَ الْجَنَىٰ الدَّانِي شرْح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني».

وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يوفق المسلمين للفقه في دينهم، والسير علىٰ ما كان عليه سلفهم في العقيدة والعمل، وأن يوفقني للسلامة من الزلل، ويمنحني الصدق في القول والإخلاص في العمل؛ إنه سميع مجيب، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد،

(١) هو جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي بالولاء، السمرقندي، من رؤوس المتكلمين، أُسُّ الضلالة، ورأسُ الجهمية، قال الذهبي: هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روىٰ شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيمًا، قَتَلَه سالم بن أحوز المازني ببدعَتِهِ سنة ١٢٨. [لترجمته انظر: السير (٦/ ٢٤١)، والوافي بالوفيات (١٠/ ١٦٠)، وميزان الاعتدال (١/ ١٢٨)].

وعلىٰ آله وصحبه أجمعين»(١).

❁ ثانيًا: ما يتلعق بالقدر من الكتاب:

«قوله: «والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وكلُّ ذلك قَد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا، ومقاديرُ الأمورِ بيدِه، ومَصدَرُها عن قضائِه.

عَلِمَ كلَّ شيْءٍ قَبل كَونِه، فجَرَىٰ علىٰ قَدَرِه، لا يَكون مِن عبادِه قَولٌ ولا عَمَلٌ إلَّا وقدْ قَضَاهُ وسبق عِلْمُه به، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، يُضِلُّ مَن يشاء؛ فيَخْذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء؛ فيُوَفِّقُه بفضلِه؛ فكُلٌّ مُيَسَّرٌ بتَيْسيره إلىٰ ما سَبَقَ مِن علمه وقَدَرِه، مِن شَقِيٍّ أو سعيدٍ.

تعالَىٰ أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد، أو يكونَ لأَحَد عنه غِنًىٰ أو يكون خالق لشيء إلَّا هو، رَبُّ العباد ورَبُّ أعمالِهم، والمُقَدِّرُ لِحَركاتِهم وآجالِهم».

١- الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان الستَّة المبيَّنة في حديث جبريل المشهور؛ فإنه سأله عن الإيمان فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، أخرجه مسلم في «صحيحه»(٢)، وهُو أوَّل حديث في «كتابِ الإيمَانِ»، الذي هو أوَّل كُتُبِ

---

(١) (ص: ٥- ١٢).

(٢) (١/ ٨)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتقدم في «كتاب السنة» من «سنن أبي داود» برقم

«صحيحِهِ»، وجاء في إسناده أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حدَّث به عن أبيه للاستدلال به على الإيمان بالقدر، عندما سأله يحيىٰ بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري عن أناس وجدوا في العراق ينكرون القدر، وأن الأمر أُنُف، فقال للسائل: «إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ؛ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»، ثمَّ حدَّث بالحديث عن أبيه، وحديث جبريل عن عمر من أفراد مسلم، وقد اتَّفق الشيخان علىٰ إخراجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- جاء في القرآن آيات كثيرة، وفي السنَّة أحاديث عديدة، تدلُّ علىٰ إثبات القدر:

- قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

- وقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

- وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وأمَّا السنَّة: فقد عقد كل من الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما كتابًا للقدر؛ اشتملا علىٰ أحاديث عديدة في إثبات القدر:

=

(٤٦٩٥)، وراجع تخريجه هناك.

- روىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

- وروىٰ مسلمٌ (٢٦٥٥) بإسناده إلىٰ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ: (كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ)، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ».

والعَجْزُ والكَيْسُ ضِدَّان، فنشاط النَّشيط وكسل الْكَسول وعجزه، كل ذلك بقدر، قال النووي في شرح الحديث (١٦/ ٢٠٥): «وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَاجِزَ قَدْ قُدِّرَ عَجْزُهُ، وَالْكَيِّسُ قَدْ قُدِّرَ كَيْسُهُ».

- وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ إلىٰ قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

رواه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديثُ يدلُّ علىٰ أنَّ أعمالَ الْعِباد الصَّالحة مقدَّرة، وتؤدي إلىٰ

حصول السعادة وهي مقدَّرة، وأعمالهم السيئة مقدرة، وتؤدي إلىٰ الشقاوة وهي مقدرة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدَّر الأسباب والمسببات، وكل شيء لا يخرج عن قضاء الله وقدره، وخلقه وإيجاده.

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٥١٦) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

وهذا الحديث شرحه الحافظ ابنُ رجب في كتابه «جَامِعِ الْعُلومِ والحِكَمِ في شرْح خَمسِين حدِيثًا من جَوامِعِ الكَلِمِ» (١/ ٤٥٩)، وهو الحديث التاسع عشر من الأربعين النوويَّة(٢).

٣- الإيمان بالقدر له أربع مراتب لابد من اعتقادها:

المرتبة الأولىٰ: عِلْمُ الله الأَزلِيُّ في كلِّ ما هو كائنٌ، فإنَّ كلَّ كائنٍ قد سبق به علم الله أزلًا، ولا يتجدَّد له علمٌ بشيء لَمْ يكُنْ عالمًا به أزلًا، وقد

(١) صحيح: صححه الشيخ الألباني في المشكاة (٥٣٠٢)، وفي سنن الترمذي.

(٢) انظر: «الأربعون النَّووية» (ص ١٧).

سبق إيضاح هذه المرتبة عند الكلام على صفة علم الله في الفقرة رقم (٧)[1].

(١) قال الشيخ حَفِظَهُ اللَّهُ في (٧٦-٧٨): «٧- قوله: «خَلَقَ الإنسانَ، ويَعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه، وهو أَقرَبُ إليهِ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ، وما تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلَّا يَعلَمُها، ولَا حَبَّةٍ في ظُلُمَاتِ الأرضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إلَّا في كِتَابٍ مُبِينٍ».

عِلْمُ الله محيطٌ بكلِّ شيءٍ؛ فقد علِمَ أزَلًا ما كَانَ وَمَا سَيكُون، ومَا لم يَكن أنْ لَوْ كانَ كَيفَ يكونُ، كما قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، فأخبرَ عنْ أمْرٍ لا يكون، وهو رجوعُ الكفَّار إلى الدُّنيَا، وأنَّهم لو رُدُّوا لعادوا لِما نُهوا عنه، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فصلت: ٤٧]، وَقَال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ٨-١٠]، وَقَالَ: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك: ١٣، ١٤]، وَقَال: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، وكلُّ ما هو كائنٌ في الوُجود من حَرَكةٍ أوْ سكونٍ قد سَبَقَ بِهِ علمُ الله، ولا يحصل لله علمٌ في شيءٍ لم يكن معلُومًا له من قَبْلُ أزَلًا. قال شيخُنا محمَّد الأمينُ الشنقيطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «أضواء البيان» (١/ ٧٥، ٧٦) عنْد قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ﴾ =

الثانية: كتابة كل ما هو كائن في اللَّوح المحفُوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ لقوله ﷺ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، رواه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثالثة: مشيئة الله وإرادته، فإنَّ كل ما هو كائن إنَّما حصل بمشيئة الله، ولا يقع في ملك الله إلا ما أراده الله؛ فما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٩].

الرابعة: إيجاد كل ما هو كائن وخلقه بمشيئة الله وفقًا لما علمه أزلًا،

[البقرة: ١٤٣]، قال: «ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَدْ يَتَوَهَّمُ مِنْهُ الْجَاهِلُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ يَسْتَفِيدُ بِالِاخْتِبَارِ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا -، بَلْ هُوَ تَعَالَىٰ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَقَدْ بَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ بِالِاخْتِبَارِ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ، بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿لِيَبۡتَلِيَ﴾؛ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَفِدْ بِالِاخْتِبَارِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا -؛ لِأَنَّ الْعَلِيمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ غَنِيٌّ عَنْ الِاخْتِبَارِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ عَظِيمٌ لِجَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي يَذْكُرُ اللهُ فِيهَا اخْتِبَارَهُ لِخَلْقِهِ، وَمَعْنَىٰ ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾؛ أَيْ: عِلْمًا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ فَلَا يُنَافِي أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَفَائِدَةُ الِاخْتِبَارِ ظُهُورُ الْأَمْرِ لِلنَّاسِ، أَمَّا عَالِمُ السِّرِّ وَالنَّجْوَىٰ؛ فَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيَكُونُ كَمَا لَا يَخْفَىٰ».

وكتبه في اللوح المحفوظ؛ فإن كل ما هو كائن من ذوات وأفعال هو بخلْق الله وإيجاده، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

٤- ما قدَّره الله وقضاه، وكتبه في اللوح المحفوظ؛ هو من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ويمكن أن يعلم الخلق ما هو مقدر بأحد أمرين:

الأمر الأول: الوقوع؛ فإذا وقع شيء عُلم بأنه مقدر؛ لأنه لو لم يقدر لم يقع؛ فإِنَّهُ مَا شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكن.

الثاني: حصول الإخبار من رسول الله ﷺ عن أمور تقع في المستقبل؛ مثل إخباره عن الدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسىٰ ابن مريم، وغيرها من الأمور التي تقع في آخر الزمان؛ فهذه الأخبار تدلُّ علىٰ أن هذه الأمور لابدَّ أن تقع، وأنه سبق بها قضاءُ الله وقدره. ومثل إخباره عن أمور تقع قرب زمانه ﷺ، ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ المِنبَرِ وَالحَسَنُ إِلَىٰ جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إِلَىٰ النَّاسِ مَرَّةً، وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»، رواه البخاري (٣٧٤٦).

وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ في عام (٤١ هـ)، حيث اجتمعت كلمة المسلمين وسمي عام الجماعة، والصحابة - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأرضاهم - فهموا من هذا الحديث أن الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لن يموت صغيرًا، وأنه سيعيش حتىٰ

يحصل ما أخبر به الرسول ﷺ من الصُّلح، وهو شيء مقدَّر علم الصحابة به قبل وقوعه.

٥- قوله: «والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وكلُّ ذلك قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا»؛ جاء في حديث جبريل: «وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». والله سبْحَانَهُ خَالِقُ كلِّ شيء ومقدِّرُه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، فكلُّ ما هو كائن من خير وشر؛ هو بقضاء الله وقدره، ومشيئته وإرادته.

وأما ما جاء في حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في دعاء النبي ﷺ الطويل، وفيه: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»، رواه مسلم (٧٧١)؛ فلا يدل علىٰ أن الشر لا يقع بقضائه وخلقه، وإنما معناه أن الله لا يخلق شرًّا محضًا لا يكون لحكمة، ولا يترتَّب عليه فائدة بوجه من الوجوه.

وأيضًا: الشر لا يُضاف إليه استقلالًا، بل يكون داخلًا تحت عمومٍ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فيتأدَّب مع الله بعدم نسبة الشر وحده إلىٰ الله؛ ولهذا جاء فيما ذكره الله عن الجن تأدبهم بنسبة الخير إليه، وذكر الشرِّ علىٰ البناء للمجهول: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

٦- من مراتب القدر الأربع - كما مرَّ قريبًا - مشيئة الله وإرادته،

والفرق بين المشيئة والإرادة:

- أنَّ المشيئة لم تأتِ في الكتاب والسنَّة إلا لمعنًىٰ كوني قدري.

- وأمَّا الإرادة فإنها تأتي لمعنًىٰ كوني ومعنًىٰ ديني شرعي، ومن مجيئها لمعنًىٰ كوني قدري: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ومن مجيء الإرادة لمعنًىٰ شرعي: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

والفرق بين الإرادتين:

- أن الإرادة الكونية تكون عامَّةً فيما يحبُّه الله ويسخطه، وأما الإرادة الشرعية فلا تكون إلا فيما يحبه الله ويرضاه.

- والكونية لابد من وقوعها، والدينية تقع في حق من وفقه الله، وتتخلف في حق من لم يحصل له التوفيق من الله.

وهناك كلمات تأتي لمعنًىٰ كوني وشرعي، منها: القضاء، والتحريم، والإذن، والكلمات، والأمر، وغيرها. ذكرها ابن القيم وذكر ما يشهد لها

من القرآن والسنة في كتابه «شفاء العليل» في الباب التاسع والعشرين منه[١].

٧- ما قدره الله وقضاه، وكتبه في اللوح المحفوظ؛ لابد من وقوعه، ولا تغيير فيه، ولا تبديل، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقوله ﷺ: «**رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».

وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]، فقد فسِّر بأن ذلك يتعلق بالشرائع؛ فينسخ الله منها ما يشاء، ويثبت ما يشاء، حتىٰ ختمت برسالة نبينا محمد ﷺ، التي نسخت جميع الشرائع قبلها.

وفسِّر بالأقدار التي هي في غير اللوح المحفوظ، كالذي يكون بأيدي الملائكة.

وانظر: «شفاء العليل لابن القيم»، في الأبواب الثاني والرابع والخامس والسادس[٢]؛ فقد ذكر في كل باب تقديرًا خاصًّا بعد التقدير في اللوح المحفوظ.

---

(١) (ص ٢٨٠).

(٢) قال ابن القيم في مقدمة «شفاء العليل» (ص: ٥): «وجعلتُه أبوابًا: الباب الأوَّل: في تقدير المقادير قبل خلق السموات والأرض. الباب الثاني: في تقدير الربِّ تعالىٰ شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثانٍ بعد الأول. الباب الثالث: في ذكر احتجاج آدم وموسىٰ في ذلك، وحكم النبي ﷺ لآدم. الباب الرابع: في ذكر التقدير الثالث؛ =

وأمَّا قولُه ﷺ: «لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ» - أخرجه الترمذي (٢١٣٩)[١] وحسَّنه، وانظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (١٥٤) -؛ فلا يدلُّ علىٰ تغيير ما في اللوح المحفوظ، وإنَّما يدلُّ علىٰ أن الله قدر السلامة من الشرور، وقدر أسبابًا لتلك السلامة، والمعنىٰ: أن الله دفع عن العبد شرًّا، وذلك مقدر بسببٍ يفعله وهو الدعاء، وهو مقدَّر، وكذلك قدَّر أن يطول عمر الإنسان، وقدر أن يحصل منه سبب لذلك، وهو البر وصلة الرحم؛ فالأسباب والمسببات كلُّها بقضاء الله وقدره.

وَكَذلِك يُقال في قَوْله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»؛ رواه البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧)[٢].

وأَجَلُ كل إنسان مقدر في اللوح المحفوظ، لا يتقدم عنه ولا يتأخر، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ [المنافقون: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وكل من مات أو قتل فهو بأجله، ولا يقال كما قالت المعتزلة: (إنَّ المقتول قطع عليه أجله، وإنه لو لم يقتل لعاش إلىٰ أجل

= والجنين في بطن أمه. الباب الخامس: في التقدير الرابع: ليلة القدر. الباب السادس: في ذكر التقدير الخامس اليومي...».

(١) من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

آخر). فإن كل إنسان قدر الله له أجلًا واحدًا، وقدَّر لهذا الأجل أسبابًا؛ فهذا يموت بالمرض، وهذا يموت بالغرق، وهذا يموت بالقتل، وهكذا.

٨- لا يجوز الاحتجاج بالقدر علىٰ ترك مأمور، ولا علىٰ فعل محظور؛ فمن فعل معصية لها عقوبة مقدرة محددة شرعًا، واعتذر عن فعله بأن ذلك قدر؛ فإنه يعاقب بالعقوبة الشرعيَّة، ويقال له: إن معاقبتك بهذه العقوبة قدَرٌ.

وأما ما جاء في حديث مُحاجَّة آدم وموسىٰ في القدر؛ فليس من قبيل الاحتجاج بالقدر علىٰ فعل معصية، وإنما هو احتجاج علىٰ المصيبة التي كانت بسبب المعصية؛ فقَدْ روىٰ البخاريُّ (٣٤٠٩)، ومُسلم (٢٦٥٢)؛ عنْ أَبي هريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ!»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»؛ مَرَّتَيْنِ.

وقد عقد ابن القيم في كتابه «شفاء العليل» البابَ الثالث للكلام علىٰ هذا الحديث؛ فذكر ما قيل في معناه من أقوال باطلة، وذكر الآيات التي فيها احتجاج المشركين علىٰ شركهم بالقدر، وأنَّ الله أَكْذَبهم؛ لأنهم باقون علىٰ شركهم وكفرهم، وما قالوه هو من الحقِّ الذي أريد به باطل، ثمَّ ذكر توجيهين لمعنىٰ الحديث، أولهما لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، والثاني من فهمه واستنباطه؛ فقال:

«إذا عرفت هذا؛ فموسىٰ أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم علىٰ ذنب قد تاب منه فاعله، فاجتباه بعده وهداه واصطفاه. وآدم أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره علىٰ معصيته، بل إنما لام موسىٰ آدمَ علىٰ المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة، ونزولهم إلىٰ دار الابتلاء والمحنة، بسبب خطيئة أبيهم؛ فذكر الخطيئة تنبيه علىٰ سبب المصيبة، والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له: «أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ»(١)، وفي لفظ: «خَيَّبْتَنَا»(٢). فاحتج آدم بالقدر علىٰ المصيبة، وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي؛ كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب؛ أي: أتلومني علىٰ مصيبة قدرت عليَّ وعليكم قبل خلْقي بكذا وكذا سنة؟! هذا جواب شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد يتوجَّه جواب آخر: وهو أن الاحتجاج بالقدر علىٰ الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع؛ فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه، وترك معاودته، كما فعل آدم؛ فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها؛ ما ينتفع به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يدفع بالقدر أمرًا ولا نهيًا، ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض علىٰ وجه

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٠٢)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٠٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (١٣/ ٢٦٥٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التوحيد والبراءة من الحول والقوة، يوضحه أن آدم قال لموسىٰ: «أَتَلُومُني عَلَىٰ أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ قبْلَ أَنْ أُخْلَق؟!»[1]. فَإِذَا أذنب الرَّجلُ ذنبًا ثمَّ تاب منْه توبةً وزال أمره، حتىٰ كأن لم يكن، فأنَّبه مؤنب عليه ولامه؛ حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول: هذا أمر كان قد قدر عليَّ قبل أن أخلق. فإنه لم يدفع بالقدر حقًّا ولا ذكر حجة له علىٰ باطل، ولا محذور في الاحتجاج به.

وأما الموضع الذي يضرُّ الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل، بأن يرتكب فعلًا محرمًا أو يترك واجبًا، فيلومه عليه لائم؛ فيحتج بالقدر علىٰ إقامته عليه وإصراره؛ فيبطل بالاحتجاج به حقًّا ويرتكب باطلًا، كما احتج المصرون علىٰ شركهم وعبادتهم غير الله؛ فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠]؛ فاحتجوا به مصوبين لمَا هم عليه، وأنهم لم يندموا علىٰ فعله، ولم يعزموا علىٰ تركه، ولم يقرُّوا بفساده؛ فهذا ضدُّ احتجاج من تبين له خطأ نفسه، وندم وعزم كل العزم علىٰ ألا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال: كان ما كان بقدر الله.

ونكتة المسألة: أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان

---

(١) لفظه في «صحيح مسلم» (١٥/ ٢٦٥٢): «أَفَتَلُومُني عَلَىٰ أَن عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَني بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟!».

اللوم واقعًا فالاحتجاج بالقدر باطل».

٩- قوله: «تعالَىٰ أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد، أو يكونَ لأَحَد عنه غِنًىٰ، أو يكون خالق لشيءٍ إلَّا هو، رَبُّ العباد ورَبُّ أعمالِهم، والمُقَدِّرُ لِحَركاتِهم وآجالِهم»؛ الظاهر أن في قوله: «خالقًا لكلِّ شيءٍ إلَّا هو» سقطًا يدلُّ عليه ما قبله، تقديره: (وأن يكون خالقًا لكل شيء إلا هو).

وفي هذه الجمل كلها رد علىٰ القدرية الذين يقولون: إن العباد يخلقون أفعالهم، وإن الله لم يقدرها عليهم. فإن مقتضىٰ قولهم هذا: أن أفعال العباد وقعت في ملك الله، وهو لم يقدِّرها، وأنهم بخلقهم لأفعالهم مُستغنون عن الله، وأن الله ليس خالقًا لكل شيء، بل العباد خلقوا أفعالهم. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالق العباد وخالق أفعال العباد، فهو خالق الذوات والصفات؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

ويقابل نفاة القدر: فرقة ضالة هم الجبرية؛ الذين سلبوا عن العباد الاختيار، ولم يجعلوا لهم مشيئة وإرادة، وسوَّوا بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية، وزعموا أن كل حركاتهم بمنزلة حركات الأشجار، وأن حركة الآكل والشارب والمصلي والصائم كحركة المرتعش، ليس للإنسان فيها كسبٌ ولا إرادةٌ. وعلىٰ هذا: فما فائدة إرسال

الرسل وإنزال الكتب؟! ومن المعلوم قطعًا أنَّ للعبد مشيئة وإرادة؛ يحمد علىٰ أفعاله الحسنة ويثاب عليها، ويذم علىٰ أفعاله السيئة ويعاقب عليها، وأفعاله الاختيارية ينسب إليه فعلها وكسْبها، وأما الحركات الاضطرارية كحركة المرتعش، فلا يقال: إنها فعل له. وإنَّما هي صفة له، ولهذا يقول النحويون في تعريف الفاعل: (هو اسم مرفوع يدل علىٰ من حصل منه الحدث، أو قام به)، ومرادهم بحصول الحدث: الأفعال الاختيارية التي وقعت بمشيئة العبد وإرادته، ومرادهم بقيام الحدث: ما لا يقع تحت المشيئة؛ كالموت والمرض والارتعاش ونحو ذلك. فإذا قيل: أكل زيد وشرب وصلىٰ وصام؛ فـ(زيد) فيها: فاعل حصل منه الحدث، الذي هو الأكل والشرب والصلاة والصيام. وإذا قيل: مرض زيد، أو مات زيد، أو ارتعشت يده؛ فإن الحدث ليس من فعل زيد، وإنما هو وصف قام به.

وأهل السنَّة والجماعة وسطٌ بين الجبريَّة الغلاة في الإثبات، والقدريَّة النفاة؛ فإنَّهم أثبتوا للعبد مشيئة، وأثبتوا للرب مشيئة عامة، وجعلوا مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]. فلا يقع في ملك الله ما لم يشأه الله.

بخلاف القدرية القائلين: إن العباد يخلقون أفعالهم، ولا يُعاقَب العبادُ علىٰ أشياء لا إرادة لهم فيها ولا مشيئة؛ كما هو قول الجبرية.

وبهذا يجاب عن السؤال الذي يتكرر طرحه، وهو: هل العبد مسير أم مخير؟

فلا يقال: إنه مسيَّر بإطلاق، ولا مخيَّر بإطلاق؛ بل يقال:

- إنه مخيَّر باعتبار أن له مشيئة وإرادة، وأعماله كسب له يثاب علىٰ حسنها ويعاقب علىٰ سيِّئها.

- وهو مسيَّر باعتبار أنه لا يحصل منه شيء خارج عن مشيئة الله وإرادته وخلقه وإيجاده.

١٠- قوله: «**يُضِلُّ مَن يشاء؛ فيَخْذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء؛ فيُوَفِّقُه بفضلِه، فكلٌّ مُيَسَّرٌ بتَيْسيره إلىٰ ما سَبَقَ مِن علمه وقَدَرِه، مِن شَقِيٍّ أو سعيدٍ**»؛ هداية كل مهتدٍ وضلال كل ضالٍّ؛ كل ذلك حصل بمشيئة الله وإرادته، والعباد قد بين الله لهم طريق السعادة وطريق الضلالة، وأعطاهم عقولًا يميِّزون بها بين النافع والضار، فمن اختار طريق السعادة فسلكه؛ انتهىٰ به إلىٰ السعادة، وقد حصل ذلك بمشيئة العبد وإرادته التابعة لمشيئة الله وإرادته، وذلك فضْل من الله وإحسان. ومن اختار طريق الضلالة وسلكه؛ انتهىٰ به إلىٰ الشقاوة، وقد حصل ذلك بمشيئة العبد وإرادته التابعة لمشيئة الله وإرادته، وذلك عدْل من الله سبحانه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ٨ - ١٠]؛ أي: طريقي الخير والشر. وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وقال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ

فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

والهداية هدايتان:

- **هداية الدلالة والإرشاد:** وهذه حاصلة لكل أحد.

- **وهداية التوفيق:** وهي حاصلة لمن شاء الله هدايته.

ومن أدلة الهداية الأولىٰ: قول الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؛ أي: أنك تدعو كل أحد إلىٰ الصراط المستقيم.

ومن أدلة الهداية الثانية: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقد جمع الله بين الهدايتين في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]؛ فقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾؛ أي كلَّ أحد؛ فحُذف المفعول لإرادة العموم، وهذه هي هداية الدلالة والإرشاد، وقوله: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أظهر المفعول لإرادة الخصوص؛ وهي هداية التوفيق.

وقد أوردَ شيخُنَا الشَّيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، في سورة الشمس؛ حكايتين توضِّحان فساد مذهب المعتزلة في باب القضاء والقدر، فقال: «وَلَمَّا تَنَاظَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الِاسْفَرَائِينِيُّ[1] مَعَ عَبْدِ الْجَبَّارِ.........................

---

(١) ركن الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق الإسفرايني الشافعي، =

....الْمُعْتَزِلِيِّ(١)، قَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ: سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْفَحْشَاءِ! وَقَصْدُهُ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كَالسَّرِقَةِ وَالزِّنَىٰ بِمَشِيئَةِ الْعَبْدِ دُونَ مَشِيئَةِ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَشَاءَ الْقَبَائِحَ - فِي زَعْمِهِمْ -.

فَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ. ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ!

فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ: أَتَرَاهُ يَخْلُقُهُ وَيُعَاقِبُنِي عَلَيْهِ؟

فَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَتَرَاكَ تَفْعَلُهُ جَبْرًا عَلَيْهِ؟! أَأَنْتَ الرَّبُّ وَهُوَ الْعَبْدُ؟!

فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَانِي إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَقَضَىٰ عَلَيَّ بِالرَّدَىٰ؛ أَتَرَاهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسَاءَ؟

فَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: إِنْ كَانَ الَّذِي مَنَعَكَ مِنْهُ مِلْكًا لَكَ فَقَدْ أَسَاءَ، وَإِنْ كَانَ

= الأستاذ، الفقيه الأصولي، أحد المجتهدين، وَمِنْ تَصَانِيفِهِ: كِتَابُ «جَامع الخلِي» فِي أُصُول الدِّينِ، وَ«الرَّدّ علىٰ الملحدين»، وله مناظرات مع المعتزلة، نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان)؛ مات في نيسابور، ودفن في إسفرايين سنة ٤١٨. [انظر ترجمته في: طبقات السبكي(٤/ ٢٥٦)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٨)، والسير (١٣/ ١٠١)].

(١) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، أبو الحسن الهمداني الأسداباذي القاضي المعتزلي، قاضي قضاة الري، شيخ الاعتزال، وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب علىٰ سواه ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، تفقه علىٰ مذهب الشافعي، وعمر دهرًا طويلًا، وتوفي سنة ٤١٥. [لترجمته انظر: الوافي بالوفيات (١٨/ ٢٠)، وطبقات السبكي (٥/ ٩٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٩٥)].

لَهُ؛ فَإِنْ أَعْطَاكَ فَفَضْلٌ، وَإِنْ مَنَعَكَ فَعَدْلٌ. فَبُهِتَ[١] عَبْدُ الْجَبَّارِ! وَقَالَ الْحَاضِرُونَ: وَاللهِ مَا لِهَذَا جَوَابٌ[٢]!

وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، وَقَالَ لَهُ: ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ حِمَارَةً سُرِقَتْ مِنِّي. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ حِمَارَتَهُ سُرِقَتْ وَلَمْ تُرِدْ سَرِقَتَهَا فَارْدُدْهَا؛ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: يَا هَذَا! كُفَّ عَنِّي دُعَاءَكَ الْخَبِيثَ، إِنْ كَانَتْ سُرِقَتْ وَلَمْ يُرِدْ سَرِقَتَهَا، فَقَدْ يُرِيدُ رَدَّهَا وَلَا تُرَدُّ![٣]»[٤]» اهـ[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) (بهت) الرجل بهتًا: أُخذ بِالْحجَّةِ فشحب لَونه، (بهت) الرجل: دهش مأخوذًا بِالْحجَّةِ، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. المعجم الوسيط (ص٧٢).

(٢) ذكرها السبكي في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٤/ ٢٦١).

(٣) تقدم تخريج هذه القصة.

(٤) دفع إيهام الاضطراب (ص ٢٧١، ٢٧٢).

(٥) قطف الجنىٰ الداني (٩٦-١٠٨).

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ

٤٧١١- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[١].

الشَّرح

يقول الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: (بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ)؛ الذَّرَارِيّ: أي: الذرية والنسل. والمقصود: حكمهم في الدنيا وحكمهم في الآخرة:

أما حكمهم في الدنيا: فهم تبع لآبائهم، ولهذا يحصل التوارث بينهم، ويدفنون في مقابرهم.

وأما في الآخرة: فقد اختُلف فيهم على أقوال عديدة، أظهرها: أنهم كما

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٩٧)، ومسلم (٢٨/ ٢٦٦٠)، وأخرجه: النسائي (١٩٥٢)، وأحمد (١/ ٢١٥). وأخرجه أيضًا: البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦/ ٢٦٥٩)، وغيرهما، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الرسول ﷺ؛ فيما أورده أبو داود تحت هذه الترجمة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

وقد قيل في معنى الحديث: إنَّهم يُمتحنون يوم القيامة، وعلى ضوء هذا الامتحان يتبيَّن هل هم من أهل السعادة أو من أهل الشقاوة؛ فقوله ﷺ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»؛ أي إذا امتحنوا يومَ القيامة، فإن المصير يكون تبعًا لنتيجة ذلك الامتحان؛ فيسدد من يسدد، ويخذل من يخذل، كما لو كان الأمر حاصلًا في الدنيا.

وهذا هو أظهر ما قيل في مسألة «ذراري المشركين» بالنسبة للآخرة، وهذا القول رجَّحه جماعة من أهل العلم؛ كابن القيم في «تهذيب السنن»[(١)]، وابن كثير في «تفسيره»[(٢)]، وشيخنا محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»[(٣)] عند تفسيره قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

---

(١) انظر: تهذيب السنن بحاشية عون المعبود (١٢/ ٣٢٠-٣٢٣)، وذكر في المسألة ثمانية أقوال، هذا ثامنها، ورجَّحه.

(٢) (٥/ ٥٧، ٥٨) عند تفسيره قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقال: «وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ الَّذِي نَصَرَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي «كِتَابِ الِاعْتِقَادِ»، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ مُحَقِّقِي الْعُلَمَاءِ وَالْحُفَّاظِ النُّقَّادِ».

(٣) (٣/ ٧٣، ٧٤).

نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥] [(١)].

وقد قيل: إنهم يكونون في الجنة. وقيل: إنهم يكونون في النار. وقيل غير ذلك، وقد ذكر ابن القيم في «تهذيب السنن» ثمانية أقوال، وثامنها هذا القول؛ وهو أنهم يمتحنون يوم القيامة، وأنهم يصيرون إلىٰ ما كان ينتهي إليه ذلك الامتحان، وقال: إنه جاء في ذلك أحاديث يشدُّ بعضها بعضًا.

والذين قالوا بعدم الامتحان قالوا: إنَّ الآخرة دار جزاء وليست دار تكليف.

فأُجيب: إن هذا لا ينافي كونهم يمتحنون يوم القيامة، ويتبين أهل السعادة وأهل الشقاوة، فإنه يحصل هذا التكليف كما جاء ما يدلُّ عليه، وتكون النتيجة طبقًا لنتيجة هذا الامتحان.

وعلىٰ هذا فالقول الصحيح في معنىٰ قوله ﷺ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»؛ أي الشيء الذي يعملونه إذا امتُحنوا.

ويحتمل أن يكون المراد به: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»؛ أي: لو

(١) وكذلك رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٤٦، ٢٤٧)؛ قال: «قَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ إِسْنَادُهُ مُقَارِبٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ يَمْتَحِنُهُمْ وَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ؛ فَمَنْ أَجَابَهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ». فَهُنَالِكَ يَظْهَرُ فِيهِمْ مَا عَلِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَىٰ مَا ظَهَرَ مِنَ الْعِلْمِ؛ وَهُوَ إِيمَانُهُمْ وَكُفْرُهُمْ؛ لَا عَلَىٰ مُجَرَّدِ الْعِلْمِ. وَهَذَا أَجْوَدُ مَا قِيلَ فِي أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَعَلَيْهِ تَتَنَزَّلُ جَمِيعُ الْأَحَادِيثِ».

عاشوا. وهذا ممَّا لا يكون أن لو كان كيف يكون، والله تعالىٰ يعلمه؛ فهو سبحانه يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

مثلما جاء في قصة الغلام الذي قتله الخضر، قال ﷺ: «وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»(١).

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)، هو ابن مسرهد البصري، ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو عوانة**)؛ هو الوضاح بن عبد الله اليَشْكُري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي بشر)؛ هو جعفر بن إياس بن أبي وَحْشِيَّة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن سعيد بن جبير**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن عباس)؛ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وهم: هو وابن عمر وابن الزبير وابن عمرو بن العاص، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ، وهم: هو وأبو هريرة وابن عمر وأبو سعيد وأنس

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

وجابر وأم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن الصحابة أجمعين -.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧١٢- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، (ح) وحَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّيُّ، وَكَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمَذْحِجِيُّ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ الْمَعْنَىٰ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: «**هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَرَارِيُّ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «**مِنْ آبَائِهِمْ**»، قُلْتُ: بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[1].

الشرح

حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يتعلق بذراري المسلمين وذراري الكفار، وفي كل منهما يقول الرسول ﷺ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**».

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٢٠، رقم ٨٤٣)، وابن عساكر في التاريخ (٣٢/ ١٢٢)، وغيره، وصححه الألباني في سنن أبي داود، وفي «المشكاة» رقم (١١١).

ومعلوم أن الحكم في الدنيا واحد؛ فحكم أولاد الكفار تابع للكفار؛ فيتوارثون، ويدفنون في مقابرهم، وتجري عليهم أحكامهم، وأولاد المسلمين يصلَّىٰ عليهم ويدْعىٰ لهم ويدفنون في مقابر المسلمين، ويحصل التوارث بينهم، وتجري عليهم أحكامهم.

وأما بالنسبة للآخرة فقد ذكرنا ما يتعلَّق بأولاد المشركين، وأما بالنسبة لأولاد المسلمين فالمشهور عند أهل السنة أنهم في الجنة(١)، ولهذا جاء ما يدلُّ علىٰ أنهم أفراط يشفعون لمن سبقوه ولآبائهم وأمهاتهم(٢).

وقد جاء في حديث عائشة - الذي سيأتي - ما يدلُّ علىٰ عدم الجزم بذلك؛ وذلك أنها قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُصَلِّي عَلَيْهِ؛ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، طُوبَىٰ لِهَذَا لَمْ يَعْمَلْ شَرًّا وَلَمْ يَدْرِ بِهِ. فَقَالَ: «أَوْ

---

(١) قال ابن كثير في التفسير (٥/ ٦٠): «وَلْيُعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخِلَافَ مَخْصُوصٌ بِأَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَمَّا وِلْدَانُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ؛ كَمَا حَكَاهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَىٰ بْنُ الْفَرَّاءِ الْحَنْبَلِيُّ، عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، أَنَّهُ قَالَ: لَا يُخْتَلَفُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ النَّاسِ، وَهُوَ الَّذِي نَقْطَعُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ».

(٢) منها: ما أخرجه مسلم (١٥٤/ ٢٦٣٥)، عَنْ أَبِي حَسَّانَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، يَتَلَقَّىٰ أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ -، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَىٰ - أَوْ قَالَ: فَلَا يَنْتَهِي - حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ». وانظر للمزيد: السلسلة الصحيحة للألباني (رقم ٣٤١٦).

غَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»[1]، وهذا قال فيه جماعة من أهل العلم: المقصود بذلك: أنه لا يجزم ولا يقطع لأحد بجنَّة أو نار، وإنما يقال فيهم ما يقال في حق المؤمنين: إنه لا يقطع لهم بجنَّة، ولكن يُرجىٰ لهم ذلك، لكن لا يُشهد لأحد بالجنة إلا من شهد له الرسول ﷺ.

فقوله: «هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ»؛ يعني أنهم تبعٌ لهم، أما في الدنيا فالأمر واضح، وأما في الآخرة فأولاد الكفار يمتحنون، وأولاد المسلمين تبع لهم، وأنهم - علىٰ المشهور - يدخلون الجنَّة، ولكن لا يقطع لأحد بالجنة بغير نص.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد الوهاب بن نجدة)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا بقية)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (ح وحدثنا موسىٰ بن مروان الرقي)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (وكثير بن عبيد المذحجي)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

---

(١) صحيح: وهو الحديث التالي في السنن.

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن حرب)؛ هو الحمصي الأبرش، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن محمد بن زياد)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن أبي قيس)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عائشة)؛ أم المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها -، الصديقة بنت الصديق، وهي واحدة من سبعة أشخاص عُرفوا بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧١٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَىٰ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُصَلِّي عَلَيْهِ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، طُوبَىٰ لِهَذَا لَمْ يَعْمَلْ شَرًّا وَلَمْ يَدْرِ بِهِ. فَقَالَ: «أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ. إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»(١).

الشَّرح

هذا الحديث هو الذي تقدمت الإشارة إليه، وأن المقصود من ذلك ألا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣١/ ٢٦٦٢)، والنسائي (١٩٤٧)، وابن ماجه (٨٢)، وأحمد (٦/ ٤١).

يقطع بالجنة لأحد بعينه.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن كثير)؛ هو العبدي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرنا سفيان)؛ هو الثوري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن طلحة بن يحيىٰ)؛ هو التيمي، وهو صدوق يخطئ، أخرج له مسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عائشة بنت طلحة)؛ وهي ثقة، أخرج لها أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عائشة أم المؤمنين)؛ قد مرَّ ذكرها.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧١٤- حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تَنَاتَجُ الْإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّ مِنْ جَدْعَاءَ؟[1]»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللهُ

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٢٤٦، ٢٤٧): «الجَدْع: قطْع الأَنْفِ، والأُذن، والشَّفة، وَهُوَ بالأَنْفِ أخصُّ، فَإِذَا أُطْلق غَلَب عَلَيْهِ. يُقَالُ: رَجُلٌ أَجْدَع ومَجْدُوع؛ إِذَا كَانَ مَقْطُوعَ الأَنْفِ. =

أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[1].

الشَّرح

قَوْلُهُ: «يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ»؛ أي الإسلام، وهذا ما عليه جمهور أهل السنة، وأن الكفر طارئ؛ لأن الكفار هم الذين يسعون في نقل أبنائهم من الفطرة التي فطرهم الله عليها إلىٰ ما يضادُّها ويخالفها وهو غير الإسلام، ولهذا قال: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ»؛ أي: يعلمانه اليهودية والنصرانية، وينقلانه من الفطرة التي هو عليها إلىٰ دين اليهود ودين النصارىٰ.

❁ الفطرة هي الإسلام:

وممَّا يدل علىٰ أن المقصود بالفطرة الإسلام: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في

=

وَمِنْهُ حَدِيثُ الْمَوْلُودِ عَلَىٰ الفِطرة: «هَلْ تُحِسُّون فِيهَا مِنْ جَدْعَاء؟»؛ أيْ مَقْطوعة الأَطْرَافِ، أَوْ وَاحِدها. وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَنَّ الْمَوْلُودَ يُولد عَلَىٰ نَوْعٍ مِنَ الجِبِلَّة، وَهِيَ فِطْرَةُ اللهِ تَعَالَىٰ، وكَوْنُه مُتهيِّئًا لقَبول الْحَقِّ طبْعًا وطَوْعًا، لَوْ خَلَّتْه شَيَاطِينُ الإِنْسِ وَالْجِنِّ وَمَا يَخْتار؛ لَمْ يَخْتر غَيرها، فَضَرَبَ لِذَلِكَ الجَمعاءَ والجَدْعاء مَثَلًا. يَعْنِي: أَنَّ الْبَهِيمَةَ تُولَدُ مُجْتَمِعَةَ الْخَلْقِ، سَوِيَّةَ الأَطْرَافِ، سَلِيمةً مِنَ الجدْع، لَوْلَا تَعَرُّضُ النَّاسِ إِلَيْهَا لبَقِيت كَمَا وُلِدَتْ سَلِيمَةً». وانظر: المعجم الوسيط (ص ١١٠)، مادة (ج د ع).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٣/ ٢٦٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٣٣).

الحديث القدسي: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ»(١)؛ يعني: صرفتهم، والشياطين مثل اليهود والنصارىٰ الذين يصرفون أولادهم عن الفطرة التي فطرهم الله عليها.

فالمقصود بالفطرة: الإسلام، وأن الناس خلقوا لا يعرفون إلا الإسلام، وأنهم لو عاشوا علىٰ الفطرة لما صار عندهم إلا هذا، ولكنهم إذا حُرِفُوا وصُرِفُوا عن هذا الذي فطرهم الله عليه؛ يحصل تحولهم من الحق إلىٰ الباطل، ومن الإسلام إلىٰ الكفر.

قَوْلُهُ: (كَمَا تَنَاتَجُ الْإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ)؛ أي: سليمة مجتمعة الخلق، ليس فيها عيوب، ثم الناس بعد ذلك يحصل منهم الإضرار بها، وقطع أذنها؛ فيكونون قد نقلوها من الحالة التي خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليها وهي السلامة وتمام الخلق، إلىٰ هيئة أخرىٰ وإلىٰ حالة أخرىٰ؛ فكذلك الذين خلقهم الله حنفاء علىٰ الإسلام وفطرهم عليه يخرجون عنه بفعل آبائهم، وأمهاتهم، والذين يضلونهم ويصرفونهم عن الحقِّ الذي خُلقوا عليه؛ فهذا فيه توضيح أنَّ الذي علىٰ الفطرة علىٰ سلامة وعلىٰ استقامة مثل الحيوان الذي يولد وينشأ يكون علىٰ استقامة حتىٰ يكون من أهله أنهم يُحدِثون فيه ما يحدثون من العيوب.

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

قَوْلُهُ: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟)؛ يعني: قبل أن يصرف ويحرف؛ لأنه قال: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ». فإذا كان مثلًا من أولاد المشركين لكن مات صغيرًا فما هَوَّدُوه ولا نصَّروه، وما نقلوه عن الفطرة التي هو عليها إلىٰ دين آخر من أديان أهل الكفر؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»؛ وهذا مثل جوابه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن السؤال عن أولاد المشركين فقال: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»؛ يعني: أنهم يمتحنون يوم القيامة، وعلىٰ ضوء نتيجة الامتحان يكون الانقسام.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا القعنبي**)؛ عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**عن مالك**)؛ مالك بن أنس إمام دار الهجرة، المحدث الفقيه، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي الزناد**)؛ هو عبد الله بن ذكوان، وأبو الزناد لقبه، وكنيته: أبو عبد الرحمن المدني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن الأعرج**)؛ هو عبد الرحمن بن هرمز المدني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو أكثر الصحابة حديثًا على الإطلاق.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧١٥ - قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قُرِئَ عَلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ مِسْكِينٍ وَأَنَا أَسْمَعُ، أَخْبَرَكَ يُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا، قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ يَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ. قَالَ مَالِكٌ: احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِآخِرِهِ؛ قَالُوا: أَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ، قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[(١)].

الشرح

ذكر المصنِّف هذا الأثر عن مالك: (**قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ**) وهم القدرية (**يَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ**)؛ أي: حديث: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ**»، ومعناه: أن الشر يوجده آباؤه، وهم الذين ينقلونه من طور إلىٰ طور، ومن حال إلىٰ حال؛ فهم الذين يوجدون ذلك، ويخلقون هذه الأفعال، (**قَالَ مَالِكٌ: احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِآخِرِهِ؛ قَالُوا: أَرَأَيْتَ مَنْ**

---

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه من طريق أبي داود: اللالكائي في شرح السنة (رقم ١٠٠٠)، والبيهقي في القضاء والقدر (رقم ٦٠٥)، وقال الألباني في سنن أبي داود: صحيح الإسناد مقطوع.

يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ، قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»)؛ أي: الذي قدره الله عَزَّوَجَلَّ بأنه سيحصل منهم إذا حصل لهم الامتحان.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**قرئ على الحارث بن مسكين وأنا أسمع**)؛ الحارث بن مسكين ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**أخبرك يوسف بن عمرو**)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود والنسائي.

❁ **فائدة: في الفرق بين بعض صيغ التحمُّل:**

والنسائي في «السنن» كثيرًا ما يقول في تحديثه عن الحارث بن مسكين: (قرئ عليه وأنا أسمع)؛ قيل: أنه كانت بينهما وحشة، فمنعه من الحضور في مجلسه، فكان يختبئ ويسمع، ويقول: (قرئ عليه وأنا أسمع)، وذلك حتى يكون صادقًا، ولا يقول: (أخبرني)؛ لأنه ما أراد إخباره، ولكنه يأتي بعبارة هو صادق فيها، أما أبو داود فلا نعلم أنه جرى بينه وبين الحارث بن مسكين شيء.

ومعلوم أن (حدثنا) يؤتى بها في الغالب لما سُمع من لفظ الشيخ، و(أخبرنا) لما قرئ على الشيخ وهو يسمع، ويعبر عنه أيضًا بهذه العبارة: (قرئ عليه وأنا أسمع)؛ وهي واضحة في المقصود، وأنه عرض عليه، وأن القارئ غيره، ولو كان هو يقرأ فيقول: (أخبرنا)، وهذا فيه أن غيره يقرأ، وهو يسمع، وهذا من طرق التَّحمل، فأبو داود أخبر بالَّذي قد حصل،

وتحمَّل كما تحمل الحاضرون الذين يسمعون والقارئ غيرهم.

قَوْلُهُ: (أخبرنا ابن وهب)؛ هو عبد الله بن وهب المصري، ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (سمعت مالكًا)؛ مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رحمه الله تعالى:

٤٧١٦- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، يُفَسِّرُ حَدِيثَ «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»؛ قَالَ: هَذَا عِنْدَنَا حَيْثُ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢][(١)].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن حماد بن سلمة، في تفسير الفطرة بالميثاق الذي أخذه الله على العباد، ولا تنافي بين هذا وهذا؛ أي: أخذ

---

(١) صحيح الإسناد مقطوع: أخرجه من طريق أبي داود: ابن بطة في الإبانة (رقم ١٤٨١)، واللالكائي في شرح السنة (رقم ١٠٠١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٣٤، رقم ١٢١٤٤)، وفي القضاء والقدر (رقم ٦٠٦).

عليهم العهد وخلقهم مفطورين علىٰ التوحيد، ثم يحصل صرفهم عن ذلك بفعل الآباء والأُمَّهات الذين يهوِّدونهم وينصرونهم.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا الحسن بن علي**)؛ هو الحُلْواني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة إلا النَّسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حجاج بن المنهال**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**سمعت حماد بن سلمة**)؛ ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧١٧ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَىٰ الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَامِرٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ**»، قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ زَكَرِيَّا: قَالَ أَبِي: فَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ؛ أَنَّ عَامِرًا حَدَّثَهُ بِذَلِكَ عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (١٦/ ٥٢١، رقم ٧٤٨٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٣، رقم ١٠٠٥٩)، والبزار في البحر الزخار (٥/ ٣٦، رقم ١٥٩٦)، والشاشي في مسنده (٢/ ١١٨، رقم ٦٤٨)، وصححه الألباني في المشكاة رقم (١١٢)، وصحيح الجامع رقم (١٣٠٩٨)، =

الشَّرْح

قول النبي ﷺ: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ»؛ فالوائدة الأمر فيها واضح؛ لأنَّها كافرة قتلت ابنتها.

أما الْمَوْءُودَةُ فكونه يجزم بأنها في النار وهي صغيرة؛ فيه إشكال، ولكن حُمِل علىٰ أنها كانت كبيرة بالغة، وكانت كافرة؛ فتكون من أهل النار لتكليفها. وأمَّا قبْل البلوغ فالأمر – كما ذكرنا – أنهم يمتحنون يوم القيامة.

ومن بلغ وبقي علىٰ كفره؛ فإن حكمه حكم الكفار الذين نشئوا علىٰ الكفر ومضت حياتهم وهم في الكفر.

وقد قيل: إن الألف واللام ليستا للاستغراق؛ فليس كل موءودة في النار ولو كانت صغيرة. قالوا: ويدلُّ عليه أنه جاء في حديث آخر أنه ﷺ سُئل عن امرأة وَأَدَتْ بِنْتها؛ فذكر ذلك[1]، فيكون المقصود من ذلك قضية معينة،

=

وفي التعليقات الحسان، وفي سنن أبي داود.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٨)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٥٨٥)، والطبراني في الكبير (٧/ ٣٩، رقم ٦٣١٩)، وغيرهم، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَخِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّنَا مُلَيْكَةَ كَانَتْ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَفْعَلُ، وَتَفْعَلُ، هَلَكَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: قُلْنَا: فَإِنَّهَا كَانَتْ وَأَدَتْ أُخْتًا لَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ، فَيَعْفُوَ اللهُ عَنْهَا». وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧١٤٣).

وتكون تلك الموءودة من أهل النار، ويحمل علىٰ أنَّها بالغة، ولا يحمل علىٰ أنها صغيرة لم تصل إلىٰ حد البلوغ؛ لأن القلم مرفوع عمَّن لم يبلغ.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا إبراهيم بن موسىٰ الرازي)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (حدثنا ابن أبي زائدة)؛ يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثني أبي)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عامر)؛ هو ابن شراحيل الشعبي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (قال: قال رسول الله)؛ هذا مرسل؛ لأن الشعبي تابعي وقال فيه: قال رسول الله ﷺ. لكنه جاء من طريق أخرىٰ عن ابن أبي زائدة، وفيه بيان الواسطة بين الشعبي والرسول ﷺ وهما تابعي وصحابي؛ علقمة وابن مسعود.

قَوْلُهُ: (فحدثني أبو إسحاق)؛ أبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن علقمة)؛ هو ابن قيس الكوفي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن مسعود)؛ عبد الله بن مسعود الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب

رسول الله ﷺ، وأحد فقهاء الصحابة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٧١٨- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**أَبُوكَ فِي النَّارِ**»، فَلَمَّا قَفَّىٰ قَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**أَبُوكَ فِي النَّارِ**»، فَلَمَّا قَفَّىٰ قَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»)؛ وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ أهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة النبي ﷺ من كان منهم علىٰ عبادة الأوثان؛ فإنه يكون في النار، ولا يقال: إنهم ما بَلَغَتْهُم الرسالة؛ لأن دين إبراهيم كان موجودًا، وكان عليه أناس، والنبي ﷺ كان يتحنَّث علىٰ دين إبراهيم قبل البعثة؛ فالدِّينُ موجود وقد بَلَغَهُمْ، ولم يصيروا إليه بل صاروا إلىٰ عبادة الأوثان.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٤٧/ ٢٠٣)، وأحمد (٣/ ١١٩)، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهذا يدلُّ علىٰ أن والد الرسول ﷺ في النار، كما أخبر بذلك رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه - في هذا الحديث، وهو حديث صحيح، وقد ورد في «صحيح مسلم».

وأما ما قيل: أن الله أحيا أبوي الرسول ﷺ، وأنهما أسلما؛ فهذا لم يثبت[1]، وجمهور أهل العلم علىٰ خلاف ذلك، وما قال به إلا بعضهم، وليس هناك دليل صحيح ثابت يدلُّ علىٰ ذلك، وإنما الذي ثبت هو هذا الحديث الصحيح عن رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -[2].

---

(١) موضوع: قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤/ ٢٤٢): «...وَأَغْرَبُ مِنْهُ وَأَشَدُّ نَكَارَةً: مَا رَوَاهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِ «السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ» بِسَنَدٍ مَجْهُولٍ، عَنْ عَائِشَةَ فِي حَدِيثٍ فِيهِ قِصَّةٌ: أَنَّ اللهَ أَحْيَا أُمَّهُ فَآمَنَتْ ثُمَّ عَادَتْ. وَكَذَلِكَ مَا رَوَاهُ السُّهَيْلِيُّ فِي «الرَّوْضِ» بِسَنَدٍ فِيهِ جَمَاعة مَجْهُولُونَ: أَنَّ اللهَ أَحْيَا لَهُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَآمَنَا بِهِ. وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ دِحْيَةَ: هَذَا الْحَدِيثُ مَوْضُوعٌ، يَرُدُّهُ الْقُرْآنُ وَالْإِجْمَاعُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]». وانظر التالي.

(٢) **قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ١٨٠ - ١٨٢):** «واعلم - أيها الأخ المسلم - أن بعض الناس اليوم - وقبل اليوم - لا استعداد عندهم لقبول هذه الأحاديث الصحيحة، وتبني ما فيها من الحكم بالكفر علىٰ والدي الرسول ﷺ، بل إنَّ فيهم من يُظنُّ أنه من الدعاة إلىٰ الإسلام ليستنكر أشد الاستنكار التعرض لذكر هذه الأحاديث ودلالتها الصريحة!

وفي اعتقادي: أنَّ هذا الاستنكَارَ إنَّما ينصب منهم علىٰ النبيِّ ﷺ الذي قالها إن صدَّقوا بها. وهذا - كما هو ظاهر - كفر بواح، أو علىٰ الأقل: علىٰ الأئمة الذين رووها وصححوها، وهذا فسق أو كفر صَرَاح؛ لأنه يلزم منه تشكيك المسلمين بدينهم؛ لأنه لا طريق لهم إلىٰ معرفته =

والإيمان به، إلا من طريق نبيهم ﷺ، كما لا يخفىٰ علىٰ كل مسلم بصير بدينه.

فإذا لم يصدقوا بها لعدم موافقتها لعواطفهم وأذواقهم وأهوائهم - والناس في ذلك مختلفون أشد الاختلاف -؛ كان في ذلك فتح باب عظيم جدًّا لردِّ الأحاديث الصحيحة، وهذا أمر مشاهد اليوم من كثير من الكتاب الذين ابتلي المسلمون بكتاباتهم؛ كالغزالي والهويدي وبليق وابن عبد المنان، وأمثالهم ممَّن لا ميزان عندهم لتصحيح الأحاديث وتضعيفها إلا أهواؤهم!

واعلم أيها المسلم - المشفق علىٰ دينه أن يُهدَم بأقلام بعض المنتسبين إليه - أن هذه الأحاديث ونحوها ممَّا فيه الإخبار بكفر أشخاص أو إيمانهم؛ إنما هو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها وتلقيها بالقبول؛ لقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة : ١ - ٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالإعراض عنها وعدم الإيمان بها؛ يلزم منه أحد أمرين لا ثالث لهما - وأحلاهما مر -:

- إما تكذيب النبي ﷺ.

- وإما تكذيب رواتها الثقات - كما تقدم -.

وأنا حين أكتب هذا أعلم أن بعض الذين ينكرون هذه الأحاديث أو يتأولونها تأويلًا باطلًا؛ كما فعل السيوطي - عفا الله عنَّا وعنْهُ - في بعض رسائله؛ إنما يحملهم علىٰ ذلك غلوُّهم في تعظيم النبي ﷺ، وحبهم إياه، فينكرون أن يكون أبواه ﷺ كما أخبر هو نفسه عنهما، فكأنهم أشفق عليهما منه ﷺ!! وقد لا يتورع بعضهم أن يركن في ذلك إلىٰ الحديث المشهور علىٰ ألسنة بعض الناس الذي فيه: أن النبي ﷺ أحيا الله له أمه - وفي رواية: أبويه -. وهو حديث موضوع باطل عند أهل العلم؛ كالدارقطني والجورقاني، وابن عساكر والذهبي والعسقلاني، وغيرهم كما هو مبين في موضعه، وراجع له إن شئت كتاب «الأباطيل والمناكير» للجورقاني

بتعليق الدكتور عبد الرحمن الفريوائي (١ / ٢٢٢ - ٢٢٩).

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ٢٨٤) : «هذا حديث موضوع بلا شك، والذي وضعه قليل الفهم، عديم العلم؛ إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافرًا لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة، لا بل لو آمن عند المعاينة، ويكفي في رد هذا الحديث قوله تعالىٰ: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله ﷺ في (الصحيح): «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي».

ولقد أحسن القول في هؤلاء بعبارة ناصعة وجيزة؛ الشيخ عبد الرحمن اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للإمام الشوكاني؛ فقال (ص ٣٢٢): «كثيرًا ما تجمح المحبة ببعض الناس؛ فيتخطىٰ الحجَّة ويحاربها، ومن وُفِّقَ عَلِمَ أنَّ ذلك مناف للمحبة الشرعية. والله المستعان»، قلت: وممن جمحت به المحبة السيوطي - عفا الله عنه -؛ فإنه مال إلىٰ تصحيح حديث الإحياء الباطل عند كبار العلماء - كما تقدم -، وحاول في كتابه «اللآلئ» (١ / ٢٦٥ - ٢٦٨) التوفيق بينه وبين حديث الاستئذان وما في معناه، بأنه منسوخ! وهو يعلم من علم الأصول أن النسخ لا يقع في الأخبار وإنما في الأحكام! وذلك أنه لا يُعقَل أن يخبر الصادق المصدوق عن شخص أنه في النار ثم يَنْسخ ذلك بقوله: إنه في الجنة! كما هو ظاهر معروف لدىٰ العلماء.

ومن جموحه في ذلك أنه أعرض عن ذكر حديث مسلم عن أنس المطابق لحديث الترجمة إعراضًا مطلقًا، ولم يشر إليه أدنىٰ إشارة! بل إنه قد اشتطَّ به القلم وغلا؛ فحكم عليه بالضعف متعلقًا بكلام بعضهم في رواية حماد بن سلمة! وهو يعلم أنه من أئمَّة المسلمين وثقاتهم، وأن روايته عن ثابت صحيحة، بل قال ابن المديني وأحمد وغيرهما: أثبت أصحاب ثابت حماد، ثم سليمان، ثم حماد بن زيد، وهي صحاح.

وتضعيفه المذكور كنت قرأته قديمًا جدًّا في رسالة له في حديث الإحياء - طبع الهند -، ولا تطولها
=

۞ كلام صاحب «عون المعبود» في إثبات عدم نجاة والد النبي ﷺ:

قال في «عون المعبود»: «قَالَ النَّوَوِيُّ: «فِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَيْسَ هَذَا مُؤَاخَذَةً قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ تَعَالَىٰ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»[(١)].

وَكُلُّ مَا وَرَدَ بِإِحْيَاءِ وَالِدَيْهِ ﷺ وَإِيمَانِهِمَا وَنَجَاتِهِمَا؛ أَكْثَرُهُ مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ مُفْتَرَىٰ، وَبَعْضُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا لَا يَصِحُّ بِحَالٍ؛ لِاتِّفَاقِ أئمَّة الحديث علىٰ وَضْعِهِ؛ كالدَّارَقُطْنِي، والجوزقاني، وابن شاهين، والخطيب، وابن عساكر، وابن ناصر، وابن الْجَوْزِيِّ، وَالسُّهَيْلِيِّ، وَالْقُرْطُبِيِّ، وَالْمُحِبِّ الطَّبَرِيِّ، وَفَتْحِ الدِّينِ ابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ، وَإِبْرَاهِيمَ الْحَلَبِيِّ، وَجَمَاعَةٍ».

= يدي الآن لأنقل كلامه، وأتتبع عواره، فليراجعها من شاء التثبت. ولقد كان من آثار تضعيفه إياه: أنَّني لاحظت أنه أعرض عن ذكره أيضًا في شيء من كتبه الجامعة لكل ما هبَّ ودبَّ؛ مثل «الجامع الصغير»، و«زيادته»، و«الجامع الكبير»! ولذلك خلا منه «كنز العمال»، والله المستعان، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله. وتأمَّل الفرق بينه وبين الحافظ البيهقي الذي قدم الإيمان والتصديق علىٰ العاطفة والهوىٰ؛ فإنه لما ذكر حديث: «خرجت من نكاح غير سفاح»؛ قال عقبه: «وأبواه كانا مشركين؛ بدليل ما أخبرنا...»، ثم ساق حديث أنس هذا، وحديث أبي هريرة المتقدِّم في زيارة قبر أمه ﷺ» اهـ.

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (٣/ ٧٩).

قُلْتُ: فذكر اثني عشر شخصًا حكموا عليها بالوضع.

«وَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ فِي عَدَمِ نَجَاةِ الْوَالِدَيْنِ الْعَلَّامَةُ إِبْرَاهِيمُ الْحَلَبِيُّ فِي رِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ، وَالْعَلَّامَةُ عَلِيٌّ القاري فِي «شَرْحِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ»، وَفِي رِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ، وَيَشْهَدُ لِصِحَّةِ هَذَا الْمَسْلَكِ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ.

وَالشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ؛ قَدْ خَالَفَ الْحُفَّاظَ وَالْعُلَمَاءَ الْمُحَقِّقِينَ وَأَثْبَتَ لَهُمَا الْإِيمَانَ وَالنَّجَاةَ؛ فَصَنَّفَ الرَّسَائِلَ الْعَدِيدَةَ فِي ذَلِكَ؛ مِنْهَا رِسَالَةُ «التَّعْظِيمِ والمنَّة في أنَّ أبوي رسول الله فِي الْجَنَّةِ».

قُلْتُ: الْعَلَّامَةُ السُّيُوطِيُّ مُتَسَاهِلٌ جِدًّا؛ لَا عِبْرَةَ بِكَلَامِهِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَمْ يُوَافِقْهُ كَلَامُ الْأَئِمَّةِ النُّقَّادِ.

وَقَالَ السِّنْدِيُّ: مَنْ يَقُولُ بِنَجَاةِ وَالِدَيْهِ ﷺ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ الْعَمِّ؛ فَإِنَّ اسْمَ الْأَبِ يُطْلَقُ عَلَىٰ الْعَمِّ، مَعَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ رَبَّىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَيَسْتَحِقُّ إِطْلَاقَ اسْمِ الْأَبِ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ. انْتَهَىٰ. وَهَذَا أَيْضًا كَلَامٌ ضَعِيفٌ بَاطِلٌ».

قُلْتُ: يقصد بهذا: أن حديث: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»؛ حمله بعضهم علىٰ عمِّه أبي طالب، يريدون ألا يكون المقصود أباه الحقيقي الذي هو عبد الله، وعمُّه مات علىٰ الشرك، وقد أدركه الإسلام ودعاه الرسول ﷺ، ولكن لم يؤمن به، وكان يعرف أن ما عليه الرسول حق، ولكن ابتلي بملَّة الآباء والأجداد ومات علىٰ ذلك؛ كما جاء الحديث: عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: (لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ،

فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ! أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)[1].

ومات علىٰ هذه العقيدة التي كان عليها، وهي الكفر وعبادة الأوثان.

الشَّاهد: أن بعض الناس أراد أن يقول: إن المراد بالأب في هذا الحديث هو العم. ولكن الأصل أن الأب هو الوالد، وإن كان قد يطلق علىٰ العم أبًا كما جاء في القرآن في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]؛ مع أنَّ إسماعيل عم يعقوب، وليس أباه، ولكن جعله من جملة الآباء، ولكن هذا جاء تبعًا ولم يكن استقلالًا.

وفي الحديث المتَّفق عليه: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**»[2]، وكذلك حديث: «**الْعَمُّ وَالِدٌ**»[3]؛ يعني: أنه والده من حيث الإكرام والتقدير

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٣٩/ ٢٤)، عن المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (١١/ ٩٨٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٣٥، رقم ١٠٥٨٠)، عن أم الفضل بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٤١).

والمنزلة، وإلا فهو من الحواشي وليس من الأصول، والإخوة أقرب منه؛ لأن الإخوة شاركوه في أبيه، وأما العم فإنما شارك أباه في جدِّه، وهو طبقة أخرى غير الطبقة القريبة؛ فهو بمنزلة الوالد، مثلما أن «الخَالَة بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ»(١)؛ أي من ناحية التقدير والاحترام والتوقير والإكرام والإحسان.

«وَقَدْ مَلأَ مُؤَلِّفُ تَفْسِيرِ «رُوحِ الْبَيَانِ»(٢) تَفْسِيرَهُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الْمَكْذُوبَةِ، كَمَا هُوَ دَأْبُهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ تَفْسِيرِهِ بِإِيرَادِهِ لِلرِّوَايَاتِ الْمَكْذُوبَةِ، فَصَارَ تَفْسِيرُهُ مَخْزَنَ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ!!

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: التَّوَقُّفُ فِي الْبَابِ هُوَ الْأَسْلَمُ. وَهُوَ كَلَامٌ حَسَنٌ. وَاللهُ أَعْلَمُ» اهـ.

قُلْتُ: الدليل يدلُّ على خلاف ما ذكره، وهو الجزم بما ثبت في «صحيح مسلم» بالنسبة لأبيه، وبالنسبة لأمِّه؛ فقد جاء أيضًا في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٩٩)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانولي، أبو الفداء الحنفي الخلوتي، التركي الأصل، صوفي مفسِّر، له تفسير روح البيان، والرسالة الخليلية، وغيرهما، توفي في بروسة سنة ١١٢٧ هـ. [ترجمته في: الأعلام للزركلي (١/ ٣١٣)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٦٦)]

فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»)[١].

«قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: «وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ». وَهَذَا الرَّجُلُ: هُوَ حُصَيْنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَالِدُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ. وَقِيلَ: هُوَ أَبُو رَزِينٍ لَقِيطُ بْنُ عَامِرٍ الْعُقَيْلِيُّ»اهـ[٢].

قُلْتُ: يعني: الرجل الذي سأل الرسول، وقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ فقال: «فِي النَّارِ». فلمَّا قَفَّىٰ دَعَاهُ فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو التبوذكي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد**)؛ هو ابن سلمة، مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**عن ثابت**). هو ابن أسلم البُنَاني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أنس**)؛ خادم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

- وهذا الإسناد من الرباعيات التي هي أعلىٰ الأسانيد عند أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٨/ ٩٧٦).

(٢) عون المعبود (١٢/ ٣٢٤).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧١٩ - حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ**»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أنس بن مالك؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ**»؛ وذلك لبلوغه منه مبالغ خفيَّة، فهو يجري منه مجرىٰ الدم، بمعنىٰ أنه يُمَازِجُه ويخالطه، ويوسوس له ويغويه ويضله؛ فهو يدخل فيه.

وقيل: إنه لكثرة إغوائه ووسوسته له كان مثل الدم الذي هو جزء من أجزائه.

ولا يظهر لي شيء في مناسبة هذا الحديث لباب «ذراري المشركين».

- ورجال إسناد الحديث مرَّ ذكرهم كلهم.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣/ ٢١٧٤)، وأحمد (٣/ ١٥٦). وأخرجه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم عن صفية بن حيي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧٢٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ؛ عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ، وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ**»، الْحَدِيثَ.

الشَّرح

أورد أبو داود حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وقد مرَّ ذكره في آخر الباب الذي قبل هذا - .

قَوْلُهُ: «**لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ**»؛ لأنه يصيبكم بسبب مجالستهم الضرر.

قَوْلُهُ: «**وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ**»؛ فُسِّر بمعنيين - كما مرَّ -:

الأول: لا تتحاكموا إليهم.

الثاني: لا تفاتحوهم بالمخاصمة والمناظرة.

والمقصود الابتعاد عنهم؛ لأنَّهم ضرر علىٰ من يختلط بهم، ومن يناظرهم.

❁ **رجال الإسناد**:

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني**)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (أخبرنا ابن وهب)؛ هو عبد الله بن وهب المصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرني ابن لهيعة)؛ هو عبد الله بن لَهيعة المصري، وهو صدوق اختلط، وحديثه أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (وعمرو بن الحارث)؛ هو المصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (وسعيد بن أبي أيوب)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عطاء بن دينار)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود والترمذي.

قَوْلُهُ: (عن حكيم بن شريك الهذلي)؛ وهو مجهول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (عن يحيىٰ بن ميمون)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (عن ربيعة الجرشي)؛ مختلف في صحبته، وثَّقه الدارقطني وغيره، وحديثه أخرجه أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (عن عمر بن الخطاب)؛ أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمَّة والفضائل الكثيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

السؤال: قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»(١)، هل في الحديث دليل على دخول الجني في الإنسي؟

الجواب: نعم؛ يدل على ذلك، وكذلك يدل عليه القرآن؛ كَمَا فِي قولِهِ تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

❁ ❁ ❁

السؤال: ما رأيك فيمن ينكر هذا الحديث الذي في «صحيح مسلم»: «إن أبي وأباك في النار»؛ بحجة كيف يكون والد النبي ﷺ في النار؟

الجواب: العواطف ليست دليلًا يستدلُّ به، وإنما يستدل بالأدلة الشرعية، والحكم الشرعي هو هذا الحديث الذي ثبت في «صحيح مسلم»، وغيره عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما مدى صحة هذا القول: «الوائدة» هي الطبيبة التي تعطي الدواء لقتل الجنين في بطن الأم كما يفعله الأطباء الآن، وهذا يسمى

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

بالوأد السري، و«الموءودة» هي الأم التي تفعل ذلك الفعل المحرم؛ أي: تساعد على قتل جنينها؟

الجواب: ليس معنىٰ الحديث ما ذكر في السؤال، وإنَّما هو في وائدة دفنت بنتها بالفعل، وموءودة دفنت في الأرض، وهي التي سئل عنها رسول الله ﷺ.

وقال بعض أهل العلم في تفسير «الوائدة»: هي التي تباشر الوأد؛ أي: أن أمها ما وأدتها ولكنها طلبت من يئدها؛ فتكون الوائدة هي المباشرة، والموءودة هي الموءود لها، وهي الأم، وإنما قالوا هذا فرارًا من أن تكون الموءودة في النار إذا فسرت بالطفلة الصغيرة. ولكن هذا التأويل ليس بالمستقيم؛ لأن الكلام في وائدة وموءودة سئل عنهما في واقعة حدثت كما ذكر بعض أهل العلم: إن المقصود: أنها كانت كبيرة، وكل منهما مكلَّف، وأنها مشاركة لأمها في الكفر؛ فكافرة وَأَدت كافرة.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما القول في ذراري المشركين الذين ماتوا قبل إسلام آبائهم، هل يمتحنون أو يلحقون بآبائهم بعد الإسلام؟

الجواب: الذين ماتوا في حال كفر آبائهم لا يقال: إنهم أولاد مسلمين. لأنهم كانوا أولاد كفار في الوقت الذي ولدوا فيه وماتوا فيه، والإسلام كان متأخِّرًا، وإنما الذين في الجنة أولادهم الذين ولدوا وهم علىٰ الإسلام.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما وجه احتجاج القدرية على أهل السنة بحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»؟

الجواب: مقصودهم قوله :«فأبواه يهودانه وينصرانه»[(١)]، وأنهما من فعل الأبوين، وأنهم يخلقون فيه أفعالًا، والأبوان علموه فتعلم؛ فخلق الشر هو في نفسه.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل يُمتحن الأقوام الذين لم تبلغهم الرسالة أو لم يأتهم رسول أو نبي؟

الجواب: الأقوام الذين ما بلغتهم الرسالة يمتحنون؛ مثل الذين خلقوا مجانين ونشئوا مجانين.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل أهل الفترة لهم وقت محدود، أم أنهم باقون إلى يوم القيامة؟

الجواب: ما بين النبي والنبي من الزمن يقال له: فترة. ولكن هناك ناس قد تبلغهم الرسالة، وناس لا تبلغهم، فمن بلغته الرسالة مثل الذين كانوا يعبدون الأوثان ودينُ إبراهيم موجود؛ فهم معذَّبون، والذين ما بلغتهم

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

الرسالة ولا عرفوا شيئًا عن الرسالات السابقة، في أي زمان كانوا؛ فإنهم يمتحنون يوم القيامة؛ لأنهم ما بلغتهم الرسالة.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يتعيَّن على المسلم أن يعتقد أن كل كافر خالد في النار بعينه، أم الواجب معرفة ذلك على وجه العموم؟

الجواب: كل من مات على الكفر؛ فإنه خالد مخلَّد في النار أبد الآباد؛ لهذا كان بعض العلماء مثل ابن كثير إذا أتى الرجل بشيء مكفر ولم يعرف خاتمته؛ فإنه يعلِّق ذلك بالوفاة على الكفر، كما ذكر في ترجمة أبي نصر الفارابي[1] في «البداية والنهاية»؛ فإنه نقل عنه أنه لا يقول بحشر الأجساد، وإنما يقول: تبعث الأرواح. فقال ابن كثير: «فَعَلَيْهِ إِنْ كَانَ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَعْنَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[2].

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يصح أن يقال: إن الأشاعرة ليسوا أصحاب عقائد فاسدة؟

(١) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر الفارابي الفيلسوف التركي المستعرب، المعلم الثاني عند الفلاسفة بعد معلمهم الأول أرسطو، قال الذهبي: لَهُ تَصَانِيفُ مَشْهُورَةٌ، مَنِ ابْتَغَىٰ الْهُدَىٰ مِنْهَا ضَلَّ وَحَارَ، مِنْهَا تخرَّج ابْنُ سينَا. ولد سنة ٢٦٠، وتوفي سنة ٣٣٩. [انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣)، والسير (١٢/ ٣٢)، البداية والنهاية (١١/ ٢٥٣)].

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٥٣).

الجواب: لا يصح؛ بل عقيدتهم فاسدة باطلة، وليست عقيدتهم عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وإنما هي عقيدة ولدت بعد زمن الصحابة بمدَّة طويلة، ولا يمكن أن يكون هناك عقيدة صحيحة حجبت عن الصحابة وادخرت للأشاعرة ولا لغير الأشاعرة، بل هي باطلة، والحق هو الذي كان عليه الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما نصيحتك لمن يقول: الرد على المخالف يسبب الفرقة بين المسلمين، ولكن الواجب السُّكوت على الخطأ حتى تجتمع كلمة المسلمين؟

الجواب: هذا باطل، والحقُّ أن الخطأ يُبيَّن ويوضَّح، ولا يترك، وأما قوله: السكوت حتىٰ لا يسبب الفرقة؛ فغير صحيح؛ بل الفرقة حصلت بالمخالفات والخروج عن الجادَّة، فالواجب هو بيان الحق، والردُّ علىٰ المبطل، وإذا كان الذي حصل منه الخطأ ليس من أهل البدع، وإنَّما هو من أهل السنَّة، ولكن حصل منه خطأ؛ فإنه يُناصح ويرفق به؛ لأنَّ المقصود هو الإصلاح.

يثبت أهل السنة صفات الله تعالىٰ الواردة عن طريق الوحي دون تشبيه ولا تأويل، وقد خالف المبتدعة في ذلك؛ فنفوا صفات الله وعطلوها، وقد رد عليهم العلماء بما يبين بطلان مذهبهم المخالف لما كان عليه السلف الصالح.

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

بَابٌ فِي الْجَهْمِيَّةِ[1]

٤٧٢١ - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ»[2].

الشرح

عقد الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «كِتَابِ السُّنَّة» مِنْ «سُنَنِهِ»: «بَابٌ فِي الْجَهْمِيَّةِ»؛ أي: في بيان فساد مذهبهم، وما ورد من النصوص في

(١) هم المنتسبون إلىٰ جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم، وقد أظهر مقالته من بعده، ويقولون بالجبر، وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالىٰ فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وبفناء الجنة والنار، وعطلوا صفات الله جَلَّ وَعَلَا، ولهم أقوال شنيعة، حتىٰ اختلف العلماء في دخولهم في فرق الأمة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤، ٢١٩)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٤٠)، والفرق بين الفرق (١/ ١٩٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (٢١٢/ ١٣٤)، وأحمد (٢/ ٣١٧). وقد أخرجه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (٢١٧/ ١٣٦)، بنحوه عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الردِّ عليهم.

❁ بداية تأسيس مذهب الجهمية ونسبتهم:

والجهمية منتسبون إلىٰ الجهم بن صفوان، وعندهم بدع مختلفة، وفي باب أسماء الله وصفاته ينفون عن الله الأسماء والصفات؛ واشتهرت نسبتهم إلىٰ الجهم بن صفوان، إلا أن مذهب الجهميَّة كان موجودًا قبل الجهم؛ فإنَّ الذي أسَّسه هو الجعد بن درهم، وكان ذلك في عصر التَّابعين، وقد نقل الحافظ ابن حجر عن الحسن البصري أنه قال: «لَوْ كَانَ مَا يَقُولُ الْجَعْدُ حَقًّا لَبَلَّغَهُ النَّبِيُّ ﷺ»[(١)]؛ يعني ما جاء عنه من البدع التي أحدثها وتبعه علىٰ ذلك غيره، حتَّىٰ جاء الجهم بن صفوان وأظهر هذا المذهب ونشره؛ فنُسب إليه الجهمية، فقيل لهم: الجهميَّة؛ نسبة إلىٰ الجهم بن صفوان.

وقد أورد أبو داود في ذلك حديث أبي هريرة؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ»، وفي رواية: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ، وَلْيَنْتَهِ»[(٢)]؛ أي: ليقف عند هذا الحدِّ ولا يتجاوز، والمعنىٰ: فليصل إلىٰ أن الله تعالىٰ هو الخالق وكل من سواه مخلوق، ولا يتجاوز ذلك إلىٰ مثل

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٠٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (٢١٤/ ١٣٤).

هذا السؤال الباطل الذي يقذفه الشيطان علىٰ بعض الناس، وفي رواية: «وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»[(١)]، فكما مر في الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ»[(٢)]؛ فهو يوسوس للإنسان، ويشوش عليه، ويأتيه بالوساوس التي تمر علىٰ خاطره، فإذا جاءت علىٰ خاطره فعليه أن يدفعها وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وليقل: آمنت بالله. ولا يسترسل مع الشيطان ووساوسه وما يلقيه عليه؛ فإنَّ ذلك يؤدِّي به إلىٰ الضرر، فلْيعرض عن هذه الوساوس، ويشتغل بغيرها ممَّا هو حق؛ فيشتغل بقراءة القرآن أو بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، أو ما إلىٰ ذلك من الأشياء التي هي من الحسنات ومن الأعمال الصالحة.

وهذه الخواطر والوساوس لا تؤثِّر علىٰ الإنسان إذا هجمت عليه هجومًا؛ لكنْ عليه أن يعرض عنها، والإنسان عندما تنقدح في ذهنه هذه الأمور ويستثقلها ويستعظمها؛ فهذه علامة خير فيه[(٣)].

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٧٢٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١١٨).

(٢) متفق عليه: وقد تقدم.

(٣) وفي «صحيح مسلم» رقم (٢٠٩/ ١٣٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ». و(٢١١/ ١٣٣)، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ: «تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ». قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢٨٢): =

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا هارون بن معروف)؛ ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود.

قَوْلُهُ: (حدثنا سفيان)؛ هو ابن عيينة، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن هشام)؛ هو ابن عروة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

«أَيْ حُصُولُ هَذَا الْوَسْوَاسِ مَعَ هَذِهِ الْكَرَاهَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ، وَدَفْعِهِ عَنِ الْقَلْبِ؛ هُوَ مِنْ صَرِيحِ الْإِيمَانِ؛ كَالْمُجَاهِدِ الَّذِي جَاءَهُ الْعَدُوُّ فَدَافَعَهُ حَتَّىٰ غَلَبَهُ؛ فَهَذَا أَعْظَمُ الْجِهَادِ وَ«الصَّرِيحُ» الْخَالِصُ كَاللَّبَنِ الصَّرِيحِ. وَإِنَّمَا صَارَ صَرِيحًا لَمَّا كَرِهُوا تِلْكَ الْوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِيَّةَ وَدَفَعُوهَا؛ فَخَلَصَ الْإِيمَانُ فَصَارَ صَرِيحًا»، وقال (٢٢/٦٠٨): «قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: فَكَرَاهَةُ ذَلِكَ وَبُغْضُهُ وَفِرَارُ الْقَلْبِ مِنْهُ؛ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ غَايَةُ كَيْدِ الشَّيْطَانِ الْوَسْوَسَةَ؛ فَإِنَّ شَيْطَانَ الْجِنِّ إِذَا غَلَبَ وَسْوَسَ، وَشَيْطَانَ الْإِنْسِ إِذَا غَلَبَ كَذَبَ، وَالْوَسْوَاسُ يَعْرِضُ لِكُلِّ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِذِكْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثْبُتَ وَيَصْبِرَ وَيُلَازِمَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَلَا يَضْجَرُ؛ فَإِنَّهُ بِمُلَازَمَةِ ذَلِكَ يَنْصَرِفُ عَنْهُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ؛ ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. وَكُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ تَوَجُّهًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِقَلْبِهِ جَاءَ مِنَ الْوَسْوَاسِ أُمُورٌ أُخْرَىٰ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ بِمَنْزِلَةِ قَاطِعِ الطَّرِيقِ كُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ يَسِيرُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَرَادَ قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ يَقُولُونَ: لَا نُوَسْوَسُ. فَقَالَ: صَدَقُوا؛ وَمَا يَصْنَعُ الشَّيْطَانُ بِالْبَيْتِ الْخَرَابِ».

وقال النووي في شرحه علىٰ مسلم (٢/ ١٥٤): «مَعْنَاهُ: اسْتِعْظَامُكُمُ الْكَلَامَ بِهِ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اسْتِعْظَامَ هَذَا وَشِدَّةَ الْخَوْفِ مِنْهُ، وَمِنَ النُّطْقِ بِهِ، فَضْلًا عَنِ اعْتِقَادِهِ؛ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ اسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا، وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيبَةُ وَالشُّكُوكُ».

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ هو عروة بن الزبير بن العوام، وهو ثقة فقيه، من فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأكثر الصحابة حديثًا على الإطلاق.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧٢٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ - يَعْنِي ابْنَ الْفَضْلِ -، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ - يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ -، قَالَ: حَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:... فَذَكَرَ نَحْوَهُ، قَالَ: «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ؛ فَقُولُوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»[1].

الشَّرح

يعني: أن هذه الأمور إذا حصلت له؛ فإنه يقول: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ

(١) صحيح: أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٤٢٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ٦٦١)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٦٥٣)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١١٨).

ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]؛ يذكر الله عَزَّوَجَلَّ ويعظمه، وينصرف عن تلك الأشياء التي خطرتْ له.

فيستحضر هذه المعاني العظيمة، وفي ذلك الابتعاد عن هذا الذي يلقيه الشيطان في ذهن الإنسان، من مثل هذه الأمور السيئة التي من الصعوبة علىٰ الإنسان أن يتلفَّظ بها، وقد جاء نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»(١). يعني: كون الإنسان يستعظم هذه الأمور، ويصعب عليه أن يتكلَّم بها؛ فهذا يدلُّ علىٰ إيمانه.

لكن من يسهل عليه أن يتكلم بمثل هذه الأمور، أو تأتي شبه فيطلقها ويتبنَّاها ويدعو إليها؛ فهذا هو الذي أصابه البلاء من الشيطان، بحيث أغواه في نفسه، ثم تجاوز الحدَّ إلىٰ أن أظهر ذلك وتبنَّاه ودعا إليه.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢]؛ أي: الله واحد لا شريك له، وهو المتفرِّد بالخلق والإيجاد، وهو الذي يملك النفع والضر، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الخالق لكل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الصمد الذي هو مستغنٍ عن كل من سواه، وكل من

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٩/ ١٣٢)، عن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

عداه فهو مفتقر إليه، ولا يستغني عن الله طرفة عين.

قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]؛ بعدما ذكر أنه تعالىٰ الصمد الغني عن كل من سواه، ذكر بعد ذلك ما يوضِّح ويبين استغناء الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾؛ فنفىٰ عنه الأصول والفروع والنظراء الذين يشابهونه ويماثلونه وينادُّونه، فهو أحد لا ثانيَ له ولا نظيرَ له ولا شريك له، وهو صمد مستغنٍ عن كل ما سواه؛ فلا يحتاج لوالد ولا ولد، وهو واحد في ذاته وفي صفاته، لا شريك له في الخلق والإيجاد، ولا شريك له فيما يختصُّ به من الصفات، ولا شريك له في العبادة، بل هو المستحقُّ للعبادة وحده لا شريك له.

فقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾؛ نفي للفروع، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ نفي للأصول، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؛ نفي للأشباه والنظراء.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن عمرو)؛ هو الرازي، وهو ثقةٌ، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا سلمة - يعني: ابن الفضل -)؛ وهو صدوق كثير الخطأ، أخرج له أبو داود والترمذي، وابن ماجه في «التفسير».

قَوْلُهُ: (حدثني محمد - يعني ابن إسحاق -). هو المدنيُّ، وهو صدوق

أخرج حديثه البخاريُّ تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (حدثني عتبة بن مسلم مولىٰ بني تميم)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي.

قَوْلُهُ: (عن أبي سلمة بن عبد الرحمن)؛ هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين علىٰ أحد الأقوال الثلاثة في السابع منهم، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ قد مر ذكرُهُ.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٢٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟»، قَالُوا: السَّحَابَ. قَالَ: «وَالْمُزْنَ»، قَالُوا: وَالْمُزْنَ. قَالَ: «وَالْعَنَانَ»، قَالُوا: وَالْعَنَانَ - قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا[1] -. قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**»، قَالُوا: لَا نَدْرِي. قَالَ: «**إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ**

(١) وقد ذكرها غيره ممن خرّج الحديث بغير شك.

ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ»؛ حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، «ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ»[(١)].

الشرح

أورد أبو داود حديث العباس بن عبد المطلب، ومحلُّ الشاهد منه في (باب الرد علىٰ الجهميَّة)، وإثبات الصفات، وأن الله تعالىٰ فوق العرش؛ قوله في آخره بعدما ذكر العرش: «ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ»؛ يعني فوق العرش.

والله عَزَّوَجَلَّ متَّصف بالعلو بأنواعه الثلاثة:

- علو القدْر.
- وعلو القهْر.
- وعلو الذَّات.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ»؛ وقد جاء الآيات والأحاديث

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١/ ٢٠٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١٢٤٧).

الكثيرة في بيان فوقية الله عَزَّوَجَلَّ وعلوِّه، وأن الله تعالىٰ فوق العرش، وأنه قد استوىٰ علىٰ العرش، وأن الملائكة تعرج إليه، وكل ذلك يدل علىٰ علوِّ الله عَزَّوَجَلَّ، وقد ذكر بعض أهل العلم أنَّ أدلة علوِّ الله عَزَّوَجَلَّ تبلغ ألف دليل من الكتاب والسنَّة[1]؛ لكثرتها وتنوُّعها.

❁ مناقشة عبارة السندي في تفسير الفوقية:

وأما ما نقله في الحاشية[2] عن السندي[3] في «حاشيته علىٰ سنن ابن ماجه»؛ أنه قال: ««ثُمَّ اللهُ فَوْقَ»؛ تَصْوِيرٌ لِعَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَفَوْقِيَّتُهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ بِالْعُلُوِّ وَالْعَظَمَةِ وَالْحُكْمِ لَا الْحُلُولِ وَالْمَكَانِ» اهـ[4].

فهذه العبارة غير صحيحة؛ فالله تعالىٰ بذاته وصفاته فوق عرشه، وهو كما يليق به، ولا يجوز أن يُتكلم في أمور أخرىٰ ما جاء إثباتها ولا نفيها في

(١) قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (١/ ٣٦٧، ٣٦٨): «الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ عُلُوِّ الرَّبِّ تَعَالَىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَفَوْقِيَّتِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ؛ تُقَارِبُ الْأَلْفَ، وَقَدْ أَجْمَعَتْ عَلَيْهَا الرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ».

(٢) لعل المقصود هو محقق نسخة سنن أبي داود التي يشرح منها الشيخ.

(٣) محمد بن عبد الهادي التتوي، نور الدين أبو الحسن السندي - أصلًا ومولدًا - الحنفي، محدث، مفسر، فقيه، لغوي، توطن المدينة علىٰ أن توفي فيها سنة ١١٣٨، له حواشٍ علىٰ الكتب الستة والمسند وتفسير البيضاوي، ومصنفات غير ذلك. [انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٣)، وفهرس الفهارس (١/ ١٤٨)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٢٦٢)].

(٤) انظر حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (١/ ٨٤).

الكتاب والسنّة[1]، والله عَزَّوَجَلَّ عظيم الذات وعظيم القدر، وعليُّ الذات

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ٤١، ٤٢): «مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ عَنْ رَبِّهِ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ - سَوَاءٌ عَرَفْنَا مَعْنَاهُ أَوْ لَمْ نَعْرِفْ - لِأَنَّهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ؛ فَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَجَبَ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ الْإِيمَانُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ، وَكَذَلِكَ مَا ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، مَعَ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يُوجَدُ عَامَّتُهُ مَنْصُوصًا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَمَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَأَخِّرُونَ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا؛ فَلَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ، بَلْ وَلَا لَهُ: أَنْ يُوَافِقَ أَحَدًا عَلَىٰ إثْبَاتِ لَفْظِهِ أَوْ نَفْيِهِ حَتَّىٰ يَعْرِفَ مُرَادَهُ؛ فَإِنْ أَرَادَ حَقًّا قُبِلَ، وَإِنْ أَرَادَ بَاطِلًا رُدَّ وَإِنِ اشْتَمَلَ كَلَامُهُ عَلَىٰ حَقٍّ وَبَاطِلٍ لَمْ يُقْبَلْ مُطْلَقًا، وَلَمْ يُرَدَّ جَمِيعُ مَعْنَاهُ؛ بَلْ يُوقَفُ اللَّفْظُ وَيُفَسَّرُ الْمَعْنَىٰ، كَمَا تَنَازَعَ النَّاسُ فِي الْجِهَةِ وَالتَّحَيُّزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَلَفْظُ الْجِهَةِ قَدْ يُرَادُ بِهِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ اللهِ؛ فَيَكُونُ مَخْلُوقًا، كَمَا إذَا أُرِيدَ بِالْجِهَةِ نَفْسُ الْعَرْشِ أَوْ نَفْسُ السَّمَوَاتِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ غَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، كَمَا إذَا أُرِيدَ بِالْجِهَةِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِي النَّصِّ إثْبَاتُ لَفْظِ الْجِهَةِ وَلَا نَفْيُهُ، كَمَا فِيهِ إثْبَاتُ الْعُلُوِّ وَالِاسْتِوَاءِ وَالْفَوْقِيَّةِ وَالْعُرُوجِ إلَيْهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ مَا ثَمَّ مَوْجُودٌ إلَّا الْخَالِقَ وَالْمَخْلُوقَ، وَالْخَالِقُ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ؛ وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. فَيُقَالُ لِمَنْ نَفَى الْجِهَةَ: أَتُرِيدُ بِالْجِهَةِ أَنَّهَا شَيْءٌ مَوْجُودٌ مَخْلُوقٌ؟ فَاللهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِي الْمَخْلُوقَاتِ، أَمْ تُرِيدُ بِالْجِهَةِ مَا وَرَاءَ الْعَالَمِ؟ فَلَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَالَمِ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ.

وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِمَنْ قَالَ: اللهُ فِي جِهَةٍ: أَتُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَالَمِ؟ أَوْ تُرِيدُ بِهِ أَنَّ اللهَ دَاخِلٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؟ فَإِنْ أَرَدْتَ الْأَوَّلَ؛ فَهُوَ حَقٌّ، وَإِنْ أَرَدْتَ الثَّانِيَ فَهُوَ بَاطِلٌ.

وَكَذَلِكَ لَفْظُ التَّحَيُّزِ: إنْ أَرَادَ بِهِ: أَنَّ اللهَ تَحُوزُهُ الْمَخْلُوقَاتُ؛ فَاللهُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ؛ بَلْ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ =

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧]. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟!»، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «وَإِنَّهُ لَيَدْحُوهَا كَمَا يَدْحُو الصِّبْيَانُ بِالْكُرَةِ»، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»، وَإِنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ مُنْحَازٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ أَيْ مُبَايِنٌ لَهَا مُنْفَصِلٌ عَنْهَا، لَيْسَ حَالًّا فِيهَا؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا قَالَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ: فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ».

وقال العلامة صالح آل الشيخ في شرح الطحاوية (٢/ ٥٥)، عن قول الطحاوي: «وَتَعَالَىٰ عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ»: «عند الاختيار لا نقول هذا الكلام: تعالىٰ ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء، ونحو ذلك. وذلك أنَّ هذه الألفاظ فيها مخالفة من أوجه:

الوجه الأول: أنَّ هذا نفي مُفَصَّل، وهو مخالف لطريقة أهل السنة؛ لأنَّ طريقتهم مأخوذة من قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فنَفَىٰ مُجْمَلًا، وأثْبَتَ مُفَصَّلًا.

الوجه الثاني: أنَّ هذه الكلمات لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، والذي لم يَرِد لا يَحسُن أن ننفيه ولا أن نُثْبِتَه؛ لأنَّ طريقتنا هي اقتفاء الكتاب والسنة.

فلفظ الحد والغاية والركن والأعضاء والأدوات والجهات؛ كل هذه ما جاءت في القرآن ولا في السنة؛ فلذلك لا نثبتها ولا ننفيها.

وليس معنىٰ النفي أنَّهَا مُحْتَمِلَة، فإذا قال أهل السنة: (لا ننفيها). لا يُفهم منه أنَّ معناه أنها محتملة، لا؛ ولكن لا ننفيها لأننا لا نتجاوز القرآن والحديث، هذا أمر غيبي، كيف نتجاسر عليه بدون دليل؟!

فلذلك نقول: لا نُثْبِت إلا بدليل، ولا ننفي إلا بدليل.

فإذًا استعمال هذه الألفاظ لا يسوغ، والمؤلف يُؤَاخَذ في استعماله هذه الألفاظ؛ لأنها من الألفاظ

وعليُّ القدر وعليُّ القهر، وكل هذه الصفات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو متَّصف بها، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته فوق عرشه؛ كما صرح بذلك علماء أهل السنة؛ ومنهم ابن أبي زيد القيرواني في «مقدمة رسالته»؛ فإنَّه قال: «فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ»(١)؛ لكن كيفيَّة استوائِهِ علىٰ عرشه لا يُبحث عنها، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا سأله سائل: كيف استوىٰ؟ قال: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ»(٢). فالاستواء معلوم؛ لأن الناس خوطبوا بكلام

=

التي لم ترد في الكتاب والسنة.

الحد والغاية متقاربان؛ في أن يكون له حد ينتهي إليه اتصافه بالصفة».

ونقل الشيخ الألباني في تعليقه علىٰ هذا الموضع أيضًا من الطحاوية (ص ٤٥) كلام الشيخ محمد بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكن هذه الكلمات مجملة مبهمة، وليست من الألفاظ المتعارفة عند أهل السنة والجماعة، والرد عليهم بنصوص الكتاب والسنة أحق وأولىٰ من ذكر ألفاظ توهم خلاف الصواب؛ ففي قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]؛ رد علىٰ المشبهة والمعطلة؛ فلا ينبغي لطالب الحق الالتفات إلىٰ مثل هذه الألفاظ ولا التعويل عليها؛ فإن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت العظمة والجلال؛ فهو سبحانه فوق مخلوقاته، مستو علىٰ عرشه المجيد بذاته، بائن من خلقه، ينزل كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، ويأتي يوم القيامة، وكل ذلك علىٰ حقيقته، ولا نؤوله؛ كما لا نؤول اليد بالقدرة والنزول بنزول أمره، وغير ذلك من الصفات، بل نثبت ذلك إثبات وجود لا إثبات تكييف. وما كان أغنىٰ الإمام المصنف عن مثل هذه الكلمات المجملة الموهمة المخترعة!».

(١) انظر: «قطف الجنىٰ الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني» (ص ٤٤).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد علىٰ الجهمية (رقم ١٠٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)،

=

يفهمونه، والاستواء معروف أنه العلو والارتفاع، ولهذا فسَّروه بالعلو والارتفاع، فمعنىٰ: أن الله استوىٰ علىٰ عرشه؛ أنه ارتفع عليه وعلا عليه، لكن كيفية هذا هي التي لا تعلم، ولهذا فإن أهل السنة يعتقدون التفويض في الكيف دون التفويض في المعنىٰ.

بخلاف المبتدعة؛ الذين هم إمَّا مفوِّضة يقولون: الله أعلم بمراده بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. فلا يعرفون معناها، ومعنىٰ ذلك: أن الناس خوطبوا بكلام لا يفهمون معناه. وإما مؤولة.

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ فهموا معنىٰ ما خوطبوا به؛ ولم يسألوا عن المعنىٰ؛ لأنهم عارفون بالمعنىٰ، ولكن السؤال عن الكيفية هو الذي لا يجوز.

❁ كثرة الأدلة الدالة على ثبوت الاستواء:

وهذا الحديث «حديث الأوعال»؛ فيه رجل ضعيف، فهو حديث ضعيف؛ ولكن الأمر الذي أورده أبو داود من أجله وهو الرد علىٰ الجهميَّة فيما يتعلَّق بعلوِّ الله عَزَّوَجَلَّ وفوقيَّته؛ ثابت بالآيات الكثيرة، والأحاديث المتواترة المتنوعة التي جاءت بالألفاظ المتنوِّعة والصيغ المختلفة. وذُكِرَ استواء الله علىٰ العرش في سبع آيات من كتاب الله[1].

= واللالكائي (رقم ٦٦٤)، وغيرهم.

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ =

وفي ذلك ردٌّ على الجهمية الذين يقولون: إن الله ليس فوق العرش. ويقولون: إنه في كلِّ مكان. أو يقولون: إنه لا داخل العالم ولا خارج العالم.

❁ مناقشة ما نقله المحشي على «سنن أبي داود» عن الكوثري:

وقال في الحاشية: «ولقد كتب الشيخ زاهد الكوثري[1] في مقالاته مقالة باسم (الصورة والأوعال)، ونقل عن ابن العربي قوله: أمور تلقفت عن أهل الكتاب، ليس لها أصل في الصحَّة».

قُلْتُ: أما حديث الأوعال فلم يثبت، ولكن ما يتعلق بعلو الله عَزَّوَجَلَّ واستوائه على عرشه؛ قد أثبته أهل السنة والجماعة وتأوَّله من تأوله من المبتدعة، وزاهد الكوثري هو من هؤلاء المبتدعة الذين انحرفوا عن الجادَّة وعن الصراط المستقيم، وعنده كلام كثير في النيل من أهل السنة ولمزهم والتعرُّض لهم، فهو فيما يتعلق بالعقيدة منحرفٌ، وليس من أهل السنة والجماعة، بل هو من أَلَدِّ أعداء أهل السنَّة والجماعة.

قَوْلُهُ: (كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ)؛ في مكَّة، والبطحاء: هي المحصب، وهو مسيل واد فيه دقاق الحصباء؛ فقيل له: المحصب.

=

[الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣، والرعد: ٢، والفرقان: ٥٩، والسجدة: ٤، والحديد: ٤].

(١) محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الحنفي، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١. ترجمته في: الأعلام (٦/ ١٢٩)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٤).

قَوْلُهُ: (فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟»، قَالُوا: السَّحَابَ. قَالَ: «وَالْمُزْنَ»، قَالُوا: وَالْمُزْنَ. قَالَ: «وَالْعَنَانَ»، قَالُوا: وَالْعَنَانَ)؛ هذه كلها أسماء للسحاب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾، [الواقعة: ٦٩]، وقال: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤](١).

قَالَ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟»؛ بعد ما بين السماء والأرض التي فيها ذلك السحاب، فالسحاب يكون في هذا العلو الذي بين السماء والأرض؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً»؛ يعني مسيرة ذلك؛ أي: أن المسافة بعيدة وشاسعة تقطع في هذه السنين.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ؛ حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ)؛ يعني: أن ما بين كل سماء إلىٰ سماء مثل هذا المقدار.

---

(١) وأما ما جاء فيه ذكر العنان: فمنه ما أخرجه البخاري (٣٢١٠)؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ المَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ - وَهُوَ السَّحَابُ -، فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَىٰ الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»، قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٣٠٩): «وَقَوْلُهُ: «الْعَنَانُ»؛ هُوَ السَّحَابُ وَزْنًا وَمَعْنًى، وَوَاحِدُهُ: عَنَانَةٌ؛ كَسَحَابَةٍ كَذَلِكَ، وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ السَّحَابُ»؛ مِنْ تَفْسِيرِ بَعْضِ الرُّوَاةِ أَدْرَجَهُ فِي الْخَبَرِ».

قَوْلُهُ: «ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ»(١)؛ وهي: من الحيوانات المتوحشة مما تكون في البر، وهو من الصيد، «بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ»؛ يعني مسيرة إحدىٰ وسبعين أو ثنتين وسبعين أو ثلاث وسبعين سنة؛ إذا كان هذا ما بيْن الأظْلافِ إلىٰ الرُّكب، فما بالك بما وراء ذلك؟!

وذكر الأوعَال فيه غرابة؛ فهذه الهيئة تخالف هيئة الملائكة؛ فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنهم جعلهم ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١]، وجبريل له ستمائة جناح(٢).

والحديث ضعيف، فما انفرد به ولم يأتِ في غيره؛ فلا يعوَّل عليه(٣).

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن الصباح البزاز)؛ هو ثقة، أخرج له أصحاب

(١) الأَوْعَال: جَمْعُ وَعْلٍ، وَهُوَ الْعَنْزُ الْوَحْشِيُّ، وَيُقَالُ لَهُ: تَيْسُ شَاةِ الْجَبَلِ. وَالْمُرَادُ مَلَائِكَةٌ عَلَىٰ صُورَةِ الْأَوْعَالِ. انظر: عون المعبود (٦/١٣)، وحاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (١/ ٨٤)، وتحفة الأحوذي (٩/ ١٦٥).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (٢٨٠/ ١٧٤)، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) قال الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) في «العلو» (ص:٤٥)؛ تعليقًا علىٰ حديث أطيط العرش - وهو التالي في السنن -: «وَقَوْلنَا فِي هَذِه الْأَحَادِيث: إننا نؤمن بِمَا صَحَّ مِنْهَا، وَبِمَا اتّفق السّلف علىٰ إمراره وَإِقْرَاره، فَأَما مَا فِي إِسْنَاده مقَال وَاخْتلف الْعلمَاء فِي قبُوله وتأويله؛ فَإنَّا لَا نتعرض لَهُ بتقرير، بل نَرْوِيه فِي الْجُمْلَة، ونبين حَاله، وَهَذَا الحَدِيث إِنَّمَا سقناه لما فِيهِ مِمَّا تَوَاتر من علو الله تَعَالَىٰ فَوق عَرْشه مِمَّا يُوَافق آيَات الْكتاب».

الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا الوليد بن أبي ثور)؛ وهو ضعيف، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (عن سماك)؛ هو ابن حرب، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن عميرة)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (عن الأحنف بن قيس)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن العباس بن عبد المطلب)؛ عم رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستَّة.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى:

٤٧٢٤- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَا: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ سِمَاكٍ، بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاهُ[١].

الشَّرح

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا أحمد بن أبي سريج)؛ هو أحمد بن الصباح بن أبي

---

(١) ضعيف: انظر تخريج الحديث السابق من السنن.

سريج، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد)؛ ثقة، أخرج له البخاري في «جزء القراءة»، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (ومحمد بن سعيد)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (عن عمرو بن أبي قيس)؛ وهو صدوق له أوهام، أخرج حديثه البخاري تعليقًا، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن سماك)؛ مر ذكره.

قَوْلُهُ: (بإسناده)؛ وفيه عبد الله بن عميرة، وهو مقبول.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٢٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ سِمَاكٍ بِإِسْنَادِهِ، وَمَعْنَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ.

الشَّرح

ثم ذكر حديث الأوعال بإسناد ثالث، وأحال علىٰ الإسناد الأول، وأنه بإسناده ومعناه، وكله عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن حفص**)؛ أحمد بن حفص بن عبد الله، وهو صدوق، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثني أبي**)؛ هو حفص بن عبد الله، وهو صدوق، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا إبراهيم بن طهمان**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن سماك**)؛ قد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٧٢٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَىٰ بْنُ حَمَّادٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الرِّبَاطِيُّ؛ قَالُوا: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ - قَالَ أَحْمَدُ: كَتَبْنَاهُ مِنْ نُسْخَتِهِ. وَهَذَا لَفْظُهُ -، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا؛ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَىٰ اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟»، وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،

فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَىٰ سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا - وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ -، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»(١).

قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ عَبْدُ الْأَعْلَىٰ وَابْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ: عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

وَالْحَدِيثُ بِإِسْنَادِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ هُوَ الصَّحِيحُ، وَافَقَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ؛ مِنْهُمْ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، كَمَا قَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا.

وَكَانَ سَمَاعُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، وَابْنِ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنِ بَشَّارٍ، مِنْ نُسْخَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا بَلَغَنِي.

الشَّرح

الاستشفاع يكون من المخلوق؛ حيث يُطلب منه أن يشفع، مثلما يشفع

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني (٢/ ١٢٨، رقم ١٥٤٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (٨٨٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٧٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (٢٦٣٩).

النبي ﷺ في الحياة الدنيا؛ بأن يُطلب منه الدعاء، فيدعو ويجيب الله دعوته، وفي الآخرة تطلب منه الشفاعة عندما يكون النَّاس في الموقف؛ فيشفع، وكذلك يشفع في خروج أقوام من النار، وشفاعة رسول الله ﷺ أنواع متعددة.

الحاصل: أنَّ الشفاعة تكون من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، أما أن يشفع الأعلىٰ عند الأدنىٰ فلا، والقول بأن الله عَزَّوَجَلَّ يُستشفع به علىٰ خلقه؛ هذا قول خطير وأمر عظيم، والعكس هو الصحيح؛ وهو أنه يستشفع بالمخلوق إلىٰ الخالق، لا بالخالق علىٰ المخلوق(١).

---

(١) قال العلامة صالح آل الشيخ في «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٥٧٦-٥٧٩): ««لا يُسْتَشْفَعُ» : يعني: لا يجعل الله شفيعًا علىٰ الخلق؛ لأنَّ شأن الله جَلَّوَعَلَا أعظم وأجلُّ من أن يُستشفع به، ويجعل واسطة للانتفاع من أحد من الخلق، فالشفاعة المعروفة: أن تأتي إلىٰ أحدٍ، وتطلب أن يكون شفيعًا عند آخر؛ لأنَّ ذلك الآخر هو الذي يملك ما تريد والنفع عنده، وهذا يكون واسطة، ولا يستطيع أن ينفعك هو بنفسه إلا بأن يتوسَّط؛ والله جَلَّجَلَالُهُ لا يجوز أنْ يُظَنَّ به ذلك الظن؛ لأنه ظن سوء بالله جَلَّجَلَالُهُ. فالاستشفاع بالله علىٰ الخلق؛ يعني: أن يجعل الله واسطة؛ يتوسط العبد بربه علىٰ أحد من الخلق، وهذا منافٍ لكمال التوحيد، وعمل وقول من الأقوال المنافية لتعظيم الله جَلَّوَعَلَا التعظيمَ الواجب؛ ولهذا ذكر الشيخ [يعني: الشيخ محمد بن عبد الوهاب] رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث جبير بن مطعم، والشاهد منه: قول الأعرابي للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فإنَّا نستشْفِعُ باللهِ عَلَيكَ وَبِكَ عَلَىٰ اللهِ»؛ يعني: نستشفع بالله؛ نجعل الله جَلَّوَعَلَا واسطةً يتوسط لنا عندك حتىٰ تدعو، والله جَلَّوَعَلَا هو الملك الحي القيوم، الملك الحقُّ المبين، نواصي العباد بيديه، يصرفها كيف يشاء؛ فشأن الله
=

ولهذا سبَّح النبي ﷺ مستعظمًا ومتعجبًا، وقال: «شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ».

ثم ذكر أنه فوق عرشه، وأن عرشه فوق سمواته، وقال: «وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»؛ والرحل: هو الكُورُ[1] الذي يجعل علىٰ البعير ويركب عليه الراكب، وإذا كان الراكب ثقيلًا؛ فإنه يصير له صوت من ثقل الراكب عليه.

أعظم من أن يستشفع به علىٰ أحد من خلقه، بل الرجل أو المكلف يستشفع بأحد من الخلق عند مخلوق آخر يحتاجه في شيء، والله جَلَّ وَعَلَا هو الذي يملك الأشياء جميعًا، بيده الملك والملكوت، وهو الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وبيده خزائن كل شيء؛ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، فالعباد هم المحتاجون إلىٰ الله، وشأن الله أعظم من ذلك؛ إذ المخلوق حقير وضيع بالنسبة إلىٰ الرب جَلَّ جَلَالُهُ؛ فلا يصلح أنْ يجعل الله جَلَّ وَعَلَا واسطة عنده حتىٰ يقبل هذه الواسطة، بل شأن الله جَلَّ وَعَلَا أعظم من ذلك؛ ولهذا قال سيد الخلق، وسيد ولد آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رادًّا علىٰ هذا الأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بالله عليك وبك علىٰ الله. فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «سبحان الله، سبحان الله!!» يعني: تنزيهًا، وتعظيمًا لله، وإبعادًا لله عن كل وصف سوء أو شائبة نقص، وعن كل ظنّ سوء به جَلَّ وَعَلَا.

«فما زال يكررها حتىٰ عرف ذلك في وجوه أصحابه»: من شدة تسبيحه، وتنزيهه لربه جَلَّ وَعَلَا، وهذا من الغضب لله جَلَّ جَلَالُهُ، فصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، فما كان أعلمه بربه، وما كان أعرفه بربه، ثم قال: «ويحك أتدري ما الله؟! إن شأن الله أعظم من ذلك؛ إنه لا يستشفع بالله علىٰ أحد».

(١) وَهُوَ للْبَعِير كالسَّرج لِلْفَرَسِ. [النهاية (٢/ ٢٠٩)].

وهذا الحديث غير صحيح، وفي إسناده من هو مُتكلَّمٌ فيه، ولكن الشيء الذي ساقه أبو داود من أجله – مثل ما تقدم –؛ أن الله تعالىٰ فوق عرشه؛ قد جاء في آيات كثيرة وأحاديث عديدة عن رسول الله – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه –، والحجة بها دونه، ويكفي ما ورد مما صحَّ عمَّا لم يصح.

يقول الخطابي: «هذا الكلام إذا أجري علىٰ ظاهره؛ كان فيه نوع من الكيفية، والكيفيَّة عن الله وصفاته منفيَّة، فعقل أن ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة، ولا تحديده علىٰ هذه الهيئة، وإنما هو كلام تقريب أُريد به تقرير عظمة الله وجلاله سبحانه، وإنما قُصد به إفهام السائل من حيث يدركه فهمه؛ إذ كان أعرابيًّا جلفًا لا علم له بمعاني ما دقَّ من الكلام، وبما لطف منه عن درك الأفهام، وفي الكلام حذف وإضمار؛ فمعنىٰ قوله: «أَتَدْرِي مَا اللهُ؟»؛ معناه: أتدري ما عظمة الله وجلاله؟»[١][٢].

(١) معالم السنن (٤/ ٣٢٨).

(٢) قال الحافظ شمس الدين الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جِدًّا فَرْدٌ، وَابْنُ إِسْحَاقَ حُجَّةٌ فِي الْمَغَازِي إِذَا أَسْنَدَ، وَلَهُ مَنَاكِيرُ وَعَجَائِبُ، فَاللهُ أَعْلَمُ أَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا أَمْ لَا، وَاللهُ عَزَّوَجَلَّ فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ جَلَّجَلَالُهُ وتقدست أسماؤه، وَلَا إِلَه غيره.

الأطيط الْوَاقِع بِذَات الْعَرْش من جنْس الأَطِيط الْحَاصِل فِي الرَّحْل؛ فَذَاك صفة للرَّحلِ وللْعَرش، ومعاذ اللهِ أن نعُدَّه صفةً لله عَزَّوَجَلَّ، ثمَّ لفظ الأطيط لم يَأْتِ بِهِ نَص ثَابت.

وَقَوْلنَا فِي هَذِه الأَحَادِيث: إننا نؤمن بِمَا صَحَّ مِنْهَا، وَبِمَا اتّفق السّلف علىٰ إمراره وَإِقْرَاره، فَأما مَا =

قُلْتُ: هذا كلام لا حاجة إليه، والحديث كما هو معلوم غير ثابت، وأما كون الله تعالىٰ فوق عرشه؛ فإنه ثابت في الآيات الكثيرة والأحاديث المتواترة.

ونفي الكيفية: المقصود به: نفي علم الناس بالكيفية، وأما وجود الكيفية في نفس الأمر؛ فهناك كيفية؛ الله تعالىٰ يعلمها.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد الأعلىٰ بن حماد)؛ لا بأس به، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (ومحمد بن المثنىٰ)؛ هو أبو موسىٰ الزمن، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو شيخ لأصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (ومحمد بن بشار)؛ هو الملقب بندار، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو شيخ لأصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (وأحمد بن سعيد الرباطي)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه.

قَوْلُهُ: (قالوا: حدثنا وهب بن جرير)؛ وهب بن جرير بن أبي حازم،

= فِي إِسْنَاده مقَال وَاخْتلف الْعلمَاء فِي قبُوله وتأويله؛ فَإِنَّا لَا نتعرض لَهُ بتقرير، بل نَرْوِيه فِي الْجُمْلَة، ونبين حَاله، وَهَذَا الحَدِيث إِنَّمَا سقناه لما فِيهِ مِمَّا تَوَاتر من علو الله تَعَالَىٰ فَوق عَرْشه مِمَّا يُوَافق آيَات الْكتاب»، العلو (ص ٤٤، ٤٥)، ونقل الألباني أوله في الضعيفة (٢/ ٢٥٧).

وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا أبي)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (سمعت محمد بن إسحاق)؛ هو المدني، وهو صدوق، أخرج حديثه البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (يحدث عن يعقوب بن عتبة)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ هو محمد بن جبير، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن جده)؛ وهو جبير بن مطعم النوفلي، صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (وَقَالَ عَبْدُ الأَعْلَىٰ وَابْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ: عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ)؛ ساق أبو داود إسناد الحديث علىٰ لفظ الشيخ الأخير أحمد بن سعيد الرباطي، وفيه أن يعقوب بن عتبة يروي عن جبير بن محمد، وأنه تلميذه، وأما الثلاثة الشيوخ الأول؛ فإنهم أتوا بالواو بدل (عن)؛ فصار جبير بن محمد مع يعقوب بن عتبة يرويان عن محمد بن جبير.

قال أبو داود: (وَالْحَدِيثُ بِإِسْنَادِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ هُوَ الصَّحِيحُ)؛ أي: أن

الصحيح هو ما جاء عن أحمد بن سعيد؛ وهو أن يعقوب بن عتبة يروي عن جبير بن محمد بن جبير، وهي صيغة أداء، وليس فيه (الواو) التي هي صيغة عطف؛ فبينهما صيغة أداء لا صيغة عطف.

وقوله: (هُوَ الصَّحِيحُ)؛ ليس معناه أنه ثابت، ولكن معناه أن التعبير بـ(عن) هو الصحيح.

ثم ذكر ما يؤيد ذلك؛ قال: (وَافَقَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ؛ مِنْهُمْ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، كَمَا قَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا)؛ أي: أن أناسًا آخرين رووه كما رواه أحمد بن سعيد بـ(عن) بدل الواو، بل إن محمد بن إسحاق قد رواه عنه أناس آخرون، كما رواه أحمد بن سعيد الرباطي.

ثم قال: (وَكَانَ سَمَاعُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، وَابْنِ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنِ بَشَّارٍ، مِنْ نُسْخَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا بَلَغَنِي)؛ أي: الذين جاء عندهم ذكر الواو بين يعقوب بن عتبة وبين جبير بن محمد؛ كان سماعهم من نسخة واحدة، ولهذا اتَّفقت روايتهم.

فأيد أبو داود لفظ أحمد بن سعيد بوجوه هي:

أولًا: أن يحيىٰ بن معين وغيره قد وافقوه.

ثانيًا: أن محمد بن إسحاق رواه عنه أناس آخرون، كما رواه أحمد بن سعيد.

ثالثًا: ثم أضاف إلىٰ ذلك: أن رواية الشيوخ المخالفين لأحمد بن سعيد كانت من نسخة واحدة؛ ولهذا اتفقت روايتهم.

۞ ۞ ۞

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٢٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ؛ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»[1].

الشرح

أورد أبو داود هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ؛ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»؛ والرسول ﷺ إذا قال: «**أُذِنَ لِي**»؛ فالآذن له هو الله، كما أنه إذا قال: أُمرت ونُهيت. فالآمر والناهي هو الله. وأمَّا الصحابة إذا قالوا: أُمرنا بكذا ونهينا عن كذا. فالآمر والناهي لهم رسول الله ﷺ.

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ١٩٩، رقم ١٧٠٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٤٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم ٨٤٦)، وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٥١)، وصحيح الجامع رقم (٨٥٣).

قَوْلُهُ: «إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ؛ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»؛ فإذا كان هذا ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه؛ فكيف ببقية جسمه؟! أي: فهو علىٰ ضخامة عظيمة لا يعلم كُنْهها[1] وقدرها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وساق الحديث هنا؛ لأنه فيه إثبات العرش.

والآيات والأحاديث تدلُّ علىٰ علوِّ الله علىٰ خلقه، وأنَّه فوقَ عرْشه.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (عن موسىٰ بن عقبة)؛ هو المدني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن محمد بن المنكدر)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن جابر بن عبد الله)؛ هو الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، صحابي جليل، وهو أحد الصحابة السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبيِّ ﷺ.

۞ ۞ ۞

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ**:**

٤٧٢٨- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ النَّسَائِيُّ؛ الْمَعْنَىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ -يَعْنِي: ابْنَ عِمْرَانَ-، حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ

(١) الكُنْهُ: جَوْهَر الشَّيْء وَحَقِيقَته وغايته ونهايته، يُقَال: بلغت كنه هَذَا الْأَمر. انظر القاموس المحيط (ص ١٢٥٢)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٠٢)، مادة (ك ن هـ).

يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]؛ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ»[1].

قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؛ يَعْنِي: أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: (وَوَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ) ليس في ذلك تشبيه، وإنما هو بيان للسمع والبصر، وأن الله تعالىٰ سميع بصير.

۞ إثبات السمع والبصر لله مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقين:

ومعلوم: أن الله عَزَّوَجَلَّ له سمع وبصر، لا كالأسماع والأبصار،

(١) صحيح علىٰ شرط مسلم: أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٩٧)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٩٨، رقم ٢٦٥)، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٣٢، رقم ٩٣٣٤)، والحاكم (١/ ٥٧، رقم ٦٣)، وصححه الألباني علىٰ شرط مسلم في «قصة المسيح الدجال» (ص: ٦٤)، وكذلك الحاكم والذهبي.

وللمخلوقين أسماعًا وأبصارًا معروفة مشاهدة معاينة، وما يضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من السمع والبصر يختلف عمَّا يضاف إلىٰ المخلوقين من السمع والبصر، وإنما فعل الرسول ﷺ ذلك ليبيِّن إثبات السمع والبصر لله تعالىٰ، وليس في ذلك شيء سوىٰ هذا؛ ولهذا قال في آخره نقلًا عن المقرئ: (إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؛ يَعْنِي: أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا). ثم قَالَ أَبُو دَاوُدَ: (وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ)؛ أي الذين ينفون صفتي السمع والبصر عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والله عَزَّوَجَلَّ جمع بين إثبات السمع والبصر وتنزيهه عن المشابهة، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]؛ فأثبت السمع والبصر ونفىٰ المشابهة.

فالتشبيه: أن يقول الإنسان: لله سمع كسمعي وبصر كبصري.

وأما أن يقول: سمع لا كالأسماع وبصر لا كالأبصار. فهذا ليس فيه تشبيه.

۞ كلام صاحب «عون المعبود» في شرح حديث وضع النبي أصبعيه على عينه وأذنه:

ذكر صاحب «عون المعبود» في شرح هذا الحديث كلامًا نفيسًا، نقل فيه كلامًا للخطابي، ثم رده وبين فساده، ونقل كلامًا عظيمًا عن الحافظ ابن حجر يتعلَّق بالصفات وطريقة السلف ومنهجهم في ذلك؛ فقال:

«قَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ فِي «مَعَالِمِ السُّنَنِ»[1]: «وَضْعُهُ إِصْبَعَيْهِ عَلَىٰ أُذُنِهِ

(١) (٤/ ٣٣٠).

وَعَيْنِهِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]؛ مَعْنَاهُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا إِثْبَاتُ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ؛ لِأَنَّهُمَا جَارِحَتَانِ، والله سبحانه مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِهِ مَنْفِيًّا عَنْهُ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْآدَمِيِّينَ وَنُعُوتِهِمْ، لَيْسَ بِذِي جَوَارِحَ وَلَا بِذِي أَجْزَاءٍ وَأَبْعَاضٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]». انتهى.

وَرَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ: قَوْلُهُ: «لَا إِثْبَاتُ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ...» إِلَخْ؛ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، وَأَهْلُ التَّحْقِيقِ يَصِفُونَ اللهَ تَعَالَىٰ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَلَا يَبْتَدِعُونَ لِلَّهِ وَصْفًا لَمْ يَرِدْ بِهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]».

قُلْتُ: فهذه الآيات فيها إثبات العين لله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك ورد في السنَّة في حديث الدجال: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[١]، وأما الأُذن فلم يرد فيها إثبات ولا نفي؛ فلا يجوز التكلم فيها لا إثباتًا ولا نفيًا؛ لأن هذا شيء غير معلوم ولم يأتِ به نصٌّ.

ومعلوم: أن صفات الله عَزَّوَجَلَّ وما يضاف إليه هو من علم الغيب، ولا يُتكلَّم في الغيب إلا عن طريق الوحي، والله تعالىٰ أعلم بذاته وصفاته؛ فلا يضاف إليه شيء لم يرد، ولا ينفىٰ عنه شيء لا يعلم عنه هل هو متصف به

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (١٠١/ ٢٩٣٣)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبخاري (٤٤٠٢)، ومسلم (١٠٠/ ١٦٩)، عن ابن عمر، وجاء عن عدة من الصحابة.

أو غير متَّصف به؛ لأن الله تعالىٰ بيَّن من صفاته ما بين وسكت عما سكت عنه.

«وَقَوْلُهُ: «لَيْسَ بِذِي جَوَارِحَ وَلَا بِذِي أَجْزَاءٍ وَأَبْعَاضٍ»؛ كَلَامٌ مُبْتَدَعٌ مُخْتَرَعٌ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ لَا نَفْيًا وَلَا إِثْبَاتًا، بَلْ يَصِفُونَ اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَيَسْكُتُونَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ، وَلَا يُشَبِّهُونَ اللهَ بِخَلْقِهِ؛ فَمَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا».

قُلْتُ: والجهمية لا يتصورون الإثبات إلا مع التشبيه؛ ولهذا قال ابن عبد البر في «التمهيد»: «يَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُشَبِّهٌ، وَهُمْ عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ»[(١)]؛ أي: أن الذين يثبتون الصفات يقولون عن المشبهة: أنهم نافون للمعبود؛ أي: يقولون: لا وجود له. لأنهم ما داموا نفوا عنه الصفات؛ فإنه لا يتصور وجود ذات مجردة عن جميع الصفات.

ولهذا قال بعض أهل العلم: (المعطِّل يعبد عدمًا)؛ يعني لا وجود لمعبوده. والذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ نقل كلام ابن عبد البر من «التمهيد» في كتاب «العلو»[(٢)]، وقال: «قلتُ: صدق وَالله؛ فَإِن من تَأَول سَائِر الصِّفَات وَحمل مَا ورد مِنْهَا علىٰ مجَاز الْكَلَام؛ أَدَّاهُ ذَلِك السَّلب إِلَىٰ تَعطِيل الرب، وَأَن يشابه الْمَعْدُوم؛ كَمَا نقل عَن حَمَّاد بن زيد أَنه قَالَ: «مثل الْجَهمِية كقوم

(١) (٧/ ١٤٥).

(٢)(ص: ٢٥٠).

قَالُوا: فِي دَارِنَا نَخْلَة. قيل: لَهَا سَعَفٌ[١]؟ قَالُوا: لَا. قيل: فلهَا كَرَب[٢]؟ قَالُوا: لَا. قيل: لَهَا رطب وقنو[٣]؟ قَالُوا: لَا. قيل: فلهَا سَاق؟ قَالُوا: لَا. قيل: فَمَا فِي داركم نَخْلَة»[٤] اهـ.

«وَإِثْبَاتُ صِفَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلَّهِ حَقٌّ؛ كَمَا قَرَّرَهُ الشَّيْخُ». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

قُلْتُ: مَا قَالَهُ هُوَ الْحَقُّ، وَمَا قَالَ الْخَطَّابِيُّ؛ فَهُوَ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُطَالِعَ كِتَابَ «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» لِلْبَيْهَقِيِّ، وَ«إِعْلَامَ الْمُوَقِّعِينَ»، وَ«اجْتِمَاعَ الْجُيُوشِ»، وَ«الْكَافِيَةَ الشَّافِيَةَ»، وَ«الصَّوَاعِقَ الْمُرْسَلَةَ» وَ«تَهْذِيبَ السُّنَنِ»؛ كُلَّهَا لِابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكِتَابَ «الْعُلُوِّ»

(١) هُوَ جَرِيدُ النَّخِيل. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٦٨)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٣١)، مادة (س ع ف).

(٢) هُوَ أُصُلُ السَّعَف، وجمعه: أكراب. انظر: النهاية (٤/ ١٦١)، والقاموس المحيط (١/ ١٣٠).

(٣) هو العِذْق بِمَا فِيهِ مِنَ الرُّطَب، وجمعه: أقناء وقنوان. انظر: النهاية (٤/ ١١٦)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٦٤).

(٤) وتمامه: «قلت: كَذَلِك هَؤُلَاءِ النفاة قَالُوا: إلهنا الله تَعَالَىٰ، وَهُوَ لَا فِي زَمَان وَلَا فِي مَكَان، وَلَا يرىٰ وَلَا يسمع وَلَا يبصر وَلَا يتَكَلَّم، وَلَا يرضىٰ وَلَا يغْضب وَلَا يُرِيد، وَلَا... وَلَا... وَقَالُوا: سُبْحَانَ المنزه عَن الصِّفَات. بل نقُول: سُبْحَانَ الله الْعلي الْعَظِيم السَّمِيع الْبَصِير المريد، الَّذِي كلم مُوسَىٰ تكليمًا وَاتخذ إِبْرَاهِيم خَلِيلًا، وَيُرىٰ فِي الْآخِرَة، المتصف بِمَا وصف بِهِ نَفسه وَوَصفه بِهِ رسله، المنزه عَن سمات المخلوقين وَعَن جحد الجاحدين، لَيْسَ كمثله شَيْء وَهُوَ السَّمِيع الْبَصِير».

لِلذَّهَبِيِّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ.

❁ **فائدة: قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»(١):**

«أَخْرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ»(٢) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ؛ أَنَّهَا قَالَتْ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ»(٣)، وَمِنْ طَرِيقِ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ أَنَّهُ سُئِلَ: كَيْفَ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ؟ فَقَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَعَلَىٰ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَىٰ رَسُولِهِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»(٤). وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: «كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ»(٥). وَأَخْرَجَ الثَّعْلَبِيُّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ فَقَالَ: «هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ»(٦). وَأَخْرَجَ

---

(١) هذا العنوان من وضع العظيم آبادي في «عون المعبود».

(٢) زاد بعدها في الفتح: «مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أُمِّهِ».

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٦٦٣)، وابن بطة في الإبانة رقم (١٢٠).

(٤) أخرجه اللالكائي (رقم ٦٦٥).

(٥) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات رقم (٨٦٥)، ولفظه عنده: «كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اللهَ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ - فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا».

(٦) تفسير الثعلبي «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (٤/ ٢٣٩).

الْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ مَالِكٍ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؛ كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ فَأَخَذَتْهُ الرُّحَضَاءُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾؛ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ؟ وَ(كَيْفَ) عَنْهُ مَرْفُوعٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا صَاحِبَ بِدْعَةٍ، أَخْرِجُوهُ»(١)، [وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مَالِكٍ](٢): «وَالْإِقْرَارُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»(٣). وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ قَالَ: «كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وَشَرِيكٌ وَأَبُو عَوَانَةَ؛ لَا يُحَدِّدُونَ وَلَا يُشَبِّهُونَ، وَيَرْوُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَلَا يَقُولُونَ: كَيْفَ؟»(٤)، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهُوَ قَوْلُنَا»(٥)، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «وَعَلَىٰ هَذَا

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (رقم ٨٦٦).

(٢) في الفتح: «وَمِنْ طَرِيقِ يَحْيَىٰ بْنِ يَحْيَىٰ عَنْ مَالِكٍ نَحْوُ الْمَنْقُولِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، لَكِنْ قَالَ فِيهِ».

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (رقم ١٠٤)، واللالكائي (رقم ٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (٨٦٧)، وفي الاعتقاد (ص ١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، وغيرهم، بلفظ: «الْإِيمَانُ» بدل «الإقرار».

(٤) السنن الكبرىٰ رقم (٤٦٥٤)، والأسماء والصفات رقم (٩٠١)، وكلاهما للبيهقي، واللفظ عنده: «لَا يُحِدُّونَ، وَلَا يُشَبِّهُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ، يَرْوُونَ الْحَدِيثَ وَلَا يَقُولُونَ: كَيْفَ؟ وَإِذَا سُئِلُوا أَجَابُوا بِالْأَثَرِ».

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (رقم ٩٠١).

مَضَىٰ أَكَابِرُنَا»[١].

وَأَسْنَدَ اللَّالَكَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ[٢] قَالَ: «اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَبِالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صِفَةِ الرَّبِّ، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَفْسِيرٍ، فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِنْهَا وَقَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ؛ فَقَدْ خَرَجَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ الرَّبَّ بِصِفَةِ لَا شَيْءَ»[٣]».

قُلْتُ: قوله: «ولا تفسير»؛ أي: بلا تفسير الجهمية، الذي نتيجته - كما قال في آخر كلامه - أنه وصف الله بأنه لا شيء؛ أي: ينتهي إلىٰ أنه لا وجود للذَّات؛ لأن الصفات نُفيت عنها؛ فالتفسير الذي ذمَّه محمد بن الحسن هو تفسير الجهمية، وليس بيان المعنىٰ وتوضيحه؛ بأن يقال: (استوىٰ) معناه: ارتفع وعلا؛ الذي هو قول أهل السنَّة.

«وَمِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ[٤]: «سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ وَمَالِكًا وَالثَّوْرِيَّ

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٣٤)، تحت رقم (٩٠١).

(٢) صاحب أبي حنيفة، مات بالري سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة. ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ١٣٥)، والسير (٧/ ٥٥٥)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٥٢٦).

(٣) شرح السنة للالكائي رقم (٧٤٠).

(٤) أبو العباس الدمشقي، الوليد بن مسلم بن السائب، مولىٰ بني أمية، قال الذهبي: كَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ =

وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَةُ؛ فَقَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَت بِلَا كَيفَ»(١)، وَأخرج ابن أَبِي حَاتِمٍ [عَنِ الشَّافِعِيِّ](٢) يَقُولُ: «لِلَّهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ لَا يَسَعُ أَحَدًا رَدُّهَا، وَمَنْ خَالَفَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ، وَأَمَّا قَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ؛ فَإِنَّهُ يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ(٣)؛ فَنُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَنَنْفِي عَنْهُ التَّشْبِيهَ، كَمَا نَفَىٰ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]»(٤).

وَأَسْنَدَ الْبَيْهَقِيُّ [عَنْ أَبِي بَكْرٍ الضّبَعِيِّ(٥)](٦) قَالَ: «مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي

العِلْمِ، ثِقَةً، حَافِظًا لَكِنْ رَدِيْءَ التَّدْلِيسِ؛ ولد سنة ١١٩، وتوفي سنة ١٩٤ أو ١٩٥. ترجمته في: ترتيب المدارك (٣/ ٢١٩)، والسير (٨/ ٥)، وتقريب التهذيب (ص ٥٨٤).

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (رقم ٧٢٠)، وابن بطة في الإبانة (رقم ١٨٣)، واللالكائي في شرح السنة (رقم ٩٣٠)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (رقم ٤٦٥٤)، وفي الأسماء والصفات (رقم ٩٥٥)، وفي الاعتقاد (١/ ١١٨)، وفي لفظ: «بِلَا تَفْسِيرٍ»، وفي آخر: «بِلَا كَيْفِيَّةٍ».

(٢) في «الفتح»: «فِي «مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ» عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ؛ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ».

(٣) زاد بعدها في الفتح: «لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ وَلَا الرُّؤْيَةِ وَالْفِكْرِ».

(٤) أخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص: ١٨١، رقم ٩٣)، والذهبي في السير (٨/ ٢٧٠).

(٥) كذا في الفتح والعون وفي مصادر ترجمته: الصِّبَغِيّ؛ وهو أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ، أبو بكر النيسابوري الشافعي، المعروف بالصِّبَغِي، المفتي الفقيه المحدث؛ ولد سنة ٢٥٨، وتوفي ٣٤٢. [انظر ترجمته في: السير (١٢/ ٧٢)، وطبقات السبكي (٣/ ٩)، والوافي بالوفيات (٦/ ١٥٠)].

(٦) في فتح الباري: «وَأَسْنَدَ الْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: «كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، فَتَفْسِيرُهُ تِلَاوَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ»(*)، وَمِنِ

قَوْله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؛ قَالَ: «بِلَا كَيْفٍ، وَالْآثَارُ فِيهِ عَنِ السَّلَفِ كَثِيرَةٌ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»(١)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ» عَقِبَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي النُّزُولِ(٢): «وَهُوَ عَلَىٰ الْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ. كَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُهُ مِنَ الصِّفَاتِ»(٣)، وَقَالَ فِي (بَابِ فَضْلِ الصَّدَقَةِ): «قَدْ ثَبَتَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ فَنُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نَتَوَهَّمُ، وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ. كَذَا جَاءَ عَنْ مَالك وابن عُيَيْنَة وابن الْمُبَارَكِ؛ أَنَّهُمْ أَمَرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ. وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرُوهَا وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهٌ. وَقَالَ =

طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ الضُّبَعِيِّ».

(*) الأسماء والصفات للبيهقي رقم (٨٦٩)، وأحمد بن أبي الحواري: هو أحمد بن عبد الله بن ميمون، أبو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي، كوفي الأصل، ثقة عابد؛ ولد سنة ١٦٤، وتوفي سنة ٢٤٦. ترجمته في: السير (٩/ ٤٧٤)، والتقريب (ص ٨١)، وخلاصة تهذيب الكمال (ص ٨).

(١) الأسماء والصفات (رقم ٨٧٠)، ولفظه: «بِلَا كَيْفٍ، وَالْآثَارُ عَنِ السَّلَفِ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرَةٌ» وَعَلَىٰ هَذِهِ الطَّرِيقِ يَدُلُّ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِلَيْهَا ذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَجَلِيُّ. وَمِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ».

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٦٨/ ٧٥٨)، ولفظه: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

(٣) لم أجده في سنن الترمذي.

إِسْحَاقُ بن رَاهويه: إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ لَوْ قِيلَ: يَدٌ كَيَدٍ، وَسَمْعٌ كَسَمْعٍ»[1]، وَقَالَ فِي (تَفْسِيرِ الْمَائِدَةِ): «قَالَ الْأَئِمَّةُ: نُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ؛ مِنْهُم: الثَّوْرِيُّ وَمَالكٌ وابن عُيَيْنَة وابنُ الْمُبَارك»[2].

وَقَالَ ابن عَبْدِ الْبَرِّ: «أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ الْإِقْرَارِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يُكَيِّفُوا شَيْئًا مِنْهَا، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ فَقَالُوا: مَنْ أَقَرَّ بِهَا؛ فَهُوَ مُشَبِّهٌ[3]»[4]، وَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ[5] فِي «الرِّسَالَةِ النِّظَامِيَّةِ»: «اخْتَلَفَتْ مَسَالِكُ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الظَّوَاهِرِ؛ فَرَأَىٰ بَعْضُهُمْ تَأْوِيلَهَا وَالْتَزَمَ ذَلِكَ فِي آيِ الْكِتَابِ وَمَا يَصِحُّ مِنَ السُّنَنِ، وَذَهَبَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ إِلَىٰ الِانْكِفَافِ عَنِ التَّأْوِيلِ وَإِجْرَاءِ الظَّوَاهِرِ عَلَىٰ مَوَارِدِهَا، وَتَفْوِيضِ مَعَانِيهَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ...»».

---

(١) سنن الترمذي، تحت الحديث رقم (٦٦٢).

(٢) سنن الترمذي تحت الحديث رقم (٣٠٤٥).

(٣) زاد بعدها في الفتح: «فَسَمَّاهُمْ مَنْ أَقَرَّ بِهَا: مُعَطِّلَةً».

(٤) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (٧/ ١٤٥).

(٥) عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني الشافعي، المعروف بإمام الحرمين، شيخ الشافعية، له تصانيف؛ منها: الورقات، غياث الأمم، العقيدة النظامية؛ ولد سنة ٤١٩ في جوين، وتوفي بنيسابور سنة ٤٧٨، ورجع في آخر أمره إلىٰ عقيدة السلف وندم علىٰ الاشتغال بعلم الكلام. [انظر: السير (١٤/ ١٧)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٦٧)، والوافي بالوفيات (١٩/ ١١٦)، وطبقات السبكي (٥/ ١٦٥)].

قُلْتُ: عبارة إمام الحرمين: «تفويض معانيها إلىٰ الله»؛ غير صحيحة، بل المعاني معلومة، ومعلوم أن السمع غير البصر، والبصر غير الاستواء، والاستواء غير الكلام، وكل هذه المعاني فهمها الصحابة؛ لأنهم خوطبوا بالقرآن وهو بِلُغتهم، ولم يسألوا النبي ﷺ عن تلك المعاني؛ لأنهم قد فهموها؛ فلا يفوِّض المعنىٰ، ولكن يفوض الكيف؛ ولهذا قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم»؛ أي: ليس فيه تفويض، «والكيف مجهول»؛ هذا هو الذي يفوَّض فيه.

«...وَالَّذِي نَرْتَضِيهِ رَأْيًا، وَنَدِينُ اللهَ بِهِ عَقِيدَةً: اتِّبَاعُ سَلَفِ الْأُمَّةِ؛ لِلدَّلِيلِ الْقَاطِعِ عَلَىٰ أَنَّ إِجْمَاعَ الْأُمَّةِ حُجَّةٌ، فَلَوْ كَانَ تَأْوِيل هَذِه الظَّوَاهِر حتمًا؛ لَأَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُمْ بِهِ فَوْقَ اهْتِمَامِهِمْ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ، وَإِذَا انْصَرَمَ عَصْرُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَلَىٰ الْإِضْرَابِ عَنِ التَّأْوِيلِ؛ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْوَجْهَ الْمُتَّبَعَ». انْتَهَىٰ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ النَّقْلُ عَنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الثَّالِثِ، وَهُمْ فُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ؛ كَالثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَمَالِكٍ وَاللَّيْثِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ، وَكَذَا مَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ؛ فَكَيْفَ لَا يُوثَقُ بِمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، وَهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ بِشَهَادَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ؟!»[1] انْتَهَىٰ كَلَامُ الْحَافِظِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. اهـ «من عون المعبود»[2].

قُلْتُ: هذا الكلام الأخير الذي ذكره الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كلام إمام

---

(١) انظر: فتح الباري (٤٠٦-٤٠٨).

(٢) (١٣/ ٢٩-٣٢).

الحرمين كلامٌ عظيم جميل، لو سلم من الأمور الأخرىٰ التي جاءت في كتابه «الفتح» فيما يتعلَّق بالتأويل والتفويض.

❁ مسألة:

ليس لأحد الآن إذا روىٰ هذا الحديث أن يصنع كما صنع رسول الله ﷺ؛ لأنه قد يفعل ذلك من لا يَفهَم، فيترتب علىٰ ذلك المحذور؛ الذي هو التشبيه، أو تصور التشبيه، وإنَّما الإنسان يروي الشيء كما جاءه، ويكفي قراءة الحديث؛ فإنه واضح في تحديد المراد.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا علي بن نصر)؛ هو الجهضمي، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (ومحمد بن يونس النسائي)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا حرملة - يعني: ابن عمران -)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثني أبو يونس سليم بن جبير مولىٰ أبي هريرة)؛ وهو ثقةٌ، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأبو داود والترمذي.

قَوْلُهُ: (سمعت أبا هريرة)؛ وقدْ مرَّ ذكره.

الأسئلة

السؤال: هل صحيح أن الجعد بن درهم يرجع نسبه إلى لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ؟

الجواب: لا أعرف أنه يرجع إليه، ولكن الذي أعرف أنه أخذ عقيدته عن لبيد بن الأعصم، أي أنه أخذ هذا المذهب عن اليهود، وهذا هو الذي ذكره بعض أهل العلم؛ فذكروا سنده وأنَّ أصله من اليهود، ورأيته في كلام شيخ الإسلام[(١)].

❁ ❁ ❁

السؤال: هل المقصود بالمسافة المذكورة بين السموات في الحديث؛ هي التي يقطعها الإنسان برجله أو على الدابة؟

الجواب: الناس كانوا يعرفون سير الدواب، وكان التقدير بذلك في الغالب لا بسير الأقدام؛ لأن الأقدام لا يحصل بها قطع المسافات الشاسعة

---

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٠، ٢١): «وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ بْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ، وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ؛ الْيَهُودِيِّ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ». وانظر الفتوى الحموية له (ص: ٢٣٤، ٢٣٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ٥٤٠)، وذكرا أنه أخذ أيضًا عن الفلاسفة الصابئة من أهل حران أتباع دين النمرود، والكنعانيين الذين أرسل إليهم الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وإنما يكون علىٰ الدواب. وهذه المسافات الشاسعة قطعها الرسول ﷺ في ليلة واحدة ذهابًا وإيابًا حين عرج به إلىٰ السماء - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، حتىٰ وصل إلىٰ ما فوق السموات وكلمه ربه وأوحىٰ إليه وفرض عليه الصلوات الخمس، وهذا يدل علىٰ كمال قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ أقدر رسوله ﷺ بأن رفعه إليه وتجاوزها في ليلة واحدة ذهابًا وإيابًا- صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، وهذا من الأمور الغيبية.

وقد حصل لسليمان بن داود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من التمكين والملك ما لم يحصل لغيره، ولا يكون لأحد من بعده، وذلك أن الله تعالىٰ سخَّر له الريح، وسخر له الجن والإنس والطير، حتىٰ أتي إليه العرش الذي كان في اليمن قبل أن يرتد إليه طرفه وهو بالشام، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٣٩، ٤٠]، وهذا شيء لم يحصل في هذا الزمان الذي ظهر فيه التقدم في الصناعة، ولن يصلوا إلىٰ ذلك أبدًا؛ لأن هذا الذي حصل لسليمان ملك أعطاه الله له ولن يعطيه أحدًا من بعده، وهذا من كمال قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يصح أن يفسر الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] بالجلوس؟

الجواب: الاستواء أكثر ما ورد فيه أنه الارتفاع والعلو، وقد جاء عن السلف أربع كلمات في معناه وهي: علا، وارتفع، وصعد، واستقر. فهذه الأربع الكلمات هي التي جاءت عن السلف، وقد ذكرها ابن القيم في نونيَّته[1]، ولكن أكثر ما جاء عنهم التعبير بـ: علا وارتفع؛ لكن هذا العلو وهذا الارتفاع لا يُعلم كنهه وكيفيته؛ لأنَّ الذات لا تُعلم كيفيتها؛ فكذلك صفاتها لا تعلم كيفيتها، كما يقول بعض العلماء: «الْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ»[2]، فكما أننا نثبت لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فيجب علينا أن نثبت له صفات لا تشبه الصفات؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

---

(١) قال ابن القيم في النونية (ص: ٨٧):

فَلهم عِبَارَات عَلَيْهَا أَربع ... قد حُصِّلتْ للفَارِس الطَّعَّانِ
وَهِي اسْتَقر وَقد علا وَكَذَلِكَ ار ... تفع الَّذِي مَا فِيهِ مِن نكرَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِع ... .

(٢) ذكره غير واحد من أهل العلم؛ فأخرجه الذهبي في «العرش» (٢/ ٤٥٧)، والعلو (ص: ٢٥٣) عن الخطيب البغدادي، وعزاه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٥٧٥) للخطيب والخطابي، وانظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٧)، و(٦/ ٣٥٥)، ولوامع الأنوار (١/ ١٠٢)، وأقاويل الثقات (ص١٣٧).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي الرُّؤْيَةِ

الشَّرح

قَوْلُهُ: (بَابٌ فِي الرُّؤْيَةِ)؛ أي: في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ المؤمنين يرونه بأبصارهم يوم القيامة، والرؤية حقٌّ، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على ثبوت رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة؛ كما نطق بذلك القرآن والسنة المتواترة عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وخالف في ذلك بعض المبتدعة؛ فقالوا: إن الله لا يرىٰ في الدنيا ولا في الآخرة.

❁ الله تعالى لا يُرى في الدنيا:

وأمَّا بالنسبة للدنيا فقد شاء الله عَزَّوَجَلَّ ألا يُرىٰ، وادَّخر للمؤمنين رؤيته في الدار الآخرة؛ لأن رؤيته تكون لأهل الجنة أكمل نعيم؛ فجُعلت في دار النعيم، ولم يجعلها الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا، ولو شاء لفعل، فرؤيته في الدنيا ممكنة ولكنه شاء أن يجعلها في الدار الآخرة، كما أخرج مسلم في «صحيحه»؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا»(١)،

(١) صحيح: أخرجه مسلم رقم (١٦٩)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو يدل علىٰ أن رؤية الله عَزَّوَجَلَّ لا تحصل في الدنيا، وأن الله تعالىٰ شاء ألا يُرىٰ إلا في الآخرة.

❁ **مسألة: هل يرى الخلق ربهم يوم القيامة؟**

اختلف العلماء في الرؤية في العرصات على ثلاثة أقوال:

- **منهم من قال:** إنه في العرصات يراه المؤمنون والكافرون والمنافقون.
- **ومنهم من قال:** يراه المنافقون والمؤمنون دون الكافرين.
- **ومنهم من قال:** يراه المؤمنون دون الكافرين والمنافقين.

وقد ذكرها ابن القيم في «حادي الأرواح»، ورجَّح أن الكل يراه، ولكن هذه الرؤية ليس فيها تنعم، وإنَّما فيها من يتنعم وفيها من يتضرَّر، فهي مثل الكلام؛ فالكلام من الله يكون فيه تنعُّم، ويكون فيه توبيخ وتقريع؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فإن قوله: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ كلام سمعوه، ومع ذلك ما تلذذوا به ولا استفادوا، وإنما أنبوا وقرعوا، وتكليمه للمؤمنين فيه مسرة ولذة؛ فكذلك الرؤية.

❁ **الحكمة من تأخير رؤية الله إلى الآخرة:**

فشاء الله أن تكون رؤيته غيبًا؛ يستعد الموفقون لها بالأعمال الصالحة التي توصلهم إلىٰ ذلك النعيم، للظفر به والحصول عليه؛ كما أن أمور الآخرة قد أخفاها الله عَزَّوَجَلَّ عن الناس ولم يطلعهم عليها ولا علىٰ ما في الجنة من النعيم، ولمَّا صَلَّىٰ النبيُّ ﷺ بالنَّاس صلاةَ الكُسُوفِ؛ قَالُوا: يَا

رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ[(١)]؟. يعني: رجعت القَهْقَرىٰ[(٢)]؛ فالصحابة كانوا وراءه يصلون بصلاته، فرأوا يده الكريمة تمتد ولم يروا الذي مُدَّتْ إليه، ورأوه تكعكع ولم يعرفوا لماذا فعل ذلك، فلما فرغ سألوه؛ قَالَ ﷺ: **«إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ»**[(٣)]؛ فبيَّن فضل الآخرة علىٰ الدنيا، وأنَّ الدنيا ليست شيئًا بالنسبة للآخرة.

وقد شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن تكون أمور الآخرة غيبًا، وألا تكون علانية؛ لأنها لو كانت علانية لم يتميز من يؤمن بالغيب ممَّن لا يؤمن بالغيب.

۞ مسألة: الكلام في رؤية النبي ﷺ لربِّه في الدنيا:

أما بالنِّسبة لنبيِّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد اختلف في رؤيته لربه ليلة المعراج، ولكن القول الصحيح الذي دلَّت عليه الأدلة: أنه لم يره. ويكون داخلًا في قوله ﷺ: **«لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّىٰ يَمُوتَ»**[(٤)]،

---

(١) أَيْ: أَحْجَمْت وتأَخَّرت إِلَىٰ وَراء. انظر: النهاية (٤/ ١٨٠)، والمعجم الوسيط (٧٩٠)؛ مادة (كعكع)، وفي رواية لمسلم: «كَفَفْتَ».

(٢) القهقرىٰ: هُوَ الْمَشْيُ إِلَىٰ خَلْف مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعيد وجْهَه إِلَىٰ جِهة مَشْيه، و(رجَع القَهْقَرَىٰ)؛ أَيْ: رجَع الرُّجوع الَّذِي يُعْرف بِهَذَا الاسم؛ لأنه ضَرْب من الرُّجوع. انظر: النهاية (٤/ ١٢٩)، والقاموس المحيط (ص٤٦٧).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (١٧/ ٩٠٧)، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

فالراجح أن النبي ﷺ لم ير ربه، ولما سئل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هل رأيت ربك؟ ما قال: نعم، رأيت ربي! ولكنه قال: «رَأَيْتُ نُورًا»[١]، وفي رواية أنه قال: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟»[٢]؛ يعني: أنه إنما رأىٰ نور الحجاب الذي قال عنه ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[٣]، فهذه الأَدلَّة تدلُّ علىٰ أنه لم يرَ ربه، ولو كان النبيُّ ﷺ رأىٰ ربَّه لبين ذلك، ولقال: نعم، رأيت ربي.

وجاء في حديث صحيح: أنه ﷺ رأىٰ ربه في المنام[٤]، أما في اليقظة فلا.

❁ الأدلة من القرآن على ثبوت الرؤية:

ومما جاء في القرآن الكريم دالاً على ثبوت الرؤية لله عَزَّوَجَلَّ:

- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، فإن ﴿نَّاضِرَةٌ﴾؛ من النضرة والبهجة والسرور والحبور[٥]، أي: أن وجوههم فيها نضرة وجمال، وفيها إضاءة وإشراق، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٢/ ١٧٨)، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩١/ ١٧٨)، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣/ ١٧٩)، عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩).

(٥) هو السرور. انظر: مختار الصحاح (ص ٦٥)، والقاموس المحيط (ص ٣٧٠)، والمعجم الوسيط (١/ ١٥١).

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، ثم قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، هي من النظر، وهي متعدية بـ(إلىٰ)؛ أي: أنها تنظر إلىٰ ربها، والنظر إذا عدي بـ(إلىٰ)؛ فإنه يكون بالأبصار، وإذا عدي بـ(في)؛ فإنه يكون بالتفكر والاعتبار، كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]؛ أي: يتفكروا ويعتبروا.

- وكذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؛ أي الكفار، قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَمَّا أَنْ حُجِبُوا هَؤُلَاءِ فِي السَّخَطِ؛ كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضَا»(١)؛ لكونه راضيًا عنه فإنهم يرونه، أما أولئك؛ فإنهم محجوبون عن رؤيته؛ لأنَّه ساخط عليهم؛ فهذا النعيم إنما يختص به أولياء الله ويحرم منه أعداء الله.

- وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد جاء في السنة الثابتة أن رسول الله ﷺ فسَّر الحسنىٰ بالجنة، والزيادة بالنظر إلىٰ وجه الله؛ كما في «صحيح مسلم» من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

---

(١) أخرجه اللالكائي (رقم ٨٨٣)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١٣١)، وغيرهما.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٧/ ١٨١)، عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم عَزَّوَجَلَّ»، ثم قال مسلم بعده (٢٩٨/ ١٨١) حدثنا أبو بكر بن أبي

- وكذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ فإن هذه الآية تدلُّ علىٰ أنه يُرىٰ لكنه لا يُحاط به رؤيةً، كما أنه يُعلم ولا يحاط به علمًا، فالناس يعلمون عن الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن لا يحيطون به علمًا، وكذلك المؤمنون يرونه في الآخرة ولا يحيطون به رؤيةً؛ فإذن نفي الإدراك شيء خاصٌّ، وهو قدر زائد علىٰ الرؤية، فـ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: لا تراه رؤية إحاطة، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، فإذا نفىٰ الإدراك الذي هو الإحاطة؛ فإنَّ نفيه لا يستلزم نفي الأعم الذي هو الرؤية، فإن الله تعالىٰ يُرىٰ ولا يدرك.

- ومِنْ أهل العلْم مَن قال: إن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: في الدنيا، فهي لا تدركه في الدنيا، وهذا لا ينفي حصول ذلك في الآخرة.

❁ **مناقشة أدلة منكري الرؤية:**

❁ **استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]:**

وهذه الآية ممَّا يستدل به أهل البدع الذين ينفون الرؤية عن الله مطلقًا في الدنيا والآخرة، وهم المعتزلة والخوارج والجهمية وغيرهم من المبتدعة؛ يقولون: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: لا يُرىٰ. فيستدلون بمثل هذه الآيات، وهذه طريقتهم؛ يأخذون المتشابه، ويتركون المحكم مثل

=

شيبة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]؛ فهذا واضح في إثبات الرؤية.

❁ **استدلالهم بقوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]:**

وكذلك يستدلون بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾. فموسىٰ لما سمع كلام الله اشتاق إلىٰ رؤيته، وطمع فيها فسألها، فقال له الله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾؛ أي: في الدنيا، وموسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما سأل الله أمرًا مستحيلًا لا يُتصوَّر حصوله، وإنَّما سأله أمرًا ممكنًا، ومن المستحيل أن يكون موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعلم أن رؤيته تعالىٰ مستحيلة ثم يسألها، وإنما سأل أمرًا ممكنًا وليس مستحيلًا، ولكن منعه الله ممَّا سأل؛ لكونه عَزَّوَجَلَّ شاء ألا يرىٰ إلا في الدار الآخرة، وأيضًا فأبصار الناس في هذه الحياة الدنيا ليس عندها القدرة أمام تجلي الله عَزَّوَجَلَّ والنظر إليه، ولو أراد عَزَّوَجَلَّ لأعطاهم من القدرة في الدنيا ما يتمكَّنون به من رؤيته؛ ولكنه يعطيهم هذه القدرة في الدار الآخرة.

ثم أيضًا عُلِّق ذلك علىٰ استقرار الجبل مكانه أمام تجلي الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنه اندكَّ؛ قال تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وإذا اندك الجبل مع صلابته وقوته ولم يثبت أمام تجلي الله عَزَّوَجَلَّ؛ فالإنسان الذي هو من لحم ودم وعظام أولىٰ ألا يثبت؛ ولهذا لما حصل للجبل ما حصل؛ خرَّ

موسىٰ صعقًا، ولما أفاق قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾. ولكن هذا في الدنيا؛ لأنه لم يشأ أن يروه في الدنيا، ولو شاء لحصل، فالذي يُقْدِرهم علىٰ ذلك في الآخرة قادر علىٰ أن يُقْدِرهم في الدنيا.

وعلىٰ هذا: فإن الآية لا تدل علىٰ نفي الرؤية عن الله عَزَّوَجَلَّ مطلقًا، وإنما تدل علىٰ النفي في الدنيا. وأمَّا بالنِّسبَةِ للآخرة؛ فهي ثابتة بالآيات الواضِحَة الجليَّة، وبالأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ؛ فقد بَلَغَ عدد الصحابة الذين رووها عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما يقرب من ثلاثين صحابيًّا، وقد أورد ذلك ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «حادي الأرواح»[1]، وذكر أسماء الصحابة أولًا، ثم سرد أحاديثهم.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٢٩- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، وَوَكِيعٌ، وَأَبُو أُسَامَةَ؛ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جُلُوسًا، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»،

(١) (ص ٢٩٦، و٣٣٠).

ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠](١).

الشَّرح

❁ **معنى تشبيه رؤية الله برؤية القمر ليلة البدر:**

ثم أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الأحاديث في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة، فأورد أولًا حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جُلُوسًا، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ)؛ وهي إحدىٰ ليالي الإبدار؛ وهي ليالي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، حيث يكون القمر فيها مستديرًا؛ فالقمر في أول الشهر يكون هلالًا، ثم شيئًا فشيئًا يتَّسع، حتىٰ إذا انتصف الشهر وصل إلىٰ حد الاستدارة، وصار بدرًا منيرًا، ويكون ضوءه شديدًا، وتستمر الإضاءة أكثر الليل.

قال: (فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»)؛ أي: لا تتزاحمون علىٰ رؤيته، فلا يلْتصق بعضكم ببعض وينضم بعضكم إلىٰ بعض؛ ليراه كل أحد، فإنكم كلكم ترونه، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس للمرئي بالمرئي؛ فليس تشبيهًا لله بالقمر، وإنَّما هو تشبيه

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٢١١/٦٣٣)، وكذا أخرجه الترمذي (٢٥٥١)، وابن ماجه (١٧٧)، وأحمد (٤/ ٣٦٠).

لرؤية الله عَزَّوَجَلَّ التي تحصل في الآخرة بهذه الرؤية المحقَّقة التي تحصل لكل أحد منكم، فكما أنَّ الناس كلهم يرون القمر ليلة البدر ولا يتضامون ولا يلتصق بعضهم ببعض؛ فكلٌّ يراه وهو في مكانه بغير تزاحم.

وفي بعض الروايات: «**لا تُضَامُون فِي رُؤْيَتِهِ**»(١)؛ أي: لا يحصل الضيم لأحد منكم بأن لا تحصل له الرؤية؛ فرؤية الله عَزَّوَجَلَّ حاصلة للجميع بلا ضيم، فلا يُضامُ أحد في رؤيته.

❁ فضل صلاتي الفجر والعصر، والحكمة من النص عليهما في حديث الرؤية:

قَوْلُهُ ﷺ: «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»:

ثم إن النبي ﷺ أرشد إلىٰ عمل من الأعمال الصالحة التي هي من أسباب تحصيل الثواب الجزيل، الذي أعلاه وقمَّته النظر إلىٰ وجه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ،

(١) قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٢٧): «قَوْلُهُ: «لا تُضَامُونَ»؛ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ لِلْأَكْثَرِ، وَفِيهِ رِوَايَاتٌ أُخْرَىٰ تَقَدَّمَ بَيَانُهَا فِي بَابِ: الصِّرَاطُ جِسْرُ جَهَنَّمَ؛ مِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ أَبَا الطَّيِّبِ سَهْلَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصُّعْلُوكِيَّ يَقُولُ فِي إِمْلَائِهِ فِي قَوْلِهِ: «لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ؛ مَعْنَاهُ: لَا تَجْتَمِعُونَ لِرُؤْيَتِهِ فِي جِهَةٍ، وَلَا يُضَمُّ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ. وَمَعْنَاهُ بِفَتْحِ التَّاءِ كَذَلِكَ، وَالْأَصْلُ: لَا تَتَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ بِاجْتِمَاعٍ فِي جِهَةٍ. وَبِالتَّخْفِيفِ مِنَ الضَّيْمِ، وَمَعْنَاهُ: لَا تُظْلَمُونَ فِيهِ بِرُؤْيَةِ بَعْضِكُمْ دُونَ بَعْضٍ؛ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ فِي جِهَاتِكُمْ كُلِّهَا».

فقال: «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا»؛ يعني: إن استطعتم ألا يغلبكم أحد، وذلك بأن تكونوا من السابقين المبادرين إلىٰ الإتيان بهاتين الصلاتين: صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها، ومقصوده بذلك: العصر والفجر، وكل الصلوات مطلوبة، ولكن هاتان الصلاتان نصَّ عليهما؛ لأنه يحصل فيهما اجتماع الملائكة الذين يتعاقبون، كما ثبت في الصحيح: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ العَصْرِ وَصَلَاةِ الفَجْرِ»[(١)]؛ فيشهدهما الملائكة الذين يبدءون والذين ينتهون؛ فالذين يأتون يحضرون هاتين الصلاتين، والذين سيصعدون وقد انتهت يحضرونهما أيضًا؛ فتجتمع المجموعتان من الملائكة المتعاقبة في هاتين الصلاتين.

ثم إن هاتين الصلاتين جاء التنصيص عليهما؛ لأنَّ الفجر تكون في آخر الليل، عندما يكون الناس قد طاب لهم الفراش، ولذَّ لهم المنام، لا سيَّما إذا كان ذلك في الشتاء، فيكونون في مكان دافئ، والإنسان الذي يوفقه الله عَزَّوَجَلَّ يترك هذا الذي يعجبُهُ وترتاح إليه نفسه وتطمئن من الدفء، ويسعىٰ إلىٰ الصلاة؛ ليحصِّل الأجر والثواب، ولهذا يقال في أذان الفجر: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ»[(٢)]، أي: الصلاة خير من النوم الذي طاب لكم وارتحتم إليه

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٢١٠/ ٦٣٢)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٠٠)، والنسائي (٦٣٣)، عن أبي محذورة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٤٧٢)، وفي صحيح الجامع رقم (٤٢٠).

واستغرقتم فيه.

والعصر تكون في آخر النهار، أي: وقد تعب الناس وكدحوا في الأعمال، فالذي لا يبالي ولا يهمه شأن الصلاة يمكن أن ينام ويتركها ويغفل عنها.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا عثمان بن أبي شيبة**)؛ ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي، وإلا النسائي فقد أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (**حدثنا جرير**)؛ هو ابن عبد الحميد الضبي الكوفي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**ووكيع**)؛ هو ابن الجراح الرؤاسي الكوفي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**وأبو أسامة**)؛ هو حماد بن أسامة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن إسماعيل بن أبي خالد**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن قيس بن أبي حازم**)؛ وهو ثقة مخضرم، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو الذي قيل عنه: إنه تيسر له أن يروي عن العشرة المبشرين بالجنة أو غالبيتهم.

قَوْلُهُ: (عن جرير بن عبد الله)؛ هو البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُٱللَّهُ:

٤٧٣٠ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ نَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا. قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا. قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»[١].

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث أبي هريرة - وهو مثل الذي قبله -، قَالَ: (قَالَ نَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ**

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (٢٩٩/ ١٨٢)،والترمذي (٢٥٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٧٥).

الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا)؛ يعني: ليس هناك سحاب يمنع من رؤيتها، بل هي واضحة جلية، وذلك في الظهيرة في منتصف النهار.

وقوله: «هَلْ تُضَارُّونَ»؛ يعني: هل يضرُّ بعضكم بعضًا من أجل أن تتمكنوا من رؤيتها، أم أن كلًّا يراها دون أن يكون بحاجة إلىٰ أن يزاحم غيره بحيث يتضرر بعضهم ببعض بسبب الازدحام؟ والمعروف أنهم يرون الشمس إذا لم يكن دونها سحاب بسهولة ويسر، وبدون تعبٍ ومشقة، وبدون مضرة تحصل لأحد؛ لأنها في السماء، وهي آية من آيات الله، وإذا كان هذا في مخلوق من مخلوقات الله؛ فأولىٰ أن يُرىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وهو الخالق لكل شيء ولا يتضرَّر الناس في رؤيته.

قَوْلُهُ: (قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا)؛ فكذلك القول بالنسبة للقمر ليلة البدر إذا لم يكن يحجبه سحاب.

ثم إن النبي ﷺ لما قرر لهم هذا الشيء، وأخبرهم أنه لا يحصل لهم تضار في رؤية الشمس ولا رؤية القمر، أقسم وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»، أي: أن رؤية الله في الآخرة محققة لكم، كما أن رؤيتكم للشمس والقمر في الدنيا محققة.

وهذا - كالحديث الذي قبله - تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس للمرئي بالمرئي؛ لأن الله تعالىٰ لا يشبه شيئًا من خلقه؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهذا من كمال بيانه - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -؛ لأنه مَهَّد لإثبات الرؤية بهذا التمهيد الذي يتضح به الأمر وينجلي؛ فلما سألوه: أَنَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ سألهم: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا. قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا. فلما تقرر لهم أن هذا أمر محقق، قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»؛ أي: إن رؤيتكم لله عَزَّوَجَلَّ أمر محقَّق، كما أن هذا الذي تشاهدونه وتعاينونه أمر محقق، وهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أكمل الناس بيانًا وأفصحهم لسانًا.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا إسحاق بن إسماعيل**)؛ هو الطالقاني، وهو ثقة، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**حدثنا سفيان**)؛ هو ابن عيينة المكي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن سهيل بن أبي صالح**)؛ وهو صدوق، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة، ورواية البخاري عنه مقرونة.

قَوْلُهُ: (**عن أبيه**)؛ هو أبو صالح السمان، وهو ذكوان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صاحب رسول الله ﷺ، وهو أكثر الصحابة حديثًا على الإطلاق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه-.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٣١- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، (ح) وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ؛ الْمَعْنَىٰ، عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعٍ - قَالَ مُوسَىٰ: ابْنِ عُدُسٍ -، عَنْ أَبِي رَزِينٍ - قَالَ مُوسَىٰ: الْعُقَيْلِيِّ - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكُلُّنَا يَرَىٰ رَبَّهُ؟ قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: مُخْلِيًا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: يَا أَبَا رَزِينٍ، أَلَيْس كُلُّكُمْ يَرَىٰ الْقَمَرَ؟» قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: «لَيْلَةَ الْبَدْرِ مُخْلِيًا بِهِ». ثُمَّ اتَّفَقَا: قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَاللهُ أَعْظَمُ»؛ قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: قَالَ: «فَإِنَّمَا هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، فَاللهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ»[(١)].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أبي رزين العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (يَا رَسُولَ اللهِ، أَكُلُّنَا يَرَىٰ رَبَّهُ؟ قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: مُخْلِيًا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ يعني: أن

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (١٨٠)، وأحمد (٤/ ١١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٣٧٤).

هذه الزيادة زادت في رواية عبيد الله بن معاذ - أحد شيخي أبي داود في هذا الحديث -؛ أي: رؤية مستقلة، وليس معنىٰ ذلك أنه لا يشاركه أحد في الرؤية، ولكن يراه كل أحد وهو في موقعه وفي مكانه، كما أنَّ القمر يراه كل أحد وهو في مكانه؛ فيراه وهو خالٍ وحده، ويراه ومعه غيره، وإذا كانوا مع بعض لا يتزاحمون، ويراه المسافر في الفلاة، ويراه الذي يكون نازلًا في البر، والذي يكون في المدن، وكذا في أي مكان؛ لأنه فوق الجميع، فلا يحتاج الأمر إلىٰ زحام ولا اجتماع.

قال: (وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟)؛ والآية: هي العلامة؛ أي: ما علامة هذه الرؤية في خَلْق الله عَزَّوَجَلَّ؟ فطلب آية من آيات الله الكونيَّة؛ وآيات الله نوعان:

- آياتٌ شرعيَّة: آيات القرآن الكريم.
- آياتٌ كونيَّة: مثل الليل والنهار والشمس والقمر.

وهذا السؤال فيه بيان أنه طلب منه أن يوضح له ذلك بمثال من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، ومن آيات الله عَزَّوَجَلَّ الليل والنهار والشمس والقمر؛ فالليل والنهار يحصلان بالشمس، وأشهر السنة تحصل بالقمر، ويستفيد الناس من نور القمر في الليل، ومن ضوء الشمس في النهار؛ فهما من آيات الله عَزَّوَجَلَّ الدالة علىٰ كمال قدرته.

فهو يريد أن يعرف علامة في الخلق، ومثالًا يوضح أن رؤية الله يوم القيامة تتحقق كما يتحقق الشيء الذي يضرب به المثل، فالنبي ﷺ بيَّن ما

يحصل لهم في رؤية القمر، وأنهم كلهم يراه مخليًا به من غير مضرَّة أو تزاحم أو انضمام بعضهم إلىٰ بعض للتمكن من رؤيته، وكذلك تكون رؤية الله يوم القيامة، بل قد قال ما يوضح أنها أولىٰ فقال: «فَاللهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو التبوذكي البصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد**)؛ هو ابن سلمة بن دينار البصري، أخرج له البخاري تعليقًا ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**وحدثنا عبيد الله بن معاذ**)؛ هو عبيد الله بن معاذ بن معاذ العنبري، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبي**)؛ معاذ بن معاذ العنبري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا شعبة**)؛ هو ابن الحجاج الواسطي ثم البصري، وهو ثقة، وصف بأنه أمير المؤمنين في الحديث، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن يعلىٰ بن عطاء**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «جزء القراءة»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن وكيع – قال: موسىٰ: ابن عُدُس –**)؛ مقبول، أخرج له أصحاب السنن.

و(موسىٰ)؛ هو ابن إسماعيل شيخه الأول، والمعنىٰ: أنه نسبه فقال: وكيع بن عدس. وأما عبيد الله بن معاذ فقد قال: (عن وكيع) فقط، ولم ينسبه، فأبو داود لما ذكر رواية الشيخين ذكر الذي نسبه والذي لم ينسبه.

قَوْلُهُ: (عن أبي رزين - قال موسىٰ: العقيلي -)؛ هو لقيط بن صبرة العقيلي، وهو صحابي، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وأصحاب السنن.

وموسىٰ نسب أبا رزين هنا؛ فقال: العقيلي. كما نسب وكيعًا، وأما ابن معاذ فإنه لم ينسبهما.

وهذا فيه بيان دقَّة المحدثين، وأن أحد الرواة إذا حصل منه تميز في شيء؛ فإنهم ينبهون علىٰ ذلك، وهذه زيادة إيضاح وبيان.

❊ ❊ ❊

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ

الشَّرح

أورد أبو داود هذه الترجمة: (بَابٌ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ)، وقد سبق أن أورد قبل ذلك ترجمة (بَابٌ فِي الْجَهْمِيَّةِ)، والموضوع واحد، وقد جاء هذا الباب في نسخة صحيحة - كما ذكر صاحب «عون المعبود» -، وَلَيْسَ فِي سَائِرِ النُّسَخِ، ولكن إذا حذف هذا الباب علىٰ ما هو في أكثر النسخ، فإنَّ الأحاديث التي فيه لا تناسب باب الرؤية، بل هي تتعلق بالردِّ علىٰ الجهمية، قال: «ولعلَّ هذَا مِنْ تَصَرُّفِ النُّسَّاخِ»[1]، يعني: التقديم والتأخير، وإلَّا فإن الترجمة مكررة مع السابقة.

وقد تقدم الكلام علىٰ ما يتعلق بالجهميَّة، وبيان فساد مذهبهم، وكان أغلب ما جاء في ذلك من النصوص يتعلَّق بعلو الله عَزَّوَجَلَّ وفوقيَّته فوق خلقه؛ فإن الجهمية ينكرون صفات الله عَزَّوَجَلَّ ويؤولونها، والحديثان

(١) انظر: العون (١٣/ ٤١).

اللذان أوردهما المصنِّف في هذا الباب يتعلَّقان بموضوع صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وهما مثل ما تقدَّم في الباب قبل السَّابق (بَابٌ فِي الْجَهْمِيَّةِ).

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧٣٢ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ؛ أَنَّ أَبَا أُسَامَةَ، أَخْبَرَهُمْ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ، قَالَ: قَالَ سَالِمٌ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ»، قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ: «بِيَدِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عبد الله بن عمر قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»؛ الطي: ضد البسط، «**ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى**»؛ وهذا فيه إثبات اليد لله عَزَّوَجَلَّ، وإثبات أن لله يدين، فقال: «**بِيَدِهِ**

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤/ ٢٧٨٨)، وابن ماجه (١٩٨).

الْيُمْنَىٰ»، ثم قال بعد ذلك: «بِيَدِهِ الْأُخْرَىٰ»، وقد جاء في القرآن الكريم أن لله يدين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فلله عَزَّوَجَلَّ يدان حقيقيتان، وهما من صفاته الذاتيَّة القائمة بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **والواجب هو الإيمان والتصديق بسائر الصفات علىٰ طريقة واحدة؛ وهي أن يثبت لله عَزَّوَجَلَّ كل ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، من غير تشبيه ومن غير تعطيل، بل هو إثبات مع التنزيه؛ إثبات لا تشبيه معه، وتنزيه لا تعطيل معه**؛ علىٰ حدِّ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فأثبت السمع والبصر في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ونفىٰ المشابهة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، والله تعالىٰ لا يشبه أحدًا من خلقه، وصفاته ثابتة له كما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يجوز نفيها عنه، ولا تحريفها ولا تعطيلها، فالحديث فيه إثبات اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. **والجهمية ينكرون ذلك، ويؤولون كل الصفات الثابتة.**

قَوْلُهُ: «**ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»؛ في ذلك اليوم لا يكون هناك تجبر ولا تكبر؛ لأن ذلك إنما يكون في الدنيا، أما في ذلك اليوم فيكون الجميع خاضعين لله عَزَّوَجَلَّ؛ كما مرَّ قريبًا[1] في قول الله عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) راجع ص (٥٥١).

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]؛ أي: مالك يوم الجزاء والحساب، ونص على ملكه يوم الدين مع أنه مالك كل شيء ومالك الدنيا والآخرة؛ لأن ذلك اليوم هو اليوم الذي يخضع فيه الجميع لرب العالمين، فلا يوجد تكبر ولا تجبر، ولكن ذل وخضوع لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قال هنا: «أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»؛ أي الذين كانوا كذلك في الدنيا.

ثم قال ﷺ: «ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»؛ الملك؛ أي: المالك لكل شيء، والسموات والأرض والدنيا والآخرة كلها ملك الله، والله تعالىٰ هو الخالق وما سواه مخلوق، وهو المتصرِّف في كل شيء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

❁ رجال الإسناد:

قَوۡلُهُۥ: (حدثنا عثمان بن أبي شيبة)؛ مرَّ ذكره.

قَوۡلُهُۥ: (ومحمد بن العلاء)؛ هو ابنُ كُريب أبُو كُريب، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوۡلُهُۥ: (أن أبا أسامة)؛ مر ذكره.

قَوۡلُهُۥ: (أخبرهم عن عمر بن حمزة)؛ ضعيف، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

قَوۡلُهُۥ: (قال سالم)؛ هو ابن عبد الله بن عمر، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين علىٰ أحد الأقوال الثلاثة في السابع منهم،

وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرني عبد الله بن عمر)؛ هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الصحابي الجليل، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

والإسناد فيه ضعيف، ولكن قد جاء من طريق أخرىٰ؛ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ(١)، وقد جاء ذلك في القرآن أيضًا(٢).

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٣٣ - حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»(٣).

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٢٥/ ٢٧٨٨)، و(٢٦/ ٢٧٨٨).

(٢) كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٦٨/ ٧٥٨)، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة رقم (١٣١٥)، والترمذي (٣٤٩٨)، وأحمد (٢/ ٤٨٧).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النزول، وأحاديث النزول متواترة عن رسول الله ﷺ، وهي تدلُّ على علوِّ الله عَزَّ وَجَلَّ، وعلى أنه ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، وأنه ينادي فيقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

والمقصود من إيراد الحديث هنا: ذكر النزول، وهو من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الفعلية؛ لأنه متعلِّق بالمشيئة والإرادة، أما الصفات الذاتية فلا تتعلق بمشيئة ولا إرادة.

❁ الكلام في النزول كالكلام في باقي الصفات:

والنزول كغيره من الصفات يقال فيها: كل ما هو ثابت لله في الكتاب والسنة يجب إثباته على الوجه اللائق بكماله وجلاله، ولا يسأل عن كيفيته؛ لأن الذات لا تُعرف كيفيتها، فلا يعرف كيفية الصفات التي تتصف بها، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أننا نثبت لله ذاتًا لا تشبه الذوات، ولا نسأل عن كيفيتها، فكذلك نثبت له الصفات على الوجه اللائق بكماله وجلاله دون أن نسأل عن الكيفية، ودون أن يحصل تشبيه، ودون أن يحصل تنزيه يؤدي إلى التعطيل، وإنما هو تنزيه مع الإثبات الذي يكون مطابقًا لما جاء في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإذا كانت الذات لا يعلم كُنْهها، فلا يعلم كيفية نزولها، والله عَزَّوَجَلَّ فوق العرش، وينزل كما يليق به، ومعلوم أن المخلوقات لا تحوي الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لا يكون حالًّا في المخلوقات، ولا تكون المخلوقات حالة فيه، وإنما نثبت كل ما جاء في الكتاب والسنَّة على ما يليق بالله، دون أن نبحث عن الكُنْه والكيفية.

ذُكر عن عبد الرحمن بن مهدي[1] أنه قال لشاب عندما سمعه يتكلم في ذات الله وصفاته ويشبهها: صف لي طائرًا بثلاثة أجنحة، كيف رُكِّب الثالث؟ فسكت الشاب. فقال له: كيف بخلقٍ من خلق الله وهو جبريل له ستمائة جناح، كيف رُكِّبت؟ فسكت الشاب؛ فقال ابن مهدي: كيف تتكلَّم في ذات الله؟ قيل: فتاب الشاب من التشبيه! رواه اللالكائي[2]، وهو مثال طيب، فإذا كان هذا في مخلوق من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، جاء وصفه بأن له هذه الأجنحة، ومع ذلك لا يعرف الإنسان كيف ركبت؛ لأنه لا يعرف ذات الملك حتى يعرف اتصافه بتلك الصِّفة، والله عَزَّوَجَلَّ أخفى عن الناس الملائكة وكيفيتهم، وإذا رأوهم فإنَّما يرونهم بصورة البشر، كما جاءوا إلى

---

(١) هو أبو سعيد اللؤلؤي عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، البصري، الحافظ، الإمام، الناقد؛ ولد سنة ١٣٥، ومات سنة ١٩٨. [انظر ترجمته في: السير (٧/ ٥٨٩)، وتاريخ بغداد (١١/ ٥١٢)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٤١)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٩)].

(٢) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٨٥، رقم ٩٣٢)، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في الحلية (٩/ ٨).

إبراهيم وإلىٰ لوط، وجاء جبريل إلىٰ مريم، وجاء إلىٰ نبيِّنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بصورة رجل من أصحابه، وبصورة رجل غير معروف، ورآه النبي ﷺ علىٰ الكيِّفية التي خلقه الله عليها مرتين[١]، وله ستمائة جناح رآه في الأرض وقد سدَّ الأفق، وقد رآه فوق السموات عندما عرج به إلىٰ السماء ﷺ[٢]؛ فإذا كان هذا في مخلوق من مخلوقات الله، فالواجب أن يسكت عن التفكير في كيفية ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا القعنبي**)؛ هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**عن مالك**)؛ هو ابن أنس، إمام دار الهجرة، المحدث الفقيه، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن شهاب**)؛ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ثقة فقيه، وهو من صغار التابعين، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سلمة بن عبد الرحمن**)؛ هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: وقد تقدم.

قَوْلُهُ: (وعن أبي عبد الله الأغر)؛ هو سلمان الأغر، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد مرَّ ذكره.

***

الأسئلة

السؤال: هل تصح تسمية اليد الأخرى لله سبحانه باليسرى أو بالشمال؟

الجواب: جاء في «صحيح مسلم» تسميتها بالشمال، قال: «ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ»[1]؛ وهذا لا يؤثِّر؛ لأن كونها شمالًا قد جاء به الحديث، ولا يعني أن فيها نقصًا عن اليمين، بل الأمر كما قال رسول الله ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[2]؛ أي: كل منهما في غاية الكمال، وليست إحداهما أكمل من الأخرىٰ كما الشأن في المخلوقين؛ حيث تكون اليد اليمنىٰ عندهم أكمل من الأخرىٰ.

❁ ❁ ❁

السؤال: أشكل عليَّ في حديث: «إن الله يطوي السموات يوم القيامة، ويطوي الأرضين»، أين يكون الخلق من الإنس والجن والملائكة في ذلك الوقت؟

الجواب: الله علىٰ كل شيء قدير، فهم حيث شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يكونوا.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥/ ٢٧٨٨)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨/ ١٨٢٧)، عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

السؤال: يقول أهل الأهواء: إذا تحقق النزول إلى سماء الدنيا، كيف يتحقق الاستواء على العرش، فهل العرش سيكون خاليًا؟

الجواب: الله عَزَّوَجَلَّ فوق العرش، فهو مستوٍ على عرشه وفوق خلقه، وذاته لا نعرف كيفيتها، فلا نعرف كيفية استوائه ولا نعرف كيفية نزوله، ولكن لا يقال: إنه بنزوله تحويه السموات. فالله أعظم وأجلُّ من أن يحويه شيء من خلقه، وإذا كانت السموات والأرضون على ضخامتها كالخردلة أمام عظمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلا يقال: إنه يحويه شيء من مخلوقاته. والذات لا يعلم كنهها وصفاتها إلا الله، ولكن كل ما ورد وصح يثبت، ولا يبحث عن الكيفية، ولا يقال: إن العرش يخلو منه إذا نزل. بل الله فوق العرش وينزل.

❁ ❁ ❁

السؤال: إن ثلث الليل الآخر يختلف من مكان إلى مكان، فهل معنى ذلك أن الله يكون دائمًا في نزول؟

الجواب: نعم، ثلث الليل الآخر هو الوقت الذي يتجلى فيه الله عَزَّوَجَلَّ، وينزل فيه ويقول: من يسألني فأجيبه؟ ومعنى ذلك أن ثلث الليل الآخر في أي مكان هو الوقت الذي فيه نزول الله عَزَّوَجَلَّ، ويشرع للإنسان أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يستغفره، ولا يقال: إن هذا النزول لمكان معين، وإن الباقين لا نصيب لهم. لأن كلًّا عنده ليل ونهار، وعنده آخر الليل، ومن استراح في نومه وفي ليله، فإنه يقوم في ثلثه الآخر، وهو الوقت الذي

ينزل الله عَزَّوَجَلَّ فيه، ويقول: من يسألني فأجيبه؟ من يستغفرني فأغفر له؟

❁ ❁ ❁

السؤال: جاء في الحديث: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[1]؛ فهل يعني هذا أن هناك من خلقه من لا يصل إليه هذا البصر؟

الجواب: لا، أبدًا، بل معناه أن كل شيء من خلقه يذهب؛ لأن بصر الله عَزَّوَجَلَّ نافذ في كل شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولكن هذا بيان أن الحجاب من النور لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وليس معنى ذلك أن هناك شيئًا يُحجب عن الله، وأنَّ الله تعالى لا يراه. فإن الله تعالى يرى كل شيء، ويسمع كل شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء؛ فكل المرئيات الله تعالى يراها، وكل المسموعات الله تعالى يسمعها، ولا يخفى عليه شيء.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما معنى هذا الدعاء: «أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»[2]؟

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (١٣٠٥)، عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٣٠١).

الجواب: يعني ألا يحصل له ضر أو مضرة ولا فتنة مضلة في الدنيا تكون سببًا في المنع من الوصول إلىٰ هذه النعمة العظيمة، وهي لذة النظر إلىٰ وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيسأل الإنسان لذة النظر؛ لأنَّ لذة النظر هي أكبر نعيم يكون لأهل دار النعيم، «من غير ضراء مضرَّة»؛ يعني في الحياة الدنيا، «ولا فتنة مضلة»؛ تكون سببًا في عدم الوصول إلىٰ هذه النعمة.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل «السيد» اسم من أسماء الله؟

الجواب: نعم؛ هو من أسماء الله، كما قال الرسول ﷺ: «السيد الله»[1].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، عن عبد الله بن الشخير، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٠٠).

قال المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي الْقُرْآنِ

الشرح

يقول الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابٌ فِي الْقُرْآنِ)؛ والقرآن: هو من كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

وكلام الله عَزَّوَجَلَّ لا ينحصر ولا يتناهى[1]؛ لأن المتكلم به – وهو الله عَزَّوَجَلَّ – لا بداية له فلا بداية لكلامه، ولا نهاية له فلا نهاية لكلامه.

وقد جاء في القرآن ما يبيِّن ذلك في آيتين من سورة الكهف ومن سورة لقمان:

- ففي سورة الكهف قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ أي: حبرًا يُكتب به، ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ يعني: ولا تنفد، فكلام الله عَزَّوَجَلَّ لا ينفد ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

(١) تقدم بيان ذلك بشيء من التفصيل في شرح حديث جبريل، راجع ص (٥٢٧).

- وفي سورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ يعني: يضاعفه أضعافًا مضاعفة[1]، ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: لو كتب كلام الله عَزَّوَجَلَّ بهذه البحور المضاعفة الزاخرة، والأقلام التي هي بما يعادل شجر الأرض؛ لنفدت الأقلام والبحور، وما نفد كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقد أوضح الله عَزَّوَجَلَّ في هاتين الآيتين ما يبين عدم تناهي كلامه، بكون البحور الزاخرة والمحيطات الواسعة لو أنَّها كانت حِبرًا ومدادًا يُكتب به كلام الله، ثم ضوعفت أضعافًا مضاعفة؛ فإنَّ ذلك المِداد سينفد وينتهي وكلمات الله عَزَّوَجَلَّ لا يمكن أن تنتهي.

والقرآن هو من كلامه، والكتب التي أنزلها علىٰ المرسلين كلها هي من كلامه، والقرآن من أوله إلىٰ آخره - من الفاتحة إلىٰ الناس - يُكتب بمحبرة صغيرة[2].

(١) قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٦/ ٣٤٨): «وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ (السَّبْعَةُ) عَلَىٰ وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، وَلَمْ يُرِدِ الْحَصْرَ وَلَا أَنَّ ثَمَّ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَوْجُودَةً تُحِيطُ بِالْعَالَمِ - كَمَا يَقُولُهُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ كَلَامِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ الَّتِي لَا تُصَدَّقُ وَلَا تُكَذَّبُ -، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ آخَرَ فَقَطْ، بَلْ بِمِثْلِهِ ثُمَّ بِمِثْلِهِ ثُمَّ بِمِثْلِهِ، ثُمَّ هَلُمَّ جَرًّا؛ لِأَنَّهُ لَا حَصْرَ لِآيَاتِ اللهِ وَكَلِمَاتِهِ».

(٢) يعني: القرآن والكتب؛ ليست كل كلامه سبحانه؛ فهي جزء منه، وكلامه عَزَّوَجَلَّ لا حصر له.

❁ عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الكلام لله تعالى:

ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ متكلِّم بلا بداية، لم يكن غير متكلم ثم تكلَّم، بل كلامه متعلق بمشيئته وإرادته؛ فهو يتكلم إذا شاء، متىٰ شاء، كيف شاء، يقول العلماء: (إن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد)(١).

قولهم: (قديم النوع)؛ بمعنىٰ: أنه متكلم في الأزل بلا ابتداء، فلم يكن غير متكلم فتكلم.

قولهم: (حادث الآحاد)، أي: يحصل وفقًا لمشيئته وإرادته في أي زمن، ولا يقال: إن كلامه كله في الأزل وقديم، وإنه لا يتعلق بالمشيئة والإرادة. بل هو متعلق بالمشيئة والإرادة، والله عَزَّوَجَلَّ كلم موسىٰ في زمانه؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقد سمع موسىٰ كلام الله من الله؛ ولهذا يقال له: كليم الرحمن. ثم طمع في الرؤية فسألها، وأُخبر بأنها لا تحصل في الحياة الدنيا، ولكن الكلام قد حصل.

وكلم الله نبيَّنا محمَّدًا ﷺ لمَّا عُرج به إلىٰ السماء في زمانه، ويكلِّم الله أهل الجنة إذا دخلوا الجنة، فإذًا كلامه لموسىٰ هو من آحاد كلامه الذي لا حصر له ولا نهاية، وكلامه لمحمد ﷺ هو من آحاد كلامه.

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص ٦١٩)، وفتح المجيد (ص ٤٨٩)؛ وقالا: «يقول ذلك أئمَّة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف»، وقطف الجنىٰ (٩٤).

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، فهم يثبتون أن الله تعالىٰ يتكلَّم، وكلامه الألفاظ والمعاني، ليس كلام الله الألفاظ دون المعاني، ولا المعاني دون الألفاظ، بل هو مجموع الأمرين؛ ولهذا فالقرآن معجزٌ بلفظه ومعناه.

❁ كلام الله ليس بمخلوق:

كلام الله عَزَّوَجَلَّ مسموع، ولا يقال: إنه مخلوق خلقه الله في مكان وخرج من ذلك المكان. كما تقول المعتزلة: خلق الله الكلام في محل وبدأ الكلام من ذلك المحل. بل الكلام بدأ من الله وظهر من الله، وقد سمعه جبريل من الله عَزَّوَجَلَّ، وسمعه موسىٰ من الله عَزَّوَجَلَّ، وسمعه نبينا محمد ﷺ من الله عَزَّوَجَلَّ، وأهل الجنة يسمعون كلام الله عَزَّوَجَلَّ إذا دخلوا الجنة.

❁ إطلاقات لفظ (القرآن):

القرآن يطلق ويراد به:

- القرآن المنزل علىٰ نبيِّنا محمد ﷺ.

- ويطلق ويراد به القراءة:

كما في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٨]؛ فقوله: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: اتَّبع قراءته. والمعنىٰ: لا تحرك لسانك به استعجالًا من أجل أن تحفظه؛ فإنه سيكون محفوظًا عندك، ولن يفوتك منه شيء، فما عليك إلا أن تصغي وتسمع. فكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد ذلك يصغي إلىٰ جبريل عندما يلقي

عليه القرآن، ثم يكون قد حفظه، ولم يفته منه شيء[١].

وكذلك قول الرسول ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[٢]؛ أي: زينوا القراءة بأصواتكم؛ لأن تحسين الصوت هو الذي يملكه الناس، وليس المقصود تزيين القرآن الذي هو كلام الله؛ فإنه لا يحتاج إلىٰ تزيين؛ فإنه في غاية الزَّين، وفي غاية الكمال، وفي غاية الحسن، وفي غاية الوضوح، ولكنك تزين القراءة التي هي فعلك وكسبك.

ومن المعلوم أن (**الصوت فعل القاري والكلام كلام الباري**)؛ فإذا قرأ الإنسان من القرآن، فهناك ملفوظ وهناك تلفُّظ؛ فالملفوظ هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ وهو غير مخلوق، والتلفظ هو فعل العبد وكسبه وقراءته وهو المخلوق؛ لأن حركات الإنسان في القراءة مخلوقة؛ لأنها فعل المخلوق، والله عَزَّوَجَلَّ خلق

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (١٤٧/٤٤٨)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]؛ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا؛ فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]؛ قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَؤُهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٨]؛ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩]؛ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وابن ماجه (١٣٤٢)، عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٥٨٠).

الخلق وخلق أفعالهم: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]؛ فهو خالق الذوات، وخالق الصفات التي تكون بالذوات، وخالق الأفعال.

❁ **قول أهل البدع في القرآن:**

المعتزلة يقولون: إن الله خلق القرآن في محل وبدأ كلامه من ذلك المحل.

والأشاعرة يقولون: إن كلام الله معنًىٰ قائم بالنفس لا يسمع منه، وما يوجد في المصاحف إنَّما هو عبارة عن كلام الله وليس كلام الله.

❁ **قول أهل السنة في القرآن:**

وأما **أهل السنة والجماعة** فيقولون: القرآن المحفوظ في الصدور، والمحفوظ في السطور - أي: محفوظ في المصاحف بالكتابة -؛ هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ لفظه ومعناه، والله تعالىٰ تكلم به، وسمعه جبريل من الله، ونزل به علىٰ محمد رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، والنبي ﷺ بلغه للناس، وقد حفظه الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

❁ **الرد على بعض تشغيبات المعتزلة:**

والمعتزلة استدلوا بأدلة من القرآن، وهي شُبَه وليست أدلة في الحقيقة، مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]؛ قالوا: والقرآن شيء فيكون مخلوقًا. وهذا كلام باطل؛ لأن عموم كل شيء إنَّما هو بحسبه، فالله عَزَّوَجَلَّ خالق كل شيء مخلوق، والقرآن ليس مخلوقًا حتىٰ يكون من جملة

المخلوقات؛ ومن المعلوم أن صفات الله عَزَّوَجَلَّ يقال لها: شيء. ولكنها ليست مخلوقة؛ فالله موصوف بالسمع والبصر، وهما يقال لهما: شيء. فإذن ليكونا مثل الكلام مخلوقين! لكنهم لا يقولون بذلك، وهذا من التناقض! وتناقضوا أيضًا فأخرجوا أفعال العباد، رغم أنها داخلة فيها[١].

فالله عَزَّوَجَلَّ بذاته وصفاته هو الخالق، ولا يكون شيء من صفاته مخلوقًا، وإنما الخلق هو نتيجة الصفة ومن آثارها؛ كما قال الله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فـ﴿كُن﴾ كلام، والذي يكون بـ﴿كُن﴾ هو المخلوق، ورحمة الله عَزَّوَجَلَّ صفة قائمة بذاته، والجنة هي من آثار تلك الصفة وهي مخلوقة، والمطر من آثار الرحمة وهو مخلوق؛ فإذًا هناك صفة وهناك آثار للصفة؛ فالصفة قائمة بالله، ولا يصح أن يقال: مخلوقة. وأما آثارها فإنها من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ومن اللوازم الباطلة للقول بخلق القرآن:

يلزم منه: أن جبريل ومحمدًا وموسىٰ والملائكة؛ لم يسمعوا الكلام من الله، وأن الكلام الذي حصل إنما خلق في مكان وظهر من ذلك المكان، ولهذا يقولون: إن كلام الله عَزَّوَجَلَّ خلقه الله في الشجرة، وظهر الكلام من الشجرة، ولم يظهر من الله! ومعلوم أن الذي يتكلم به هو الذي قال: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وما قالت الشجرة: إني أنا الله رب العالمين!

---

(١) تقدم بمزيد من التفصيل في ص(٦٨٦).

يقول بعض أهل العلم: إذا كانت الشجرة هي التي ظهر منها الكلام، فما هي الميزة الذي تميز بها موسىٰ؟! بل يكون الذي سمع من الملائكة أحسن ممن سمع الشجرة.

وإنَّما الكلام جاء من جهة الشجرة، وليس معنىٰ ذلك أنه طلع من الشجرة، بل هو من الله بدأ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٣٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الأحاديث التي فيها إضافة الكلام إلىٰ الله،

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١)، وأحمد (٣/ ٣٩٠)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٩٤٧).

والأصل في الإضافة الحقيقة، وليس المجاز؛ فكلام الله عَزَّوَجَلَّ صفة من صفاته، وقد أضافه إلىٰ نفسه.

والمضاف إلى الله عَزَّوَجَلَّ نوعان:

- إضافة معانٍ.
- وإضافة أعيان.

فإضافة المعاني: من إضافة الصفة للموصوف.

وإضافة الأعيان: من إضافة الخلق إلىٰ الخالق؛ كعبد الله، وبيت الله، وناقة الله.

فعند المعتزلة كلام الله من جنس عبد الله وناقة الله؛ أي أنه من إضافة المخلوق إلىٰ الخالق.

وأما أهل السنَّة والجماعة فيقولون: هو من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو بذاته وصفاته الخالق، ومن سواه المخلوق، فكلامه من جملة صفاته، وهي ليست مخلوقة.

فأورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ)؛ أي: في الحج وفي مجامع الناس، (فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»).

ومحل الشاهد منه: قوله ﷺ: «كَلَام رَبِّي»؛ أي: القرآن، فالقرآن هو من

كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فأضاف الكلام إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «**فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»؛ فهو ﷺ يريد أن يبلِّغه وقريش قد منعته من تبليغه.

وقد قام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو بمكة بتبليغ ما أُمر به من التبليغ، وأوذي أشدَّ الإيذاء، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ شاء أن يبقىٰ في مكَّة، وأن يكون انتقاله من مكة إلىٰ المدينة، وكان قد عرض عليه أحد الدوسيين - قوم أبي هريرة، وهو الطفيل بن عمرو - أن يذهب معه إلىٰ بلاده، وذكر له أن عندهم منعة وقوة، وأنهم سيقومون بنصرته وتأييده؛ فالرسول ﷺ أمره بأن يقوم بالدَّعوة في بلده[1]؛ وذلك لأن الله تعالىٰ شاء أن تكون هجرته من مكة إلىٰ المدينة، وأن يكون انتقاله إلىٰ المدينة، وليس إلىٰ بلد آخر؛ فانتقل ﷺ إلىٰ هذه المدينة المباركة، وكانت فيها نصرته، وانطلاق الجيوش لفتح البلاد وإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن كثير**)؛ هو العبدي، ثقة، أخرج له أصحاب

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٤/ ١١٦)، عن جابر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: (أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ - قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَىٰ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو...) الحديث.

الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرنا عن إسرائيل)؛ هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا عثمان بن المغيرة)؛ ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن سالم)؛ هو ابن عبد الله بن عمر، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (عن جابر)؛ هو ابن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صحابي ابن صحابي، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٣٥ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيثِ - قَالَتْ: «وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى»[1].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو قطعة من حديث طويل في

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٥٦/ ٢٧٧٠)، وأحمد (٦/ ١٩٤).

قصة الإفك، فاختصره أبو داود هنا، وأشار إلىٰ طوله وإلىٰ كثرته بالرواة الأربعة من التابعين الذين رووه عن عائشة، وأن كل واحد عنده ما ليس عند الآخر، وكلٌّ حدَّث بطائفة منه، فجمع الزهري كلامهم ولم يميز كلام هذا من هذا، فالحديث يدور علىٰ هؤلاء لكن ليس كلهم حدث به من أوله إلىٰ آخره، ولكن كل واحد حدَّث بطائفة منه، وكلهم ثقات، وكلهم خرَّج لهم أصحاب الكتب الستة.

❁ تواضع أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا:

وقد أتىٰ أبو داود بالعبارة التي هي محل الشاهد من ذلك الحديث الطويل، وهو قول عائشة: (**وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ**)؛ فقولها: (**يَتَكَلَّم اللهُ فِيَّ**)؛ إشارة إلىٰ آيات الإفك التي جاءت في سورة النور - من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١]، إلىٰ آخر العشر الآيات - فإنها كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي نزل علىٰ رسوله ﷺ وفيه براءتها، وكانت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قد قالت: (**كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا**)[١]؛ أي: لأن رؤيا الأنبياء وحي، لكنها استكثرت علىٰ نفسها أن الله تعالىٰ يتكلم فيها بكلام يتلىٰ؛ وهذا من تواضعها، كما هو شأن أولياء الله، فيحصل لهم الكمال والرفعة وعلو المنزلة، ومع ذلك

---

(١) متفق عليه: انظر التخريج السابق.

يتواضعون لله عَزَّوَجَلَّ؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وهم مع إحسانهم ومع ما أكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ به من توفيق إلىٰ الخير؛ يخشون الله عَزَّوَجَلَّ، ويرون أنَّ ما عملوه من أعمال لا يعتبر شيئًا[(١)].

وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام ﷺ»؛ ترجم - عند ذكر الآل - لأزواج الرسول ﷺ، فترجم لكل واحدة بترجمة مختصرة، وأشار إلىٰ شيء من فضائلها ومناقبها، وكان مما ذكره في ترجمة عائشة أن أشار إلىٰ تواضعها لله عَزَّوَجَلَّ فقال: «وَتَأمل هَذَا التشريف وَالْإِكْرَام النَّاشِئ عَن فرط تَواضُعِهَا واسْتِصْغَارها لنَفسهَا، حَيْثُ

---

(١) كما أخرج الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٦٢)، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]».

قال العلامة عبد الرحمن السعدي في التفسير (ص: ٥٥٤): «﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي: يعطون من أنفسهم مما أمروا به، ما آتوا من كل ما يقدرون عليه؛ من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة، وغير ذلك، ﴿وَ﴾ مع هذا ﴿قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي: خائفة ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين يديه؛ أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله؛ لعلمهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العبادات».

قَالَت: (وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِوَحْيٍ يُتْلَىٰ، وَلَكِنْ كُنتُ أَرْجُو أَن يَرَىٰ رَسُول الله ﷺ رُؤْيا يبرئني الله بهَا))، ثمَّ قَال: «فَهَذِهِ صِدِّيقَة الْأُمَّة، وَأمُّ الْمُؤمنِينَ، وَحبُّ رَسُول الله ﷺ، وَهِي تعلم أَنَّهَا بريئة مظلومة، وَأَن قاذفيها ظَالِمُونَ لَهَا مفترون عَلَيْهَا، قد بلغ أذاهم إِلَىٰ أَبَوَيْهَا وَإِلَىٰ رَسُول الله ﷺ، وَهَذَا كَانَ احتقارها لنَفسهَا وتصغيرها لشأنها؛ فَمَا ظَنك بِمن صَامَ يَوْمًا أَو يَوْمَيْنِ أَو شهرًا أَو شَهْرَيْن، وَقَامَ لَيْلَة أَو لَيْلَتَيْنِ؛ فَظهر عَلَيْهِ شَيْء من الْأَحْوَال ولاحظوا بِعَين اسْتِحْقَاق الكَرَامَاتَ والمكَاشَفاتِ والمخَاطَبات والمنازَلاتِ وَإِجَابَة الدَّعْوَات، وَأَنَّهُمْ مِمَّن يُتبرَّكُ بلقائِهِم، ويغتنم صَالح دُعَائِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يجبُ علىٰ النَّاس احترامُهُم وتعظِيمُهُم وتعزيرُهُم وتوقِيرهُم؛ فيتمسح بأثوابهم وَيُقَبَّل ثرىٰ أعتابهم، وَأَنَّهُمْ من الله بالمكانة الَّتِي ينْتَقم لَهُم لأَجلهَا مِمَّن تنقَّصَهم فِي الْحَال، وَأَن يُؤْخَذ مِمَّن أَسَاءَ الْأَدَب عَلَيْهِم من غير إمهال، وَأَن إساءة الْأَدَب عَلَيْهِم ذَنْب لَا يكفِّره شَيْء إِلَّا رضاهم!! وَلَو كَانَ هَذَا من وَرَاء كِفَايَة لهان، وَلَكِن من وَرَاء تخلف! وَهَذِه الحماقات والرعونات نتائج الْجَهْل الصميم وَالْعقل غير الْمُسْتَقيم؛ فَإِن ذَلِك إِنَّمَا يصدر من جَاهِل معجب بِنَفسِهِ، غافل عَن جرمه وذنوبه، مغتر بإمهال الله تَعَالَىٰ لَهُ عَن أَخذه بِمَا هُوَ فِيهِ من الْكبر والإزراء علىٰ من لَعَلَّه عِنْد الله عَزَّوَجَلَّ خير مِنْهُ. نسْأَل الله تَعَالَىٰ الْعَافِيَة فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَيَنْبَغِي لِلْعَبد أَن يستعيذ بِالله أَن يكون عِنْد نَفسه عَظِيمًا وَهُوَ عِنْد اللهِ حقير»(١).

❁ من تواضع عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

ومثل هذا ما جاء عن الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما طُعن، وكان في مرض موته، وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَىٰ اللهِ لَكَ؛ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ. قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لَا عَلَيَّ وَلَا لِي!

فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ؛ قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلَامَ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ ثَوْبَكَ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَىٰ لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَىٰ لِرَبِّكَ!(٢).

❁ الشريعة كلها لباب لا قشور فيها:

فهو علىٰ ما فيه من شدة الوجع لم يمنعه ذلك من أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، وفي أمرٍ من الأمور التي يزعم بعض الناس أنه من القشور! فيزعمون - ولم يوفقوا فيما يقولون-: أن الشريعة لباب وقشور!!

بل الشريعة كلها لباب، وليس فيها قشور، ولكنها متفاوتة، فليست الأحكام متساوية، لكن لا يجوز أن يوصف شيء منها بأنه قشور، وتقسيمها إلىٰ لباب وقشور من الكلام السيئ، ومن الكلام القبيح!

---

(١) ص(٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا سليمان بن داود المهري**)؛ هو المصري، وهو ثقة، أخرج حديثه أبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا عبد الله بن وهب**)؛ هو المصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرني يونس بن يزيد**)؛ هو الأيلي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن شهاب**)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**قال: أخبرني عروة بن الزبير**)؛ عروة بن الزبير بن العوام، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**وسعيد بن المسيب**)؛ هو أيضًا أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**وعلقمة بن وقاص**)؛ هو الليثي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة؛ وهو من كبار التابعين، وهو الذي روىٰ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧/١٥٥)، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ فائدة في إسناد حديث «إنما الأعمال بالنيات»:

وقد تفرد بروايته عن رسول الله ﷺ عمر، وتفرد بروايته عن عمر علقمة بن وقاص الليثي، وهو من كبار التابعين، وتفرد به عن علقمة محمد بن إبراهيم التيمي وهو من أوساط التابعين، وتفرد به عن محمد بن إبراهيم التيمي يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، وهو من صغار التابعين، ثم انتشر بعد يحيىٰ بن سعيد الأنصاري حتىٰ بلغ الذين رووه عنه سبعين راويًا أو ما يقرب من السبعين.

قَوْلُهُ: (**وعبيد الله بن عبد الله**)؛ هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الثقفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن حديث عائشة**)؛ عائشة أم المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها -، الصديقة بنت الصديق، وهي واحدة من سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي ﷺ، وهم: أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وأبو سعيد، وأنس، وجابر، وأم المؤمنين عائشة؛ ستَّة رجال وامرأة واحدة، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن الصحابة أجمعين -.

❁ فائدة:

وجاء في هذا الإسناد ثلاثة من الفقهاء السبعة المشهورين في عصر التابعين: عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود؛ أما علقمة بن وقاص الليثي فهو ثقة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٣٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَىٰ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ -يَعْنِي: الشَّعْبِيَّ-، عَنْ عَامِرِ بْنِ شَهْرٍ، قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فَقَرَأَ ابْنٌ لَهُ آيَةً مِنَ الْإِنْجِيلِ؛ فَضَحِكْتُ، فَقَالَ: أَتَضْحَكُ مِنْ كَلَامِ اللهِ؟!»[1].

الشرح

هذا يعتبر أثرًا؛ لأنه ليس فيه كلام للرسول ﷺ، وإنَّما هو كلام النجاشي، والمقصود منه: أن الكلام إذا أضيف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فالمقصود به كلامه الذي تكلم به؛ فالكتب التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ هي من جملة كلامه، ومنه التوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم وموسىٰ، والكلام الذي كلمه الله لموسىٰ في زمانه، والكلام الذي كلمه لمحمد ﷺ، والكلام الذي يكلم به أهل الجنة إذا دخلوا الجنة؛ كل ذلك من كلام الله، وكلام الله - كما مرَّ - لا ينحصر ولا ينتهي.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم (٣٧٧١٧)، وفي مسنده رقم (٥٢٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني رقم (٢٤١٦)، وغيرهم، وصححه الألباني في سنن أبي داود.

ومحلُّ الشاهد من هذا: قول النجاشي: (أَتَضْحَكُ مِنْ كَلَامِ اللهِ؟!)؛ حيث أضاف الإنجيل إلىٰ الله.

۞ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا إسماعيل بن عمر**)؛ وهو مقبول، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا إبراهيم بن موسىٰ**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا ابن أبي زائدة**)؛ هو يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن مجالد**)؛ هو ابن سعيد، ليس بالقويِّ، أخرج له مسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن عامر - يعني: الشعبي -**)؛ وهو عامر بن شراحيل الشعبي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عامر بن شهر**)؛ وهو صحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرج له أبو داود.

۞ **درجة الحديث:**

الشيخ الألباني صحَّح هذا الأثر؛ لكن الإسناد فيه إسماعيل بن عمر شيخ أبي داود؛ وهو مقبول، ومجالد، وهو ليس بالقوي.

۞ ۞ ۞

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٣٧ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنِ

الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»، ثُمَّ يَقُولُ: «كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ»[1].

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ».

الشَّرْح

محل الشاهد من هذا: أنه قال: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ»؛ ومن المعلوم: أنه لا يُستعاذ بمخلوق؛ لأن الاستعاذة إنما تكون بالخالق بذاته وصفاته، وأما المخلوق فلا يستعاذ به؛ فكونه استعاذ بالكلمات يدل علىٰ أن كلام الله غير مخلوق، والقرآن من الكلمات؛ فهو من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو ليس مخلوقًا، ثم إن الاستعاذة عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكلمات الله على نوعين:

- **كلمات كونيَّة**: وهي ما قدَّره الله تعالىٰ وقضاه، ولابد أن يحصل.
- **وكلمات شرعيَّة**: ومنها القرآن، الذي أنزله الله علىٰ رسوله الكريم -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٧١)، والترمذي (٢٠٦٠)، وابن ماجه (٣٥٢٥)، وأحمد (١/ ٢٣٦).

وقوله: «بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ»؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ فهي صدق في الأخبار، وعدل في الأوامر والنواهي والأحكام، فكل خبر جاء عن الله وعن رسوله ﷺ؛ فهو صدق وحقٌّ يجب تصديقه، وكل ما جاء من الأوامر والنواهي فهي عدل؛ فيجب أن تُمتثل الأوامر وتجتنب النواهي.

قَوْلُهُ: «مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ»؛ يعني أي شيطان، «وَهَامَّةٍ»، والمقصود بها: ذوات السموم؛ مثل العقارب والحيَّات شديدة الإيذاء، وقد يحصل الموت بسبب سمِّها.

قَوْلُهُ: «وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»؛ فسِّر بأنه يراد بذلك ما يحصل من إيذاء العين بالحسد، فبعض الناس إذا وقعت عينه علىٰ شيء جعل الله عَزَّوَجَلَّ فيها من الشر والضرر ما ينتقل إلىٰ المحسود؛ فيحصل له الضرر، وفسِّر بغير ذلك[١].

قَوْلُهُ: «كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ»؛ أبوكم: أي: إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فالخطاب للعرب، وهم من ذرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم، وإسحاق بن إبراهيم هو أبو يعقوب الذي منه اليهود والنَّصارىٰ؛ ولذلك يقال لهم: بنو إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب.

---

(١) للمزيد انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٥٢).

وفي هذا دليل علىٰ أنَّ: تعويذ الأولاد بمثل هذا سنة.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا عثمان بن أبي شيبة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي، وإلا النسائي فقد أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (حدثنا جرير). هو ابن عبد الحميد الضبي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن منصور)؛ هو ابن المعتمر الكوفي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن المنهال بن عمرو)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن سعيد بن جبير)؛ وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن عباس)؛ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عمِّ النبي ﷺ، وأحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رحمه الله تعالىٰ:

٤٧٣٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ الرَّازِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ

مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ؛ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفَا؛ فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»، قَالَ: «فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ، مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ. فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ»[1].

الشرح

أورد أبو داود حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ؛ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً[2] كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ»؛ وهي الحلقات من الحديد المرتبط بعضها ببعض، «عَلَىٰ الصَّفَا»؛ هو الحجر الأملس؛ فالسلسلة إذا جُرَّتْ علىٰ الصفا سُمع لها صوت متقطِّع متتابع بسبب سحبها عليه، وهو يسمىٰ: الصلصلة، «فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»؛ أي: فيفرغ أهل السموات ويصبهم غشي وصعق، ولا

(١) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٥٠)، وابن حبان (١/ ٢٢٣، رقم ٣٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (٤٣٢)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٢٩٣).

(٢) قال ابن الأثير (ت: ٦٠٦) في النهاية (٣/ ٤٦): «الصَّلْصَلَة: صَوتُ الحَديدِ إِذَا حُرِّكَ».

يزالون كذلك حتىٰ يأتي جبريل بالوحي من الله عَزَّوَجَلَّ فيفيقون؛ «**فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ، مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ. فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ**»؛ الحق: يعني: قال الحق.

ومحل الشاهد منه: قوله: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ**»؛ أي: أن الوحي من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يتكلم به، وأنه يسمع منه.

ففيه إضافة الكلام إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يتكلَّم بالوحي، وأنه يسمعه منه جبريل، وينزل به علىٰ من أرسله الله إليه؛ سواء كان نبيّنا محمد ﷺ أو من قبله من الرسل؛ لأنَّ جبريلَ هو الموكَّل بالوحي.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**وعلي بن الحسين بن إبراهيم**)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**وعلي بن مسلم**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو معاوية**)؛ هو محمد بن حازم الضرير الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا الأعمش**)؛ وهو سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن مسلم)؛ هو ابن صبيح أبو الضحىٰ، وهو مشهور بكنيته.

❁ فائدة: من أنواع علوم الحديث: معرفة الأسماء والكنى:

ومعرفة كنىٰ المحدثين من أنواع علوم الحديث، وفائدتها ألا يظن الشخص الواحد شخصين إذا ذكر مرَّة باسمه ومرة بكنيته، فالذي لا يعرف أن أبا الضحىٰ هو مسلم بن صبيح إذا جاءه أبو الضحىٰ في إسناد، وجاءه في إسناد آخر مسلم بن صبيح؛ يظن هذا شخصًا وهذا شخصًا آخر.

قَوْلُهُ: (عن مسروق)؛ هو ابن الأجدع، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله)؛ هو ابن مسعود الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وهو من فقهاء الصحابة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب السِّتَّة.

❁ ❁ ❁

الأسئلة

السؤال: هل يصح تفسير: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، **بأن المراد بكلمات الله هي حمد الله والثناء عليه؟**

الجواب: لا يصحُّ؛ لأن السياق يتحدَّث عن كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي بدأ منه، لا عن كلام الناس؛ لأن الناس - كمَا هو معلوم - لابدَّ أن ينتهي كلامهم؛ لأن كل إنسان له بداية ونهاية وكلامه محصور، ولكن كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي هو صفة من صفاته هو الذي لا ينحصر، وأما كونه سبحانه يُمدح ويثنىٰ عليه ويُذكر ويُسبح ويُهلل ويُكبر وغير ذلك؛ فلا يقال: إن هذا هو المراد؛ لأن هذا إنما هو فعل المخلوقين، والمخلوقون كلامهم محصور؛ لأن الإنسان مهما طال عمره فكلامه محصور، والخلق له بداية ونهاية، وينحصر كلام الخلق كلهم من أوَّلهم إلىٰ آخرهم من لدن آدم إلىٰ الذين تقوم الساعة عليهم، لكن كلام الله عَزَّوَجَلَّ لا ينتهي؛ لأنَّه لا بداية له ولا نهاية له، وأما الخلق فكلامهم له بداية وله نهاية، وهو مدون معروف.

❁ ❁ ❁

السؤال: كيف يكون كلام الله حادثًا، بينما تقول الجهمية: إذا قلتم: حادث. فهو مخلوق. فنرجو توضيح مقولة الجهمية التي جعلت

الأشاعرة يقولون: إن كلام الله لا يتجزأ. وقالوا بأن القرآن عبارة عن كلام الله؟

الجواب: كلام الله عَزَّوَجَلَّ لا حصر له ولا بداية له ولا نهاية له -كما قلنا-، وهو قديم النوع حادث الآحاد، بمعنى أن الكلام الذي حصل لموسى لم يكن في الأزل، فالله يخاطب موسى فيقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وذلك عندما جاء موسى لميقاته وسمع كلام الله من الله؛ أي أن هذا الكلام من الله عَزَّوَجَلَّ حصل في زمن موسى، وتكلَّم الله به في زمن موسى، فكلام الله صفة قائمة بنفسه، يتكلم بصوت يُسمع تابع لمشيئته وإرادته، وقد سمعه موسى من الله في زمن موسى، وليس كل ما حدث يكون مخلوقًا، بل ما حدث للمخلوقات فهو مخلوق، لكن كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي يتعلَّق بمشيئته وإرادته لا يقال: إنه مخلوق. بل هو من جملة كلامه الذي لا حصر له ولا بداية له، فهو قديم النوع، فلم يكن متكلمًا ثم تكلَّم، بل هو متكلم بلا ابتداء، لكن لا يقال: إن كل كلامه مضى في الأزل، وإن الله لا يتكلم بمشيئته ولا إرادته. وهو حادث الآحاد؛ فإنه كلَّم موسى في زمنه، وكلم محمدًا ﷺ في زمن محمد ﷺ ليلة المعراج، وهو يكلم أهل الجنة إذا دخلوا الجنة.

ففرق بين صفة من صفاته متعلقة بمشيئته وإرادته، تحصل في زمان فيسمعها من أراد الله أن يسمعها، وبين خلق خلقه الله عَزَّوَجَلَّ الذي هو نتيجة

للكلام بحيث يقول الله للشيء: كن. وهو كلام يظهر منه ويبدأ منه؛ فيكون المخلوق الذي شاءه الله عَزَّوَجَلَّ، والذي أراد أن يكون بـ(كن)، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]. فالقول بأنه حادث الآحاد؛ معناه أنه كلم موسىٰ في زمانه فسمع كلام الله من الله، ولا يقال: إن كلام الله الذي سمعه موسىٰ؛ لم يسمعه في زمانه وإنما هو كلام أزليٌّ.

۞ ۞ ۞

السؤال: وردت الاستعاذة بكلمات الله، وهي من الصفات؛ فهل يجوز الاستعانة بصفات الله كقول العامة: يا قوة الله؟

الجواب: الصفات لا تدعىٰ ولا تنادىٰ، فلا يقال: يا قوة الله حَقِّقي لي كذا، يا يد الله أعطني كذا، يا سمع الله حقق لي كذا، يا بصر الله حقق لي كذا. وإنما يقول: يا عزيز أعزني، يا كريم أكرمني، يا لطيف الطف بي، يا قوي قوني. وهكذا؛ أي: يدعىٰ الله بأسمائه، ولا تدعىٰ الصفات ولا تخاطب، ولا يطلب منها شيء، ولكن يستعاذ بكلمات الله؛ لأن الاستعاذة بكلمات الله استعاذة بالله، والاستعاذة بصفات الله استعاذة بالله.

ففرق بين الاستعاذة بالصفة، وبين نداء الصفة والطلب منها.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل يجوز القسم بالقرآن أو وضع اليد على القرآن عند القسم؟

الجواب: يجوز القسم بالقرآن؛ لأنَّ القرآن من كلام الله، ولكن كون

الإنسان يُقسم بعموم الصفة ويقول: وكلام الله. هو الأولىٰ؛ لأنَّ القرآن من جملة كلام الله، والتَّوراة من كلام الله، والإنجيل من كلام الله، فإذا قال: وكلام الله. فهو أحسن، مثلما يقول: وعزَّة الله، وجلال الله، وسمع الله، وبصر الله، وحياة الله، وقوة الله. هذا هو الذي ينبغي.

والقرآن إذا أقسم به فهو إقسامٌ بكلام الله، ولكن لا يقسم بالمصحف؛ لأن المصحف فيه قرآن وغير قرآن، فالمصحف فيه ورق، وفيه حبر، وفيه غلاف، وهي مخلوقة، وفيه كلام الله الذي هو القرآن.

- أما وضع اليد علىٰ المصحف عند الحلف؛ فلا أعلم دليلًا يدل عليه.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل يصح القسم بالقول: ورب القرآن؟

الجواب: لا؛ لأن هناك احتمالين:

الاحتمال الأول: أن يكون المقصود بالرب أنه الخالق.

والاحتمال الآخر: أن يكون المقصود بالرب: الصاحب.

ومن أجل الاحتمال الباطل؛ فإنه يحلف بالله عَزَّوَجَلَّ، أو يحلف بالقرآن أو يحلف بكلام الله، دون أن يقال: ورب القرآن؛ لأن فيه احتمالًا باطلًا، هذا هو الأولىٰ. وحتىٰ إذا أريد به المعنىٰ الصحيح؛ فإنه يترك؛ حتىٰ لا يتوهم الباطل.

ويأتي أحيانًا إضافة الرب إلىٰ الصفة؛ مثل (رب العزة) في قوله:

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات: ١٨٠]، فإن العزَّة صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والمقصود بذلك: صاحب العزة، وليس المقصود خالق الصفة التي هي صفته؛ فصفة الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقة، أو يراد به العزَّة المخلوقة التي خلقها الله في الناس، والتي أوجدها فيمن يكون عزيزًا في الناس.

❁ ❁ ❁

السؤال: كيف نرد على من يقول: إن البحث في مسألة: القرآن مخلوق أو غير مخلوق، ونحوه من المباحث في تأويل الصفات أو إنكارها؛ قد ذهبت ومات أصحابها، فلماذا تتحدَّثون فيها؟

الجواب: هذا الكلام غير صحيح، فلكل قوم وارث، فالمعتزلة لا يزالون موجودين، ويوجد من يقول الآن: القرآن مخلوق. ويؤلف في ذلك. وهناك كتاب مؤلف حديثًا، ومؤلفه لا زال يمشي على الأرض حيًّا، وهو يقول: إن القرآن مخلوق. فإذا ذهبوا فقد بقي وارثهم.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما هو التفسير الصحيح لقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: ٥]؟

الجواب: الإحداث هو في نزوله؛ أي: نزوله محدث، والله تعالىٰ تكلم به عند إنزاله؛ لأن جبريل سمعه من الله وجاء به؛ فهو داخل تحت حادث الآحاد.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يصح أن يقال: إن القرآن حادث؛ لأن الله تكلم به في زمن النبي ﷺ لا قبله؟

الجواب: القرآن موجود في اللوح المحفوظ؛ لكن لا يقال: إن الله تكلم به في الأزل، وإن كلام الله كله حصل في الأزل. فالله عَزَّوَجَلَّ تكلَّم بالقرآن وكتبه في اللوح المحفوظ، وأُنزل إلىٰ بيت العزة في السماء الدنيا؛ كما جاء ذلك عن ابن عباس[1]، وفي كل هذه الأمور هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ، لكن لا يقال: إن كلام الله عَزَّوَجَلَّ كله قديم أزلي، وإنه لا يتعلق بمشيئة وإرادة، وإنه لا يتكلم إذا شاء كيف يشاء؛ لأن هذا خلاف النصوص؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالتكليم حصل بعد المجيء للميقات، وسمع موسىٰ كلام الله من الله؛ ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وهذا الكلام الذي كلم الله به موسىٰ قد كتب في اللوح المحفوظ من قبل؛ ولكن الكتابة لا تنافي أنه يُتكلَّم به عند إنزاله.

❁ ❁ ❁

السؤال: جاء في ترجمة داود الظاهري في «السير» و«طبقات الشافعية» وغيرها: أن السلف نقموا عليه قوله: إن القرآن محدث. ولما

---

(١) صحيح موقوف: أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٧٩٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٢، رقم ١٢٣٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٢، رقم ٢٨٨١)، وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

حكى الذهبي في «السير» مذاهب الناس في القرآن، قال: وقال داود وطائفة: إن القرآن محدث ولكنه غير مخلوق. فما مرادهم بقولهم: إن القرآن محدث[1]؟

الجواب: لا أدري ما يضاف إلىٰ داود، وإذا قال: إنه محدث. بمعنىٰ: أن الله عَزَّوَجَلَّ تكلم به متىٰ شاء أن يتكلم به؛ فهذا الكلام صحيح؛ لكنْ إذا قصد أنه محدث بمعنىٰ مخلوق؛ فلا، والظاهرية ظاهرية في الفروع، ومؤولة في الصفات، ولو عكسوا القضية لكان خيرًا لهم؛ أي: لو أخذوا بالظاهر وأجروا الصفات علىٰ ظاهرها علىٰ ما يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، وأخذوا في الفروع بالقياس وألحقوا النظير بالنظير؛ لكان هذا أولىٰ، فهذا الكلام الذي قاله الذهبي عن داود أنه قال: محدث غير مخلوق. لا أدري ما المقصود به، وهل هو كلام الذهبي نفسه أو أنه كلام الظاهريَّة، فإذا كان من كلام الذهبي بمعنىٰ أنه تكلَّم به، وأنه من الحادث، لكن لا يوصف بأنه مخلوق؛ فهذا كلام صحيح.

❁ ❁ ❁

---

(١) قال الذهبي في السير (٣/ ١٠١) في ترجمة داود الظاهري: «وَأَمَّا دَاوُدُ فَقَالَ: القُرْآنُ مُحْدَثٌ. فَقَامَ عَلَىٰ دَاوُدَ خَلْقٌ مِن أَئِمَّةِ الحَدِيثِ، وَأَنْكَرُوا قَوْلَهُ وَبَدَّعُوه».

قال المصنِّف رحمه الله تعالى:

بَابٌ فِي الشَّفَاعَةِ

الشَّرح

الشفاعة هي: طلب الخير للغير، حيث يطلب إنسان من غيره أن يطلب خيرًا له، فيفعل.

وهي في الأصل: طلب شخص من آخر أن يشفع له في تحصيل خير؛ وذلك أن الشافع يضمُّ صوته إلىٰ طالب الحق؛ فيكونان شفعًا بعد أن كان الطالب مفردًا، ويكون طلبه قد عُزِّز وأيِّد، وسوعد في الوصول إلىٰ ما يريد.

والشفاعة شفاعتان:

- شفاعة محمودة.
- وشفاعة مذمومة.

فالشفاعة المحمودة تكون في الدنيا: بالطلب من الإنسان فيما يقدر عليه؛ ليحصِّل خيرًا دنيويًّا أو أخرويًّا.

وتكون في الآخرة: بالطلب من الرسول ﷺ بأن يشفع في الموقف؛

ليأتي الله لفصل القضاء لانتهاء الموقف، وهي خاصَّة به ﷺ، وهي المقام المحمود الذي يحمده عليه الأوَّلون والآخرون.

أو في الخروج من النار، أو في دخول الجنة، وهي تحصل من النبي ﷺ وغيره.

أو في غير ذلك من أنواع الشفاعة.

وأما الشفاعة المذمومة المحرمة: فهي مثل ما يطلبه الكفار من آلهتهم، وما يطلب من غير الله عَزَّوَجَلَّ ممَّا لا يجوز الطلب منه؛ كالطلب من الأموات أن يشفعوا.

والشفاعة لها أنواع عديدة:

١- منها: **الشفاعة العظمىٰ**: وهي من خصائص نبيِّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وذلك أن الناس إذا كانوا في الموقف ماج بعضهم في بعض، فيبحثون عمن يشفع لهم إلىٰ ربهم؛ ليأتي لفصل القضاء بينهم، فيأتون آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ، ثم يطلبونها من نبينا محمد ﷺ.

والشفعاء الذين قبل نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعتذرون، وكل واحد يحيل إلىٰ من بعده، فإذا وصلت إلىٰ عيسىٰ اعتذر وأحال إلىٰ نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيتقدَّم ويشفع، ويشفعه الله عَزَّوَجَلَّ، ويأتي لفصل القضاء بين عباده ويحاسب الناس، ويذهبون إلىٰ منازلهم من الجنَّة أو النار، وهذه عامَّة للبشر كلهم من أولهم إلىٰ آخرهم؛ ولهذا قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

في الحديث الدالِّ عليها: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١]، ثم بين السبب في ذلك وذكر هذه الشفاعة، وإنَّما خصَّ يوم القيامة بذكر السيادة فيه، مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة؛ لأنَّه يظهر في ذلك اليوم سؤدده علىٰ الجميع، حيث يشفع للجميع، ويستفيد الجميع من شفاعته من لدن آدم إلىٰ الذين قامت عليهم الساعة؛ ولهذا يقال لها: المقام المحمود؛ لأنه مقام يحمده عليه الأوَّلون والآخرون - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

٢- وأيضًا من شفاعاته ﷺ التي اختصَّ بها: شفاعته في عمه أبي طالب؛ في أن يخفف عنه العذاب، فصار أخفَّ أهل النار عذابًا، وهو يرىٰ أنه ليس هناك أحد أشد منه عذابًا، وذلك أنه خفف عنه العذاب فكان فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ[٢]، أو له نعلان من نار يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ[٣]؛ أي: من شدَّة الحرارة التي في الرجلين يغلي الدماغ - والعياذ بالله -، ولولا شفاعة النبي ﷺ لكان في الدرك الأسفل من النار مع الكفار أمثاله.

۞ الجمع بين نفي نفع الشفاعة عن الكفار، ونفي تخفيف العذاب عنهم، وبين شفاعة النبي ﷺ في أبي طالب:

وهذا الحديث يدلُّ علىٰ حصول النفع لأبي طالب بشفاعة النبي ﷺ؛

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٣٥٧/ ٢٠٩)، عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣٦٢/ ٢١٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بأن خُفِّف عنه العذاب، رغم أنه كافر، وهي شفاعة خاصة تستثنىٰ من النفي في قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]؛ أي: الكفار، لكن النفع الذي استثني من هذه الآية إنما هو في التخفيف، وأما الإخراج فإنها باقية علىٰ عمومها فيه؛ فلا يخرج كافر من النار ويدخل الجنة، بل الكفار باقون في النار أبد الآباد، ولكنها نفعت في التخفيف.

فإذًا يكون الجمع بين الآية والحديث: أن هذه شفاعة خاصة أخرجت من ذلك العام، ولكن بالنسبة للتخفيف وليس للإخراج.

والأوضح: أن شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب تكون مخصصة لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦]؛ فإن هذه دالة علىٰ أن الكفار لا يخفف عنهم من عذابها، وقد جاءت شفاعة النبيِّ ﷺ في أبي طالب، ودلَّت علىٰ حصول التخفيف، وتكون تلك الآية عامة وخُصِّص منها أبو طالب بشفاعة النبي ﷺ؛ فكان أخف أهل النار عذابًا؛ كما دل عليه الحديث.

٣- ومن أنواع الشفاعة: الشفاعة في الخروج من النار لمن دخلها من المؤمنين: وهذه تكون من النبي ﷺ ومن غيره، وليست خاصة بالرسول ﷺ، ولكن قد أعطي كلُّ نبي دعوة مستجابة - كما جاء في الحديث -، وكل نبي دعا بها، وأما رسول الله ﷺ فقد ادَّخرها لتكون شفاعة لأمَّته يوم

القيامة، وذلك بالإخراج من النار[١].

❁ الجمع بين عدم تخليد أهل الكبائر في النار، وما جاء من النصوص من ذكر التخليد لأصحاب الكبائر:

وقد وردت الأحاديث الكثيرة المتواترة في خروج أهل الكبائر من النار بعد أن يدخلوها، وأنهم – إذا شاء الله أن يدخلوها- يبقون فيها ما شاء الله أن يبقوا، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، ولو شاء الله أن يعفو عنهم فلا يدخلوها؛ فإنهم لا يدخلونها، ولكن من دخلها؛ فإنه لا يخلَّد فيها.

وما جاء في بعض الآيات والأحاديث من التخليد لأصحاب الكبائر، مثلما جاء في ذكر الخلود في حقِّ من قَتَلَ عمدًا[٢]، وكذلك الحديث الثابت في الصَّحيحين: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ؛ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَهُوَ يَتَرَدَّىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**»[٣]؛ فإن ما جاء من

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٣٣٤/ ١٩٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
والبخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٣٤١/ ٢٠٠)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٦٣)، ومسلم (١٧٥/ ١٠٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذلك يحمل على الخلود النسبي؛ لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. فكل ذنب دون الشرك؛ فهو تحت مشيئة الله إن شاء عفا عن صاحبه فلم يدخله النار، بل يدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء أدخله النار وعذَّبه فيها، ولكنه لابد من أن يخرج منها بعد أن يطهر وبعد أن يعذَّب على الجرم الذي حصل منه، وهو المعصية التي أدخله الله تعالى بها النار، ولا يبقى في النار إلا الكفار الذين هم أهلها ولا سبيل لهم إلى الخروج منها.

فهذه طريقة أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر في الآخرة؛ أما في الدنيا؛ فيقولون: إنهم مؤمنون ناقصو الإيمان؛ فلا يُعطون الإيمان الكامل ولا يُسلبون عنهم مطلق الإيمان[(١)].

٤ - **ومن أنواع الشفاعة: الشَّفاعة لمَنِ استحقَّ النَّار أن لا يدْخُلها**، وقد ذكر ابن القيم في تعليقه على «تهذيب السنن» للمنذري أنه لم يجد نصًّا يدل على هذه الشفاعة[(٢)]. وهي معروفة عند أهل العلم يذكرونها من جملة الشفاعات، وقد ذكر بعض أهل العلم دليلًا عليها، وهو قول الرسول ﷺ على الصراط: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»[(٣)]؛ فإنَّ هذه شفاعة بأن يسلم من استحقَّ النار من

(١) وتقدم بيان ذلك، راجع ص(٤١٦).

(٢) تهذيب السنن بحاشية عون المعبود (١٣/ ٥٥).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩/ ١٨٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دخولها(١)؛ لأنه إذا لم يسلم فإنه يقع في النار؛ لأنَّ الناس يمرُّون علىٰ الصراط في طريقهم إلىٰ الجنة، فمن كان من أهل النار وقع فيها، ومن نجَّاه الله عَزَّوَجَلَّ تجاوزها بسرعة أو ببطء علىٰ حسب ما جاء في الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ذلك، وأنه علىٰ قدر الأعمال، فمنهم من يمرُّ كالبرق، ومنهم من يمرُّ كالرِّيح، ومنهم من يمرُّ كَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ، ومنهم من يزحف زحفًا، وهكذا(٢).

٥- ومنها: **الشفاعة في استفتاح الجنة**؛ وهي أن النبي ﷺ يشفع ليؤذن للمؤمنين أن يدخلوا الجنة، وأمَّة محمد ﷺ أول الأمم دخولًا إلىٰ الجنة، فقد قال ﷺ: «**وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(٣)؛ فهو أول من يتقدم للشفاعة، وأول من يشفعه الله عَزَّوَجَلَّ بعد التقدُّم للشفاعة.

(١) قال العلامة ابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية: «وأمَّا فيمن استحقها أن لا يدخلها؛ فهذه قد تُستفاد من دعاء الرسول ﷺ للمؤمنين بالمغفرة والرحمة علىٰ جنائزهم؛ فإنه من لازم ذلك أن لا يدخل النار؛ كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين...» الحديث.

لكن هذه شفاعة في الدنيا؛ كما في قوله ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت، فيقوم علىٰ جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا؛ إلا شفَّعهم الله فيه».

وهذه الشفاعة ينكرها من أهل البدع طائفتان؛ المعتزلة والخوارج؛ لأنَّ المعتزلة والخوارج ذهبهما في فاعل الكبيرة أنه مخلَّدٌ في نار جهنم، فيرون من زنىٰ كمن أشرك بالله؛ لا تنفعه الشفاعة، ولن يأذن الله لأحد بالشفاعة له»، مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٥٣١).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

٦- ومنها: **الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة، من درجة أدنىٰ إلىٰ درجة أعلىٰ**. وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١]؛ فالذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان؛ فإن الله تعالىٰ يلحق بهم ذريتهم ويرفعهم إلىٰ درجاتهم وإلىٰ منازلهم بحيث يكونون مع من هو أعلىٰ درجة. وكما في زوجات الرسول ﷺ؛ فإنهن يرفعن معه في درجته؛ لأنهنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وأرضاهن -.

والحاصل: أن من كان في درجة في الجنة أَنْزَل؛ فإنَّ الله تعالىٰ يرفعه إلىٰ درجة أعلىٰ.

فهذه جملة من أنواع الشفاعة التي ذكرها العلماء(١).

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٣٩- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا بَسْطَامُ بْنُ حُرَيْثٍ، عَنْ

(١) ذكر ابن القيم في تهذيب السنن سبعة أنواع، وزاد علىٰ ما ذكره الشيخ هنا: «الشَّفَاعَة فِي دُخُول مَنْ لَا حِسَاب عَلَيْهِمُ الْجَنَّة»، وقال شارح الطحاوية (ص ٢٠٥): «وَيَحْسُنُ أَنْ يُسْتَشْهَدَ لِهَذَا النَّوْعِ بِحَدِيثِ عُكَاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ، حِينَ دَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ».

وزاد شارح الطحاوية نوعًا ثامنًا؛ وهو: الشَّفَاعَة فِي أَقْوَامٍ قَدْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَيَشْفَعُ فِيهِمْ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. انظر شرح الطحاوية (ص ٢٠٥).

أَشْعَثَ الْحُدَّانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(١).

الشرح

قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، أي: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته فيخرجون من النار إذا دخلوها، والأحاديث كثيرة جدًّا متواترة في ذلك، ومنها قول النبي ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنِّي أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وقوله ﷺ في حديث أنس: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»؛ معناه: أنها تحصل لهم يوم القيامة وأنه يشفع؛ فهي شفاعة من النبي ﷺ، لكنها خاصة بأمته، بخلاف الشفاعة العظمى؛ فإنها تكون لأمَّته وغير أمته، بل للخليقة كلها، وبخلاف شفاعته الخاصة في أبي طالب.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (٣/ ٢١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧١٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٣٣٤/ ١٩٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والبخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٣٤١/ ٢٠٠)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأنكر الشفاعة أهل الكبائر: **المعتزلة والخوارج**؛ فقالوا: إنهم مخلدون في النار. والأحاديث تردُّ عليهم، ومنها هذا الحديث.

والشفاعة تكون بشرطين:

- إذن الله للشافع أن يشفع.

- ورضاه عن المشفوع له.

كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: **(حدثنا سليمان بن حرب)**؛ هو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: **(حدثنا بسطام بن حريث)**؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: **(عن أشعث الحداني)**؛ هو أشعث بن عبد الله الحداني، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: **(عن أنس بن مالك)**؛ خادم رسول الله ﷺ، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

- وهذا الإسناد رباعي، وهو من أعلىٰ الأسانيد عند أبي داود.

۞ ۞ ۞

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٤٠ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو

رَجَاءٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيُسَمَّوْنَ: الْجَهَنَّمِيِّينَ»(١).

الشَّرح

ثم أورد أبو داود حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيُسَمَّوْنَ: الْجَهَنَّمِيِّينَ»؛ أي: أنهم كانوا في جهنم، أو جاءوا من جهنم، وهذا ليس ذمًّا لهم، وإنما نسبوا لما حصل لهم؛ أي: أنهم كانوا في جهنم ثم خرجوا منها، فهذا الذي حصل لهم نعمة عظيمة ومنَّة كبيرة؛ حيث انتقلوا من عذاب جهنم إلىٰ نعيم الجَّنة.

وهذا الحديث من أدلَّة شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وأنهم يخرجون من النار بشفاعته، كما يخرجون بشفاعة الشَّافعين غيره ﷺ؛ فإن هذه الشفاعة ليست من خصائصه ﷺ.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)؛ هو ابن مسرهد البصري، ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا يحيىٰ)؛ هو ابن سعيد القطان البصري، ثقة أخرج له

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٦٦)، وابن ماجه (٤٣١٥)، وأحمد (٤/ ٤٣٤).

أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الحسن بن ذكوان)؛ وهو صدوق يخطئ، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو رجاء)؛ هو العطاردي، وهو عمران بن ملحان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثني عمران بن حصين)؛ وهو صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كنيته أبو نجيد، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب السّتة.

❁ ❁ ❁

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٤١- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ**»[1].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ»؛ وهذا ليس بواضح في الشفاعة؛ لأنَّه ليس

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨/ ٢٨٣٥)، وأحمد (٣/ ٣١٦)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيه شيء يدل على الشفاعة، ولكنه كما قال بعض أهل العلم: إن فيه تلازمًا؛ فإن مَن خرج مِن النار بالشفاعة؛ فإنه يدخل الجنة ويأكل فيها ويشرب.

لكن الحديث ليس بواضح في الدلالة على الشفاعة، وإنما هو إخبار عمَّن دخل الجنة، ومَن دخل الجنة؛ قدْ يكون دخَلَها مِنْ أول وهلة، بغير شفاعة، وقد يكون دخلها بعد أن عُذِّب في النار، وقد حصلت له شفاعة، فإذا كان في الذين خرجوا من النار ودخلوا الجنة؛ فإنهم يكونون قد تنعَّموا في الجنة بعد أن عذِّبوا في النار، مثلما جاء الحديث الذي قبل هذا: أنهم يسمون الجهنميين.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا عثمان بن أبي شيبة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي، وإلا النسائي فقد أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (حدثنا جرير)؛ هو ابن عبد الحميد الضبي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الأعمش)؛ وهو سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي سفيان)؛ وهو طلحة بن نافع الواسطي، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن جابر)؛ هو ابن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو صحابي ابن صحابي، وهو أحد السَّبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْبَعْثِ وَالصُّورِ

٤٧٤٢- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْلَمُ، عَنْ بِشْرِ بْنِ شَغَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود هذه الترجمة قال: (بَابٌ فِي ذِكْرِ الْبَعْثِ وَالصُّورِ)؛ والبعث: هو إخراج الناس من القبور، وانتقالهم من حياة البرْزَخ إلىٰ الحياة الباقِية؛ لأن الدُّورَ ثلاث:

- دار الدنيا.
- ودار الآخرة.
- والبرزخ.

والْبَرزخ: هو الذي بين الموت وبين البعث؛ فهو من ناحية الجزاءِ تابع للآخرة؛ لأنَّ ما بعد الموت كله جزاء، والعمل ينتهي بالموت، وأما من

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣٠)، وأحمد (٢/ ١٦٢)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٨٠).

ناحية الحياة في البرزخ؛ فإنها تختلف عن حياة الآخرة، وتختلف عن حياة الدنيا، وهي حياة حقيقيَّة لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

على كل حال: البعث: هو خروج الناس من قبورهم، وقد مر في الحديث قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ»[1]، يعني: في البعث والخروج من القبور، فأوَّل قبر ينشق عن صاحبه قبر نبينا محمد ﷺ، وأوَّل الناس خروجًا من قبره نبينا محمد - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

والبعث يكون بالنفخ في الصور؛ فيخرج من قبره من كان مقبورًا، ويأتي من الأماكن التي صار فيها إذا لم يقبر، وذلك فيما إذا أكلته الحيتان أو احترق أو تقطَّع وتمزَّق في الماء، وغير ذلك من الأحوال التي هي غير الدفن في القبور، فإن الناس يبعثون، وكل منهم تعود أجزاء جسده إلى ما كانت عليه، ويخرج إلى الحياة الباقية التي تكون بعد البعث، ثم بعد ذلك في الجنة أو في النار.

قَوْلُهُ: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»؛ فالنفخة الأولى: نفخة الفزع؛ وهي التي تكون في نهاية الدنيا؛ حيث يصغي الإنسان ليتًا ويرفع ليتًا[2]؛ أي: يذهل

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣/ ٢٢٧٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١١٦/ ٢٩٤٠)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٧٦): «(أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا)؛ اللِّيتُ بِكَسْرِ اللَّامِ وَآخِرُهُ مُثَنَّاةٌ فوق؛ وهي

ويستمع، والنفخة الثانية تكون الصعقة؛ فيحصل الموت لمن كان حيًّا في نهاية الدنيا، ثم بالنفخة الثالثة يحصل البعث لجميع البشر من أوَّلهم إلىٰ آخرهم؛ فيقوم كل من كان ميِّتًا من أول الدنيا إلىٰ آخرها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا مسدد**)؛ مر ذكره.

قَوْلُهُ: (**حدثنا معتمر**)؛ هو ابن سليمان بن طرخان التيمي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**سمعت أبي**)؛ هو سليمان بن طرخان، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أسلم**)؛ وهو العجلي، ثقة، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن بشر بن شغاف**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الله بن عمرو**)؛ عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

=

صفحة العنق وهي جانبه، و(أصغىٰ)؛ أمَالَ».

صحابي ابن صحابي، وهو أحد العبادلة الأربعة من أصحاب النبي ﷺ، وهم: عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن الصحابة أجمعين -.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٤٣- حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»[(١)].

الشَّرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي هريرة: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»**؛ و(**عَجْب الذَّنَبِ**)؛ هو جزء من الإنسان يكون أول ما يخلق منه، ثم عند البعث يبنى عليه؛ ويكون أول ما يكون خلقًا وتركيبًا، فتأتي الذَّرَّات التي ذهبت تجتمع،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (١٤١/ ٢٩٥٥)، وأخرجه النسائي (٢٠٧٧)، وابن ماجه (٤٢٦٦)، وأحمد (٢/ ٣٢٢).

ثم تأتي كل ذرة من ذرَّات جسم الإنسان، وتقع في الموقع الذي كانت فيه، والمقصود بالتركيب: عودة الجسم إلىٰ ما كان عليه، بعدما دفن في قبره وأكلته الأرض.

وبعد تركيب الجسد يحصل البعث، فيخرج الناس من قبورهم بنفس الأجساد التي كانت في الدنيا[١]، حتىٰ تلقىٰ الجزاء وتلقىٰ النعيم والعذاب، كما أنه في القبر أيضًا قد حصل لها النعيم أو العذاب.

والشاهد من الحديث: أنَّ فيه ذكر البعث، وقوله في الجملة الأخيرة: «وَفِيهِ يُرَكَّبُ».

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا القعنبي**)؛ هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**عن مالك**)؛ هو ابن أنس، إمام دار الهجرة، المحدِّث الفقيه، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي الزناد**)؛ وهو عبد الله بن ذكوان المدني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) تقدم البيان في عودة نفس الأجساد بالتفصيل، راجع ص (٥٧٥).

قَوْلُهُ: (عن الأعرج)؛ وهو عبد الرحمن بن هرمز المدني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبي هريرة)؛ عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وأكثر الصحابة حديثًا على الإطلاق.

❊ ❊ ❊

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

الشَّرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الترجمة؛ قال: (بَابٌ فِي خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ)؛ أي: أنهما قد خلقتا، وأنهما موجودتان الآن، فقد سبق خلقهما، وذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلقهما وأوجدهما؛ فأعدَّ الجنَّة لأوليائه، وأعدَّ النار لأعدائه الذين كفروا به وأشركوا معه غيره.

وقالت المعتزلة: إنهما لا تخلقان إلا يوم القيامة، عندما يأتي وقت الانتفاع بها؛ أي: عندما يحصل التنعيم أو التعذيب. وقالوا: إن خلقهما قبل ذلك؛ ليس فيه فائدة ولا مصلحة؛ لأنها تبقىٰ مددًا طويلة معطَّلة.

وقد دلت الأحاديث علىٰ خلقهما وأنهما موجودتان الآن.

ومما يدل علىٰ وجود الجنة والنار: حديث الكسوف: لمَّا صَلَّىٰ النبيُّ ﷺ بالنَّاس صلاةَ الكُسُوفِ قَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ[1]؟)؛ يعني: ....

(١) أيْ: أحجَمْت وتأخَّرت إِلَىٰ وَراء. انظر النهاية (٤/ ١٨٠)، والمعجم الوسيط (٧٩٠)؛ مادة =

.....رجع القَهْقَرىٰ(١)؛ فالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ما رأوا الجنة ولا النار، وإنما رأوا تقدمه ﷺ وتأخره، ورأوا يده الممدودة ولمْ يَرَوُا الذي مُدَّت إليه، والله علىٰ كلِّ شيءٍ قَدِير، فأطلع نبيه علىٰ الجنة والنار وأراهما له، ولم يرهما من وراءه من أصحابه؛ (قَالَ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ»)(٢).

وهذا يدل علىٰ وجودهما؛ لأنَّ النبي ﷺ رأىٰ شيئًا موجودًا، وكذلك يدلنا علىٰ أن علىٰ الإنسان أن يؤمن بالغيب، وأن يصدق بكل ما جاءت به الأخبار عن الله وعن رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، سواء أدرك ذلك أم لم يدركه، وسواء عقل ذلك أم لم يعقله.

ومن حكمة خلقهما:

- الترغيب والترهيب، وأن علىٰ الإنسان أن يسعىٰ لتحصيل هذه الجنة التي خلقها الله، وأن يسعىٰ إلىٰ التخلُّص من النار التي خلقها الله عَزَّوَجَلَّ وأوجدها.

- والتنعيم في الجنة والتعذيب في النار؛ موجودان قبل يوم القيامة؛

=

(كعكع)، وفي رواية لمسلم: «كَفَفْتَ».

(١) القهقرىٰ: هُوَ الْمَشْيُ إِلَىٰ خَلْف مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعيد وجْهَه إِلَىٰ جِهة مَشْيه، و(رجَع القَهْقَرَىٰ)؛ أيْ: رجَع الرُّجوع الَّذِي يُعْرف بِهَذَا الاسم؛ لأنه ضَرْب من الرُّجوع. انظر: النهاية (٤/ ١٢٩)، والقاموس المحيط (ص٤٦٧).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

وذلك أن الإنسان في قبره منعَّم في نعيم الجنة أو معذَّب بعذاب النَّار؛ وذلك حاصلٌ قبل أن تنتهي الدنيا؛ لأنَّ كل من مات قامت قيامته، وانتقل من دار العمل إلىٰ دار الجزاء، فهو يجازىٰ علىٰ عمله في قبره؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وهو إما منعم وإما معذب.

وقد جاء في القرآن ما يدلُّ علىٰ ذلك في قصة آل فرعون؛ حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾، ثم قال: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ فهذا يدل علىٰ أن آل فرعون معذبون في النار قبل يوم القيامة، فإذا قامت الساعة انتقلوا من عذاب شديد إلىٰ عذاب أشدَّ.

وجاء في الحديث: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ»(١)، و«إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ»(٢).

فيصل إلىٰ الروح والجسد ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يصل من نعيم أو عذاب؛ فالفائدة حاصلة بالنسبة للجنة، والمضرَّة حاصلة بالنسبة للنار؛ قبل يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٢١/ ١٨٨٧)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١)، عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٣٧٣).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٤٤- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ»، قَالَ: «فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا. فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(١).

الشرح

والأحاديث في خلق الجنة والنار كثيرة، ومنها الحديث الذي أورده أبو

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٣٧٦٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٢١٠).

داود هنا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»؛ يعني: من يسمع بها؛ يرغب فيها ويحرص عليها؛ فيدخلها.

قال: «ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ»؛ يعني: قد حُفَّت به من المكاره، وليس هناك من يصبر على المكاره والتعب والنصب والمشقَّة؛ لأن طريق الجنَّة فيه تعب ونصب، ولا يحصل ذلك إلا بالصبر.

والصبر ثلاثة أنواع:

- **صبر على طاعة الله:** فيصبر الإنسان على الطاعة، ولو شقَّت على النفوس.
- **وصبر عن المعصية:** فيصبر عن المعاصي ولو مالت إليها النفوس.
- **وصبر على أقدار الله:** فيصبر على أقدار الله المؤلمة، ويرضى بقضاء الله وقدره، ويعلم أن ما شاء الله فلا بد أن يكون، وما لم يشأ؛ فإنه لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال.

فالجنة لما حفَّت بالمكاره صار الوصول إليها ليس كالحال قبل أن تكون محفوفة بالمكاره؛ لأنه ليس كلٌّ يصبر على المكاره والنصب والمشقة؛ ولهذا قَلَّ من يدخل الجنة وكثُرَ من يدخل النار، ولهذا يقول بعض السلف: (لا تغترَّ بطريق الشر لكثرة السالكين، ولا تزهد بطريق

الخير لقلَّة السالكين[(١)]؛ فإنه ليس العجب ممن هلك كيف هلك؟! وإنما العجب ممن نجا كيف نجا؟!)[(٢)].

قَالَ: «فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا»؛ أي: لأنه خلقها دون أن تحفَّ بالشهوات، فلا يدخلها أحد لشدتها وعظم هولها، وليس هناك أحد يُقْدِمُ علىٰ أن يكون من أهلها، «فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»؛ وذلك لكثرة من يقدم علىٰ الشهوات، ويفضِّل الشهوة العارضة واللذَّة العاجلة، ويغفل عن العاقبة الوخيمة وعن المضرَّة الكبيرة التي تترتَّب علىٰ ذلك.

فطريق الجنة فيه المتاعب والمشاق، وطريق النار فيه الشهوات التي من أرخىٰ لنفسه العنان فيها، وانقاد للشيطان وللنفس الأمَّارة بالسوء؛ فإنه ينتهي إلىٰ النار، وينتهي إلىٰ الهاوية - والعياذ بالله -.

والشاهد من ذلك: أنَّ الجنَّة والنار قد وجدتا وأنهما موجودتان الآن.

---

(١) ذكره الشاطبي في الاعتصام (ص ١١٢)، وابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٤٦)، وغيرهما، وعزاه الشاطبي للفضيل بن عياض.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٧١)، عن يحيىٰ بن أبي كثير: أَنَّ سُلَيْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ... فذكره.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا موسىٰ بن إسماعيل**)؛ هو التبوذكي البصري، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد**)؛ هو ابن سلمة بن دينار البصري، ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن محمد بن عمرو**)؛ هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سلمة**)؛ هو ابن عبد الرحمن بن عوف، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين علىٰ أحد الأقوال الثلاثة في السابع منهم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي هريرة**)؛ وقد مر ذكره.

❁ ❁ ❁

الأسئلة

السؤال: هل في قول جبريل: «وعزتك»، دليل على الحلف بصفات الله؟

الجواب: هذا دليل على جواز الحلف بصفات الله، فيحلف بأسماء الله وصفاته ولا يحلف بغيره؛ ولهذا قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا؛ فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١)، المقصود من ذلك: أن يكون الحلف بالخالق؛ بأسمائه وصفاته؛ لأن الله تعالى بذاته وصفاته هو الخالق، وكل ما سواه مخلوق، فيحلف بالخالق ولا يحلف بالمخلوق.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يمكن أن نردَّ على المعتزلة بالتناقض في كلامهم؛ حيث إنهم يقولون: إن الجنة والنار تفنيان. ثم يقولون: إن أهل الكبائر مخلدون فيها؟

الجواب: أنا لا أعرف عن المعتزلة أنهم يقولون بأن الجنة والنار تفنيان(٢).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (٣/ ١٦٤٦)، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هو قول الجهمية، قال شارح الطحاوية (ص ٤٢٤): «قَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ إِمَامُ الْمُعَطِّلَةِ، وَلَيْسَ لَهُ سَلَفٌ قَطُّ؛ لَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ. وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ عَامَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَفَّرُوهُ بِهِ، وَصَاحُوا بِهِ وَبِأَتْبَاعِهِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ».

وإذا كانوا يقولون بهذا؛ فهم مخطئون في البداية والنهاية، مخطئون في البداية لكونهم قالوا: إن الجنة والنار إنما تخلقان يوم القيامة ولا تخلقان قبل ذلك. والنصوص قد جاءت بأنهما مخلوقتان قبل ذلك، ومخطئون في النهاية حيث قالوا: تفنىٰ الجنة والنار. وقد جاءت النصوص بأن الجنة التي فيها المؤمنون والنار التي فيها الكفار، باقيتان إلىٰ غير نهاية، وأمَّا العصاة فإنهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة، فإذا كانوا يقولون بالفناء؛ فهم مخطئون فيما يتعلَّق بالجنة والنار من جهتين، وفي كل ذلك مخالفة للنصوص.

* * *

السؤال: ما مدى صحة القول بأن النار ناران: نار الكفار تبقى أبد الآبدين، والنار التي يدخلها أهل الكبائر إذا خرجوا منها فنيت. هل هذا التقسيم صحيح؟

الجواب: نعم، ابن القيم في كتابه «الوابل الصيب من الكلم الطيب» قسَّم هذا التقسيم؛ قال: «دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنىٰ، وهي دار العصاة؛ فإنه لا يبقىٰ في جهنم من عصاة الموحِّدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقىٰ إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض»[١].

---

(١) (ص: ٢٠).

السؤال: ذكرتم أن من مات فقد قامت قيامته[(١)]، هل هو حديث؟

الجواب: لا أعلم حديثًا في هذا؛ لكن هذا هو الواقع؛ لأن القيامة بالنسبة لكل أحد هي بموته، فإذا مات انتهىٰ من الدنيا وانتقل إلىٰ الآخرة، والقيامة التي تكون عند نهاية الدنيا تكون بالنفخ في الصور؛ لأن الساعة تطلق علىٰ الموت وعلىٰ البعث؛ فمن إطلاقها علىٰ الموت: «**إن من شرار الناس من تأتيهم الساعة وهم...**»؛ يعني: الذين تقوم عليهم الساعة، فيموتون عند النفخ في الصور. ومن إطلاقها علىٰ القيام من القبور؛ ما جاء في القرآن: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ أي: يوم يحصل البعث.

❁ ❁ ❁

السؤال: في بعض ألفاظ حديث الشفاعة أنها تكون لمن لم يعمل خيرًا قط[(٢)]، فهل يدل هذا على انتفاء عمل الجوارح من الإيمان حتى الصلاة؟

الجواب: معلوم أن هذا من أحاديث الوعد، وأحاديث الوعد لا يجوز للإنسان أن يعوِّل عليها ويترك أحاديث الوعيد، وإنما يأخذ بنصوص الوعد والوعيد؛ فيكون خائفًا راجيًا، لا يُغلِّب جانب الخوف، ولا يغلِّب جانب

---

(١) ضعيف: أخرجه الديلمي (١/ ٢٨٥، رقم ١١١٧) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١١٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٢/ ١٨٣)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرجاء؛ بل يسير إلىٰ الله تعالىٰ بالخوف والرجاء؛ حتىٰ يحصل الخير ويسلم من الشر، وحتىٰ يعمل الأعمال الصالحة ويبتعد عن الأعمال المحرَّمة، وإذا كان في آخر الدنيا؛ فإنه يغلب جانب الرجاء حتىٰ لا يحصل له قنوط ويأس عند الموت، بل يحسن الظنَّ بالله عَزَّوَجَلَّ، ويرجو ثواب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فالذين جاء في بعض الأحاديث أنهم لم يعملوا خيرًا قط؛ قد يكون أحدهم عمل أشياء ولكنها ذهبت لمن يستحقُّها من الدائنين؛ كما قال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١)؛ فتكون عنده أعمال ولكنها ذهبت لغيره.

❁ ❁ ❁

السؤال: في «صحيح البخاري»: «فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي»(٢)، فهل معنى ذلك أنه يجوز أن يقال: إن الله تعالى يشفع؟

الجواب: الشفاعة - كما هو معلوم – هي أن الشافع يشفع عند غيره،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٩/ ٢٥٨١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا لا يحصل لله عَزَّوَجَلَّ؛ فهو تعالىٰ لا يشفع عند غيره، بلْ يُشفع عنده، وقد مرَّ في الحديث: «وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ»[١]، فلا أدري عن هذه اللفظة ما المقصود بها[٢]، وإنَّما المقصود من ذلك ما يحصل من العفو والتجاوز، وإلا فإن الله تعالىٰ هو الذي يُشفع عنده، ولا تكون الشفاعة منه عند غيره.

❁ ❁ ❁

السؤال: ذكرتم أنَّ للشفاعة شرطين: إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع فيه، وذكرتم شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب؛ فهل معنى ذلك أن الله رضي عن أبي طالب؟

الجواب: لا؛ لأنه معذَّب، ولكن الذي حصل هو التخفيف، وهذان الشرطان إنما هما في الغالب، وإلا فإنَّ أبا طالب ليس مرضيًّا عنه، بل هو كافر وليس بعد الكفر ذنب، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وأيضًا: حصلت له الشفاعة للتخفيف مع بقائه في النار علىٰ حال هو فيها أخف أهل النار عذابًا، ويرىٰ أنه ليس

(١) ضعيف: وقد تقدم، راجع الحديث رقم (٤٧٢٦) من السنن.

(٢) قال الشيخ عبد الله الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ١٢٩): «المراد بشفاعته - تعالىٰ - رحمته لهؤلاء المعذبين؛ فيخرجهم من النار».

هناك أحد أشد منه عذابًا - والعياذ بالله -[1].

❁ ❁ ❁

السؤال: لماذا نحتاج إلى شفاعة النبي ﷺ لدخول الجنة، ولا يخرجنا الله بنفسه من النار بدون شفاعة؟

الجواب: قدَّر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحصل إكرام للشافع وللمشفوع، وأن تكون الشفاعة هي الوسيلة إلىٰ هذه الغاية؛ فيكون في ذلك إكرام للشافع وإظهار لفضله ومنزلته، مثلما حصل بالنسبة لنبينا محمد ﷺ في الشفاعة العظمىٰ؛ فإنه ظهر فيها إكرامه وسؤدده وفضله علىٰ الجميع، وحصل له المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، فهي من الأشياء التي يرفع الله تعالىٰ بها من يشاء، ويستفيد بتلك الشفاعة من يشاء؛ فيحصل للمشفوع له خير، ويحصل للشافع إكرام ببيان منزلته وعلوِّ مكانته.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل ثبت أن إسرافيل هو الذي ينفخ في الصور؟

الجواب: لا نعلم نصًّا واضحًا في هذا، لكن بعض العلماء يذكر هذا مثلما ذكره ابن كثير في تفسير سورة الأنعام[2]، فإنه ذكر أنه جاء في الصحيح، لكن

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٦٢/ ٢١٢)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

(٢) قال ابن كثير (٣/ ٢٨١)، عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣]: =

لا نعلم نصًّا في أن إسرافيل هو الذي ينفخ في الصور، وهو من المشهورين في الملائكة، وقد ذكر بعض أهل العلم في حديث توسُّل النبي ﷺ إلىٰ ربه بربوبيته لجبريل وميكائيل وإسرافيل(١)؛ أن ذلك لأن هؤلاء موكَّلون بأنواع الحياة؛ فجبريل موكَّل بالوحي الذي به حياة القلوب، وميكائيل موكَّل بالقطر الذي به حياة الأبدان، وإسرافيل موكَّل بنفخ الصور الذي به الحياة بعد الموت(٢)، لكن لا أعلم نصًّا في هذا(٣).

=

«وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالصُّورِ: (الْقَرْن) الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أنه قَالَ: «إِنَّ إِسْرَافِيلَ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ، يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَر فَيَنْفُخ»»، وانظر تفسير ابن جرير الطبري (١١/ ٤٦٣).

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٠/ ٧٧٠) عن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

(٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٤٤)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٤٤)، وإغاثة اللهفان (٢/ ١٢٨)، لابن القيم، وشرح الطحاوية (ص ١٨٠، و٢٨٠)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٤٢٠، ٤٢١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٦٨، ٣٦٩): «اشْتُهِرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَقَلَ فِيهِ الْحَلِيمِيُّ الْإِجْمَاعَ، وَوَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ الْمَذْكُورِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ، وَفِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة عِنْد ابن مَرْدَوَيْهِ، وَكَذَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الطَّوِيلِ

=

الَّذِي أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالطَّبَرِيُّ، وَأَبُو يَعْلَىٰ فِي الْكَبِيرِ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الطِّوَالَاتِ، وَعَلِيُّ بْنُ مَعْبَدٍ فِي كِتَابِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ؛ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَدَارُهُ عَلَىٰ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ وَاضْطَرَبَ فِي سَنَدِهِ مَعَ ضَعْفِهِ؛ فَرَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ تَارَةً بِلَا وَاسِطَةٍ، وَتَارَةً بِوَاسِطَةِ رَجُلٍ مُبْهَمٍ، وَمُحَمَّدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَارَةً بِلَا وَاسِطَةٍ، وَتَارَةً بِوَاسِطَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مُبْهَمٍ أَيْضًا. وَأَخْرَجَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ الشَّامِيُّ أَحَدُ الضُّعَفَاءِ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَاعْتَرَضَ مُغْلَطَايْ عَلَىٰ عَبْدِ الْحَقِّ فِي تَضْعِيفِهِ الْحَدِيثَ بِإِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، وَخَفِيَ عَلَيْهِ أَنَّ الشَّامِيَّ أَضْعَفُ مِنْهُ، وَلَعَلَّهُ سَرَقَهُ مِنْهُ فَأَلْصَقَهُ بِابْنِ عَجْلَانَ.

وَقَدْ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: إِنَّهُ مَتْرُوكٌ يَضَعُ الْحَدِيثَ. وَقَالَ الْخَلِيلِيُّ: شَيْخٌ ضَعِيفٌ شَحَنَ تَفْسِيرَهُ بِمَا لَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْحَافِظُ عماد الدِّين ابن كَثِيرٍ فِي حَدِيثِ الصُّورِ: جَمَعَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ مِنْ عِدَّةِ آثَارٍ، وَأَصْلُهُ عِنْدَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَسَاقَهُ كُلَّهُ مَسَاقًا وَاحِدًا. وَقَدْ صَحَّحَ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ الْقَاضِي: أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي سِرَاجِهِ، وَتَبِعَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذْكِرَةِ، وَقَوْلُ عَبْدِ الْحَقِّ فِي تَضْعِيفِهِ أَوْلَىٰ، وَضَعَّفَهُ قَبْلَهُ الْبَيْهَقِيُّ، فَوَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الصُّورَ فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَىٰ فِيهِ شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ الْعَرْشِ» الْحَدِيثَ. وَقَدْ ذَكَرْتُ مَا جَاءَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ فِي ذَلِكَ، فَلَعَلَّهُ أَصْلُهُ.

وَجَاءَ أَنَّ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الصُّورِ غَيْرُهُ؛ فَفِي الطَّبَرَانِيِّ الْأَوْسَطِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ: كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: يَا كَعْبُ، أَخْبِرْنِي عَنْ إِسْرَافِيلَ؛ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «وَمَلَكُ الصُّورِ جَاثٍ عَلَىٰ إِحْدَىٰ رُكْبَتَيْهِ وَقَدْ نَصَبَ الْأُخْرَىٰ يَلْتَقِمُ الصُّورَ مَحْنِيًّا ظَهْرُهُ شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إِلَىٰ إِسْرَافِيلَ، وَقَدْ أُمِرَ إِذَا رَأَىٰ إِسْرَافِيلَ قَدْ ضَمَّ جَنَاحَيْهِ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ»؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا عَلِيَّ بْنَ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ فَفِيهِ ضَعْفٌ، فَإِنْ ثَبَتَ حُمِلَ عَلَىٰ

=

السؤال: كم عدد النفخات؟

الجواب: ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الموت، ونفخة البعث.

= أَنَّهُمَا جَمِيعًا يَنْفُخَانِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، لَكِنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ؛ قَالَ: «مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ مُوَكَّلَانِ بِالصُّورِ»، وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ ضَمْرَةَ مِثْلَهُ، وَزَادَ: «يَنْتَظِرَانِ مَتَىٰ يَنْفُخَانِ»، وَنَحْوُهُ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «النَّافِخَانِ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَشْرِقِ وَرِجْلَاهُ بِالْمَغْرِبِ- أَوْ قَالَ بِالْعَكْسِ - يَنْتَظِرَانِ مَتَىٰ يُؤْمَرَانِ أَنْ يَنْفُخَا فِي الصُّورِ فَيَنْفُخَا»؛ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بِغَيْرِ شَكٍّ، وَلِابْنِ مَاجَهْ وَالْبَزَّارِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَفَعَهُ -: «إِنَّ صَاحِبَيِ الصُّورِ بِأَيْدِيهِمَا قَرْنَانِ يُلَاحِظَانِ النَّظَرَ مَتَىٰ يُؤْمَرَانِ». وَعَلَىٰ هَذَا فَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: «إِنَّهُ إِذَا رَأَىٰ إِسْرَافِيلَ ضَمَّ جَنَاحَيْهِ نَفَخَ؛ أَنَّهُ يَنْفُخُ النَّفْخَةَ الْأُولَىٰ»، وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، ثُمَّ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ وَهِيَ نَفْخَةُ الْبَعْثِ».

أما الحديث الذي فيه أنهما ملَكَان؛ فقد حكم عليه الشيخ الألباني بالنكارة في الضعيفة رقم (٦٨٦٩)، وقال: «في الحديث نكارة ظاهرة مخالفة في وصف الملك رأسًا ورِجلًا، وأنهما ملكان، والمحفوظ في أحاديث الباب أن النافخ في الصور واحد، إلا في رواية لعطية العوفي منكرة؛ فإنها بلفظ: «إن صاحبي الصور...». وأكثر الروايات عنه بالإفراد، وعليه أكثر الأحاديث - كما كنت بينت ذلك في الصحيحة برقم (١٠٧٩) -».

وقد حُكي الإجماع علىٰ أن النافخ في الصور هو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كما ذكره ابن حجر عن الحليمي، وقال القرطبي في التفسير (٧/ ٢٠): «وَالْأُمَمُ مُجْمِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

السؤال: هل صحيح أن الصور فيه ثقوب بعدد أرواح الخلائق؟

الجواب: هذا شيء من علم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، إذا جاء فيه نص فيمكن أن نتكلَّم عنه، وإلا فليس هناك سوىٰ السكوت، ولا نعلم شيئًا في هذا.

❊ ❊ ❊

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

بَابٌ فِي الْحَوْضِ

٤٧٤٥- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُسَدَّدٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»[١].

الشَّرْح

قول الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (بَابٌ فِي الْحَوْضِ)؛ الحوض: هو حوض رسول الله ﷺ يوم القيامة، الذي يرده الناس وهم عطاش، فيشرب منه من يشرب، ومن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا[٢]، ومنهم من يُذاد عنه ويُمنع مع شدَّة حاجته إليه، فذنوبه ومعاصيه هي التي حالت بينه وبين ذلك.

❁ إثبات حوض النبي ﷺ:

وأحاديث الحوض متواترة عن رسول الله ﷺ، وقد ذكر ابن القيم في

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٣٤/ ٢٢٩٩)، وأحمد (٢/ ٢١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٧/ ٢٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

«تهذيب السنن» أنها جاءت عن أربعين صحابيًّا، وسمَّاهم، وذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» أنهم يزيدون عن الخمسين صحابيًّا[1].

❁ الكلام في مكان الحوض:

وقد اختُلِف فيه: هل يكون قبل الصراط أو بعد الصراط؟

فجاء عن بعض أهل العلم: أنه يكون بعد الصراط.

والكثيرون قالوا: إنه قبل الصراط. وهو الأقرب؛ لأن الذين يُذادون عنه لو كان بعد الصراط؛ فإنهم لا يتجاوزون إليه حتىٰ يذادون عنه، بل يقعون في النار، وعلىٰ هذا فالذود إنما يناسب أن يكون قبل الصراط.

ومنهم من قال: الحوض له مكانان؛ مكان قبل الصراط، ومكان بعد الصراط. والله تعالىٰ أعلم.

---

(١) انظر: تهذيب السنن بحاشية عون المعبود (١٣/ ٥٦)، وفتح الباري (١١/ ٤٦٨، ٤٦٩)، وكذلك قد استقصىٰ أحاديث الحوض الحافظ ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ٣٧٤- ٤١٠)، وقال العلامة الألباني في تعليقه علىٰ الطحاوية (ص٤٥): «والأحاديث التي جاء ذكر الحوض فيها كثيرة جدًّا، بلغت مبلغ التواتر؛ كما صرح بذلك جمع من الأئمة، ورواها من الصحابة بضعة وثلاثون صحابيًّا، وقد استقصىٰ طرقها الحافظ ابن كثير في «النهاية» في آخر تاريخه، وعقد لها الحافظ ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» سبعة أبواب (رقم ١٥٥ - ١٦١)، ورقم الأحاديث (٧٣٤ - ٧٧٦، بتحقيقي)، أشار في آخرها إلىٰ تواترها بقوله: «والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ؛ توجب العلم...»».

❁ طول الحوض:

أورد أبو داود حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»؛ وهذا فيه إثبات الحوض للنبي ﷺ، وأنه أمام الناس، وأنه واسع. وجرباء وأذرح هما قريتان من بلاد الشام، وهما متقاربتان، وجاء في بعض الروايات أنه قال: «ما بين المدينة وجرباء وأذرح»[(١)]، فتكون المسافة على هذا كما بين المدينة إلى جرباء وأذرح؛ فالمدينة بداية وجرباء وأذرح غاية. وعلى ما جاء في هذه

(١) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٧٢): «فَإِنَّ الْحَافِظَ ضِيَاءَ الدِّينِ الْمَقْدِسِيَّ ذَكَرَ فِي الْجُزْءِ الَّذِي جَمَعَهُ فِي الْحَوْضِ: أَنَّ فِي سِيَاقِ لَفْظِهَا غَلَطًا، وَذَلِكَ الِاخْتِصَارُ وَقَعَ فِي سِيَاقِهِ مِنْ بَعْضِ رُوَاتِهِ، ثُمَّ سَاقَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ فَوَائِدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْهَيْثَمِ الدَّيْرَعَاقُولِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ، فَقَالَ فِيهِ: «عَرْضُهُ مِثْلُ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»، قَالَ الضِّيَاءُ: فَظَهَرَ بِهَذَا أنه وَقع فِي حَدِيث ابن عُمَرَ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: كَمَا بَيْنَ مَقَامِي وَبَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ. فَسَقَطَ (مَقَامِي وَبَيْنَ)، وَقَالَ الْحَافِظُ صَلَاحُ الدِّينِ الْعَلَائِيُّ بَعْدَ أَنْ حَكَى قَوْلَ ابن الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ: هُمَا قَرْيَتَانِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. ثُمَّ غَلَّطَهُ فِي ذَلِكَ وَقَالَ: لَيْسَ كَمَا قَالَ، بَلْ بَيْنَهُمَا غَلْوَةُ سَهْمٍ، وَهُمَا مَعْرُوفَتَانِ بَيْنَ الْقُدْسِ وَالْكَرْكِ. قَالَ: وَقَدْ ثَبَتَ الْقَدْرُ الْمَحْذُوفُ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرِهِ بِلَفْظِ: مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَجَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ. قُلْتُ: وَهَذَا يُوَافق رِوَايَة أبي سعيد عِنْد ابن مَاجَهْ: كَمَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَقَدْ وَقَعَ ذِكْرُ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَفِيهِ: وَافَى أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ بِحَرَسِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. ذَكَرَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ يُؤَيِّدُ قَوْلَ الْعَلَائِيِّ أَنَّهُمَا مُتَقَارِبَتَانِ».

الرواية: «كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»؛ فتكون المسافة ليست طويلة.

وقد جاءت التقادير عن النبي ﷺ بألفاظ متعددة؛ منها ما هو واسع جدًّا، ومنها دون ذلك[١]، وجاء في الأحاديث الصحيحة أيضًا: أن عَرْضَهُ مِثْلُ طُولِهِ[٢]، وأن زواياه سواء[٣]؛ وعلىٰ هذا فيكون مربعًا.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا سليمان بن حرب**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**ومسدد**)؛ هو ابن مسرهد البصري، ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (**قالا: حدثنا حماد بن زيد**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أيوب**). هو ابن أبي تميمة السختياني، وهو ثقة، أخرج له

---

(١) قال العلامة صالح آل الشيخ في شرح الطحاوية (الشريط ١٤): «وقد ثبت في الصحيح أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء...»، واختلفت الروايات كثيرًا في طوله وعرضه، ومُحَصَّلُها ما ذكرتُ؛ من أنه شهر في شهر، وقد جاء في بعض الروايات قال: «هو كما بين الكعبة وبيت المقدس»، وفي رواية قال: «هو كما بين المدينة وعُمَان»، أو قال: «عَمَّان»، وفي رواية قال: «هو كما بين المدينة إلىٰ صنعاء»، وفي رواية قال: «هو كما بين أَيْلَةَ إلىٰ صنعاء»، وثَمَّ غير ذلك.

وإذا قلنا: «مسيرة شهر»؛ فالمراد بالشهر: بسَير الجمال السّير المعتاد؛ لأنه هو الفصل في التقدير».

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٣٦/ ٢٣٠٠)، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧/ ٢٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن نافع)؛ مولىٰ ابن عمر، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ابن عمر)؛ هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أحد العبادلة الأربعة من أصحاب النبي ﷺ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٤٦- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ: «**مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ**»، قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «سَبْعُ مِائَةٍ، أَوْ ثَمَانُ مِائَةٍ»(١).

الشَّرح

هذا يدلُّ علىٰ كثرة الواردين علىٰ الحوض، وقد سأل أبو حمزة زيدًا:

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٦١، رقم ٧١٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣١٦٨٧)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٧٥، رقم ٤٩٩٨)، والحاكم (١/ ١٩٤، رقم ٢٥٦)، وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٢٣)، وفي صحيح الجامع رقم (٥٥٥٧).

كم كنتم يومئذ؟ قال: «سَبْعُ مِائَةٍ، أَوْ ثَمَانُ مِائَةٍ»؛ يعني: أنَّ الذين يردون الحوض علىٰ رسول الله ﷺ كثيرون، وأنَّ نسبة هؤلاء إنَّما هي شيء يسير ممَّن عداهم.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا حفص بن عمر النمري**)؛ هو ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا شعبة**)؛ هو ابن الحجاج الواسطي ثم البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عمرو بن مرة**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي حمزة**)؛ وهو طلحة بن يزيد، وثَّقه النسائي، وأخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن زيد بن أرقم**)؛ صاحب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستَّة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٤٧- حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: أَغْفَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِغْفَاءَةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَإِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لِمَ

ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»؛ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] حَتَّىٰ خَتَمَهَا، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ؛ عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ»(١).

الشَّرْح

أورد أبو داود حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: (أَغْفَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِغْفَاءَةً)؛ أي: نام نومًا يسيرًا، (فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا)؛ والمقصود من ذلك: أنه كان يوحىٰ إليه. وقام متبسمًا.

قال: (فَإِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ)؛ أي: إما بدأهم بالإخبار عن الذي قد حصل له، أو هم بدءوه بالسؤال فقالوا: (يَا رَسُولَ اللهِ! لِمَ ضَحِكْتَ؟)؛ أي: ما سبب التبسم؟ فأرادوا أن يعرفوا السبب الذي حصل من أجله ذلك، وهم يعلمون أنه يوحىٰ إليه في مثل هذه الحالة، وأنه ﷺ إنما فعل ذلك لأمر حسن وسار قد حصل.

ثم إنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبرهم؛ فقال: «إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا»؛ يعني

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٣/ ٤٠٠)، والنسائي في الصغرىٰ (٩٠٤)، وأحمد (٣/ ١٠٢).

قريبًا، في هذه الإغفاءة «سُورَةٌ»؛ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر: ١]؛ حَتَّىٰ خَتَمَهَا»؛ أي: فقرأ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٢، ٣].

ثم قال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ؛ عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ**»؛ وهذا يدلُّ علىٰ أن الكوثر نهرٌ في الجنَّة، وأن فيه حوضًا، وثبت في الصحيح: أن الحوض يَشْخَبُ - أي: يصبُّ - فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ[1]؛ وعلىٰ هذا فيكون الكوثر نهرًا في الجنة ولكن الحوض في عرصات القيامة، وهو يُمَد بالماء من ذلك النهر الذي في الجنَّة. وعلىٰ هذا فيكون الحوض شيئًا والكوثر شيئًا آخر وليسا شيئًا واحدًا، والكوثر هو الأصل، والحوض فرع منه.

قَوْلُهُ: «**تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي**»؛ المقصود بالأمَّة هنا: أمة الإجابة؛ بلا شك، وهناك أناس ارتدُّوا يَرِدُون عليه فيُذَادُون عنه، كما جاء أنَّه قال: «**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[2]؛ فيأتيه أناس يعرفهم أنهم دخلوا في دينه، ولكن يحال بينه وبينهم؛ فيقول: «**يَا رَبِّ أَصْحَابِي!**»

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٦/ ٢٣٠٠)، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٤٠)، ومسلم (٥٨/ ٢٨٦٠)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء فيهما عن عدة من الصحابة.

فَيَقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؛ أي: أنَّهم خرجوا من كونهم من أمَّتك؛ لكفرهم وارتدادهم عن دينهم، بعد وفاتك، فليسوا من أهل الشرب منه.

والمقصود بذلك: الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، فقاتلهم الصديق ومات من مات منهم علىٰ الردَّة؛ فهؤلاء هم الذين يذادون عن الحوض[1].

(١) قال العلامة صالح آل الشيخ في شرح الطحاوية (الشريط ١٤): «فإنه يُذاد عن الحوض طائفة قليلة بالنسبة إلىٰ كثرة من يرده؛ قد جاء في أحاديث كثيرة عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ متعددة: أنه إذا ورد الحوض ورد عليه أناس يعرفهم ويعرفونه، ثم يُذَادُونَ عن الحوض؛ يعني: يُدفَعُونَ بشدة، فيقول: «يا ربِّ، قومي قومي»، وفي رواية: «أصحابي»، وفي رواية لأنس في الصحيح: «أصيحابي أصيحابي»، فينادي المنادي: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وفي رواية: «إنهم لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم»؛ فهذا دَفْعٌ بشدة عن الحوض لطائفة من المرتدِّين، ومن المُحْدِثِين.

ولهذا اختلف أهل العلم في هؤلاء الذين يُدفعون عن الحوض من هم؟ على أقوال:

القول الأول:

أنَّ الذين يُذادُونَ عن الحوض هم الَّذين ارتدوا من الصحابة بعده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ كالذين تبعوا مُسَيْلمة الكذاب، أو سَجَاحًا، أو كَفَرُوا وارتَدُّوا بعد ذلك، وهم قليل.

ويدل علىٰ قلَّتهم أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «يذاد قوم»، وفي رواية أخرىٰ قال: «فيأتيني قوم فيُذادون عن الحوض»، وهذا يدلُّ علىٰ قلَّتهم. ويدل علىٰ ذلك أيضًا قوله: «يا ربِّ أصيحابي أصيحابي»، وقد قال أهل العلم: إنَّ كلمة (قوم) و(أصيحابي) ونحوهما؛ يدل علىٰ قلة العدد، لا علىٰ كثرتهم.

وهذا يناسب هذا القول؛ لأنَّ عدد الذين ارتدوا بعد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ممن صحبوه أو حجوا معه حجة الوداع؛ قليل، شرذمة من الأعراب الذين لم يؤمنوا به حق الإيمان.

=

القول الثاني:

أنَّ الذين يُذادون عن الحوض هم المنافقون؛ والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يعرف المنافقين جميعًا؛ فقد قال الله جَلَّ وَعَلَا له: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، فيأتون يوم القيامة وعليهم سيما أهل الإيمان، أو أنهم مع المؤمنين؛ فيظنُّهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من المؤمنين به ظاهرًا وباطنًا، ثم يُذادون فَيُدْفَعُونَ عن الحوض بشدة، ويساقون إلىٰ النار، فيقول: «**أصحابي أصحابي**»، باعتبار ما كان عليه ظاهر أمرهم، فيقول: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، أو: «**إنهم لم يزالوا مرتدِّين علىٰ أدبارهم مذ تركتهم**»؛ يعني ظَهَرَ نفاقهم واستبان بعد وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

القول الثالث:

أنَّ الذين يذادون هم كل من أحدث بعده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حدثًا؛ فَغَيَّرَ في دينه؛ إمَّا بالارتداد عن الإسلام إلىٰ الكفر، أو بما هو دون ذلك من المحدثات، من أنواع البدع المضلة؛ كبدعة الرَّفض، والسبئية، والخوارج، والنَّصب، والاعتزال؛ كل هذه من أنواع المحدثات، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال في وصف من يُذاد: «**فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، وهذه من جملة أنواع المحدثات.

وهذا القول الثالث هو أظهر الأقوال لشموله للقولين السابقين؛ فنقول:

- الذين يُذادون - كما جاء في بعض الأحاديث - الذين ارتدوا ممن شارك في حجة الوداع، أو صحب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولم يؤمن به إيمانًا حقيقيًّا؛ فهؤلاء يذادون.
- وأيضًا يذاد المنافقون.
- وأيضًا يذاد كل أصحاب الفرق الضالة؛ كالخوارج والمعتزلة والرافضة، وأشباه هؤلاء من الفرق الذين ضلوا، وأحدثوا في الدين، وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

❁ مسألة: هل ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من السورة؟

هذا الحديث فيه دليل لمن قال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من السورة.

وبعض أهل العلم يقول: إن ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من القرآن، وهي فاصلة بين كل سورتين ما عدا الأنفال والتوبة؛ فإنهما ليس بينهما: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1].

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا هناد بن السري)؛ هو أبو السري، وهو ثقة، أخرج له البخاري في «خلق أفعال العباد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن فضيل)؛ هو محمد بن فضيل بن غزوان، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن المختار بن فلفل)؛ وهو صدوق له أوهام، أخرج له مسلم

=

قال بعض أهل العلم: ويُلْحَق بذلك أيضًا من افترىٰ علىٰ الله جَلَّ وَعَلَا في دينه؛ يعني: كَذَبَ في أمر الدين.

ويدل علىٰ ذلك الإمام أحمد في «مسنده» وغيره بألفاظ متقاربة؛ أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «سيكون بعدي أمراء، فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم علىٰ ظُلمهم؛ فليس مني ولست منه، ولن يرد عليَّ الحوض»؛ قال في وصف هؤلاء: «فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم علىٰ ظلمهم»؛ يعني: يكذبون علىٰ الدين، وهذا يُصَدِّقُهُم علىٰ ذلك ويعينهم علىٰ الكذب علىٰ الدين، ويعينهم علىٰ الظُّلم؛ فهذا مُحْدِث؛ فلهذا أُلحق بتلك الفئات في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فليس مني ولستُ منه، ولن يرد عليَّ الحوض».

(١) للتفصيل في المسألة؛ انظر: المغني لابن قدامة (١/ ٣٤٦)، وبداية المجتهد لابن رشد (١/ ١٣٢)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٨/ ٨٣).

وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (سمعت أنس بن مالك)؛ خادم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

- وهذا الإسناد من أعلىٰ الأسانيد عند أبي داود، فإنه من الرباعيات.

❁ فائدة: مراسيل الصحابة حجة:

وهذا الحديث رواه أنس بن مالك، فيكون من مراسيل الصحابة؛ لأن السورة مكيَّة[١]، ومعلوم أنَّ مراسيل الصحابة حجة، ولا شك أن الشيء الذي ما شهده الصحابي إنما أخذه عن صحابي آخر، وإذا جاء عنهم شيء مضاف إلىٰ رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سواء كان ممَّا أدركوه أو ممَّا لم يدركوه؛ فإنه يعتبر ثابتًا، ونسبته إلىٰ رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صحيحة؛ لأنه إما أن يكون أخذه من رسول الله ﷺ، أو أنه أخذه عن الصحابة الذين شاهدوه وعرفوه.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٤٨- حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ فِي

(١) وقيل أنها مدنية، واستُدلَّ بهذا الحديث علىٰ ذلك؛ قال الحافظ ابن كثير بعدما ذكر هذا الحديث في تفسيره (٨/ ٤٩٨): «وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ».

الْجَنَّةِ - أَوْ كَمَا قَالَ - عُرِضَ لَهُ نَهْرٌ حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَيَّبُ - أَوْ قَالَ: الْمُجَوَّفُ -، فَضَرَبَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا؛ فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه إثبات الكوثر بالسنَّة، وهو ثابت في القرآن، وفيه شيء آخر وهو كونه مخلوقًا وموجودًا؛ لأنه عندما رأى الجنة رأى فيها الكوثر.

❁ **ملازمة الحديث للترجمة:**

وأتى بهذا الحديث في بحث الحوض من أجل التلازم الذي بين الحوض وبين الكوثر؛ لأن الماء الذي في الحوض الذي في عرصات القيامة يكون من الكوثر الذي في الجنة.

قَوْلُهُ: (حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَيَّبُ)؛ قيل: هو الأجوف[1].

قَوْلُهُ: (فَضَرَبَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا)؛ يعني: من أرض هذا النهر.

قَوْلُهُ: (هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ)؛ أي: هذا النهر هو الكوثر

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٣٣٣)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٣٢٣).

الذي أعطاك الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣].

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا عاصم بن النضر**)؛ وهو صدوق، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا المعتمر**)؛ هو ابن سليمان بن طرخان التيمي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**سمعت أبي**)؛ هو سليمان بن طرخان، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا قتادة**)؛ هو ابن دعامة السدوسي البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أنس بن مالك**)؛ وقد مر ذكره.

۞ ۞ ۞

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٤٩- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَبُو طَالُوتَ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ دَخَلَ عَلَىٰ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي فُلَانٌ - سَمَّاهُ مُسْلِمٌ - وَكَانَ فِي السِّمَاطِ، فَلَمَّا رَآهُ عُبَيْدُ اللهِ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ هَذَا الدَّحْدَاحُ. فَفَهِمَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَىٰ فِي قَوْمٍ

يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللهِ: إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ. قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ؛ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ: «نَعَمْ، لَا مَرَّةً، وَلَا ثِنْتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ»، ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا[1].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أبي برزة الأسلمي صاحب رسول الله ﷺ، وقد جاء إلىٰ عبيد الله بن زياد[2] أمير الكوفة، وكان طلب أحدًا من أصحاب النبي ﷺ ليسأله عن حديث الحوض، فجاء إليه أبو برزة وكان قد طلبه أن يأتي من أجل هذا الغرض.

قَوْلُهُ: (وَكَانَ فِي السِّمَاطِ)؛ أي المجلس، أو الصفِّ، وقد مرَّ قريبًا[3].

قَوْلُهُ: (إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ)؛ يعني: نسبة إلىٰ محمد ﷺ؛ أي المنتسب إلىٰ

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٤)، وصححه الألباني في ظلال الجنة رقم (٧٢٠)، وفي سنن أبي داود.

(٢) هو عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان، ويقال له: زياد بن أبيه. ولي العراق بعد أبيه زياد، كنيته أبو حفص، كَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ، قَبِيحَ السَّرِيرَةِ، قتله ابن الأشتر يوم عاشوراء سنة ٦٧. [انظر ترجمته في: تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٣)، والسير (٤/ ٥٠٨)، والبداية والنهاية (٨/ ٣١٢)].

(٣) راجع ص (٦١١).

محمد؛ أي أنه صحابي، والرجل طلب واحدًا من الصحابة، (هَذَا الدَّحْدَاحُ)؛ أي: إن محمديكم هو هذا الدحداح[1]؛ يقصد أبا برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و(الدحداح): هو السمين القصير[2].

ففهمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: (مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَىٰ فِي قَوْمٍ يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ)؛ وهذا أخذه من قوله: (محمديكم).

قول عبيد الله: (إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ)؛ يعني: أنها خير وليس فيها شر ولا ذم، وأراد بذلك أن يعتذر عن هذا الذي فهمه أبو برزة من التعيير.

(قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ؛ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ: نَعَمْ، لَا مَرَّةً، وَلَا ثِنْتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا)؛ أي: سمعت رسول الله ﷺ يثبته ويحدث به مرات كثيرة، ويذكر أن هناك حوضًا تَرِدُهُ أمته.

ثم قال أبو برزة: (فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ)؛ أي: فمن كذب بذلك الحوض، (فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ)؛ ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -.

والحديث في إسناده رجل مجهول، وهو الذي يحدث عن أبي برزة، فأبو طالوت قال: (شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ دَخَلَ عَلَىٰ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي

---

(١) انظر: عون المعبود (٨/ ٣٢٢)، والنهاية (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر: عون المعبود (٨/ ٣٢٢)، والنهاية (٢/ ١٠٣).

فُلَانٌ)، فهو شهده دخل لكنه لا يعرف شيئًا عن الذي جرىٰ، وإنما حدثه به شخص حضر ذلك المجلس، ولكن ما يتعلَّق بالحوض ثابت عن رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة، والألباني صحَّح الحديث، ومعلوم أن فيه هذا المجهول أو هذا المبهم، ولكن الحديث له طرق وله شواهد هي في معناه.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا مسلم بن إبراهيم**)؛ هو الفَرَاهِيدِي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد السلام بن أبي حازم أبو طالوت**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**فحدثني فلان - سماه مسلم -**)؛ أي: الذي سمَّىٰ ذلك الشخص: هو مسلم بن إبراهيم.

والحافظ ابن حجر يقول: إنه عم عبد السلام، ولم أقف علىٰ اسمه. ورمز له بـ(د)؛ أي: أخرج له أبو داود[1].

قَوْلُهُ: (**شهدت أبا برزة**)؛ هو نضلة بن عبيد الأسلمي، صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٧٧).

❁ **فائدة: الحديث رباعي، وليس ثلاثيًّا:**

وقد كثر السؤال عن قول بعض العلماء وخاصَّة صديق حسن خان[1] في «الحطة»[2]: إن أبا داود عنده إسناد ثلاثي، واستدل بهذا الحديث.

لكن لو كان عبد السلام حدث عن أبي برزة بالذي حصل لكان ثلاثيًّا، لكنه أخبر عمن شهد ذلك، وهو قد أدرك الصحابي ولكنه لم يروِ عنه، وإنما رآه دخل علىٰ عبيد الله بن زياد، والذي حدَّثه بالحديث رجل آخر، فيكون أبو داود قد حدَّث عن مسلم بن إبراهيم عن أبي طالوت، عن هذا الرجل المبهم، وهذا المبهم يحكي ما جرىٰ بين أبي برزة وابن زياد؛ فيكون الإسناد رباعيًّا وليس بثلاثي.

❁ **نقل ما يتعلق بالحوض من «قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»:**

قَوْلُهُ: «والإيمانُ بِحَوْض رسولِ الله ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ، لَا يَظْمَأُ مَن شَرب

(١) هو أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لُطْف الله الحسيني البخاري القِنَّوْجي، ولد في قنوج بالهند سنة ١٢٤٨، وتوفي سنة ١٣٠٧، من مؤلفاته: الروضة الندية، والحطة، وقطف الثمر، وأبجد العلوم، وله مصنفات بالعربية والفارسية والهندوسية. [انظر ترجمته في: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار (٧٣٩)، والأعلام (٦/ ١٦٧)، ومعجم المؤلفين (٧/ ٦٦)].

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص٢١١).

مِنه، ويُذَادُ عنه مَنْ بَدَّلَ وغَيَّر».

أحاديثُ حوض نبيِّنا ﷺ متواترةٌ عن رسول الله ﷺ، أورد البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في (باب: في الحوض)، من كتاب الرقاق من «صحيحه» - منها تسعة عشر طريقًا من (٦٥٩٣) إلىٰ (٦٥٧٥)، وذكر الحافظ في الفتح: أنَّ الصحابةَ فيها يزيدون علىٰ خمسين صحابيًّا، ذكر خمسة وعشرين منهم نقلًا عن القاضي عياض[1]، وثلاثة نقلاً عن النووي، وزاد عليهما قريبًا من ذلك؛ فزادوا علىٰ الخمسين صحابيًّا (١١/ ٤٦٨، ٤٦٩)، وأورد الإمامُ ابن كثير في كتاب «النهاية» أحاديثَ الحوض عن أكثر من ثلاثين صحابيًّا (٢/ ٢٩ ٦٥)، ذكرها بأسانيد الأئمَّة الذين خرَّجوها غالبًا.

ومِمَّا جاء في صفة حوض النَّبِيِّ ﷺ:

قَوْلُهُ ﷺ: «حَوضِي مسيرة شهر، ماؤُه أبيضُ من اللَّبن، وريحُه أطيبُ من المِسْك، وكيزانُه كنجوم السَّماء، مَن شرب منها فلا يظمأ أبدًا».

رواه البخاري (٦٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه مسلمٌ في «صحيحه» (٢٢٩٢) ولفظُه: **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ؛ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».**

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٦٨، ٤٦٩)، والشفا للقاضي عياض (١/ ٢٠٩، ٢١٠).

وفي «صحيح مسلم» (٢٣٠٠) من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ وفيه: «يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ».

ومن الناس من يذاد عن ورود الحوض:

فقد روىٰ البخاري في «صحيحه» (٦٥٧٦) عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ [مَعِي][(١)] رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

والمراد بهؤلاء الأصحاب: أناس قليلون ارتدوا بعد موت النبي ﷺ، وقُتلوا علىٰ أيدي الجيوش المظفَّرة التي بعثها أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لقتال المرتدين. والرافضة الحاقدون علىٰ الصحابة تزعمُ أن الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ إلا نفرًا يسيرًا منهم، وأنهم يذادون عن الحوض، والحقيقة: أن الرافضة هم الجديرون بالذود عن حوض رسول الله ﷺ؛ لأنهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء بل يمسحون عليها، وقد قال رسول الله ﷺ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»، أخرجه البخاري (١٦٥)، ومسلم (٢٤٢)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وليست فيهم سيما التحجيل التي

---

(١) سقطت من مطبوعة «قطف الجنىٰ» ص (١٣٦، ١٣٧)، طبعة دار الفضيلة، وطبعة دار ابن القيم وابن عقان، واستدركناها من صحيح البخاري.

قال فيها رسول الله ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ»، أخرجه البخاري (١٣٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد نبت في هذا الزمان نابتةٌ يزعم أنه من أهل السنَّة وهو ليس منهم، بل هو علىٰ طريقة الرافضة الحاقدين علىٰ الصحابة، وهو حسن بن فرحان المالكي - نسبة إلىٰ بني مالك في أقصَىٰ جنوب المملكة -، وقد كتب رسالة سيئة بعنوان: «الصحابة بين الصحبة اللغوية والصحبة الشرعيَّة»، زعم فيها أن الصحابة هم المهاجرون والأنصار قبل الحديبية فقط، وأن كل من أسلم وهاجر بعد الحديبية أنه ليس له نصيب في الصحبة الشرعية، وأن صحبتهم كصحبة المنافقين والكفار! فأخرج بذلك الكثيرين من أصحاب رسول الله ﷺ، وفي مقدمتهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن؛ رضي الله تعالىٰ عنه وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين.

كما أخرج أبا موسىٰ الأشعري وأبا هريرة وخالد بن الوليد، وغيرهم ممن لا يحصون، وهو قول محدثٌ في القرن الخامس عشر لم يسبقه إليه إلا شابٌّ حديث السِّنِّ مثله اسمه: عبد الرحمن بن محمد الحكمي، ومما جاء في كتابه السيئ: إنكار القول بعدالة الصحابة، وزعمه أنَّ أكثر الصحابة يُذادون عن حوض الرسول ﷺ، وأنه يُؤمر بهم إلىٰ النار، وأنه لا ينجو منهم إلا القليل؛ مثل هَمَلِ النَّعَمِ. وبهذا يتبين مماثلته للرافضة الحاقدين علىٰ الصحابة.

وقد رددت عليه في كتاب بعنوان «الانتصار للصحابة الأخيار في رد أباطيل حسن المالكي».

ومما جاء في الكتاب مما يتعلق بالذود عن الحوض ما يلي:

السابع - أي من وجوه الرد في إنكاره عدالة الصحابة -: قوله (ص: ٣٦): «ومن الأحاديث في الذم العام: قول النبي ﷺ في أحاديث الحوض في ذهاب أفواج من أصحابه إلىٰ النار؛ فيقول النبي ﷺ: «**أصحابي أصحابي! فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، الحديث متفق عليه، وفي بعض ألفاظه في البخاري: «**فلا أرىٰ ينجو منكم إلا مثل همل النعم**».

فيأتي المعارض بالثناء العام بعد هذا الذم العام، ويقول: كيف تجعلون للصحابة ميزة، وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا ينجو منهم إلا القليل، وأن البقيَّة يؤخذون إلىٰ النار؟!».

وقال عن هذا الحديث أيضًا (ص: ٦٤) : «كما أخبر النبي ﷺ: أنه لا ينجو من أصحابه يوم القيامة إلا القليل «**مثل همل النعم**»، كما ثبت في «صحيح البخاري»، كتاب الرقاق.

ويجاب عنه: بأن لفظ الحديث في «صحيح البخاري» في كتاب الرقاق (٦٥٨٧): عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ [فَإِذَا][1] زُمْرَةٌ، حَتَّىٰ إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ! فَقُلْتُ: أَيْنَ؟**

(١) في صحيح البخاري: «إِذَا» بغير فاء.

قَالَ: إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَىٰ. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّىٰ إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ! قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ. قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَىٰ. فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ(١)».

قال الحافظ في شرحه: «قوله: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ»، كَذَا بِالنُّونِ لِلْأَكْثَرِ، ولِلْكُشْمِيهَنِيِّ: «قَائِمٌ» بِالْقَافِ(٢)، وَهُوَ أَوْجَهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ: قِيَامُهُ عَلَىٰ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَتُوَجَّهُ الْأُولَىٰ: بِأَنَّهُ رَأَىٰ فِي الْمَنَامِ فِي الدُّنْيَا مَا سَيَقَعُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ»(٣).

وقال أيضًا: «قَوْلُهُ: «فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»؛ يَعْنِي: مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَنَوْا من الْحَوْض وَكَادُوا يَرِدُونَهُ، فَصُدُّوا عَنْهُ»(٤).

وقال أيضًا: «وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَا يَرِدُهُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ؛ لِأَنَّ الْهَمَلَ فِي الْإِبِلِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِ»(٥).

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٧٥): «الْهَمَلُ بِفَتْحَتَيْنِ: الْإِبِلُ بِلَا رَاعٍ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْهَمَلُ: مَا لَا يَرْعَىٰ وَلَا يُسْتَعْمَلُ، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ الضَّوَالِّ»، وانظر النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٧٤).

(٢) وهي كذلك في طبعة محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) فتح الباري (١١/ ٤٧٤).

(٤) فتح الباري (١١/ ٤٧٤، ٤٧٥).

(٥) فتح الباري (١١/ ٤٧٦).

واللفظ الذي ورد في الحديث: «**فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**»؛ أي: من الزمرتين المذكورتين في الحديث، وهو لا يدل علىٰ أن الذين عُرِضوا عليه هاتان الزمرتان فقط، والمالكي أورد لفظ الحديث علىٰ لفظ خاطئ لم يرد في الحديث، وبناءً عليه حكم علىٰ الصحابة حكمًا عامًّا خاطئًا؛ فقال فيه: «وفي بعض ألفاظه في البخاري: «**فلا أرىٰ ينجو منكم إلا مثل همل النعم**»»، فجاء بلفظ: «منكم» علىٰ الخطاب بدل: «**منهم**»، وبناءً عليه قال: «كيف تجعلون للصحابة ميزة وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا ينجو منهم إلا القليل، وأن البقية يؤخذون إلىٰ النار؟!».

وقال: «كما أخبر النبي ﷺ: أنه لا ينجو من أصحابه يوم القيامة إلا القليل مثل همل النعم، كما ثبت في صحيح البخاري، كتاب الرقاق».

وهذا كذب علىٰ الرسول ﷺ؛ فإنه لم يخبر أنَّ أصحابه لن ينجو منهم إلا القليل، ولعل هذا الذي وقع من المالكي حصل خطأً لا عمدًا.

وأمَّا ما جاء في بعض الأحاديث من أنه: يُذاد عن حوضه أناس من أصحابه وأنه يقول: «**أَصْحَابِي**؟ - وفي بعض الألفاظ: «**أُصَيْحَابِي**»[1] - **فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[2]. فهو محمول علىٰ القلة التي ارتدت

---

(١) صحيح البخاري (٤٦٢٥)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحيح مسلم (٤٠/ ٢٣٠٤)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

منهم بعد وفاة النبي ﷺ، وقتلوا في ردتهم على أيدي الجيوش المظفرة التي بعثها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأقول: إذا كان مصير أكثر أصحاب رسول الله ﷺ إلى النار، وأنه لا ينجو منهم إلا القليل مثل همل النعم بزعم هذا الزاعم! فليت شعري ما هو المصير الذي يفكر به المالكي لنفسه؟! نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من الخذلان! بل إن الصحبة الشرعيَّة بزعم المالكي لم تحصل إلا للمهاجرين والأنصار قبل صلح الحديبية، ومن بعدهم ليسوا من الصحابة بزعمه، وعلى هذا فإنَّ قولَه: «إنَّه لا ينجو من الصحابة إلا القليل مثل همل النعم، والبقية يؤخذون إلى النار»؛ يكون المراد به الصحابة الذين كانوا قبل الحديبية، فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير هذه الأمة لا يسلمون من النار، فمن الذي يسلم منها؟!

[[1]لفظ الحديث: «منهم»؛ أي من الزمرتين، وهم بعض من عُرِض عليه ﷺ على الحوض، ولا ينجو من الزمرتين إلا مثل همل النعم، وهو كذب على الرسول ﷺ، وغيرها إلى «منكم»، وجعل الخطاب للصحابة، وبناءً عليه قال: إن الصحابة يؤمر بهم إلى النار ويذادون عن الحوض ولا ينجو منهم إلا مثل همل النعم - أي: الناقة أو الناقتين التي تنفرد عن النعم؛ فهي قليلة جدًّا بالنسبة للنعم التي انفردت منها -.

(١) ما بين المعقوفين زيادة في شرح السنن.

وعلىٰ قوله الباطل: فالصحابة هم الذين أسلموا قبل الحديبية من المهاجرين والأنصار، وهم الذين لا ينجو منهم إلا مثل همل النعم، وأما ما عداهم فليسوا صحابة! وهذا مطابق للقول بأن الصحابة ارتدوا بعد النبي ﷺ ولم يبقَ منهم علىٰ الإسلام إلا القليل؛ أي: نفر يسير جدًّا.

فهو أولًا كذب علىٰ الرسول ﷺ، ثم بناءً علىٰ هذا الكذب حكم حكمًا عامًّا علىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ].

بل إن اليهود والنصارىٰ لم يقولوا في أصحاب موسىٰ وعيسىٰ مثل هذه المقالة القبيحة.

[(١)ذكر شارح الطحاوية وغيره عن بعض أهل العلم: أن اليهود والنصارىٰ فضلوا علىٰ الرافضة بخصلة؛ وهي: أنه إذا قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسىٰ. وإذا قيل للنصارىٰ: من خير أهل ملتهم؟ قالوا: أصحاب عيسىٰ. وإذا قيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! وهذا المعنىٰ جاء في شعر بعض علمائهم في قصيدة طويلة تبلغ ألف بيت، وهي في غاية السوء والخبث، وقد ذهبت وبقي جزء منها، ومنها:

أهم خير أمة أخرجت للناس ... هيهات ذاك بل أشقاها

(١) ما بين المعقوفين زيادة في شرح السنن.

هكذا يقول هذا الرافضي الخبيث، وهذا فيه معارضة للقرآن؛ فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والمقصود بالآية: هم هذه الأمة، لكن أصحاب النبي ﷺ داخلون فيها دخولًا أوليًّا؛ لأن خير هذه الأمة هم أصحاب رسول ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ].

وهذا يبين لنا منتهىٰ السوء الذي وقع فيه المالكي، وأن من يسمع أو يطَّلع علىٰ كلامه في الصحابة؛ يتَّهمه في عقله، أو يستدلُّ به علىٰ منتهىٰ خبثه وحقده علىٰ خير هذه الأمة، لا سيَّما زعمه أن العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليسا من الصحابة، وزعمه أن أكثر الصحابة إلَّا قليلًا منهم مثل همل النعم يؤخذون إلىٰ النار.

وأيضًا: إذا كان أكثر الصحابة إلا قليلًا منهم يؤخذون إلىٰ النار في زعم هذا الزاعم مع أنَّ الكتاب والسنة لم يصلا إلىٰ هذه الأمة إلا عن طريق الصحابة، لأنهم الواسطة بين الناس وبين الرسول ﷺ؛ فأي حق وهدًىٰ يكون بأيدي المسلمين؟! فإن القدح في الناقل قدح في المنقول. قال أبو زرعة الرازي المتوفىٰ (سنة ٢٦٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدىٰ إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة»، «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص: ٤٩).

وسأكشف أباطيله الأخرىٰ التي اشتمل عليها كتابه «قراءة في كتب العقائد» وأدحضها إن شاء الله تعالىٰ في كتابي: «الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي». اهـ[1].

❋ ❋ ❋

(١) قطف الجنىٰ (١٣٦- ١٤١).

الأسئلة

السؤال: يذكر البعض أن المالكي ألّف كتابًا في الطعن في شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

الجواب: نعم، له كتاب خاص بهذا، وقد تكلم فيه كلامًا قبيحًا سيئًا، وهذا ليس بمستغرب؛ فالصحابة لم يسلموا منه وهم خير هذه الأمة، وكذلك من بعده لم يسلم منه، فمن باب أولىٰ ألا يسلم منه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما تكلَّم فيمن قبله مثل ابن تيميَّة وابن القيِّم وابن كثير والذهبي، وفي أهل السنة من زمن الصحابة إلىٰ عصرنا هذا، وقد تكلَّم في الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن كان علىٰ طريقته حتىٰ العصر الحاضر؛ فهو في منتهىٰ السوء، وقد ردَّ عليه الشيخ ربيع المدخلي في كتابه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بكتاب مفيد سمَّاه: «دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أباطيل حسن المالكي».

❁ ❁ ❁

السؤال: ما هو الراجح في مكان الحوض؟

الجواب: الذي يبدو – والله أعلم – أنه في عرصات القيامة قبل الصراط.

❁ ❁ ❁

السؤال: قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «التخويف من النار» شرحًا لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لم يعملوا خيرًا قط»؛ أي: لم يعملوا شيئًا مما هو من أفعال الجوارح، لكنهم يخرجون من النار بشيئين: الأول: قول اللسان، وهو نطقهم بالشهادتين، الثاني: عمل القلب، وهو التوحيد(١). فما رأي فضيلتكم في هذا التفسير؟

الجواب: هذا كلام مستقيم، ولكن ما يتعلق بأعمال الجوارح وأنها كلها منفية وأنه لا يؤثر ذهابها؛ هذا غير صحيح، أعني إذا كان المقصود أن الجوارح ليس لها عمل أصلًا؛ بل الصحيح أن من أعمال الجوارح الصلاة، وتركها كفر كما جاءت الأحاديث بذلك عن رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -(٢).

---

(١) (ص ٢٥٦)، وعبارته: «والمراد بقوله: «لم يعملوا خيرًا قط»؛ من أعمال الجوارح، وإن كان أصل التوحيد معهم... وهذا يدل على أن الذين يخرجهم الله برحمته، من غير شفاعة مخلوق؛ هم أهل كلمة التوحيد، الذين لم يعملوا معها خيرًا قط بجوارحهم، والله أعلم».

(٢) قال العلامة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى قوله: «لم يعملوا خيرًا قط»؛ أنهم ما عملوا أعمالًا صالحة، لكن الإيمان قد وقر في قلوبهم، فإما أن يكون هؤلاء قد ماتوا قبل التمكن من العمل؛ آمنوا ثم ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل، وحينئذ يصدق عليهم أنهم لم يعملوا خيرًا قط.

وإما أن يكون هذا الحديث مقيدًا بمثل الأحاديث الدالة على أن بعض الأعمال الصالحة تركها كفر، كالصلاة مثلًا؛ فإن من لم يصل فهو كافر، ولو زعم أنه مؤمن بالله ورسوله، والكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، وهو خالد مخلد في النار أبد الآبدين - والعياذ بالله -.

=

السؤال: ألقى أحد الأساتذة محاضرة عن آراء الناس في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال الأستاذ أثناء محاضرته: كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لينًا جدًا في الإمارة، وأيضًا ضعيفًا بالنسبة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهل هذا تنقص للصحابة؟ وهل يترتب عليه إهانة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

الجواب: يجب أن تكون الألسنة نظيفة عند الكلام على أصحاب الرسول ﷺ، وكذلك يجب أن تكون القلوب سليمة ليس فيها شيء من الأذى والقذر، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطة: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ»[1]، فكل شيء فيه احتمال أو إيهام تنقص؛ فإن البعد عنه مطلوب. وكون أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لينًا هذا لا شكَّ فيه، ولكنه في بعض المواقف كان أشد وأعظم من عمر، وذلك في مسألة قتال المرتدين، وكذلك في مانعي الزكاة، فإنه وقف وقفةً شجاعةً حتى إن عمر جاء وراجعه في ذلك، فقال:

=

فالمهم أن هذا الحديث إما أن يكون في قوم آمنوا ولم يتمكنوا من العمل، فماتوا فور إيمانهم، فما عملوا خيرًا قط.

وإما أن يكون هذا عامًّا، ولكنه يستثنى منه ما دلت النصوص الشرعية، على أنه لا بد أن يعمل كالصلاة، فمن لم يصل فهو كافر لا تنفعه الشفاعة، ولا يخرج من النار» مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٤٨).

(١) متن العقيدة الواسطية (ص ١١٥)، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢).

(وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ)، فقال عُمَرُ: (فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ)(١). وهذا معناه أن عمر رأىٰ أن هذا موقف شجاع.

والحاصل: أنه كان عنده لين، وعمر عنده شدة، وقد كان عمر محمودًا في شدته وأبو بكر محمودًا في لينه، ولا يقال: إن أحدهما مذموم. فالتعبير بأنه ضعيف أمام عمر لا يصلح، وإذا أراد الإنسان بذلك التنقص؛ فلا شك أنه كلام قبيح، والذي ينبغي هو تنظيف الألسنة والقلوب من أن يكون فيها شيء لا يليق بحق أصحاب الرسول ﷺ.

وأما بالنسبة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخلافته طالت وبلغت مقدار خلافة أبي بكر خمس مرات؛ لأن أبا بكر تولىٰ سنتين وأشهرًا، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولىٰ عشر سنوات وأشهرًا؛ فحصل فيها خير كثير، وحصل فيها فتوحات عظيمة، وقُضي علىٰ الدولتين العظميين في زمانه: دولة الفرس ودولة الروم، والرؤيا التي رآها النبي ﷺ في النَّزع من القليب فيها: «**فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي بَعْضِ نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ بِيَدِهِ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا فِي النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّىٰ ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ**»(٢)، ومعنىٰ ذلك أنه اتسعت رقعة البلاد الإسلامية في خلافته ودخل

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٣٢/ ٢٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (١٩/ ٢٣٩٣) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
=

الناس في دين الله، وقضي على الدولتين العظميين في ذلك الزمان.

فالحاصل: أن كل شيء لا ينبغي في حق الصحابة ليس للإنسان أن يتلفظ به، وكذلك إذا كان الكلام موهمًا أو محتملًا، بل يأتي بالكلام الواضح الجلي الذي فيه الثناء والمدح للجميع، ولا يأتي بشيء فيه احتمال.

وأما إذا أراد سوءًا فلكل امرئ ما نوى.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل الذين يذادون عن الحوض هم أهل البدع فقط؟ أم أن من أهل السنة من يذاد عن الحوض؟

الجواب: الذي جاء أن الذين يذادون هم الذين أحدثوا وغيروا وبدَّلوا، ومعلوم أن هناك من أحدث كفرًا، وهناك من أحدث بدعًا ومحدثات، ومعلوم أن الذين ارتدوا بعد وفاته ﷺ يذادون عن حوضه وذلك لكفرهم، والحديث بعمومه يدل على أن الإحداث والتغيير سبب للذود عن الحوض، لكن من ذيد عنه وهو مسلم؛ فإنه يدخل الجنة، ولا أعلم شيئًا يدل على أنه يذاد عنه أحد من أهل الجنة، ولكن اللفظ يدل بعمومه على أن الكفار وغير الكفار ممن أحدثوا وبدلوا يذادون.

❁ ❁ ❁

=

والبخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (١٧/ ٢٣٩٢) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ

الشَّرْح

يقول الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ)؛ وهذه الترجمة معقودة لمسألتين:

- **مسألة السؤال في القبر.**
- **مسألة عذاب القبر.**

والقبر فيه نعيم وعذاب، كل منهما لمن يستحقه، ولكن الذي تكرر في الأحاديث ذكر عذاب القبر، لكن جاءت الأحاديث بذكر العذاب والنعيم، وكل ذلك حق ثابت عن رسول الله ﷺ.

❁ سؤال القبر والحكمة منه:

والمسألة في القبر: هي السؤال عن الرب والدين والنبي محمد ﷺ، فالسؤال يكون عن هذه الأمور الثلاثة، فالذي يوفقه الله عَزَّوَجَلَّ يأتي

بالجواب السديد المنجي، فيقول: إن الله ربه، وإن الإسلام دينه، وإن محمدًا ﷺ نبيه. أو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله. ومن كان بخلاف ذلك فأدركه الخذلان؛ فإنه يقول: ها ها لا أدري[(١)].

والسؤال في القبر؛ لإظهار عدل الله عَزَّوَجَلَّ، وكون الإنسان ينعَّم بإحسانه وبإيمانه، ويعذَّب بمعصيته وعدم إيمانه، فيحصل النعيم أو العذاب لوجود أسبابه، وليس ذلك ليعلم الله شيئًا كان غيرَ معلوم له، بل هو قد علم أزلًا كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكن ليظهر للإنسان عدل الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الإنسان يثاب علىٰ إحسانه، ويعاقب علىٰ إساءته، وأن الإنسان إنما يؤتىٰ من قبل نفسه.

والسؤال في القبر هو مثل مسألة الميزان؛ فإنَّ ذلك يرجع إلىٰ إظهار عدل الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الإنسان لا يُبخس شيئًا، فلا ينقص من الحسنات ولا يزاد من السيئات، ولا يعاقب بذنب لم يحصل منه، ولكنه يثاب علىٰ شيء فعله، ويثاب بغير فعل؛ فضلًا من الله عَزَّوَجَلَّ وإحسانًا، كما أن الله عَزَّوَجَلَّ ينشئ خلقًا بعدما يدخل أهل الجنةِ الجنَّةَ ويبقىٰ فيها فضلة، ويدخلهم الجنة[(٢)]؛ فضلًا من الله عَزَّوَجَلَّ، وأما النار فلا يدخلها إلا من يستحقها؛ أي:

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٦٧٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٣٦/ ٢٨٤٦)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

من عمل أعمالًا توصله إليها سواء كانت كفرًا أو معاصي، فالفضل من الله عَزَّوَجَلَّ يحصل بسبب وبغير سبب، والسبب الذي حصل والمسبب؛ هو من فضل الله عَزَّوَجَلَّ أيضًا؛ لأن الله تعالىٰ وفق للسبب والمسبب، ولو لم يوفق اللهُ الإنسانَ ما حصل منه السبب الذي يفضي به إلىٰ العاقبة الطيبة وإلىٰ النتائج الطيِّبة، فالكل يرجع إلىٰ فضل الله عَزَّوَجَلَّ، فكل ما يحصل للإنسان من نعمة فهو من الله ابتداءً وانتهاءً، فهو الذي تفضل بحصول السعادة وبحصول النعيم، وهو الذي تفضَّل بالتوفيق لحصول الأسباب التي تفضي إلىٰ ذلك وهي الأعمال الصالحة.

وقد جاءت الأحاديث في ذلك عن رسول الله ﷺ، وأورد أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ جملة منها، وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدًّا قد بلغت حد التواتر، وجاءت علىٰ أحوال متعددة: فمنها ما هو في بيان العذاب، وبعضها في كيفية العذاب، وبعضها في سبب العذاب، وكذلك في التعوذ من عذاب القبر.

۞ مسألة: السؤال في القبر هل هو لهذه الأمة فقط أم لها ولغيرها، وهل يسأل الصبيان والمجانين؟

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ»: أن جميع المكلفين يسألون إلا الأنبياء ففيهم خلاف، وقال: «المجانين والصبيان كذلك يسألون»، وذكر الخلاف فيهم بين أهل العلم، وذكر بعض من قال بسؤالهم

من أهل العلم، وذكر بعض من قال أنهم لا يسألون[(١)].

وكون المكلفين يسألون هذا واضح، سواء كانوا من هذه الأمة أم من غيرها أما الأنبياء فهم الذين يسأل عنهم، وهم الذين يأتون بالدين وبلغوه للناس، فما عُرف الدين إلا من طريقهم.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٥٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ، فَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»[(٢)].

الشَّرْح

أن هذا التثبيت الذي يكون في الآخرة؛ وذلك بأن يثبت عند السؤال، فهو يثبت في الدنيا على سلوك طريق الحق والنجاة، وعلى سلوك الصراط

(١) انظر مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٧ - ٢٨١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٦٩)، وبنحوه مسلم (٧٣/ ٢٨٧١)، والنسائي (٢٠٥٦)، وابن ماجه (٤٢٦٩)، وأحمد (٤/ ٢٩١).

المستقيم، وهو خير زاد وأفضل زاد يكون في هذه الحياة الدنيا وهو زاد التقوىٰ، وكل سفر لابد فيه من زاد؛ فسفر الدنيا يحتاج إلىٰ زاد، وذلك أن الإنسان يحمل ما يحتاج إليه من النقود حتىٰ لا يحتاج إلىٰ الناس، وأما الآخرة فالزاد إليها هو تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والاستقامة علىٰ أمره سبحانه.

فقوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي بالتزام الحق، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾؛ بحصول الجواب السديد عندما يسألون في القبر، فيجيبون بالأسئلة السديدة التي نتائجها وعواقبها حميدة.

وهذا التثبيت في الآخرة مبني علىٰ الثبات في الدنيا علىٰ الصراط المستقيم، وعلىٰ سلوك المنهج القويم؛ وهو الإيمان بالله، والالتزام بما جاء عن الله وعن رسوله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -.

۞ السنَّة تبين القرآن:

وفي الحديث: أن السنة تبين القرآن وتوضحه؛ فإن هذا الحديث يبين أن هذا هو القول الثابت في الآخرة، وأن الله يثبت المؤمن في الآخرة؛ وذلك بأن يأتي بهذا الجواب السديد.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو الوليد الطيالسي)؛ هو هشام بن عبد الملك الطيالسي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا شعبة)؛ هو ابن الحجاج الواسطي، وهو ثقة، أخرج له

أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن علقمة بن مرثد)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن سعد بن عبيدة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن البراء بن عازب)؛ وهو صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٧٥١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ الْخَفَّافُ أَبُو نَصْرٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ دَخَلَ نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ، فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»، قَالُوا: وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللهُ هَدَاهُ؛ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللهَ. فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَىٰ بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ؛ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّىٰ أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي. فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ.

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي. فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»[(١)].

الشرح

أورد أبو داود حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ دَخَلَ نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ)؛ وهذا الصوت هو عذاب القبر، (فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ)؛ السبب الذي جعله يسأل أنه سمع الصوت الذي أفزعه، وهو صوت هؤلاء الذين يعذبون في قبورهم، وهذا كما جاء في القرآن: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ فينتقلون من عذاب شديد إلىٰ عذاب أشدَّ وأعظم، وإلا فإنهم معذبون ما داموا في قبورهم بعذاب النار، ويصل إليهم عذاب النار؛ فيفتح لهم باب إلىٰ النار فيأتيهم من حرها وسمومها[(٢)]، ولكنهم إذا بعثوا وانتقلوا

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٣٠).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في

إليها ووضعوا فيها؛ فإن العذاب يكون أشد من ذاك الباب الذي كان يفتح عليهم، ويصل إليهم منه حرها وسمومها وهم في قبورهم. فسبب الحديث وجود هذا الصوت الذي أفزعه ﷺ، وهو لأصحاب تلك القبور وهم كفار كانوا قد قبروا في الجاهلية.

قَوْلُهُ ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»؛ ذكر النار؛ لأن عذاب النار موجود في القبر، والإنسان يتعوذ بالله من عذاب النار سواء كان في القبر أو في نفس النار، والقبر وإن لم يكن قد أضيف إليه العذاب في هذا الحديث فقد أضيف إليه في أحاديث كثيرة، لكن هذا يدلُّ على أن عذاب هؤلاء الذين سمعهم يعذبون في القبر؛ هو من عذاب النار.

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللهُ هَدَاهُ؛ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللهَ. فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا»؛ ثم أخبر أن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فسأله: ما كنت تعبد؟ فيقول: أعبد الله. ويسأله عن الرسول؛ فيجيب بالجواب الحسن، وأنه رسول الله، وأنه آمن به، فلا يُسأل غيرها.

ولكن جاء في بعض الأحاديث - كما سيأتي - أنه يسأل عن ثلاثة أمور:

=

صحيح الجامع رقم (١٦٧٦).

الرب، والدين، والنبي ﷺ؛ ولا تنافي، فبعض الأحاديث جاء فيها الأسئلة كلها، وفي بعضها اقتصر علىٰ بعضها، وذكر الاثنين داخل تحت الثلاثة أو هو من جملة الثلاثة؛ فيكون العدد الأصغر داخلًا في العدد الأكبر أو من جزئيات العدد الأكبر، والثلاثة كلها ثابتة في السنة عن رسول الله ﷺ، فالسؤال في القبر يكون عنها.

قَوْلُهُ: «فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَىٰ بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ؛ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ»؛ أي: هذا مقعدك لو لم تؤمن «وَلَكِنَّ اللهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»؛ أي: ولكن الله عصمك ووفقك فأبدلك به هذا البيت، فصرت من المسلمين؛ لأنك لو لم تكن مسلمًا وكنت علىٰ الكفر لكنت في هذا المكان؛ لأن الكفار مكانهم في النار، وكل كافر له مكان في النار، ولكن من وفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ وهداه ودخل في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وصار من أهل الإيمان؛ فإنه يُرَىٰ هذا المكان ثم يُرَىٰ ذلك المكان؛ وذلك ليكون أعظم في سروره وفرحه وابتهاجه؛ لأنه إذا رأىٰ المكان الذي سلم منه يزداد سرورًا إلىٰ سروره بسلامته من ذلك المكان الذي فيه العذاب، وتوفيقه أن كان من أهل النعيم المقيم في المكان الذي أُبدله في الجنة.

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّىٰ أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي. فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ»؛ أي: ليس لك ذلك، فالإنسان لا يرجع إلىٰ الدنيا، ولا يخبر أهل الدنيا بما حصل له، فالإنسان لا يخرج من قبره إلا عند البعث والنشور، ولكنَّه لفرحه أراد

أن يبشِّر أهله، «فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ»؛ أي: فيما أنت فيه من هذا النعيم.

قَوْلُهُ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي. فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ»؛ وهذا دعاءٌ عليه بصيغة الخبر، أو هو إخبار عمَّا حصل ووقع له، ومعنىٰ ذلك: أنك لا دريت، ولا تبعت غيرك ممن سلكوا طريق السعادة إذ لم تدرِ. ومعلوم أنه لا يعذب أحد إلا بعد إقامة الحجة عليه، وبلوغ الحق له، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وهذا قد بلغته الرسالة، ولكنه اختار طريق الضلالة والكفر، واستمرَّ علىٰ ذلك حتىٰ مات؛ فيقال: «لَا دَرَيْتَ»؛ أي ما حصل منك الدراية التي تنفعك والتي تفيدك، ولا تليت غيرك في الخير، بل تبعت غيرك في الشر(١).

---

(١) قال في «العون» (١٣/ ٦٢): «(وَلَا تَلَيْتَ)؛ أَيْ: وَلَا قَرَأْتَ الْكِتَابَ؛ قَالَ فِي الْقَامُوسِ: تَلَوْتُهُ: كَدَعَوْتُهُ، وَرَمَيْتُهُ: تَبِعْتُهُ، وَالْقُرْآنَ أَوْ كُلَّ كَلَامٍ: قَرَأْتُهُ. وَقِيلَ: أَصْلُهُ تَلَوْتُ، قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِلِازْدِوَاجِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَلَا اتَّبَعْتَ أَهْلَ الْحَقِّ؛ أَيْ مَا كُنْتَ مُحَقِّقًا لِلْأَمْرِ وَلَا مُقَلِّدًا لِأَهْلِهِ».

وقال ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٣٩): «وَقِيلَ: صَوَابُهُ: «وَلَا ائْتَلَيْتَ» بِزِيَادَةِ هَمْزَتَيْنِ قَبْلَ الْمُثَنَّاةِ بِوَزْنِ افْتَعَلْتَ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَا أَلَوْتَ؛ أَيْ: مَا اسْتَطَعْتَ، حُكِيَ ذَلِكَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، وَبِهِ جَزَمَ الْخَطَّابِيُّ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ قَصَّرْتَ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا قَصَّرْتَ فِي طَلَبِ الدِّرَايَةِ، ثُمَّ أَنْتَ لَا تَدْرِي، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: (الْأَلْوُ) يَكُونُ بِمَعْنَىٰ الْجَهْدِ، وَبِمَعْنَىٰ التَّقْصِيرِ وَبِمَعْنَىٰ الِاسْتِطَاعَةِ، وَحكىٰ ابن قُتَيْبَةَ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ: أَنَّ صَوَابَ الرِّوَايَةِ: «لَا دَرَيْتَ وَلَا أَتْلَيْتَ» بِزِيَادَةِ أَلِفٍ وَتَسْكِينِ الْمُثَنَّاةِ؛ كَأَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَنْ يَتْبَعُهُ، وَهُوَ مِنَ الْإِتْلَاءِ؛ يُقَالُ: =

قَوْلُهُ: «فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ»؛ أي: ويسأل عن الرجل - وهو محمد ﷺ -، وماذا كان يقول فيه؟ فيقول: كنت أقول ما يقول الناس. والمقصود بالناس هنا: هم الذين لم يوفقوا وخذلوا كما خذلهم؛ وتبعهم في الضلالة، أو تبع أبويه إذا كانا سببًا في غوايته وإضلاله؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه»، وإلا فإن الذين وفقوا يشهدون بأنه رسول الله، ويؤمنون به ويصدقونه ويتبعونه.

قَوْلُهُ: «فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ»؛ أي: مطرقة من حديد «بَيْنَ أُذُنَيْهِ»؛ يعني: على رأسه، «فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»؛ يعني: إلا الجن والإنس؛ وهم المكلفون؛ لأنهم لو علموا ما يجري في القبور لتغيَّر حالهم، وهذا شيء مشاهد في الدنيا؛ فإنَّ الناس إذا كان عندهم مريض يتألَّم ويئن فإنهم لا يهدءون ولا يرتاحون ولا يستسيغون أكل الطعام، وهم يحسُّون بالتألم الذي يحصل لذلك الإنسان بسبب شدة المرض الذي أصابه؛ فكيف بحصول عذاب في القبر؟! وقد شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن ينقسم

=

مَا أَتَلَتْ إِبِلُهُ؛ أَيْ: لَمْ تَلِدْ أَوْلَادًا يَتْبَعُونَهَا، وَقَالَ: قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ أَشْبَهُ بِالْمَعْنَى؛ أَيْ: لَا دَرَيْتَ وَلَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَدْرِيَ. وَوَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: «لَا دَرَيْتَ وَلَا اهْتَدَيْتَ»، وَفِي مُرْسَلِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: «لَا دَرَيْتَ وَلَا أَفْلَحْتَ»». وانظر معالم السنن للخطابي (٤/ ٣٣٣، ٣٣٤).

الجن والإنس إلىٰ فريق في الجنة وفريق في السعير، وشاء أن تكون أمور الآخرة غيبًا، وأن يكون ما يجري في القبر غيبًا، وألا يكون علانيةً؛ ليتميَّز من يؤمن بالغيب ممن لا يؤمن به.

وغير الثقلين كالملائكة وكالحيوانات والبهائم؛ فإنهم يسمعون ذلك، والرسول ﷺ سمع ذلك؛ ولهذا جاء في أول الحديث أنه سَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ؛ فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟».

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا محمد بن سليمان الأنباري)؛ وهو صدوق، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف أبو نصر)، وهو صدوق ربَّما أخطأ، أخرج له البخاري في «خلق أفعال العباد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن سعيد)؛ هو ابن أبي عروبة، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن قتادة)؛ هو ابن دعامة السدوسي البصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أنس بن مالك)؛ خادم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٤٧٥٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، بِمِثْلِ هَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ؛ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ؛ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقُولَانِ لَهُ». فَذَكَرَ قَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ الْأَوَّلِ، قَالَ فِيهِ: «وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولَانِ لَهُ» زَادَ «الْمُنَافِقَ»، وَقَالَ: «يَسْمَعُهَا مَنْ وَلِيَهُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»(١).

الشرح

أورد أبو داود رواية أخرىٰ عن أنس، وهو مثل الذي قبله، لكنه ذكر هنا ملكين، وفي الأول ذكر ملكًا، ولا تنافي بينهما، فيمكن أن يأتيا جميعًا ويحصل السؤال من أحدهما والضرب من الآخر، أو يتوليان ذلك جميعًا، ويمكن أن يراد بالملك الجنس، وجاء ذكر الملكين في غير ذلك من الأحاديث.

والحاصل: أنه لا تنافي بين ذكر ملك وذكر ملكين؛ فإن العدد الأصغر يدخل في الأكبر.

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ؛ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ

(١) صحيح: انظر التخريج السابق.

نِعَالِهِمْ»؛ وهذا يدل علىٰ أن الإنسان وهو في قبره تعاد إليه روحه، وتحصل المساءلة من الملكين، وأنه يسمع قرع نعال الذين قبروه إذا انصرفوا.

❁ مسألة: أصحاب القبور لا يسمعون كل ما يجري خارج القبر:

وهذا لا يدل علىٰ أن كل ما يجري خارج القبر يعلم به صاحب القبر، وأن أصحاب القبور يسمعون كلَّ شيء؛ بل يُثبت ما ثبت ويسكت عمَّا لم يثبت، ولا يثبت ولا ينفىٰ، ويرد إلىٰ علم الله عَزَّوَجَلَّ؛ ويقال: الله أعلم.

فهذه هي الطريقة الصحيحة فيما يتعلق بسماع الأموات، وأما أن ينفىٰ كل شيء وقد صحَّ به الحديث، أو يثبت كل شيء ولم يصحَّ به الحديث؛ فهذا غير صحيح.

ولهذا فإنَّ الرسول ﷺ قيل له: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(١)، فهو في قبره ﷺ، وما عَرَف الشيء الذي حصل منهم بعده.

❁ لا تعارض بين هذا الحديث وحديث النهي عن المشي بالنعل في المقبرة:

هذا الحديث لا ينافي ما جاء من أنه لا يُمشىٰ بالنعل في المقبرة؛ كما في قصة صاحب السبتيتين: أن الرسول رأىٰ رجلًا يمشي وعليه نعلان فقال: «يَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ(٢)! ....

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) قال الحافظ في الفتح (١/ ٢٦٩): «السِّبْتِيَّةُ بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ: هِيَ الَّتِي لَا شَعْرَ فِيهَا؛ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السَّبْتِ، وَهُوَ الْحَلْقُ؛ قَالَهُ فِي التَّهْذِيبِ، وَقِيلَ: السِّبْتُ جِلْدُ الْبَقَرِ الْمَدْبُوغِ بِالْقَرَظِ، وَقِيلَ: =

.....أَلْقِهِمَا»[(١)]؛ فإن المقبرة لا يُمشىٰ فيها بين القبور بالنعال، إلا إذا كان هناك أمر يقتضي ذلك، كأن يكون في رمضاء[(٢)]، أو يكون بها شوك أو غير ذلك، ويتحرز الماشي من أن يطأ قبرًا، ويكون مشيه بين القبور وليس علىٰ شيء من القبور.

ويكون المشي بين القبور بالنعال فيما إذا كان هناك ممرَّات مخصَّصة في داخل المقابر من أجل أن ينفذ منها إلىٰ القبور، أو يكون الدفن في المقابر من آخر إلىٰ أولها، فالناس يدخلون من الباب ويذهبون فيدفنون في آخر المقبرة، ثم يعودون يمشون إلىٰ الباب، فالدفن يكون في آخر المقبرة وشيئًا فشيئًا حتىٰ تصل القبور إلىٰ الباب، فتمتلئ المقبرة، ففي هذه الحالة الناس يمشون بالنعال؛ لأنهم لا يمشون بين القبور.

قَوْلُهُ: (فيأتيه ملكان)؛ اسم هذين الملكين: منكر ونكير، جاء هذا في حديث صحيح أو حسن[(٣)].

السُّبْتُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ؛ وَهُوَ نَبْتٌ يُدْبَغُ بِهِ؛ قَالَهُ صَاحِبُ الْمُنْتَهَىٰ، وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: قِيلَ لَهَا: سبتية؛ لِأَنَّهَا انسبتت بالدباغ؛ أَي: لَانت بِهِ؛ يُقَالُ: رَطْبَةٌ مُنْسَبِتَةٌ؛ أَيْ: لَيِّنَةٌ»، وانظر النهاية (٢/ ٣٣٠).

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٢٣٠)، والنسائي (٢٠٤٨)، وابن ماجه (١٥٦٨)، عن بشير بن الخصاصية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: شِدَّة الْحرِّ. انظر: النهاية (٢/ ٢٦٣)، والمعجم الوسيط (١/ ٣٧٣)؛ مادة (ر م ض).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (١٠٧١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ

قَوْلُهُ: (زَادَ «الْمُنَافِقَ»، وَقَالَ: «يَسْمَعُهَا مَنْ وَلِيَهُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»)؛ في الرواية الأولىٰ قال: «يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»، وسيأتي أنه يسمعه من بين المشرق والمغرب؛ إلَّا الثَّقلان، وقال هنا: «يَسْمَعُهَا مَنْ وَلِيَهُ»؛ فيكون المقصود من ذكر الذين يلونه أنهم أقرب، وأنهم يسمعون أكثر مما يسمع غيرهم، ولا يقال: إن ذكر من وليه؛ ينافي ما ذُكر من سماع غيرهم.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٥٣- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، (ح) وحَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ - وَهَذَا لَفْظُ هَنَّادٍ -، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ زَاذَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا - زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «هَاهُنَا»، وَقَالَ: «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**» قَالَ هَنَّادٌ: -، قَالَ:

الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ...» الحديث، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٩١).

«وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟»، قَالَ: «فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ - زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧] الْآيَةَ» - ثُمَّ اتَّفَقَا - قَالَ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا»، قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا»، قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا»، قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ؛ فَيَصِيرُ تُرَابًا»، قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ

الرُّوحُ»(١).

الشَّرح

أورد أبو داود حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل، الذي فيه بيان ما يجري في القبر؛ من السؤال ومن النعيم والعذاب لمن يستحقه؛ قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ)؛ أي: أن اللحد لم يجهز بعد حتىٰ يوضع الميت فيه، وكانوا لا يزالون يحفرون اللحد، فالقبر محفور ولكن اللحد هو الذي بقي عليهم، واللحد يحفر في أسفل القبر بحيث لا يكون الميت تحت فتحة القبر، وإنما يحفرون له مكانًا مائلًا يوضع فيه إلىٰ جهة القبلة.

فجاءوا وقد بقي وقتٌ فانتظروا، فجلس الرسول ﷺ وجلسوا حوله، وكان مع الرسول ﷺ عود ينكت به، ويخط في الأرض، مثل فعل المهموم، ثم إنه أخبرهم وذكرهم بما يجري في القبر.

قَوْلُهُ: (اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا)؛ هذا فيه إثبات

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وابن المبارك في الزهد رقم (١٢١٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠٥٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٦١٠، رقم ٣٩٠)، وغيرهم، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٦٧٦).

عذاب القبر، والأمر بالاستعاذة منه، وكما مرَّ أن الأحاديث جاءت في بيان عذاب القبر من وجوه عديدة[1]، وقد بلغت التواتر.

قَوْلُهُ: «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**»؛ هذا يدل على أن الإنسان يسأل في قبره من حين ما يدفن، فهم إذا دفنوه فيولون مدبرين، وفي نفس الوقت هو يسأل ويسمع قرع نعالهم.

ولهذا جاء في الحديث أنَّه عندما يُدفن ويُنتهى من دفنه يدعى له ويطلب له التثبيت؛ فيقال: «اللهم ثبته عند السؤال»[2].

وهذه هي الأسئلة الثلاثة التي تكون في القبر؛ عن الربِّ، وعن النَّبيِّ، وعن الدِّين.

فالمؤمن إذا سئل عن ذلك فإنه يجيب بالجواب السديد؛ لأن الله وفَّقه وسدَّده وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والتثبيت في الدار الآخرة؛ أي: عند السؤال، فيشهد أن الله ربه وأن الإسلام دينه، وأن محمدًا ﷺ نبيه.

---

(١) تقدم قريبًا، راجع ص(٥٧٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٧٦٠).

❁ أهمية رسالة الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد ألف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «الأصول الثلاثة وأدلتها»؛ وهو خاص بأسئلة عذاب القبر؛ فقد بنىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلك الرسالة القيِّمة علىٰ الأصول الثلاثة التي يسأل عنها الميت في القبر؛ وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه، فلا يستغني عنها أحد لا عامي ولا طالب علم؛ لأنها مشتملة علىٰ هذه الأمور الثلاثة التي يسأل عنها في القبر بالأدلَّة.

❁ عذاب القبر ونعيمه على الروح والجسد[1]:

وعندما يُسأل الميت هذه الأسئلة ويجيب بتلك الأجوبة السديدة؛ فإنه يقال له: كيف عرفت ذلك؟ فيقول: أنه قرأ كتاب الله وآمن وصدق وعمل بما فيه. فيُفتح له باب من الجنة، فيأتيه من روحها ونعيمها، ويوسع له في قبره حتىٰ يكون مد بصره.

ثم ذكر الكافر؛ وأنه يفتح له باب من النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها، أي: من عذاب النار وحرها وسمومها. وهذا فيه دليل علىٰ أن عذاب النار يحصل لأصحاب القبور، وأن من كان مستحقًّا لعذاب القبر وصله عذاب القبر في حياته البرزخية.

---

(١) مر هذا البحث راجع ص (٥٧٣).

والعذاب أو النعيم يكون للروح وللجسد؛ لأنَّ الإحسان حصل من الروح والجسد، والإساءة حصلت من الروح والجسد؛ فالجسد بدون الروح لم يحصل منه عمل، والروح بدون الجسد لم يحصل منها عمل، لكن باجتماع الروح والجسد حصلت الأعمال الصالحة التي يحصل الثواب عليها للروح والجسد، وحصلت الأعمال السيِّئة التي يكون العقاب عليها لمجموع الروح والجسد.

❁ **الإيمان بسؤال القبر ونعيمه وعذابه؛ من الإيمان بالغيب:**

وهذه كلها من أمور الغيب التي يجب التصديق بها، والإيمان بأن ذلك حق، وسواء عرفت الكنه والحقيقة أو لم تعرف، ومعلوم أن هذه الأمور لا تُعرف، لكن الإنسان لا يجعل إيمانه مبنيًّا علىٰ المشاهدة والمعاينة، فيقول: ما رأيته صدقت به، وما لم أرَه لا أصدق به! فهذا لا يجوز؛ لأن المؤمن من شأنه أن يكون مصدقًا لكل ما جاء الخبر به عن الله وعن رسوله ﷺ، أدركه عقله أو لم يدركه، والإسلام لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول ولا تدركه، فتلك أمور خفية، ولكنها واقعة وحاصلة، والناس لا يشاهدونها ولا يعاينونها، ولو فتح الإنسان القبر ما رأىٰ نعيمًا يأتي من الجنة، ولا رَوْحًا، ولكن لا ينفي ذلك؛ لأن الخبر جاء بذلك عن النبي ﷺ فيجب التصديق به.

وهذا من الإيمان بالغيب الذي مدح الله أهله، فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ١ - ٣]، فجعل من أول

صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب، وليس إيمانهم هذا مبنيًّا علىٰ مشاهدة ومعاينة، **فالغيب: هو كل ما غاب عن الأبصار ممَّا لا يدرك إلا بالشرع.**

❁ ما يوضح حقيقة السؤال في القبر مما هو مشاهد في الدنيا:

وقد وجد مما يوضح ذلك في الحياة الدنيا أن الجسد والروح يتنعَّمان ويعذبان، ويكون الأشخاص متقاربين، ومع ذلك لا يدركون ما حصل لهذا من العذاب ولهذا من النعيم، وذلك في النوم، فقد ينام شخصان، ثم يحصل لهذا في نومه نعيم وراحة وأنس وسرور، ويقوم من نومه فرحًا مسرورًا بل قد يقوم ولعابه يسيل من ذلك الذي حصل له في نومه، والآخر بجواره يحصل له عذاب في نومه، وحزن وخوف وذعر، قد يكون رأىٰ الحيات تلاحقه والوحوش تنهشه، ويتألم، وقد يحصل منه صوت وصياح، ويقوم من نومه مذعورًا قد جفَّ حلقه مما رأىٰ، وكل واحد لا يعلم ما بصاحبه، والناس الذين بجوارهما أيضًا لا يدركون الشيء الذي قد حصل لكلٍّ منهما، فهذه أمور مشاهدة في الحياة الدنيا تحصل للروح وللجسد، والنوم أخو الموت؛ لأنه يحصل للإنسان في نومه من هذه الأمور مثل ما يحصل له في موته وفي قبره من نعيم أو عذاب.

❁ سؤال الكافر في القبر وعذابه فيه:

قَالَ: (وَإِنَّ الْكَافِرَ فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»)؛ الروح تعاد إلىٰ الجسد عند السؤال، ولها اتِّصال بالجسد وانفصال منه، فقد تتصل

بالجسد، وقد تفصل عن الجسد وتكون علىٰ صورة طير؛ كما جاء في الحديث: «إِنَّما نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ»(١)، و«أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ»(٢)؛ وهذا يدلنا علىٰ أن الروح تنعم وحدها، وأيضًا تنعم متصلة بالجسد، والعذاب والنعيم للروح والجسد - كما مرَّ -.

قَوْلُهُ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي»؛ أي: يخبر بأنه ليس عنده جواب، وأنه لا يدري ماذا يقول(٣).

قَوْلُهُ: «فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ»؛ أي: كذب؛ لأنه بلغته الرسالة، وبلغه العلم عن الربِّ والدِّين والنبي، ومع ذلك بقي علىٰ كفره، فيكون كاذبًا بقول: لا أدري. بل كان عالمًا في الحياة الدنيا، ولكن الاستكبار والخذلان منعاه من الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، والدخول في الدين، والشهادة بالألوهيَّة لله عَزَّوَجَلَّ، والنبوَّة للرسول ﷺ.

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١)، عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٣٧٣).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٢١/ ١٨٨٧)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قال في «العون» (١٣/ ٦٥): «(هَاهْ هَاهْ) بِسُكُونِ الْهَاءِ فِيهِمَا بَعْدَ الْأَلِفِ؛ كلمة يقولها المتحير الذي لا يقدر مِنْ حِيرَتِهِ لِلْخَوْفِ أَوْ لِعَدَمِ الْفَصَاحَةِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ لِسَانَهُ فِي فِيهِ، (لَا أَدْرِي) أَيْ: شيئًا ما، أو ما أجيب بِهِ، وَهَذَا كَأَنَّهُ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ: هَاهْ هَاهْ».

قَوْلُهُ: «فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ»؛ أي: يؤتىٰ له بالفراش من النار، والفراش هو الذي يكون تحته، «وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا»؛ فيكون معذبًا فيها وهو في قبره، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

قَوْلُهُ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»؛ وهذا مقابل المؤمن؛ فهذا أفرش من الجنة، وهذا أفرش من النار، وهذا ألبس من الجنة وهذا ألبس من النار، وهذا فتح له باب من الجنة وهذا فتح له باب إلىٰ النار، وهذا يوسَّع له قبره حتىٰ يكون مد بصره، وهذا يضيق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه - والعياذ بالله! -.

❁ مسألة: الضَّغْطَةُ التي في القبر:

جاء في ضغطة القبر: أنه «لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ؛ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»[(١)]، والذي يبدو أن هذه ليست من قبيل العذاب؛ لأنه كما مر في هذا الحديث أن المؤمن ينعم في قبره.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَبْكَمُ، مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٧/ ٣٧٩، رقم ٣١١٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٣٢، رقم ١٢٩٧٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٦٩٥).

الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا»؛ وهذا أيضًا من تعذيبه.

۞ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا عثمان بن أبي شيبة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي، وإلا النسائي فقد أخرج له في «عمل اليوم والليلة».

قَوْلُهُ: (حدثنا جرير)؛ هو ابن عبد الحميد الضبي الكوفي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (ح، وحدثنا هناد بن السري)؛ هو أبو السري، ثقة، أخرج له البخاري في «خلق أفعال العباد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (حدثنا أبو معاوية)؛ هو محمد بن خازم الضرير الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الأعمش)، هو سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن المنهال)؛ هو ابن عمرو، وهو صدوق، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن زاذان)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن البراء بن عازب)؛ وهو صحابي ابن صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستَّة.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٤٧٥٤- حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا الْمِنْهَالُ، عَنْ أَبِي عُمَرَ زَاذَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

الشَّرح

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد الله بن نمير)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

الأسئلة

السؤال: هل تعاد الروح إلى الميت وهو تراب، ويكون ذلك من شدة التعذيب، أم يرجع جسمه ثم روحه؟

الجواب: إعادة الروح تكون عند السؤال؛ فتعاد إليه روحه، ويسأل وينعَّم ويعذَّب، وذلك يكون للروح والجسد؛ لأن الإحسان والإساءة صدر منهما معًا، فالنعيم والعذاب يكون عليهما معًا.

والروح تعاد إليه ولو تفرَّق جسده، ومعلوم أن كثيرًا من الناس أجسادهم لا تبقىٰ بل تتفرَّق في الأرض، والعذاب يصل إلىٰ الجسد وإن كان بهذه الصورة، بل العذاب يصل إلىٰ من يستحقُّه ولو لم يدفن، أو أحرق وذُرَّ في الهواء، أو أكلته السباع أو الحيتان، أو كان جسده علىٰ غير الهيئة التي تعرفها الناس؛ لأن أمور البرزخ من الغيب الذي يجب التصديق فيه بكل ما جاء، وإن لم يُعرف الكنه والحقيقة.

والروح – كما ذكر أهل العلم – لها اتصال بالجسد وانفصال، فتنعم وتعذب متصلة به ومنفصلة عنه.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة؟

الجواب: الأحاديث وردت بأنه يسأل عن هذا الرجل، والمراد به النبي ﷺ، ولكن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]؛ يدلُّ علىٰ أن الناس في قبورهم يسألون ويفتنون، وهي ليست خاصَّة بأمة محمد ﷺ، ومعلوم أن هذه الأمة هي التي تسأل عن نبيِّها محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لكن الآية بعمومها تدل علىٰ أن التثبيت يحصل في الدنيا وفي الآخرة، ومعلوم أن ذلك لمن حصل منه الإيمان، سواء كان من هذه الأمة أو من غيرها.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم من ينكر عذاب القبر؟

الجواب: معلوم أن إنكار عذاب القبر؛ إنكارٌ لشيء معلوم بالأحاديث الكثيرة المتواترة عن رسول الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، فالذي يكون عالمًا به يُخشىٰ عليه أن يكون كافرًا؛ لأن هذا ممَّا تواترت به الأحاديث وجاء به القرآن في قوله عَزَّوَجَلَّ؛ في حقِّ آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، فعذاب القبر ثابت في هذه الآية الكريمة؛ فالذي ينكر عذاب القبر للكفار والعصاة؛ فهو منكر لمَا جاء في القرآن، فتقام عليه الحجة ويبين له ما جاء في القرآن وما جاء في السنَّة، وإذا أصرَّ علىٰ ذلك فالذي يظهر أنه

يكون كافرًا؛ لأنه مكذِّب بما جاء في القرآن، وما جاء في السنن المتواترة.

❁ ❁ ❁

السؤال: قوله ﷺ هنا في الحديث: «إن المسلم إذا سئل في القبر» هل له مفهوم؟

الجواب: ذكر القبر هنا ليس له مفهوم من ناحية أنه لا يسأل إلا من كان مقبورًا، بل كلٌّ يسأل، ولكن ذُكر القبر لأن الغالب على الناس أنهم يُقبرون، وذلك من أول الخليقة، مثلما حصل في قصَّة ابني آدم[1]، والحالات الأخرى التي هي غير الدفن في القبور؛ ليست بشيء بالنِّسبة لمن يدفن، وذلك كمن تأكله السباع، أو يغرق في البحر، أو تأكله الحيتان، أو يحترق بالنار ولا يبقى له رفات؛ فلا يقال: إن هذا يسلم من عذاب القبر؛ فإن عذاب القبر سيصل إلى من يستحقُّه وإلى من هو أهل له، سواء قُبر أو لم يقبر، والله عَزَّوَجَلَّ على كل شيء قدير، فهو قادر أن يوصل العذاب إلى من يستحقُّه وإن لم يقبر، كما أن من يقبر وتأكله الأرض ويتلاشى جسمه في محلِّه ويختلط بالتراب؛ فإنه يصل إليه العذاب أو النعيم، وأمور البرزخ تختلف عن أمور الدنيا، فعلى الإنسان أن يؤمن بما جاء به الوحي ويؤمن بالغيب، وإن لم يدرك الكنه والحقيقة.

(١) كما في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

ولا يكون الإنسان مؤمنًا بالمشاهدة والمعاينة فقط، بل عليه الإيمان بالغيب؛ والرسول ﷺ قد سمع ما يجري في القبور من العذاب، وأخبر كذلك أنَّ البهائم تسمعه، وأخفىٰ الله ذلك عن الجن والإنس، ولو ظهر لهم ذلك وأدركوا ما يجري في القبور من الأهوال؛ لما ظهرت حكمة الإيمان بالغيب؛ فشاء الله أن يكون ما يجري في القبر غيبًا حتىٰ يتميَّز من يؤمن من الناس بالغيب، ومن لا يؤمن إلا بالمشاهدة والمعاينة ولا يؤمن بالغيب، ولو اطَّلع الناس علىٰ ما يجري في الآخرة لما صار الناس إلىٰ هذا الانقسام الذي شاءه الله من شقيٍّ وسعيد.

ثم أيضًا لو فتح القبر لم نر جنة ولا نارًا، مع أن الجنة والنار موجودتان، وقد أري رسول الله ﷺ الجنة والنار، والصحابة ما رأوهما؛ وذلك لمَّا صَلَّىٰ النبيُّ ﷺ بالنَّاس صلاةَ الكُسُوفِ؛ فقَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟)؛ يعني: رجع القَهْقَرىٰ؛ (قَالَ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ»)[١]، ولكن الله شاء أن تكون أمور الآخرة غيبًا ولا تكون علانيةً؛ ليتميَّز من يؤمن ومن لا يؤمن، ومن يكون من أهل الشقاء ومن يكون من أهل السعادة.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

وقد قال النبي ﷺ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا؛ لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»؛ كما ثبت في «صحيح مسلم»[(١)]، ولو سمعوا ما يجري في القبور لأصابهم الذعر والخوف، وقد يحصل لهم الموت ولا يدفن بعضهم بعضًا؛ لكثرة من يموت بسبب ذلك. ولهذا فإن البهائم والحيوانات تسمع بما يجري في القبور من العذاب، والجن والإنس لا يسمعون؛ كما جاء في الأحاديث[(٢)]؛ فالجن والإنس مكلَّفون، والبهائم غير مكلَّفة.

فالحاصلُ: أنَّ العذاب يصل إلىٰ كل من يستحقه سواء قبر أو لم يقبر، ولا يقال: كيف يصل إليه وقد تفرَّقت أجزاؤه في البحر أو في البر؟! فإن الله علىٰ كل شيء قدير، وأمور الآخرة تختلف عن الدنيا، والواجب التصديق بكل ما جاء به القرآن والسنَّة من كل غيب، وعدم التردُّد في ذلك. ومعلوم أيضًا أن من دفن فإن الأرض تأكله وتذهب أجزاؤه فيها، والله يعيد تلك الأجزاء من التراب؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾؛ فقال الله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ﴾ [ق: ٢- ٤]؛ يعني: فنحن نستخرجهم من الأرض، فجميع الذرات التي اختلطت بالتراب يستخرجها الله تعالىٰ، ويعود الجسم

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٧/ ٢٨٦٧)، عن زيد بن ثابت، و(٦٨/ ٢٨٦٨)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٧٠/ ٢٨٧٠)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وراجع كذلك الحديث رقم (٤٧٥٣) من السنن.

كما كان؛ كما جاء في قصة الرجل الذي أسرف علىٰ نفسه؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، قَالَ لِأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، وَاذْرُوا نِصْفِي فِي الْبَرِّ وَنِصْفِي فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدِرَ اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا لَمْ يُعَذِّبْهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا مَاتَ فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ؛ فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ بَعَثَهُ؛ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ. فَغَفَرَ لَهُ»(١).

❁ ❁ ❁

السؤال: هل عذاب القبر دائم أم على حسب عمل الإنسان في الدنيا؟

الجواب: منه ما هو دائم، ومنه ما هو غير دائم؛ فالدائم كما جاء في القرآن في الكفار: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ أي: فهم في عذاب مستمرٍّ، وإذا بعثوا انتقلوا من عذاب شديد إلىٰ عذاب أشدَّ، وأما في حقِّ العصاة فلا يقال: إنه دائم في حق كل أحد منهم، فقد يمكن أن يحصل للإنسان نصيبه من العذاب في القبر، وبعد ذلك يسلم؛ ولهذا فإن من مكفِّرات الذنوب ومن الأشياء التي يحصل بها التخلُّص من عذاب جهنم: عذاب القبر. فالإنسان قد يعذب في قبره فيكون ذلك هو نصيبه من العذاب، ثم بعد ذلك يدخل الجنَّة.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦/٢٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وجاء عن عدة من الصحابة بنحوه.

وكذلك ورد ما يدل علىٰ حصول التخفيف؛ كما جاء في قصة صاحبي القبرين؛ في الصَّحيحين من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: «لَعَلَّهُمَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[(١)]. وهذا الذي جاء في الحديث من خصائص الرسول ﷺ؛ فلا يجوز لأحد بعده أن يضع زهورًا أو أن يضع شيئًا من الأشياء الرطبة أو النبات أو الجريد علىٰ قبر؛ لأنَّ النبي ﷺ علم العذاب في القبر وعلم سبب العذاب، وغيره لا يعلم مَن يعذَّب ومن ينعَّم.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل نعيم القبر وعذابه جزء من نعيم الجنة وعذاب النار؟

الجواب: نعم؛ فقد جاء في الحديث أنه يفتح للمؤمن باب إلىٰ الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها، والكافر يفتح له باب إلىٰ النار فيأتيه من حرِّها وسمومها[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (١١١/ ٢٩٢).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

السؤال: هل يمكن أن يجيب المسلم عن أسئلة القبر، مع كونه كان مقصِّرًا في الدنيا مع سلامة توحيده؟

الجواب: نعم، فالجواب يوفَّق له من كان مؤمنًا، وأمَّا من كان كافرًا أو منافقًا؛ فهذا لا يجيب بالجواب الحسن أبدًا. والذين ليس لهم إلا النار وليس لهم إلا العذاب؛ هم المنافقون والكفار، وأما غيرهم من العصاة فيدخلون تحت مشيئة الله، فقد يتجاوز عن العاصي من عذاب القبر، أو من عذاب النار، والله تعالىٰ أعلم.

وقد يجيب بالجواب الحسن في القبر ولكن يعذب، فالذي يعذَّب في القبر بالنميمة هو مسلم ولم يكن كافرًا؛ لأنَّه لو كان كافرًا لعذب بالكفر، والتخفيف إنما يكون لمن يعذب بسبب ذنب، وكذلك العذاب في النار، فقد يعذب في النار من كان عاصيًا، والجواب في القبر يرجىٰ أن يحصل من كل مسلم؛ لكن لا يقال: إن من أجاب بالجواب السديد يسلم من عذاب النار، وأن كل المسلمين الذين ليسوا منافقين ولا كفارًا؛ لا يعذَّبون في القبر، بل يمكن أن يتجاوز الله عنهم فلا يعذبون في القبر ولا في النار، ويمكن أن يعذبوا بعذاب القبر ويكفيهم عن عذاب النار، ويمكن أن يحصل لهم عذاب القبر وعذاب النار؛ مثل أصحاب الكبائر الذين يدخلون في النار ثم يخرجون منها بشفاعة الشافعين، وبعفو أرحم الراحمين.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما الحكمة من كون الملك الذي يعذب الكافر في قبره أعمى أبكم؟

الجواب: قالوا: يكون أعمىٰ أبكم حتىٰ لا يرحمه؛ لأنه إذا كان يرىٰ أو يسمع؛ فقد يكون فيه شيء من الرحمة، ولكنه إذا كان لا يرىٰ ولا يسمع؛ فإنه يعذبه بلا رحمة.

❁ ❁ ❁

السؤال: نجد في بعض الكتب: أن عذاب القبر يستمرُّ أربعين ليلة، فهل يصح هذا؟

الجواب: لا نعلم شيئًا يدل علىٰ هذا، فهذه أمور غيبيَّة لا يجوز الكلام فيها إلا بدليل.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما قولكم فيما يروى عمن كشف له عن بعض عذاب القبر، كمن رأى قبرًا يعذب صاحبه بعذاب معين، ومثل هذا موجود في كتب ابن القيم وغيره؟

الجواب: إذا صح ذلك أو ثبت؛ فإنه ممكن، وهو شيء موجود يمكن أن يطَّلع عليه، لكن ليس كل خبر يُذكر يصدَّق، فقد تروىٰ أخبار وليس لها أساس.

❁ ❁ ❁

السؤال: استدل بعض أهل العلم بحديث فتنة القبر على أنه لا يجوز التقليد في الأمور العقدية، والشاهد منه قوله: «سمعت الناس يقولون

شيئًا فقلته»، فهل هذا صحيح؟

الجواب: هذا وارد في التقليد في الشرِّ، فالذي يجيب بأنه سمع الناس يقولون شيئًا فقاله؛ إنما هو فيما يتعلق بالكفر، قال الله عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]؛ فهذه هي الطريقة التي كانوا عليها.

❁ ❁ ❁

السؤال: من كان مستحقًا للعذاب في القبر لكنه دفن في جنة البقيع، فهل يسلم لبركة المكان؟

الجواب: قال سلمان الفارسي: (إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ)(١). ولو دفن في البقيع شخص كافر أو منافق؛ فهل ينفعه كونه دفن في البقيع؟! لا ينفعه، وإنما ينفع الإنسان إيمانه وعمله الصالح، والمهم في الأمر أن يقدم الإنسان لنفسه عملًا صالحًا يلقاه، وسواء دفن في البقيع أو في غير البقيع، وأما أن يبتعد عن الله ثم يقول: إن البقيع يشفع له.فهذه أماني كاذبة، وهذا من تلاعب الشيطان بالإنسان.

وكلمة «جنة البقيع» من تعبير بعض عوام العجم، فهم يقولون: هذه جنة البقيع.بل البقيع وغيره فيه جنَّة ونار، يعذب من يعذب وينعم من ينعم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٧٦٩، رقم ٧)، وغيره.

السؤال: جاء عند ابن ماجه، وصحَّحه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«أن الشمس تمثل للمسئول عند الغروب في قبره، فيقول للملكين: دعاني أصلي.فيقولان: ستفعل»(١)، فما المراد بالصلاة هنا؟

الجواب: الله تعالىٰ أعلم، لكن الصلاة هنا قد تكون بمعنىٰ الصلاة المعروفة؛كما جاء في الحديث أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يصلي في قبره، كما ثبت في الصحيح(٢)، فإذا ثبت ما ذكره السائل فيمكن أن يكون من هذا القبيل.

۞ ۞ ۞

السؤال: ماذا تقولون في ضمَّة القبر التي قال عنها الرسول ﷺ: «لو نجا منها أحد لنجا منها سعد»، هل هذه الضمة تساوي ضمة الكافر أم لا؟

الجواب: لا يمكن أن يكون كذلك؛ لأن سعد بن معاذ قد اهتزَّ لموته

---

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه رقم (٤٢٧٢)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٣٤٤٧). لكن ليس فيه: «فيقولان: ستفعل»، وإنما جاء هذا في حديث طويل أخرجه ابن حبان (٧/ ٣٨٠، رقم ٣١١٣)، والحاكم (١/ ٥٣٥، رقم ١٤٠٣)، وغيرهما، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٥٦١)، وفي التعليقات الحسان.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٤/ ٢٣٧٥)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَيْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»، وقال الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص ٢١٣): «ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**». أخرجه أبو يعلىٰ بإسناد جيِّد، وقد خرجته في (الأحاديث الصحيحة) (٦٢١)».

عرش الرحمن، ومع ذلك لم ينجو منها! ولذا فالذي يبدو - والله أعلم - أنها ليست بعذاب في حقِّ مثله. فالكافر يضيق عليه القبر حتىٰ تختلف أضلاعه ويعذب بذلك، وأما المؤمن الذي هو دون سعد بن معاذ وغيره من الصحابة؛ فيفسح له في قبره.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل ورد في حديث ثابت: «أن من صفات الملكين في القبر أنهما أسودان أزرقان»[(١)]؟

الجواب: لا أعلم ثبوت هذا، ولكن أقول: إذا ثبت ذلك عن الرسول ﷺ قلنا به، فالناس لا يعرفون ولا يعتقدون إلا ما تثبتت به السنة عن رسول الله ﷺ؛ لأن هذه أمور غيبية، فنقتصر فيها علىٰ ما جاء في الوحي.

❁ ❁ ❁

السؤال: ورد أن الشهداء لا يفتنون في القبور، حيث قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة»[(٢)]، وكذا ورد في المرابط أنه: «يؤمن

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (١٠٧١)؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ...» الحديث، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٩١)، وصحيح الجامع رقم (٧٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي رقم (٢٠٥٣)، عن رجل من أصحاب الرسول ﷺ، و رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

الفتان»[١].

الجواب: هذا لا يدل علىٰ أنهم لا يسألون، ويمكن أنه يؤمن من فتن أخرىٰ غير أمر السؤال، وأما السؤال فهو كما ذكر عن ابن تيميَّة أن المكلفين يسألون في قبورهم، ولا يستثنىٰ من ذلك إلا الأنبياء، وفيهم خلاف كما قال.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٣/ ١٩١٣)، عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْمِيزَانِ

الشَّرْح

أورد أبو داود ترجمة (بَابٌ فِي ذِكْرِ الْمِيزَانِ)؛ والميزان هو الذي توزن به أعمال العباد، وتعرف به مقاديرها من حيث الرجحان وعدمه، والميزان له كفَّتان كما جاء في حديث البطاقة والسجلات(١)؛ حيث وضعت البطاقة

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠) عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى! إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ). فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ». قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٥).

في كفة والسجلات في كفة.

❁ **الحكمة من الوزن:**

والوزن إنما هو لإظهار عدل الله عَزَّوَجَلَّ، وأن كلًّا يجازىٰ بما يستحقه، وأنه لا يظلم بحيث ينقص من حسناته أو يزاد في سيئاته، وإنما تحفظ حسناته وسيئاته، ويوزنان من أجل إيقاف العباد علىٰ أعمالهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وليس الوزن من أجل أن يعلم الله الراجح من المرجوح؛ فإنَّ الله تعالىٰ عالم بكل شيء، فيعلم بالراجح والمرجوح، سواء وزن أم لم يوزن.

❁ **الأدلة من الكتاب والسنة على الميزان:**

والميزان ثابت في كتاب الله وسنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ **فقد جاءت الآيات والأحاديث مثبتة لذلك؛ من ذلك:**

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٢- حديث البطاقة والسجلات الذي يدل علىٰ أن له كفتين[(١)].

٣- آخر حديث في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ**

(١) صحيح: انظر التخريج السابق.

وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[(١)].

٤- قوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[(٢)].

❁ ردُّ تشغيبات من أنكر الميزان من المبتدعة:

وبعض الفرق الضالَّة أنكرت الميزان من جهة العقل؛ فقالوا: إن الميزان يحتاج إليه البقال، والناس هم الذين يحتاجون إلىٰ معرفة الراجح والمرجوح، والله عَزَّوَجَلَّ لا يحتاج إلىٰ ذلك، وهذا هو البلاء الذي حصل لمن ابتلي من المبتدعة؛ بأن قاس الله علىٰ خلقه، ففرَّ من إثبات شيء ثابت بحجَّة أن ذلك فيه مشابهة، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يشبه شيئًا من خلقه، وما يضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فإنه علىٰ ما يليق به، وما يضاف إلىٰ المخلوقين فعلىٰ ما يليق بهم، والوزن إنما هو من أجل العباد، وليس من أجل شيء يرجع إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٥٥- حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَحُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٥٦٣) ومواضع، ومسلم (٣١/ ٢٦٩٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٢٢٣).

إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟»، قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ. وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾ [الحاقة: ١٩]؛ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؟ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»(١).

قَالَ يَعْقُوبُ: عَنْ يُونُسَ. وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِهِ.

الشرح

الحديث من رواية الحسن عن عائشة بالعنعنة وهو مدلس، ولا أدري هل روايته عن عائشة متَّصلة أو غير متصلة، لكن سواء روىٰ عنها أم لم يروِ فما دام أن ذلك بالعنعنة وهو مدلس؛ فإن ذلك يقدح في الرواية.

وأيضًا من ناحية المعنىٰ، وأنهم لا يذكرون أهليهم؛ فهم من حين يخرجون من قبورهم وهم في أمر يذهل فيه بعضهم عن بعض؛ كما جاء عن

(١) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٢٢، رقم ٨٧٢٢)، والآجري في الشريعة رقم (٩٠٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب رقم (٢١٠٨)، وفي ضعيف أبي داود.

عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ»[1]؛ يعني: أنهم لا يفكرون بالشهوات واللذَّات وما كان يجري في الدنيا من فتنة الرجال بالنساء والنساء بالرجال؛ لأنَّهم في أمر أكبر من أن يفكروا بهذا الأمر، فهذا مما ينسيهم أهليهم، فكل مشغول بنفسه، وآدم ومن بعده من أولي العزم من الرسل كل منهم يقول في الموقف: «نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي»[2].

فقصْرُه نسيان الأهل علىٰ هذه المواقف الثلاثة مع أن الذهول موجود من حين بداية الموقف؛ فعندهم ما يذهلهم عن أن يفكروا فيما كانوا يفكرون فيه في الحياة الدنيا؛ يدل علىٰ أن في المتن نكارة، والإسناد فيه علَّة.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا يعقوب بن إبراهيم)؛ هو الدورقي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، بل هو شيخ لأصحاب الكتب الستة رووا عنه مباشرة بدون واسطة.

۞ فائدة:

ويعقوب بن إبراهيم الدورقي ومحمد بن بشار ومحمد بن المثنىٰ من

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٥٦/ ٢٨٥٩)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) متَّفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٣٢٧/ ١٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

صغار شيوخ البخاري، وهم من شيوخ أصحاب الكتب الستة، وقد مات الثلاثة في سنة واحدة؛ سنة ٢٥٢، قبل وفاة البخاري بأربع سنوات.

قَوْلُهُ: (**وحميد بن مسعدة**)؛ صدوق، أخرج له مسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**أن إسماعيل بن إبراهيم**)؛ هو ابن علية، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا يونس**)؛ هو ابن عبيد، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن الحسن**)؛ هو ابن أبي الحسن البصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عائشة**)؛ أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، الصدِّيقة بنت الصدِّيق، وهي واحدة من سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

قَوْلُهُ: (**قال يعقوب: عن يونس. وهذا لفظ حديثه**)؛ أي: أنه بين يونس وابن علية؛ قال يعقوب: عن. وقال حميد بن مسعدة: أخبرنا.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

السؤال: ما هو الذي يوزن يوم القيامة؟

الجواب: توزن الأعمال، وتوزن الصحائف، وقيل أيضًا: إنه يوزن الإنسان نفسه؛ كما جاء في قصة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ساقه أثقل من جبل أحد[1].

❁ ❁ ❁

السؤال: هل هو ميزان واحد أم أنها موازين متعددة؟

الجواب: الله أعلم، لكن كما هو معلوم أن الله علىٰ كل شيء قدير، والمهم أن الوزن يحصل سواء كان الميزان واحدًا أو متعددًا، وكونه واحدًا أيضًا ليس فيه إشكال، كما أن الله عَزَّوَجَلَّ يسأل الناس واحدًا واحدًا، ومعلوم أن أمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠)، وابن حبان (٧٠٦٩)، والطبراني في الكبير (٩/ ٧٨، رقم ٨٤٥٢)، وغيرهم؛ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟!» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»، وصححه الألباني في الصحيحة (رقم ٣١٩٢).

وأما ما جاء من الآيات بلفظ الجمع؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله: ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ١٠]؛ فلا يعني أنه لا بد وأن تكون الموازين جمعًا؛ لأنه من الممكن أن يكون واحدًا، فليس ذلك بمستحيل من ناحية العقل(١).

۞ ۞ ۞

السؤال: كيف يوزن العمل مع أنه أمر معنوي؟

الجواب: تقلب الأعراض أعيانًا فتوزن، وهذا مثل الكلام الذي هو صفة

---

(١) سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل الميزان واحد أو متعدد؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «اختلف العلماء في الميزان، هل هو واحد، أو متعدد علىٰ قولين؛ وذلك لأن النصوص جاءت بالنسبة للميزان مرة بالإفراد، ومرة بالجمع، مثال الجمع قوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وكذلك في قوله: ﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦]، ومثال الإفراد قوله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمن، خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان».

فقال بعض العلماء: إن الميزان واحد، وإنه جمع باعتبار الموزون، أو باعتبار الأمم، فهذا الميزان توزن به أعمال أمة محمد، وأعمال أمة موسىٰ، وأعمال أمة عيسىٰ، وهكذا، فجمع الميزان باعتبار تعدد الأمم.

والذين قالوا: إنه متعدد بذاته قالوا: لأن هذا هو الأصل في التعدد، ومن الجائز أن الله -تعالىٰ- يجعل لكل أمة ميزانا، أو يجعل للفرائض ميزانا، وللنوافل ميزانا.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الميزان واحد، لكنه متعدد باعتبار الموزون» اهـ مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٤٣).

للإنسان وليس له جرم، ولكن الله تعالىٰ يقلب الأعراض ويجعلها أعيانًا تقبل الوزن.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل توزن أعمال الكفار، مع العلم بأنهم من أهل النار، أم أنها توزن فقط لإقامة الحجة عليهم؟

الجواب: معلوم أن الكفار ليس لهم حسنات حتىٰ توضع في كفة والسيِّئات في كفة، والذي يحصل لهم هو الحساب، وذلك أنهم يقررون عليها ويقال: عملت كذا وحصل منك كذا وكذا. وفي ذلك زيادة تبكيت وتقريع لهم. وقد جاء في القرآن عن الكفار: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، فهم الذين يخلدون في النار، وأما من ناحية الوزن والمقابلة بين كفة وكفة فليس عندهم حسنات حتىٰ تكون في الكفة الثانية، فقد تكون فارغة، وكفة السيئات مليئة.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما هو الترتيب الصحيح بين الصراط والميزان والحوض؟

الجواب: الذي يبدو: أن الحوض في عرصات القيامة قبل الميزان، والميزان يكون بعد الحساب، والحساب يكون في إنهاء الموقف الذي يموج فيه الناس بعضهم في بعض، ويستشفعون ليأتي الله عَزَّوَجَلَّ لفصل القضاء بينهم بالحساب، وعندما يثبت العمل ويكون جاهزًا فعند ذلك يأتي

الوزن من أجل أن يوقف العباد علىٰ عدل الله عَزَّوَجَلَّ، وبعد الميزان الصراط؛ لأنَّ الصراط ليس بعده إلا النار أو الجنة، وهو فوق النار، ومن جاء علىٰ ظهره يريد العبور إلىٰ الجنة؛ فإنَّه يقع في النار إذا كان من أهلها، وإذا كان ممَّن وفّقه الله فإنه يتجاوز الصراط علىٰ الكيفيَّة التي يتفاوت الناس فيها بالسير علىٰ الصراط، وذلك حسب أعمالهم، وعلىٰ هذا فالحوض أولًا، والميزان بعده، والصراط بعد ذلك[1].

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في شرح العقيدة الطحاوية (شريط ٣٨):

المسألة التاسعة: في ترتيب هذه الأشياء يوم القيامة:

وهي مسألة مهمَّة؛ فإنَّ ما يحصل يوم القيامة، وما يكون فيه؛ الذي جاء في الكتاب والسنة أشياء كثيرة، مثلما ذُكَر؛ قيام الناس، والحوض، والميزان، والحساب، والعرض، والقراءة، وتطاير الصحف، والكتاب، والصراط، والظلمة، وهذه أشياء متنوعة، فكيف ترتيبها؟

الظاهر، والذي قرَّرَهُ المحققون من أهل العلم: أنَّ ترتيبها كالتالي:

١- إذا بُعث الناس وقاموا من قبورهم؛ ذهبوا إلىٰ أرض المحشر، ثم يقومون في أرض المحشر قيامًا طويلًا، تشتدُّ معه حالهم وظمؤُهُم، ويخافون في ذلك خوفًا شديدًا؛ لأجل طول المقام، ويقينهم بالحساب، وما سيُجري الله جَلَّوَعَلَا عليهم.

٢- فإذا طال المُقام رَفَعَ الله جَلَّوَعَلَا لنبيِّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَوْضَهُ المَوْرُودَ، فيكون حوض النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في عَرَصَاتِ القيامة، إذا اشتدَّ قيامهم لربِّ العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

فمن مات علىٰ سنَّته غير مُغَيِّرٍ ولا مُحْدِثٍ ولا مُبَدِّلٍ؛ وَرَدَ عليه الحوض وسُقِيَ منه، فيكونُ أول الأمان له أن يكون مَسْقِيًّا من حوض نبيِّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

=

ثم بعدها يُرْفَعُ لكل نبيٍّ حوضه، فيُسْقَىٰ منه صالح أمته.

٣- ثم يقوم الناس مُقامًا طويلًا، ثم تكون الشفاعة العظمىٰ؛ شفاعة النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أن يُعَجِّلَ الله جَلَّ وَعَلَا حساب الخلائق؛ في الحديث الطويل المعروف أنهم يسألونها آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم... إلىٰ آخره، فيأتون إلىٰ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويقولون له: «يا محمد، اشفع لنا عند ربك». ويصِفُونَ له الحال، وأن يقي الناس الشدَّة بسرعة الحساب، فيقول: «أنا لها، أنا لها». فيأتي عند العرش فيخرُّ، فيحمد الله جَلَّ وَعَلَا بمحامد يفتحها الله جَلَّ وَعَلَا عليه، ثم يقال: «يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعْطَ، واشْفَع تُشَفَّع». فتكون شفاعته العظمىٰ في تعجيل الحساب.

٤- بعد ذلك يكون العرض؛ عرض الأعمال.

٥- ثم بعد العرض يكون الحساب.

٦- وبعد الحساب الأول تتطاير الصحف، والحساب الأول من ضمن العرض؛ لأنه فيه جدال ومعاذير، ثُمَّ بعد ذلك تتطاير الصحف، ويُؤْتَىٰ أهل اليمين كتابهم باليمين، وأهل الشمال كتابهم بشمالهم؛ فيكون قراءة الكتاب.

٧- ثم بعد قراءة الكتاب يكون هناك حساب أيضًا؛ لقطع المعذرة وقيام الحجَّة بقراءة ما في الكتب.

٨- ثم بعدها يكون الوزن، والميزان؛ فتوزن الأشياء التي ذكرنا.

٩- ثم بعد الميزان ينقسم الناس إلىٰ طوائف وأزواج؛ الأزواج بمعنىٰ: كل شكل إلىٰ شكله، وتُقَام الألوية - ألوية الأنبياء -؛ لواء محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولواء إبراهيم، ولواء موسىٰ، إلىٰ آخره، ويتنوَّع الناس تحت اللواء بحسب أصنافهم، كل شَكْلٍ إلىٰ شكله.

والظالمون والكفرة أيضًا يُحْشَرُونَ أزواجًا - يعني: متشابهين - كما قال: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]؛ يعني بأزواجهم، أشكالهم ونُظَرَاءَهُم، فيُحْشَر علماء المشركين مع علماء المشركين، ويُحْشَر الظلمة مع الظلمة، ويُحْشَر

السؤال: هل للميزان كفتان ولسان؟

الجواب: أما أن له لسانًا فلا أعلم هل ثبت فيه شيء أم لا، وإنما له كفتان كما جاء في حديث البطاقة والسجلات[(١)].

=

منكرو البعث مع منكري البعث، ويُحْشَر منكرو الرسالة مع منكري الرسالة، وهكذا في أصناف.

١٠- ثُمَّ بعد هذا يَضْرِبُ الله جَلَّ وَعَلَا الظُّلمة قبل جهنَّم - والعياذ بالله -، فيسير الناس بما يُعْطَونَ من الأنوار، فتسير هذه الأمة وفيهم المنافقون، ثُمَّ إذا ساروا علىٰ أنوارهم ضُرِبَ السُّور المعروف ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤] الآيات، فيُعْطِي الله جَلَّ وَعَلَا المؤمنين النور؛ فيُبْصِرُون طريق الصراط، وأما المنافقون فلا يُعْطَون النور فيكونون مع الكافرين؛ يمشون وأمامهم جهنم - والعياذ بالله - فيتهافتون في النار.

١١- ثم يأتي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أوَّلًا، ويكون علىٰ الصراط، ويسأل الله جَلَّ وَعَلَا له ولأمَّته فيقول: «اللهم سلِّم سلِّم، اللهم سلِّم سلِّم». فَيَمُرُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتَمُرُّ أمته علىٰ الصراط؛ كُلٌّ يمرُّ بقدر عمله، ومعه نور أيضًا بقدر عمله، فيمضي مَن غَفَرَ الله جَلَّ وَعَلَا له، ويسقط في النار في طبقة الموحِّدين من شاء الله جَلَّ وَعَلَا أن يُعَذِّبه.

ثم إذا انتهوا من النار اجتمعوا في عَرَصَات الجنة؛ يعني: في السَّاحات التي أعدَّها الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن يَقْتَصَّ أهل الإيمان بعضهم من بعض، ويُنْفَىٰ الغلُّ؛ حتىٰ يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غلٌّ.

١٢- فيدخل الجنة أول الأمر بعد النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقراء المهاجرين، ثم فقراء الأنصار ثم فقراء الأمَّة، ويُؤَخَّر الأغنياء لأجل الحساب الذي بينهم وبين الخلق، ولأجل محاسبتهم علىٰ ذلك.

إلىٰ آخر ما يحصل في ذلك مما جاء في القرآن العظيم» اهـ.

(١) جاء ذكر اللسان عن جماعة من السلف؛ انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٨، ٥٣٩)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٨٥).

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي الدَّجَّالِ

الشَّرح

أورد أبو داود ترجمة: (بَابٌ فِي الدَّجَّالِ)، والدجَّال: هو إنسان من بني آدم يخرج في آخر الزمان، ويكون موجودًا قبل أن ينزل عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فينزل عيسىٰ فيقتله، ويكون أيضًا في زمن المهدي، فقد جاء في الحديث أن عيسىٰ ابن مريم يصلي وراء إمام المسلمين[1]، وقد جاء في بعض الأحاديث أنه المهدي[2][3]، ثم بعد ذلك يخرج الدجال ويقتله

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (٢٤٤/ ١٥٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟!».

(٢) صحيح: انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٢٢٣٦، و٢٢٩٣).

(٣) سئل العلامة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هل صحيح أن المهدي المنتظر سوف يظهر، أم أنها بدعة مع العلم أنه لا يوجد بعد وفاة نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم معجزات، أرشدونا جزاكم الله خيرًا مع التحيات؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «المهدي المنتظر صحيح، وسوف يقع في آخر الزمان، قرب خروج الدجال =

عيسىٰ بباب لد[1]، فهو من علامات الساعة التي تكون في آخر الزمان، وهو فتنة عظيمة، ويأتي الناسَ بأمور عجيبة وغريبة فيفتنون به، ويأتي الناس بجنة ونار، وناره جنة وجنته نار[2]، وقد أعطي القدرة علىٰ الانتقال، فجاء أن سيره في الأرض كالغيث استدبرته الريح[3]، وجاء أنه: يطوف المدن ولا يُمنع من شيء منها إلا مِنْ مكَّة والمدينة، وتمنعه الملائكة من دخول

=

ونزول عيسىٰ عند اختلاف بين النَّاس عند موت خليفة؛ فيخرج المهدي، ويبايَع ويقيم العدل في الناس سبع سنوات أو تسع سنوات، وينزل في وقته عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا جاءت به أحاديث كثيرة، أما المهدي الذي يدعي الرافضة هذا لا أصل له، مهدي الشيعة صاحب السرداب هذا لا أصل له عند أهل العلم، بل هو خرافة لا أساس لها، ولا صحة لها.

أما المهدي المنتظر الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة، ومن بيت النبي ﷺ، من أولاد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو سمي [باسم] النبي محمد، وأبوه عبد الله؛ فهذا حق، وجاءت به الأحاديث الصحيحة، وسيقع في آخر الزمان، ويحصل بسبب خروجه وبيعته مصالح للمسلمين؛ في إقامة العدل ونشر الشريعة، وإزالة الظلم عن الناس، وجاء في الأحاديث أن الأرض تملأ عدلًا، بعدما ملئت جورًا في زمانه، وأنه يخرج عند وجود فتنة بين الناس واختلاف علىٰ أثر موت الخليفة القائم فيبايعه أهل الإيمان والعدل بما يظنه فيه من الخير والاستقامة وأنه من بيت النبوة» اهـ فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨).

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١١٠/ ٢٩٣٧)، عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (١٠٩/ ٢٩٣٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم (١٠٤/ ٢٩٣٤)، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: انظر التخريج السابق.

المدينة، وترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر وكافرة وكل منافق ومنافقة(١)؛ أي: يخرجون إليه ويتَّبعونه.

وقد جاء أن الأنبياء حذَّروا أممهم منه، وحذر النبي ﷺ أمته منه، وجاء عنه أحاديث تدلُّ علىٰ أنه قريب جدًّا، وقال: «**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ؛ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ**»(٢)، ولعل هذا كان قبل أن يعلم أن وقته متأخِّر؛ لأنه جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نصوص تدل علىٰ تأخُّر وقته، وعلىٰ وجود أمور تقع قبل وقته، وأن عيسىٰ هو الذي يتولَّىٰ قتله، ويكون ذلك في أمور ليست متصلة بزمانه - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، فما جاء من الأحاديث يحمل علىٰ أنه لم يكن قد أوحي إليه بالوقت الذي يخرج فيه بالتحديد، ولكنه قريب، فقد أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه بعث والساعة كهاتين، والدجال من علامات الساعة، ولكن جاء في بعض الأحاديث ما يدل علىٰ قربه، وأنه قد يخرج وهو فيهم.

وقد جاء فيه أحاديث كثيرة متواترة في الصحيحين وغيرهما.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٥٦- حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ،

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (١٢٣/ ٢٩٤٣)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: هو جزء من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم قريبًا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُرَاقَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ»، فَوَصَفَهُ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «لَعَلَّهُ سَيُدْرِكُهُ مَنْ قَدْ رَآنِي وَسَمِعَ كَلَامِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ قُلُوبُنَا يَوْمَئِذٍ؟ أَمِثْلُهَا الْيَوْمَ؟ قَالَ: «أَوْ خَيْرٌ»[(١)].

الشرح

أورد أبو داود حديث أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ»)؛ يعني: أنذرهم فتنة الدجال، («وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ»، فَوَصَفَهُ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «لَعَلَّهُ سَيُدْرِكُهُ مَنْ قَدْ رَآنِي وَسَمِعَ كَلَامِي»)؛ يعني: أنه قد يخرج في زمن قريب، وأن الذين رأوا الرسول ﷺ وصحبوه قد يدركونه ويرونه، وهذا يشبه قوله: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ؛ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ»[(٢)].

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٢٣٤)، وأحمد (١/ ١٩٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢٠٧٤).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

قَوْلُهُ: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ قُلُوبُنَا يَوْمَئِذٍ؟ أَمِثْلُهَا الْيَوْمَ؟) أي: من ناحية الثبات؛ لأنه إذا جاءت الفتنة فإن بعض الناس سيتأثَّر ويتغيَّر ما في نفسه؛ لأنه يرىٰ أمورًا مذهلة (قَالَ: «أَوْ خَيْرٌ»)؛ أشار إلىٰ أنهم سيثبتون ولا يفتتنون به، ولا تؤثر فيهم فتنته؛ فلا يصدقونه ويتبعونه، وقد أخبرهم النبي ﷺ عن أخباره، وأن جنَّته نار وناره جنة.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا موسىٰ بن إسماعيل)؛ هو التبوذكي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد)؛ هو ابن سلمة بن دينار البصري، ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن خالد الحذاء)؛ هو خالد بن مهران الحذاء، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن شقيق)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن سراقة)؛ وثقه العجلي، وقال البخاري: إنه لم يسمع من أبي عبيدة، وأخرج له أبو داود والترمذي.

قَوْلُهُ: (عن أبي عبيدة بن الجراح)؛ هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، وحديثه أخرجه

أصحاب الكتب الستَّة.

❁ درجة الحديث:

والحديث ضعفه الألباني، وفي إسناده عبد الله بن سراقة؛ قال البخاري: لم يسمع من أبي عبيدة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٥٧ - حَدَّثَنَا مَخْلَدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[1].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أن الرسول ﷺ خطب الناس

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠٥٧)، ومسلم (١٦٩)، وأخرجه الترمذي (٢٢٣٥)، وأحمد (٢/ ١٣٥).

وحذرهم من فتنة الدجال، وقال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ»، وأنذرهم ﷺ إِيَّاه، وقال: «وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ»؛ ومعنىٰ ذلك: أن الله تعالىٰ قد أعطاه من العلم ما لم يعطِهِ أحدًا قبله من الأنبياء الذين أنذروا أقوامهم إياه؛ فإنه قد وصفه لهم في حديثه هذا أنه أعور، وهو يدعي الألوهية، ومع ذلك فهو يحمل شاهدًا يدل علىٰ كذبه، وهو أنه لا يستطيع أن يغير هذا الأمر الذي فيه من التشويه والهيئة القبيحة. والله عَزَّوَجَلَّ ليس بأعور.

۞ إثبات العينين لله عَزَّوَجَلَّ:

الحديث يدل أيضًا علىٰ وصف الله عَزَّوَجَلَّ بأن لله عينين، وهو من الأدلة لتي يستدل بها أهل السنة والجماعة علىٰ إثبات العينين لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، والعور: هو ألا يكون له إلا عين واحدة، والله عَزَّوَجَلَّ له عينان.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا مخلد بن خالد)؛ هو الشعيري، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود.

قَوْلُهُ: (حدثنا عبد الرزاق)؛ هو ابن همام الصنعاني اليماني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (أخبرنا معمر). هو ابن راشد الأزدي البصري ثم اليماني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الزهري)؛ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن سالم)؛ هو ابن عبد الله بن عمر، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن أبيه)؛ هو عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

السؤال: هل يفهم من قول الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في حديث الدجال: «كيف قلوبنا يومئذ؟ أمثلها اليوم؟»، وقول النبي ﷺ: «أو خير»؛ أن من يدرك الدجال من المؤمنين فقلوبهم خير من قلوب الصحابة؟

الجواب: لا؛ لأن الكلام والخطاب للصحابة، ومعناه: أنكم إذا أدركتموه فأنتم تسلمون منه، وقلوبكم يكون فيها من الثبات ومن اليقين ما يجعلكم لا تنخدعون به ولا تتبعونه.

❋ ❋ ❋

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي قَتْلِ الْخَوَارِجِ

٤٧٥٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، وَمَنْدَلٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي جَهْمٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»(١).

الشرح

قال الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: (بَابٌ فِي قَتْلِ الْخَوَارِجِ)؛ والخوارج: هم فرقة من فرق الضلال خرجوا علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حصل التحكيم بين أهل العراق وأهل الشام، وقالوا: لا حكم إلا لله. وانحازوا إلىٰ مكان يقال له: حروراء. وتكلموا في علي وفي غيره من الصحابة بسبب التحكيم، فأرسل إليهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عباس فناظرهم، ورجع من رجع منهم وبقي من بقي منهم(٢)، وبعد ذلك قاتلهم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنهم قد

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٨٠)، والحاكم (١/ ٢٠٣، رقم ٤٠١)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٨٩٢)، والبيهقي في الكبرىٰ رقم (١٦٦١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٤١٠).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٨٦)، والنسائي في الكبرىٰ (٨٥٢٢)، وغيرهما، وصححه =

خرجوا عليه.

وجاء أنه ﷺ قال: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(١). وقد حصل ذلك من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه قاتلهم وصار بهذا الحديث هو الأولىٰ بالحق من معاوية، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مجتهد، والمجتهد المصيب له أجران والمجتهد المخطئ له أجر واحد، وكلهم من أصحاب رسول الله ﷺ، والواجب محبَّة الجميع، وتوليهم، والدعاء لهم، وذكرهم بما يليق بهم، وحفظ الألسنة والقلوب من أن يكون فيها شيء لا يليق في حقهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

وقد جاءت الأحاديث في قتالهم، وفي الفضل في ذلك.

ثمَّ أورد أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»؛ ومعناه: أن من فارق جماعة المسلمين وخرج عليهم؛ فإنه يكون بذلك قد ضلَّ وتاه؛ و(الرِّبقة) قيل: هي ما يوضع في رقبة البعير، يربط به من أجل حفظه؛ حتىٰ لا تذهب الدابة وتضيع، وإذا انفلتت تلك الربقة التي ربطت بها؛ فإنها تنفلت من صاحبها وتضيع؛ فيكون الذي خرج من الجماعة بمثابة تلك الدابة التي كانت محاطة بسياج الجماعة، ولما خرجت صارت عرضة

=

الألباني في الإرواء (٢٤٥٩).

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٠/ ١٠٦٤)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

للضياع وللتلف.

وهذا يدلُّ علىٰ أن من خرج وقاتل؛ فإنه يستحقُّ أن يقاتل، أما من شذَّ أو خرج عن جماعة المسلمين بتكوينه جماعة أو حزبًا؛ فإنها تُعمل الاحتياطات التي تمنع من شرِّه، لكن لا يدل ذلك علىٰ الكفر.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوۡلُهُ: (**حدثنا أحمد بن يونس**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوۡلُهُ: (**حدثنا زهير**)؛ هو ابن معاوية، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوۡلُهُ: (**وأبو بكر بن عياش**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري، ومسلم في «المقدمة»، وأصحاب السنن.

قَوۡلُهُ: (**ومندل**)؛ وهو ابن علي العنزي، وهو ضعيف، أخرج له أبو داود وابن ماجه.

قَوۡلُهُ: (**عن مطرف**)؛ هو ابن طريف، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوۡلُهُ: (**عن أبي جهم**)؛ وهو سليمان بن الجهم، ثقة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه.

قَوۡلُهُ: (**عن خالد بن وهبان**)؛ وهو مجهول، أخرج له أبو داود.

قَوۡلُهُ: (**عن أبي ذر**)؛ هو جندب بن جنادة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ درجة الحديث:

والحديث في إسناده رجل مجهول، ولكن له شواهد تدل على ما دل عليه من التحذير من الخروج عن الجماعة(١).

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٥٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي الْجَهْمِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ وَأَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا الْفَيْءِ؟»، قُلْتُ: إِذَنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضَعُ سَيْفِي عَلَى عَاتِقِي ثُمَّ أَضْرِبُ بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ -أَوْ: أَلْحَقَكَ-. قَالَ: «أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؛ تَصْبِرُ حَتَّى تَلْقَانِي»(٢).

الشرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ وَأَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا الْفَيْءِ؟**»؛ يعني: ما حالكم

(١) انظر: ظلال الجنَّة للألباني (رقم ٨٩٢).

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٥/ ١٧٩)، والبزار في البحر الزخار (٩/ ٤٤٥، رقم ٤٠٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (١١٠٤)، وضعفه الألباني في سنن أبي داود، وفي ظلال الجنة.

معهم؟ وما موقفكم منهم؟ وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في الصبر عند الأثرة، وأن الإنسان لا يُقدِم علىٰ شيء فيه مضرَّة من أجل حظٍّ فاته من حظوظ الدنيا، أو أنه استُؤْثر عليه بشيء من أمور الدنيا، فالرسول ﷺ أوصىٰ الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأن يصبروا[1]، وجاء عنه ﷺ أنه أمر بالسمع والطاعة[2]، فكان أصحابه يبايعونه علىٰ الطاعة في عسرهم ويسرهم، ومنشطهم ومكرههم، وعلىٰ أثرة عليهم[3]؛ أي: أن يستأثر بالمال دونهم فلا يدعوهم ذلك إلىٰ الخروج وإحداث فتن تترتَّب عليها أضرار لا حدَّ لها؛ فإن الأمن والاطمئنان خير من فوات شيء يريد بعض الناس أن يكون له.

فالواجب السمع والطاعة، وعدم الخروج، وعدم إيجاد ما يحدث الفتن والقلاقل، ويفرِّق الجمع، ويخل بالأمن، ولو فات الإنسان شيء من حظوظ الدنيا.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٣٩/ ١٠٦١)، عن عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن عدة من الصحابة.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (٣٨/ ١٨٣٩)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء عن عدة من الصحابة.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (٤١/ ١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

و(الفيء): هو ما يؤخذ من الكفار بدون قتال، وحكمه أن يصرف في مصالح المسلمين، وإذا حصل بقتال؛ فإنه غنيمة، والغنيمة تقسم أخماسًا: أربعة أخماس للغانمين، وخمس يكون للمصارف التي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية.

قَوْلُهُ: (قُلْتُ: إِذَنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضَعُ سَيْفِي عَلَىٰ عَاتِقِي، ثُمَّ أَضْرِبُ بِهِ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ - أَوْ: أَلْحَقَكَ -)؛ معناه: أي أنه سيقاتل من حصل منه ذلك، لكن الرسول ﷺ أرشده إلىٰ ما هو خير من ذلك، وهو ما يكون فيه السلامة، وعدم مضرَّة، فقال له: «أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؛ تَصْبِرُ حَتَّىٰ تَلْقَانِي»؛ يعني: أنَّ الإنسان يصبر، ولو حصل له ما حصل من المضرَّة، أو فاته ما فاته من المصالح، حتَّىٰ ينتقل من هذه الحياة الدنيا إلىٰ الحياة الآخرة، ولا يحصل منه فتن وأمور يترتب عليها إضرار بالعامَّة، وحصول اختلال الأمن الذي لا يقر للناس معه قرار، ولا يهدأ لهم بال، ولا يطيب لهم عيش، ولا يأمنون علىٰ أنفسهم، ولا يستريحون في بيوتهم.

قَوْلُهُ: «تَصْبِرُ حَتَّىٰ تَلْقَانِي»؛ أي: حتىٰ الموت، وهذا كما جاء في الأنصار: «فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ»[١].

❁ النهي عن الخروج على الولاة ولو كانوا جائرين:

ولهذا جاءت الأحاديث الكثيرة في الصبر علىٰ جور الولاة وتحريم

(١) متفق عليه: تقدم قريبًا.

الخروج عليهم ولو كانوا جائرين؛ لِمَا يترتب علىٰ الخروج من أضرار تفوق جورهم، وذلك بما يحصل بسبب ذلك من الفتن واختلال الأمن، وأن الناس لا يأمنون علىٰ أنفسهم ولا علىٰ أموالهم ولا علىٰ أعراضهم.

۞ درجة الحديث:

والحديث ضعَّفه الألباني، ولعله من جهة خالد بن وهبان، وهذا الحديث في ذكر الخروج والإرشاد إلىٰ ما هو خير منه ليس له شواهد، بخلاف حديث مفارقة الجماعة الذي قبله؛ فله شواهد في أحاديث كثيرة تدل علىٰ تحريمه وضرره.

ومعنىٰ هذا الحديث مشتبه من حيث المقارنة بين الصبر والخروج بالتفضيل، وهذا مخالف لما جاء في النصوص الأخرىٰ الواضحة الجليَّة التي فيها أن الصبر هو المطلوب، وأنه ليس هناك مفاضلة بين شيئين أحدهما أولىٰ من الآخر، وينبغي لو صحَّ هذا الحديث أن يحمل علىٰ الواضح.

وهناك مواضع جاء فيها تفضيل شيء علىٰ شيء، وهما لا مقارنة بينهما؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤].

ومثل: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ»؛ فليس هناك مقارنة بين الصلاة والنوم، لكن لما كان النوم عند هؤلاء لذيذًا؛ فقل لهم: ما تُدْعَوْن إليه خير مما أنتم مستأنسون به من الإخلاد إلىٰ النوم والفراش، لا سيما مع شدَّة البرد.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**حدثنا زهير حدثنا مطرف بن طريف عن أبي الجهم عن خالد بن وهبان عن أبي ذر**)؛ وقد مر ذكرهم.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤٧٦٠ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، وَهِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ**»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ هِشَامٌ «**بِلِسَانِهِ؛ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَقْتُلُهُمْ؟ - قَالَ ابْنُ دَاوُدَ: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ -، قَالَ: «**لَا مَا صَلَّوْا**»[(١)].

الشَّرح

قَوْلُهُ: «**سَتكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ**»؛ يعني: ترون أمورًا

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٢/ ١٨٥٤)، والترمذي (٢٢٦٥)، وأحمد (٦/ ٢٩٥).

معروفة حسنة وأمورًا منكرة؛ فعندهم خير وشر، وأمور محمودة وأمور مذمومة، وأمور حق وأمور باطلة.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ أَنْكَرَ»؛ أي: في الأمر المنكر، وأما الأمر المحمود فليس فيه إشكال، وإنما الكلام في المنكر الذي يحصل منهم، «بِلِسَانِهِ»؛ يعني: وذلك بالطريقة المشروعة التي تترتب عليها مصلحة ولا تترتب عليها مضرة؛ فلا يكون ذلك الإنكار علىٰ المنابر، أو بالتشهير، أو الكلام في المجامع مما يترتب عليه تهييج الغوغاء وحصول الفتن؛ فإن هذا ليس من النصح ولا من الصواب، والإنسان لا يرضىٰ لنفسه بهذا الشيء، فلو حصل منه أخطاء فإنه لا يحب أنَ تعلن، وأن تذكر علىٰ المنابر أو في المجامع، ولكنه يحب أن ينصح وينكر عليه سرًّا، ولا يحب أن ينكر عليه علانية، وإذا كان الأمر كذلك فعلىٰ الإنسان أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه به؛ للحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه»[1] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل، وفيه قوله ﷺ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ»؛ أي: يعامل الناس بمثل ما يحبُّ أنْ يعاملوه به، فينكر بلسانه إما بالكلام سرًّا إذا تمكَّن، أو بالمكاتبة، أو

---

(١) رقم (٤٦/ ١٨٤٤).

بالاتصال إذا تمكن؛ كما جاء عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم كلموه في شأن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فـ(قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَىٰ عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟! وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ)[1]؛ يعني: أنه كلمه علىٰ وجه لا يترتب عليه ضرر ولا مفسدة.

والحاصل: أن المنكر يُنكر، لكن بالطريقة التي تفيد، لا بالطريقة التي تزيد الطين بلة، وتسبب الفتن والقلاقل وتهيج الغوغاء.

قَوْلُهُ: «فَقَدْ بَرِئَ»؛ يعني: أنه أدّىٰ ما عليه.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ»؛ وذلك حيث لم يتمكّن من التنبيه والإنكار باللسان، ولم يذكر الإنكار باليد في هذا الحديث.

قَوْلُهُ: «وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»؛ أي: فهذا هو الذي يأثم؛ لكونه تابع علىٰ المنكر وأقرَّه، وحصل منه الرضا بالمنكر؛ فهذا يأثم ويصير شريكًا للحاكم في الإثم.

قَوْلُهُ: (فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَقْتُلُهُمْ؟ - قَالَ ابْنُ دَاوُدَ: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟-)؛ أي أن سليمان بن داود قال: «**أفلا نقاتلهم؟**»، وقال مسدد: «**أفلا نقتلهم؟**»؛ فالقتل قد يحصل من الإنسان في الخفاء، وأما القتال فتكون فيه مناصبة وبروز

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٥١/ ٢٩٨٩).

وإظهار؛ والمعنىٰ: أنه لا يجوز أن يحصل القتل الذي هو الاغتيال في الخفاء، ولا يجوز أن تحصل المقاتلة بأن يظهر وينصب نفسه ويقاتل الوالي أو الإمام؛ فإن كل ذلك لا يجوز؛ لأن الرسول ﷺ: قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا»؛ أي: إذا كانوا يصلون فلا يجوز الخروج عليهم، ولا يجوز قتلهم ولا مقاتلتهم.

۞ الاستدلال بهذا الحديث على كفر تارك الصلاة:

وهذا من أوضح الأدلة التي يستدلُّ بها علىٰ كفر تارك الصلاة تهاونًا وكسلًا؛ لأن الرسول ﷺ قال في الحديث الآخر: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١)، وهنا قَالَ: «**لَا مَا صَلَّوْا**»؛ فدل علىٰ أن ترك الصلاة من الكفر الواضح الذي عند الناس فيه من الله برهان؛ لأنه جعل ذلك في مقابل قوله: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا**»، فذكر هنا مثالًا للكفر البواح الذي فيه من الله برهان، وهو كونهم لا يصلون، فإذا كانوا يصلون فإنه لا يخرج عليهم، وإذا كانوا لا يصلُّون فإنه يجوز الخروج عليهم.

۞ شرط الخروج على الحاكم إذا وجد منه الكفر:

ولكن إذا وجد الكفر فلا يجوز الإقدام علىٰ الخروج إلا إذا عرف بأنه

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (٤٢/١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**».

ستترتب عليه مصلحة، ولا تحصل مفسدة أكبر وأعظم من تلك المفسدة التي يراد التخلُّص منها؛ لأنه قد يترتَّب علىٰ ذلك إزالة الخارجين، ويترتب علىٰ ذلك فتن وأمور لا تُحمد؛ فلا تكون هناك فائدة ولا مصلحة(١).

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)؛ هو ابن مسرهد البصري، ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

---

(١) قال العلَّامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأىٰ المسلمون كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا علىٰ هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شرًّا أكثر فليس لهم الخروج؛ رعاية للمصالح العامَّة.

والقاعدة الشرعية المجمع عليها: (أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه). أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفرًا بواحًا عندها قدرة تزيله بها، وتضع إمامًا صالحًا طيبًا من دون أن يترتب علىٰ هذا فساد كبير علىٰ المسلمين، وشر أعظم من شر هذا السلطان؛ فلا بأس، أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير، واختلال الأمن، وظلم الناس، واغتيال من لا يستحق الاغتيال... إلىٰ غير هذا من الفساد العظيم؛ فهذا لا يجوز، بل يجب الصبر، والسمع والطاعة في المعروف، ومناصحة ولاة الأمور، والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير.

هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يُسلك؛ لأنَّ في ذلك مصالح للمسلمين عامَّة، ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر» فتاوىٰ ابن باز (٨/ ٢٠٣، ٢٠٤).

قَوْلُهُ: (وسليمان بن داود)؛ هو أبو الربيع الزهراني، وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا حماد بن زيد)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن معلىٰ بن زياد)؛ وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (وهشام بن حسان)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن الحسن)؛ هو ابن أبي الحسن البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن ضبة بن محصن)؛ وهو صدوق، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي.

قَوْلُهُ: (عن أم سلمة)؛ هند بنت أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، وهي أم المؤمنين، وحديثها أخرجه أصحاب الكتب الستة.

۞ ۞ ۞

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٦١- حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْعَنَزِيِّ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَاهُ؛ قَالَ: «فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ»[1].

---

(١) صحيح: انظر السابق من السنن.

قَالَ قَتَادَةُ: «يَعْنِي مَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ»(١).

الشَّرح

وهذا - كما هو معلوم - عند من لا يتمكَّن من الإنكار باللسان، وإلا فإنه إذا حصل الإنكار باللسان على الوجه المشروع، والذي لا تترتب عليه مضرة؛ فإن هذا هو المطلوب، كما في قوله ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»(٢)، فإنه إذا تمكن من الإنكار باللسان لم يكفِ الإنكار بالقلب.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا ابن بشار**)؛ هو محمد بن بشار، الملقب بندارًا، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو شيخ لأصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا معاذ بن هشام**)؛ معاذ بن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، وهو صدوق رُبَّما وهم، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثني أبي**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن قتادة**)؛ هو ابن دعامة السدوسي البصري، ثقة، أخرج له

---

(١) **قول قتادة**: أخرجه مسلم (٦٣/ ١٨٥٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٨/ ٤٩)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (حدثنا الحسن عن ضبة بن محصن العنزي عن أم سلمة). وقد مرَّ ذكر الثلاثة.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٦٢- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ عَرْفَجَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ، وَهَنَاتٌ، وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»[1].

الشرح

أورد أبو داود حديث عرفجة صاحب رسول الله ﷺ: أنَّ الرسول ﷺ قال: «سَتَكُونُ فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ، وَهَنَاتٌ، وَهَنَاتٌ»؛ أي: أمور منكرة وفتن، «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٦١)، وابن حبان (١٠/ ٢٥٥، رقم ٤٤٠٦)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٤٣، رقم ٣٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٦٢٢).

كَانَ»؛ يعني: أن الخارج على الأئمة يُدْفع ولو قضي عليه؛ هذا هو الطريق المشروع، لأنه لو ترك لأخلَّ بالأمن ولأضر بالمسلمين، فإذا كان لا يندفع إلا بالمقاتلة فإنه يقاتل، وإذا كان يندفع بغير ذلك فإنه يفعل معه الشيء الذي يكفُّ شره وأذاه.

❁ حرص الإسلام على جمع الكلمة، ووحدة الصفِّ:

وهذا يدلنا على حرص الإسلام على جمع الكلمة، ووحدة الصف، وعدم الفوضى، وعلى أن الأمن فيه مصلحة عظيمة والناس بحاجة إليه، وأن كل من يسعى للإخلال به؛ فإنه يوقع به العقاب الذي يستحقُّه ولو كان ذلك بالقتل أو القتال.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا يحيى)؛ هو ابن سعيد القطان البصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن شعبة)؛ هو ابن الحجاج الواسطي ثم البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن زياد بن علاقة)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن عرفجة)؛ عرفجة بن شريح، وهو صحابي، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي.

❁ ❁ ❁

الأسئلة

السؤال: هل يقال: قوله: «أولا أدلك على خير من ذلك؟»؛ فيه إرشاد إلى ما هو أفضل مع جواز الخروج؟

الجواب: لا يدل علىٰ ذلك؛ لأن النصوص واضحة في النهي عن الخروج، وهذا أخذ بالمشتبهات، والواجب هو الأخذ بالأمور الواضحة الجليَّة التي فيها تحريم الخروج علىٰ الولاة ولو كانوا جائرين، أو استأثروا بالمال، ولكن هذا فيه الإرشاد إلىٰ ما فيه السلامة وإلىٰ ما هو خير للإسلام والمسلمين؛ وهو الصبر وعدم الخروج.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يصح تفسير: «ما صلوا» بإبقائهم على شعيرة الصلاة بين المسلمين وإقامة المساجد؛ أي: ما لم يمنعوا الناس من الصلاة؟

الجواب: ليس هذا معناه؛ لأن كلمة «صلوا» ترجع إلىٰ فعلهم؛ أي: ما كانوا من المصلِّين، وليس معنىٰ ذلك أنهم تركوا الناس ولم يمنعوهم وإن كانوا في أنفسهم لا يصلون. وفي رواية أخرىٰ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»[1]، ومعلوم أن الأمير إذا حضر فهو الذي يصلي بالناس، ويكون من شأنه أن يكون هو

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٥/ ١٨٥٥)، عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الإمام، وقد كان الأمراء والولاة هم الذين يصلون بالرعيَّة؛ كما كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة؛ هم الذين يتولَّون إمامة الصلاة.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل لكل أحد أن ينكر على ولي الأمر؟

الجواب: نعم؛ إذا تمكَّن بالطريقة المشروعة له، ولكن من الواضح الجلي أنه ليس كل واحد يتمكن من ذلك، ولكن الإنسان إذا أمكنه أن يصل إلىٰ وليِّ الأمر وينصحه بالطريقة المشروعة، أو يكتب له، أو يتَّصل به أو بمن يوصل إليه النصح، سواء عن طريق الحضور أو المكاتبة؛ فله ذلك.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل الخوارج كفار؟ وما الفرق بين البغاة والخوارج؟

الجواب: جاء عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه لما سئل عن الخوارج أكفار هم؟ قال: (مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا)(١).

والفرق بين البغاة والخوارج: أنَّ البغاة قد يكون هدفهم الحصول علىٰ السلطة فيبغون علىٰ الإمام ويخرجون عليه من أجلها، وأما الخوارج فعندهم هذا المعنىٰ الموجود عند البغاة، وعندهم أيضًا معتقدات أخرىٰ فاسدة؛ كالتكفير بالكبيرة والتخليد لصاحبها في النار، وأن شأنه شأن الكفار الذين يبقون فيها أبد الآباد.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٨٦٥٦)، وابن أبي شيبة (٣٧٨٤٨).

السؤال: هل للخوارج في عصرنا وجود؟

الجواب: نعم؛ الخوارج موجودون، ولكل قوم وارث، فكل فرق الضلال المختلفة موجود لها فروع ووُرَّاث، فالحق له وُرَّاث، والباطل له وُرَّاث.

❁ ❁ ❁

السؤال: ذكر بعض أهل العلم أنه لا يستحق اسم الإمام أو الحاكم أو ولي الأمر؛ إلا من كان محكمًا للشرع، وأما الحاكم بالقوانين الوضعيَّة فلا يسمى حاكمًا. فهل هذا التقسيم ينافي قوله في الحديث: «كيف أنتم وأئمة من بعدي»[1]، فهناك من يخرج على الحكام بحجة أنهم لا يحكمون الشريعة، ويقول: يجوز الخروج عليهم ولا تنطبق فيهم هذه الأحاديث؟

الجواب: أحاديث الرسول ﷺ واضحة بأنه لا يخرج إلا في حال الكفر البواح الذي عند الناس فيه من الله برهان، فهذا هو الذي يسوغ الخروج، وأما غيره فلا خروج معه، وهذا الشرط مذكور في قوله: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[2]، فهذا هو الحد الفاصل الذي يميِّز بين جواز الخروج وحرمته.

وحتى إذا وجد الكفر البواح الذي عند الناس فيه من الله برهان؛ فلا يجوز الخروج إلا إذا عُلم بأن المصلحة ستحقق بدون أن تحصل مضرَّة

---

(١) ضعيف: تقدم تخريجه، راجع الحديث رقم (٤٧٥٩) من السنن.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩/٤٢)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أكبر؛ أي: أن الكافر لو تسلَّط علىٰ الناس؛ فقد أذن بالخروج عليه والتخلُّص منه، لكن إذا كان الخروج عليه سيؤدِّي إلىٰ مفسدة أكبر وإلىٰ ضرر أكبر علىٰ المسلمين؛ فإن تركه حتىٰ يتمكن المسلمون ويصير عندهم القدرة علىٰ التخلُّص منه بدون ضرر؛ أمر مطلوب، فالأمر يُنظر فيه إلىٰ عدم وجود ضرر أكبر من ضرر الصبر عليه، وإذا ترتَّب عليه ضرر أكبر فإنه يرتكب أخف الضررين في سبيل التخلص من أشدِّهما.

❊ ❊ ❊

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

بَابٌ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ

٤٧٦٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيسَىٰ، الْمَعْنَىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبِيدَةَ؛ أَنَّ عَلِيًّا ذَكَرَ أَهْلَ النَّهْرَوَانِ فَقَالَ: «فِيهِمْ رَجُلٌ مُودَنُ الْيَدِ، أَوْ مُخْدَجُ الْيَدِ، أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ، لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا؛ لَنَبَّأْتُكُمْ مَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ»، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْهُ؟ قَالَ: قَالَ: إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ[1].

الشَّرح

أورد أبو داود ترجمة (بَابٌ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ)؛ وترجم للباب السابق (بَابٌ فِي قَتْلِ الْخَوَارِجِ)، والقتل - كما هو معلوم - قد يحصل بدون قتال، وأما القتال فإنه علىٰ الذين برزوا وسلُّوا السيوف وأرادوا المقاتلة؛ فالقتال يكون من الجانبين، والقتل يكون من جانب واحد؛ فعندما يقتضي الأمر

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٥/ ١٠٦٦)، وابن ماجه (١٦٧)، وأحمد (١/ ١٨٣).

ذلك، ولا يندفع الشرُّ إلا بالقتل؛ فإنه يُقتل حتىٰ يسلم من شرِّه ومن ضرره.

وأورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة أحاديث في قتال الخوارج؛ أولها حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (أنه ذَكَرَ أَهْلَ النَّهْرَوَانِ فَقَالَ: «فِيهِمْ رَجُلٌ مُودَنُ الْيَدِ، أَوْ مُخْدَجُ الْيَدِ، أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ»)[١].

و(النَّهْرَوان): هو الموقعة التي حصلت بينه وبين الخوارج، والتي قتل فيها الكثير منهم[٢].

وقوله: «مُودَنُ الْيَدِ، أَوْ مُخْدَجُ الْيَدِ، أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ»؛ أي: قصيرها؛ أي: أن يده قصيرة، وفي طرفها قطعة من اللحم لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، فهذه صفة لرجل منهم.

قال: «لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا؛ لَنَبَّأْتُكُمْ مَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ»؛ أي: أنه خاف عليهم البطر، وهو أن يحصل منهم تجاوز الحد في قتالهم من أجل أن يستأصلوهم ولا يبقوا علىٰ أحد منهم؛ لأنه ورد وعد

(١) قال النووي في شرح مسلم (٧/ ١٧١، ١٧٢): «أَمَّا الْمُخْدَجُ: فَبِضَمِّ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحِ الدَّالِ؛ أَيْ: نَاقِصِ الْيَدِ.

والمُودَنُ: بِضَمِّ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الْوَاوِ وَفَتْحِ الدَّالِ، وَيُقَالُ بِالْهَمْزِ وَبِتَرْكِهِ؛ وَهُوَ نَاقِصُ الْيَدِ، وَيُقَالُ أَيْضًا: وَدِين.

والمثدون: بِفَتْحِ الْمِيمِ وَثَاءٍ مُثَلَّثَةٍ سَاكِنَةٍ؛ وَهُوَ صَغِيرُ الْيَدِ مُجْتَمِعُهَا كَثُنْدُوَةِ الثَّدْيِ، وَهِيَ بِفَتْحِ الثَّاءِ بلا همزٍ وَبِضَمِّهَا مَعَ الْهَمْزِ، وَكَانَ أَصْلُهُ مَثْنُودٌ فَقُدِّمَتِ الدَّالُ عَلَىٰ النُّونِ».

(٢) وكانت سنة ثمانٍ وثلاثين. انظر: البداية والنهاية (٧/ ٣٥١).

عظيم في قتالهم، ولكن إذا حصل منهم أن تركوا وكفوا واستسلموا؛ فإنه يُمَسُك عنهم، فلعلهم أن يرجعوا.

(قَالَ)؛ أي عبيدة السلماني (**قُلْتُ: أَنتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْهُ؟ قَالَ: قَالَ: إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**)؛ أي: أراد أن يتحقَّق من عليٍّ أنه سمع هذا من رسول الله ﷺ، فأقسم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بربِّ الكعبة على أنه سمعه.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن عبيد**)؛ هو محمد بن عبيد بن حساب، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**ومحمد بن عيسى**)؛ هو الطباع، ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، وأبو داود والترمذي في «الشمائل»، والنسائي وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد**)؛ وهو ابن زيد، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أيوب**)؛ هو ابن أبي تميمة السختياني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن محمد**)؛ هو ابن سيرين، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن عبيدة**)؛ هو ابن عمرو السلماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أن عليًّا**)؛ أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين الهادين

المهديين، صاحب المناقب الجمَّة والفضائل الكثيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

قال المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ:

٤٧٦٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ؛ بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ، وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ، وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ. قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ، وَقَالَتْ: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا. فَقَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ»، قَالَ: فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ، قَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: «مَنْ يُطِيعُ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ؟! أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟!»، قَالَ: فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ، أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، قَالَ: فَمَنَعَهُ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا -أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا- قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ قَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[١].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٤٣/ ١٠٦٤)، وأخرجه كذلك أخرجه =

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا)؛ يعني: في ترابها، ما نُقِّيت ولا صُفِّيت، (فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ)؛ يعني: ممن أسلموا حديثًا؛ يريد أن يتألَّفهم علىٰ الإسلام، ويريد أن يثبت الإيمان في قلوبهم، وأن يقوىٰ إيمانهم؛ حتىٰ يسلم بإسلامهم الفئام الكثيرة من الناس الذين يتَّبعونهم علىٰ ما هم عليه من الحق أو الباطل، فيريد أن يحسن إسلامهم، حتىٰ يسلم أولئك الذين يتبعونهم في الشر، فيكونوا تابعين لهم في الخير، فحصل في نفوس القرشيين والأنصار من ذلك شيء، وقالوا: (يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا)، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ»؛ فبين ﷺ السبب الذي أعطاهم من أجله؛ وهو أنه يتألَّفهم حتىٰ يتبعهم الفئام الكثيرة من الناس.

❁ حرص النبي ﷺ على هداية الناس:

وهذا من حرصه ﷺ علىٰ هداية الناس، وعلىٰ خروجهم من الظلمات إلىٰ النور؛ فإنه أعطىٰ هؤلاء المتبوعين من أجل أن يحسن إسلامهم، ومن أجل أن يتبعهم أتباعهم في الخير، كما كانوا يتبعونهم من قبل في الشر.

(قَالَ: فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ

=

النسائي (٢٥٧٨)، وأحمد (٣/ ٦٨).

اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ)؛ ومن أوصاف الخوارج أنهم يتميَّزون بحلق الرءوس، فهي علامة لهم وسيما عليهم، ومعلوم أن حلق الرءوس يمكن أن يكون من غيرهم، ولا يلزم أن يكون كل من حلق رأسه خارجيًّا، ولكن هذا شأنهم وهذه طريقتهم، أنهم يلتزمون التحليق[1]، ولكن الحلق يمكن أن يحصل من غيرهم ولا يقال لفاعل ذلك: إنه خارجيٌّ؛ فقد جاء الإذن فيه؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ صَبِيًّا قَدْ حلقَ بَعْض شَعْرِهِ وَترك بَعْضهُ؛ فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: «احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أَوِ اتْرُكُوهُ كُلَّهُ»[2]؛ فيدلُّ هذا علىٰ جواز الحلق، وعلىٰ أنه سائغ.

فقَالَ: (اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ!)؛ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ يُطِيعُ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ؟!»؛ أي: إذا لم أتقه أنا فمن يطيعه؟! فإذا كان الرسول ﷺ لا يطيع الله فمن الذي يطيعه؟! فمعلوم أن الذين يطيعون الله إنما حصلت لهم هذه الفائدة من اتباعهم للرسول ﷺ، وسيرهم علىٰ منهاجه – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه –.

وقوله: «أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ»؛ بأن بعثني إليهم لأدعوهم إلىٰ الهدىٰ، وإلىٰ الخروج من الظلمات إلىٰ النور، «وَلَا تَأْمَنُونِي؟!»؛ أي: فيما

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٦٢) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسيأتي.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤١٩٥)، والنسائي (٥٠٤٨)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١١٢٣).

يكون بين يدي أقسمه علىٰ حسب المصلحة، وعلىٰ حسب الفائدة التي ترجع للإسلام والمسلمين؟!

قَوْلُهُ: (فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ، أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، قَالَ: فَمَنَعَهُ). أي: سأل خالد قتل هذا الرجل الذي قال هذا الكلام للرسول ﷺ، لكنه ﷺ منعه من ذلك. (فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا - أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا -»)؛ أي: من نسله (قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)؛ ومعناه: أن عندهم عبادة وأعمالًا صالحة، وقراءة للقرآن، ولكنه لا يجاوز تراقيهم؛ لما ابتلوا به من الانحراف عن الجادة والخروج عن المنهج القويم والصراط المستقيم، والمراد بذلك: الخوارج الذين خرجوا علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ»؛ فهذا كان شأنهم؛ فقد خرجوا علىٰ الإمام وقاتلوه؛ لأنه رأىٰ التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله. وهي كما قال علي: (كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ!)[1].

قَوْلُهُ: «لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ قَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ»؛ ومعلوم: أنَّ الله أهلك عادًا بالريح، والمقصود من ذلك أن يستأصلهم ويقضي عليهم إذا أدركهم، وقد أخبر ﷺ بأنه تقتلهم أولىٰ الطائفتين بالحقِّ[2]، وقد قتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٧/ ١٠٦٦)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

۞ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن كثير**)؛ هو العبدي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا سفيان**)؛ هو ابن سعيد بن مسروق الثوري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبيه**)؛ سعيد بن مسروق الثوري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن ابن أبي نعم**)؛ وهو عبد الرحمن بن أبي نعم، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سعيد الخدري**)؛ هو سعد بن مالك بن سنان الخدري، صاحب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

۞ ۞ ۞

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٦٥- حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، وَمُبَشِّرٌ - يَعْنِي: ابْنَ إِسْمَاعِيلَ الْحَلَبِيَّ -، عَنْ أَبِي عَمْرٍو، قَالَ - يَعْنِي: الْوَلِيدَ: - حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ؛ قَوْمٌ**

يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ يَرْتَدَّ عَلَىٰ فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَىٰ بِاللهِ مِنْهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «التَّحْلِيقُ»[1].

الشَّرح

أورد أبو داود حديث أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو يتعلَّق بالخوارج وقتالهم.

قال ﷺ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ»؛ وهذا قد حصل بين أهل العراق وأهل الشام؛ فأهل العراق مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خليفة المسلمين، وأهل الشام مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أراد أن يقتصَّ من قتلة عثمان وطلب أن يقضىٰ عليهم أولًا، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأىٰ أن المصلحة أن يتمَّ اتفاق الكلمة أولًا، ثم بعد ذلك يتصرَّف بالتصرف الذي ينبغي، وكل وقف عند رأيه، وحصل ما حصل، فوقعت الفرقة واستمرَّ الأمر علىٰ ذلك حتىٰ

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٢)، وأبو يعلىٰ (٥/ ٤٢٦، رقم ٣١١٧)، والحاكم (٢/ ١٦١، رقم ٢٦٥٠)، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٦٦٨)، وفي السنن.

حصل الاتفاق بجمع الكلمة علىٰ يد الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي أخبر عنه الرسول ﷺ قال: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١)، فهم قد خرجوا علىٰ حين فُرقة، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(٢).

قَوْلُهُ: «قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ»؛ فالقول مثل القراءة، ولكن يسيئون الفعل، بكونهم خرجوا علىٰ الإمام ونابذوا المسلمين وقاتلوهم، «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ يَرْتَدَّ عَلَىٰ فُوقِهِ»؛ (الفوق) بضم الفاء: موضع الوتر من السهم، وهذا تعليق بالمحال؛ فإن ارتداد السهم علىٰ الفوق محال، ورجوعهم إلىٰ الدين أيضًا محال، وهذه إشارة إلىٰ شدَّة تمسُّكهم بالباطل وإصرارهم عليه، وتمكُّنه من نفوسهم؛ حيث يعتقدون أنهم علىٰ حقٍّ، وهم علىٰ باطل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

قال ﷺ: «هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»؛ فوصفهم بهذا الوصف، ومعلوم أن الكفار الذين يقاتلون المسلمين قد وصفهم الله بقوله: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]. ولا شك أنهم شر

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، عن أبي بكرة الثقفي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٠/ ١٠٦٤)، عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

الخليقة باتفاق المسلمين، وأنه لا نصيب لهم في الإسلام؛ أما الخوارج فأمرهم مشكوك فيه، ولكن هذا كله يدل علىٰ خبثهم وعلىٰ منتهىٰ قبحهم، وعلىٰ حصول الضرر الكبير منهم للمسلمين؛ وذلك أنهم يشغلون الناس عن قتال الكفار وعن الجهاد في سبيل الله بجهادهم، مثلما حصل بالنسبة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين شغله قتال مانعي الزكاة عن الفتوحات حتىٰ قضىٰ عليهم، ثم اتَّجه إلىٰ تجهيز الجيوش للفرس وللروم.

«**طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ**»؛ هذا يدل علىٰ فضل قتالهم وعلىٰ فضل من قتلوه.

ثم قال ﷺ: «**يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ**»، فكانوا يقولون: لا حكم إلا لله.

«**وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ**»؛ وهذا يوضِّح قوله في أول الحديث: «**يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ**»؛ لأنه قال هنا: «**يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ**»، وهذا من أحسن القول، ولكن من حيث التطبيق والتنفيذ «**لَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ**»؛ فهم «**يُسِيئُونَ الْفِعْلَ**»؛ وذلك بالخروج علىٰ الأئمة، وافتتانهم بآرائهم الفاسدة، وأفكارهم المنحرفة الشاذَّة.

قال: «**مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَىٰ بِاللهِ مِنْهُمْ**»؛ وهذا من جنس الأمثلة التي مرَّ ذكرها قريبًا؛ أي: أنهم يظنُّون أنهم علىٰ حقٍّ، ولكن من قاتلهم فهو أولىٰ بالله منهم.

(**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «التَّحْلِيقُ»**)؛ يعني: علامتهم حلق الرءوس، واستئصال الشعر؛ أي: التزام ذلك، وكونهم يعرفون بذلك.

لكن - كما مرَّ - ليس معناه أن من حلق رأسه فهو منهم، بل قد يكون من غيرهم، وذلك سائغ شرعًا.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا نصر بن عاصم الأنطاكي**)؛ وهو ليِّن الحديث، أخرج له أبو داود.

قَوْلُهُ: (**حدثنا الوليد**)؛ هو ابن مسلم، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**ومبشر - يعني ابن إسماعيل -**)؛ وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي عمرو**)؛ هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثني قتادة**)؛ هو ابن دعامة السدوسي، مر ذكره.

قَوْلُهُ: (**عن أبي سعيد الخدري**)؛ مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (**وأنس بن مالك**)؛ خادم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٦٦ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ

قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ نَحْوَهُ، قَالَ: «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ، وَالتَّسْبِيدُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ»(١).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «التَّسْبِيدُ: اسْتِئْصَالُ الشَّعْرِ».

الشَّرْح

هذا الحديث يتعلَّق بالحديث الذي قبله، وقد أحال في هذه الرواية عليه فقال: (نَحْوَهُ)؛ أي: نحو متن الحديث المتقدِّم، وأشار إلىٰ أنه فيه اختلاف عمَّا تقدم، وذلك في قوله: «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ، وَالتَّسْبِيدُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ»؛ أي: اقتلوهم، والإنامة المقصود بها هنا: الموت؛ لأنَّ الإنسان إذا قتل فإنه يقع علىٰ الأرض كالنائم، وذلك ليسلم الناس من شرِّهم، ومعلوم أن النوم هو أخو الموت؛ كما جاء في الحديث: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ»(٢)، وفي القرآن: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]؛ يعني: والتي لم تمت يتوفَّاها في منامها.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٧٥)، وأحمد (٣/ ١٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ٣٩٤)، وفي السنن.

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٨٢، رقم ٩١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٨٧).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: (التَّسْبِيدُ: اسْتِئْصَالُ الشَّعْرِ)؛ أي: تفسير «التسبيد» الذي عُطف على «التحليق»؛ بأنه الاستئصال.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا الحسن بن علي**)؛ هو الحلواني، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا النسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا عبد الرزاق**)؛ هو ابن همام الصنعاني اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا معمر**)؛ هو ابن راشد الأزدي البصري ثم اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن قتادة**)؛ هو ابن دعامة السدوسي البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أنس**)؛ هو ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٦٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ

رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا؛ فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

الشرح

أورد أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنه قال: (إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا؛ فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ)؛ يعني: أنه يتحرَّز في حديثه عن الرسول ﷺ، ويحتاط ويتوقَّىٰ أن يزل بذكر شيء لم يَقُلْهُ رسول الله ﷺ، بل يحافظ علىٰ نصِّه ويأتي به كما تلقَّاه عن رسول الله ﷺ.

قال: (وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خَدْعَةٌ)؛ و«خدعة» فيها

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٥٤/١٠٦٦)، وكذا النسائي (٤١٠٢)، وأحمد (١/ ٨١).

عدة لغات: بفتح الخاء وضمها وإسكان الدال، وبضمِّ الخاء وفتح الدال[(١)].

✽ معنى الخدعة في الحرب:

والمعنىٰ: أنَّ الإنسان قد يوري في أمور تحتاج الحرب فيها إلىٰ تورية، بأن يظهر للأعداء أشياء غير مطابقة للواقع من ناحية ما عند جيشه، سواء كانت حسيَّة أو معنويَّة؛ مثل إظهار القوَّة وإن كان هناك شيء من الضعف، فمعنىٰ كون «الحرب خدعة»: أن الإنسان يأتي بكلام أو بفعل يفهم منه الأعداء خلاف ما يحبُّونه وما يريدونه من ضعف المسلمين ومن عدم قوتهم، والتورية يكون الإنسان فيها صادقًا؛ لأنه يقول كلامًا يريد به شيئًا وغيره يفهم غير ذلك.

وهذا مثلما فعل الرسول ﷺ في عمرة القضاء[(٢)]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ، وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّىٰ يَثْرِبَ، قَالَ

---

(١) قال ابن الأثير في النِّهاية (٢/ ١٤): «"الحرْب خَدْعَةٌ"؛ يُرْوَىٰ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَضَمِّهَا مَعَ سُكُونِ الدَّالِ، وَبِضَمِّهَا مَعَ فَتْحِ الدَّالِ؛ فَالأَوَّلُ مَعْنَاهُ: أَنَّ الحرْبَ يَنْقضي أمرُها بِخَدْعَةٍ واحدَة، مِنَ الْخِدَاعِ: أَيْ أَنَّ الْمُقَاتِلَ إِذَا خُدِعَ مرَّة وَاحِدَةً لَمْ تَكُنْ لَهَا إِقَالَة، وَهِيَ أَفْصَحُ الرِّوَايَاتِ وَأَصَحُّهَا.

وَمَعْنَىٰ الثَّانِي: هُوَ الاسْمُ مِنَ الْخِدَاعِ.

وَمَعْنَىٰ الثَّالِثِ: أَنَّ الْحَرْبَ تَخْدَعُ الرِّجَالَ وتُمَنّيهم، وَلَا تَفي لَهُمْ، كَمَا يُقَالُ: فلانٌ رَجُلٌ لُعَبة وضُحَكَة: أي كَثِيرُ اللَّعِبِ والضَّحك».

(٢) وكانت سنة سبع من الهجرة، انظر للمزيد عنها: البداية والنهاية (٤/ ٢٥٨ - ٢٦٤)، وفتح الباري (٧/ ٤٩٩، ٥٠٠).

الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمُ الْحُمَّىٰ، وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً)؛ يعني: أنهم هزال ضعاف، (فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِي الْحِجْرَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ)؛ أي: بين الركن والحجر الأسود (لِيَرَىٰ الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّىٰ قَدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا، إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ)[(١)]؛ أي: ليحصل لهم شيء من الراحة بعد هذا الرمل. والمقصود من ذلك: إظهار قوتهم لأعدائهم الذين قالوا تلك المقالة، حتىٰ عاد بعضهم يحدث بعضًا بتكذيب تلك المقالة؛ وذلك بعدما رأوهم يرملون.

وكان هذا أول مشروعية الرمل، ثم إنه بعد ذلك شرع للناس[(٢)]، وهو تذكير للمسلمين أنهم كان فيهم ضعف، ثم إن الله تعالىٰ أعزَّ الإسلام وأهله؛ ولهذا رمل الرسول ﷺ لما حجَّ حجَّة الوداع من الحَجَر إلىٰ الحَجَر، في الأشواط الثلاثة.

والتورية أيضًا تجوز في غير الحرب، وذلك في الأمور التي يُحْتاجُ فيها

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٦٠٢)، ومسلم (٢٤٠/ ١٢٦٦)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٦٠٤)، ومسلم (٢٣٠/ ١٢٦١)، وانظر: صحيح البخاري (١٦٠٥)، وفتح الباري (٣/ ٤٧٢)، والشرح الممتع لابن عثيمين (٧/ ٢٤٢-٢٤٤).

إلىٰ التورية[1].

---

(١) سؤال وجه للجنة الدائمة: بين لنا متى تكون التورية؟

ج١٠: الكذب حرام، وهو كبيرة من الكبائر، فيجب علىٰ المسلم الاحتراز من الوقوع فيه، فقد قال النبي ﷺ: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذابًا» رواه مسلم.

وأجاز الشرع الكذب في حالات، منها: الإصلاح بين الناس، والحرب، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها؛ لما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ: قال: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فيقول خيرًا، أو ينمي خيرًا»، قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إنه كذب إلا في ثلاث: «الإصلاح بين الناس، والحرب، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها» رواه مسلم.

وإذا تعين عليه الكلام في نفي شيء ما لحرج موقف أو خوف سوء عاقبة ونحو ذلك؛ فيمكنه أن يلجأ إلىٰ التورية ومعاريض الكلام، حتىٰ لا يقع في الكذب.

والتورية معناها: أن يتكلم المتكلم بكلام له معنًىٰ ظاهر ومعنًىٰ آخر خفي، ومقصود المتكلم هو المعنىٰ الخفي، قال البخاري في صحيحه: (باب المعاريض مندوحة عن الكذب) وقال عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن في معاريض الكلام لمندوحة عن الكذب)، رواه البخاري في الأدب المفرد، وقال ابن حجر في فتح الباري: رجاله ثقات.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

وهذا التمهيد من عليٍّ في بيان حرصه علىٰ رواية ما سمعه من رسول الله ﷺ، وأدائه كما سمعه، وأن سقوطه من السماء أهون عليه من أن يكذب علىٰ رسول الله ﷺ، بل هو يتحرَّز ويتحرىٰ ويحتاط، ويأتي بالكلام الذي يرويه عن رسول الله ﷺ علىٰ أحسن وجه، وعلىٰ أتمِّ وجه؛ احترامًا لكلام رسول الله ﷺ؛ وتمهيدًا لذكر ما سمعه من رَسُولِ اللهِ ﷺ من الكلام في الخوارج؛ فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(**سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ»**)؛ أي: حديثو السنِّ؛ يعني: شباب، ومعنىٰ هذا الوصف: أنهم ما تقدمت بهم السن حتىٰ يجربوا الأمور ويعرفونها كما جرَّبها وعرفها من تقدَّم به العمر؛ فإن الشباب يحصل في بعضهم شيء من التَّسرُّع أو الإقدام علىٰ أشياء غير محمودة العواقب؛ وذلك لأنه ما حصل عندهم الثبات في الرأي، (**سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ**)؛ الأحلام: هي العقول؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور: ٣٢]؛ أي: في عقولهم شيء من السَّفه.

ثم قال ﷺ: «**يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ**»؛ أي: كلامهم حسن وجميل، ولهم اشتغال بالقرآن، وعناية واهتمام به، ولكن حصل لهم الانحراف عن فهم القرآن؛ فصاروا بلاءً علىٰ أهل الإسلام وحربًا لأهل الإسلام، وهذا يوضح معنىٰ الحديث الذي تقدم عند أبي داود: «**يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ**»(١).

(١) صحيح: راجع حديث رقم (٤٧٦٥).

ولهذا حذَّر الرسول ﷺ منهم وبين فضل قتالهم، وأن قتلهم فيه أجر عظيم وثواب جزيل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. و«خَيْرِ الْبَرِيَّةِ» هو الرسول ﷺ، فهم يقولون من قوله، وكذلك يقرءون القرآن، ويشتغلون بقراءته.

وقوله: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ»؛ قد مر معناه[1].

قَوْلُهُ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»؛ وهذا فيه بيان فضيلة قتلهم، وأن من قتلهم يؤجر علىٰ ذلك؛ لأنه ساعد في القضاء علىٰ فتنة قامت علىٰ الإسلام والمسلمين. والخطاب للصحابة ومن يأتي بعدهم.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن كثير**)؛ هو العبدي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرنا سفيان**)؛ هو ابن سعيد الثوري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**حدثنا الأعمش**)؛ هو سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

---

(١) راجع شرح الحديث رقم (٤٧٦٤).

قَوْلُهُ: (عن خيثمة)؛ خيثمة بن عبد الرحمن، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن سويد بن غفلة)؛ وهو مخضرم ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

❁ فائدة: من ترجمة سويد بن غَفَلَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وسويد بن غَفَلة كان موجودًا في زمن النبي ﷺ، وقيل: إنه قدم إلى المدينة في اليوم الذي دفن فيه رسول الله ﷺ، وكان مسلمًا لكن ما حصل له أن يظفر بصحبة النبيعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فجاء في هذا الوقت المتأخر، فهو الذي يصدق عليه أن يقال: كادَ أن يكون صحابيًّا؛ فليس بينه وبين الصحبة إلا شيء يسير؛ لأنه قدم المدينة والناس ينفضون أيديهم من دفن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان معمَّرًا، وقد ذُكر في ترجمته أنه كان يصلي بالناس التراويح في رمضان وعمره مائة وعشرون سنة[1]. وذكر مثل هذا في ترجمة المعرور بن سويد[2]؛ قالوا: إنه بلغ مائة وعشرين سنة، وكان أسود شعر الرأس واللحية، وهما - أي: سويد بن غفلة والمعرور بن سويد - من

(١) ومات سنة إحدى وثمانين، عاش مائة وثلاثين عامًا. انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ١٣٢)، والاستيعاب (٣/ ٦٨٠)، والسير (٥/ ٢٩)، والإصابة (٣/ ٢٢١).

(٢) مات سنة بضع وثمانين. انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ١٧٢)، وتاريخ البخاري الكبير (٨/ ٣٩)، والسير (٥/ ٩٦).

المخضرمين؛ الذين أدركوا الجاهليَّة والإسلام، ولم يلقوا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقريب مما حصل لسويد بن غفلة ما ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في شرح تعريف الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام؛ قال: «وهل يدخل من رآه ميِّتًا قبل أن يُدفن؛ كما وقع ذلك لأبي ذؤيب الهذلي الشَّاعر(١)؟ إن صحَّ - يعني هذا الخبر - محل نظر، والراجح عدم الدخول»(٢)؛ فالأوجه أنه لا يعتبر صحابيًّا؛ لأنه إنَّما يعتبر صحابيًّا من رآه في حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قَوْلُهُ: (قال علي)؛ هو ابن أبي طالب، أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو

(١) هو خويلد بن خَالِد بن محرِّث الهذليّ أَبُو ذُؤَيْب، كان أشعر هذيل، شهد السقيفة ومبايعة أبي بكر، والصلاة على النبي ﷺ ودفنه، من شعره الذي تقدم به شعراء هزيل؛ قصيدته العينية التي يرثي فيها أبناءه الخمسة ومطلعها:

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تتوجعُ ... والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَن يجزَعُ

ومنه قوله:

وعيّرها الواشون أني أحِبُّها ... وتلك شَكَاةٌ ظَاهر عنك عارُهَا

فإن أعتذر منها فإني مكذَّبٌ ... وإن تعتذر يُردَدْ عليّ اعتذارُهَا

توفي في غزوة أفريقية مع ابن الزبير في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [انظر ترجمته في: الشعر والشعراء (٢/ ٢٧٦)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٧٤)، ومعجم الأدباء (٣/ ١٢٧٥)، وحسن المحاضرة للسيوطي (١/ ٢٤٥)].

(٢) الإصابة (١/ ١٩٥).

رابع الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمَّة والفضائل الكثيرة.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٦٨- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَتْ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ شَيْئًا، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ؛ لَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، وَآيَةُ ذَلِكَ: أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَتْ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»، أَفَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ، وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؟! وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ

النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَىٰ اسْمِ اللهِ.

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا مَنْزِلًا، حَتَّىٰ مَرَّ بِنَا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ، قَالَ: فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَىٰ الْخَوَارِجِ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ(١)، فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ وَسُلُّوا السُّيُوفَ مِنْ جُفُونِهَا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ. قَالَ: فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَاسْتَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ. قَالَ: وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ. قَالَ: وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ. فَلَمْ يَجِدُوا، قَالَ: فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ، حَتَّىٰ أَتَىٰ نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ. فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. حَتَّىٰ اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ(٢).

---

(١) من أمراء الخوارج، أدرك الجاهلية والإسلام، كان عجبًا في كثرة العبادة، كان في جيش علي، ثم لمَّا وقع التحكيم أنكرته الخوارج، وقاتلهم عليٌّ في النهروان، وأمَّروا عليهم الراسبي، وكان ممَّن قُتل فيها. [انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٠)، والإصابة (٥/ ٧٨)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٤٣)].

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٦/ ١٠٦٦)، وأحمد (١/ ٩١).

الشَّرح

❁ اجتهاد الخوارج في العبادة وانحرافهم عن الجادة:

أورد أبو داود حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يتعلق بقتال الخوارج أيضًا، وفيه: (**عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَتْ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ شَيْئًا»**)؛ وهذا من جنس ما جاء في الحديث الآخر: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ**»[1]؛ أي: أن هذا الذي يعمله المسلمون الذين هم على السنَّة، وعلى الطريقة الصحيحة من العبادة؛ قليل إذا قورن بما عند الخوارج، فهم مجتهدون في العبادة، ولكنهم على ضلال ومنحرفون عن الجادة، بعقائدهم الفاسدة، وبشبههم الباطلة، وفهمهم للقرآن على غير حقيقته، وخروجهم على جماعة المسلمين وقتالهم، وكونهم يحسنون القول ويسيئون الفعل.

قَوْلُهُ ﷺ: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ»؛ لأنهم يفهمونه فهومًا خاطئة؛ فهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٤٨/ ١٠٦٤)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، فهم يظنون أنهم علىٰ شيء، وهم بخلاف ما ظنُّوا؛ يظنون أنهم علىٰ حق وهم علىٰ باطل؛ للشُّبه التي عرضت لهم.

قَوْلُهُ: «لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ»؛ تقدم في الأحاديث السابقة: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»(١)، وكذلك: «لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ»(٢)؛ والصلاة من الإيمان، والمراد: أعمالهم حسنة، ولكن الاعتقاد فاسد؛ وهذا يوضح معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الغاشية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية: ٢- ٤]؛ لأنهم أهل عبادة، وأهل نَصَب وتعب، ولكنهم - والعياذ بالله - ليسوا علىٰ هدًىٰ، وإنَّما علىٰ ضلال.

ولذلك خطب عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه بالناس، وبين لهم أحوال هؤلاء، وقال: (وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ)؛ أي: أنه يرجو أن يكون هؤلاء هم الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ، وأن يكون هو الذي وفِّق لقتالهم؛ وقد جاء عن النبي ﷺ ما يدل علىٰ أنه هو الذي وفق لقتالهم، حيث قال: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(٣)، وقد قاتلهم علي - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه - وقتلهم،

---

(١) انظر رقم (٤٧٦٤)، ورقم (٤٧٦٥).

(٢) رقم (٤٧٦٧).

(٣) صحيح: تقدم تخريجه.

وهذا الحديث فيه بيان قتلهم وانتصاره عليهم، فقد قتل الكثيرين منهم حتىٰ صاروا أكوامًا بعضهم فوق بعض، ولم يُصَب من المسلمين إلا رجلان.

قَوْلُهُ: «لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ»؛ أي الذين يقاتلونهم، «مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ»؛ أي من الأجر «لَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ»؛ أي: لنكلوا عن الأعمال الأخرىٰ، وصار اشتغالهم بهم، وفي بعض النسخ: «لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ»[1]؛ أي: لاتكلوا علىٰ هذا العمل، وهو قتال الخوارج؛ لأنهم حصَّلوا الأجر العظيم بذلك فيتكلون عليه، ويخلون بغير ذلك من الأعمال.

❁ التحذير من الاتكال وترك العمل:

وهذا مثلما جاء في بعض الأحاديث من التحذير من إخبار الناس ببعض الأمور التي قد تجعلهم يتَّكلون ويتركون العمل؛ ومن ذلك ما جاء في حديث معاذ الذي ذكر فيه حق الله علىٰ العباد، وحق العباد علىٰ الله، قال: أفلا أبشر الناس؟ قال: «لَا تُبَشِّرْهُمْ؛ فَيَتَّكِلُوا»[2]. وهذا فيه بيان أن علىٰ الإنسان ألا

---

(١) وهي عند مسلم (١٥٦/ ١٠٦٦)، وأحمد (١/ ٩١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٤٩/ ٣٠)، عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ. فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ؛ فَيَتَّكِلُوا».

يغتر بكونه عمل شيئًا مما يتعلق بالوعد، ويغفل جانب الوعيد، وإنما عليه أن يُعمل أحاديث الوعد وأحاديث الوعيد، فلا يأخذ بجانب ويترك جانبًا، وإنما يعمل بالأدلة كلها؛ فيكون خائفًا راجيًا؛ لأن بعض الناس يتَّجه إلىٰ أحاديث الوعد - كما فعلت المرجئة - ويهملون جانب الوعيد، وبعض الناس يتَّجه إلىٰ أحاديث الوعيد - كما فعلت المعتزلة والخوارج - ويهمل جانب الوعد، والواجب هو الاعتدال والتوسُّط؛ فأهل السنة والجماعة يأخذون بأحاديث الوعد والوعيد، فيعملون بجميع النصوص.

❁ صفة الرجل الذي هو علامة على الخوارج:

قَوْلُهُ: «وَآيَةُ ذَلِكَ»؛ يعني: علامة هؤلاء الخوارج الذين يقاتلون ويقْتلون: «أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَتْ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَىٰ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ»؛ أي أن ذراعه غير موجودة، ولكن له عضد وفي رأس عضده لحمة كحلمة ثدي المرأة تدردر[1]، «عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»؛ أي: علىٰ هذه القطعة من اللحم التي تشبه حلمة الثدي.

فلما وقع قتالهم وقتلهم أمر علي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن يُبحث عن هذا الشخص الذي هو العلامة علىٰ أن هؤلاء هم الخوارج الذين عناهم الرسول ﷺ، فبحثوا عنه فلم يجدوا، فقام بنفسه وصار يبحث حتىٰ وجد كومًا من القتلىٰ

---

(١) أي: تضطرب، وتجيء وتذهب. انظر: النهاية (٢/ ١١٢)، والفتح (٦/ ٦١٩، و١٢/ ٢٩٥).

بعضهم فوق بعض، فأمر بأن يزاح بعضهم عن بعض حتىٰ وجدوه أسفلهم مما يلي الأرض؛ فكبَّر عند ذلك فرحًا وسرورًا.

۞ مشروعية التكبير عند الفرح، لا التصفيق:

وهذا يدل علىٰ مشروعية التكبير في حال الفرح لا التصفيق مثلما يفعل بعض الناس، فالتكبير هو الذي جاءت به السنَّة عن رسول الله ﷺ؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا! فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا! فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا[1]! أي قالوا: الله أكبر. فرحًا وسرورًا.

وكذلك لما أشيع أن النبي ﷺ طلق نساءه، فدخل عمر علىٰ النبي ﷺ فوجده في مَشْرُبَةٍ[2] معتزلًا نساءه، فدخل عليه وسأله: يَا رَسُولَ اللهِ، أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فقال: «لَا»، فقال عمر: اللهُ أَكْبَرُ[3]!! أي قال: الله أكبر؛ فرحًا وسرورًا بأن هذه الإشاعة التي أشيعت غير صحيحة.

ثم قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ)؛ أي: فالرسول ﷺ بلغ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٣٧٩/ ٢٢٢).

(٢) غرفة مرتفعة. انظر: النهاية (٢/ ٤٥٥)، وفتح الباري (٥/ ١١٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥١٩١)، ومواضع، ومسلم (٣٤/ ١٤٧٩)، عن ابن عباس عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ما أوحىٰ إليه من عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن ما ذكره عن الرجل المخدج، وأنه علامة الخوارج؛ ليس موجودًا في القرآن، وإنما جاء في السنة.

❁ **السنة وحي من عند الله كما أن القرآن من عند الله:**

وهذا يدلنا علىٰ أن ما يقوله الرسول ﷺ؛ إنما هو من عند الله، وأن السنَّة من عند الله، وليست من عند الرسول ﷺ، ولكنها وحي غير متعبَّد بتلاوته كالقرآن، وإلا فإن القرآن من الله، وهو كلامه، والسنة هي من الله عَزَّوَجَلَّ معنًىٰ، واللفظ هو كلام الرسول ﷺ، وهو مبلغ عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ كما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

وممَّا يوضح ذلك أيضًا: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجَنَّةُ**»، فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ: «**إِلَّا الدَّيْنُ، سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ آنِفًا**»[(١)]؛ يعني أن هذا الاستثناء جاء به جبريل وساره به، ومعنىٰ ذلك: أنه من عند الله، وليس من عنده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[(٢)].

❁ **تقديم علي قتال الخوارج على قتال معاوية وأهل الشام:**

قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَفَتَذْهَبُونَ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ

---

(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ١٣٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠١٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٤٧، رقم ٥٥٧)، عن محمد بن عبد الله بن جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند: صحيح لغيره. وقال الألباني في الإرواء (٥/ ١٩): هذا سند جيد.

(٢) تقدم بيانه، راجع ص (٦٨).

يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؟!)؛ يريد من ذلك أن هؤلاء هم الذين يقاتلون؛ لأن النبي ﷺ قال فيهم ما قال، وأيضًا: لو ذهب الناس إلىٰ الشام لقتال معاوية وتركوا هؤلاء؛ لخلفهم هؤلاء في ذراريهم وفي أهليهم ولأفسدوا، (وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ)؛ أي: الذين قال فيهم الرسول ﷺ ما قال؛ فيرجو أن يكونوا هم هؤلاء الذين هو بصدد قتالهم.

قال: (فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ)؛ وهذا من أفعالهم السيئة؛ كما تقدَّم في صفتهم في الحديث: «يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ»(١)، و(السرح): هي البهائم التي تذهب في الصباح مع الرعاة(٢)؛ يعني: أنهم يغيرون علىٰ الإبل أو الغنم التي تسرح؛ فيأخذونها.

قَوْلُهُ: (فَسِيرُوا عَلَىٰ اسْمِ اللهِ)؛ يعني: علىٰ بركة الله، مستعينين بالله ومتوكلين عليه، وهذا يدلُّ علىٰ ابتداء الأعمال بذكر الله، وأن العامل يستحضر الله عَزَّوَجَلَّ ويذكر ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَىٰ جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ؛ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ»، كما في الحديث الطويل الذي رواه مسلم عن بُرِيدة بن حُصَيْبٍ(٣).

---

(١) صحيح: راجع حديث رقم (٤٧٦٥).

(٢) أي: الماشية. انظر: النهاية (٢/ ٣٥٨)، وعون المعبود (١٣/ ٨٢)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٢٥).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣/ ١٧٣١).

❁ وصف المعركة التي وقعت بين علي والخوارج:

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: (فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا مَنْزِلًا)؛ يعني: بعدما ذكر زيد بن وهب لسلمة بن كهيل كلام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخطبته، قصَّ عليه القصة من حين خروجهم إلىٰ أن وصلوا إلىٰ الخوارج وقاتلوهم، خطوة خطوة ومرحلة مرحلة، (حَتَّىٰ مَرَّ بِنَا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ)؛ وفي رواية في «صحيح مسلم»: (مَرَرْنَا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ)[1]، أي: يحكي لهم أنهم مروا علىٰ قنطرة، وهم في طريقهم إلىٰ الخوارج.

(قَالَ: فَلَمَّا الْتَقَيْنَا)؛ فلما التقىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجيشه مع الخوارج (وَعَلَىٰ الْخَوَارِجِ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ)؛ يعني: هذا كبيرهم وزعيمهم وأميرهم.

قَوْلُهُ: (فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ وَسُلُّوا السُّيُوفَ مِنْ جُفُونِهَا)؛ هذه وصية من رئيس الخوارج لأصحابه بأن يلقوا الرماح، ويسلوا السيوف لقتال المسلمين؛ (فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ...) ؛ أي: يخاف أن يكون هناك تفاهم من غير قتال كما وقع يوم حروراء، فهو يريد من أصحابه أن يسلّوا السيوف حتىٰ تكون في متناول أيديهم ولا يشتغلوا بالرماح، وإنما يمشون بالسيوف حتىٰ يصلوا إلىٰ المسلمين. فألقوا رماحهم، وسلوا سيوفهم؛ أخذًا بوصيته، فرماهم أصحاب علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -

---

(١) رقم (١٠٦٦/١٥٦).

بالرماح قبل أن يصلوا إليهم، ثم التحموا معهم وقتلوا منهم المقتلة العظيمة واستأصلوهم، ولم يصب من أصحاب علي إلا اثنان.

وقوله: (فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ)؛ أي: رموها وتركوها.

وقوله: (وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ)؛ أي: أصابهم الناس برماحهم.

قَوْلُهُ: (وَقتلُوا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ)؛ أي: حتَّىٰ ركب بعضهم فوق بعض؛ لكثرة القتلىٰ، فصاروا أكوامًا.

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ[1])؛ أي: لما انتهىٰ الأمر ووضعت الحرب أوزارها، وانتصر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه عليهم؛ أمر بأن يُبحث عن هذا المخدج الذي أخبر به الرسول ﷺ، وهو صاحب العضد الذي ليس له ذراع، وفيه تلك اللحمة التي في طرفها حلمة كحلمة ثدي المرأة، وعليها شعرات بيض.

(فَلَمْ يَجِدُوا، قَالَ: فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ، حَتَّىٰ أَتَىٰ نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ. فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ؛ فَكَبَّرَ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ)؛ وعبيدة السلماني من أصحابه، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهليَّة والإسلام، ولم يروا النبي ﷺ[2]، (فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ

---

(١) أي: ناقص اليد. انظر: النهاية (٢/ ١٣)، وشرح النووي علىٰ مسلم (٧/ ٧١)، وعون المعبود (١٣/ ٨٣).

(٢) كَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْكِبَارِ بِالْكُوفَةِ، مات سنة ٧٢. [انظر ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي =

سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. حَتَّىٰ اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ)؛ فاستحلف عليًّا وكرر ذلك ثلاثًا؛ ويريد من ذلك أن يسمع الناس، وحتىٰ يتحقَّق الأمر لهم بهذا التكرار أنَّ عملهم هذا علىٰ صواب، وأنهم الجيش الذين ورد الوعد له بالأجر العظيم من الله.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا الحسن بن علي حدثنا عبد الرزاق**)؛ مرَّ ذكرهما.

قَوْلُهُ: (**عن عبد الملك بن أبي سليمان**)؛ صدوق له أوهام، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن سلمة بن كهيل**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**أخبرني زيد بن وهب الجهني**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**فقال علي**)؛ قد مرَّ ذكره.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٦٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَضِيءِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اطْلُبُوا الْمُخْدَجَ.

=
(ص٨٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٤٨٢)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٤٠)].

فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ تَحْتِ الْقَتْلَىٰ فِي طِينٍ، قَالَ أَبُو الْوَضِيءِ: (فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَبَشِيٌّ عَلَيْهِ قُرَيْطِقٌ، لَهُ إِحْدَىٰ يَدَيْنِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، عَلَيْهَا شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ شُعَيْرَاتِ الَّتِي تَكُونُ عَلَىٰ ذَنَبِ الْيَرْبُوعِ)(١).

الشرح

ثم أورد الحديث من طريق أخرىٰ، وفيه أن عليًّا طلب المخدج؛ فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ تَحْتِ الْقَتْلَىٰ فِي طِينٍ.

(قَالَ أَبُو الْوَضِيءِ)؛ وكان معهم، (فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَبَشِيٌّ عَلَيْهِ قُرَيْطِقٌ)؛ هو القباء(٢)، وهو نوع من اللباس، (لَهُ إِحْدَىٰ يَدَيْنِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، عَلَيْهَا شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ شُعَيْرَاتِ الَّتِي تَكُونُ عَلَىٰ ذَنَبِ الْيَرْبُوعِ)؛ يعني: أنها طويلة، في الطريق الأول: «عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»، وفي الأثر التالي قال: (مِثْلُ سِبَالَةِ السِّنَّوْرِ).

و(اليربوع): وهو من دوابِّ البر، وهو من الصيد، وهو قصير اليدين طويل الرجلين، يشبه الفأر، لكن الفأر رجلاه ويداه سواء، واليربوع حلال، وطريقته في حفر الجحر تختلف عن غيره من الحيوانات؛ ولهذا يقولون في تعريف النفاق: إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع؛ لأنه يجعل لجحره بابين؛ بابًا

---

(١) صحيح الإسناد: كما قال الألباني في التعليق على السنن.

(٢) وهو تَصْغِيرُ قُرْطَق، وهو معرَّب. انظر: النهاية (٤/ ٤٢).

واضحًا، وبابًا خفيًّا عليه تراب، وإذا جاءه عدو من جهة الباب المفتوح نفض التراب الذي في الجهة الثانية وخرج يهرب، فالذين يصيدونه يعرفون طريقة حفره لجحره؛ ولهذا يبحثون عن النافقاء أولًا، ثم يأتونه من الجحر، ويدخلون عليه شيئًا يحركه، فإذا خرج أمسكوا به.

۞ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (**حدثنا محمد بن عبيد**)؛ هو محمد بن عبيد بن حساب، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا حماد بن زيد**)؛ هو حماد بن زيد بن درهم البصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن جميل بن مرة**)؛ وهو ثقة، أخرج له أبو داود، والنسائي في «مسند علي»، وابن ماجه.

قَوْلُهُ: (**حدثنا أبو الوضيء**)؛ وهو عباد بن أسيد، وهو ثقة، أخرج له أبو داود، والنسائي في «مسند علي»، وابن ماجه.

۞ ۞ ۞

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٤٧٧٠- حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: «إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُخْدَجُ لَمَعَنَا يَوْمَئِذٍ فِي الْمَسْجِدِ، نُجَالِسُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكَانَ فَقِيرًا، وَرَأَيْتُهُ مَعَ الْمَسَاكِينِ يَشْهَدُ

طَعَامَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ النَّاسِ، وَقَدْ كَسَوْتُهُ بُرْنُسًا لِي»، قَالَ أَبُو مَرْيَمَ: «وَكَانَ الْمُخْدَجُ يُسَمَّىٰ نَافِعًا ذَا الثُّدَيَّةِ، وَكَانَ فِي يَدِهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، عَلَىٰ رَأْسِهِ حَلَمَةٌ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ سِبَالَةِ السِّنَّوْرِ»[1].

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ اسْمُهُ: حَرْقُوسُ».

الشرح

ثم أورد أبو داود هذا الأثر عن أبي مريم، وهو قيس المدائني الثقفي، وهذا الأثر يبين فيه أنه رأىٰ ذلك الشخص، وأنه كان يعرفه، وأنه كان يجلس معهم في المسجد، وأنه كان فقيرًا يحضر طعام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيأكل مع الناس، وأنه كساه برنسًا، ثم وصف يده وذراعه، وأن فيه اللحمة التي عليها شعيرات مثل سِبَالَةِ السِّنَّوْرِ؛ أي: القط، وهي شعرات طويلة تكون في وجهه.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (**حدثنا بشر بن خالد**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

قَوْلُهُ: (**حدثنا شبابة بن سوار**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن نعيم بن حكيم**)؛ وهو صدوق له أوهام، أخرج له البخاري

---

(١) ضعيف الإسناد: كما قال الألباني في التعليق علىٰ السنن.

في «جزء رفع اليدين»، وأبو داود، والنسائي في «خصائص علي».

قَوْلُهُ: (عن أبي مريم)؛ وهو قيس المدائني الثقفي، وهو مجهول، أخرج له البخاري في «جزء رفع اليدين»، وأبو داود، والنسائي في «الخصائص».

❁ **درجة الأثر:**

وهذا الأثر مقطوع؛ لأنه ينتهي إلىٰ أبي مريم، وهو ضعيف؛ من جهة أنَّ أبا مريم الذي ينتهي إليه الإسناد مجهولٌ.

❁ **فائدة: تعريف الحديث المقطوع:**

والمقطوع: هو ما انتهىٰ مَتْنُهُ إلىٰ من دون الصحابي؛ لأن المتن إذا انتهىٰ إلىٰ الصحابي فهو موقوف، وإذا انتهىٰ إلىٰ الرسول ﷺ فهو مرفوع، وإذا انتهىٰ إلىٰ من دون الصحابي فهو مقطوع، وهذا وصف للمتن، وهو غير المنقطع؛ لأن المنقطع من صفات الإسناد، وأما المقطوع فهو من صفات المتن[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) سبق الكلام علىٰ الفرق بين المقطوع والمنقطع، راجع ص (٤٥٦).

قال المصنِّف رحمه الله تعالى:

بَابٌ فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ

٤٧٧١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ حَسَنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَقَاتَلَ فَقُتِلَ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ»(١).

الشرح

أورد أبو داود هذه الترجمة؛ قال: (بَابٌ فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ)؛ واللصوص هم السُّرَّاق الذين يسطون على الناس ويهجمون عليهم، ويبتزُّون أموالهم منهم، ويأخذونها منهم؛ فهؤلاء يمنعون من أخذ الأموال، وإذا كانوا لا يندفعون إلا بالقتل فإنهم يقتلون، وإذا اعتصموا وصاروا يقاتِلون فإنهم يقاتَلون حتىٰ يُقتلوا ويُتخلَّص منهم، وذلك إذا لم يمكن القبض عليهم

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١٤٢٠)، والنسائي (٤٠٨٨)، وأحمد (٢/ ١٩٣)، وصححه الألباني في الإرواء رقم (١٥٢٨)، وفي صحيح الجامع رقم (٦٠١١).

ومنعهم من الاعتداء على الناس، وتطبيق الأحكام الشرعية عليهم.

وإذا هجموا على أحد؛ فإنه يُدافِعُهم؛ فإذا قتل أحدًا منهم فإنه قتلٌ بحق، وإن قُتِل هو؛ فهو شهيد؛ أي: في ثواب الآخرة، أي: له أجر الشهيد، ولكنه في أحكام الدنيا لا يعامل معاملة الشهيد، وإنما يعامل معاملة غيره من المسلمين، فيُغسل ويُصلىٰ عليه، بخلاف الشهداء؛ فإنهم لا يغسلون ولا يصلىٰ عليهم؛ ولهذا أورد النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رياض الصالحين» بابًا ذكر فيه مجموعة من الأحاديث التي تتعلق بالشهداء غير شهداء المعركة، فقال: (باب ذكر جماعة من الشُّهداء في ثَوَاب الآخرة، ويغسَّلُون ويُصلَّىٰ عليهم)[١].

ثم أورد أبو داود حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَقَاتَلَ فَقُتِلَ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ»؛ يعني: من سطا عليه اللصوص وأرادوا أن يأخذوا ماله؛ فإنه يمنعهم، فله أن يدفعهم بالأخف فالأخف، فإن لم يندفعوا إلا بالقتل فله ذلك، وإذا قَتَل فقتله بحق، وإن قُتِل فهو شهيد؛ لأنه يقاتل بحق، وأولئك قَتَلوا بالباطل، وإن قُتِلوا فهم مقتولون بفعلهم المنكر، وفاعلون الشيء الذي به يستحقُّون القتل؛ إذا لم يندفع شرهم إلا بالقتل.

❁ رجال الإسناد:

قَوْلُهُ: (حدثنا مسدد)؛ هو ابن مسرهد البصري، ثقة، أخرج له البخاري

---

(١) (ص:٣٨٢).

وأبو داود والترمذي والنسائي.

قَوْلُهُ: (حدثنا يحيىٰ)؛ هو ابن سعيد القطان، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (عن سفيان)؛ هو ابن سعيد الثوري، وقد مرَّ ذكره.

قَوْلُهُ: (حدثني عبد الله بن حسن)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (حدثني عمي إبراهيم بن محمد بن طلحة)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (عن عبد الله بن عمرو)؛ هو عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

٤٧٧٢- حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ - يَعْنِي: أَبَا أَيُّوبَ الْهَاشِمِيَّ -، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٥)، وأحمد (١/ ١٩٠)، وصححه =

الشَّرح

أورد أبو داود حديث سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ»؛ أي يدافع ويمنع من يريد أن يعتدي على ماله؛ فقتل في ذلك «فَهُوَ شَهِيدٌ»؛ أي: له أجر الشهيد، وهذا مثل الذي قبله.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ»؛ يعني: إذا أراد أحد أن يعتدي على أهله، فمنع من ذلك، أو حال بين المعتدين وبين ما يريدون فقتلوه؛ فإنه يكون شهيدًا؛ لأنه قتل وهو يدافع عن الحق؛ أي: دون عرض أهله، ودون الوقوع في أهله، سواء زوجته أو قريبته. وكذلك إذا قُتل دون دينه؛ أي: لأمر يتعلق بدينه؛ مثل قتال الخوارج.

❁ **رجال الإسناد:**

قَوْلُهُ: (حدثنا **هارون بن عبد الله**)؛ هو الحمال البغدادي، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (حدثنا **أبو داود الطيالسي**)؛ وهو سليمان بن داود الطيالسي، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**وسليمان بن داود - يعني: أبا أيوب الهاشمي -**)؛ وهو ثقة،

= الألباني في الإرواء رقم (٧٠٨)، وصحيح الجامع رقم (٦٤٤٥).

أخرج له البخاري في «خلق أفعال العباد»، وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن إبراهيم بن سعد**)؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

قَوْلُهُ: (**عن أبيه**[1])؛ وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستَّة.

قَوْلُهُ: (**عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر**)؛ وهو مقبول، أخرج له أصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن طلحة بن عبد الله بن عوف**)؛ وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن.

قَوْلُهُ: (**عن سعيد بن زيد**)؛ هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

❊ ❊ ❊

---

(١) هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. انظر التقريب (ص ٢٣٠).

الأسئلة

السؤال: هل يعد ذو الخويصرة من الصحابة؛ فقد ذكره ابن حجر في «الإصابة»، وذكر أن اسمه «حُرْقوس»، وأن ابن الأثير ذكره في الصحابة، وقال ابن حجر: «وعندي في ذكره في الصّحابة وقفة»[1]؟

الجواب: هو كما قال ابن حجر؛ فيه نظر، لكن من ناحية الكلام الذي قاله للرسول ﷺ؛ سواء كان صحابيًّا أو ليس صحابيًّا؛ فهو من أسوأ الكلام وأقبحه ويذم عليه.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يجوز قتل الخوارج بدون إذن الإمام؟

الجواب: لا يجوز القتل بدون إذن الإمام؛ لأن القتل يسبب القتل، ولكن القتل بطريقة مشروعة هو المشروع، أما القتل باغتيالات وبأمور فيها تعدٍّ وتجاوز؛ هذا يؤدي إلىٰ اختلاط الأمور، وكذلك فليس كل إنسان يستطيع أن يميز الخارجي عن غيره؛ فلذلك إنما يكون الأمر بالقتل من الإمام؛ حيث يرىٰ المصلحة في القتل والقتال.

❁ ❁ ❁

(١) الإصابة (٢/ ٣٤٣)، وانظر أسد الغابة لابن الأثير (٢/ ٢١٤).

السؤال: هل خبر القصة المطولة التي نقلها صاحب «العون» في قضية التحكيم بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صحيحة؛ حيث ذكر أنه حصلت مكيدة[١] من عمرو بن العاص؟

الجواب: قضية المكيدة وما قيل: إنه حصل بين أبي موسىٰ الأشعري وهو من جانب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبين عمرو بن العاص وهو من جانب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأنهما اتفقا علىٰ أن كلًّا منهما يخلع صاحبه، وأن عمرو بن العاص طلب من أبي موسىٰ أن يبدأ، فبدأ فخلع عليًّا، ثم إن عمرو بن العاص لم يخلع معاوية، ثم تفرَّقوا علىٰ هذا؛ هذا كلام غير صحيح، وقد ذكر أبو بكر بن العربي بطلانه في «العواصم من القواصم»[٢]، وهو لا يليق بالصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -؛ إذ كيف يتفقان علىٰ شيء فيتقدم أحدهما لتنفيذ ما اتفقا عليه، ويغدر الآخر فلا يفعل ذلك؟!

❁ ❁ ❁

السؤال: الشباب يقاتلون الحكّام ويقومون بالتفجيرات في البلاد الإسلامية وغيرها، وقد رأيت الناس فيهم على قسمين: قسم يقول: هؤلاء خوارج. مع أنهم ليس عندهم عقائد الخوارج الأخرى، وقسم يقول: هؤلاء أبطال مجاهدون صدعوا بالحق. مع أن فعلهم هذا على

(١) انظر عون المعبود (١٣/ ٨١).

(٢) (ص: ١٧٢ - ١٨١).

خلاف ما عند علماء السنة؛ فنرجو منكم القول الفصل فيهم؟

الجواب: حصول الفتن، وإيجاد القلاقل، وإخلال الأمن، وحصول الاضطرابات والفوضىٰ؛ هذا ليس من الإسلام في شيء، ومعلوم أن مثل هذه الأعمال هي من هذا القبيل؛ لأن فيها نشر الرعب، واختلال الأمن، ولا يحصل من ورائها إلا المضرَّة للمسلمين، وأهل السنة والجماعة معلوم أن طريقتهم ومنهجهم: أن الوالي إذا كان عنده أخطاء وأمور محرَّمة؛ فإنه لا يعمل معه مثل هذه الأعمال التي تخلُّ بالأمن، وإنما يُصبَر علىٰ ما يحصل منه من الجور، وعلىٰ ما يحصل منه من الأمور غير المحمودة، ومن قواعد الشريعة: (ارتكاب أخفِّ الضررين في سبيل التخلص من أشدهما)، ومعلوم أن بقاء الناس علىٰ ما هم عليه مع وجود الجور ومع وجود الخلل والنقص؛ أخف ضررًا من الفوضىٰ والاضطرابات التي يحصل معها فساد الأمور، ولا يأمَن الناس معها علىٰ أرواحهم، بل ينتظرون الموت بين لحظة وأخرىٰ، فمعلوم أن هذه ليست من الإسلام في شيء، وإنما جاء الإسلام بمنع مثل هذه الأعمال السيئة - والعياذ بالله -.

❁ ❁ ❁

السؤال: في بلدنا حرب وقتال بين النظام الحاكم والخوارج الذين خرجوا على الحاكم، فإذا حدث اشتباك بين رجال الأمن وهؤلاء الذين خرجوا على الحاكم؛ هل يكون في قتلهم أجر، أم أن هذه فتنة وشر؟

الجواب: هذه لا شك أنها فتنة وشر، لكن القتل لا يكون إلا إذا لم يندفع المعتدون إلا بالقتل، وأما إذا أمكن القبض عليهم وإيداعهم السجون، ومنعهم من الاعتداء علىٰ الناس؛ فهذا هو المطلوب؛ لأنه أخف الضررين، ولكن إذا لم يندفع إلا بالقتل فإنه يجوز القتل، ومن قتلهم وقد قاموا بالفتن؛ فهو محقٌّ.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يصح أن يقال: إن عبد الرحمن بن الأشعث الخارج في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان داعية فتنة؟ وماذا تقولون إذا كان الأمر كذلك لمن يعتبره تابعيًّا جليلاً وصادعًا بالحق؟

الجواب: لا شك أن الخروج علىٰ الإمام والوالي؛ لا يحصل منه إلا الفتن والضرر، وليس فيه مصلحة ولا فائدة.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم المظاهرات التي هي من أجل تحقيق مصالح الأمة؟ وهل هي نوع من الخروج؟

الجواب: هي نوع من الفوضىٰ.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يعتبر الكلام على المنابر ببعض المخالفات التي تصدر من الحكام خروجًا عليهم، سيما ما يتعلّق بالإخلال بالعقيدة؛ كالسماح

للمتصرِّين بالعمل، وتشييد الكنائس، والدعوة إلى تقارب الأديان؛ علمًا بأن الخطيب يذكر ذلك لئلا يغتر الجهال والعوام بفعل السلطان، فهل يعد ذلك خروجًا على الحاكم؟

الجواب: العوام لا يقدِّمون ولا يؤخِّرون، والتقديم والتأخير إنما هو عند السلطان، والمصلحة تكون بمراجعة السلطان والاتصال به، وأما بالنسبة للعوام فإنهم لا يستفيدون شيئًا من هذا ولا يقدمون ولا يؤخرون.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل أحاديث النهي عن الخروج تشمل ما يعرف الآن بالانقلاب الأبيض؛ أي: خلع الحاكم بالقوة دون إراقة دماء؟

الجواب: بين الرسول ﷺ الحكم الشرعي في ذلك، وأنه لا يكون إلا مع الكفر البواح الذي عند الناس فيه من الله برهان، وأما غير ذلك فإنه غير سائغ.

❁ ❁ ❁

السؤال: إذا عُزل الحاكم وامتنع عن تسليم الحكم؛ فما الحكم؟ وكيف يتعامل معه؟

الجواب: لا يسوغ عزل الحاكم، وليس للنَّاس إلا أن يسمعوا ويطيعوا إذا لم يحصل منه الكفر، وعليهم أن يناصحوه، وأما كونهم يعزلونه ثم يمتنع فتحصل فوضى؛ فهذا لا يصلح، فإذا كان العزل ضروريًّا وأمكن القيام به بدون أضرار ومفاسد؛ فهذا شيء آخر، ولكن كونه يقف في صفٍّ وهم

يقفون في صف ويحدث قتال وفتن؛ فهذا ليس بطريق صحيح.

❁ ❁ ❁

السؤال: من خرج على حكام هذه البلاد، بمعنى: أنه رفض أن يسمع لهم فيما يأمرون به في غير معصية الله؛ هل يقال: إنه من الخوارج، لا سيَّما أنه أُبعد من هذه البلاد؟

الجواب: لا شك أن الإنسان الذي تحصل منه فتن، وتحصل منه الرغبة في التخلص من الولاة؛ أنه قد سلك طريقة الخوارج، فهذا هو منهج الخوارج، فهم يريدون التخلص من الولاة وأن تكون الولاية لهم، أو تكون لغيرهم، ولو كانت بأسوأ وبأشد وأبعد عن الحق والهدىٰ.

فالذي يحصل منه نشر الفتن والتأليب علىٰ الولاة، ونشر الفوضىٰ؛ لا شك أنه يعمل عمل الخوارج، وما أكثر من يحصل منه ذلك، ويظهر اسمه يومًا من الأيام، أو أسبوعًا أو أسبوعين أو شهرًا أو شهرين، ثم يكون بعد ذلك في سلَّة المهملات، وقد سبقه كثيرون وصاروا خبرًا بعد عين.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما قولكم في الحركات المعاصرة التي تتبنَّى الخروج على الأنظمة التي تحكم بالقوانين الوضعيَّة، مع أن الأصل في حكامهم الإسلام، فهل هؤلاء خوارج، أم أنهم متأولون، أم أنهم على الحق لأنهم خرجوا لإقامة شرع الله؟

الجواب: الواجب عليهم أن يُناصحوا من كان وليًّا للأمر، وأن يسعوا في نصحه ما دام أنه ليس بكافر، وأنه إنما حكَّم القوانين مع علمه بأنه مخطئ، وأن هذا العمل غير سائغ، ولكنه قد يكون ابتلي بتركة ورثها وهو مغلوب علىٰ أمره في كونه لا يستطيع التغيير، فلا يُخرَج علىٰ والٍ حصل بوجوده أمن الناس واطمئنانهم، ثم أيضًا ماذا سيحقِّق هؤلاء الذين سيخرجون؟! وهل عندهم السلامة في معتقداتهم وأفكارهم وآرائهم؟!

❁ ❁ ❁

السؤال: يوجد شباب في الجامعة يوزعون أشرطة فيها سبٌّ للحكام، وتهييج عليهم وتعريض بهم؛ فما هي نصيحتكم؟

الجواب: إذا كان هذا صحيحًا فأنصح هؤلاء الشباب أن يتَّقوا الله عَزَّوَجَلَّ، وأيضًا علىٰ من يعلم أعيانهم وأشخاصهم ألا يسكت عليهم، وإنما يبلِّغ أمرهم إلىٰ المسئولين حتىٰ يوقفوهم عند حدودهم.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل من نصيحة توجهونها إلى الدعاة الذين يهيجون الناس على ولاتهم، ويتهمون العلماء بالمداهنة، وأنهم لا علم لهم بالواقع؟

الجواب: هذا الأمر من الفتن، والغرور، والبلاء؛ فكونهم يشغلون أنفسهم بمتابعة الإذاعات والصحف والمجلات، وليس عندهم وقت ليشتغلوا بالعلم النافع والعمل الصالح، ثم مع هذا يتكلَّمون في حق من بذل

نفسه لنفع الناس وتعليمهم وهدايتهم، وإفتاء الناس في أمور دينهم، فيتكلمون عليه بكونه ما اشتغل في الشيء الذي شغلهم، فهؤلاء لو اشتغلوا في الذي اشتغلوا فيه بقي الناس بدون هُداة، وبدون علماء يرجعون إليهم في معرفة أمور الدين.

فعلىٰ هؤلاء أن يتَّقوا الله، وأن يشتغلوا بالعلم النافع الذي يقرِّبهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والأعمال الصالحة التي تنفعهم عند الله عَزَّوَجَلَّ، وألا يشغلوا أنفسهم بمتابعة الإذاعات المختلفة، وإشغال أنفسهم بالتحليلات التي قد تكون في كثير من الأحيان خاطئة، ثم بعد ذلك يصفون من لا يشغل نفسه بذلك بأنه لا يفقه الواقع!! لا شكَّ أن هذا من مكر الشيطان بهم، ومن جنايتهم علىٰ أنفسهم، نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق.

❊ ❊ ❊

أسئلة متنوعة

أسئلة متنوعة

السؤال: ما حكم استخدام الزعفران والحناء للرجال للعلاج في اليدين أو في الرِّجلين؟

الجواب: استعمال الحناء للرجال في حالة العلاج لا بأس به، وأما استعماله للزينة؛ فلا يجوز، وإنما هو للنساء فقط؛ فهن اللاتي يتزين بالحناء، وأما الرجال فلا يتجملون بالحناء.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل لكم في الكلام عن بدعة الرجبية، وعن الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج؟

الجواب: الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم العروج به من هناك إلى السماء حتى تجاوز السموات، وكلَّمه الله عَزَّوَجَلَّ، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان كليمًا لله عَزَّوَجَلَّ كما كان موسى كليمًا لله، وكان خليلًا له كما كان إبراهيم خليلًا؛ فاجتمع فيه ما تفرق في غيره - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، وليلة الإسراء والمعراج لم تكن معروفة بالتحديد، ولم يثبت شيء يدلُّ على تحديدها وبيان وقتها، ولو ثبت شيءٌ في بيان أنها في الليلة المعينة من الشهر الفلاني؛

فلا يجوز لأحد أن يُحدِث فيها شيئًا، ولا أن يعمل فيها عملًا يخصُّها؛ لأن الأمور التي يتقرب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فإنما يؤتىٰ بها طبقًا للسنَّة، ولم يأتِ بذلك سنَّة عن رسول الله ﷺ، ولو كان الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج مشروعًا؛ لبيَّنه وأوضحه الذي لا ينطق عن الهوىٰ - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -، الذي هو أنصح الناس للناس، وهو أفصح الناس لسانًا، وأكملهم بيانًا، فلمَّا لم يأتِ عنه شيء من ذلك؛ دلَّ علىٰ أن هذه من البدع المحدثة التي يجب اجتنابها والحذر منها.

ولشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمة الله عليه - رسالة قيمة ومفيدة باسم «التحذير من البدع»، وهي تشتمل علىٰ بدعٍ أربع؛ منها هذه البدعة: بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج هذه، وقد بيَّن وأوضح أن هذه من البدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ فعلىٰ الإنسان أن يحرص علىٰ اتباع السنن والاكتفاء بها، وألا يتجاوزها إلىٰ أمور محدثة مبتدعة، ما أنزل الله بها من سلطان.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما الرد على من يضعف حديث العرباض بن سارية، وحجَّته في ذلك أن العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس من الصحابة الملازمين للرسول ﷺ، بل جاء من البادية وأخذ الحديث ورجع، وأن هذا الحديث على الرغم من أنه موعظة إلا أنه لم يروه إلا العرباض؟

الجواب: كما هو معلوم: أن الأحاديث إذا ثبتت عن رسول الله ﷺ من طريق واحدة فإنها كافية، ولا يحتاج إلىٰ أن يبحث لها عن أشياء تساندها، فما دام الحديث ثابتًا بإسناده؛ فإنه يكفي ولو جاء عن شخص واحد، وهذا هو شأن النصوص، ولو أخذ بمثل هذا المبدأ لقيل في كثير من النصوص مثل هذا الكلام، ولأمكن أن يشكك فيها، وإنما كل ما ثبت عن رسول الله ﷺ من طريق صحابي من أصحاب رسول الله تلقَّاه عنه ﷺ، سواء كان ملازمًا أو غير ملازم؛ فإنه يقبل، فإن الحجة تقوم به، ولا يلتفت إلىٰ كونه لم يلازمه، أو لازمه لفترة قليلة.

فهل يقال عن الذين جاءوا وحضروا حجة الوداع وشهدوا، وسمعوا خطبه ﷺ، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم وحدثوا بما سمعوه ؛ هل يقال: لا يقبل حديثهم؛ لأنهم لم يلازموا الرسول ﷺ؟! وهل يقال عمن حضر حجة الوداع وسمع الرسول ﷺ يقول: «خذوا عني مناسككم، فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، وشاهدوه وعاينوه، وفيهم من لم يره بعد ذلك؛ هل يقال عنهم: إنهم لا يعول عليهم، ولا يلتفت إليهم!! هذا كلام باطل.

❁ ❁ ❁

السؤال: استدل العلماء بحديث: «من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه...» على أنه لا يجوز أن يحج أحد عن النبي ﷺ؛ لأن الأجر له. فهل يشمل هذا من أسلم على يديه شخص أنه لا

يحجَّ عنه؛ لأن الأجر له؟

الجواب: أما بالنسبة للرسول ﷺ فالإنسان إذا أراد أن يصل إلى الرسول ﷺ شيء من الأجر بسببه؛ فما عليه إلا أن يعمل عملًا صالحًا، ثم الله تعالى يثيب نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بمثل ما أثابه؛ لأنه ﷺ - كما قلتُ - له مثل أجور جميع أمته من أولها إلى آخرها، فهو الذي دلهم إلى الحق والهدى، ولهذا لم يكن الصحابة يحجُّون عن النبي ﷺ، وإنما كانوا يعملون الأعمال الصالحة، والله تعالى يثيب نبيَّه مثل ما أثابهم، لكن لا يقال: إن من أحسن إلى إنسان فلا يحج عنه. سواء كان إحسانه بكونه أسلم على يديه، أو كونه ربَّاه ونشَّأه، أو عمل له أعمالًا أخرى؛ فإن هذا من مقابلة الإحسان بالإحسان.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يجوز لنا أن نذكر للمدعو: أنه اهتدى على أيدينا؟

الجواب: لا يصلح هذا؛ لأنه قد يكون فيه شيء من المنِّ أو الإدلال عليه، وقد يظنُّ أنك تبحث عن عوض أو مقابل؛ فمثل هذا لا يصلح، وإنما على الإنسان أن يفرح بهذا الذي حصل له من اهتداء بعض الناس على يديه، وعليه أن يرجو ثواب ذلك عند الله.

❁ ❁ ❁

السؤال: هذه مطوية توزع في فضل الذكر، وفي الصفحة الأخيرة منها، قال: عدُّ الذكر بالسبحة: قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعد

التسبيح بالأصابع سنة، كما قال النبي ﷺ للنساء: «سبحن واعقدن بالأصابع؛ فإنهن مسئولات مستنطقات»، وأما عده بالنوى والحصى ونحو ذلك؛ فحسن، وكان من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من يفعل ذلك، وقد رأى النبي ﷺ أمَّ المؤمنين تسبح بالحصى وأقرَّها على ذلك، وروي أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يسبح به، وأمَّا التسبيح بما يُجعل في نظام من الخرز ونحوه؛ فمن الناس من كرهه، ومنهم من لم يكرهه، وإذا حسنت به النية فهو حسن غير مكروه، وأما اتخاذه من غير حاجة، أو إظهاره للناس مثل تعليقه في العنق، أو جعله كالسوار في اليد أو نحو ذلك؛ فهذا إما رياء للناس، أو مظنة المراءاة ومشابهة المرائين من غير حاجة؛ فالأول محرم، والثاني أقل أحواله الكراهة. مجموع الفتاوى (٢٢/٥٠٦). قال: وأما عن عد الآيات في الصلاة بالسبحة: فسئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عمَّا إذا قرأ القرآن ويعد في الصلاة بسبحة هل تبطل صلاته أم لا؟ فأجاب: إن كان المراد بهذا السؤال أن يعد الآيات، أو يعد تكرار السورة الواحدة؛ مثل قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] بالسبحة؛ فهذا لا بأس به. مجموع الفتاوى (٢/٦٢٥).

الجواب: هذا غير واضح، ولا يصلح مثل هذا، ولا يشتغل الإنسان بأن يأخذ سبحة يعد بها الآيات، أو يعد تكرار السور، ولا أدري ما صحته وثبوته، والحقيقة أنه كلام غريب، بل إنَّ الإنسان لا يحمل في صلاته شيئًا يعدُّ به، لا سبحة ولا غيرها، وإنما يضع يده اليمنىٰ علىٰ يده اليسرىٰ ويجعلها

علىٰ صدره، ولا يشغل نفسه بحمل شيء يعد به؛ فإن ذلك غير لائق.

وأما ما يتعلق بالتسبيح بالسبحة: فما نعلم شيئًا يدل علىٰ ذلك، ولا شكَّ أن الذي جاء عن رسول الله ﷺ وثبتت به السُّنَّة عنه ﷺ؛ هو أنه كان يسبح بأصابعه، فيكفي الناس ما ثبت عمَّا لم يثبت. وأما قضية الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم - فما نعلم شيئًا ثابتًا يدلُّ علىٰ أنهم كانوا يعدُّون بالحصىٰ. نعم قد وجد، ولكنه غير صحيح، فقد مرَّ بنا في «سنن أبي داود» شيءٌ من هذا، وهو غير ثابت، فما أعرف شيئًا ثابتًا في ذلك عن الصحابة، وإنما الثابت عن رسول الله ﷺ هو التسبيح بالأصابع، وسنَّة الرسول ﷺ الثابتة عنه هي التي علىٰ الإنسان أن يحرص عليها، ولا يشتغل بشيء سواها.

❁ ❁ ❁

السؤال: قد يثيب الله عَزَّوَجَلَّ المدعو على أداء العبادة واستجابته للداعي، ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ قد يضاعف لمن يشاء من عباده. فهل يعني ذلك: أن الداعي ينال مثل أجر المدعو، سواء ضوعف له في أجره أو لم يضاعف له؟

الجواب: الحديث يدل علىٰ هذا؛ ففيه: «**فله مثل أجور من تبعه، من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»، ومعناه: أن الداعي يكون له من الأجر مثل أجر المدعو.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل علي إثم إن دفعتُ نسبة إلى كفيلي مقابل عملي خارج

المؤسسة؟

الجواب: على الإنسان في مثل هذا أن يتقيَّد بأنظمة الدولة، وإن احتاج إلى عمَّال؛ فإنه يأتي بهم ليعملوا تحت إشرافه، وأمَّا أن يأتي بهم ويتركهم ويدفعون له مقدارًا من المال مقابل ذلك، وهو لم يتكلَّف إلا أن أتى بهم؛ فهذا غير صحيح، وهذا غير لائق، وهذا لا تقرُّه الدولة؛ فعلى الإنسان أن يتقيد بما يضعه ولاة الأمور من التنظيم في هذا؛ لأنَّ هذا يدلُّ على السمع والطاعة لولاة الأمور.

❁ ❁ ❁

السؤال: لماذا تبرأ عبد الله بن عمر ممَّن تكلم في القدر، ولم يتثبت أولاً قبل أن يتبرأ من صاحبه؟

الجواب: يمكن أنه قد تثبت، وأن هذا الذي قاله إنما قاله بناءً على التثبت.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما صحة حديث: أن يقال دبر كل صلاة: «اللهم أجرني من النار؛ سبع مرات»؟

الجواب: ضعَّفه الألباني.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل أخرج الإمام مسلم شيئًا من الأحاديث عن شيخه البخاري؟

الجواب: ما أخرج عنه شيئًا، وذكروا أن سبب عدم إخراجه له؛ أنه قد أدرك

الذين أدركهم البخاري، وشاركه في شيوخه، ومعلوم أنهم يأخذون بالعالي، ولا يصيرون إلىٰ النازل إذا وجدوا العالي، ومعلوم أن ليس بين وفاتيهما إلا خمس سنوات، وقد أدرك مسلم شيوخ البخاري مثل الإمام أحمد وغيره.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل أخرج البخاري للإمام أحمد في كتابه؟

الجواب: نعم، أخرج له.

۞ ۞ ۞

السؤال: ما حال الإمام الترمذي من حيث التصحيح والتضعيف: هل يعد من المعتدلين أم من المتشددين؟

الجواب: ليس من المتشددين، ومعلوم أن الإمام الترمذي - رحمة الله عليه - له عناية بهذا الفنِّ - أعني: الحكم علىٰ الأحاديث وبيان ما كان صحيحًا، وما كان حسنًا، وما كان ضعيفًا -؛ فهو متميِّز علىٰ غيره من الكتب السِّتَّة الباقية بهذه العناية فيما يتعلق بالتصحيح، وكذلك فيما يتعلق بذكر كلام الفقهاء من الصَّحابة ومن بعدهم في المسألة، واختلاف العلماء في العمل به، لكن تصنيفه أنه متشدد، فما هو بمتشدد.

ومن العلماء من نسبه إلىٰ التساهل، لكن الذي يظهر أنه معتدل، وقد صحح بعض الأحاديث وعابوا عليه إخراجها، مثل حديث: «**الصلح جائز بين المسلمين**»؛ فقد ذكره الحافظ في «البلوغ» وقال: صحَّحه الترمذي،

وعابوا عليه تصحيحه، ولعله اعتبره بطرقه.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما قول فضيلتكم عن جماعة تبدع شيخ الإسلام وأبا حنيفة وابن حجر والنووي والألباني، وغيرهم من علماء المسلمين؟ وما واجبنا نحو هؤلاء؟

الجواب: واجبكم نحو هؤلاء أن تناصحوهم، وأن تسألوا الله لهم الهداية، ولا تغترُّوا بكلامهم، ومثل هؤلاء يعتبرون قطاع طريق عن العلم.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يصح إذا أراد الإنسان أن يخطب بهذا الكلام الذي قاله عمر بن عبد العزيز في خطبة جمعة في بلده؛ أن يترجمه على المنبر بلغة القوم؟

الجواب: يصلح، لكن هذا الأثر فيه خفاء، فما كل الحاضرين يفهمه، لكنه يأتي بمعناه بعبارات واضحة جلية.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم إلقاء الخطبة بغير العربية؟

الجواب: الأصل أن الخطبة لا تخلو من العربية، ولا تكون بالعربية في أناس لا يفهمون العربية؛ لأنها تعتبر صيحة في وادٍ، ولا يستفاد منها، لكن يجمع بين العربية وغيرها.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم دعاء: اللهم! إن كنت كتبتني عندك أن أضل بعد

الهدى؛ فاقبض روحي قبل أن أضل وأزيغ؟

الجواب: لا يصح مثل هذا الدعاء، وإنما يسأل الله الهداية، وأن يعصمه من الضلالة؛ فعليه أن يأتي بدعاء واضح.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما صحة حديث: «من لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا»؟ وإذا كان الحديث ضعيفًا فهل يجوز للإنسان أن يكثر من الاستغفار رجاء تفريج الهموم؟

الجواب: قد سبق أن مرَّ بنا في سنن أبي داود، والشيخ الألباني ضعَّفه.

❁ ❁ ❁

السؤال: رجل قال لضيوفه: «تفضلوا إلى عشاكم، الله والنبي يحييانكم»، فهل يصح هذا؟

الجواب: مثل هذا التعبير ما يصلح، وإنما يقول: تفضلوا حياكم الله. أما إضافة النبي ﷺ؛ فهذا خطأ ولا يجوز.

❁ ❁ ❁

السؤال: الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في «نتائج الأفكار» أن التابعي إذا قال قولاً مما لا مجال للرأي فيه فله حكم الإرسال؛ فعلى هذا يكون أثر مكحول: «لتمخرن الروم الشام» مرسلاً؟!

الجواب: ما ندري عن هذا، لكن لو كان مرسلًا؛ معناه أنه ما له قيمة، فالنتيجة

واحدة؛ لأن المرسل لا عبرة به، ولو صرَّح بإضافته للرسول ﷺ، ويكون غير ثابت؛ لأن المرسل فيه سقوط، وقد يكون الساقط تابعيًّا؛ كما أشرت.

فالحاصل: أنه حتىٰ لو قيل: إنه يكون مرسلًا؛ فالنتيجة واحدة، وهي أنه لا يحتج به ولا يثبت.

❁ ❁ ❁

السؤال: وجد في أشرطة بعض الدعاة كلمات فيها لمزٌ للصحابة، مثل قوله: تأويل فاسد... وهذا صدر عنهم جهلاً بمراد الله ورسوله... وأسامة بن زيد خالف الأصول... وهناك سوء في التربية... فهذه كلمات صدرت من هذا الداعية - عفا الله عنه -، فما الموقف منها؟

الجواب: هذا الداعية قد ظهر منه الرجوع عن هذا، ومن تاب تاب الله عليه.

❁ ❁ ❁

السؤال: لي صديق يشتغل في محل، سجله التجاري مأكولات خفيفة، وقانونًا يُمنع من بيع بعض المأكولات الثقيلة، إلا أن صاحب المحل يبيعها خفية؛ بحجة أن الجميع يفعل هذا للهروب من الضرائب الباهظة؛ فهل هذا الأمر يعتبر خروجًا عن طاعة ولي الأمر؟ وهل يجوز لصديقي العمل في هذا المحل؟ وما حكم مال صاحب المحل الذي تقاضه من هذا البيع؟

الجواب: المناسب لمثل هذا: أن يأخذ الترخيص الذي يسوغ له أن يفعل هذه الأمور كلِّها، أما كونه يظهر شيئًا ثم يفعل خلافه؛ فهذا لا ينبغي، وإذا

أراد أن يبيع علىٰ وجه أوسع؛ فإنه يحصل علىٰ الترخيص الذي يسوغ له ذلك؛ حتىٰ لا يحتاج إلىٰ الحيل.

وأما العامل فإنه يجوز له أن يعمل في هذا المحل، ولكن عليه أن ينصح صاحب المحل.

ومال صاحب المحل الذي يتقاضاه من هذا البيع لا بأس به، ولكن عليه أن يحسن العمل، وأن يكون لديه رخصة في بيع المأكولات الثَّقيلة.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل تشرع (الصلاة والسلام) عند ذكر أي نبيٍّ من الأنبياء عمومًا؟

الجواب: نعم، يشرع الصلاة والسلام عليه.

❁ ❁ ❁

السؤال: أيهما أفضل: أن أعتق عبدًا أم أمة؟

الجواب: العبد أفضل؛ لأنه جاء أن: «**من أعتق عبدًا كان فكاكًا من النار، ومن أعتق جاريتين كانتا فكاكًا من النار**»؛ فدل علىٰ أن عتق الرجل أفضل؛ لأن عتق جاريتين يعادل عتق رجل في الفضل، وهذا أحد المواضع الخمسة التي تكون المرأة فيها علىٰ النصف من الرجل؛ فهي علىٰ النصف من الرجل في خمسة أمور: في الشهادة، وفي الميراث، وفي الدية، وفي العتق، وفي العقيقة.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يجوز وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بحاضر أو ناظر؟

الجواب: الله تعالىٰ شاهد؛ كما جاء، وينبغي التقيُّد بما جاء في النصوص، ولا يخرج عنها إلىٰ عبارة أخرىٰ قد يلزم فيها لوازم، وهي لم ترد، ولكن الذي وردت به النصوص هو الذي ينبغي للإنسان أن يعبر به.

❁ ❁ ❁

السؤال: بالنسبة لعدالة الصحابة لا تحتاج إلى البحث، لكن هل يقال هذا أيضًا في ضبطهم فلا يبحث عن ضبطهم؟

الجواب: لا يُبحث عن ضبطهم، ولا يقال: إن هذا ضابط أو غير ضابط، أو هذا يتوقف في خبره. بل كل ما جاء عنهم فإنه مقبول، ومعول عليه.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم حديث: «القدرية مجوس هذه الأمة»؟

الجواب: هو حديث حسن؛ حسَّنه الألباني في الطحاوية، والروض، والمشكاة، والظلال، والصحيحة رقم (٢٧٤٨)، وقال: إن له عدة طرق. فتبين أن للحديث أصلًا، وليس بمنكر، فضلًا عن أن يكون موضوعًا، ونقل عن الحافظ تقويته للحديث.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يجوز الذبح عند تجدد النعم على المسلم؟

الجواب: شكرُ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ النعم مطلوب، وإذا حصل للإنسان نعمةٌ فذبح ذبيحة، وتصدَّق بها شكرًا لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك؛ لا أعلم شيئًا يمنع منه.

السؤال: بماذا تنصحون من يجد في قلبه وسوسة تجاه التوحيد؟

الجواب: لا أدري كيف تكون هذه الوسوسة، فإذا كان المقصود منها: أنه يجد في نفسه شيئًا، أو يحوك في نفسه شيء يجد أن التكلم به صعبٌ؛ فهذا قد جاء في الحديث ما يدلُّ على حسنه، وأن الإنسان الذي يجد هذا الشيء ثم لا يتحدث ولا يتكلم به، وإنما يعرض عنه؛ أن هذا يدل على إيمان صاحبه، وجاء في السُّنَّة عن رسول الله ﷺ أنه إذا جاءت الإنسان وساوس الشيطان فيما يتعلَّق بالتوحيد والعقيدة؛ فإنَّ عليه أن يتعوذ بالله من الشيطان، ويقول: آمنت بالله. وقد جاء: «**لا يزال الشيطان بالإنسان يقول له: من خلق كذا، ومن خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فمن وجد شيئًا من ذلك فلينته، وليقل: آمنا بالله**».

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم تصدير الاسم بكلمة (السيد)؛ للدلالة على أن الشخص ينتسب إلى النبي ﷺ؟

الجواب: لا يفعل ذلك، فكل أحد الآن يقال له: سيد. بل صار ذلك يقال للكفار والمنافقين، وهذا يسمع في الإذاعات؛ فالسيادة امتهنت في هذا الزمان، وصارت تُعطى لمن لا يستحقها، وصار السؤدد الآن بالمجان، والأمر كما قال الشاعر: (**لولا المشقة ساد الناس كلهم**).

فالسؤدد لا يحصل إلا بالمشقة، وليس كل أحد يستطيع المشقة؛ فلولا المشقة لصار كل أحد سيدًا.

السؤال: عندنا عادة منتشرة، وهي أن من كان له حاجة معينة فإنه يستدعي بعض أهل العلم أو طلبة العلم ليقرءوا له القرآن، ويدعوا له بقضاء حاجته، فيتوزع هؤلاء القرآن بينهم أجزاءً أو أحزابًا، فيقرأ كل واحد منهم ما أعطي حتى يختموا القرآن كاملاً، ثم يدعون الله له عقب ذلك، وأحيانًا يذبحون تقربًا إلى الله، فما حكم هذا العمل؟

الجواب: لا نعلم أساسًا لهذا العمل، والإنسان إذا كان له حاجة؛ فإنه يسأل الله تعالىٰ حاجته، والله تعالىٰ يجيب من دعاه، وأمَّا هذا الفعل المذكور فلا نعلم له أساسًا.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يجوز أن يقال لمن ظاهره الفسق: سيد؟

الجواب: لا يقال له ذلك.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما الجمع بين نهي النبي ﷺ لأصحابه عن دعوته بالسيد، وقوله ﷺ في حديث الباب: «إن ابني هذا سيد»؟

الجواب: لم ينههم الرسول ﷺ نهيًا مطلقًا، وإنما قال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم»، والمعنىٰ: أنكم لا يستهوينكم الشيطان فتزيدوا في الأمر، فأراد منهم أن يكفوا عن المبالغة، وإلا فإنه قد أخبر عن نفسه بأنه سيِّد، فقال: «أنا سيد ولد آدم، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول

مشفع»؛ صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»؛ كما جاء في حديث الشفاعة الطويل. وقوله هنا: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة ﷺ؛ لأنه في ذلك اليوم يظهر سؤدده علىٰ الجميع من لدن آدم إلىٰ الذين قامت عليهم الساعة؛ فالناس في يوم المحشر يجتمعون في صعيد واحد، ويموج بعضهم في بعض، فيبحثون عمن يشفع لهم إلىٰ الله ليخلصهم ممَّا هم فيه من شدة الموقف؛ فيذهبون إلىٰ آدم فيعتذر، وإلىٰ نوح فيعتذر، وإلىٰ إبراهيم فيعتذر، وإلىٰ موسىٰ فيعتذر، وإلىٰ عيسىٰ فيعتذر، ثم يأتون إلىٰ نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيقول: «**أنا لها**». ثم يتقدم ويشفع فيشفعه الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه الشفاعة يقال لها: المقام المحمود، وسميت مقامًا محمودًا؛ لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون، فظهر سؤدده فيها علىٰ الأوَّلين والآخرين.

وقد قال الرسول ﷺ هذا تبليغًا عن الله، ومبينًا عظيم منزلته عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ فالنبي ﷺ ليس بعده نبي حتىٰ يبين منزلته عند الله، فشريعته ﷺ هي آخر الشرائع، وقد بين ما يتعلق به ﷺ مما يعتقد في حقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في هذه الأحاديث.

۞ ۞ ۞

السؤال: أم الولد هل ابنها من سيدها يكون حرًّا، أم يكون مملوكًا لسيدها وينسب إليه؟

الجواب: ابن الرجل من أمته حرٌّ؛ لأنه يكون تبعًا لأبيه، بل إن أمه تعتق بسببه، أما الذي يمكن أن يكون عبدًا فهو ابن الأمة إذا تزوجها الحر مضطرًا إلىٰ ذلك؛ لأنَّه يكون تبعًا لأمه، إلا إذا اشتُرط أن يكون الولد تابع لأبيه.

❁ ❁ ❁

السؤال: أم الولد إذا باعها سيِّدها على القول بجواز بيعها، فهل يفوت عليها بذلك عتقها بعد موته؟

الجواب: الصحيح: أنه لا يجوز بيع أمهات الأولاد، وإنما تبقىٰ في ملكه ثم تعتق بعد موته، ولا تكون ميراثًا لورثته؛ ولهذا كانوا يعزلون عن الإماء مخافة أن تحمل؛ لأنها إذا حملت خرجت من كونها مالًا يُتصرف فيه؛ لأنها أصبحت أم ولد فلا تباع، وهم يريدون أن يستمتعوا بهن ويبيعوهن إذا احتاجوا إلىٰ بيعهنَّ.

❁ ❁ ❁

السؤال: توفيت والدتي وعليها صيام خمسة وعشرين يومًا أفطرتها من شهر رمضان؛ لأنها كانت مريضة، وقبل وفاتها أوصت أبناءها بصيام هذه الأيام، ولكن أبناءها أطعموا عن كل يوم مسكينًا، فهل نصوم عنها هذه الأيام لأنها أوصت بصيامها، أو نكتفي بالإطعام السابق؟

الجواب: إذا أفطرت هذه المرأة خمسة وعشرين يومًا، واستمرَّ معها المرض حتىٰ ماتت؛ فإنه لا قضاء عليها، ولا إطعام؛ لأنها ما تمكنت من

القضاء ولم تفرِّط، أما إذا أفطرت أيامًا من رمضان وشفيت بعد ذلك، وتمكنت من القضاء ولكنها لم تقضِ؛ فإنه يقضىٰ عنها؛ لقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ؛ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»، ولا يكفي الإطعام الذي فعلوه عنها؛ لأن هذا دين عليها، وهذا شيء واجب عليها، وقد فرَّطت فيه؛ حيث تمكنت من القضاء ولم تقضِ.

❁ ❁ ❁

السؤال: قال ﷺ: «إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد»، هل المراد بكلمة (عند) هنا: ما قبل الفطور؟ وهل هذا الدُّعاء مُعين أو أي دعوة؟

الجواب: معلوم أنَّه يدعو عندما يريد أن يفطر وأثناء البدء بإفطاره، فهذا هو المناسب لهذا الدعاء؛ لأن الفطر يحصل بكونه يأكل أول لقمة، لكن لا نعلم دعاءً معينًا عند الإفطار.

❁ ❁ ❁

السؤال: جاء في حديث أبي ذر وأبي هريرة قول جبريل: «السلام عليك يا محمد»؛ فناداه باسمه، فهل جاء النهي عن ذلك؟

الجواب: معلوم أنه جاء في أحاديث كثيرة مناداة النبي باسمه، ولا أعلم حديثًا في النهي عن ذلك.

❁ ❁ ❁

السؤال: أتى في «صحيح البخاري» فيما ذكر؛ أن المسلم ليؤجر في كل

شيء ينفقه، يقول البخاري رحمه الله في باب: تمني المريض الموت من كتاب المرضى: قال: حدثنا آدم قال: حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: «دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات، فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعًا إلا التراب، ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به. ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطًا له، فقال: إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه، إلا في شيء يجعله في هذا التراب». يقول الحافظ ابن حجر: قوله: «ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطًا له»؛ هكذا وقع في رواية شعبة تكرار المجيء، وهو أحفظ الجميع؛ فزيادته مقبولة، والذي يظهر أن قصة بناء الحائط كانت سبب قوله أيضًا: «وإنا أصبنا من الدنيا ما لا نجد له موضعًا إلا التراب»، وقوله: «إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب»؛ أي: الذي يوضع في البنيان، وهو محمول على ما زاد على الحاجة. فما قولكم في هذا؟

الجواب: هذا محمول على ما كان من البناء زائدًا عن الحاجة، أو كان من باب المفاخرة والمطاولة.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم من صلّى وجعل سترته رجلاً مقبلاً عليه بوجهه؟

الجواب: لا ينبغي هذا؛ لأن هذا يشوش عليه، ولكنه إذا لم يجد إلا هذا

المكان؛ فلا بأس أن يصلي، وينظر إلىٰ مكان سجوده، فيسلم من تشويشه إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يجوز إسقاط النطفة أو العلقة قبل نفخ الروح فيها قبل المائة وعشرين يومًا؟

الجواب: حصول الحمل ينبغي أن يُفرح به، وأن يُحرص عليه؛ لأنَّ من مقاصد الشريعة المكاثرة، فالنبي ﷺ مكاثر بأمته الأمم يوم القيامة، وفي تكثير المسلمين تكثير من يعبد الله عَزَّوَجَلَّ، ومن يكون علىٰ هذا الدين الحنيف، وهذا أمر مطلوب لا ينبغي للإنسان أن يتضجر منه، أو يحاول التخلص منه بإجهاض أو غير ذلك، وإنما عليه أن يفرح. وكم من الناس من يحرص علىٰ أن يُحصِّل الحمل ولو مرة واحدة، ولا يتيسر له ذلك؛ بل قد يبذل كل ما يمكنه من أجل أن يظفر بهذا الشيء؛ فلا يتيسر له ذلك، فالذي أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ وجعله من أهل الإنجاب؛ لا ينبغي أن يتساهل في ذلك، وأن يتهاون في ذلك، ولا ينبغي للإنسان أن يتعرَّض للنطفة أو يتعرض للحمل بإسقاطه، وإنما عليه أن يفرح به وأن يبقيه.

وبعض أهل العلم قال: يجوز أن يسقط ما دام في الشهر الأول.

ولكن الذي ينبغي: أن يحرص علىٰ النسل، وألا يتهاون فيه ولا يتساهل.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل كتابة الملك تقدير آخر غير التقدير الموجود في اللوح المحفوظ أو هو موافق له؟

الجواب: الله أعلم! لكن الذي يبدو أنه موافق له.

۞ ۞ ۞

السؤال: أبشركم بشارة خير أن لي جدة عمرها تسعة وتسعون سنة وهي على الكفر في أمريكا، وقبل وفاتها بثلاثة أيام أسلمت، ثم ماتت بعد ذلك.

الجواب: ما شاء الله! هذه بشارة طيبة، وهذه نهاية حسنة، وهذا مثال واضح من أمثلة القسم الذي يطابق ما كان عليه سحرة فرعون الذي كانت حياتهم كلها شر، وفي النهاية ختم لهم بخير وماتوا على خير، وهذه نرجو أن تكون قد ماتت على خير.

السؤال: يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتوى عن أطفال المشركين: الله أعلم بما كانوا عاملين. ثم وقفت على فتوى أخرى يقول فيها: إنهم في الجنة. فأيهما المتأخر؟

الجواب: أنا لا أعلم عن الشيخ ابن باز أنه يقول: إنهم في الجنة. ولكن كما جاء في الحديث: «**الله أعلم ما كانوا عاملين**»؛ هذا هو الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ لما سئل عنهم، وكونهم في الجنة يحتاج إلى دليل، والقول بأنهم يمتحنون ثم ينقسمون إلى قسمين؛ هو القول الصحيح.

۞ ۞ ۞

السؤال: كيف كان يتعبد ﷺ على دين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ألم تنسخ شريعة إبراهيم بشرائع من بعده من الرسل؟

الجواب: لم يأتِ شيء يدل على نسخها، بل الرسل بعده هم على ما كان عليه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أصل الدين وهو العبادة، ولكن الاختلاف بينهم في الأحكام والتشريعات العملية، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وأما الدين فهو واحد، ودين إبراهيم هو الحنيفية، وكانت ذريته عليه من بعده، والنبي ﷺ بُعث بالحنيفية التي كان عليها إبراهيم.

❁ ❁ ❁

السؤال: رجل أسلم وأهله باقون على الكفر، وجدته تطلب منه أن يذهب معها إلى المقبرة ليغسل قبة قبر ولدها، أي: والد هذا الرجل المسلم، وهذه من عادة النصارى، فما الحكم؟

الجواب: ليس له ذلك.

❁ ❁ ❁

السؤال: امرأة من فلسطين أعطت أحد المعتمرين مبلغًا من المال، وقالت له: إذا وصلت إلى مكة أو المدينة؛ فاشتر بهذا المبلغ مصاحف، وضعها في المسجدين أو في أحدهما، وعند وصوله قيل له: إن المصاحف هنا متوافرة فوق الحاجة والحمد لله، والأولى أن تصرف المال لصالح الفلسطينيين فهم أحوج إليه من غيرهم، فهل هذه الفتوى صحيحة؟

الجواب: صاحب الحق هو الذي يُرجع إليه في تصريف حقه، وصرفه في الجهة التي يريد، وإذا كانت صاحبة الحق لا تعلم؛ فيمكن أن يفاتحها، وأن يقول لها: إن المصاحف متوافرة في المسجدين؛ فإن أردتِ جعلتُ هذا المال صدقة، وإن شئت ردَدْتُه إليك لتصرفيه أنت في بلدك.

* * *

السؤال: جماعة اشتركوا في عتق عبد، فهل يحصل لهم الثواب؟

الجواب: كل له ثواب على قدر ما حصل منه من العتق، يقول الرسول ﷺ: «**من أعتق عبدًا كان فكاكه من النار، ومن أعتق جاريتين كانتا فكاكه من النار**»؛ فالفكاك يكون لشخص بشخص، وعضو بعضو، والمرأتان بمنزلة الرجل فيما يتعلق بالعتق، وكذلك في أمور أربعة أخرى غيرها، وهي: العقيقة والشهادة والدية والميراث؛ فهذه خمس خصال تكون المرأة فيها على النصف من الرجل.

* * *

السؤال: ما هو الدعاء الصحيح للطفل الميت؟

الجواب: يقول: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وشاهدنا وغائبنا، ولجميع موتانا**»؛ يعني: سواء كان الميت صغيرًا أو كبيرًا؛ هذا دعاء ورد للصغير وللكبير، ويدعى لوالديه بالرحمة والمغفرة، وقد جاء في الحديث أنه يصلى عليه ويدعى لوالديه بالرحمة والمغفرة.

السؤال: هل في إذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنبيه ﷺ بزيارة قبر أمه دليلٌ على جواز زيارة قبور المشركين؟

الجواب: نعم؛ لأن المقصود تذكر الآخرة فقط، فزيارة قبور الكفار من أجل تذكر الموت، وأما زيارة المسلمين فهي من أجل تذكر الموت ومن أجل الدعاء لهم؛ ففيه مصلحة ترجع للزائر والمزور، وأما بالنسبة لزيارة الكفار فالمصلحة للزائر فقط، والمزور لا مصلحة له فيها.

وهذا إذا دعا الزائر للميت المسلم، أما إذا دعاه وطلب منه ما لا يطلب إلا من الله؛ فلن يستفيد الميت شيئًا، والحي يتضرر؛ لأنه أشرك بالله حيث عبد معه غيره ودعا غيره.

❁ ❁ ❁

السؤال: امرأة كانت تقضي صيام رمضان في هذه الأيام، فجامعها زوجها في يوم منها، فهل تأثم بذلك؟ وماذا عليها؟

الجواب: لا يجوز له أن يجامعها ما دام صومها عن فرض، وإذا حصل الجماع؛ فقد فسد الصوم عليها، وعليها أن تقضي يومًا آخر مكانه، وليس عليها كفارة؛ لأن الكفارة إنما هي لشهر الصيام، ولنفس الصيام في زمنه، وأما القضاء فلا يعامل معاملة الأصل.

❁ ❁ ❁

السؤال: ذهبت للحج وأنا جاهل بمناسك الحج، وكان معي بعض

الأصدقاء فسعينا، ثم ذهبنا إلى عرفة وذهبت إلى جبل الرحمة، وعند عودتي لم أعرف مكان أصدقائي، وبعد المغرب ذهبت مزدلفة وأخذت منها سبع حصيات، ومشيت إلى منى ورميت الجمرة الكبرى، وذهبت إلى مكة وطفت طوافًا بنية الوداع، ثم ذهبت بعدها إلى جدة؛ فهل الكفارة علي أم على أصدقائي الذين تركوني؟

الجواب: طواف الإفاضة ركن من أركان الحج، والتفاصيل فيما يلزمه من الكفارات تحتاج إلىٰ أن نعرف ما ترك بالتحديد حتىٰ نعرف كم عليه من كفارة، ولكن ما تركه من أركان الحج يجب عليه أن يؤديه، وإذا كان عنده زوجة وقد جامعها؛ فإنه يكون عليه فدية، وهي شاة يذبحها بمكة ويوزعها علىٰ فقراء الحرم؛ لأنه جامعها قبل التحلل الثاني؛ لأن التحلل الثاني لا يكون إلا إذا أتىٰ بالطواف ومعه السعي، وهو قد ترك الطواف وأتىٰ بالسعي؛ فيجب عليه أن يذهب إلىٰ مكة ويطوف طواف الإفاضة، ويذبح شاة في مكة ويوزعها علىٰ فقراء الحرم، إن كان متزوجًا وقد جامع زوجته في هذه الفترة.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حال حديث: «التكبر على المتكبر صدقة»؟

الجواب: لا نعرف حديثًا في هذا، والتكبر غير مطلوب، فلا يتكبر الإنسان.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يجوز دفن المسلم في مقبرة الكفار إذا كان في بلد كفر؟

الجواب: لا يجوز أن يدفن المسلم في مقابر الكفار، وإنما يدفن في مقابر المسلمين، أو في مكان ليس مقبرة كفار.

❁ ❁ ❁

السؤال: قوله ﷺ في حديث الأوعال: «إن ما بعد ما بينهما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة» أي بين كل سماء وسماء، ألا يعارض هذا ما روي أن بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام؟

الجواب: بلى يعارضه، لكن حديث الأوعال غير ثابت، أو يقال: جاء ذكر السبعين على سبيل التكثير.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل هناك تعارض بين الحديث الذي جاء في وصف الجنة: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت»، والحديث الذي يدل على أن جبريل رأى الجنة وما فيها من النعيم، وأن آدم كان يسكن في الجنة، فإنه رأى نعيمها، فكيف يقال: إن فيها ما لا عين رأت؟

الجواب: كون جبريل وآدم رأيا الجنة؛ نعم هما رأيا الجنة، لكن لا ندري هل رأيا كل ما فيها أم لا.

والمقصود: أن فيها من النعيم ما لا يعرفه الناس، وما لا يدركه الناس، وفيها ما يعرفون أسماءه وأنواعه، ولكن الفرق بين ما في الدنيا وما في الآخرة - مثلما قال ابن عباس -: (إنه ليس في الدنيا ما يشبه ما في الجنة إلا

الأسماء)؛ فاللذة موجودة، ولكن فرق بين لذة ما في الدنيا ولذة ما في الآخرة، فالناس يعرفون العنب ويعرفون الرمان، فعنب الدنيا له عناقيد، والناس يأكلون منها علىٰ مر العصور والدهور، ولكن يفنىٰ؛ أما عناقيد الجنة فقد قال النبي ﷺ: «**ولو أخذت منه عنقودًا لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**».

۞ ۞ ۞

السؤال: هل الباعث والطيب من أسماء الله؟ وهل يجوز التكني بأبي الطيب؟

الجواب: لا أذكر نصًّا خاصًّا في اسم الباعث. أما الطيب فقد ورد في صحيح مسلم: «**إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيبًا**»؛ ويجوز أن يسمىٰ الإنسان: الطيب، وأن يكنىٰ بـ(أبي الطيب)؛ لأنَّ من أسماء الله ما يسمىٰ بها غيره، ومنها ما لا يسمىٰ به سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وهناك أسماء سمَّىٰ الله بها نفسه، وأطلقها علىٰ غيره؛ مثل: الرءوف والرحيم والسميع والبصير؛ فإنها تطلق علىٰ المخلوق؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، والمقصود بذلك رسول الله ﷺ، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وكذلك العزيز والكريم، لكن ما يضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ يختصُّ به وما يضاف إلىٰ المخلوقين يختص بهم، وهناك أسماء لا تطلق إلا علىٰ الله مثل: الله والباري والصمد والرحمن، وغيرها.

۞ ۞ ۞

السؤال: ألا يمكن الاحتجاج على المالكي بمقالته؛ فإنه احتج بحديث عند البخاري بزعمه وهو من رواية أبي هريرة، فلا يصح احتجاجه؛ لأن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس بصحابي عنده، فهو غير عدل؟

الجواب: علىٰ كلٍ أقول: الإنسان المبطل يأتي بالشيء الذي يريد، وأما الشيء الذي لا يريده فإنه لا يأتي به، وهو أتىٰ بشيء كذب فيه؛ لأن اللفظ الذي بنىٰ عليه الحكم لا يوجد في البخاري، وإنما هو الحقد والخبث الذي يكون في النفوس.

❁ ❁ ❁

السؤال: كيف يقول الرافضة: إن الصحابة لا يردون الكوثر. وهم أصلاً لا يؤمنون بالكوثر، بل يقولون: إن الكوثر في القرآن هي فاطمة؟

الجواب: الرافضة لهم مقالات قبيحة يقولونها في أمور أخرىٰ، وأما هذا الموضع بالذات فلا أدري عن حقيقة قولهم فيه، وعندهم تحريف للقرآن وذلك بتفسيره بأمور لا يدل عليها، لا من حيث اللغة، ولا من حيث المعنىٰ أيضًا.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم تأسيس معهد إسلامي خاص بالبنات يَسْكُنَّ فيه بعيدًا عن أهلهن مع الأمن، ولا يذهبن إليه ولا يعدن منه إلا مع محرم، وهو في أيام الإجازة فقط، هل هذا العمل يعد من الأعمال البدعية؟

الجواب: لا يعد هذا من الأعمال البدعية إذا كان النساء في محلٍّ خاصٍّ

بهن، وفيه أكلهن ودراستهن، ولا يخرجن من هذا المكان إلا مع محارمهن، وفيه الأمور التي يحتجن إليها، ولا يحتجن إلىٰ الخروج؛ لأن المنع إنما جاء عن السفر: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا مع ذي محرم**»، وكونها تذهب وتجيء مع ذي محرم لا بأس به، وهو مطابق لما جاء في الحديث. فعندما تكون المرأة في مكان آمن وفي مكان خاص، بحيث لا ترىٰ الرجال ولا يرونها ولا تختلط بأحد، وإنما يدخل أهلها إذا أرادوا ثم يخرجونها، مثل إدخالهم إياها إلىٰ المدرسة ثم إخراجها منها؛ فلا بأس.

❁ ❁ ❁

السؤال: أختي أفطرت رمضان العام الماضي بسبب عملية صمام القلب، وعندما تصوم تتعب ولن تقدر أن تقضي تلك الأيام، فماذا عليها؟

الجواب: إذا كان يمكنها القضاء في المستقبل؛ فإنها تقضي في المستقبل، وتطعم عن كل يوم مسكينًا إذا قضت بعد دخول رمضان آخر، وذلك إذا كان المرض مما يرجىٰ برؤه، وأما إذا كان هذا المرض لا يرجىٰ برؤه؛ فإنها تطعم عن كل يوم مسكينًا ولا قضاء عليها.

❁ ❁ ❁

السؤال: ما حكم لبس الدبلة للرجال والنساء، سواء كانت مكتوبًا عليها أم لم يكتب عليها شيء؟

الجواب: هذه من الأمور التي وفدت علىٰ المسلمين واستوردوها من

أعدائهم؛ فلا يجوز استعمالها من أجل الزواج إذا حصلت الخطبة، ولا أن يضع كل واحد في أصبعه خاتمًا يسمونه الدبلة؛ فهذه من الأمور المحدثة المنكرة التي يقلد فيها المسلمون أعداءهم فيما يضر ولا ينفع.

❁ ❁ ❁

السؤال: نقل بعضهم من تاريخ الطبري، الجزء الثاني؛ خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة جمّعها بالمدينة، ويريد أن تنظروا في السند، فيقول ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمحي؛ أنه بلغه عن خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة صلاها في المدينة في بني سالم بن عوف: «الحمد لله، أحمده وأستعينه...» إلخ.

الجواب: قوله: «بلغني عن خطبة رسول الله ﷺ»؛ هناك مسافة شاسعة بين سعيد بن عبد الرحمن الجمحي وبين زمن الرسول ﷺ؛ قال عنه في «التقريب»: من ولد عامر بن حذيم، أبو عبد الله المدني قاضي بغداد، صدوق له أوهام، وأفرط ابن حبان في تضعيفه، من الثامنة، مات سنة ست وسبعين، له اثنتان وسبعون، أخرج له البخاري في خلق أفعال العباد، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

فأنت ترى أنه من الطبقة الثامنة؛ أي أنه بعد طبقة صغار التابعين بثلاث طبقات؛ لأن طبقة صغار التابعين هي الطبقة الخامسة، وهو بعد طبقة صغار التابعين بثلاث طبقات، ومعناه: أن هناك مسافة بينه وبين رسول الله ﷺ،

فيكون في هذا الحديث انقطاع طويل، فهو معضل.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل يجوز بيع الأرض بالأرض؟ وهل يلحق هذا بالأصناف الربوية الستة؟

الجواب: يجوز بيع الأرض بالأرض متساويًا ومتفاضلًا، وليس لذلك علاقة بالرِّبا.

۞ ۞ ۞

السؤال: يحتفل الناس باليوم العالمي للمعلم، وفيه توزَّع جوائز للمعلمين؛ فما حكم هذا العمل، وما حكم تخصيص مثل هذا اليوم بذلك؟

الجواب: هذا من الأمور المحدثة.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل يعتبر الخلع طلاقًا بائنًا؟

الجواب: هناك خلاف، والأظهر أنه ليس بطلاق؛ ولهذا لا يحتاج إلىٰ عدَّة طلاق، وإنما يكتفىٰ فيه استبراء الرحم بحيضة؛ فالأصح فيه: أنه فسخ وليس بطلاق.

۞ ۞ ۞

السؤال: هل يعتبر الخلع بينونة صغرى أو كبرى؟

الجواب: هو بينونة، وتملك نفسها بمجرد دفعها للشيء الذي اتفق عليه

من العوض، ولا يملك هو رجعتها، ولكن إذا أراد أن يرجع إلىٰ ما كان عليه؛ فإنه يحتاج إلىٰ عقد ومهر جديدين، وإلا فإنه ليس له حق الرجعة؛ فقد بانت منه بحصول الاتِّفاق علىٰ الفسخ، ولكنه لا يعتبر طلاقًا.

۞ ۞ ۞

السؤال: تقيم مدارس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، القسم النسوي؛ ما يسمى بالطبق الخيري، وهو أن تصنع كل طالبة شيئًا من المأكولات، ثم تباع هذه الأشياء في المدرسة لصالح الجمعية؛ فهل في هذا العمل شيء، خصوصًا وقد أُخبرتُ أنه من عادات النصارى؟

الجواب: أنا ما أعرف أن هذا من عادات النصارىٰ، فمثل هذا الأمر نعتقد أنه لا بأس به؛ لأنَّ فيه فائدة، فكل واحد يتبرع بشيء يأتي به، ثم يباع ذلك بثمن، ويكون ذلك الثمن لصالح الجمعية؛ فهذا من جنس التبرُّع، فلو أن كل واحدة تبرعت بنقود بدلًا من الطعام؛ فلا فرق.

۞ ۞ ۞

السؤال: يوجد في فرنسا مسجد، وإمامه دائمًا ما يجمع بين المغرب والعشاء، حتى لو كان المطر يسيرًا؛ فهل نصلي معه إذا جمع، أو ننوي النافلة؟

الجواب: إذا كان المطر متواصلًا، ويصعب علىٰ الناس الذهاب والإياب؛ فإنه يسوغ، وأما أن يجمع لمجرد نزول شيء من المطر؛ فهذا لا يصلح ولا ينبغي، ولا سيَّما والوضع الآن في كثير من البلاد يختلف عما

كان عليه من قبل؛ من حيث وجود الدحض في الأرض، أو وجود ما يلتصق علىٰ الناس في ثيابهم وأرجلهم، فإذا أتوا للصلاة في المسجد؛ أتوا وهم ملوثو الأرجل؛ أما الآن فالطرق مسفلتة، ولا يحصل شيء ممَّا كان موجودًا من قبل. وأما إذا كان المطر يصنب، وكان في ذهابهم ورجوعهم مشقة؛ فهذا قد جاءت السُّنَّة بمشروعيته، لكن ينبغي أن ينبَّه علىٰ أنه ليس كل نزول مطر يكون معه جمع بين الصلوات؛ فهذا رخصة وليس بسنَّة.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل صحيح أن النبي ﷺ إذا أوحي إليه خرج عن طور البشرية، ودليل ذلك: أنه عندما ينزل إليه الوحي يتصبب عرقًا؟

الجواب: لا يخرج عن طور البشرية في هذا، وإنما يتصبب عرقًا لكونه ينزل عليه أمر عظيم؛ فهو بشر لا يخرج عن بشريته، وقد كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي يصيبه أمر عظيم، حتىٰ إن بعض الصحابة يحكي: أن رجله تكاد ترضّ رجل من وقعت عليه ممَّن حوله من الصحابة، من شدة الثقل الذي يحصل له - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه - عند نزول الوحي.

❁ ❁ ❁

السؤال: إذا تم الاعتماد على الصحيح من السيرة فقط فسنضيع جزءًا كبيرًا من السيرة النبوية، فكيف تريدون الاعتماد على ما صح فقط؟

الجواب: ما جاء في السيرة لا يكون ثابتًا إلا إذا صحَّ إسناده، وأما غير

ذلك فلا يقال له: إنه ثابت. ولا يؤخذ به حتىٰ يصح إسناده.

❁ ❁ ❁

السؤال: نريد استضافة الداعية المعروف عمرو خالد، فما رأيكم؟

الجواب: لا تستضيفوه أبدًا.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يصح أن يقال: إن باب الجرح لأهل البدع مفتوح لكل أحد من أهل السنة حتى الفساق؟

الجواب: فسّاق أهل السنة أنفسهم بحاجة إلىٰ سلامة من الجرح.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل في الجنة ليل ونهار؟

الجواب: معلوم أنَّ الليل والنهار إنَّما يكونان بالشمس والقمر وجريانهما، وقد جعلهما الله تعالىٰ في الدنيا من أجل أن ينام الناس وينتشروا، فيستريحوا بالليل، وينتشروا بالنهار لابتغاء الرزق، وتحصيل المعيشة والكسب والأعمال، ولو جعل الله عليهم الليل سرمدًا أو النهار سرمدًا؛ لحصل لهم من المشقة ما الله به عليم؛ كما ذكره الله تعالىٰ في القرآن. وأمَّا الجنة فليس فيها إلا الضياء والنور، وليس فيها ليل ولا نهار.

❁ ❁ ❁

السؤال: بعض الأئمة يستعجلون في الصلاة، فيركع أحدهم ولم

يفرغ المأموم من قراءة الفاتحة، فهل يقطع المأموم قراءة الفاتحة ويركع أم ماذا يفعل؟

الجواب: يكملها بسرعة ويلحق، وإذا كان الخلل من المأموم؛ فإنه يتدارك الخلل، فبعض المأمومين قد يسهو، أو قد يطيل، وهو يعرف حال إمامه من الإسراع في القراءة؛ فعليه أن يعمل علىٰ أن ينهي الفاتحة قبل أن يركع الإمام، وإذا كان الإمام يستعجل؛ فينبه إلىٰ ضرورة ألا يستعجل.

❁ ❁ ❁

السؤال: خطب خطيب الجمعة، ولما انتهى من الخطبة أناب شخصًا آخر يصلي بالناس، فما حكم ذلك؟

الجواب: يجوز، ولا بأس بذلك.

❁ ❁ ❁

السؤال: هنا قول ابن عمر في حديث جبريل: حدثني عمر. هل يؤخذ منه جواز ذكر الأب باسمه صراحة؟

الجواب: الأصل أن الإنسان يذكر أباه بأبوَّته له، ويجوز ذكره في مثل هذه الحال باسمه، لكن عندما يخاطب أباه يخاطبه بالأبوة، ولا يخاطبه باسمه.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل يستدل بحديث جبريل على جواز التمثيل، حيث إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ تمثل بصورة بشر؟

الجواب: لا يدل على التمثيل؛ لأن التمثيل كذب، وأما هذا فمخلوق كان على هيئة تسد الأفق وله ستمائة جناح، وقد جاء بهذه الهيئة الحقيقية؛ لأن نفس الخلقة التي تسد الأفق تحولت إلى هذا، ولا يقال: هذه صورة جبريل، وجبريل جالس في مكانه أو باقٍ في مكانه على هيئته، وإنما هو نفسه هذا الخلق الكبير؛ انكمش حتى صار على هذه الهيئة، وجاء كذلك من أجل أن يقدروا على أن يستفيدوا منه؛ لأنه لو جاء على هيئته العظيمة لما استطاعوا أن يستفيدوا منه. ولما طلب الكفار إنزال الملائكة؛ أخبر الله تعالى بأنه لو أنزل ملكًا لجعله على هيئة رجل، حتى يتمكنوا من التفاهم معه. فالاستدلال على التمثيل بهذا لا يجوز؛ لأن التمثيل كذب مخالف للواقع، ولأن الغالب فيه أنه كذب من أجل الإضحاك، والكذب إذا كان معه إضحاك يكون أسوأ وأسوأ.

❁ ❁ ❁

السؤال: بعض الناس لا يصلي في الدور الثاني في المسجد النبوي بحجة أنهم يكونون في مكان فوق قبر النبي ﷺ، كما حصل من أبي أيوب الأنصاري عندما طلب من النبي أن يصعد إلى الدور الأعلى من بيته عندما نزل ضيفًا عليه في أول الهجرة، فما رأيكم؟

الجواب: هذا ليس بصحيح؛ لأن سطح المسجد منه، وأبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد ألا يكون النبي ﷺ تحته في المنزل، وأما المسجد

فسواء كان من دور أو دورين؛ فالصلاة في أي دور هي صلاة في المسجد، والإنسان الذي يصلي في سطح المسجد حكمه مثل الذي يصلي في أسفل المسجد، فتكون صلاته بألف صلاة.

❁ ❁ ❁

السؤال: عندنا في البلاد إذا مات شخص يقوم أحد العلماء بعد دفنه ويدعو له، والباقون يؤمنون، فهل هذه الطريقة صحيحة أم لا؟

الجواب: الطريقة الصحيحة أن يدعو كل واحد للميت بأن يثبته الله عَزَّوَجَلَّ وأن يغفر له؛ هذا هو الذي ثبت عن رسول الله ﷺ، وأما أن يأتي أحدهم ليدعو والناس يؤمنون؛ فلا.

❁ ❁ ❁

السؤال: في بعض البلاد بعد أن يدعو الناس للميت يخاطبه أحدهم: يا فلان! إذا سئلت عن كذا فأجب بكذا؟

الجواب: هذا مع كونه غير صحيح فلا فائدة من ورائه؛ لأن الإجابة عن أسئلة القبر لا تنبني على التلقين، وأنه يقال له: اعمل كذا ولا تعمل كذا. فهذا أمر قد انتهى، والجواب إنما يكون سديدًا بتثبيت الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل الصدقة عن الميت تؤثر في تخفيف العذاب عنه في قبره مثلاً؟

الجواب: يرجى ذلك؛ لأن النبي ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

السؤال: في بلادنا يوجد بعض الأماكن التي تقع في ساحل البحر، إذا حفروا قبرًا وجدوا الماء قريبًا جدًّا، فلجئوا إلى إدخال الميت في صندوق، ثم يضعونه في قبره، فما الحكم؟

الجواب: إذا كان القرب من البحر هو الذي يسبب ذلك؛ فإنه يدفن في مكان بعيد عنه، وأما إذا كانت الأرض كلها كذلك، وكان الأمر يقتضي ذلك؛ فلا بأس.

❁ ❁ ❁

السؤال: هل توجد فضيلة لليلة النصف من شعبان ويومها؟

الجواب: ليلة النصف من شعبان لم يرد فيها شيء ثابت عن رسول الله ﷺ، والإنسان عليه أن يكون دائمًا وأبدًا على صلة بالله وأن يعبد الله عَزَّوَجَلَّ دائمًا؛ فلا يخص شيئًا من الليالي والأيام إلا وفقًا للدليل، وإذا لم يأت دليل يدل على تخصيص بعض الليالي وبعض الأيام؛ فإن على الإنسان أن يتقيد بما جاء في النصوص، فلا يحدث شيئًا ولا يعمل شيئًا لم تأتِ به النصوص عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولم يثبت في ليلة النصف من شعبان شيء.

ولشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة اشتملت على أربع رسائل: رسالة الاحتفال بالنصف من شعبان، والاحتفال بالإسراء والمعراج، والاحتفال بالمولد النبوي، ورؤيا خادم الحجرة؛ وهي الرؤيا المكذوبة التي تروج بين حين وآخر، وهي مشتملة على الباطل والكذب.

فهذه الرسائل الأربع طبعت تحت عنوان «التحذير من البدع»، وقد ذكر أن ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها سنة عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والإنسان عليه أن يكون متبعًا وألا يكون مبتدعًا؛ فالشيء الذي ورد يأخذ به، والذي لم يرد يمسك عنه؛ فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**، .وقال: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

❁ ❁ ❁

السؤال: ذكرتم أنه لم يرد نص في أن إسرافيل هو الذي ينفخ في الصور، وقد بحثت فيما بين يدي من المصادر فوقفت على ما يلي:

أولاً: في حديث الصور الطويل تسمية الذي ينفخ في الصور بأنه إسرافيل.

ثانيًا: روى الطبراني في «الأوسط» تسميته أيضًا بإسرافيل، وقال الهيثمي: إسناده حسن.

ثالثًا: في كتاب «العظمة» لأبي الشيخ بن حيان رويت آثار عن بعض السلف بأنه إسرافيل.

رابعًا: قال الطبري في «تفسيره»: تظاهرت الروايات عن الرسول ﷺ بأنه إسرافيل؟

الجواب: قال ابن كثير في التفسير، عند تفسير قوله تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣]: أنه في الصحيح . لكن لا نعلم وجوده في الصحيح، وأما حديث الصور فمعلوم أن فيه كلامًا، وأما هذا

الذي ذكره عند الطبراني في «الأوسط» فنحتاج إلىٰ معرفة مكانه منه؛ حتىٰ يُعرف هل هو ثابت أو غير ثابت، فأنا لا أعلم شيئًا فيما يتعلق بأن إسرافيل ينفخ في الصور، وهو معروف مشهور عند الناس، ومشهور في كتب أهل العلم أنه إسرافيل. وأيضًا كما قلت في التعليل في توسل النبي ﷺ بربوبية الله جبريل وميكائيل وإسرافيل؛ يذكر بعض أهل العلم أنهم موكلون بأنواع الحياة الثلاثة، وأن إسرافيل موكل بالنفخ في الصور، ولكن الشأن في الحديث الذي يثبت في ذلك.

❁ ❁ ❁

السؤال: المقابر في بلادنا في وسط المزارع، ولذلك فإن مستوى الماء بعد متر من الحفر، فيقوم الناس ببناء القبور بالطوب، وبعضهم يجعلونها أعلى من الأرض بمتر أو مترين، فهل يجوز مثل هذا؟

الجواب: المناسب أن تكون القبور في أماكن ليس فيها ماء، وعلىٰ الناس أن يبحثوا عن أماكن بعيدة من الماء فيدفنوا الموتىٰ فيها؛ فإن عسر ذلك واقتضىٰ الأمر جعل الميت في شيء من أجل ألا يذهب في الماء؛ فلا بأس به، وأما كونه يرفع البنيان كمثل المقصورة ويدفن الميت كذلك؛ فإن هذا من أسباب الفتن التي تجعل الناس يفتنون بالموتىٰ ويعظمونهم.

❁ ❁ ❁

السؤال: هذا يسأل عن أحاديث تزاور الأرواح، فيذكر أن الشيخ

الألباني صحَّح أو حسَّن حديث تزاور الأرواح، وأثبت ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث تزاور الأرواح في القبور في «الفتاوى الكبرى»، فما رأيكم؟

الجواب: ليس عندي علم.

❁ ❁ ❁

السؤال: أنا أعمل لدى إحدى المؤسسات وأستلم راتبًا شهريًّا، وكان في المحل مدير يعطيني كل يوم عشرة ريالات دون أن يعلم صاحب المحل، فهل هذه العشرة الريالات حلال أم حرام، علمًا بأن هذه الفلوس بلغت ثلاثة آلاف وستمائة خلال عامين؟

الجواب: يرجع السائل إلىٰ الذي كان يعطيه الفلوس ويسأله: هل يعطيه بإذن من المالك أم بغير إذن؟ فإن كان بإذن فهو يستحقها، وإن كان بغير إذن فهو لا يستحقها، وعليه إرجاعها إلىٰ مال صاحب المحل أو التحلل منه.

❁ ❁ ❁

السؤال: لي طفلة عمرها ست سنوات ولم أعق عنها، فهل يجوز لي أن أتصدق الآن بذبيحة في مكة؛ علمًا أني جئت هنا للعمرة؟

الجواب: نعم، يعق عنها الآن، وله أن يتصدق بهذه الذبيحة في مكة، وإن كان من غير أهل مكة.

❁ ❁ ❁

السؤال: أنا مصاب بمرض الدوالي في ساقي، وأخاف من المضاعفات

وأنا ذاهب للعمرة، ولا أستطيع أن أسعى بين الصفا والمروة على رجلي، فهل يجوز لي أن أستخدم عجلة؟ وهل تلزمني الفدية إن فعلت ذلك؟

الجواب: له أن يركب العربيات التي تستخدم للسعي بين الصفا والمروة إذا كان يتضرر من المشي، وليس عليه فدية إذا فعل ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

❁ ❁ ❁

السؤال: القول بأن باب الاجتهاد مغلق، هل قاله أحد من السلف؟ وماذا يلزم على هذا القول؟

الجواب: هو مغلق عن الذين ليس عندهم علم، وأما من عنده قدرة فليس مغلقًا دونه.

❁ ❁ ❁

السؤال: كيف يجمع بين حديث: «من قتل دون ماله فهو شهيد»، وحديث: «كن كخير ابني آدم»؟

الجواب: أنا لا أعرف مدىٰ صحة حديث: «كن كخير ابني آدم»؛ فلا أعرف عنه شيئًا، لكن الإنسان إذا دافع عن ماله أو عن أهله؛ فهي مدافعة بحق؛ فإن قَتَل فهو علىٰ حق، وإن قُتِل فهو علىٰ حق ويكون شهيدًا.

❁ ❁ ❁

الفهارس العامة

١- فهرس أطراف الأحاديث والآثار.

٢- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٣- فهرس الموضوعات.

فهرس
أطراف الأحاديث والآثار

❊ ❊ ❊

فهرس الأعلام المترجم لهم

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

❋ ❋ ❋

كتاب السنن لأبي داود كتاب ذو شأن عظيم، عني فيه مؤلِّفه بجمع أحاديث الأحكام وترتيبها وإيرادها تحت تراجم أبواب تدلُّ على فقهه وتمكُّنه في الرواية والدراية، قال فيه أبو سليمان الخطابي في أول كتاب معالم السنن: " وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدِّماً سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه "